بسم الله الرحمن الرحيم

اسم المؤلف : **السيد عمار الحكيم**

عنوان الكتاب : **خطاب الاعتدال والبناء**

موسوعة الخطب والكلمات والبيانات والرسائل للسيد عمار الحكيم لعام ٢٠١٣

الطبعة الثانية : ٢٠٢٢

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

العراق - بغداد- الجادرية جسر ذي الطابقين

شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد

07813614106

inky.publishing@gmail.com

خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات واللقاءات المجتمعية والإعلامية والبيانات للسيد عمار الحكيم

لعام (٢٠١٣)

الجزء السابع

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد..

فهذا هو الجزء السابع من موسوعة (خطاب الاعتدال والبناء)، الذي يتضمن خطب ومحاضرات ونشاطات رئيس تيار الحكمة الوطني السيد عمار الحكيم، لسنة ٢٠١٣، استكمالاً لشهادته على مرحلة من أكثر مراحل العراق الحديث خطورة وحساسية.

وكما درجنا في الأجزاء الستة السابقة، فقد بدأنا بتوثيق كلمات الملتقى الثقافي، ثم ثنّينا في ترتيب مادة هذا الكتاب، بالأمسيات الرمضانية التي دأب عليها السيد عمار الحكيم.

وتم تخصيص الفصل الثالث لمحاضرات السيد الحكيم في الأيام العشرة الأولى من محرم، المخصصة لثورة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتناول فيها موضوع البصيرة؛ تعريفها وشروطها وآثارها، ومصاديقها المتجسدة في الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه.

أما الفصل الرابع فتم تخصيصه للمحاضرات الأخلاقية، وهي مجموعة من المحاضرات في (الأخوّة الإيمانية) ألقاها سماحته على ملاكات المكتب الخاص والملاكات المتقدمة لتيار الحكمة الوطني خلال شهر رمضان المبارك بعد صلاة الظهر، واستمرت بعد الشهر الفضيل في يوم الثلاثاء من كل أسبوع.

وختاماً، نتمنى أن نكون قد وفقنا في عرض مادة هذا المجلد، بما ييسر الرجوع إليها. والله وليُّ التوفيق.

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

الملتقيات الثقافية

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٢/٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فإن كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))

كان حديثنا عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، ووصلنا إلى المقطع العاشر من عهد أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمالك الأشتر حينما ولاه مصر، الذي يتحدث فيه علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن حاشية المتصدي والمسؤول عن البطانة؛ عن الفريق الذي يقترب منه ويلتصق به، وفي هذا الجانب يقول علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «والصق بأهل الورع والصدق»، يا مالك، حينما تذهب وتصبح واليا، فمن تجعله لصيقا بك، وتجعل نفسك لصيقا به، حاشيتك وأخلاؤك وأصدقاؤك والمقربون منك، يجب أن تتوافر فيهم صفتان أساسيتان؛ الورع والصدق.

«ثم رضهم»، عوّدهم وروّضهم، «على أن لا يطروك»، ألا يمدحوك كثيرا، فحينما تكون البطانة متملقة مادحة لأي عمل يتصدى له المسؤول، سواء كان صحيحا أو خطأ، عاديا أو متميزا، يصفقون له ويمدحونه، فإن هذا يوقعه في الغرور وفي إشكالات كبيرة.

آفة البطانة المتملقة

روّضهم يا مسؤول وعوّدهم على ألا يمدحوك، ولا تقبل لنفسك أن تكون في معرض المديح والإطراء المستمر لهؤلاء. «ولا يبجحوك بباطل لم تفعله»، هؤلاء الذين يريدون أن يدخلوا السرور عليك بتصوير باطل لفعل لم يصدر منك، فهذه الصورة وهمية، فيا أيها المسؤول، إن البطانة المادحة سوف تجعلك في أجواء من الفرح والبهجة والسرور، فتُعزل عن العالم الخارجي وتعيش عالما وهميا، ويصورون لك أشياء لم تفكر بها ولم تفعلها، فهي ليست من فعلك أو من قولك، يوهمونك حتى تصدق، فلا تسمح لهم، و«لا يبجحوك»، لا يفرحوك ولا يدخلوا السرور الوهمي في قلبك، «بباطل لم تفعله»، لأمر أنت لم تقم به، فهذه الصورة وهمية وباطلة، «فإن كثرة الإطراء توجب الزهو»، كثرة الإطراء والإعجاب والمديح والثناء توجب حالة من الزهو والعجب لدى الإنسان، فترى نفسك أحسن من الآخرين، «وتدني من العزة»، هذا الزهو والعجب والمديح والإطراء يقربك من حالة العزة والكبر، فتشعر أنك أكبر من الآخرين وتأخذك النشوة الكاذبة، وما أخطرها وما أخطر الشعور لدى المسؤول بأنه مسدد ومؤيد، فكل ما يقوله ويفعله وكل ما يفكر به هو عين الصواب!، فالعصمة للأنبياء ولعدد من الأوصياء، وأنت يا مسؤول لست معصوما، وإذا كانت البطانة توحي لك بذلك فعليك ألا تغتر ولا تسمح لهم بأن يغروك ويأخذوك إلى العالم الوهمي، وهذه النصيحة مهمة.

هناك من يقول إن الشعوب هي من تصنع الطواغيت، ثقافتنا هي التي تصنع الطاغوت؛ حينما يكثر المديح والإطراء وحينما تتحول كل كلمة وموقف إلى شيء كبير، مع أنه قد لا يكون كذلك، وحينما نسلب من المسؤول إنسانيته ونجعله في مقام الملائكة والأنبياء والأوصياء، وفي مقامات عالية هو ليس منها، حينذاك نقع نحن في الفخ ونوقع المسؤول فيه، حينما يصدق ذلك، وهذه بداية الانحراف، وبداية الخروج عن المسار الصحيح، ولذلك فإن البطانة أو الأصدقاء أو الحاشية أو الأخلّاء أو الناس الذين يقربهم المسؤول ويقتربون منه ويلتصق بهم، هذه القضية عليه ألاّ يعتبرها قضية شخصية.

معايير اختيار البطانة

أنت لست إنسانا عاديا حتى تكون لك علاقات خاصة، فأنت رجل خدمة عامة، ويجب أن تخضع علاقاتك لمعايير دقيقة تنسجم مع الموقع الذي أنت فيه، فحين تكون في موقع المسؤولية يجب أن تكون دقيقا في من تختار من الأصدقاء، وإذا لم تستطع ذلك قدّم استقالتك لتصبح إنسانا عاديا، فمادمت في مواقع التصدي والمسؤولية، فكل شيء يجب أن يخضع لحساب دقيق، ومن ذلك اختيارك للبطانة والحاشية ومن هو لصيق بك. المعايير التي يضعها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقطع هي التقوى والصدق، بل أكثر من التقوى وهو الورع، كما قرأنا في هذه العبارات الكريمة، «والصق بأهل الورع والصدق»، الورع حالة أكثر من التقوى؛ فالتقوى ألاّ ترتكب معصية، أما الورع فهو أن تتجنب الشبهات، فالورع حالة الابتعاد عن الشبهات.

الصفة الأولى... الورع

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أصل الورع تجنب الآثام، والتنزه عن الحرام»[1]. لا تقترب من مظان الشبهات والمعاصي والآثام والمحرمات، هكذا يجب أن يكون هؤلاء، أناسا عندهم طهارة قلب عالية، ويمتلكون نظافة القلب والعين واللسان والفكر، هؤلاء قرّبهم منك لأن النظيف لا تصدر منه قاذورة، فكل مكيدة قاذورة وكل كذب وفكرة مسمومة قاذورة، وكل شحناء وبغضاء تلقيها في قلب المسؤول تجاه شعبه ومن هو مسؤول عنهم هي قاذورة، والإنسان الورع إنسان نظيف وطاهر لا تصدر منه هذه القاذورات، فاذا أردت يا مسؤول أن تكون بيئتك نظيفة، البيئة النفسية والمعنوية، فعليك أن تختار بطانة وجماعة قريبة منك يشيعون الاطمئنان وحب الخير، ويشيعون السلام والوئام وحب الآخر، وليس بغضا في قلبك، بهذه الصفات تختار من الناس.

في موقع آخر يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما الورع التطهر من المعاصي»[2]، ترى نفسك غريبا عن المعصية والبيئة الملوثة، فالكبير بعظم النفس وسعتها. حاول أيها المسؤول أن تجعل بطانتك والمحيطين بك من ذوي النفوس الكبيرة والطاهرة، «عليك بالورع

١. غرر الحكم ٢: ٤١٧، الرقم ٥٩٦٦.
٢. مستدرك الوسائل ١١: ٣٢٩، ح١٤.

فإنه خير صيانة»[٣]، الورع أفضل درع وأفضل صيانة لك، إن الورع هو الدرع الواقي الذي يجنب الإنسان الوقوع في الحرام والمعصية.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا معقل أحصن من الورع»[٤]، الورع هو هذا الملجأ الصحيح الذي من خلاله نحافظ على أنفسنا من المخاطر؛ مخاطر الذنوب والآثام والمعاصي والسوء التي قد تصيبنا، فمن أهم الصفات والسمات لمن يحيط بالمسؤول هي صفة الورع عن محارم الله.

الصفة الثانية... الصدق

اختر أخلاء وأصدقاء صادقين، يصدقونك القول ولا يقولون لك خلاف الواقع، ولا يفسرون لك الأمور تفسيرات خاطئة ولا يغرونك، لأن من شأن ذلك فقدان ثقة الشعب بالمسؤول، وما هي الفائدة في أن يكون مسؤولا لشعب أو أمة من الناس، أو مسؤولا عن مصنع أو دائرة أو أي مستوى من مستويات التصدي، لأن منظومة الإدارة والقيادة في الإسلام، كما قلنا، لا تختص بالزعماء والأمراء والوزراء فقط، بل هي تمتد لكل من يتحمل المسؤولية وصولا إلى رب الأسرة حينما يكون مسؤولا عن عائلته، فيجب أن يوفر هذه المواصفات بحجم مسؤوليته، وكلما توسعت المسؤولية لزم توفر هذه المعايير بشكل أكبر وأوضح. الصدق مسألة أساسية وضرورية.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الصدق صلاح كل شيء»، مفتاح الصلاح في كل الأمور هو الصدق، «والكذب فساد كل شيء»[٥]، إذا بدأ الإنسان يقول خلاف الواقع في مسألة معينة، فمن يضمن أنه يصدق في المسألة الثانية، وإذا كذب في شيء فقد يكذب في كل شيء، فإذا كذب لا تثق به، وإذا زالت الثقة لا تستطيع أن تعتمد عليه وتتفاهم أو تتواصل معه، وإذا زالت الثقة يصبح التواصل عملية معقدة جدا.

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضا: «الصادق على شفا منجاة وكرامة»، أي في محطة انطلاق نحو النجاة والرفعة والكرامة، وإذا تكلم بكلام فالناس تثق به، ولا يعطي الكلمة بسهولة ولكن إذا أعطاها يلتزم بها، هذا هو الصادق، «والكاذب على شفا مهواة ومهانة»[٦] ومن يكذب فكأنه يرمي نفسه إلى الهاوية ويعرض نفسه للمهانة والإذلال، لأن حبل الكذب

٣. عيون الحكم والمواعظ: ٣٣٣.
٤. نهج البلاغة الحكمة ٤: ٨٧، الحكمة ٣٧١.
٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤.
٦. بحار الأنوار ٦٩: ٢٦٠، ح٢٧..

قصير، ومن يكذب يتعلم على الكذب، وسوف ينسى ماذا قال قبل قليل، أما الصادق فينطلق من الحقيقة والحقيقة لا تتغير، وجوابه وكلامه اليوم وبعد ١٠ سنوات واحد، لأنه صادق ويتحدث عن الحقيقة، فالذي يبني على الصدق تكون كلمته واحدة، والذي يبني على الكذب يتكلم بكلام متناقض ولن تعرف الصدق منه، ويعرض نفسه إلى المهانة والهاوية.

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج»، فهذا لا يكفي، والكثير من الناس يصلي ويصوم ويحج، «والمعروف»، بعض الإحسان الذي يقدمونه، ربما يقدم البعض المعروف ليس قربة إلى الله وإنما لدوافع أخرى، فالمعروف وحده غير كاف، «وطنطنتهم بالليل»، لا تغرك الطنطنة ولا طول مناجاتهم، لأن المناجاة منقبة عظيمة، لكن البعض يطنطن لقلقة لسان وعادة عنده، وليس كل من يقوم الليل يحظى بتلك المقامات العالية، «ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة»[٧]. إذا كان حديثه صادقا ويؤدي الأمانات إلى أهلها، فهذا هو المحك والمعيار، وهنا الاختبار العسير، فيقول الصدق حتى لو كان على خلاف مصالحه ويؤدي الأمانة حتى لو لم تكن هناك وثيقة عليها. إذا صدق الحديث وأدى الأمانة فهذا هو الإنسان الذي يمكن أن يُوثق به.

الكذب دليل على مهانة نفسية

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش»، يتعوّد الإنسان على الصلاة وإذا لم يصلّ يوما واحدا يستوحش وكأنه نسي شيئا، فالعادة شيء والملكة الأخلاقية التي ترفع من مكان الإنسان شيء آخر، «ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[٨]، هذا الاختبار العسير، إذا صدقوا وإذا كذبوا.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حينما خطب بالناس بعد أن بايعوه خليفة للمسلمين: «ذمتي بما أقول رهينة»، عهد أقطعه معكم، «وأنا به زعيم»، (قال أشياء كثيرة)، «والله ما كتمت وشمة»، أي كلمة أو حقيقة، الوشمة كالوشم على الجلد، فالأبرة حينما تغرس فهذه وشمة وبتعددها يصبح وشماً.. فلم أكتم عنكم حقيقة بقدر رأس الأبرة،

٧. بحار الأنوار ٦٨: ٢، ح١٣.
٨. الكافي ٢: ١٠٤، ح ٢.

فليس عندي وجهان، أنا علي بن أبي طالب، ظاهري وباطني واحد، وليس عندي مكر وخداع والتفاف، «ولا كذبت كذبة»[٩]، لا أقول خلاف الحقيقة.

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يكذب الكاذب إلاّ من مهانة نفسه عليه»[١٠]، الكاذب لا يكذب الا حينما يكون عنده شعور بالمهانة والانحطاط النفسي الداخلي، ونفسه مهينة عنده، فلذلك يكذب، وهذا تحليل نفسي للكذب يقدمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فعلى الإنسان أن يعترف بالخطأ، والاعتراف بالخطأ فضيلة، وإذا كان كلامه صوابا يفتخر أن يقول ما قاله وكان في محله، فالكذب دليل على انحطاط خلقي ومهانة نفسية، هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

في رواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار»[١١]، من يكذب مرة سيكررها مرتين وثلاثا، وتتحول إلى سجية في حياة هذا الإنسان، لذلك يقول الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب»[١٢]، فمن يكذب يفتح باب الخبائث كلها على نفسه، لذلك فإن الورع والصدق صفتان أساسيتان لمن يختاره المسؤول من بطانة وجماعة تحيط به.

الانسداد السياسي باب إلى التقسيم

إن مسؤوليتنا الاجتماعية والسياسية تحتم علينا أن نتحدث بلغة صريحة وواضحة لأبناء شعبنا، ولاسيما في الأزمات الكبيرة وفي المخاطر العظيمة التي تلم بهم، واليوم نعيش أزمة مصيرية وخطيرة على واقعنا العراقي، ويجب أن نكون صريحين وواضحين مع أبناء شعبنا بما يجري خلف الأبواب المغلقة.

إن تشكيل إقليم غير منضبط وغير متجانس في هذه الأجواء من الصخب والانفعالات، سيؤدي بالتدريج إلى حالة من التقسيم لهذا البلد الكريم. وقبل سنة من الآن تحدثنا من هذا المنبر وقلنا إن الأزمة السياسية في البلاد تتحول إلى عقدة، وجئنا بعد مدة من الزمان وقلنا إن العقدة السياسية في البلد تتحول إلى شلل وانسداد سياسي، واليوم نقول إن الشلل السياسي الذي أصاب هذا البلد الكريم إذا طالت مدته وتعمق وترسخ أكثر، فسيكون سببا في الانتقال إلى تقسيم العراق لا سمح الله بذلك.

٩. نهج البلاغة ١: ٤٦، الكلام ١٦.
١٠. بحار الأنوار ٦٩: ٢٦٢، ح٤٥.
١١. بحار الأنوار ٦٩: ٢٥٩، ح٢٤.
١٢. بحار الأنوار ٦٩: ٢٦٣، ح٤٦.

إننا وبرغم مرارة هذه الكلمة وقبحها، أن نتحدث عن شيء باسم تقسيم العراق، ولكننا يجب أن نضع النقاط على الحروف. إن الجميع اليوم يتكلم عن وحدة العراق والجميع يتكلم عن لحمة المكونات العراقية وتماسك المواطنين العراقيين على اختلاف توجهاتهم المذهبية والقومية، ولكن البعض منهم، بقصد أو بغير قصد، يمهد لتقسيم العراق، إما تقسيما واضحا بيّناً، ويقول بأن يذهب العراق ليكون ثلاث دول أو أربع دول، أو أي عدد من الدول، ليفكك هذا البلد الموحد القوي إلى دويلات صغيرة تنهش بها المطامع الإقليمية والدولية.

والبعض الآخر يتحدث في أجواء الانفعال وعدم الرغبة بالمشاركة مع الآخر والحياة معه، يتحدث بانفعال عن فيدرالية ونظام فيدرالي غير منضبط وغير متجانس، ولا يعلم أن تشكيل إقليم غير منضبط وغير متجانس في هذه الأجواء من الصخب والانفعالات سيؤدي بالتدريج إلى حالة من التقسيم لهذا البلد الكريم، وقد تكون هناك وحدة شكلية وتقسيم واقعي، بأن يُقسَّم هذا البلد إلى أقسام عديدة، وكل جماعة تسيطر على جزء منه وتستفرد بذلك الجزء ولا تسمح للآخرين بأن يشاركوها في ذلك الجزء، وبالتالي نذهب إلى حالة من التفكك تحت عنوان واحد شكلي اسمه العراق، ولكن في الحقيقة هو تقسيم، ونوع من أنواع التقسيم الواقعي.

شروط تطبيق الفيدرالية

إن الظروف النفسية والواقعية التي يعيشها شعب العراق وتعيشها المنطقة لا تسمح بطرح مثل هذه المشاريع، وإن كانت مشاريع صحيحة حينما تكون في وقتها المناسب وفي أجوائها الملائمة من الوئام الوطني وتوزيع الأدوار بين الناس. إن الفيدرالية الإدارية تجعل الناس تنشد بعضها نحو البعض الآخر، وتنشد نحو الوطن الواحد، كما هو حال هذه الفيدراليات في عدد من الدول المتطورة في العالم، ولكن الفيدراليات الانفعالية الناتجة من عتب وسخط على الشركاء، والناتجة من رغبة في الاستقلالية عن الشركاء، في مثل هذه الأجواء حينما لا تكون خاضعة لضوابط محددة ولرؤية واضحة متفق عليها وطنيا ستأخذ البلاد إلى الهاوية.

إن المجلس الأعلى كان من أول الأطراف التي تحدثت عن النظام الفيدرالي، ولكن تحدث عنه على أن يكون في أجواء من التوافق والوئام الوطني، وأن يكون نظاما اتحاديا إداريا وليس أن نذهب إلى تفكيك العراق على أسس طائفية أو قومية. إن الخطر الكبير الذي نلمسه اليوم والذي دعانا للحديث عن هذه القضية الحساسة والصادمة لكل عراقي

غيور حريص على وطنه ولحمة بلده، هو ملامح التقسيم التي بدأت تخرج وتنتقل من مشاريع لساسة طامحين، لتكون على أفواه المواطنين وأبناء الشعب، وتُقدم لهذا التقسيم تسويغات كثيرة، وإذا كان الناس يهمسون بها اليوم فسيجاهرون بها في الغد، وستُحشد المشاعر والعواطف البسيطة من أبناء شعبنا باتجاهها، ولذلك لابد من أن نكون حذرين مما يقال في هذا السياق.

أفكار قاتلة

هناك من يتحدث بلغة شعبية ويحاول أن يناغم الناس في أحاسيسهم، قائلا: دعوهم ينفصلوا ليرتاحوا ونرتاح، ماذا نفعل، جربنا العيش المشترك عشر سنوات ولم تنجح القضية معنا، فالظاهر أن قدرنا هو أن يسير كل شخص بطريقه.. ويقول هذا الكلام ويبرر لتقسيم العراق، ولا يعرف خطورة مثل هذه الأفكار القاتلة لجميع العراقيين. ليعلم الجميع أن قوتنا بلحمتنا ووحدتنا، وإذا تفكك العراق وذهب كل إلى طريقه ومساره فسوف يشعر الجميع بالضعف، ولكن بعد فوات الأوان، وحينما لا تكون هناك فرصة لتدارك الموضوع.

إن السبب الرئيس الذي يدفع البلاد نحو مثل هذه الأفكار الخطيرة، انما هو تمادي بعض الأطراف السياسية في الضغط على المواطن العراقي وإغراقه في الأزمات وفي المشاكل الكبيرة وعدم التركيز على مفهوم المواطنة والوطن، وترسيخ هذا المفهوم في الثقافة الشعبية الواسعة، فهناك أطراف سياسية أوغلت في الاستهانة بمفهوم الوطن، وهناك أطراف سياسية تعمدت إضعاف الدولة، وهناك أطراف سياسية تحصنت خلف الطائفية لتبرير فشلها السياسي، وهناك أطراف سياسية تسير في هذا الطريق وفي هذه المعمعة السياسية دون أن تعرف إلى اين يأخذها ذلك وبأي اتجاه تذهب؟.

تكليفنا يحتم علينا أن نقرع جرس الإنذار

إنه لمن المؤلم أن نتكلم عن موضوع تقسيم العراق، وعن هذا الخطر الفادح، ولكن مسؤوليتنا تحتّم علينا أن نتحدث بما نحس به وما نراه في الأروقة الخاصة وخلف الأبواب المغلقة وما يدور في مخيلة البعض، إن التأريخ لا يرحم أحدا ومن يسهم في صناعة هذا الواقع المرّ أو يعايش هذا الواقع ولا يكترث به ويغض الطرف عنه، سيحمّله التأريخ هذه المسؤولية الكبيرة والخطيرة، ونحن لسنا ممن يرى هذه الحقائق ويغض

الطرف عنها، ويقبل لنفسه ولشعبه السير في هذه المسالك الخطيرة التي تخاطر بوحدة العراق وبلحمة العراقيين.

إن تكليفنا الشرعي والوطني يحتّم علينا أن نقرع جرس الإنذار مبكرا، ونحذر من الذهاب إلى هذه الخيارات الخطيرة التي تخاطر بوحدة العراق، وقد فعلناها سابقا وحذرنا من قضايا عديدة وبيّنا المشاكل والأزمات وقدمنا الحلول والمعالجات، ولكن لم يُصغ إليها ودارت الدائرة وبذل الآخرون جهدا كبيرا وعادوا ليقبلوا بتلك الحلول ولكن بعد فوات الأوان، حينما كان الوقت متأخرا وأصبحنا في مسارات جديدة ولم تعد تلك الحلول كافية للحل وللمعالجة. واليوم نطلق هذا التحذير في وقت مبكر، ونتمنى أن يأخذ حيزه من الاهتمام لدى النخبة السياسية ولدى أبناء شعبنا على وجه العموم، حتى نوقف هذا التداعي ونقوم المسارات ونحافظ على وحدة البلاد قبل أن ننزلق إلى هاوية لا نعرف إلى اين ستأخذنا.

السؤال الكبير

إننا نشعر بقلق وحزن كبيرين ونحن نرى أن الأمور تسير بهذا الاتجاه الخاطئ، ونقول إن الجميع يتحمل مسؤولياته، فهو يسهم بقصد أو بغير قصد في مثل هذه المسارات، ونحن من هذا المنبر نوجه سؤالا واحدا للقيادات السياسية في هذا البلد ونقول لهم؛ هل تسعون لتقسيم العراق؟، وتبنون استراتيجياتكم على أساس تقسيم العراق؟، أرجو ألا تكون إجاباتكم شعارات إنشائية، وكونوا واضحين وصريحين، فإن كنتم قررتم تقسيم العراق فاخرجوا على الملأ وصارحوا شعبكم بما تنوون، وتحملوا مسؤولياتكم أمام التأريخ وشعبكم، وإذا كان لكم قرار آخر فلا بد من أن نبرهن جميعا بالعمل والسلوك والمواقف على أننا حريصون على وحدة العراق، ولا نقبل لهذا البلد أن ينجرف نحو الهاوية ونحو التقسيم.

وضوح الموقف والرؤية

إن الشعب العراقي لم يعد بسيطا ولا تنطلي عليه الكلمات، وهو ينظر إلى الأفعال وإلى السلوك قبل أن ينظر إلى الكلمات، والمشاكل والأزمات التي مرت به جعلته خبيرا في تشخيص النيات وفي تحليل الأزمات السياسية، لذلك على الطبقة السياسية في بلادنا أن تتعامل بمسؤولية وحذر، وأن تصارح شعبها بما تنوي القيام به، وإذا كانت صادقة في حرصها على وحدة العراق، ونتمنى أن تكون صادقة في هذا الحرص، فعليها

أن تبرهن على هذا الحرص بالمواقف الواضحة التي تشد العراقيين بعضهم إلى بعض، والتي تضع حدا لهذه الأزمات وهذه الإشكالات التي تعصف بالبلاد.

إن على الجميع أن يراعي سيادة العراق وأن يعمل على قوة هذا البلد ولحمة أبنائه بكل تلاوينهم وبكل مكوناتهم القومية والمذهبية والسياسية والعشائرية وغيرها، ولابد لكل منا من أن يقنع بفرصه وحقوقه ولا يتمدد على فرص وحقوق الآخرين، ومن خلال بناء شراكة حقيقية بين الناس نستطيع الحفاظ على وحدة العراق ووحدة شعبه، وليعلم الجميع أن الأخطاء والتجاوزات لا يمكن تحويها إلى أمر واقع مهما مر عليها الزمن، ففي النهاية لا يصح الا الصحيح، ومن يراهن على الوقت ليفرض أمرا واقعا على خلاف حقيقة هذا الشعب وصلاحياته وحقوقه ومساحاته فهو مخطئ، وستعود الأمور إلى نصابها الصحيح.

إننا قلما نسمع من جهة سياسية اعترافها بالخطأ في موقف قامت به هنا وهناك، وكل يرمي بالأخطاء نحو الآخرين ويحمّل الآخرين المسؤولية وينزّه نفسه عن منطقة ارتكاب الأخطاء، إذا كان كل منا لم يخطئ فمن المسؤول عن كل هذه المشاكل والأزمات التي يمر بها المواطن العراقي، ومن الذي يتحمل المسؤولية عن أوضاع البلاد التي نعيشها اليوم؟. إننا بحاجة إلى نية صادقة وإرادة حقيقية وفعل على الأرض يدفع باتجاه خدمة الوطن والمواطن ووحدة العراق أرضا وشعبا.

إننا نتوجه إلى أبناء شعبنا العراقي الكريم والحبيب ونقول له، إننا لسنا سعداء حينما نتحدث عن احتمالات التقسيم، ولكن الأمانة التي اؤتمنا عليها تمنعنا من أن نخفي قراءتنا وتحليلنا للأمور حينما نجد أنها تتجاوز حدود الخط الأحمر في مسارات البلاد، والبوصلة في إبحار سفينة هذا الوطن تتجه نحو مسارات خطيرة ومقلقة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون قلقنا مبالغا فيه، ونتمنى أن تكون قراءاتنا خاطئة، ولكن علينا أن نكون صريحين وواضحين بما نقرأ بين السطور وبما نحلل من الأحداث، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ العراق وأهله من مغامرات المغامرين.

الحل في شراكة المسؤولية

إن الأزمة التي نواجهها اليوم والتي امتدت منذ أكثر من شهر ونصف الشهر، علينا أن نقف عندها ونقيّمها تقييما موضوعيا ونحللها تحليلا صحيحا، وثم نقدم حلولا ومعالجات مطمئنة لجميع أبناء شعبنا في كل مواقعهم. إن الحل لهذه الأزمة يكمن في

شراكة المسؤولية وليس شراكة الصراع، وكأننا نشترك أحيانا في الصراع وفي الضغط بعضنا على الآخر، فيما نحن بحاجة إلى شراكة في تحمل المسؤولية لإنقاذ البلد والخروج به من الأزمات التي يمر بها.

إن ما قدمه الشعب العراقي من تضحيات جسام ومن دماء غالية من أجل القضاء على الطائفية والفئوية والتمييز والتهميش هو الشيء الكثير، ولا يمكن لهذا الشعب أن يتخلى عن كل هذه المنجزات وهذه المكتسبات، ولا يمكن لشعبنا العراقي أن يقبل بالعودة إلى المربع الأول والدخول في الصراعات الطائفية والفئوية والمصالح الضيقة.

إن الالتزام بالدستور والحوار الصادق والبنّاء هما جناحان يجب أن نطير بهما للخروج من هذه الأزمة، وإن هذا الالتزام بالسياقات الدستورية والقانونية والإصغاء لمطالب ومخاوف وهواجس الشركاء هو المدخل الصحيح الذي من خلاله نستطيع تلبية الاحتياجات المشروعة؛ حل المشاكل وتطمين العراقيين جميعا. إننا بحاجة إلى حلول واقعية تبتعد عن «الأنا» وتقترب من الـ «نحن» ومن المصالح العامة، ومن الاحتياجات الحقيقية المجتمعية والإنسانية لهذا الشعب الكريم، والتظاهر حق سلمي وحضاري يمارسه أبناء شعبنا، ونحن اليوم نقدم صورة رائعة في هذه المسيرات والتظاهرات السلمية، إذ يقف الناس ويعبرون عن رغباتهم واحتياجاتهم ومطالبهم وعن ظلاماتهم بكل حرية، والأجهزة الأمنية تقف لتحميهم وتوفر لهم فرص التظاهر والتعبير عن الرأي، هذه صورة حضارية يجب أن نفخر بها ونعتز بها.

وفي الوقت الذي يعبر فيه المواطنون عن احتياجاتهم ومظالمهم، على الحكومة أيضا أن تقف وقفة حقيقية لتستمع وتعالج وتسرع في معالجة كل ما هو مشروع، وكل ما هو دستوري وقانوني، وكل ما هو حق لمواطن من المواطنين، فالمواطن يتحمل مسؤولية بيان مطالبه والصبر لحين إنجاز هذه المهام، والحكومة تتحمل مسؤولية الاستماع والإصغاء والتعرف على هذه المشاكل والاسراع في حل هذه المطالب المشروعة، بهذه الطريقة نتشارك في الحلول، وبهذه الطريقة نحافظ على المكتسبات وعلى التضحيات الجسام التي قدمها أبناء شعبنا، وبهذه الطريقة نحقق العزة والكرامة والمنعة للوطن والمواطن، وليس لنا طريق آخر، وليس لنا خيار آخر.

ضرورة تلبية احتياجات المواطنين المشروعة

إننا نؤكد على ضرورة تلبية احتياجات المواطنين المشروعة على كافة الأصعدة، وإذا كان بعض المشمولين بالمساءلة والعدالة قد حصل غبن بحقهم ولم يُقدم لهم ما ذكر في هذا القانون من حقوق إنسانية ورواتب تقاعدية وغيرها، وإنْ كانت ممتلكاتهم محجوزة، وإنْ كان هناك في السجون من هو معتقل وليس عليه أدلة إدانة واضحة لجريمة اقترفها بحق العراقيين، ولم يكن من المنظمات الإرهابية المعروفة، أو أي مظلمة أخرى أو أي حق مشروع آخر، فمن المنطقي ومن الصحيح أن تبادر الحكومة لحل هذه المشاكل.

حينما تتشكل لجنة وزارية وتجوب بعض المحافظات وتستمع إلى الناس وتتخذ إجراءات، وحينما يتخذ مجلس الوزراء قرارات ويصوت على إجراءات لحل مشاكل المواطنين، وحينما تكرس لجان نيابية لدراسة التعديلات المطلوبة على عدد من القوانين لإنصاف المواطن، كل ذلك موضع ترحيب وموضع دعم من قبلنا لمسارات الحكومة ومجلس النواب، ولكن ما نؤكده في هذا الصعيد أن احتياجات المواطنين لا تنحصر في جماعة دون أخرى ولا تنحصر في منطقة دون أخرى ولا تنحصر بشريحة دون أخرى، ويجب على الحكومة الموقرة أن تنظر لاحتياجات جميع المواطنين بعين واحدة، ويجب أن يتسع صدرها لمطالب واحتياجات جميع المواطنين العراقيين بكل اتجاهاتهم ومناطقهم ومواقعهم.

دعوة إلى حلول شاملة من غير تمييز

هناك عدد كبير من المواطنين صودرت ممتلكاتهم من قبل النظام البائد، ومنذ ٢٠٠٣ حتى اليوم يتابعون ملفاتهم، ولكن الملفات مجمدة في هيئة نزاعات الملكية ولم يحصلوا على حل حتى الآن. هؤلاء مواطنون عراقيون ولهم الحق في استرجاع ممتلكاتهم، ويجب اتخاذ الإجراءات السريعة في حل هذه المشاكل. حينما نحل مشاكل المشمولين بالمساءلة والعدالة ولا نحل مشاكل المتضررين من النظام البائد، تحصل مفارقة ويشعر المواطن بنوع من التمييز لا يجد له مبررا، نحن مع حل مشاكل جميع المواطنين في كل الاتجاهات، وهناك عوائل هُجّرت أو هاجرت في عهد النظام البائد لضغوط تعرضت لها أو في ظروف الإرهاب الذي أصاب البلاد في سنوات ما بعد ٢٠٠٥ و٢٠٠٦، وهذه العوائل ما زالت تعاني الكثير ويجب أن تُعوض وتُدعم، ويجب أن تُساعَد على ترميم بيوتها وإرجاعها إلى مناطقها، وهذه مسؤولية تتحملها الحكومة الموقرة أيضا.

هناك الآلاف المؤلفة من العوائل العراقية وقعت ضحية للإرهاب، ففقدت أعز أحبتها وفقدت المعيل، أبا أو زوجا أو أخا كبيرا، أو ما إلى ذلك، وبقيت بلا معيل وبلا مأوى وبلا راع، والحكومة تتحمل مسؤولية في تضميد جراحات هؤلاء، وكما نعدّل في قوانين عديدة علينا أن نعدّل من قانون مؤسسة الشهداء أو غيره من القوانين، ليشمل شهداء الإرهاب، ويشمل هذه العوائل الكبيرة والكثيرة التي تحملت المعاناة وتفتقد حتى الآن من يرفع الضيم والظلم عنها، وهناك عشائر في مناطق سُمّيت بالساخنة في حينها، وحصلت مشاكل نتيجة الظروف والحساسيات التي مررنا بها في ٢٠٠٦ وما بعدها، فهناك قتيل من هذه العشيرة وبيت مهدوم من تلك العشيرة، وهناك مشاكل معينة، وما زالت الجراح تنزف، فهنا تتحمل الحكومة أيضا مسؤولية في تضميد هذه الجراحات وفي حل هذه المشاكل، وفي دفع الدية لعشيرة او شخص متهم بإساءة ما في لحظة معينة وهو لا يملك القدرة على دفع الدية لغلق هذه الملفات والعودة إلى الوئام والمحبة والتفاهم بين الناس، ولكي لا يبقى التوتر سيد الموقف.

إنصاف أبناء رفحاء

أبناء رفحاء الأبطال والشجعان من العراقيين الشجعان الذين هاجروا بعد الانتفاضة إلى ذلك المعسكر في منطقة رفحاء في الصحراء، وبقوا لسنين طوال وعانوا الأمرّين في تلك الصحراء الجرداء التي لا تقل عن السجون في معاناتها، هؤلاء لهم حق على هذا البلد، ويجب أن يكرّموا ويعوضوا، ويجب أن يُحسبوا سجناء سياسيين، لأنهم وقعوا في تلك الظروف الصعبة ولسنوات طوال، ولا بد من أن ننصفهم، ونستثمر أجواء ومناخات الوئام لندفع بحل كل هذه الإشكالات ومعالجتها، وهناك ضحايا المقابر الجماعية والقنابل الكيمياوية وغيرها من المعاناة التي مرت على أبناء شعبنا، ولا بد من تعديلات في القوانين ورعاية هذه العوائل حتى يشعر الجميع بالإنصاف ورفع الغبن عنهم، وهناك عوائل متعففة وهناك عوائل تفتقر إلى المعيل وليس لها قدرة على العيش الكريم في هذا البلد، من الذي يرعاها ويهتم بها؟، وهناك شريحة الطلبة الجامعيين الذين عملنا كثيرا ونعمل من أجل أن يكرموا تكريما متواضعا من الحكومة يساعدهم على استكمال دراساتهم، وهم رأس المال الحقيقي لهذا البلد الكريم. إن هذه الأجواء فرصة جيدة لنعالج كل هذه الإشكالات في حزمة واحدة.

الحلول بحزمة واحدة

إن مشروع البصرة عاصمة اقتصادية، ومشروع إعادة تأهيل ميسان، ومشروع الطفولة، ومشروع قانون يخص ذوي الاحتياجات الخاصة وغيرها من المبادرات التي انتظمت في مشروع قوانين، يجب أن تكون ضمن هذه السلة الواحدة التي ترفع الغبن عن كل هذه الشرائح وتساعد العراقيين على أن يواصلوا مشوار بناء العراق أقوياء موحدين، يسيرون في الاتجاه الصحيح.

إن مثل هذه الإجراءات حينما تتم بحزمة واحدة وبسرعة كبيرة ستستطيع أن توقف مسار التداعي، وأن تدفع البلاد بالاتجاهات الصحيحة وأن تعزز اللحمة الوطنية بين العراقيين جميعا وتبعث الحماسة فيهم، وفي ذلك وفاء لدماء الشهداء وتضحيات المضحين، والعمل العظيم الذي قام به الشعب العراقي وكان سباقا للشعوب العربية الآخرى التي قامت بمسار التغيير الحقيقي والانتقال إلى الواقع الديمقراطي.

استغلال وفرة الأمطار

في هذه السنة أكرمنا الله تعالى بخير كثير؛ حيث هطلت علينا الأمطار بوفرة كبيرة، والعراق اليوم بأمس الحاجة إلى الأمطار ليس لمعالجة وإرواء أراضيه المتصحرة فحسب، وإنما لغسل النفوس من الضغائن والأحقاد. إننا نستبشر خيرا بهذه الأمطار وبهذه الرحمة الإلهية، ولكن هناك ظاهرة كثيرا ما نلمسها في العراق، وهي أن المسؤولين يتحركون حينما تحدث المشكلة ولا يتنبؤون بالمشاكل ليحضروا لها ويستعدوا لمواجهتها قبل حدوثها، والوقاية خير من العلاج كما يقال.

قبل سنة من الآن كنا نسمع أصواتا تصرخ وتحذر من الجفاف ومن العطش ومن الفقر المائي في العراق، وتحمّس البعض ليتهم دولا في المنطقة بأنها تمنع إرواء العراقيين وتدير مؤامرة تعطّش من خلالها العراقيين، واليوم أصبحنا نسمع أننا أمام موجات من الفيضانات والوفرة المائية التي لا نستطيع أن نسيطر عليها، ويأتي البعض ليتهم نفس تلك الدول بأنها تدير مؤامرة لإغراق العراق من خلال فتح السدود ودفع المياه باتجاه نهري دجلة والفرات، إن هذا المنطق فيه إهانة للعراق وفيه تجنّ على تلك البلدان، لأن هذا المنطق يسعى إلى أن يصوّر العراق وكأنه بلد بلا حول ولا قوة ويتحكم به الآخرون ويخضع لرحمتهم، فيعطشونه في يوم ويغرقونه في يوم آخر، وفي ذلك إساءة كبيرة للعراق ولشعب العراق، ولو كان السؤال يوجه إلى المسؤولين المعنيين في حقل

الزراعة والري في هذا البلد، هل من استراتيجية مائية وُضعت في العراق، وهل هذه الاستراتيجية بُنيت على أساس تحمّل سنوات الجفاف واستيعاب سنوات الوفرة المائية ومياه الأمطار المتدفقة؟.

إن سبعين بالمئة من مساحة العراق هي عبارة عن سهول وبوادٍ وصحاري، فهل نمتلك استراتيجية لخزن المياه التي تفيض نتيجة الأمطار في خزانات طبيعية؟، هذه الفيضانات التي وجدناها في بغداد وصلاح الدين والعديد من المحافظات الآخرى، من الرمادي إلى البصرة مرورا بكربلاء والنجف والسماوة، بادية واحدة متصلة بعضها بالبعض، تصلح لأن تكون فيها خزانات مياه طبيعية هائلة وكبيرة، تستثمر هذا الحجم الكبير من المياه لتكون في خدمة استصلاح الأراضي الزراعية وزيادة خزين المياه الجوفية العراقية أيضا. كم بنينا من السدود على الفرات وعلى دجلة من بغداد ولحين التقائهما في شط العرب قبل أن يصبا في الخليج؟، المياه اليوم تُعتبر بأهمية النفط، وفي الغد ستكون المياه أهم من النفط؛ لأن النفط يعوّض بالطاقة البديلة ولكن المياه لا تعوّض ببديل، ومع هذه الأهمية القصوى للماء يتحتم علينا وضع استراتيجية مائية ومشاريع مائية واضحة نخزن فيها المتوفر من المياه للتعامل مع سنوات الجفاف، ولنمنع هذه الفيضانات التي تخاطر بسلامة المواطنين.

إن العراق ينفق سبعة مليارات دولار في العام الواحد على الغذاء، فيما نترك الأرض قاحلة والمياه تصب في البحر، هذا ليس أمرا صحيحا وعادلا ويجب الاهتمام الوافر بموضوعة المياه، ويجب أن نوفر فرص الاستفادة المثلى في أيام الجفاف وفي أيام الفيضانات. إن هذا الحديث لا يُقصد منه الإهانة أو التجريح لأي مسؤول ولأي مفصل من مفاصل الدولة، وإنما يُقصد منه لفت النظر إلى ضرورة وضع الخطط الاستراتيجية في تعاطينا مع القضايا المختلفة، وهناك قضايا ليست مورد خلاف، ومسألة المياه ليست مسألة نختلف بيننا عليها وهي قضية تخدم الجميع، ومع ذلك نجد الإخفاق في إدارة المياه، فما بالكم بالقضايا التي تكون مورد خلاف بين القيادات السياسية؟.

إدانة الهجوم الاسرائيلي على سوريا

إن الهجوم الاسرائيلي على الشقيقة سوريا هو اعتداء سافر ندينه ونستنكره بأشد العبارات، وحينما تتجرأ إسرائيل لتهاجم بلدا عربيا إسلاميا تحت أي عنوان من العناوين على مرأى ومسمع من العالم كله ولا أحد ينطق ببنت شفة، والمنظمات الدولية لا تحرك ساكنا ولا تعترض على إسرائيل ولا تدين هذا الهجوم، فإن ذلك يكشف عن الازدواجية

في مواقف هذه المنظمات الدولية، وعن الغطاء غير المشروع الذي يُوفَّر دوليا لمثل هذه الدول، والذي يدفعها ويشجعها على العبث بأمن المنطقة واستقرارها. إننا ندين بشدة مثل هذا الاعتداء، ويجب أن تقف هذه الاعتداءات عند حدها ولا يمكن أن نسمح كعرب ومسلمين باستمرار هذه الاعتداءات. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على إشاعة السلام والخير والاستقرار في العراق والمنطقة، وأن يحفظ شعوبنا وبلداننا من كل بلاء ومكروه، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٤/٢/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَالْصَقْ بأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فإن كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))

كان حديثنا عن المقطع العاشر من مقاطع هذا العهد، حين ذكرنا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والصق بأهل الورع والصدق»، يا مالك، حين تريد اختيار الحاشية. . اختيار القريبين منك، وفريق العمل من المسؤولين الذين تضعهم في مواقع المسؤولية، عليك أن تراعي فيهم خصوصيتين أساسيتين؛ الورع والصدق، أن تكون مخافة الله تعالى ماثلة أمامهم في كل حركة أو سكنة أو موقف يتخذونه، فينطلق هذا الموقف من مخافة الله، وأن يكونوا صادقين معك ومع أنفسهم ومع الناس حينما يتعاملون في مواقع المسؤولية المختلفة، وهذا ما شرحناه في اللقاء السابق.

كثرة الإطراء تحدث الزهو

«ثم رضهم»، يا مالك، روّض وعوّد هذه البطانة والحاشية وهؤلاء المسؤولين، «ثم رضهم على أن لا يطروك»، ألاّ يمتدحوك وألاّ يكثروا من المديح والإطراء لك،

«ولا يبجحوك بباطل لم تفعله»، وأوصهم وروّضهم أيضا على ألاّ يكثروا الحديث في مدحك وإطرائك والثناء عليك ليسعدوك بأمور لم تحدث ولم تحصل منك. انتبه لهؤلاء الذين يسعدونك بباطل لم تفعله وروضهم على ألاّ يقوموا بهذا المديح والإطراء بطريقة توحي لك بأنك تفهم كل شيء، وأن أفكارك مهمة جدا، فيما أنت واحد منهم، تعرف أشياء وتجهل أشياء، وتوفّق في مجالات وتخفق في مجالات أخرى، فأنت بشر، وحينما تصبح وزيرا أو مديرا أو رئيسا في أي موقع من مواقع المسؤولية، لا تتغير ولا ينزل عليك الوحي، «فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو»، تحصل حالة من العجب لدى المسؤول، وهذا خطر فادح، «وتدني من العزة»، وتقربك من حالة الكبر، فتتكبر على الناس، حين ترى الجميع يصفقون لك ويمدحونك، فتقول: أنا المسؤول النوعي.. حينذاك تحصل حالة العجب، ويتكبر الإنسان ويستعلي. يا مالك، إذا أردت أن تنجح، فاحرص على ألاّ تكون بطانتك من هذا النوع، وروضهم وربّهم على ألاّ يكثروا الإطراء والمديح في غير محله.

نتائج إغفال النقد المشفق

عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما ورد في هذا الجانب: «حب الإطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان»[١٣]، حينما يصبح المسؤول جامحا راغبا بالمديح والإطراء، وربما لم يقل للناس امدحوني، ولكن حينما يمدحه أحد يقرّبه والذي ينتقده يبعده، وهذا يعطي إيحاء من دون تصريح أن من يريد أن يحصل على الامتيازات وتُناط به المهام فعليه أن يُكثر من المديح والإطراء، ومن ينتقد ويشفق على حال المسؤول ويحرص على إيصال المعلومة الصحيحة حتى لا يقع في الفخ ويضيع ويضيّع المشروع معه فهذا يُبعد، وهنا حتى من له حرص على المشروع والوطن والبلد، حينما لا يجد آذانا صاغية ويجد الصدود بوجه من يبدي النقد المشفق ومن يذكر الملاحظات الحريصة على المشروع ومن يضع اليد على نقاط الضعف حتى تُصحح، حينذاك يبتعد هؤلاء الناس أو يمسكون عن إبداء النصيحة، ويصبح المسؤول لا يسمع سوى أصداء سلوكه وأقواله فقط، فكل ما يقوله هناك من يصفق له، وهناك من يسكت ولا يقول شيئا، فلا يبقى صوت سوى صوت المديح والإطراء، فيُصاب الإنسان بحالة العجب أو الكبر حينما يكون في مواقع المسؤولية.

هذه الحالة من الكبر والشعور بالعجب، حين يُوهم أن ما يقوم به أفضل الأفعال،

١٣. عيون الحكم والمواعظ: ٢٣١.

ستفضي إلى خفاء نقاط الضعف عليه وعلى الآخرين القريبين منه، أو ربما يخفونها عنه، ولا يسمع إلا المديح والإطراء والثناء على المواقف والسلوك والآراء، فتغيب وتخفى نقاط الضعف والإخفاقات في أداء هذا المسؤول، كائنا من يكون وأينما يكون، وقلنا إن المسؤولية لا تنحصر بمستوى واحد، من رب الأسرة إلى مدير الشركة أو المصنع أو كابتن لفريق رياضي أو رئيس عشيرة وغيرها. البعض منا في البيت لا يسمح لأولاده أو زوجته أن توجه نقدا أو ملاحظة بشأن سلوكه أو أدائه أو طريقة تعامله، ويريد أن يأمر فيطاع، وكلما تكون دائرة المسؤولية أكبر تتبين مضاعفات هذه الحالة بشكل أكبر.

إذن، إحدى المشاكل هي غياب نقاط الضعف عن ناظر المسؤول، حينما لا أحد يعترض والكل يمدح ويطري، وهذا يدعو المسؤول إلى أن يقصّر بأداء الواجب، إذ يغفل عن أداء جزء من واجباته من دون أن ينبهه أحد ويلفت نظره، وقد يقصر في أداء الحقوق لأصحابها، ومن عنده حاجة يخشى أن يطالب بها، وهذا شأن الطواغيت، فتبدأ عملية تجاهل الحقوق بشكل مضطرد وتتسع هذه الرقعة يوما بعد آخر والمسؤول يرى كل شيء جيدا. في قصره كل شيء متوافر، وكل ما يريده متوافر في أماكن وجوده، ولا يستطيع أن يفهم ما يواجهه الآخرون.

في صحيح مسلم عن مقداد بن عمر قال: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن نحثوا في وجوه المداحين التراب»[١٤]، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يربي أصحابه: إذا وجدتم مداحا يقوم بالمدح والإطراء فارموا التراب في وجهه حتى يكف عن ذلك. هذا المديح لا يصلح بل يفسد ويعقّد المهمة. في رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (إياكم والمدح فإنه الذبح)[١٥]، في هذا المديح ذبح الإبداع وذبح التألق وتغييب لكل مكارم الأخلاق من التواضع والاستماع إلى الآخر والاعتناء به ورعايته.

التوازن بين الحقوق والواجبات

في خطبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ خطبها في صفين يتحدث فيها أمير المؤمنين عن العلاقة بين المسؤول والرعية، أذكر بداية هذه الخطبة: «أما بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقا بولاية أمركم»، المسؤول له حق أيضا ويجب أن يُرعى، وهناك واجبات تجاه المسؤول يجب أن تُحفظ، وهذه قضية مهمة وأساسية، «ومنزلتي التي أنزلني الله (عز ذكره) بها

١٤. صحيح مسلم ٨: ٢٢٨.
١٥. كنز العمال ٣: ٦٥١، ح٨٣٣١.

منكم»، لي حق عليكم، وتتحملون واجبات ومسؤوليات تجاه الحاكم والمسؤول والراعي، «ولكم عليّ من الحق مثل الذي عليكم»، وكما أن لي حقاً عليكم، فإن لكم عليّ حقاً، هذا التوازن الدقيق بين الواجبات والحقوق، فالأمة عليها واجبات ولها حقوق، والمسؤول الحاكم له حقوق وعليه واجبات، وحينما تختل المعادلة، وتُطالب الأمة بواجباتها ويستحضر الحاكم حقوقه تحدث مشكلة، وحينما تختل الموازنة باتجاه معاكس، فتطالب الأمة بحقوقها ولا تنظر إلى واجباتها، والحاكم يطالب بواجباتهم التي هي حقوق له، فكل ينظر إلى حقه، فستضيع الواجبات من الطرفين، وتحصل مشاكل كبيرة ومعقدة.

كلما أردنا أن نطالب بحق لنسأل أنفسنا؛ هل عملنا بواجباتنا التي هي حقوق للآخر؟، هذه المعادلة لو أخذ بها المسؤول وأخذ بها الشعب فنحن في نعمة عظيمة، «والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف»، وأفضل بوابة للإنصاف هي الحقوق المتبادلة، وحق الطرف الآخر هو واجب هذا الطرف، وحق الطرف الثاني على الأول هو واجب الأول تجاه الثاني، وهذا أوسع أبواب التناصف.

إن الحقوق شيء مهم، وفي العراق هناك اليوم احتجاجات يقوم بها المواطنون مطالبين بحقوقهم وهذا شيء جيد، ونقول: أيها المحتجون، لكم حقوق، وما دامت ضمن القانون والدستور فنحن معها، ولكن إيها المواطنون، هذه حقوقكم الدستورية، وهذا الدستور اعطى حقوقا للآخر؛ حقوقا للمسؤول أيضا، وهي تعني واجباتكم، فالتزموا بواجباتكم وطالبوا بحقوقكم، ونأتي للمسؤول: تطالب بالتزام الناس بالقانون، وهذا يعني تحديد حركة الناس بما هو حق لك، وتذكيرهم بواجباتهم تجاه الدولة وتجاه الحكومة، وهذا شيء جيد، ولكن عليك واجبات والتزامات أيضا تجاه الشعب، وهي حقوقهم، وهذا يوجب المعادلة الصحيحة التي تطمئن الجميع وتحل مشاكل الجميع، فلا تطالب بحقك وتنس واجباتك، إن كنت مسؤولا أو كنت مواطنا، فأنت تقع تحت دائرة مسؤولية الآخرين، هذه هي المعادلة.

التواضع أمام عظمة الخالق

أنهى أمير المؤمنين حديثه القيّم عن العلاقة المتبادلة بين المسؤول والرعية، وكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتحدث في صفين، أي أن الحرب والظروف الاستثنائية والطارئة لا تلغي حقوق الأمة ولا تلغي الواجبات عليها، والظروف الاستثنائية والطارئة والحرب لا تلغي الواجبات على المسؤول ولا تلغي الحقوق منه، فقام رجل من عسكره وأحسن الثناء

على الله بما أبلاهم وبما أعطاهم من واجب حقه، فخطب خطبة بليغة فيها حمد لله وثناء عليه، وأعطاهم من واجب حقه عليهم والإقرار بكل ما ذكر من تصرف الحالات به وبهم، وأيد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بكل ما قال، ثم قال (الجندي): «أنت أميرنا ونحن رعيتك بك أخرجنا الله عز وجل من الذل»، بك أعزنا الله تعالى يا أمير المؤمنين، «وباعزازك أطلق عباده من الغل ليضع إصرهم والاغلال. .»، بك تكسرت هذه الاغلال وجعلنا عبيدا لله وأسيادا لأنفسنا ولسنا أذلاء بغيرنا.

«فاختر علينا وامض اختيارك وائتمر»، قدم المشورة، «فامض ائتمارك فإنك القائل المصدَّق»، كلامك يطابق الواقع والمصالح، «والحاكم الموفق والملك المخول»، الله تعالى خولك وأنت إمام معصوم، «لا نستحل في شيء معصيتك»، لا نخالفك في شيء، «ولا نقيس علما بعلمك يعظم عندنا في ذلك خطرك ويجل عنه في أنفسنا فضلك»، فضلك واسع وعميم يا أمير المؤمنين، هذا كلام الجندي الذي أصاب كبد الحقيقة ومدح علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ بما هو أهله، فأجابه أمير المؤمنين: «إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه»، من يعرف عظم رب العالمين يصغر ما سوى الله عنده، كائنا من يكون، حتى لو كان علي بن أبي طالب، يقول علي من أنا أمام الله تعالى، ومن له قيمة ووزن بين يدي الله تعالى، «وان أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه عليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا زاد حق الله عليه عظما»، من أين لعلي هذا العلم والتسديد في القول والفعل وهذه المواقف الصائبة التي تنسجم مع الحقيقة؟، أليست من الله تعالى؟، أليس كل فضل لعلي نعمة من الله أنعمها عليه؟، وكلما زادت النعمة زادت الحاجة للشكر والامتنان على هذه النعمة، وهكذا كلما كانت النعمة أكبر كان الشعور بالامتنان أعظم، فكل ما هو فضل لعلي هو نعمة مضاعفة تحتاج من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أن يكون أكثر تواضعا لشكر هذه النعمة، لاحظوا كيف ينظر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذه الأمور، وكيف يرى الحقيقة، هذا درس عظيم من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الحاكم وحب الفخر والثناء

«وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر»، الناس الصلحاء حينما ينظرون إلى الحكام، فإن أسخف حاكم في عيونهم هو الحاكم الذي عينه على من يمدحه، فيستصغرون هذه الحالة، من الأشعار والقصائد وغيرها من المديح، فالصلحاء يستصغرون مثل هؤلاء الحكام، «وإن من أسخف حالات الولاة عند

صالح الناس أن يُظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر»، أناس متكبرون يحبون الكراسي العالية. كنت جالسا في محضر السيد السيستاني قبل فترة، فقال: أنا أرى في نشرات الأخبار مسؤولين جالسين على كراسي مذهبة وطويلة.. يقول أعجب لهؤلاء المسؤولين حينما أراهم في نشرات الأخبار يجلسون على هذه الكراسي العالية!!، لتكن عينك على الناس، فحينما يرى المواطن البسيط هؤلاء المسؤولين بهذه الفخفخة ماذا يكون شعوره؟!.

«ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء»، لا يأت في بال أحدكم أني، أنا علي بن أبي طالب، مرتاح لهذا الإطراء، أبداً، «واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك»، أنا علي، قد روّضت نفسي وهذا المديح لا يهزني ولا يعنيني، ولا تصيبني حالة من النشوة، حتى لو كان في قلبي محبة، وهذه مداراة لمشاعرنا، «ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله تعالى»، لو كنت أحب أن يمدحني أحد لتركته تواضعا بين يدي الله تعالى، «عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء»، الله أحق بعبارات التبجيل والتكريم والمديح من عباده، «وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء»، من الطبيعي أن يحب الناس أن يكون هناك ثناء ومدح وتكريم بعد البلاء وبعد أن ينجزوا عملا جيدا، أي إنسان يقوم بعمل جيد فإنه ينتظر من الناس أن يمدحوه، إن حب الكمال حالة فطرية وليست سيئة، ولكن السيئ أن تنفلت وتأخذ مديات تصل بالإنسان إلى حالة العجب والكبر.

«وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها»، لم أتمكن من أداء كافة الحقوق للناس، فإذا كان الناس يرتاحون لمثل هذا المديح، وهو مقبول أن يمدح الناس إذا قاموا بعمل جيد، لكني أنا علي بن أبي طالب لا أريد هذا المديح، لأني أعدّ نفسي فاتورة الحقوق العظيمة، وهي تثقل كاهلي وعليّ أن أدفع الحقوق تجاه الله تعالى وتجاه الناس. علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ذائب في ذات الله تعالى، «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة»، لا تقولوا لي «جلالة»، فالأوصاف وطريقة التعامل مع الجبابرة لا أريد أن تكون في طريقة تعاملكم مع علي، «ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ عند أهل البادرة»، البادرة حالة الحدّية، وسُمّي الملوك أهل البادرة لأنّهم ينزعجون لأتفه الأسباب، أما أمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقفوا

وتحدثوا بما يروق لكم وعبّروا عن مطالبكم بلا تحفظات أو مداراة، فلا أريد أن تتعاملوا معي كما تتعاملون مع الحكام والملوك، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صدق الرعية وتواضع الحاكم

«ولا تخالطوني بالمصانعة»، لا تتصنعوا أمامي، «ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي»، لا تظنوا أني استثقل لحديث يقال لي، «ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي»، ولا تعظموني تعظيما لا يصلح لمن هو في الموقع المعنوي، وأنا علي بن أبي طالب، «فلا تكفوا عني مقالة بحق»، لا تخبئوا عني حقيقة، بل بيّنوها حتى لو كانت مما يزعج، «أو مشورة بعدل»، ياعلي، أنت تفهم كثيرا، لكنّ لنا رأيا آخر في هذه القضية أو تلك، يجب على البطانة أن ينبهوا المسؤول على الأخطاء وغيرها، والمسؤول يجب أن يتقبل هذه الملاحظات، «فإني لست في نفسي فوق ما أخطئ»، هنا تواضع من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا تضعوني فوق الخطأ، وهذا تواضع من علي، فالمسؤول ليس فوق القانون، وليس فوق أن يخطئ، «ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»، إلا أن يحفظني الله تعالى، فالله يمكنني ويرشدني إلى الطريق الصحيح.

يا مسؤول، توكل على الله، ولتصبح علاقتك بالله تعالى علاقة قوية، والله يلقي في روعك ويساعدك ويرشدك إلى الطريق الصحيح. إن الرعاية الإلهية تشمل المسؤول لأن مسؤوليته أكبر، فإذا كان من الصالحين فالرعاية الإلهية تكون أكبر، «فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى»[١٦]، هذا هو المنهج الذي رسمه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان هو أول من يطبق ما يقول، وهذه قوة علي بن أبي طالب، فالمسؤول الذي يقدم نصائح للآخرين ولكنه لا يعمل بها يفقد مصداقيته بين الناس، ولكن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول والناس ترى في سلوكه وفعله صدقية هذه الأقوال، لذلك أصبح رمزا إنسانيا وليس رمزا لأتباع أهل البيت أو للمسلمين وحدهم.

انتخابات مجالس المحافظات

في الأول من آذار ستنطلق الحملة الإعلامية والدعائية لانتخابات مجالس المحافظات، وستتبارى الكيانات والقوى السياسية والقوى المتنافسة لتقديم برامجها

١٦. الكافي ٨: ٣٥٢ـ٣٥٧، ح ٥٥٠.

وخططها ودعاياتها من أجل الحصول على ثقة الشعب والوصول إلى مجالس المحافظات وتقديم الخدمة للمواطنين، وفي هذه الأجواء لا بد من أن نركز على عدة نقاط أساسية:

النقطة الأولى/ أهمية الانتخابات: الانتخابات هي أوضح مصاديق الديمقراطية في أي نظام ديمقراطي، فمن أوضح مصاديق النظام الديمقراطي أنه يلتزم بإجراء الانتخابات في مواعيدها المحددة وبشكل منتظم، والعالم حينما ينظر إلى بلد ما وهو يمارس هذه العملية بشفافية ووضوح، بعيدا عن الملابسات والمماطلة والتسويف في التوقيتات، يعدّ هذا البلد ديمقراطيا، ويرتفع فيه مؤشر الديمقراطية، وهي قضية أساسية.

الأمر الأول / إن أهمية الانتخابات نابعة من أنها معبرة عن الإرادة الشعبية؛ الناس ماذا تريد؟ والناس ماذا تقول؟ والناس ماذا تنتخب؟ وبمن تضع الثقة حتى ينبري هذا الفريق ويخدم هؤلاء الناس ويدير شؤونهم؟، فالانتخابات، إذن، محطة مهمة وأساسية من المحطات التي تعبر عن الإرادة الشعبية والرجوع إلى الشعب وإشعار الشعب أنه هو صاحب القرار والكلمة في البلاد وفي من يديرون شؤونه ويخدمونه في هذا البلد.

الأمر الثاني/ تكمن أهمية الانتخابات أيضا في أنها فرصة لتثبيت الصالحين والمخلصين والأكفاء الذين عملوا وبرهنوا عن جدارة بأنهم الأكفأ والأقدر لخدمة الناس، وكذلك هي فرصة لاستبدال من لم يثبت قدرته وجدارته، فالشخص الناجح والكفوء والنزيه، والشخص الذي يقدم كل ما في وسعه ضمن دائرة صلاحياته ومساحة مسؤوليته، تكافئه الناس حينما تذهب إلى الانتخابات وتجدد الثقة به، والشخص الذي لم يقدم، وهناك ملاحظات على مساحته أو ملاحظات على كفاءته، أو لم يحقق توقعات المواطنين أو لم ينجز ما كانوا يتمنون إنجازه، أو لم يف بوعوده تجاه المواطنين، عندما تأتي الانتخابات تكون فرصة لأن يعاقبوه بمنح الثقة لغيره واستبداله، وهذا ما يجعل الجميع يسعى جاهدا لأن يقدم المزيد حتى يحظى بثقة الشعب.

في اليوم الذي يحسن شعبنا المكافأة والمعاقبة لمن ينتخبهم ويرشحهم إلى مواقع المسؤولية، ليكافئ من يحسن الأداء ويعاقب من يسيء الأداء، في ذلك اليوم ستنتظم الأمور، والبعض يقول نريد نزاهة، وديوان الرقابة المالية وهيئة النزاهة مع فلان وفلان، ولو وضعنا مئة رقيب فسيأتي أناس ويلتفون على كل الأدوات الرقابية ويخرقون القانون بدون أن يتركوا مستمسكا يدينهم، ولكن الشعب برؤيته وبصيرته ونظرته الثاقبة وتقييمه للناس وللمسؤولين ولطبيعة تعاملهم، هذه النظرة نظرة قريبة من الواقع إلى حد كبير،

فحينما يحسن الشعب التعاطى مع هذا الموضوع، ويكافئ من أحسن ويعاقب من يسيء بالاستبدال والتصويت للآخر، حينذاك ستنتظم أمور البلاد، وهذه من القضايا الأساسية في عملية الانتخابات.

الأمر الثالث / تكمن أهمية الانتخابات كذلك في أنها توفر فرصة للشباب في أن يخرجوا ويشاركوا في العملية الانتخابية، وفي كل سنة هناك عدد كبير من المواطنين يدخلون إلى سن ١٨عاما، واليوم حينما نتحدث عن انتخاب مجالس المحافظات ونقيسها بالأربع سنوات الماضية، فلدينا أربعة أجيال في كل سنة، بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ الف مواطن يصلون إلى سن الـ ١٨ عاما في العراق، لأن مجتمعنا مجتمع شبابي، وهذا رقم كبير من شباب وأبناء هذه الأمة الذين أصبحوا اليوم مؤهلين بحسب أعمارهم لأن يشاركوا في الانتخابات ويسهموا في تقرير مصير هذه الأمة وهذا الشعب، وهذه تربية كبيرة حينما تُمنح الفرصة للشاب لأن يخرج ويقول كلمته ويصوّت لمن يعتقد بأنه جدير بالثقة.

الأمر الرابع / إن الانتخابات فرصة للتعرف على البرامج والخطط والمشاريع ورؤى القوى المختلفة، لأنهم حينما يتنافسون يقدمون برامجهم وخططهم، ويؤسفني أن هذا الجانب لم يأخذ الحيز الكافي من اهتمام المواطنين في السنوات العشر الماضية، فأنتخب من أحب من عشيرتي أو من حزب أو من جماعة وأذهب من دون أن أرى البرنامج والخطة، وماذا يريدون أن يفعلوا، ثم أقيّم إن كانوا أوفياء والتزموا بما وعدوا وحققوا ماقالوا أو لا.

ولذلك، ونحن في بداية الحملة الانتخابية، أدعو الكيانات السياسية التي فازت في الانتخابات، أن تذكّر في حملتها الانتخابية بما قالته قبل أربع سنوات وما حققته حينما كانت في مواقع المسؤولية من الوعود التي أطلقتها، وأدعو وسائل الإعلام إلى أن تستذكر وتستخرج من إرشيفها، ما قالته القوى السياسية في حينها من أنها ستحقق كذا وكذا للناس في انتخابات مجالس المحافظات الماضية، وكذلك أدعو أبناء شعبنا إلى أن يستذكروا تلك الوعود، ثم يعرضوا هذه الوعود ويقيّموا الأداء والسلوك، وهذه من القضايا الأساسية التي ستجعل إطلاق الوعود ليس عملية جزافية، وإنما عن حساب وبينة، حينما يعرف كل سياسي وكل جهة أن ما يقدمه من برنامج سيُحاسَب عليه إذا لم يكن اليوم، فبعد أربع سنوات في الانتخابات القادمة، والناس سترصد كم من هذه البرامج وفى بها والتزم بها وحققها لشعبه، وكم منها لم تتحقق ولماذا لم تتحقق؟، هل

السبب تقصير منه، أو لمشكلة أخرى؟، ليوضح الحقيقة للناس وهم سيحكمون إن كان السبب مقنعا لعدم الوفاء بهذه الوعود أو لا؟.

ما أكثر الوعود التي تُطلق هنا وهناك في كل عملية انتخابية، وسرعان ما يتناساها البعض وينشغل بيومياته، والشعب ينساها أحيانا ولا يعرف ماذا قالوا ولماذا صوت لفلان، ألم يقل سأعمل كذا وكذا، هل عمل ذلك أو لا؟. على الكيانات السياسية أن تلتزم، وعلى المواطنين أن يستذكروا ويقيّموا الأداء على هذا الأساس، فتتحول العملية الانتخابية إلى انطلاقة جديدة في العملية السياسية، كما أن رأس السنة انطلاقة جديدة للتجار والكسبة، فإذا أتى رأس السنة راجعوا حساباتهم ودققوا رأس المال والخسارة أو الربح إلى آخره. ليعرفوا هل التجارة مربحة أو لا؟، وليبدؤوا سنة جديدة. والعملية السياسية لها رأس سنة، لكن رأسها كل أربع سنوات، حينما تأتي الانتخابات نراجع ونقيّم وندقق ونتاكد ثم نمضي على بركة الله، هذه النقطة الأولى، وهي أهمية الانتخابات.

النقطة الثانية / بما أن هذه الانتخابات مهمة جدا، لذلك يجب أن نحرص على مشاركة واسعة فيها، وألا نقصر في الحضور والمشاركة.

العملية الانتخابية فيها رسالتان:

الرسالة الأولى / نسبة المشاركة، وهي تعبير عن مدى التأييد للنظام السياسي، ومدى انشداد الشعب لهذا النظام وليس للشخوص.

الرسالة الثانية / هي من سيفوز في هذه الانتخابات ومن سيحظى بثقة الشعب، وما هو مستوى الفوز؟ إلى غير ذلك، وهذه من الإشكالات، فنحن نركز على القضية الثانية ولا نركز على القضية الأولى، والصحيح أن المشاركة إذا كانت عالية فهذا نجاح ونصر للعراق أيا كان الفائز، ليفز من يفوز ويخسر من يخسر، لكن نسبة المشاركة إذا كانت عالية فهذا نجاح للعراق وللعملية السياسية، وهذا شيء مهم.

استفتاء على الوطن

إذا خرج الناس وشاركوا بنسبة عالية فهذا تعبير عن تاييدهم لهذا النظام السياسي، والنظام السياسي ليس الحكومة والبرلمان، وليس فلانا وفلانا، وليس هذا المحافظ أو رئيس مجلس المحافظة أو العضو فيها، بل النظام السياسي هو الدولة العراقية، وإذا كنا وطنيين، ونحن وطنيون وأبناء شعبنا وطنيون، فعلينا أن نحرص على أن تكون مشاركتنا

مشاركة واسعة . قد نكون معاتبين لبعض الشخصيات أو معترضين على بعض السياسات أو لدينا تحفظات على أداء بعض الأشخاص ، لكن مشكلتنا مع «زيد وعبيد» شيء ، ومشكلتنا مع العراق شيء آخر ، لأن الشخوص تأتي وتذهب ، ولكن العراق يبقى ، والحكومات المحلية في مجالس المحافظات والاتحادية في الانتخابات التشريعية والبرلمانات تأتي وتذهب ، لكن العراق باق والعملية السياسية باقية ومؤسسات الدولة باقية .

المشاركة الواسعة في الانتخابات تأييد للنظام السياسي ، وهو شيء مهم ، وهو فرصة لاختيار الأشخاص المؤثرين وهو أيضا شيء مهم آخر ، إن هذه الانتخابات فرصة للتغيير ، والبعض يقول لا نشارك في الانتخابات ، وحين تسأله لماذا؟ ، يقول ماذا عملوا لنا لنشارك ، فإذا لم يعملوا شيئا كما تعتقد ، فالمفروض أن تخرج إلى الانتخابات وتصوّت لأناس يعملون ما لم يعمله الآخر ، وإنْ كنت تشعر بأن الأداء كان مقنعا فيجب أن تخرج إلى الانتخابات وتصوّت لنفس هذا الفريق الذي عمل لك وأقنعك . من يقول ماذا عملوا لنا ولا يخرج للانتخابات يعاقب نفسه ويعاقب الشعب ويكافئ من هو ناقد لهم ، ويعتقد بأنهم لم يقوموا بواجباتهم ، فلماذا تعاقب نفسك ، ولماذا تحرم نفسك من أوضح حقوقك؟ ، ولماذا تكافئ الآخر وهو لم يحقق شيئا ، أيا كان هذا الآخر وفي أي محافظة ومكان؟ .

لا يتم التغيير إلاّ بالمشاركة

المشاركة الواسعة في الانتخابات هي مكافأة الشعب لنفسه ، الشعب من يكافئ نفسه عندما يخرج للانتخابات ويعطي لنفسه الفرصة ليقول نعم أو لا ، نعم لهذا وكلا لذاك باختيار البديل ، وكافئوا من أحسن الأداء وعاقبوا من أساء الأداء باختيار الأكفأ والأقدر على خدمتكم ، فالمعادلة تقول إنْ كنت راضيا فعليك أن تشارك بالانتخابات حتى تنتخب من ترضى عنهم ، وإنْ كنت ساخطا ومعترضا فعليك أن تشارك في الانتخابات لتستبدل من أنت غاضب منه وتأتي بمن تعتقد بأنه الأقدر على خدمتك ، وهذا حق الشعب .

أيها الشعب العراقي الكريم في كل مواقعه ، لا تضيّعوا هذه الفرصة على أنفسكم ، وهذا حقكم استنفذوه وخذوه وشاركوا مشاركة واسعة وعبّروا عن دعمكم الكبير والواسع للدولة وللنظام السياسي العراقي ، وإنْ كنتم مختلفين مع هذا أو ذاك ، لأن هذا خدمكم وهذا لم يخدم وهذا ساعد وذاك لم يفعل ، فالمشكلة ليست مع وطنكم والعملية السياسية ، فعليكم الالتزام بهذا الموضوع .

الأخلاق الانتخابية

انه خطاب موجه للمرشحين والكيانات والائتلافات والقوى السياسية المتنافسة في هذه العملية، أقول لكم جميعا أيها الأحبة، إن الانتخابات ليست معركة، إنها ملحمة، وفي المعارك يتصارع الناس وفي الملاحم يتنافس الناس، وشتان بين التصارع والتنافس؛ فالتصارع يعني التشاتم والتنافر والتنابز بالألقاب والسباب لهذا وذاك، والتسقيط السياسي للآخرين وتجريحهم، وهذا يعني أنها مصارعة، وكل ينهش الآخر، والناس تذهب إلى مسابقات مصارعة الثيران، حينما يتصارع ثور من هنا مع ثور من هناك، وهذا شأن الثيران، ومع الأسف، في عصرنا أصبحت هناك مصارعة البشر بعضهم مع بعض، وبعض الشاشات الفضائية تظهر هذه الصور الغريبة عن الطبع الإنساني، حينما ينقض إنسان على الآخر وينهشه، «ولقد كرّمنا بني آدم»[١٧] فالله سبحانه وتعالى جعل الإنسان كريما وعزيزا وأفضل المخلوقات، ولا يليق بنا أن نتصارع.

أما التنافس فهو يعني إظهار كل طرف لمحاسنه، لرؤيته، لبرنامجه، لخططه، لمشاريعه، وتعريف الناس بنفسه وتأريخه وقدراته، هذا معنى التنافس، فكل مرشح يخرج ليقول للناس هذه خطتي وبرنامجي ومشروعي، وإذا انتخبتموني فسأعمل هذا لكم وسأخدمكم، وهذه رؤيتي تجاه الموضوع، وهذا تأريخي، إن لم يعرفني أحد، وهذا سلوكي لأن الناس تبحث عن النزيه الكفوء، والصفتان مهمتان، والمرجعيات الدينية توصي دوما بانتخاب الكفوء والنزيه، فكيف نعرف نزاهة الإنسان؟، نعرفها من تأريخه وسلوكه الفعلي، فإذا كان تأريخه أبيض ونظيفا ويتصف بنظافة اليد واللسان ونظافة المواقف والسلوك، فهذا يعتمد عليه، ولدينا عشر سنوات جرب الشعب فيها ورأى وقيّم، واليوم هو قادر على أن يكتشف النزاهة من خلال هذا التأريخ.

المفتاح السحري لحل المشاكل

عرّفوا بتأريخكم أيها المرشحون، وأروا الناس من أنتم وماذا قدمتم وماذا عملتم؟، وهذا حق وهذا هو التنافس، والكفاءة تظهر من خلال بيان الرؤية والمشروع والخطط، فهذا لديه رؤية كاملة ويعرف كيف يخدمنا إذا اعطيناه الثقة، وأصبح في مجلس المحافظة وفي الحكومة المحلية، ولديه خطة واضحة، وذاك الآخر ليس لديه خطة، إذن، هذا كفوء وذاك ليس كفوءا، وهذا يستطيع أن يقدم وذاك لا يستطيع، والثروة ليست كل

١٧. سورة الإسراء: الآية ٧٠

شيء، وليست هي الحل لمشاكلنا، وتلاحظون أننا اليوم نمتلك ثاني أكبر موازنة في الوطن العربي، ولكن هل يلمسها المواطن بما يرضيه؟، وهل المسؤولون مقتنعون؟.. تسمعون النقد من السادة المسؤولين ومن الرؤساء والوزراء، إذ ينتقدون تنفيذ الخطط والمشاريع، والمال لم يستطع أن يحل كل المشاكل في العراق.

إن المفتاح السحري لحل المشاكل هو الرؤية والخطة والمشروع، أن يكون لفريق العمل رؤية متكاملة، فإذا جاء ماذا يعمل، وكيف يخدم شعبه، وماذا يقدم لهم، وهل لديه رؤية؟، فالمال لمن يمتلك الرؤية شيء مفيد، ومن لا يمتلك تصميما، حتى لو أعطيته مواد انشائية لينشئ برجاً، فلن يعرف كيف يعمل وكيف يستثمرها، ولكن إذا امتلكت التصميم وأتيت بالمواد الإنشائية ووضعتها بشكل صحيح فيصبح برجا كبيرا قابلا للاستفادة. فالمال وحده لا يكفي والرؤية والخطة هما الأساس، ومما يؤسف له أننا تنقصنا الرؤية في تجربتنا خلال السنوات العشر الماضية، لذلك علينا أن نركز على من يمتلك الرؤية ونوليه الثقة حتى يتقدم للأمام.

التنافس الشريف

البعض لا يستطيع أن يتنافس ويعرّف بنفسه وبرنامجه بشكل صحيح، وأن يتقدم على منافسيه بالحجة والبرهان والدليل وبالرؤية الواضحة، فينتهج منهج التصارع والتسقيط والإساءة للآخر والتجريح، وهذه كلها ليخرب الملعب ويستطيع أن يتصيد بالماء العكر.

أيها الشعب، احذروا هذه الحالة، ونحن في بداية عملية انتخابية، وهي فرصة مهمة لكم لتقولوا كلمتكم؛ فإذا كانت ثقافة الشارع العراقي أن كل من يجرّح ويسب ويشتم ويهتك الآخرين يُعاقب بعدم التصويت له، فسوف لا يعتمد هذا المنهج بعد ذلك، وسوف نتحول إلى حالة ديمقراطية حضارية نابعة من ثقافتنا الإسلامية الأصيلة وثقافتنا العربية الكريمة، لنقدم هذه الصورة للعالم، فنحن نأخذ ماهو جيد من الآخرين، وإذا كانت الديمقراطية لها سياقات في الغرب، فليس بالضرورة أن تكون كل سياقاتها ممدوحة وجيدة، نريد أن نقدم صورة حضارية عن ديمقراطيتنا، إننا نتنافس ونقدم خططا وبرامج من دون أن يسيء بعضنا للبعض الآخر.

مصلحة الوطن والمواطن أولا

أيها الاحبة، بقدر تعلق الأمر بنا في ائتلاف المواطن، فإننا أخذنا على أنفسنا ألاّ نسيء لأحد ولا نجرح أحدا، وإنما نركز على تقديم برنامجنا ومشروعنا ورؤيتنا

وخططنا لأبناء شعبنا من دون أن نتعرض إلى الآخرين أو نسيء إليهم، وإذا أُسيء الينا سنحتفظ بحق الرد والدفاع عن أنفسنا من دون أن ننجر إلى الصراعات الجانبية، وسنغلّب بإذن الله تعالى المصلحة العامة على أي مصلحة خاصة، وحتى لو وقع الحيف والظلم علينا، فسنتحمل جزءا من هذا الغبن، ولكن نراعي مشاعر أبناء شعبنا وهم يمرون بهذه الظروف الصعبة في هذه المرحلة الحرجة من تأريخ العراق، ولذلك أدعو أبناء تيار شهيد المحراب وأدعو حلفاءنا في ائتلاف المواطن إلى التحلي بسعة الصدر والعض على الجراح وتحمل سياسات الاستهداف الممنهج الذي نتعرض له، وعدم الرد إلّا بمقدار توضيح الحقائق إلى الناس كي لا تلتبس عليهم الأمور من دون أن ننجر إلى الصراعات الجانبية ونسهم في معاناة إضافية للمواطن العراقي تضاف إلى معاناته الكبيرة في الظروف التي نعيشها اليوم.

هناك من يقدم هدايا ومنحا إلى المواطنين من المسؤولين الحكوميين أو من المرشحين، ولا بد هنا من أن نوضح هذه القضية بشكل واضح، كما أن هناك مشاريع حكومية استكملت منذ أشهر وحُرم المواطنون من استخدامها منتظرين قصّ الشريط، ليتم في أثناء الحملة الانتخابية والدعائية، ليقال إنّ هذا إنجاز لهذا الفريق أو ذاك، والمواطن يرى هذه الأمور ويعرفها جيدا، ولكن ما أود قوله أيها الأحبة، أن من يقدم من ماله الخاص للمواطنين فهذا يُسجّل له، ولكن من يقدم تسهيلات حكومية أو منحا حكومية أو خدمات حكومية أو تعيينات حكومية، فهذه ملك للشعب يقدمها للشعب، ويُرجع الأمانة لأهلها، وليس هناك منّة لأحد منا حينما نرجع الأمانة لاهلها، ومن حق الشعب أن يستفيد من ثرواته حينما تُقدم له.

بضاعتكم رُدّت إليكم

ولذلك، أوجه ندائي لأبناء شعبنا جميعا: إذا قُدمت لكم هذه المنح الحكومية فهذه حقكم وملككم فخذوها واستفيدوا منها، ولكن حينما تريدون أن تصوتوا ضعوا الله سبحانه وتعالى أمام أعينكم، وضعوا مصالحكم أمام أعينكم وانظروا لمن تصوتون، حتى لا يعاتب الإنسان نفسه بعد التصويت، وقد خرج بعضهم وقال سأقطع إصبعي الذي صوت به، لماذا تقطع إصبعك؟، اختر الإنسان الصحيح وصوت له وستقبّل الإصبع أربع سنوات، وإذا اخطأت في مرة لا تقطع الإصبع وانتظر إلى الانتخابات وعاقب من أساء إليك وانتخب من يقدم لك الخدمة المناسبة.

اختاروا أناسا لا تندمون على اختيارهم بعد حين حينما لا تنفع الندامة، واختاروا من

يقدمون مصالحكم على مصالحهم، كما إنّ البعض من المواطنين صار يتمنى أن تتجدد الانتخابات في كل سنة مرة، فعندما تأتي الانتخابات يتراكض المسؤولون وتزداد المنح والهدايا، وهذه نعمة من الله، ونحن نقول؛ انتخبوا الأكفاء ومن هو أهل للمسؤولية، حتى يقدم ما هو حقكم، سواء كانت هناك انتخابات أو لم تكن، فالشيء الصحيح ألاّ ننتظر الانتخابات، والصحيح أن ننتخب الكفوء النزيه الذي يقدم مصالح الشعب على مصالحه، فيقوم بواجباته على طول الخط وفي كل يوم، سواء كانت هناك دعاية انتخابية أو لم تكن، فهذا لا يغير حاله.

شعار محافظتي أولا

أيها الأحبة، يجب الالتفات إلى أن هذه الانتخابات هي انتخابات لمجالس المحافظات، فهي انتخابات خدمية وليست انتخابات مجلس نواب وتشكيل حكومة حتى تكون انتخابات سياسية، لذلك لا تسمحوا بزج الصراعات السياسية والطائفية وغيرها في هذه الانتخابات، ونريد أن ننتخب مجلس محافظة يخدمنا ويصلح الشوارع ويحل مشاكلنا بالمدينة، أما ماذا قالت الدولة الفلانية فهذا ليس له علاقة بهذه الانتخابات، فهذه انتخابات خدمية وليست سياسية، فلا تقحموا الملفات والصراعات السياسية وتختلط الأمور على الناس من خلال هذه الانتخابات.

كما أوجه خطابي إلى أحبتي المرشحين في ائتلاف المواطن من أبناء تيار شهيد المحراب أو من الحلفاء الأكارم وأقول: إنكم تمتلكون اليوم رؤية واضحة ومشروعا واضح المعالم، وبذلتم جهودا كبيرة لصياغته حتى لا يكون شعارات أو دعاية، وإنما يكون رؤية حقيقية وعلمية لما يمكن أن تقدموه لأبناء شعبكم من خدمات في السنوات الأربع القادمة، فتمسكوا بهذا البرنامج واشرحوه لشعبكم ووضحوه بشكل جلي واذكروا لهم أن أساسه أن يكون همكم وتطلعاتكم هي هموم المواطن وتطلعاته وما يطمح إليه.

ليقف كل منكم في محافظته ويطرح البرنامج الخاص بتلك المحافظة ويرفع شعار «محافظتي أوّلًا»، ويهتم بشؤون تلك المحافظة وخدمة مواطنيه فيها، و«محافظتي أوّلًا» في الأمن والاستقرار، و«محافظتي أوّلًا» في الإعمار والازدهار، و«محافظتي أوّلًا» في خدمة أبناء هذه المحافظة وتقديم الغالي والنفيس من أجلهم ومن أجل راحتهم وسعادتهم. إن المنطق الذي يتحدث عن «محافظتي أوّلًا» هو الذي يمكن أن يجتمع ويشكل فريقا يقول «وطني أوّلًا»، حينما ننطلق من بناء صحيح للمحافظات حينذاك

يمكن أن ننطلق إلى بناء صحيح للوطن بشكل عام، ارفعوا هذا الشعار وقولوا «محافظتي أوّلًا» واشرحوا ما تعنونه بهذا الشعار حتى يتعرف الناس على برامجكم.

ضمان نزاهة الانتخابات

النقطة الأخيرة في الانتخابات، وقد أطلت عليكم اليوم في الحديث، أن الشفافية والوضوح من أهم سمات النجاح بأي عملية انتخابية، فيجب تكافؤ الفرص وعدم استغلال الأجهزة الحكومية وإمكانات الدولة لصالح هذا الفريق أو ذاك، من وسائل إعلام إلى أجهزة أمنية إلى مؤسسات حكومية إلى الكثير من التفاصيل الأخرى، لنتنافس بشرف ولنقدم البرامج والخطط ولا نسيس الدولة وأجهزتها ومؤسساتها، وإنما ننطلق من واقعنا وما نريد أن نقدم لهذا الشعب حتى نعطي الصورة الصحيحة، وكذلك موضوعة التزوير تمثل واحدة من المسائل المقلقة التي تُطرح قبل كل عملية انتخابية، إنني أدعو مجلس المفوضين في المفوضية العليا للانتخابات والمؤسسات المعنية واللجان المختصة في مجلس النواب وفي الحكومة الموقرة وفي الأجهزة الأمنية، إلى أن يقدموا الصورة الواضحة والضمانات التي وضعوها لشفافية الانتخابات وعدم وقوع التزوير فيها. يؤسفني أن هناك العديد من التفاصيل والمواضيع المهمة الأخرى، ولكن نتركها لوقت آخر، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٣/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإحسان فِي الإحسان، تَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ))

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وانتهينا إلى المقطع الحادي عشر من مقاطع هذا العهد وهو قوله عليه السلام: «ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء»، يا مالك، وأنت تتصدى للمسؤولية ولخدمة الناس في مصر، عليك أن تميز وتفكك، وعليك أن تقيّم الأداءات، فالناس ليسوا بأجمعهم سواسية، ففيهم المسيء وفيهم المحسن، ولا بد لك من أن تميّز بين المحسن والمسيء، ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فلا تتعامل بنفس الطريقة مع المحسن والمسيء، بل عليك أن تكون عادلا في التصدي للمسؤولية، فالذي يتصدى للمسؤولية يجب أن يكون عادلا والعدل هو وضع الشيء في موضعه، فيتعامل مع المحسن بما ينسجم مع إحسانه، والمسيء يتعامل معه بما ينسجم مع إساءته.

«فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان»، إذا عاملت الجميع على حد

سواء، المحسن والمسيء بالطريقة نفسها، فإن المحسن سيسأل نفسه؛ لماذا أعمل الإحسان وأتعب نفسي وأصرف كل هذه الطاقة في تمشية أمور الناس، والذي لا يأتي ويتغيّب ولا يخدم الناس له نفس الراتب والامتيازات والاحترام والتكريم؟. أيها المسؤول حينما تتعامل مع الجميع بنفس التعامل، فإن المحسن سيزهد ويقلل من قيمة إحسانه، ففي هذا تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان، فالمحسن يزهد في ما قدمه من الإحسان ويترك هذا العمل.

«وتدريبا لأهل الإساءة على الاساءة»، فالمسيء حين لا يُسأل عن فعله ولا أحد يحاسبه ـ ومن أمن العقوبة أساء الأدب ـ فسوف يتجرأ أكثر في إساءته، «وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه»، عليك أن تميز وتفرز، وعليك أن تتعامل مع كل محسن ومسيء بما ينسجم مع إحسانه وإساءته، وهذا المقطع يؤكد على أهمية العدالة في تعامل المسؤول، وكل من يتصدى لإدارة وقيادة مجموعة لا بد من أن يكون عادلا وأن يميز.

هناك حقيقتان تشير إليهما هذه العبارة الكريمة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الحقيقة الأولى: أهمية التقييم والتمييز والفرز ووجود أدوات تقيّم الناس العاملين تحت دائرة المسؤولية، فمن كان يعمل في شركة، فهناك أدوات رقابية تميز العاملين في هذه الشركة أو في هذا المصنع أو في دائرة في دولة، أي كان العامل وفي أي مكان، ولا يستوي الجميع، بل يجب أن تكون عندك أدوات، فتراقب وتقيّم ثم تفرز على أساس مدى التزامهم بالقانون والضوابط وتحقيق الأهداف إلى غير ذلك، وحينما ننظر إلى الناس نجد فيهم المحسن وهناك المسيء، وهناك العالم وهناك الجاهل، وهناك الكفوء وهناك من لا يتمتع بالكفاءة، وهناك من يحب الخير ويسعى إلى الخير وهناك من هو غير ذلك.

التمايز بحسب المؤهل والصفات الذاتية

وهناك العاقل الذي يملك حكمة وعقلا في تعامله وهناك الأحمق الذي يحبك ولا يستطيع أن يخدمك، ويُسيء إليك من حيث لا يقصد، وحين تسأله لماذا؟، يقول: أردت أن أخدمك، فيبعد الناس عنك، وحين يريد أن يساعدك في شيء يسيء إليك، فحين يريد أن يفتح لك مساحة بين الناس، يضرب هذا في كتفه وهذا يدفعه، ويسبب غضب الناس عليك، وهذه مشكلة، فهناك فرق بين العاقل والأحمق، وهناك النشيط وهناك الكسول، وهذه ترتبط بقدرات الناس، وقسم يرتبط بالثقافة والتنمية والتنشئة

والطاقة الذاتية، فترى شخصا نشيطا يركض ولا يتعب، ولا يعتب ولا يملك مطالب ولا يشتكى، وهناك من يكيد له، فهذا يختلف عن ذلك، ويجب أن تكلف الكسول حسب طاقته ولا تحمله أكثر منها، حتى لا تسيء تقدير طاقته، ولا تسيء إلى نفسك والعمل والمشروع من خلال الاعتماد على هذه الحالة.

هناك الذكي وهناك من لا يتمتع بالذكاء ويتصف بحالة من الغباء، وهذه ترتبط بالقدرات الشخصية، فالعمل الذي يحتاج إلى ذكاء لاتخاذ موقف صحيح وقراءة بين السطور، يُكلف به الذكي، وحينما تكون القضية واضحة ابعث من هو أقل ذكاء، وهناك حَسَن النية وهناك سيئ النية، وهناك الشكاك الذي ينظر إلى كل شيء بعين المؤامرة، وهناك من يمتلك حسن الظن، فينفتح ويستوعب ويتعامل ويخترق ويتجاوز الكثير من الحدود والقيود والإشكالات، فيجب التمييز بين هؤلاء، حتى تكلف كلا منهم بما ينسجم مع طاقاته وظروفه.

هناك المتقي الذي يخاف الله سبحانه وتعالى، وهنا غير الملتزم، فإذا كان في العمل احتمال وفرص للتلاعب، فيجب أن يبقى بيد المتقي ومن يخاف الله، حتى لا يسيء ولا يمد يده إلى الحرام، ولا يلتف على الحقيقة، وهناك المنظم وهناك من ليس كذلك، فترى أحدا يُخضع شخصيته وحركته وملبسه وفكره وحديثه وسلوكه وتعامله وكل شيء فيه إلى لنظام، فكل شيء يجب أن يكون في مكانه، وهناك من هو غير منظم في فكره ومشتت في بيانه، فيتكلم نصف ساعة ولا تعرف منه ما يريد، وحين تطلب منه تلخيص ما يريد لا يعرف، وتراه غير منظم في ملبسه وسلوكه وتعامله ومواعيده، فهذا يختلف عن ذلك ويجب أن تميز يا مسؤول، حتى تستطيع أن تستفيد الاستفادة الصحيحة.

هناك المبدع وهناك التقليدي الذي لا يعرف الا القيام بعمل تعلّمه، فيبقى على الطريقة نفسها حتى لو بقي عشرين سنة، وهو غير مستعد لأن يفكر بشيء جديد، ولا يبدع ولا يطور، فكره فكر تقليدي، وهناك آخر يبحث دائما عما هو جديد وصبغة جديدة وأفكار جديدة في التعامل وفي مسائل كثيرة، وهناك العادل وهناك الظالم، وهناك المتسامح وهناك المتشدد، وهذه ترتبط بسلوك الناس وتركيبة شخصيتهم، ولذلك فالمسؤول إذا لم يميز بين هؤلاء الناس، فكيف يتعامل ويثق؟، ويمكن أن تكون هناك فوضى في العمل وتعطيل للمشروع وإساءة للمسؤول والمنظومة القيادية التي يقودها، وبعبارة موجزة، هناك النافع وهناك المضر في كل مهمة وقضية، أي لا أختار الشخص وأبحث له عن دور وموقع، بل أنظر إلى الموقع واستحقاقه وأبحث عن الشخص المناسب لهذا الموقع، وشتان بين هذه النظرة وتلك.

هناك من ينظر إلى حزبه وقوميته وطائفته، فهؤلاء من جماعته وعشيرته فيعيّنهم في مواقع معينة، وهناك من يملك مواقع شاغرة، فينظر إلى طبيعة التحدي في هذه المواقع ويبحث عن الشخوص المناسبين، هاتان نظريتان مختلفتان؛ فهذه تؤكد على أهمية التقييم والفرز وتصنيف الناس الذين يعملون ضمن المنظومة الإدارية والقيادية للشخص المسؤول، وأي منظومة كانت، في بلد أو مصنع أو شركة أو دائرة أو أسرة، وأي منظومة مهما كانت، تتميز بفرص في الإمكانات والقدرات والموقع الاستراتيجي وحاجة الناس لهذا الموقع وإلى هذه المنظومة، ومهما كانت الفرص كبيرة، إذا لم تراع هذه المسألة فلن تستطيع هذه المنظومة أن تتحرك، فترى بلدا ميزانيته كبيرة لكنه لا يتقدم، لماذا؟. هذا يعني أن هناك مشكلة في العدالة وتقييم العاملين والأدوات في هذه المنظومة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وحينما لا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب لا تحقق نتائج في المكان المرغوب، ولن تحقق النتائج مهما كانت النيات طيبة، لأن المشكلة الأساسية أنه لا يوجد تقييم ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وهذه ثغرة كبيرة كما يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الحقيقة الثانية/ وفيها حيثيتان:

الحيثية الأولى/

هي المواصفات والقيود المطلوبة لإيجاد الحركة والتطور في هذه المنظومة، ولنفترضه بلدا، فما هي الأدوات والمحددات والمواصفات المطلوبة للمسؤولين في دولة حتى يتحرك هذا البلد؟. يجب أن يكون هناك إخلاص وجدية واندفاع وحس وطني، ويجب أن تكون لديهم خبرة وانسجام.

تطوير المنظومة

هذه الضوابط العامة حتى يتحول هؤلاء إلى فريق واحد، يعملون كخلية نحل أو كمجموعة من النمل، ودائما تُشبه المنظومة التي تعمل بشكل فاعل بالنحل والنمل، فهاتان منظومتان فاعلتان ونشيطتان جدا، فخلية النحل عبارة عن خلية منسجمة وتعمل ليل نهار حتى تصنع لنا العسل، وهي منظومة معقدة جدا ومنسجمة ومتكاملة وكفوءة، والنمل يعمل ليل نهار حتى يجلب قوته إلى مكان الخزن، والمنظومة البشرية حينما تكون فاعلة وقديرة وتجتهد وتحقق أهدافها المجتمعية فهي منظومة كخلية النحل،

ومنظومة كخلية النمل، وهذا الجانب يحظى باهتمام كل المنظومات القيادية في العالم؛ الدول والشركات العملاقة والمصانع الكبيرة، كلها تعمل لتحقق هذه الحركة الدؤوبة المحترفة المختصة والمنسجمة، وهذا الشيء جيد، لأن التعطيل يعني أن يقل الربح وتُضرب المصالح، فهذه الجوانب تحظى بأهمية كبيرة.

تطوير الفرد

وهناك جانب آخر مهم جدا يرتبط بتطوير الإنسان وتكامله وليس المنظومة، وحينما نتحدث عن التقوى، وحينما نتحدث عن حسن النية وحسن الظن، وحينما نتحدث عن كسر الأغلال والأحقاد والانفتاح على الآخر، وحينما نتحدث عن الأبعاد القيمية في رُقي الإنسان وفي تكوينه، لأن الإنسان المتكامل يؤدي إلى المجتمع المتكامل السائر نحو الله، وهذا الجانب لا يحظى بالأهمية، فالكثير من الدول المتطورة والبلدان الصناعية العملاقة والمصانع الكبيرة، حينما تريد أن تنصّب مديرا لا تنظر إن كان يصلي أو لا يصلي، وهل عنده منظومة أخلاق أو ليس عنده، وكم يبلغ التزامه بالقيم، وهل يخاف الله؟، كل هذه الأشياء لا ينظرون إليها، ولا يدخل في حسابهم غير شهادته وخبرته وكم يعمل ومقدار حرصه على العمل المباشر، وأكثر الناس لا ينظرون لذلك، فنجد منظومات عملية كبيرة تحقق نتائج مادية كبيرة، ولكن تعيش حالة من الفراغ المعنوي والأخلاقي يؤدي إلى يأس وحزن، ومجتمعات تركض بسرعة وتتقدم والناتج القومي لها عال وهي من الدول المتطورة والميزانيات كبيرة والرواتب عالية، ولكن لا تملك روحا والعلاقات ليس فيها مشاعر.

إن ما يجعل الإنسان إنسانا هي هذه المشاعر والعواطف والأحاسيس، هذه الهدفية الكبيرة والحياة ليست كلها طعاما وشرابا، فالحيوانات تأكل وتشرب، والحياة ليست فقط أن تعمل كالآلة ليل نهار، فالنمل يعمل ليل نهار، إذن ما يجعل الإنسان إنسانا إنسانيته، وليس فقط في عمل مادي وحركة ميكانيكية وإنما في غايات مشروعة وقيم حقيقية وتوجه نحو الله في قلب يشع بذكر الله سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١٨].

هذا الجانب مفقود، فهناك تطور مادي كبير مع تخلف وتراجع معنوي فظيع، يخلق حالة من عدم التوازن، فيؤدي أحيانا إلى تراجع خطير وارتدادات كبيرة، فنجد منظومة إنسانية تتحرك بسرعة وتنتج نتاجات مالية، لكنها جوفاء وفارغة في مضمونها

١٨. سورة الرعد: الآية ٢٨.

وتشعر بحالة من الإحباط واليأس، فإن رقة القلب وتأنيب الضمير والتوجه نحو الله، هذه مفاهيم تعطي للحياة طعما وقيمة، وتعطي للإنسان إنسانيته، والإنسان حينما يفقد إنسانيته يضيع كل شيء حتى لو حظى بكل شيء بالمقاسات المادية. هذا جانب مهم يجب أن نلتفت إليه، وتشير إليه هذه الكلمات الكريمة لأمير المؤمنين (سلام الله عليه).

الحيثية الثانية/

المكافأة والتقدير وأن يلزم كل منهم بما ألزم نفسه، يا مالك، كافئ المحسن واشكره، فشهادة التقدير، وهي قصاصة ورق، يعلقها الناس في البيوت، وحين يكتب المسؤول شهادة تقديرية لموظف ويضعها في ملفه الوظيفي، فسيأتي يوم يراجعون فيه ملفه ويجدون هذه الشهادة التقديرية، وهذه تعطي للإنسان عزيمة حين يدرك أن المسؤول يرى ويقدر، والله يخاطب شيخ الأنبياء نوحا على نبينا وعليه السلام: ﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾[19]، يا نوح، نحن نرى ونشكر ونقدر جهدك، فاصنع الفلك بأعيننا ونحن نؤيدك.

في زماننا، حين يلعب فريق كرة قدم في ساحة الخصم يُحسب له الهدف بهدفين، لأن ساحة الخصم تعني أن البيئة مشجعة للآخر، إذن، لهذا التشجيع دور كبير، وحينما يفقد الإنسان التشجيع يصيبه الضعف، وحينما يكون في بيئة تشجعه فالإنجاز يكون بحجمه، والهدف يُحسب هدفا واحدا وهكذا. ولاحظنا في المباراة الأخيرة التي جرت بين العراق ودولة خليجية، حيث قيل إن العراقيين مظلومون، إذ جلس المشجعون في الزاوية ولم يعطوهم مكانا مناسبا، وهذه تُعد مظلومية، إذن، مكافأة من يقوم بعمل جيد شيء مهم، ومحاسبة من يسيء شيء مهم أيضا، فالتوازن مطلوب.

لا طاعة لغير الحق

لاحظوا أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يقول إلا ما يعمل، فهذه توصيته إلى مالك الأشتر، ولكنه في دوره وممارسته لمهامه القيادية كان يلتزم تماما بهذا المبدأ. لاحظوا في كلام له يخاطب الصالحين من أصحابه والثلة المخلصة الذين كان يشد ظهره بهم، يقول لهم: «أنتم الأنصار على الحق»[20]، ومع أنهم صالحون وهو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ،

١٩. سورة هود: الآية ٣٧.
٢٠. نهج البلاغة ١: ٢٣١، الكلام ١١٤.

فليس هناك نصرة عمياء، فتقول نحن طاعتنا إلى قيادتنا طاعة عمياء، من قال لكم أن تطيعوا طاعة عمياء؟، بل المطلوب الطاعة الواعية، يقول أمير المؤمنين لأصحابه أنتم الأنصار على الحق، ناصروني على ما هو حق، ولا يصدر من علي إلا الحق، «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»[٢١]، وكل ما طلب منهم فهو حق، ولكن هذه رسالة أن عليك أن تطيع في ما هو حق.

أنتم اخوّتكم لي أخوّة في الدين وهي خاضعة لموازين ومعايير. يقولون نحن ننصر أخانا مظلوما كان أو ظالما، والبعض يفهمها أنه مادام أخي فأنا معه، سواء كان باطلا أو ظالما أو مظلوما، وهذا ابن عشيرتي لا أنظر إلى القضية ما هي، ويمكن أن يكون ظالما ومسيئا. إذا خالف ابن عشيرتي يجب أن أكون خصمه قبل الآخر، حتى لا يسيء إلى العشيرة ولا يسيء إلى هذا الاسم والعنوان، فالأخوّة في الدين وليست عامة كيفما كان وكيفما اتفق، حينها يكون السيئ يتلفت يمينا وشمالا ولا يجد أحدا، وفي قضية الإمام كان هناك سيف وذبح، وكل واحدة جاءت وأخذت ابنها أو زوجها، قائلة: ما لنا والدخول بين السلاطين، فجعلوا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سلطانا ويزيد سلطانا، والمعركة بين سلاطين على كراسي، مع أن هذا ابن بنت رسول الله، فهو على حق، وذلك على باطل.

من يخذل الحق ينصر الباطل

تتقاتل عمائم، ويُقال ليس لنا علاقة بذلك، إنها صراعات سياسية، وكل طرف يقطفها لنفسه، فما لنا وهذه القصة؟، وينعزل الجميع كمنطق أبي موسى الأشعري القائل: إن هذه فتن ليس لنا علاقة بها، والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الراكب[٢٢]. . . . . وأعطى الناس حقناً مهدئة فجلسوا عن نصرة علي، يقول إن علياً مسلم والجيش الآخر مسلم كذلك، فهم مسلمون يتقاتلون بينهم على الإمارة، فهل المشكلة مشكلة إمارة أو هي حق وباطل؟.

علي عليه السلام يقول في حق هذه الثلة من أصحابه: «والجنن يوم البأس»، أنتم الدروع ليس في يوم الرخاء بل يوم البأس والشدة، فأنتم تدافعون وتذبون عن الحق الذي يدافع عنه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «والبطانة دون الناس»، أنتم الخواص دون بقية الناس.

٢١. بحار الأنوار٣٨: ٣٩. مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥.
٢٢. كنز العمال ١١: ٢٤٢، ح٣١٣٨٣.

حين تدخل مجلسا ترى أشكالا من الناس، ولكن الذين تتكئ عليهم ليسوا كل الناس، بل الذين اختبرتهم وتأكدت من إخلاصهم، علي يقول بحق أصحابه، كي يمدحهم ويعطيهم عزيمة ويبعث الأمل فيهم ويشعرهم بالانتماء ويشدهم له، يقول أنتم البطانة دون الناس وأنتم خواصي. شهيد المحراب كان يجلس ويخاطب المخلصين الذي التحموا معه ويقول لهم أنتم أهلي وعشيرتي، وكان يعتقد بالعمق، أنهم أهله وعشيرته، يستشعر هذا القرب مع المخلصين المحيطين به، يستشعر ذلك في أعماق وجوده، وهذه جذورها إسلامية.

أنصار الحق

«وأنتم البطانة دون الناس»، قد نجامل الناس ولكن أنتم الخواص، «بكم أضرب المدبر»، بكم أضرب من يدبر عن الالتزام ويشذ عن الطاعة، أنتم المدافعون عن الحق والمقوّمون للمنحرفين، «وأرجو طاعة المقدم» بكم أرجو طاعة المقبل، فهناك عدد من الناس مع القوي، وأنتم تعطون الصورة أن علياً قوي، هؤلاء الناس الذين يبحثون عن القوي يُقبلون علينا.

هناك إنسان مبدئي وهناك إنسان انتهازي، وحين يأتي يوم الانتخابات ينظر إلى الأجواء، ويقف دائما مع المنتصر، وهذه الثقافة مع الأسف موجودة. أنت لا تملك رأيا ولا قرارا ولا تقييما، انظر أين الحق والصواب وأين من يخدمك؟ وصوت له، قويا كان أو ضعيفا، فإن كان ضعيفا يقوى بك وبأمثالك. أنتم من تقفون وتعطون صورة عن القوة، وهذه القوة تجمع الآخرين كالمغناطيس.

صدق البطانة

«وأرجو طاعة المُقبل»، من هو مُقبل، الذي لا يملك مشكلة مع علي، يطيعه حينما ينظر إلى أناس كالحديد، «فأعينوني»، يطلب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الثلة المخلصة، «فأعينوني بمناصحة خالية من الغش»، علي يريد النصح، ولكن النصح الذي ليس فيه غش ومراوغة، ولا تمجيد في غير محله، بل تكلموا الصدق؛ قولوا يا علي، إن الناس ليست معك، مع أنك حق وإمام معصوم، ولكن الأجواء ليست معك بل مع غيرك، وإذا كانت الناس معي فقولوا لي أيضا. علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يطالب الصالحين من أصحابه بأن يكونوا صادقين ولا يغشوه.

«سليمة من الريب»، أعطوني نصيحة ليس فيها ظنون، نصيحة واضحة ليس فيها

إسفاف أو ترديد، وهذا شيء مهم، «فوالله إني أولى الناس بالناس»، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أولى بالناس، في إشارة إلى الآية الشريفة التي استشهد بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم غدير خم، إذ قال: «ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[٢٣]، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول أنا أولى الناس بالناس، أنا أولى بهم من أنفسهم، أي أنا الإمام بالحق، وأريد منكم كلاما واضحا، أخبروني بالحقيقة وكيف هي مسارات الأمور. اللهم صلّ على محمد وآل محمد.

ذكرى الانتفاضة الشعبانية

تمر علينا في هذه الأيام من شهر آذار، الذكرى السنوية للانتفاضة الشعبية المباركة التي قام بها أبناء شعبنا في عام ٩١، والتي مثلت نقلة نوعية في معارضة النظام وفي كسر حاجز الخوف، وبالتعريف بمظلومية الشعب العراقي إلى العالم بأسره، وفتح العالم عينه على شعب يصرخ وينادي بالحرية ويئن من سياط الظالمين الذين حكموا في تلك الحقبة الظلماء.

إن هذا الحدث التأريخي الكبير فيه العديد من النقاط التي نقف عندها ونحن نستذكر هذه الانتفاضة الكريمة في شهر شعبان المعظم عام ١٩٩١:

هوية إسلامية وإطار شامل

أولا/ سعة العنوان والإطار الذي تحركت به هذه الانتفاضة؛ فكانت عابرة للمذهبية وعابرة للقومية والمناطقية وعمّت مدن العراق ومحافظاته من كردستان العراق إلى الجنوب، وشملت ١٤ محافظة تحركت في فترة زمنية قصيرة، وعبّرت عن هذا السخط الكبير والامتعاض الشديد من تلك السياسات الجائرة والإبادة الكبيرة في تلك المرحلة، وحازت على تعاطف أوساط مهمة من المكون السني العربي الكريم، فأصبحت انتفاضة عراقية بوجه الظالمين والطغاة الذين تفننوا في الإساءة للشعب العراقي وفي التنكيل بهذا الشعب الكريم.

ثانيا/ الهوية الإسلامية لهذه الانتفاضة عبرت عن انشداد الشعب العراقي نحو الإسلام والقيم والمبادئ، وتمسك أبناء شعبنا بدينهم وعقيدتهم، وعبرت عن تمسك أبناء شعبنا

٢٣. نهج البلاغة ١: ٢٣١، الكلام ١١٨.

بالعلماء الأعلام وبالمرجعية الدينية التي التفوا حول دارها متمثلة بالإمام الخوئي آنذاك، طالبين من المرجعية التصدي لهذه الانتفاضة العارمة والواسعة.

التعتيم الإعلامي والتغرير الدولي

ثالثا/ التعتيم الإعلامي الذي واجهته هذه الانتفاضة؛ فلاحظنا أن الأجهزة الإعلامية الإقليمية والدولية استبعدت هذا الحدث وعتمت عليه بشكل واسع، حتى لا يتبين للعالم حجم الظلامة التي وقعت على أبناء شعبنا، مما جعل هذا الشعب مكشوفا أمام الآلة العسكرية لذلك الحاكم الجائر الذي بطش بهذا الشعب إلى حد كبير، وحينما نقارن ما تحمّله أبناء شعبنا في تلك الانتفاضة مع انتفاضات وثورات حصلت في دول عربية عديدة، وكيف أنها حصلت على أكثر من الترويج والتسويق لها والإعلان عنها، وهو التحريض لصالحها مما وفر أرضية مهمة ساعدت المنتفضين وجعلت الحكام أمام الأمر الواقع، وليس لهم إلا أن يستسلموا وانتهت بأقل الخسائر، ولكن الانتفاضة الشعبية في ٩١ أصبحت مكشوفة نتيجة لهذا التعتيم وواجهت آلة القتل الجماعي الكبير.

رابعا/ التغرير الدولي الذي تعرض له الشعب العراقي في تلك الانتفاضة، حينما يخرج الرئيس الامريكي كلينتون آنذاك ويشجع الشعب العراقي على الثورة والخروج، ويوحي بأن المجتمع الدولي سيصطف ويقف إلى جانب الشعب العراقي في محنته، وما أن انطلق الناس حتى خُذل هذا الشعب وبقي بمفرده يواجه تلك الآلة القمعية والعبثية الواسعة، دون أن يحظى بأي دعم أو رعاية أو إسناد دولي، بخلاف ما وعد به من خلال تلك الرسائل التي أُطلقت في تلك المعركة وفي حرب الخليج الثانية. إن هذا الموقف جعل أبناء شعبنا فريسة لذلك النظام القمعي، وأدى إلى مجازر كبرى تتحمل هذه الأوساط مسؤوليتها التأريخية.

أكبر مجزرة في التأريخ المعاصر

خامسا/ حجم الاستهداف ونوعية الاستهداف الذي تعرض له الشعب العراقي في تلك الانتفاضة، بدءا من المرجعيات الدينية والعلماء الأعلام والنخب، وصولا إلى عموم المواطنين الذي خرجوا ووجدوا انفسهم معزولين ومكشوفين في ظل التعتيم الكبير وغياب الإسناد، بل ذهب الإسناد إلى الحاكم الظالم؛ حينما زودت الولايات المتحدة النظام البائد بالسمتيات وساعدته على المزيد من البطش ضد أبناء شعبنا.

وكان أن سيق الشباب إلى الملاعب وإلى الساحات العامة في كل منطقة، ونُفذت

بحقهم أحكام الإعدام الجماعي الشامل، وزجوا في مقابر جماعية لم نكتشف منها حتى الآن إلا العدد القليل، وراح ضحية هذه الانتفاضة بحسب إحصاءات غير رسمية فيها مستوى عال من الدقة، بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ألف إنسان، في أكبر مجزرة يشهدها تأريخنا المعاصر، واستخدمت فيها الأسلحة الثقيلة والفتاكة والقنابل الفسفورية والنابالم، واستخدمت الدبابات والمدافع، وكُتب على الدبابات بشكل كبير وواسع كما تظهر الوثائق «لا شيعة بعد اليوم»، وصدرت ثلاث افتتاحيات في جريدة الثورة، وهي الجريدة الرسمية آنذاك، وقيل إن من كتبها هو شخص صدام، تشير إلى استهداف ووعيد تجاه المواطنين من أتباع أهل البيت في سابقة غريبة وغير معروفة في التأريخ، أن حاكما يستهدف غالبية شعبه بعنوانه المذهبي ويضعهم هدفا لإبادة شاملة بالدبابات والمدافع والسمتيات وغيرها.

جرائم إبادة جماعية

سادسا/ إننا سعداء أن الجهود تكللت بالنجاح واُعتبرت الجرائم التي اُرتكبت بحق الشعب الكردي في الأنفال وغيرها، جرائم إبادة جماعية، وهو وصف صحيح لتلك المجازر الكبرى، ولكن الجهود يجب أن تستمر باعتبار المقابر الجماعية وضحاياها أيضا إبادة جماعية بحكم القانون الدولي، ويجب أن يُعترف بذلك عراقيا وبعد ذلك يُعترف به دوليا، وهذا أبسط الحقوق المعنوية التي يستحقها مئات الآلاف من العراقيين الذين احتضنتهم هذه المقابر الجماعية في مثل هذه المذابح والمجازر العشوائية والإبادة الجماعية.

إن الجيل الذي عايش انتفاضة ٩١ ولاحظ كيفية القمع والمطاردة وسلب الحريات لهذا الشعب الكريم يعي جيدا النعمة العظيمة التي نحن فيها الآن؛ نعمة الحرية والعزة والكرامة، نعمة الحقوق والقدرة على التعبير عن الرأي، وحتى إن كان هناك مظلمة، فإن الناس يخرجون ويحتجون ويتظاهرون ويعترضون، ووسائل الإعلام تغطي، والمسؤولين يرحبون ويوفرون الأمن لهذه الاحتجاجات.

بين مرحلتين

سابعا / اين هذا الواقع من ذلك الواقع المظلم الذي عشناه في تلك المرحلة السيئة، إننا وبالرغم مما نسجله على واقعنا الفعلي من إشكالات وملاحظات ولا نشعر بالرضا عما نحن فيه، وشعبنا يستحق الكثير، من حقوق والتزامات تجاهه، في التخفيف من

معاناته وتحقيق الرفاه الاجتماعي له ومنح حقوق المواطنة له، وكل هذه أمور مشروعة وصحيحة، ولكن حينما نقيس الواقع الذي نعيشه، مع ما فيه من ملاحظات، بذلك الواقع، نرى أننا أمام تطور كبير وواسع ومهم، وعلينا أن نشكر هذه النعمة حتى نعززها ونقويها، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢٤]، فاذا أردنا الزيادة وإذا أردنا معالجة المشاكل وتلبية الاحتياجات ومنح الحقوق، لا بد من أن نشكر ما هو موجود ونطالب بالمزيد، وهذا هو حق العراقيين جميعا.

ثامنا/ إننا لا نحمّل المسؤولية عن تلك المجازر والجرائم لأي طائفة أو مكون من المكونات العراقية، وإنما النظام البائد ورموزه هم وحدهم من يتحملون هذه المسؤولية التأريخية، ولا بد من أن يحاسَبوا على فعلتهم الشنيعة، وستبقى نقطة سوداء في تأريخهم المظلم يتداولها التأريخ؛ كيف صنعوا وكيف تعاملوا وكيف أبادوا الشعب إبادة جماعية؟، وأما العراقيون فسيبقون إخوة متحابين ومتراصين ومتوائمين يعملون من أجل وطن واحد.

مسؤوليتنا تجاه الانتفاضة

إن هذا الاستذكار إنما يدعونا لنقف ونتحمل مسؤولياته الكاملة تجاه الانتفاضة والمنتفضين، وشهداء الانتفاضة والمقابر الجماعية الناتجة عنها. إننا معنيون بأن نعمل لضمان حقوقهم المعنوية والمادية، ولا بد من تعويض أسر الشهداء والضحايا، ولا بد من تلبية احتياجاتهم الإنسانية وتكريم هذه العوائل وتكريم أولئك الشهداء، ويؤسفنا أن نقول إننا بعد عشر سنوات لم نوفّق حتى الآن بإنشاء متحف واحد لإبراز هذه المظالم الكبرى في الانتفاضة لأبناء شعبنا، وإن هذا يتطلب جهدا مضاعفا لتلبية الاحتياجات.

لقد لفتت انتباهي كثيرا مقولة وجدتها لشهيد المحراب في أحد خطاباته، حينما دخل العراق وقبل أن تتشكل أولى الحكومات العراقية آنذاك، يقول شهيد المحراب: «أدعو القوى السياسية إلى أن يكون أحد المطالب الرئيسة والأساسية لها في برامجها السياسية هو تعويض الشهداء والسجناء والمتضررين من النظام السابق، حسب الإمكانات المتيسرة، فضلا عن مطالبة أي دولة تقوم بأن يكون أحد البرامج الرئيسة لها هو تعويض هذه الأوساط المتضررة التي لاقت أشد الأضرار في سبيل العراق وعزته وكرامته ومواصلة مسيرة العزة والكرامة والبناء في العراق».

٢٤. سورة إبراهيم: الآية ٧.

شهيد المحراب، منذ ذلك الحين، يطالب القوى السياسية بأن تقدم ما تستطيع بمجهودها الخاص وأن تطالب أي حكومة تتشكل لاحقا، لأن هذا الحديث كان قبل تشكيل أولى الحكومات العراقية، أن تطالب الحكومة القادمة أيا كانت بأن تتحمل مسؤولياتها تجاه أسر الشهداء والضحايا، هكذا كان يذكّر بحقوق هذه الشريحة المهمة. إن هذه الانتفاضة ستبقى شعلة وضاءة تمنحنا الأمل وتذكّرنا بالدور الكبير الذي لعبه أبناء الشعب العراقي في تحرير أنفسهم وفي الوقوف بوجه الظلمة والطغاة واستعادة حريتهم وكرامتهم، وكانت البداية لثورات عربية اتسعت اليوم لتشمل العديد من الدول العربية.

سنقف بوجه الفتنة الطائفية

فُجعنا بتفجيرات عديدة في الأيام القليلة الماضية، طالت في معظمها مناطق يسكنها أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. إنها الرسالة الطائفية المتجددة للإرهابيين التي يطلقونها بمناسبة وبغير مناسبة، وكلما حصلت أزمة سياسية في البلاد استغل هذه الأجواء أولئك الإرهابيون ووجدوا ثغرة ينفذون من خلالها ويسيئون إلى أبناء شعبنا ويقطّعون أشلاءهم على قارعة الطريق ويسعون لإثارة الفتنة الطائفية وإيقاع الناس بعضهم ببعض. اسمحوا لي من خلالكم أن أقولها للجميع؛ أغلقوا الأبواب أمام غول الطائفية الذي يمتص دماء الأبرياء ويُوقع الناس بعضهم ببعض، ولن يجني أحد منها إلا الخراب والدمار وقتل الأنفس البريئة، إن التأريخ لن يرحم من يتهاون في زرع الفتنة الطائفية، وسنعمل بكل ما أوتينا من قوة وما في وسعنا من أجل الوقوف أمام الفتنة الطائفية وتعزيز اللحمة الوطنية العراقية، والدفاع عن لحمة العراق أرضا وشعبا، ولن ندخر جهدا لتحقيق هذا الهدف المهم.

العلاقات بين العراق ومصر

استقبل العراق ضيفه الكبير رئيس مجلس الوزراء في جمهورية مصر العربية الشقيقة والوفد الكبير المرافق له من سبعة وزراء وسبعين من رجال الأعمال رافقوه في هذه الزيارة، إنها خطوة مهمة تحمل في طياتها إرادة سياسية عراقية مصرية لتعميق العلاقات بين البلدين الشقيقين. إن هذه العلاقة ستسهم في تعزيز الوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم في المنطقة، وإن التقارب العراقي المصري له دور كبير في خلق مناخات جديدة وفضاء جديد يبتعد عن الشد الطائفي والتمترس خلف الطوائف هنا أو هناك، وإن هذه العلاقة أمامها فرص كبيرة في أن تتعشق وتتعمق وتتجذر لتكون في مصلحة الشعبين الشقيقين.

إن هذه العلاقة تنبع من واقع يعيشه البلدان الكريمان، العراق بلد الحضارات والتعدديات وبلد الانفتاح، ومصر أيضا بلد الحضارة والتنوع والتعدديات الكبيرة، والبلدان التي تعيش هذه التعددية والانفتاح في واقعها قادرة على أن تتعايش وتبني علاقات استراتيجية ورصينة بينها، وهذا ما يجعلنا متفائلين في تعميق العلاقة بين البلدين. إن هذه العلاقة هي علاقة تكاملية ويراد منها أن تتحول إلى الإطار الواسع، بعيدا عن أية محوريات أو خصومات. إنها ليست علاقة بالضد من أحد، وإنما هي علاقة لصالح المجموع عربيا وإسلاميا في المنطقة، كما أن المصالح الاقتصادية الكبيرة بين البلدين تمثل دافعا أساسيا آخر لمثل هذه العلاقات الوثيقة بين البلدين، العراق وهو في بدايات البناء والإعمار في خططه الطموحة، ومصر الشقيقة البلد الذي يمتلك الكثير من الإمكانات والخبرات ولا بد من أن تتعشق هذه الجهود والمصالح المشتركة ليستفيد كل بلد من إمكانات الآخر في خدمة شعبه ووطنه.

إن العلاقة بين الأزهر الشريف والنجف الأشرف، الحصنين المهمين اللذين يشعان بالاعتدال والوسطية في عالمنا الإسلامي، تمثل مدخلا مهما لوحدة إسلامية حقيقية ووئام حقيقي في العالم الإسلامي برمته، ولا بد من أن نعمل على تعميق هذه العلاقة ومد الجسور بين الأزهر الشريف والنجف الأشرف والمرجعيات الدينية في النجف الأشرف، ونتمنى أن تسفر هذه الزيارة عن فتح صفحة جديدة في علاقات عميقة بين البلدين الشقيقين.

الحملة الانتخابية.. الوطن والمواطن أوّلًا

انطلقت الحملة الانتخابية لمجالس المحافظات، وكما كان متوقعا فإن ائتلاف المواطن يتعرض إلى الاستهداف الانتخابي الممنهج من قبل العديد من المنافسين أو الخصوم، وهذا دليل على تميزه وقوته، فإن الشجرة المثمرة تُرمى بالحجارة. نحن أخذنا على انفسنا ألا ننجر إلى لغة التسقيط والاتهام والتشهير بهذا أو ذاك من القوى السياسية والكيانات، وأخذنا على أنفسنا أن نبتعد عن سياسة كسر العظم مع الشركاء والحلفاء في الوطن الواحد، وأقولها للجميع؛ امنحوا لهذا الشعب فرصة الاختيار في أجواء من الديمقراطية وفي أجواء من الهدوء، ليكون انتخابا صحيا بعيدا عن التشهير والاتهامات الباطلة لهذا وذاك.

وليعلم كل من يظن أن الاساليب الرخيصة تفيده بأنه مخطئ بهذا التصور، وأن الشعب العراقي لصبره حدود، ولكنه يفهم ويقيّم بعمق وسوف يقول كلمته في اللحظة

المناسبة، وأقولها لأبناء تيار شهيد المحراب وإلى حلفائنا في ائتلاف المواطن؛ تلقوا سهام المنافسين بصدور صبركم وعطائكم، واعملوا ليل نهار لتتواصلوا مع أبناء شعبكم ولشرح برنامجكم ومشاريعكم وما تنوون تقديمه في خدمة أبناء شعبنا وحل مشاكلهم، واجعلوا هم المواطن هو الهم الذي يشغلكم ليل نهار؛ كيف تخدمون هذا المواطن وكيف تعالجون مشاكله.

محافظتي أوّلاً.. وطني أوّلاً.. المواطن أوّلاً.. شعارات رفعتموها، ولكن يجب أن تعرفوا كيف تحولون هذا الشعار إلى شعور المواطن بنياتكم، وأنكم تنوون خدمة هؤلاء المواطنين. إننا نؤكد من جديد أن مجالس المحافظات هي مجالس خدمية وليست مجالس سياسية، ولا بد من أن تتوجه أنظار جميع المرشحين إلى ما يقدمونه لأبناء شعبنا، وليس تحويلها إلى محطة للصراعات السياسية.

بناء المحافظات مقدمة لبناء الوطن

البعض يعيب علينا أننا رفعنا شعار «محافظتي أوّلاً»، زاعمين أنها نظرة مناطقية ولا بد من أن نفكر بطريقة وطنية، ولكن كيف نبني الوطن ونحن لم نُرضِ محافظاتنا، وهل الوطن شيء آخر غير مجموع الأجزاء؟. إن بناء المحافظات بشكل صحيح هو المقدمة لبناء الوطن بشكل صحيح، وما دامت مجالس المحافظات مجالس خدمية فلا بد من أن نطرح شعارا ينسجم مع هذه المجالس، وحينما نأتي إلى انتخابات مجلس النواب، وهي انتخابات سياسية، نطرح الشعار الذي ينسجم معها.

إن الإيحاء بأن انتخابات مجالس المحافظات انتخابات سياسية هو إضرار بالمواطنين، وهو محاولة للتملص من بيان البرامج الحقيقية المعدة من الكتل السياسية المختلفة والقوائم المتنافسة في خدمة الناس. هذه مجالس خدمة، فبينوا للناس كيف ستخدمونهم، وهم سينظرون إلى هذه البرامج ويقدرون من الذي يقدم فرص الخدمة الأفضل، لهم، فلا بد من أن نبدأ في المحافظة وننتهي بالوطن، وهناك من بدأ بالتنافس في الشعارات، فيحذف حرفا ويتندر بشعار، وهذا لا يغيظنا ولا يسيئنا، هذه مظلومية واضحة، لينظر إليها الشعب العراقي ويعرف كيف يُساء إلينا في كل شيء، ولكن ما دمنا نريد خدمة هذا الشعب، فهذا لا يضرنا وسنبقى نواصل مشروعنا بعزم وإرادة كبيرة.

التركيز على البرنامج

إن استراتيجيتنا الانتخابية إنما هي التركيز على البرنامج الانتخابي دون أن نسيء ونتهجم على احد، وبعيدا عن لغة التسقيط، ونبقى نلتزم بهذا المنهج ونصرف الوقت بخدمة الناس وشرح كيف نخدمهم. إن هذا المنهج سيسهم في ترسيخ الديمقراطية والسلم المجتمعي، ونتمنى على جميع الكتل أن تنتهج هذا المنهج الذي يبني نظاما ديمقراطيا صحيحا ويجعل المواطن أمام خيارات، فالمواطن يذهب إلى السوق ويرى أكثر من بضاعة وكل صاحب بضاعة يعرضها، والمواطن يختار ما يريد من دون صراع، والانتخابات اليوم تعني فرقا تعرض نفسها وخدماتها ومشاريعها، والناس ترى البرنامج وهي التي تختار، ونكون جميعا معها في ما تختار.

إن الاعتماد على مرشحين مناطقيين في ائتلاف المواطن إنما جاء ملتصقا مع الهدف من هذه الانتخابات، وعلى قاعدة أهل مكة أدرى بشعابها، فإن ابن هذا القضاء أدرى من غيره بهذا القضاء ومشاكله، ومن كل قضاء نأتي بواحد يعرف هموم القضاء، ليكون في مجلس المحافظة ويدافع عن الناس، وهذه المسألة ليست تمزيقا وتجاهلا لوحدة الصف الوطني، بل هذه هي الوطنية الحقيقية حينما نشرك الناس بكل المناطق في أن يكونوا في مواقع القرار، فلا يعاب علينا أن قدمنا مرشحين من أقضية مختلفة في تلك المحافظة، فقد أردنا أن نستوعب كل الخارطة الجغرافية في من يصعد إلى مجلس المحافظة ويقدم الخدمة للمواطنين.

رهاننا على الشباب ولسنا طلاب سلطة

وإنْ اعتمدنا على الشباب فليس عيبا أن نؤمن بالشباب، وسنظهر للشعب جميعا ومن يعيب علينا ترشيح الطاقات الشبابية، سنبرهن لهم جميعا أن الشباب العراقي قادر على أن يقدم الكثير ويتألق ويتميز في خدمة المواطنين، وهذا ما نراهن عليه بإذن الله تعالى.

وإن التنوع في الانتماءات المذهبية والفكرية والقومية ليس عيبا، إنما هو دليل قوة، وهذا الائتلاف قادر على التعايش مع الآخر وجعله حليفا في صف واحد في خدمة الوطن والمواطن، إننا وكما قلناها سابقا، لسنا طلاب سلطة، إنما طلاب خدمة، وليست السلطة مبلغ همنا وغايتنا الأخيرة، وإنما هدفنا الأساسي هو خدمة الوطن والمواطن، ولن ننجر في هذا التنافس إلى الصراع مع الأطراف الأخرى على مواقع وكراسي، ونحن نعرض أنفسنا، فإن وضع الشعب ثقته فينا قمنا له في الخدمة، وإنْ وضع ثقته في غيرنا

فهذا هو شأنه وهو يتحمل مسؤوليته ونحن في خدمة من ينتخبهم أبناء الشعب العراقي.

انتخابات الاتحادات الرياضية

لقد اكتملت انتخابات الاتحادات الرياضية الفرعية لكافة المحافظات بعد مخاض عسير واعتراضات عديدة ومقاطعة من بعض الأندية الرياضية، وكنا نتمنى أن تجري هذه الانتخابات في أجواء من الشفافية والصدقية الأكبر، ومع ذلك فإننا نهنئ الفائزين في هذه الانتخابات الفرعية ونتمنى لهم النجاح والتوفيق في خدمة الرياضة العراقية، ونستعد الآن لانتخاب الاتحادات الرياضية المركزية التي تُعتبر أساسا لاختيار المكتب التنفيذي للجنة الأولمبية الوطنية العراقية. نتمنى لهذه الانتخابات أن تكون بمعايير وضوابط موحدة ومقنعة للجمهور الرياضي وأن تتم بعيدا عن المزاجيات والإقصاء لهذا أو التقريب لذاك. إن انتخاب الاتحادات المركزية يمثل نقطة تحول في إدارة العمل الرياضي العراقي، ونعوّل عليها كثيرا لتحقيق الإنجازات وفي رفع العلم العراقي عاليا، ونتمنى من الإخوة الكرام في الهيئة العامة لهذه الاتحادات أن يكونوا على قدر المسؤولية ويضعوا الثقة على أساس الكفاءة والمهنية، بعيدا عن الخصوصيات المذهبية والمناطقية وما إلى ذلك من حسابات أخرى.

الثامن من آذار يوم المرأة العالمي

في الثامن من آذار تحتفل المرأة في العالم بيوم المرأة العالمي، وهي محطة نقف فيها وقفة إجلال وإكبار للمرأة ودورها المميز في بناء المجتمعات، وهي فرصة لاستذكار المظالم الكثيرة التي تتعرض لها المرأة في مجتمعاتنا الإنسانية، من هضم الحقوق والتعنيف والإساءة والاعتداء على حقوقها الإنسانية والاجتماعية والمالية وغيرها، والمرأة العراقية المسلمة اعتبرت يوم ولادة السيدة الزهراء عَلَيْهَاالسَّلَامُ يوما للمرأة العراقية المسلمة، كما دعا إلى ذلك شهيد المحراب وأقره مجلس الحكم آنذاك، ليكون ذلك اليوم هو يوم المرأة العراقية المسلمة، ولكن هذا لا يمنع أن نستذكر المرأة ودورها في يوم المرأة العالمي، ونسأل الله تعالى أن ياتي ذلك اليوم الذي يعم فيه السلام والوئام العالم كله، ونجد المرأة متألقة وقادرة على استعادة حقوقها كاملة.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٣/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذلكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإحسان فِي الإحسان، تَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ))

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وانتهينا إلى المقطع الحادي عشر من مقاطع هذا العهد الشريف، وذكرنا بالتفصيل في اللقاء السابق وشرحنا مضامين عملية التمييز والتشخيص المطلوبة من المسؤول، ثم انتهينا إلى الدرس الثاني من دروس هذا المقطع، وهو المكافأة او المعاقبة للمحسن والمسيء، وذكرنا بعض النصوص عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقلنا إنه لا يوصي الآخرين ويتخلى هو عن هذه الأمور، وإنما هو أول العاملين بذلك، واستعرضنا بعض النصوص في هذا المجال، ونواصل استعراض نصوص أخرى في المكافأة والتشجيع والتحفيز لمن يقوم بعمل صالح، أو العقوبة والتوبيخ والتقريع لمن يسيء في أداء واجباته ومهامه.

الثواب والعقاب

في نهج البلاغة، الكتاب الثاني يشير إلى رسالة وجهها علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأصحابه حين فتح البصرة وبعد حرب الجمل جاء فيها: «وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته»، يشكرهم ويقدرهم، والإنسان المسؤول والقائد حينما يدخل إلى منازلة ويمر بأزمة أو يواجه معتركا معينا، ويقدم توصيات ويلتزم الاتباع بهذه التوصيات، يجب ألاّ يعتبر ذلك واجبهم وانتهت القضية، بل يشكرهم ويقدرهم، وجيش علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حينما وقف وقاتل بجانب علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحقق فتح البصرة في حرب الجمل، عاد علي في كتابه ليشكرهم ويدعو لهم بأفضل الجزاء، والله تعالى يتفنن في تشجيع وتحفيز ومكافأة العاملين بطاعته، وعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يسأل الله تعالى أن يعطي أولئك الأنصار ما يعطي لعباده المخلصين والمطيعين.

لماذا كل هذا الدعاء وهذا العطاء؟، والجواب في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فقد سمعتم وأطعتم»، حينما أصدرت التعليمات في هذه المعركة أخذتم بها، وفرق كبير بين من يسمع ولا يكترث ومن يستمع ويفهم طبيعة التوجيه ثم يلتزم ويطيع، «فقد سمعتم وأطعتم»، أطعتم ما سمعتموه من توجيهات، «ودُعيتم إلى القتال»، إلى الحرب وتقديم الغالي والنفيس وبذل الأنفس في هذه المعركة من أجل الله ونصرة الحق، «فأجبتم»[٢٥]، فاستحقوا بذلك دعاء علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم بأن يشملهم الله تعالى بأفضل الجزاء، هذا في جانب المكافأة والمجازاة للفعل الصالح والطيب.

في الجانب الآخر، وهذه موازنة دقيقة إذا اختلت تختل الأمور كلها، فالذي يسيء والذي يتعدى الحدود ومن يتجاوز على الناس فجزاؤه العقوبة والموقف الصارم.. وعن علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من لم يصلحه حسن المداراة أصلحه سوء المكافاة»[٢٦]، الذي لم يصلحه التعامل بالمحبة والتوقير والدلال فلا بد من اعتماد حسن المكافاة والتقريع والعقوبة، نفهم من هذا أن الأساس هو المداراة، ومن لم تصلحه المداراة يصار إلى المكافاة أي العقوبة، فالأساس بالمرونة والكلام الحسن والتشجيع.

٢٥. نهج البلاغة ٣: ٣، الكتاب ٢.
٢٦. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٢.

التسامح ليس ضعفا

لكن هناك من لا يحسن قراءة هذه الرسائل، فحين تتعامل معه بالمرونة يحملها على الضعف، وحين تتحمل منه بعض الأمور يحملها على البلادة، مع أنك أردت أن تتسامح معه، وهكذا كانوا يتعاملون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فكانوا يسيئون للرسول ويأتون بعد ذلك ليقولوا إنهم لم يقصدوا ذلك والرسول يسامحهم، وهم قاصدون، ومرة ثانية يسامحهم، ومرة ثالثة. . . . وخامسة، وحينما كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتسامح معهم يخرجون في كل مرة ويقولون هو أُذُن، وما نقوله له يصدقنا!! فليس عنده قابلية فرز وتمييز!!، هم يظنون ذلك، والرسول كان يعرف كل شيء، والسماء تقرع هؤلاء: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[٢٧]، لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن يتسامح معكم ويتعامل تعاملا مرنا وهذا لصلاحكم وخيركم، ولكن حتى إذا وصل الأمر للعقوبة والمكافاة فالتعامل يكون بحسن المكافاة، حتى في العقوبة توجد مراتب، آخر الدواء الكي، العقوبة لا يؤتى بها بمستوياتها العالية من أول وهلة، فأحيانا يربي الأب ابنه المسيء بتجاهله، فتعتبر عقوبة، وكذلك عدم الابتسامة وقلة الاهتمام تعتبر عقوبة أحيانا. فحسن المكافاة درس عظيم يجب أن نتعلمه.

العقوبة تربية وليست انتقاما

ونفهم أيضا من هذه التراتبية أن العقوبة حتى حينما تحصل ويتطلب الأمر اتخاذ موقف صارم، فهو ليس للتشفي والانتقام، وإنما خطوة تربوية، ولذلك فالضرورات تقدر بقدرها للتربية، مثل الدواء لا نستعمله إلا حين الحاجة، فالأساس هو المداراة والعقوبة استثناء، وفي العقوبة يكون الأساس حسن المكافاة أدنى مراتب العقوبة، وهكذا يتصاعد الموقف.

عموم الناس أحرار في أبدانهم وعقولهم، والناس مشاعر وعواطف، «الإنسان عبد الإحسان»[٢٨]، يؤثر به، ولو تعاملنا بهذه الطريقة فكثير من واقعنا التربوي سيتغير، فإن جزءا كبيرا من مشاكلنا ناتج من أننا نستخدم وسائل التقريع بمستويات عالية، فيحدث رد فعل لدى الإنسان الضعيف والبسيط وغيره، إذ نجد الضابط أو المدير كلما ارتفع منصبه وموقعه، تعامل بالشدة والقسوة والإهانة مع من دونه من المراتب، حتى يثبت

٢٧. سورة التوبة: الآية ٦١.
٢٨. عيون الحكم والمواعظ: ٦١.

أنه مدير أاو ضابط ناجح، وهذا غير صحيح، فمن قال إن النجاح بالشتيمة والإساءة إلى الآخرين، لا، فالأمور يجب أن تُقدر بقدرها، وهذا أساس مهم يشير إليه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي نفس السياق، «من لم تصلحه الكرامة أصلحته الإهانة»[٢٩]، إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا ـ الكريم تملكه بالكرامة، أما اللئيم فكلما أعطيته فرصة إضافية تمرد أكثر وتنصل أكثر عن واجباته، ولا يفيده إلا التقريع، والعقوبة ولكن في مكانها وموضعها الصحيح وليس أكثر من ذلك.

واجب المسؤول المتابعة

بلغ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أن بعض عماله، أي بعض المسؤولين من الدرجات الخاصة في منظومته القيادية، يرتكبون الفساد المالي ويمتدون إلى المال الحرام، ما هو الدرس؟.. يا مسؤول، لا تقل كيف أسجل ملاحظة على فلان وفلان وأنا الذي عيّنته، ذلك ممكن، وإذا عاقبته فهذه أفضل تزكية لك، أنك لا تهادن في ما هو الحق والقانون والنزاهة. إن فساد الناس وصلاحهم يرتبطان بأخلاقهم وتربيتهم، وكم من صالح يجلس على الكرسي الدوار فتتغير أخلاقة بعد أن كان إنسانا نزيها، من الممكن أن يحدث ذلك، فالإنسان حتى لو كان معصوما فهذا لا يعني أن المؤسسة كلها تصبح مؤسسة معصومة، وهناك أمور ترتبط بالآخرين، فقد يكون هناك فساد في الوزارة رغم أن الوزير نزيه، والمشكلة في الوزير أنه لا يتابع منتسبيه، أو لا يتخذ إجراء ضد الفاسدين في وزارته، وهناك قاعدة عامة تقول: إن القانون لا يحمي المغفلين، فيجب أن يكون المسؤول متابعا ومتحريا عن الأخطاء وعن الفاسد وعن سلامة مفاصل منظومته.

يخاطب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المسؤول، كما في نهج البلاغة، بقوله: «أما بعد، فقد بلغني عنك أمر»، لاحظوا الأدب في التعامل، فلم يقل له «فساد» أو «سرقة»، بل يقول له «أمر».

«إن كنت فعلته»، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يجعل له خط رجعة خوفا من أن يكون التقرير كيديا، فقبل التحري والتدقيق لا يمكن إصدار الأحكام الفورية، «إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك»، الجانب المعنوي والأخلاقي في التوبيخ، وإذكاء روح المسؤولية الشرعية في الناس، يجب أن تبني الوازع الديني في العاملين، ذلك الوازع هو القادر

٢٩. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٦.

على ضمان سلامة المسيرة، «وعصيت إمامك»، أنا إمام معصوم وعصيتني وخالفت أمري، وهذا الوازع الديني في الإدارة «وأخزيت أمانتك»، وهذا ما نركز نحن عليه في حياتنا اليومية، أخزيت أفسدت، والمسؤولية أمانة، يا مسؤول، هذا كرسي الحلاق الذي تجلس عليه ليس لأحد، الكل يمرون عليه ويمضون، وفي النظام الديمقراطي يمرون به دورة أو دورتين، والدنيا هكذا، وهذا المدخل الأخلاقي في ضبط الإيقاعات وتصحيح المسارات وتأديب الناس، «وأخزيت أمانتك»، أي خنت الأمانة، ثم يعرض له ما وصله في التقرير.

«كشف الذمة» منهج إسلامي

هناك ملفات يجب توضيحها للناس، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن يحدد الموقف، يقول له ما في هذه الملفات وهذا التقرير، حتى يعطيه حق الرد والدفاع عن نفسه: «بلغني أنك جردت الأرض»، عملت مسوحات في الدائرة العقارية، أرض متروكة وليس لها أحد، والأرض في ذلك الزمان تعني الأرض المزروعة، أما غير المزروعة فليس هناك مشكلة في أن يأخذها من يأخذها ويزرعها، «بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك»، صادرت الأراضي الزراعية لنفسك، فهذا استغلال موقع المسؤولية للمنفعة الخاصة.. استغلال الوجاهة لمآرب شخصية ومصالح خاصة.

يا مسؤول، وضعوا لك هذه الحمايات حتى يحموك وليس لترهب الناس، وتخرجهم في عمليات استعراضية في مكان ما، ملوحين بالسلاح ليخوفوا الناس حتى يبيعوا عقاراتهم وأملاكهم وتأخذها بثمن بخس لنفسك، هذا هو منهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «وأكلت ما تحت يديك»، الأراضي صادرتها وأموال بيت المال التي تحت يدك أكلتها، «فارفع إليّ حسابك»، دافع عن نفسك، ـ ديوان الرقابة المالية.. هيئة النزاهة.. «من أين لك هذا؟» هذا منهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، من أين لك هذا؟، كشف المدخرات والممتلكات منهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهج الإسلام، «فارفع إليّ حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس»[٣٠]، لا تظن أن القصة انتهت بعقوبة الدنيا، بالإعفاء والإقالة، ولكن حساب الله أعظم، الوازع الديني في التقريع وفي تصحيح المسارات.

٣٠. نهج البلاغة ٣: ٦٤، الكتاب ٤٠.

لا استثناء في عدل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

في نهج البلاغة، في كتاب عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأحد عماله، وكان ابن عم له: «فلما أمكنتك الشدة»، رأيتنا مشغولين بالحروب والبلد في أزمات، فتمكنت في ظروف الأزمة، فهناك أناس يعتاشون على الأزمات ويبحثون عن مصالحهم، واستغلال الظرف خيانة للأمة، حينما تمد يدك إلى الحرام وتتجاوز صلاحياتك وتتعدى على أموال الناس، «أسرعت الكرّة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم». رأيتنا مشغولين فذهبت مسرعا ووضعت اليد على ممتلكات الناس وأموالهم، «ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم»، عوضوا عوائل ضحايا الإرهاب قبل أن تفكروا بمصالحكم. . أسر السجناء والشهداء والضحايا يجب أن يعيشوا برغد ونعيم قبل أن يحظى بها المسؤولون.

يا ابن عمي، رأيتني مشغولا بالحروب، فذهبت لضعاف الحال والمساكين والأيتام والأرامل ووضعت يدك على أموالهم وأخذتها واستوليت عليها. المواطن المسكين يعاني وأنت يا مسؤول تبتزه، مع أن راتبك كبير، فلِمَ هذا الجشع من البعض؟. . البعض وليس الكل، فهناك أناس شرفاء في المنظومة الإدارية، ولكن هناك من يمد يده إلى المال الحرام ويبتز ويستغل حاجة الناس إليه.

يصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذ المال هذا بالاختطاف، وهو أكثر من السرقة: «اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة»، الذئب المسرع يرى معزى مجروحة أو مكسورة ضعيفة، فينقض عليها ويختطفها، وهي لا تستطيع أن تتخلص منه، وأنت مثل ذلك الذئب، تذهب إلى الفقراء وتأخذ من أموالهم وتسرع، ولا أحد يقدر عليك، فهم يخافون على أنفسهم لكنهم يشتكون عند الله تعالى، فانتظر ما سيحصل لك من قبل الله تعالى، والله أقدر على نصرة المظلوم.

«فحملته إلى الحجاز»، ينقل اليوم أن المسؤول الفلاني اشترى في بغداد بيتا كبيرا، للوزير الفلاني أو للنائب الفلاني بكذا مليار، وينفضح أمره، مما يضطره لأن يخرجها إلى خارج الحدود، فهذه ليس جديدة، بل منذ زمن علي بن أبي طالب تُخرَج الأموال إلى الحجاز، «فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله»، أنت سعيد لأنك سرقت الأموال من الناس، «غير متأثم»، لم تتحرك غيرتك بعدما أخذت قوت الفقراء والمساكين، فلا تشعر حتى بالذنب وتبرر لنفسك.

«كأنك لا أبا لغيرك»، هذا مصطلح كان يستخدم للتقريع، «حدرت لأهلك»،

أسرعت لأهلك تبشرهم بما صار عندك من أموال ومشاريع وممتلكات، «تراثك من أبيك وأمك»، كأنه إرث من أمك وأبيك، هذه أموال الفقراء أخذتها بهذه الطريقة، «فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم»، اتق الله واستغفر ربك، ولكن ذلك لا يكفي، بل عليك أن ترد الأموال لأهلها، «فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك»، انتقم منك بما يرضي الله تعالى، وينصف هؤلاء الفقراء والمساكين، «ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا ودخل النار»، علي مع الحق والحق مع علي، وسيف علي لا يضرب إلا من هو من أهل الباطل، «ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة»، لو كان لدى الحسن والحسين طموحات غير مشروعة لما حصلا عليها في حكم علي بن أبي طالب، «حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما»[٣١]، لا توجد استثناءات، بل تعامل بإنصاف وعدالة مع الجميع، ويكافيء من يكافيء ويعاقب من يعاقب.

تمرير الموازنة

لقد تم إقرار الموازنة العامة من قبل الكتل النيابية في مجلس النواب بعد مخاض عسير ومفاوضات معقدة، إنها خطوة مهمة لمصلحة المواطنين وحل مشاكلهم وتوفير الخدمة لهم وانطلاق المشاريع الخدمية التي تحقق الخدمة والرفاه الاجتماعي لأبناء شعبنا، ولابد من أن تمضي هذه الموازنات ويشعر المواطن بأن منظومة الخدمة تعمل جاهدة لتقديم الخدمة والرعاية له، وبعد أن تعذر الاتفاق بين الكتل النيابية، اُعتمد مبدأ الأغلبية لتمرير هذه الموازنة وهو ما أثار عتب بعض الشركاء.

إن العتاب دليل المحبة، وعتب الشركاء على رؤوسنا، ويعز علينا أن نمضي بمعزل عن أي من الشركاء في أي خطوة من الخطوات المهمة في البلاد، ولكن تمرير هذه الموازنة كان يعني إطلاق المشاريع وتلبية الاحتياجات الضرورية واليومية للمواطنين، وهي قضية لا تحتمل التأخير، ليصادَق على هذه الموازنة أولًا، وبعد الانتهاء من الضغوط الناتجة عن تأخير الموازنة، تتم العودة من جديد إلى طاولة الحوار وتستمر المفاوضات والحوارات وحل الإشكاليات مورد الاختلاف المتبقية.

٣١. نهج البلاغة ٣: ٦٦، الكتاب ٤١.

ضرورة الحوار والشراكة

إن ملف النفط في كردستان سيوفر ٧ مليارات دولار للموازنة العامة العراقية، فدراسة ملف النفط في كردستان ليست قضية تخص الشعب الكردي ومصالحه وحده، انما هي قضية ترتبط بمصالح الشعب العراقي برمته، لأن النفط يُعتبر ثروة وطنية ويُصرف ضمن ميزانية الدولة العراقية، وعائدات النفط يجب أن تدخل الخزينة العراقية، فالنفط في كردستان ليس لأبناء كردستان وحدهم، إنما لجميع أبناء الشعب، كما إن النفط في البصرة وميسان وكركوك ليس لأبناء تلك المحافظات وحدها، إنما لجميع العراقيين، ومن الأهمية بمكان أن تستمر هذه المفاوضات، وأن نتفق على التزامات الحكومة الاتحادية تجاه الشركات النفطية العاملة في كردستان والتزامات حكومة كردستان تجاه الحكومة الاتحادية ورفد الخزينة العامة بإيرادات النفط.

لقد تبنينا منذ انطلاق العملية السياسية الجديدة عام ٢٠٠٣ وإلى يومنا الحاضر، أن نمضي معا ولا يمكن أن نتنازل عن هذا المبدأ، وسنبقى نعمل سوية مع جميع الشركاء لأننا على يقين ووضوح كامل من أن هذا البلد لا يُدار من طائفة أو قومية أو حزب واحد أو جماعة واحدة، وإنما العراق لجميع العراقيين، ومن خلال الشراكة الحقيقية والتعاون بين العراقيين بإمكاننا أن نبني هذا الوطن، وننطلق إلى الإمام، وبدون ذلك سنعرّض وحدة العراق إلى خطر وسنضر بالنسيج الاجتماعي والسياسي في هذا البلد، وسنعرّض العراق إلى مخاطر عظيمة وكبيرة.

إن الشريك الأكبر يتحمل المسؤولية الأعظم في التعاون مع الشركاء الآخرين، وتطمينهم وعدم تجاهلهم وعدم تهميشهم وإشعارهم من خلال سلوكه بالشراكة الحقيقية الضامنة لوحدة هذا البلد، إننا، كما ذكرنا سابقا، مع التحول إلى مبدأ الأغلبية السياسية في إدارة البلد، ولكن ليس غالبية اللون الواحد، وإنما الغالبية الممثلة للمكونات الأساسية لأبناء شعبنا، فأي غالبية سياسية تكون قادرة على احتضان قوى مهمة من المكونات الأساسية العراقية يمكن أن تدير البلاد وتمضي، ويكون الآخر في موقع المعارضة، وأما غالبية اللون الواحد فلا تستطيع أن تدير البلاد وستعرض العراق إلى مخاطر كبيرة وتخاطر بوحدته ولحمته.

آلية التوافق غير المعطّل

إن التعايش السلمي بين العراقيين في بلد تعددي كالعراق يتطلب مثل هذا التعاون والشراكة الحقيقية بين المكونات، ولكن علينا أن نتوافق على مبدأ مهم وهو أن مصلحة المواطن وعيشه وخدمته واحتياجاته الضرورية واليومية هي القضية الأولى التي لا يعلو عليها شيء، ولا بد من اعتماد آلية يُتفق عليها بين جميع الشركاء تمنع تعطيل مصالح المواطنين من أجل التوافق السياسي الذي يجب أن يحصل في القضايا الأساسية، وفي القضايا التي تتحمل المداولة والنقاش والبحث وأخذ المزيد من الوقت، فننتظر ونتناقش ونتداول ونتفق ثم نمضي في إنجاز تلك القضايا الأساسية، وأما المصالح ذات الصلة بخدمة المواطنين واحتياجاتهم اليومية، فيجب أن نضع آليه نتفق عليها لنمضي بها ولا نعطل مصالح المواطنين، وبهذا ننتصر لمبدأ الشراكة الحقيقية من ناحية، ومبدأ خدمة المواطنين وعدم تعطيل مصالحهم من ناحية آخرى.

عودة الوزراء والنواب

إننا نتمنى أن نشهد عودة سريعة لجميع السادة الوزراء والنواب إلى مجلس الوزراء والنواب، ليأخذوا دورهم مع شركائهم للنظر في موارد الاختلاف والأزمات والإشكالات القائمة، ووضع الحلول الناجعة والمطمئنة لجميع العراقيين، وتذليل العقبات والإشكالات القائمة من داخل البيت وليس من خارجه، ولاسيما أن كل هؤلاء الأعزاء هم شركاء وهم من أهل البيت، فلا بد لهم من أن يعالجوا مشاكلهم وأزماتهم من داخل البيت وليس من خارجه.

إننا حريصون كل الحرص على تلبية المطالب المشروعة والوقوف عند كل حق مشروع ينسجم مع الدستور والقانون لأي من المكونات العراقية على اختلاف ألوانها وأطيافها، ونتمنى أن نوفق في تحقيق هذه الشراكة والألفة والمحبة التي تساعد على بناء الفريق الواحد، لبناء هذا البلد وإعماره سياسيا وأمنيا وتنمويا بالمحبة والإخاء والمودة الوطنية بين العراقيين جميعا.

انتخابات مجالس المحافظات

في أجواء الحملة الانتخابية لانتخابات مجالس المحافظات، نجد الحراك والحماس من المرشحين في هذه الانتخابات للتواصل مع جمهورهم والتعريف

ببرامجهم وبما سيقدمونه لأبناء شعبنا وأبناء محافظاتهم إذا حازوا على ثقة الشعب، وفازوا في الانتخابات القادمة. إنها ظاهرة صحية تدعو إلى السعادة، وكلما كانت حركة المرشحين أوسع كان تشجيع المواطنين على المشاركة في الانتخابات أكبر، مما يؤدي إلى تعاظم وزيادة في نسبة المشاركة وهو أمر مطلوب وأساسي في هذه المرحلة، لذلك نتمنى من السادة والسيدات المرشحين ا

أن يبذلوا قصارى جهدهم في النزول إلى الشارع والتواصل مع أبناء المحافظات وفي التعريف بأنفسهم وتأريخهم وببرامجهم وبرؤيتهم وبما سيقدمونه إلى الناس وإلى محافظاتهم إذا حازوا ثقة هذه المحافظات وأبنائها الكرام.

دعوة للمشاركة الواسعة

لقد اطلعنا جميعا على البيانات المهمة التي أصدرتها العديد من المرجعيات الدينية، والتي تحث على المشاركة الواسعة في الانتخابات القادمة، معتبرة ذلك مدخلا مهما في ترسيخ التعددية في البلاد والتداول السلمي للسلطة على كافة المستويات، وهو المدخل المهم لتحقيق إرادة الشعب في اختيار من يمثله ويدير شؤونه ويخدمه في المرحلة القادمة في هذه المحافظات، فلا مجال لليأس والإحباط ولا مجال للشعارات البعيدة عن حضارة العراقيين وتأريخهم وشيمتهم ونخوتهم، فلا نسمح لأحد بأن يقول (لا فائدة من هذه الانتخابات)، بل كل الفائدة وكل الخير بأي انتخابات يرجع فيها القرار إلى الشعب، لأن الخير في الشعب، وما يريده الشعب يكون فيه الخير بإذن الله تعالى.

إن الحديث عن عدم وجود فائدة في الانتخابات وفي التصويت للتنصل من المسؤولية ولعدم الذهاب لصناديق الاقتراع والتصويت لصالح من نعتقد بأنه الأكفأ والأقدر، سيضيع الفرصة على المواطنين في المشاركة الحقيقية والمساهمة في تقرير مصيرهم، وسيمنح الفرصة للآخر في أن يُحكم إرادته وأن يتقدم البعض ممن قد لا يرغب به الناس.

انتخاب خط السلطة الأول

أيها المواطن الكريم، لديك رؤية ومن حقك أن تستفيد من هذه الرؤية، ولديك تصور عمن يدير شؤونك، فعليك أن تذهب إلى صناديق الاقتراع وتقول كلمتك وتمنح الثقة لمن تعتقد بأنه يستحقها. إن هذه الانتخابات لمجالس المحافظات ترسّخ البنية التحتية لواقعنا الديمقراطي، لأن الديمقراطية تبدأ من النواحي والأقضية والمحافظات

وتصعد إلى مجلس النواب والحكومة الاتحادية والوزارات والدوائر، فحينما نذهب إلى انتخاب مجالس المحافظات ونختار الفريق الذي يمثل القاعدة الرصينة التحتية لنظامنا الديمقراطي، فإننا نتخذ خطوة أساسية في هذا الاتجاه.

وهذه الانتخابات يتم فيها انتخاب خط السلطة الأول الذي يحتك بالمواطنين بشكل مباشر، والمواطن يحتك بمسؤول الناحية والقضاء والمحافظ ومجلس المحافظة وما إلى ذلك، وقليل من المواطنين من يحتكون بالوزير والرئيس وما شابه من المسؤولين، فهذا هو خط السلطة الأول، والمواطن هو الذي ينتخبه ليتعامل معه لاحقا ويطلب منه الخدمة حينما يحتاج إليها في معاملاته المختلفة، ولذلك فالمواطن العراقي اليوم يتحمل مسؤولية كبيرة في رسم ملامح المرحلة القادمة، التي ستتشكل بالفريق المنتخب في مجالس المحافظات، وستتعزز بالفريق الذي ننتخبه لمجلس النواب بعد هذه الانتخابات بسنة.

لذلك أيها المواطنون الكرام، لا تزهدوا بهذه الفرصة المؤاتية لكم واختاروا الخط الأول للسلطة بما ينسجم مع طموحاتكم ورؤيتكم، ليأتي الاختيار الثاني في انتخاب مجلس النواب للخط الثاني للسلطة، ومنه تنبثق الحكومة وسائر المواقع الحساسة الأخرى، وليكون الفريق فريقا منسجما مع إرادة هذا الشعب الكريم، فهذه فرصتكم فلا تفرطوا بها ولا تضيعوها.

هناك من وعد ووفى، وهناك من وعد ولم يف، ولا بد من أن نميز بين هذا وذاك، وهناك من حصل على فرصته ولم يقدم شيئا وهناك من قدم بعض الأشياء وهناك من لم يحصل على فرصة حتى يقدم الكثير لأبناء شعبه، كل هذا يجعلنا على ثقة بالله سبحانه وتعالى وبأبناء شعبنا بأنهم سيحسنون الاختيار، لأن أبناء شعبنا تعرّفوا على القوى السياسية والشخوص والبرامج واختبروا الناس خلال العشر سنوات الماضية، فاليوم حينما يذهبون إلى صناديق الاقتراع يذهبون ولديهم خزين وانطباعات وتصور واضح عن هذه القوى، مما سيجعلهم أقدر على تشخيص الخيارات الصحيحة ومنح الثقة لمن يستحقها.

التدقيق في المرشح والقائمة

إن اللافت أن المراجع العظام ركزوا على أمرين مهمين؛ الأمر الأول هو التدقيق في المرشحين، والأمر الثاني هو التدقيق في القائمة، فقد أكد مراجعنا العظام على ضرورة

التصويت لمن يتسم بالكفاءة والنزاهة والصلاحية في أن يكون في مجلس المحافظة في هذه الانتخابات، أما (هذا من عشيرتي ومن جماعتي وهذا من أقاربي وهذا أعطاني نقودا وأهداني هدايا معينة)، فهذه ليست دوافع كافية للتصويت لشخص ما. بينك وبين الله، يجب أن تصوت للأكفأ والأقدر والأنزه، حتى لو كنت لا تعرفه معرفة مباشرة، ولا تصوت لمن تعرفه معرفة مباشرة ولكنه ليس الأكفأ والأقدر، وهذه مسألة مهمة في شروط المرشح، ولكن هذا لا يكفي وحده، فهناك شخص كفوء ونزيه وقدير ولكنه في قائمة غير كفوءة، في قائمة انتهازية، في قائمة غير مؤهلة، فهو رجل كفوء في فريق ضعيف، فماذا يستطيع أن يفعل وليس بيده شيء، واليد الواحدة لا تصفق، فكما يجب أن ندقق في شروط ومواصفات المرشح، علينا أن ندقق في شروط ومواصفات القائمة أيضا. نريد رجلا قويا وكفوءا ونزيها في قائمة قوية وكفوءة ونزيهة، فهنا يستطيع الرجل أن يفعل الكثير حينما يكون الفريق فريقا قويا ومخلصا ويريد أن يقدم الكثير للبلاد، فكما نفكر بالرجال المرشحين والنساء المرشحات، علينا أن نفكر بالقائمة المناسبة لهذه المسؤولية الكبيرة.

علينا أن نأخذ بنصائح مراجعنا العظام وندقق في الاختيار، وهناك من المواطنين من يخرج إلى صندوق الاقتراع وهو لا يعرف لمن يريد أن يصوت، يقول نصل إلى الصندوق ونرى واحدا ونصوت له، هذا عدم اكتراث بمستقبل البلد، أيها المواطن، عليك أن تتفحص وتسأل وتستشير، واسأل من تثق بدينه ليعرّفك بمن هو الأقدر والاكفأ، واذهب وأنت عارف لمن تريد أن تصوت، واذهبوا وأنتم على طهارة، لأن هذه عبادة، فحين يشارك الإنسان بمصيره ومصير شعبه ومصير بلده فهذه عبادة، ويجب أن نذهب ونحن على طهارة حتى نتقرب إلى الله بهذا العمل.

استغلال أموال الدولة وإمكاناتها

يجب الحرص على عدم استغلال الإمكانات الحكومية لصالح هذا المرشح أو ذاك وهذه القائمة أو تلك، ويؤسفنا أن نقول إنه في مرحلة الحملة الانتخابية هناك من يقدم منحا وعطايا من أموال الدولة، وهناك من يعِد بتعيينات، وهناك من يجمع ملفات، والسؤال؛ لماذا تذكرت اليوم أن توفر فرص التعيين وأن تجمع الملفات؟، إذا كنت مسؤولا منذ أربع سنوات فلماذا تذكرت اليوم؟، وإذا لم تكن مسؤولا فمن أين تعرف أنك ستُمنح الثقة وستكون مسؤولا وسيكون لك القدرة على تعيين الناس؟، لماذا تغرر بهم وتأخذ ملفات وغدا لن تستطيع أن تفي بهذه الالتزامات؟.

الشعب لا يُخدع بمثل هذه الجولات والحركات الاستعراضية، ونسمع الكثير من الاستهجان الشعبي لمن يقوم بمثل هذه الأفعال، ما إن دخلنا في الحملة الانتخابية حتى بدأ تدشين وافتتاح المشاريع، تعليمية وصحية وسكنية، والسؤال الذي يطرحه المواطن العراقي اليوم، كيف تم الانتهاء من كل هذه المشاريع في وقت واحد، وفي وقت الحملة الانتخابية بالتحديد؟، أين كنتم خلال أربع سنوات، حتى يكون تدشين المشاريع في الحملة الانتخابية؟، هل يعتقد البعض بأن هذا سيضيع على المواطن، وأن المواطن لا يفقه ولا يعرف؟.

نحن نراهن على وعي أبناء شعبنا، ومثل هذه الخطوات لا يمكن أن تؤثر في الرأي العام، وإننا اليوم بحاجة إلى المروءة السياسية في هذه الحملة الانتخابية، ليقف كل فريق وتقف كل قائمة ويقف كل مرشح ويقول: هذا أنا وهذا برنامجي وهذه خطتي وهذا ما أريد أن أقدم للمواطنين، أما استغلال مؤسسات الدولة وإمكانات الدولة ومشاريع الدولة للترويج لهذا أو ذاك من الناس فهذه ليست القضية الصحيحة التي تقتضيها المنافسة الشريفة.

دعوات تأجيل الانتخابات

هناك من يتحدث عن تأجيل الانتخابات في بعض المحافظات متذرعا بالظروف الاستثنائية التي تمر بها هذه المحافظات، إننا نعتقد بأن الانتخابات هي العمود الفقري للنظام الديمقراطي، وإذا تلاعبنا بتوقيتاتها وباجرائها لأي سبب من الأسباب، فنكون قد خاطرنا بالنظام الديمقراطي الذي بذلنا الغالي والنفيس من أجل تأسيسه وتشييده، وإذا قبلنا تأجيل الانتخابات في أي محافظة لسبب طارئ أو مشكلة أو عارض استثنائي هنا أو هناك، فهذا سيعطي الذريعة لكل مسؤول في كل دورة انتخابية إذا رأى الجو العام ليس له، أن يخلق أزمة يوم الانتخابات أو قريبا منها ويقول هذه المحافظات فيها أزمة ولا يمكن إجراء الانتخابات ليحتفظ بموقعه، وهذه ليست ظاهرة صحية.

إذا كانت بعض المحافظات تواجه ظروفا استثنائية فهذا دليل إضافي على ضرورة الإسراع بالانتخابات في وقتها المحدد، حتى يذهبوا إلى صناديق الاقتراع ويختاروا الحكومة المحلية التي توفر لهم الخدمات وتعالج لهم المشاكل، ليتخلصوا من الظروف الاستثنائية التي يعيشونها. إن على الجميع أن يتخلى عن ثقافة التأجيل والمقاطعة ويتحلى بثقافة التعجيل والمشاركة، كائنا ما يكون ذلك العذر الذي نقدمه لتأجيل الانتخابات، وإذا كان لدى لبعض ملاحظات حول الواقع السياسي فعلينا أن نمضي إلى الانتخابات

ونغير هذا الواقع من خلال التصويت لمن نعتقد بأنه الكفوء والقدير، الذي يتمكن من حل هذه الإشكالات.

إن التغيير في الأنظمة الديمقراطية يجب أن يتم من داخل المنظومة وليس من خارجها، وهذا هو السياق ولا طريق لتغيير في البلاد إلاّ من خلال المنظومة الديمقراطية نفسها، فلنذهب جميعا إلى صناديق الاقتراع لنقول كلمتنا، فإذا كنا راضين عن الواقع الفعلي الخدمي في المحافظات نجدد الثقة لهذا الفريق الذي يدير، أيا كان هذا الفريق وفي أي محافظة، وإن كنا غير راضين فلنذهب ونمنح الثقة للفريق الذي نعتقد بأنه قادر على مساعدتنا وحل مشاكلنا، حتى يأتي ويحل مشاكلنا، ولا أحد يفكر بالتغيير خارج إطار المنظومة التي وضعناها في نظامنا الديمقراطي.

نزيف الدم العراقي

شهدنا من جديد سلسلة من التفجيرات الإرهابية في الأسبوع المنصرم، ولا بد من التاكيد على أن الإرهاب في العراق ليس منتجا عراقيا، ولكنه عابر للحدود العراقية وقد استوطن العراق مع الأسف الشديد، فالشخصية العراقية شخصية مرنة متسامحة ولا تحب العنف ولا تحب القتل وتريد التعايش والمحبة والتسامح والوئام، وهذه هي التركيبة للإنسان العراقي، ولا يمكن للإرهاب أن يجد موطئ قدم حقيقيا له في هذا البلد الكريم، إن الإرهاب له جذور وخلفيات سياسية ولا نريد أن نتشكى، فإن التشكي لغة العاجزين وعلينا أن نتحمل مسؤولياتنا الكاملة وعلى المسؤولين عن الملف الأمني أن يتحملوا مسؤولياتهم كاملة في معالجة هذه الإشكالات وفي وضع حد لنزيف الدم المستمر للمواطن العراقي.

ذكرى حلبجة

في السادس عشر من آذار نشهد الذكرى السنوية لفجيعة حلبجة الجريحة، وفي مثل هذا اليوم استهدف النظام الصدامي مدينة حلبجة بالقنابل الكيمياوية، ليقتل الآلاف من أبناء هذه المدينة في لحظة، حيث تجمد الجميع بالطريقة التي كانوا فيها، وهذه قضية لم تحصل حتى في النازية، فإن هتلر قد قتل الكثير من الشعوب الأخرى انتصارا لشعبه، ولكن طاغية العراق قتل العراقيين وأبادهم بالقنابل الكيمياوية في هذه الجريمة والفاجعة النكراء.

شهيد المحراب أول الوافدين

وقد كان شهيد المحراب أول الوافدين إلى مدينة حلبجة بعد القصف بوقت قصير جدا، ليجد الشهداء والضحايا في الشوارع وفي الأزقة، وهكذا كان اهتمام شهيد المحراب بشعبه بكل مكوناته، ذهب وحضر ميدانيا ودخل إلى مدينة حلبجة في وقتها، لكي يطلع على هذه الجريمة النكراء عن كثب، وفي اثناء حضوره شهدت المدينة طلعة جوية أخرى وقصفا جويا آخر من النظام الطاغوتي آنذاك.

هكذا كان شهيد المحراب، وقد أخذ على نفسه أن ينتصر لشهداء حلبجة ولجرحى حلبجة، وشكّل لجنة عاجلة، وكان لي شرف ترؤس هذه اللجنة لمسح أولئك الجرحى الذين كانوا يعالجون في مستشفيات الجمهورية الإسلامية في أكثر من محافظة، وكانت الجمهورية الإسلامية الدولة الوحيدة التي احتضنت الجرحى ونقلتهم إلى مستشفياتها بالطائرات في مختلف المحافظات الإيرانية، وشخصيا كان لي شرف الذهاب إلى كل تلك المستشفيات والاطلاع على أحوال أولئك الجرحى وتوثيق ما تعرضوا له من استهداف ظالم، وأيضا توثيق من استشهد في الطريق أو في داخل المستشفيات والذي دُفن في ما بعد نتيجة هذا الاستهداف الظالم، وكذلك عزيز العراق أخذ على نفسه الانتصار لقضية حلبجة كالانتصار للمقابر الجماعية ولكل ضحايا الجرائم الأخرى التي اُرتكبت بحق الشعب العراقي في الأروقة الدولية وفي منظمات حقوق الإنسان، وكان يذهب بنفسه ويتحدث عن حلبجة وعن المأساة التي تحمّلها أبناء حلبجة وأبناء الشعب الكردي الكريم.

شركاء المحنة

وليعرف العراقيون جميعا أن أبناء كردستان الغيارى تحملوا الكثير من المعاناة من الأنظمة الديكتاتورية، كما تحملها أبناء الجنوب وكما تحملها العراقيون في كل مواقعهم، وهكذا نشترك في المظلومية والتأريخ والدماء، وفي الهمة والوقفة الحقيقية لبناء هذا الوطن على أسس صحيحة تطمئن الجميع. إن علينا أن نضع كل التطمينات والضمانات التي تمنع تكرر مثل هذه الجرائم النكراء ضد الإنسانية في هذا البلد الكريم، كما نترحم على أرواح أولئك الشهداء الأبرار الذين قضوا في واقعة حلبجة في ذلك اليوم الحزين والمؤسف، ونتمنى الاّ تتكرر مثل هذه الجرائم، ونشيد بمتحف مهم وُضع في حلبجة لاستذكار تلك الحادثة وترسيمها كما هي، وحين يذهب المرء إلى حلبجة ويرى ذلك المتحف يشعر بالدهشة لحجم الواقع الفني في ذلك المتحف، ونتساءل: إن العراق مليء بالمقابر الجماعية، فأين المتاحف من هذا النوع لمقابرنا الجماعية

وشهدائنا وتضحياتنا والإنجازات العظيمة التي قدمها أبناء شعبنا في المنطقة الغربية وفي جنوب العراق، ولا بد من أن نجد مثل هذه المتاحف على أكثر من صعيد.

١٥ آذار يوم المدينة العربية

في الخامس عشر من آذار نعيش يوم المدينة العربية، وهو يوم نستذكر فيه أهمية المدن والحفاظ عليها ودورنا في بناء هذه المدن البناء الحضاري، وإبقاء اللمسة التراثية في مدننا العريقة، والاهتمام بنظافة المدن وتثقيف أبنائنا وصغارنا وكبارنا على أن نبقي المدن نظيفة، والاهتمام أيضا بالتشجير والطبيعة والبيئة، وهذه قضايا تخدم الإنسان وتساعد على وجود بيئة نظيفة ومدن جميلة، وهذا ما يجب أن نحرص عليه، ولاسيما أننا في بداية فصل الربيع، وهو فصل الطبيعة الكريم والطيب، ولا بد من أن نرفع هذا الشعار دائما؛ أن مدينتي هي بيتي، وهذه يجب أن تتحول إلى ثقافة، أن مدينتنا بيتنا، ولا بد من أن نحرص على نظافتها وتحسين وضعها وتشجيرها، وعلى بيئة نظيفة وعلى تعامل طيّب بين أبنائها والحجم الواسع من السكان فيها، ولاسيما مدينة بغداد العامرة التي نحظى بالسكن فيها، وفيها ٧ ملايين مواطن، وهناك الكثير مما ينبغي فعله في المرحلة القادمة بإذن الله تعالى.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٥/٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِه مِنْ إِحْسَانِه إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِه الْمَؤونَات عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِه إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ))

انتهينا إلى المقطع ١٢ من هذه الوثيقة الإسلامية والتأريخية التي تتحدث عن الإحسان للرعية، أيها المسؤول، يا من تتصدى لموقع من مواقع المسؤولية، عليك أن تحسن لذلك الفريق وتلك المجموعة التي تتحمل المسؤولية تجاهها.

الإحسان إلى الرعية

يذكر أمير المؤمنين في هذا المقطع قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم»، أيها المسؤول، اعلم أنه لا يوجد شيء أهم في مسؤوليتك وإدارتك وفي تحقيق حسن الظن بالمواطنين، بمن أنت مسؤول عنهم، من بناء علاقة المودة والمحبة والثقة بين المسؤول والناس المسؤول عنهم.

وهذا يتطلب القيام بالعديد من الخطوات حتى تتحقق هذه الثقة، منها إحسانه

اليهم ، فلابد من اعتماد سياسات حكيمة ورشيدة حتى يستطيع المسؤول أن يكسب ثقة الناس ، وهذه السياسات تعتمد على الإحسان وعلى بناء العلاقة الرصينة والواضحة بين المسؤول وبين هؤلاء الناس ، وبالقهر والقوة والسطوة والأوامر والنواهي لا تستطيع أن تدير شؤونك ومنظومتك القيادية ولا تستطيع أن تنجح ، فالإحسان إلى هؤلاء الناس والتقرب من قلوبهم هي المداخل الصحيحة التي يمكن أن توجد علاقة ثقة حقيقية بينك وبين أولئك الناس .

الأمر بالمستطاع

«وتخفيفه المؤونات عليهم» ، لا تثقل على الناس الذين أنت مسؤول عنهم ولا تحمّلهم أعباء كبيرة ، ولا ترفع الضرائب والإمكانات الكبيرة التي تأخذها منهم ، وأمير المؤمنين حينما يرسل مالكاً الأشتر وكأنه يستحضر تأريخ مصر وطبيعة التعاطي الذي عمل به الحكام قبل الإسلام من الفراعنة ومن بعدهم من الطغاة والظالمين ، وكيف كانوا يبتزون هؤلاء الناس ويضعون عليهم الضرائب الكبيرة التي كانت أحيانا تفوق كل إيراداتهم فيضطرون إلى أن يبيعوا بعض ممتلكاتهم ليسددوها إلى السلطان . إذا أردت أن تنجح في منظومتك الإدارية عليك أن تطالب بما هو ممكن ومنطقي ولا تحمّل الناس أعباء أكثر من طاقتهم ، ولا تطلب منهم إنفاقات وإمكانات مادية أكثر مما هو مستطاع لهم .

لا تكلفهم بما ليس من مسؤوليتهم..

«وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم» ، لا تطلب من الناس أن يقوموا بأعمال ومهام خارجة عن مسؤوليتهم وواجباتهم في إطار المجتمع ، وكان الفراعنة يأخذون الناس بالقهر والقوة ويضطرونهم للعمل في مجالات دون أن يعطوهم أجرا ، وكان البعض يُقتل أو يموت في أثناء العمل لحجم المشقة الكبيرة في مثل هذه الأعمال ، فكانوا يسخّرون الناس ، والسخرة بمعنى التسخير ، وتكليف الناس أعمالا كبيرة لا طاقة لهؤلاء الناس بها .

إذا أردت بناء علاقة رصينة بينك وبين الناس ، فاطلب منهم ما هو مسؤوليتهم وما هو واجبهم ولا تحملهم أكثر من واجباتهم ومسؤولياتهم ، «فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك» ، فإذا قمت بهذه الأعمال الثلاثة ؛ الإحسان وتخفيف الأعباء المالية وعدم إناطة المهام والواجبات الخارجة عن اختصاص هؤلاء الناس ، إذا قمت

بهذه الأمور ستستطيع أن تحقق حالة حسن الظن والثقة المتبادلة بينك أنت المسؤول المتصدي وبين عموم الناس.

الإضاءة الأولى/ الدور المحوري لحسن الظن

الثقة تحقق الراحة للحاكم والرعية

«فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا»، حسن الظن وثقة المسؤول بشعبه وبناسه تخفف عنه كثيرا من المتاعب والآلام والهواجس والمحن، والمسؤول الذي ليس لديه ثقة بجماعته، ورب البيت الذي ليس له ثقة بأسرته، ورئيس الشركة أو المصنع الذي ليس لديه ثقة بعماله وبموظفيه، والوزير الذي ليس لديه ثقة بالعاملين معه، والزعيم الذي ليس لديه ثقة بجمهوره، يعيش دائما حالة الهواجس والمخاوف من هؤلاء الناس ولا يعرف متى ينقلبون عليه، ومتى سيسحبون الامتيازات والوجاهات والموقع الذي يحتله أو الكرسي الذي يجلس عليه، فيكون في حالة من التعب والنصب النفسي والروحي والمعنوي، يا مسؤول أحسن الظن بمن أنت مسؤول عنهم، وابنِ جسور الثقة معهم لتشعر بالراحة والثقة.

«وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده»، أولئك الناس تمت تجربتهم ورأيت منهم الالتزام، فإذا نجحوا في الاختبار، إلى متى تبقى تعيش هواجس المؤامرات؟، لا يمكن أن تبقى دائما في علاقتك مع هؤلاء الناس تنطلق من منطلقات التآمر والكيد بك، فستبقى قلقا، وماذا على هؤلاء الناس أن يقدموا ليثبتوا حبهم لهذا الوطن، وليثبتوا وطنيتهم، وإلى متى يبقى موضوع الوطنية لهؤلاء الناس مشكوكا به؟، اختبرهم مرة وأخرى، ولكن ضع حدا لذلك وثق بشعبك وجمهورك، ثق بمن أنت مسؤول عنهم حتى تمضي العجلة وتشعر بالراحة، وكي تستطيع أن تبني علاقة صحيحة مع هؤلاء الناس.

«وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده»، الذي تختبره ولا ينجح بالاختبار والذي تحمّله مسؤولية ولا ينجح بها، والذي تؤمنه على شيء ولا يؤتمن على هذه الأمانة، هذا الإنسان من حقك أن تسيء الظن به، ولا نقول لك إن الجميع سواسية في الثقة، لكن المساحة الواسعة من الناس والأصل في الجمهور أنه موضع للثقة، والأصل في المجموعة التي أنت مسؤول عنها أنهم أناس طيبون، فهذا هو الأصل، وحينما تختبر ويتبين لك أن فلانا أو فلانا من الناس ليس أهلا للثقة فهذا هو الاستثناء، ووجود

استثناءات لا يجعلك تنظر للناس كلهم على أنهم متآمرون وعلى أنهم يكيدون بك، لأن هذا لن يجعلك في مناخ يمكّنك من النجاح في إدارة منظومتك القيادية.

الثقة الواعية

يا مسؤول، عليك أن تثق، ولكن لا تثق ثقة عمياء، بل افتح عينيك واختبر وأعط الفرصة للجميع أن يعبروا عن مكنونهم، حتى ترى أن الغالب من الناس سينجحون في الاختبار. إن الأساس في الناس أن يكونوا أهلا للثقة، ومن لا ينجح يمكن أن يكون لك معه موقف آخر، هذه الرؤية رؤية موضوعية ومتوازنة وواقعية، فيها الثقة وفيها حسن الظن وفيها علاقات إنسانية حميمة، وفيها أيضا حذر من النتوءات والاستثناءات والشواذ الذين لا يستحقون الثقة. إن الدرس الذي يمكن أن نستفيده من هذه الكلمات الكريمة والقاعدة، هو موقع حسن الظن ودوره في بناء العلاقة بين المسؤول والمنظومة القيادية التي يتحمل المسؤولية تجاهها صغيرة كانت أم كبيرة.

أهمية العلاقة الإنسانية

لهذا تبين أن من أهم أدوات النجاح في العمل وفي المنظومة القيادية وفي الأداء القيادي هي حالة الثقة وجسور المودة وبناء الثقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، وهذا من أهم المفاتيح لتحقيق النجاح، فإذا أردت أن تنجح فابنِ علاقة الثقة، وهذه مشكلتنا؛ إذ نصرف وقتا طويلا في تشريع ضوابط وإجراءات ولا نعطي القليل من الوقت للعلاقات الإنسانية، ونصرف وقتا طويلا لوضع تصور عن التوبيخ والعقوبات الاحترازية التي تجعل الجميع يخشى ويرتجف من المسؤول، ولا نعطي القليل من الوقت لأن يجلس المسؤول مع منظومته القيادية ومع الناس المسؤول عنهم، ويصغي لهم ويتحدث معهم، ليحبهم ويحبوه، وسيعالج الكثير من الأمور.

حب الموظف للمسؤول واحترامه له يجعله يركض ويسارع ليكون في أول ساعات الدوام في موقعه ويقدم الخدمة للناس، وليس القلق من قطع الراتب والإجراءات والعقوبات الإدارية نتيجة التأخير، ولو نجحت يوما أو يومين أو ثلاثة فالجميع سيكل ويمل، لكن العلاقة الإنسانية الصحيحة هي التي تستطيع أن تُنجح العمل، في قبال ذلك التجربة الخاطئة في الأنظمة الفاسدة التي لم تُبنَ على أسس صحيحة، والتي تكون حالة سوء الظن وأزمة الثقة كبيرة جدا فيها بين المسؤول والعاملين معه، وكل يتربص بالآخر، وكل يسجل نقاطا على الآخر، وكل يريد أن ينكل بالآخر. لن تنجح المنظومة، وفي

ظل منظومة كهذه لا أحد يريد النجاح للآخر، وكل يريد أن يفشل الآخر حتى يقول إنه ليس أهلا للمسؤولية، وتنشأ علاقة خصومة وجدل وصراع، ومثل هذه العلاقة لا تستطيع أن تُنجح أي منظومة قيادية.

فقدان الثقة مقدمة للفشل والانهيار

في مثل هذه الأجواء، فإن الحاكم يرى الناس كلها تتآمر عليه، والناس تجد الحاكم في عالم آخر بعيد تماما، وتشتد عزلة الحاكم، ويشتد اصطفاف الناس ضد الحاكم والمسؤول في أي مستوى من المستويات، وقد أصبحنا نرى على شاشات التلفاز، مدير دائرة في المحافظة الفلانية وموظفين في تلك الدائرة خرجوا مسيرة احتجاجية وهم يرفعون لافتات تطالب بإقالة المدير الفلاني. أمس كنت أتابع تقريرا في إحدى الفضائيات حول هذا الموضوع، لماذا؟، يقولون جاءنا المدير العام يزور ناحية أو قضاء صغيرا، وعندما دخل ورأى المكان قال أنتم لستم بشرا ولا تستحقون أن آتي إليكم وخرج بعدها، يا مسؤول، من منطق (أنتم لستم بشرا) كيف ستدير هؤلاء الناس؟، يصبح ما يصبح ولا يستطيع أن يخدم، ولو قدموا شكوى إلى محكمة وحكمت لصالح المسؤول هل ستحل المشكلة؟، لا تحل، فقد خلقت أزمة حقيقية نتيجة كلمة كسرت قلوب هؤلاء الناس نتيجة سلوك غير موفق.

لذلك، فإن العلاقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم في المنظومة القيادية، تكون دائما علاقة مرتبكة حينما لا تعتمد على الأسس الصحيحة، فحينما لا يعتمد على مبدأ الثقة يبقى الشك دائما بين المسؤول وهؤلاء العاملين، وجزء كبير من الوقت والجهد للمسؤول ولاولئك العاملين يُصرف في المهاترات والمشاكل الداخلية، وتبتعد هذه المنظومة عن أهدافها المتوخاة، فبإخافة الناس ورصد تحركاتهم والاستماع لمكالماتهم، لا يستطيع أحد أن يوجد منظومة صحيحة للحكم والإدارة، لا يستطيع أبدا، فترون كم تتطور وسائل هذه المنظومات الاستخبارية، من تنصت وملاحقات وعيون تزرع، وقد عشنا هذه الحالة في الأنظمة الدكتاتورية قبل ٢٠٠٣، وأصبح الإنسان لا يثق بأقرب الناس إليه، ولا يعرف أين العين المزروعة التي يمكن أن تنقل الكلام، ويحصل ما يحصل.

مهما اشتدت هذه الأمور، فمن الممكن أن تزيد من عمر المنظومة الإدارية القيادية يوما أو يومين أو شهرا أو شهرين أو سنة أو سنتين، لكنها ستنهار بالكامل بعد ذلك، فهذا ليس هو الأساس الصحيح الذي يمكن أن يوجِد منظومة قيادية ناجحة.

الثقة قرين المحبة والنجاح

يقول أمير المؤمنين في غرر الحكم: «من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة»[٣٢]، كيف تحبك الناس إذا لم تثق بهم، فيجب أن يروك منفتحا عليهم واثقا بادائهم معتمدا على سلوكهم وأدائهم، حتى تجد منهم المحبة ويبادلوك بها، وهذه قضية فيها طرفإن ولا يمكن أن تكون من طرف واحد، أيها المسؤول، إذا أردت أن يحبك الفريق الذي أنت مسؤول عنه، فراجع نفسك وانظر هل تحترمهم وتقدرهم وتثق بهم أو أنت خائف منهم؟.

إذا كنت تريد أن يرتاح قلبك ويُنفّذ أمرك ويتحقق، فعليك بغرس حسن الظن تجاه من تأمره ومن أنت مسؤول عنه.. ابنِ هذه العلاقة الصحيحة نفسيا وسوف ترتاح، ولن يغدروا بك لأنك واثق منهم وحمّلتهم المسؤولية وبادلتهم المحبة، ليس بشكل أعمى ولكن بعد الاختبار كما ذكرنا، وشخّصت أن الغالبية منهم يستحقون الثقة، فأعطهم الثقة ليبادلوك بها وتستريح نفسياً ولا تبقى لديك هذه المخاوف، وتُنفّذ أوامرك أيضا.

حسن الظن يساعد على اكتشاف الطاقات والمواهب وإعطاء كل ذي حق حقه، وإعطاء الكفاءات فرصها ودورها في البناء، لا تكن خائفا من الناس فلا تستعين إلا بالمقرّب منك، فالذي يحمل الولاء الخاص لك ليس بالضرورة هو أكفأ الناس، فتصبح بين خيارين؛ إما أن تستعين بالاكفأ أو الأقرب، وستختار الأقرب إذا كنت خائفا من الناس، لكن إذا كان لديك حسن ظن بهم، فستختار الكفوء الذي يستطيع أن يُنجح العمل، وإذا كنت مخلصا في عملك، وإذا أعطيته الثقة، فسينشد لك ويحترم اختيارك له.

أقول للقوى السياسية الكريمة، لاحظوا المستقلين الذين وضعتم فيهم الثقة وجعلتموهم في مجلس النواب أو في وزارة أو في دائرة أو أو... الخ. راجعوا انفسكم وانظروا كم من هؤلاء كانوا جديرين بالثقة، وكم منهم لم يكونوا كذلك، وسيتبين لكم أن الغالبية العظمى من هؤلاء كانوا جديرين بالثقة وحققوا نجاحات باهرة وقدموا لكم من العمل والأداء ما حسّنوا به صورتكم أمام الناس، أكثر من أناس لصيقين بكم.

٣٢. غرر الحكم ٥: ٣٧٩، الرقم ٥٣٣١. عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٥.

حسن الظن منهج إسلامي

هذا المنهج الإسلامي، منهج الثقة واحترام الآخر، منهج اختبار الناس، فمن ينجح في الاختبار ويثبت أنه قادر على الأداء، يجب أن يُولّى الثقة ويُحمّل المسؤولية، هذا المنهج يجعل المسؤول ينفتح على الناس من الطاقات والكفاءات الكبيرة ولا يبقى منحصراً في دائرة ضيقة.

في درر الحكم: «الرجل السوء لا يظن بأحد خيرا»[٣٣]، حينما يكون هو سيئا، يسيء الظن بالآخرين، لأنه لا يراهم إلا بوصف نفسه، فهو سيئ ويعرف سريرته، فحين ينجح أحدهم بالاختبار، ويُكلّف بعمل ويؤديه بأفضل ما يكون، يقول هذا يؤتيك من طرف اللسان محبة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب!، وهو ليس بهذه الشاكلة، لكن السيئ لا يستطيع أن يرى إلا نفسه، وتراه يجامل الآخرين ويبتسم بوجوههم ويبادلهم الكلمات اللطيفة، لكنه بالواقع يضمر شيئاً آخر، فلا يستطيع أن يصدّق أن هناك فردا يتكلم بهذه الكلمات ويعنيها ويقصدها، لأن المشكلة فيه، فهو يعيش في وجوده وفي نفسيته الحالة الظلامية ولا يستطيع أن يرى النور في قلوب الآخرين ونفوسهم ونواياهم.

انظروا إلى تحليل أمير المؤمنين عليه السلام، فالشرير أيضا لا يظن بأحد خيراً، لأنه لا يراه الا بطبع نفسه، ولا يستطيع النظر للآخرين بنية الصلاح وبالنية الصادقة في العمل، ولذلك يتحمّل المسؤول المسؤولية الأكبر في خلق هذه الأجواء، وفي هذا المنطق الإسلامي اينما وجدت المنظومة مرتبكة حمّل المسؤول أولاً، لأن هذا بفعله، ولو تعامل بشكل صحيح بحكم تعامله ومسؤوليته، لكان يستطيع أن يُوجد فضاءً جديداً ومناخاً جديداً فيه الثقة والمحبة والنخوة والتداعي للخدمة واستثمار الطاقات وتوظيف الكفاءات إلى غير ذلك، وما دام هذا لم يتم، فالمشكلة في المسؤول، لأنه خائف ومرعوب ولا يستطيع الانفتاح وإعطاء الثقة للآخرين، ولا يستطيع التجربة، وإذا جرب فمهما كانت نتائج التجربة إيجابية يبحث عن مبررات أخرى، فيبقى دائما منغلقا على نفسه ومحجما بدائرة ضيقة من الناس المحيطة به. هذا درس مهم من الدروس التي نستفيدها من هذا المقطع من عهد مالك الأشتر، وللحديث صلة ودروس أخرى يمكن أن نستفيد منها سنتحدث عنها في الأسابيع المقبلة بإذن الله تعالى.

٣٣. درر الحكم ٢: ١٥٠. غرر الحكم: الرقم ٥٦٦٧.

وقفة تطمين للشعب العراقي

لقد قدمنا دعوتنا قبل أسبوع لوقفة رمزية لقادة القوى السياسية والدينية والمكونات المتنوعة للشعب العراقي، من أجل إرسال رسالة تطمين للشعب العراقي من جهة، ورسالة تحذير للقوى الظلامية التي تعتاش على الصراعات بين أبناء الوطن الواحد من جهة اخرى.

وإننا نثمن عالياً المواقف الشجاعة والنبيلة والمخلصة التي تنادت إلينا من مختلف الجهات والقوى العراقية، والتي أبدت حرصها ودعمها ومشاركتها في هذه الوقفة الرمزية، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على أن القوى السياسية والشخصيات الدينية والاجتماعية مدركة تماما لحراجة المرحلة، وحساسية الظروف التي يمر بها العراق والمنطقة.

وإننا بدعوتنا هذه إنما سعينا إلى كسر الجمود، وتأكيد الاتفاق على الثوابت التي لا يختلف عليها أحد، فوحدة الشعب العراقي وأرضه وسيادته، وحرمة دم أبنائه ونبذ الطائفية، هي الثابت المقدس للجميع الذي يتفق عليه الجميع دون استثناء.

وسيكون الاجتماع قريبا بإذن الله خلال الأيام القليلة القادمة، وإن الأحداث الأليمة الأخيرة والتفجيرات المتلاحقة التي راح ضحيتها المئات من العراقيين بين شهيد وجريح في سلسلة من العمليات الإرهابية والإجرامية التي تُدمي القلب، أثبتت مرة أخرى ضرورة هذا اللقاء وأهمية الواقع النفسي والمعنوي لحدوثه على أبناء الشعب العراقي... ولا بد من أن أخص بالذكر المكّون التركماني في محافظة كركوك وفي قضاء طوز خورماتو، الذين نُكبوا لمرات عديدة واُستهدفوا لانتمائهم القومي والمذهبي.

ونؤكد اليوم مجددا، أننا لا نشترط مكانا معينا أو عنوانا محددا لهذا اللقاء.. وإننا نقوم بواجبنا ونتحمل مسؤولياتنا أمام التأريخ بغض النظر عن الاعتبارات السياسية والشخصية الآنية، فيمكن أن يكون تحت قبة البرلمان أو تحت سقف مقر مجلس الوزراء أو في أي مكان يختاره الإخوة.. وبالتأكيد فإننا مستعدون لإقامته هنا في مقرنا المتواضع.

ليس المهم المكان، ولكن ما هو في غاية الأهمية التوقيت والزمان.. لأن الحاجة الفعلية تدعونا وبشدة إلى التواصل بيننا بمختلف الطرق.

إنها وقفة رمزية أيها الإخوة والأخوات، وموقف موحد ضد الإرهاب والعنف

والحرب الطائفية، ولكن سيكون لهذه الوقفة الرمزية ارتدادات إيجابية ستنعكس على مجمل الوضع العراقي.

بين حرية الإعلام والتحريض

من المؤسف جدا أن نرى بعض القنوات الإعلامية قد بدأت تتحرك على إيقاعات التحريض والفتنة، وهذا ليس إعلاماً، والذين يقفون خلف هذه القنوات بعناوينهم الاجتماعية أو السياسية أو الإعلامية إنما يعبرون عن حقيقة أفكارهم وشخصيتهم من خلال الإعلام الذي يتبنونه.

إن التلاعب بنفسية الشعب يجب ألا يُعتبر إعلاما واقعياً، والاستهانة بمصير الوطن يجب ألا يُعتبر إعلاما حراً.

فالحرية الإعلامية تعني أن تعمل بدون قيود، لا أن تعمل بدون أخلاق أو وطنية!.. أين الشرف الوطني من نهج بعض القنوات التي نراها ونسمعها وهي بكل جرأة تروُج الأكاذيب والإشاعات؟.

ألا يعتبر الاعلام المضلل نوعا من أنواع الإرهاب الفكري والنفسي؟.

وبدلا من أن تقوم هذه القنوات بمد الجسور بين أبناء الشعب، نراها تتسابق بعقد اللقاءات وأخذ التصريحات من الطائفيين والمتلاعبين بمصير الوطن والمواطن بغض النظر عن طائفتهم أو قوميتهم أو مناطقيتهم، لأن الفكر الظلامي واحد وإنْ اختلفت عناوينه...

إنه عار ما بعده عار عندما تتحول أي قناة إعلامية إلى مجرد آلة رخيصة لنشر الموت العراقي، ونشر الكراهية بين العراقيين، وإنه تغييب للشرف الوطني عندما يعمل الداعمون لهذه القنوات والعاملون فيها على التلاعب بمصير الشعب من أجل الإثارة الرخيصة، واستحضار العصبية الطائفية أو القومية المقيتة...

إنني ومن هذا المنبر أقول لجميع القنوات الإعلامية التي تتاجر بالدم العراقي.. إن المستقبل مع الذين يزرعون الأمل والخير وليس مع الذين يبشرون بالموت والحقد والكراهية... وإن الشعب والتأريخ لن يسامحا هذه القنوات.

ونحن مع الحرية الإعلامية المهنية، ولكننا نقف وبحزم ضد الاستهتار الإعلامي بمستقبل هذا الوطن ووحدة هذا الشعب.. نحن مع النقد والانتقاد، ومع المحاسبة

والمراقبة، ومع الفكر والفكر الآخر، ومع المعلومة والمعرفة والتحليل، ولكننا لسنا مع الذين ينحازون إلى الإرهابيين والخارجين عن القانون والمجرمين، ولسنا مع الذين يروّجون الأكاذيب ويضخمونها ويبتزون الشعب العراقي.

نتائج الانتخابات

الآن وقد تمت المصادقة النهائية على نتائج الانتخابات المحلية، فإننا جميعاً ندخل مرحلة جديدة ومختلفة، حيث توقف التنافس وبدأ العمل الفعلي لتشكيل حكومات محلية تتميز بميزتين أساسيتين وهما:

حكومات شراكة: حيث لا يمكن لأحد أن يشكّل حكومة محلية بمفرده أو حتى ضمن ائتلافه، ولذلك على الجميع أن يؤمن بمبدأ الشراكة لتشكيل الحكومات المحلية، وهذا مبدأ مهم سواء أحبها البعض منا أو أبغضها، لأنها قدرية سياسية لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها في هذه المرحلة، بل من المؤكد أن الذي يحاول أن يتجاوز الشراكة السياسية سيكون خاسراً في التنافس السياسي على المدى الآني والمدى المستقبلي القريب... وكلما وسّعنا قاعدة المشاركة وفّرنا فرص النجاح الأكبر لمحافظاتنا.

حكومات متجانسة: من أهم عوامل النجاح أن يكون الفريق متجانساً، وألا يكون المحافظ أسيراً لمجلس المحافظة، والعكس صحيح أيضا، أي يجب ألا يكون مجلس المحافظة غائباً عن الإشراف والرقابة على العمل التنفيذي للمحافظ وفريقه... ومن دون هذا التجانس ستبقى الحكومات المحلية تدور في حلقة من الفشل والاتهامات المتبادلة.

إذن، بدون الشراكة والتجانس لا يمكن لأحد أن يدّعي أنه قادر على تشكيل حكومات محلية ناجحة، ونحن من جانبنا نؤمن بهذا المبدأ، بكل المستويات، سواء كان على مستوى الحكومات المحلية أو على مستوى الحكومة الاتحادية وفي مجمل آليات العمل السياسي التنفيذي.

استحقاقنا الانتخابي واستراتيجيتنا

إن توجهنا الاستراتيجي في المرحلة القادمة، هو أننا سنأخذ حقنا الانتخابي بدون زيادة أو نقصان، وسندعم الجميع كي ينجحوا في أداء مهامهم، لأننا نؤمن بأن نجاحنا من نجاح الآخرين، وهذا المبدأ يصح في الحياة كما يصح في السياسة، فمن المستحيل أن ترى

ناجحاً يتمنى الفشل لأحد!! لأنه ناجح وواثق من نفسه وينظر إلى نجاح الآخرين كمحفز له لتطوير نفسه والتنافس من أجل المزيد من النجاح. . . بالإضافة إلى أنه في السياسة تأخذ القضية اعتباراً آخر، وهو الاعتبار الأخلاقي، إذ إننا نعمل من أجل خدمة الناس ونتقدم للمسؤولية من أجل أن ننال هذا الشرف، فإذا كنا لا نمتلك هذا الوازع الأخلاقي! فهذا يعني أن التنافس على المسؤولية هو من أجل الغنيمة ومن أجل المناصب.

نحن في ائتلاف المواطن نتمنى النجاح للآخرين. . . ونساعد الآخرين على النجاح وندعمهم. . حتى وإن لم يبادلونا هذا الشعور وهذه الأخلاقية السياسية، إلا أننا نلتزم بما نؤمن به، ولا تخضع مبادئنا لردات الفعل، لأننا صانعون للفعل دائماً ومسيطرون على ردات الفعل غالباً، رغم تقدمنا في الانتخابات المحلية، وإن هذا التقدم يجعل من تيار شهيد المحراب عموماً ومؤسساته خصوصاً الرابح الأول في الانتخابات، إلا أننا لسنا في رضا كامل عن النتائج، وأستطيع أن أقول إننا لسنا مقتنعين بالنتائج، لأنها لا تعكس حجمنا الجماهيري الحقيقي، ولا تعكس مقدار العمل الذي بذلناه في المرحلة السابقة، ونحن الآن نقوم بمراجعة كبيرة ودقيقة كي نعرف الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذه النتيجة، لأننا واثقون أننا نستحق نتائج أفضل بكثير.

التصحيح أساس منهجنا

إن مبدأ النقد الذاتي والتصحيح هو أساس الأسس في عقليتنا المنهجية للعمل، وفي رؤيتنا لتطوير الذات، ولسنا من الذين يفرحون بالانتصارات غير الكاملة، ويغطون الإخفاقات ويبررون، لأننا نسعى إلى التميز وإلى النجاح وإلى إكمال مشروعنا الذي بدأناه، وعليه فإننا نبقى دائماً في حالة مراجعة وتقييم. . . ونبقى دائماً في حالة نقد ذاتي بنّاء لأدائنا السياسي والانتخابي وأساليب تواصلنا مع الجمهور. قد يرى البعض أن هذا يمثل مبالغة في نقد الذات! ولكننا نراه حالة طبيعية جداً لأي تيار سياسي يعمل على أن يخدم شعبه ووطنه بالطريقة الصحيحة. . . ولكي نستطيع أن نقوم بواجبنا وعملنا بالطريقة الصحيحة علينا أن نراقب أنفسنا أولاً وأن نقيّم أداءنا دائماً، وأن نقيس النتائج بمقدار الجهد المبذول، ونتائجنا لا تساوي الجهد الذي بذلناه، ولهذا فإننا نقوم الآن بمراجعة وتقييم، وقد أكدنا دائماً أن المسؤول يُقيّم بنتائجه وليس بموقعه.

الحرب السورية

في محور الحرب السورية، ونقول الحرب السورية وليست الأزمة السورية، لأنها فعليا أصبحت حرباً مفتوحة، وغادرت مفهوم الأزمة منذ وقت طويل، في هذا المحور نسمع عن بوادر زحف هذه الحرب عسكرياً على مقربة من الحدود العراقية، وفكرياً ومذهبياً إلى داخل نسيج المجتمع العراقي.

وهنا علينا أن نضع الأمور بموضعها الصحيح وحجمها الطبيعي، وقد أكدنا سابقا أننا مع حق الشعوب في العيش بحرية وكرامة، ونحن كشعب عراقي ندرك جيدا ماذا يعني الاستبداد، وقد حذرنا الجميع منذ وقت طويل من أن هذا العصر هو عصر الشعوب الحرة، ولكننا في الوقت نفسه لسنا مع تدمير الدولة السورية وذبح الشعب السوري على الهوية، ولا يمكن أن تُحصر خيارات الشعب السوري بين ناري الاستبداد أو الإرهاب والظلام.

إن الفكر المنحرف لا يستطيع أن يُصلح السياسة المنحرفة، وكلما طالت هذه الحرب فإنها ستصبح أكثر بشاعة وطائفية، وستتحول إلى مستنقع تنمو فيه الأفكار المتطرفة والمنحرفة من مختلف الاتجاهات.

وأول خطوة في إيقاف الحرب في سوريا هي أن تكون الحلول واقعية، وأن يتم التعامل مع القوى المؤثرة في هذه الحرب بواقعية، فاليوم يتم الاستعداد لمؤتمر جنيف ٢ وتُدعى دول من كل بقاع الأرض لهذا المؤتمر وتُستبعد إيران!، والجميع يعرف أن بين إيران وسوريا حلفاً استراتيجياً منذ سنوات طويلة والعلاقة بين البلدين علاقة متداخلة منذ أكثر من ثلاثة عقود، فأي عقلية هذه التي تحاول أن تعقد مؤتمراً لحل مشكلة وإيقاف حرب وتستبعد أحد الأطراف الأكثر تأثيرا ونفوذا في هذه المشكلة؟!، أي سياسة هذه وأي واقعية؟، وعلى الجميع أن يتذكر أن الحرب الأهلية اللبنانية تم إيقافها في مؤتمر الطائف.. وليس في مؤتمر جنيف أو باريس أو واشنطن.

ونحن من وجهة نظرنا، فإن حل المشكلة السورية يتم بالتفاهم الإقليمي، وإن الحل يجب أن تشترك فيه اسطنبول وطهران والرياض والقاهرة وبغداد، ومن دون هذه العواصم الخمس فإن الحرب السورية سوف يطول أجلها وسيثبت المستقبل القريب وجهة نظرنا.

نتمنى أن يتم التعامل بواقعية مع الحرب السورية من قبل جميع الأطراف، قبل فوات الأوان. إن الشعب السوري الشقيق لا يستحق هذه المأساة التي أصابته، وإن الدولة السورية يجب ألا تنزلق إلى مرحلة الانهيار، لأنه متى ما انهارت الدولة فإنه سينهار كل شيء وليس النظام وحده.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢١ /٨/ ٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ برَعِيَّتِه مِنْ إِحْسَانه إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِه الْمَؤونَات عَلَيْهِمْ وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهه إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ برَعِيَّتِكَ))

لا يقل أحد لماذا نصرف هذا الوقت الطويل ونتحدث عن النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة، فيما هي أبحاث تخص القادة وكبار المسؤولين؟.. لنجمع الوزراء ونتحدث إليهم وليس إلى عموم المواطنين، لا.. إنها قضية ترتبط بنا جميعا، وحتى ما يرتبط بقادة البلد والوزراء، فحينما تكون الثقافة العامة ثقافة المعرفة التفصيلية لطبيعة هذه العلاقة، فكل مواطن سيعرف حقوقه وواجباته والتزاماته تجاه المسؤول وتجاه قيادة البلد. إذن، هذه المعطيات والمعلومات مفيدة لنا جميعا في أي مستوى من المستويات كنا، وفي أي عمل نعمل.

تحدثنا في اللقاء السابق عن الإضاءة الاولى في هذه العبارات ذات المداليل العميقة التي يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكرنا الدور المحوري والكبير لحسن الظن في العلاقة بين المسؤول والمواطنين وشرحنا هذه القضية بنصوص كثيرة.

الإضاءة الثانية/ الثقة المتبادلة

كيف نحقق الثقة المتبادلة بين الحاكم والمواطنين. . بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم؟. . يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثلاث طرق لتعزيز الثقة بين المسؤول، ومن هو مسؤول عنهم، إذ يقول:

أولا / «واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه اليهم».

الإحسان والشفقة واللين. يقول البعض إن أجهزتنا الأمنية تقوم بعملية سموها «ثأر الشهداء»، وهذا شيء جيد أن نثأر لشهدائنا، ولكن لو قلنا شيئا ليس فيه ثأر وامثال ذلك، قد تكون الرسالة أكثر إيجابية لغير الأشرار. كيف نشعر المواطن بأننا لا نشمت به ولا ننتقم منه وننتصر له حتى لو كانت الإجراءات مزعجة. على المسؤول أن يقنع المواطن أن الإجراءات لمصلحته وليس للتنكيل به. هذا الإحسان في العلاقة أمر في غاية الأهمية.

ثانيا / «وتخفيف المؤونات عليهم»، تقليل الضرائب بالنسبة للوحات السيارات وغيرها من القضايا، لا تأخذ من الناس أموالا وضرائب تثقل كاهلهم وتضغط عليهم من خلالها. كنت في سفر إلى إحدى الدول العربية، وجاءني مؤمنون من تلك الدولة طالبين المساعدة، وتتلخص بطلبهم دفن موتاهم في وادي السلام بجوار علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، و الحكومة تأخذ من الإنسان الحي ٦٠ أو ٨٠ دولارا كتأشيرة للمجيء إلى العراق، ولكن التأشيرة للميت تصل إلى ٣٠٠٠ دولار حتى يمنحوهم تأشيرة ليدفنوا إلى جوار أمير المؤمنين، لماذا وما هي الحكمة؟!، هذه القضية والكثير من القضايا الآخرى. مثل الضريبة التي لا داعي لها. في السابق كانت هناك سياسات طائفية بغيضة، ولكن اليوم بعد عشر سنوات، يوجد في العراق مشروع وطني وليس فيه ظلم لأي من الطوائف، فلماذا يُظلم الناس من طائفة معينة إذا كانت لديهم رغبة في أن يدفنوا موتاهم إلى جوار علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كلما خُففت الأعباء على الناس تنشد وتندفع أكثر نحو المسؤول.

ثالثا / «وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم» وألا يضغط عليهم ولا يطلب منهم أمورا هي ليست من واجبات المواطنين، فإذا كانت لك سطوة وقدرة فهذا لا يعني أن تضغط على الناس لهذا السبب.

الطريق الأول / الإحسان

أنواع الإحسان:

– الإحسان من المسؤول إلى من هو مسؤول عنهم. . الإحسان في كل شيء. . الإحسان في تيسير اللقاء، فالناس تريد لقاء المسؤول أو من ينوب عنه حتى تطمئن أن هذه الشكوى والكلمة وصلت إلى المسؤول.

– البشاشة في التعاطي والتعامل، فالبعض يتصور نفسه أحسن من بقية الناس فيرفع صوته ويذل الناس.

– الإحسان بتقديم الخدمة، بأن تخدم الناس. أحد أعضاء مجلس المحافظة من كتلة المواطن أخبرني أنه شخصيا يتحرك في منطقته الانتخابية ويطرق الأبواب للبحث عن رجل كبير أو مُقعد بحاجة إلى خدمة معينة أو إصدار هوية أو جواز، ويقوم بأخذها بنفسه أو يكلف أناسا آخرين، فقلت له جزاك الله خيرا، وسوف أدعو لك دعاء خاصا بنصف الليل، فأنت تُشعر الناس أنهم مخدومون وليسوا خادمين، هذا هو المنهج الصحيح والمطلوب.

– الإحسان بالتعامل المهني الصحيح. المسؤول يحسن حينما يضع الشخص الكفوء في موقعه الصحيح، وحينما يضع معايير يتعامل بها مع الجميع دون تمييز، بالتساوي أمام القانون.

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في غرر الحكم: «الإحسان محبة»[٣٤]، حينما تحسن إلى الآخر بابتسامة أو كلمة طيبة، أو بقيام حينما يدخل إلى المجلس، هذا القيام إحسان وتكريم وتقدير، إلى إنجاز العمل إلى أي حالة أخرى، فهذا الإحسان يوجب المحبة، فالإنسان عبد الإحسان، وحينما تحسن للإنسان تدخل محبتك في قلبه.

الاستطاعة توجب الإحسان

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه»، حينما تكون ميسور الحال بفضل الله، فكما أحسن الله إليك ورزقك عليك أن تحسن إلى الخلق، فإذا حصلت على مسؤولية فهي من الله وكذلك المال والوجاهة والتأثير، فهي

٣٤. غرر الحكم ١: ٣٨، الرقم ٨٨٠٩.

من الله تعالى وعليك أن تقابل إحسان الله إليك بإحسانك إلى بقية الناس، لأنك مسؤول أو ميسور الحال أو وجيه، والناس تقصدك لأن عندك مكانة خاصة، لهذه الأسباب عليك أن تكون أكثر من الآخرين في تعاملك وإحسانك إلى الناس.

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من كثر إحسانه كثر خدمه وأعوانه»[٣٥]، يصبح عنده أصحاب كثيرون.

هناك بعض الناس يكون رجل علاقات ومحبوبا في المنطقة، ويتفقد الناس ويسأل عن أحوالهم ولكنه لا يستطيع أن يدير مسؤولية أخرى، فالإحسان يُكثر من الأعوان الذين يحيطون بالإنسان الذي يحسن إليهم.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الإحسان ذخر»[٣٦]، من له إحسان فهو رأسماله، وبقدر ما تحسن للآخرين يكبر رأسمالك أو يصغر.

قابل الإساءة بالإحسان

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد لأغيظ عليهم من مواقع إساءتك منهم»، إحسانك إلى من يتهجم عليك ويسبك ويشتمك سوف تغيظه أكثر، فاذا كان مخطئا غافلا فسوف ينتبه ويرجع ويعتذر، وإذا كان مغرضا جاهلا ويريد أن يسيء إليك وعنده عقد نفسية وأمراض أخلاقية، فحينما تحسن إليه فسوف يتألم أكثر، «إن إحسانك إلى من كادك»، أضر بك وشتمك وآذاك، «من الأضداد والحساد»، معاند حاسد كتب عنك مقالا، ولكنك تتعامل معه بإحسان ولا تنزل إلى هذا المستوى وتتحمل، «لأغيظ عليهم»، هذا طريق للتقريع أكثر تأثيرا مما لو واجهته بمثل ما عاملك به، «لأغيظ عليهم من مواقع إساءتك منهم وهو داع لصلاحهم»[٣٧]، حينما يرى تعاملك معه سوف ينصلح، أما إذا كان التعامل عنيفا شديدا، فإن كان مخطئا وأنت تهينه عن عمد، فسوف يصعب عليه التراجع وتأخذه العزة بالاثم، وإن كان مغرضا فسوف يزداد باللجاج والخصومة وتشفي غليله بهذه الطريقة.

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن إلى المسيء تملكه»[٣٨]، تملك المسيء

٣٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٠.
٣٦. عيون الحكم والمواعظ: ٤٥.
٣٧. عيون الحكم والمواعظ: ١٥٦.
٣٨. عيون الحكم والمواعظ: ٨٣.

بالإحسان إليه وتجعله ينتبه إلى خطئه، وسوف يقول: أنا أسيء له وهو يحسن إليّ، وأسبه وهو يصبر على إيذائي ويمتحنني. هذا منهج في البناء والتربية والتزكية الاجتماعية.

الطريق الثاني / تخفيف الأعباء

في الكافي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «علامة رضا الله تعالى في خلقه عدل سلطانهم»، إذا كان حاكمهم عادلا معهم، فمعنى ذلك أن الله راض عنهم، وإذا لم يكن راضيا عنهم يسلط عليهم من لا يرحمهم، «ورخص أسعارهم، وعلامة غضب الله تعالى على خلقه جور سلطانهم وغلاء أسعارهم»[٣٩]، فإذا كانت الأسعار غالية والناس في عناء وليس بمقدورها شراء المواد، يجب أن نراجع أنفسنا خوفا من عدم رضا الله تعالى علينا حتى نعالج أخطاءنا.

الطريق الثالث/ عدم إكراههم على ما لا يتحملون من المهام

ألاّ يكرههم ويطلب منهم واجبات خارج واجباتهم والتزاماتهم. يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون»[٤٠]، في حرب صفين طلب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الجيش الخروج للحرب في جولة أخيرة، وأخبرهم أن الأعداء انهاروا وسوف ننتصر ولكنهم رفضوا، وأكد لهم أنها الجولة الأخيرة ولم يبق من الحرب إلا القليل، والعدو منهار، ولكنهم رفضوا بحجة رفع المصاحف، فقال لهم أنا الكتاب الناطق، أنا القرآن الناطق، أنا علي أقول لكم هذه خديعة، وإن رفعهم للمصاحف مكر، ولو كانوا يلتزمون بمضمون هذا القرآن لاتبعوني فلا تُخدعوا، ولكنهم رفضوا، لذلك قال لهم «أحببتم البقاء»، ولم يكن بيدي سوى النصح وجرى التحكيم وأفضى إلى الذل والهوان، ورجع الخوارج يقولون يا علي، لماذا قبلت بهذا التحكيم ولم تكمل المعركة، فقال لهم سبحان الله، لقد نصحتكم ووضحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين ولم تسمعوا كلامي.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولست أرى أن أجبر أحدا على عمل يكرهه»[٤١]، لأن هذا الإكراه ليس من السمات التي يمكن من خلالها للمسؤول أن يوطد العلاقة مع المواطنين.

٣٩. الكافي ٥: ١٦٢، ح ١.
٤٠. نهج البلاغة ٢: ١٨٧، الكلام ٢٠٨.
٤١. أنساب الأشراف: ١٦١، كتاب ١٨١.

متى ينتهي الإرهاب؟

مع الاسف الشديد نلمس تدهورا واسعا في الملف الأمني في هذه الأيام وتصعيدا للهجمات الطائفية للإرهابيين، التي تستهدف في مساحة كبيرة منها مكونا بعينه، وتقتل الناس وتقطّع أشلاءهم بين كبير وصغير ورجل وامرأة، ولم يرحموا حتى الأطفال في ساحات اللعب حينما يلعبون في أيام العيد. أبناء شعبنا وهم يتابعون هذا التردي الأمني، وهذه المفخخات كيف تنهش في أجسادهم يتساءلون، بنخبهم وعموم أوساطهم الشعبية، يسألون سؤالا محددا؛ متى سيتحقق النصر النهائي على الإرهاب في العراق؟، مضت عشر سنوات، فكم علينا أن ننتظر حتى نصل إلى اليوم الذي لا يكون فيه إرهاب ومفخخات، ويعيش الناس في العراق كما يعيش الآخرون في أوطانهم؟.

هذا هو السؤال المركزي الذي يطرح نفسه اليوم لدى كافة الأوساط الاجتماعية، وهو سؤال مشروع وعلى كل من يتحمل المسؤولية أن يقف ويحدد جواب هذا السؤال، ويقدم هذه الإجابة لأبناء شعبنا، ولكن حينما نقول من يتحمل المسؤولية، فنحن لا نعني بذلك من لديه وظيفة في موقع تنفيذي، لأن هناك كثيرين لهم مواقع تنفيذية، وقد يكون مديرا عاما أو وكيلا لوزير أو وزيرا، ولكنه ليس ممن يتحمل المسؤولية الحقيقية، إن المسؤول الحقيقي هو الذي يتحمل المسؤولية، وهو الذي يعرف استحقاق المسؤولية، والمسؤول الحقيقي هو الذي يتحرك ضمن خطة ومشروع وليس بطريقة انفعالية وارتجالية أو عشوائية.

إن من يتحمل المسؤولية هو المسؤول الحقيقي، وقد يكون في مواقع وظيفية في الدولة وقد لا يكون في تلك المواقع، فكل من له رؤية ويحمل مشروعا لهذا الوطن عليه أن يقف ويجيب عن هذا السؤال ويطمئن الناس؛ متى سينتهي الإرهاب في العراق ومتى يعود الأمن والاستقرار إلى هذا البلد الكريم. إن ذلك يكشف عن أننا امام أزمة مسؤولية في هذا البلد، وهذه الأزمة هي سبب أساسي من أزمات كثيرة تتراكم على هذا الوطن الحبيب.

الفساد شريك الإرهاب

اننا ومن موقعنا المتواضع ومسؤوليتنا الشرعية والأخلاقية والوطنية تجاه هذا الوطن الحبيب وأبناء شعبنا، نؤكد أن واحدا من أهم أسباب الإرهاب هو الفساد، نعم الفساد، فهو السبب الرئيس الذي يجعل الإرهاب مستمرا في بلادنا، ولعل البعض يشير إلى أن العراق يتعرض إلى العدوان والتآمر الأجنبي، وهذا الإرهاب إنما جاء بمؤامرات أجنبية،

ونحن لا ننكر ذلك، فالعراق يتعرض إلى مثل هذا التآمر، وهناك دول في المنطقة تضغط على الواقع العراقي وتستخدم الورقة الأمنية لمزيد من الضغط على المواطنين العراقيين والمشروع الوطني في العراق، ولكن هل العراق وحده الذي يتعرض لهذا التآمر؟، ونحن نجد دولا أخرى تتعرض إلى التآمر أيضا، ولعل بعضها يتعرض إلى تآمر أكبر مما يتعرض له العراق، ولكنها مسكت الوضع الداخلي في بلادها بشكل محكم، واستطاعت أن توقف هذا التآمر وأن تمنع دخول الإرهاب واجتياحه. حينما نتحدث عن التآمر فنحن نتحدث عن عامل خارجي ليس بأيدينا، ولكن حينما نتحدث عن إجراءاتنا في الوقوف بوجه هذا التآمر وفي منع الإرهاب من أن يتحرك ويحقق أغراضه الدنيئة الطائفية البشعة في هذا البلد، فهذا هو الجانب الذي يرتبط بنا وبأيدينا ونحن قادرون على تحقيق طفرة نوعيه في هذا الإطار.

ان الإرهاب أصبح يستبيح دماء أبناء شعبنا في كل يوم، ولا بد لنا من أن نشعر بالمسؤولية تجاه هذه الظاهرة وأن نتخذ الإجراءات الكفيلة بالحد من الإرهاب، ويؤسفنا أن نقول إن هناك من يتصدى لمواقع حساسة في هذا البلد، ولكنه لا يشعر بالمسؤولية، وهذا سبب آخر من أسباب الفساد الذي نتحدث عنه، لأن هناك من يصل إلى هذه المواقع الحساسة بأدوات فاسدة بإغراءات مالية حتى يحصل على هذا الموقع في المؤسسة العسكرية أو المدنية، ولأنه وصل بطريق فاسد فإنه يمارس الفساد ويكون سببا في تردي واقعنا الأمني العراقي.

الفساد أصبح ثقافة

أيها الأحبة، إن الفساد هو السبب الأساسي الذي يوصل الانتهازيين والنفعيين إلى مواقع مهمة وحساسة في الدولة، وسوف لا تقوم لنا قائمة مادام الفساد يدب فينا ويأخذ مأخذه في بلادنا، ولا يمكن أن نثبّت ركائز دولتنا الحديثة وأن نحافظ على الأمن والاستقرار في بلادنا مادام الفساد ينخر في جسد هذا الوطن ويأخذ فيه طولا وعرضا.

إن الفساد اليوم لم يعد ممارسة خاطئة لأشخاص يقدمون الرشوة هنا أو هناك، ولكنه تحول بالتدريج إلى ثقافة إجرامية متكاملة ومنظومة يغذي بعضها بعضا، وهذه الظاهرة تحتاج إلى حلول ومعالجات جذرية وحقيقية وتتطلب إرادة وطنية للوقوف بوجه الفساد والمفسدين، وإلاّ فإن مافيات الفساد باتت اليوم متمكنة من بلادنا ومؤثرة في مفاصل عديدة من قرار هذا البلد. إن الفساد أصبح اليوم مصدرا مهما من مصادر الإرهاب وتغذية الإرهاب والإرهابيين والعمليات الإرهابية والإجرامية.

الفاسدون يتاجرون بدمائنا

إن الفساد هو الذي يوصل الموظفين السيئين إلى مواقع العمل الحساسة، فيبدؤون بالإساءة لواجباتهم وفي تعاملهم مع المواطنين ويتسببون في فجوة عميقة بين أجهزة الدولة وعموم المواطنين. إن الفساد هو الذي يحمي الضباط المنحرفين والمخترقين من قبل الإرهاب ومافيات الفساد، وهو الذي يسمح للسيارات المفخخة بأن تجتاز بعض السيطرات لتصل إلى أهدافها. إن الفساد هو الذي يجبر الضباط على كتابة التقارير الاستباقية غير الواقعية وغير الصحيحة، مما يؤدي إلى تشتيت الجهد الأمني وتتحقق مثل هذه الثغرات التي لاحظناها في جرائم حصلت في الأسابيع الماضية.

إن الفساد هو الذي يستعين بأجهزة كشف المتفجرات غير الصحيحة، التي ضللت رجال الأمن ولم تسمح لهم بإيقاف العجلات المفخخة وحركة الإرهابيين في مدننا. إن الفساد هو السبب في الكثير الكثير من الثغرات الأساسية التي كانت مصدرا من مصادر الإرهاب وسببا في تمكّن الإرهابيين من بلادنا بالطريقة التي نجدها اليوم.

أينما تجد الفساد تجد الإرهاب

إذا أردنا أن نعالج هذه القضية فعلينا أن نقف ونتحدث عن هذه الظاهرة وخطورتها بوضوح كامل، وإذا أردنا أن نجيب عن سؤال أبناء شعبنا الذين يتساءلون متى سينتهي الإرهاب في بلادنا، لا بد لنا من أن نقول لهم إن الإرهاب سيتوقف في اليوم الذي يتوقف فيه الفساد، وكلما ضربنا الفساد والمفسدين جففنا مصادر الإرهاب والإرهابيين، لأن الفساد والإرهاب أصبحا حليفين متلازمين لا يفارق أحدهما الآخر، فأينما وجدت إرهابا وإرهابيين يمكن أن تقول إن الفساد قد دب في هذا المكان، وأينما وجدت ظاهرة فاسدة، وأناسا فاسدين، فاعلم بأن الإرهاب له موطئ قدم في هذا المفصل أو ذاك.

إن علينا أن نتعامل مع كل ظواهر الفساد على أنها ظواهر إرهابية، وعلينا أن نتعامل مع كل ظواهر الإرهاب على أنها ظواهر مؤشرة عن الفساد، ولا بد من أن نقف بوجهها، ونعالج هذه الظاهرة بشكل صحيح، وقد سمعنا بشكل متكرر من الأجهزة الحكومية الموقرة خططها في مواجهة الفساد والوقوف بوجهه، ونحن نشد على أيدي الحكومة في هذا المسار وفي هذه المساعي، ونتمنى أن نجد خطوات واضحة للضرب بيد من حديد على الفساد والمفسدين وسنكون داعمين لكل خطوة من هذا النوع لأننا لا يمكن أن نقف بوجه الإرهاب إلا من خلال هذه الخطوات المهمة.

صورة لواقع الشباب العراقي

مر علينا يوم الشباب العالمي، ولا بد لنا من وقفة لاستذكار الهمّ الذي يواجهه شباب هذا الوطن الحبيب. إننا بأسف شديد لم نقدم لشبابنا حلولا ومعالجة واضحة لهمومهم الواسعة والكبيرة، ولم نضع تصورا ولم نرسم خططا دقيقة وناجعة لحل مشاكل الشباب الذين يتجاوز عددهم نصف هذا المجتمع. إن علينا أن نعترف بأن شبابنا العراقي محبط، والدليل على إحباط هؤلاء الشباب هو النزعة والرغبة الواسعة بالهجرة من العراق التي نجدها في أوساط واسعة من شبابنا، وهو من المخجل وغير المنطقي، أن يعاني شباب بلد ذي ميزانية نجومية انفجارية وذي إمكانات وثروات هائلة، ويمثل واحدا من أكبر اقتصاديات المنطقة، بلد مثل العراق، ويعاني شبابه ويجنحون إلى الهجرة ويرغبون بالعيش في بلد آخر، لمواصلة جهودهم وحياتهم ودراستهم وما إلى ذلك.

إن التخطيط الصحيح والمنهجي للتعامل مع شريحة الشباب، هو المدخل الصحيح الذي يمكن من خلاله أن نرسم خارطة الطريق والملامح المطلوبة لحل مشاكل الشباب ومعالجة همومهم ومعاناتهم، فقطاعنا الخاص في واقعنا الفعلي قطاع محدود ولا يستطيع أن يستوعب الطاقات الشبابية، وهذا ما يدفع الشباب نحو القطاع العام والتعيين في مؤسسات الدولة، وهذا القطاع يعاني من البيروقراطية الإدارية الشديدة ومن الفساد والمحسوبية، للحصول على وظيفة وعلى تعيين في مؤسسات الدولة، ولذلك نجد أن الشباب في كثير من الحالات لا يجدون الفرص الملائمة التي تعبر عن اختصاصهم وتوفر لهم فرص العيش الكريم والانطلاق في بناء حياتهم ومستقبلهم كما يتمنون.

كما إن جامعاتنا ما زالت بعيدة عن نظيراتها الإقليمية والدولية، فجامعات المنطقة والعالم حينما نقارنها مع جامعاتنا العراقية نجد الفارق كبيرا في المناهج الدراسية ونُظُم التدريس والمنشآت والكثير من التفاصيل ذات الصلة بالتعليم العالي، فجامعاتنا في الأعم الأغلب لا تنتج شبابا أكاديميين وعلميين بشكل حقيقي، ولا تنتج جامعاتنا الشاب المثقف الواعي القادر على أن يتحمل مسؤولياته، ولا يمكن أن نلوم الشباب في أنهم لا يصلون إلى هذا المستوى حينما يتخرجون من الجامعات، وإنما نلوم أنفسنا، فنحن الذين علينا أن نضع المناهج الصحيحة وطرائق التدريس الملائمة والنظم الصحيحة والمنشآت الملائمة والمناسبة، حتى نخلق أجواء لبناء الشخصية الشبابية في هذه الجامعات، ليكون مؤثرا في مساره العلمي والعملي وفي بناء حياته، وإننا نشيد بالجهود الحثيثة التي تبذلها وزارة التعليم العالي لتطوير الجامعات، ولكننا ما زلنا بعيدين عن مستويات الطموح بكثير.

معالجة مشاكل الشباب

أيها الأحبة، إن جامعاتنا اليوم لا تنتج علماء ومفكرين ومثقفين، وإنما تتعامل بطريقة وظيفية وروتينية، فحينما يتخرج الطالب لا يجد أن لديه فرصا كافية وخبرة واحترافا ليمارس عملا معينا ينسجم مع الاختصاص الذي درسه في هذه الجامعة أو تلك، مما يوفر سببا إضافيا لإحباط شبابنا. إن علينا أن نعمل جاهدين لتوفير المعاهد العلمية المناسبة والدورات التطويرية الملائمة ومساعدة الشباب للوصول إلى حالة الإبداع في مساراتهم وفي أدائهم، حتى يبنوا لأنفسهم ولمجتمعاتهم مستقبلا زاهرا، فهم الأمل ولا بد لمجمل المنظومة الاقتصادية في بلادنا من أن تنظر إلى الواقع الشبابي والكثافة الشبابية بطريقة توفر لها فرص العمل الملائمة والمناسبة.

إن الأزمات الاقتصادية في البلاد تنعكس بصورة مباشرة على واقع الشباب، فنجد أن البطالة يتحمل الشباب بالدرجة الأساس أعباءها الكبيرة، وتراجع المستوى العلمي والمعرفي لجامعاتنا يدفع ضريبته الأولى الشباب، حينما لا يتأهلون لممارسة أدوار حقيقية بعد التخرج من الجامعة، وأزمة السكن يتحمل أعباءها الشباب بالدرجة الأساسية، وهم في مقتبل حياتهم ويرغبون بتشكيل أسرة والانطلاق في حياتهم الأسرية، والفساد والمحسوبية يدفع ضريبتهما الشباب حينما لا تتوفر لهم فرص العمل، فيما تقدم لغيرهم ويبقى عدد كبير من الشباب الكفوء ذوي الدرجات الجامعية العليا عاجزا عن أن يصل إلى فرصة وظيفية مناسبة وملائمة، ولذلك فإن معالجة مشاكل الشباب هي المدخل الصحيح لمعالجة المشاكل البنيوية للدولة العراقية، وهذا ما يعطي أهمية كبيرة للوقوف عند موضوع الشباب ولوضع الحلول والمعالجات الصحيحة لمشاكلهم.

الأنانية السياسية أصبحت ظاهرة

أيها الأعزاء، إن السياسة بطبعها تغري السياسي الذي يلج هذا الميدان ليعيش في خياله الواسع، وليبتعد أحيانا عن الواقعية وعن استحقاقات الواقع، لأن السياسة تمثل المدخل الأسرع الذي يوصل السياسي إلى السلطة، والسلطة تعزز حالة الأنا والنرجسية في شخصية هذا السياسي، فنجد في الوسط السياسي مشكلة تتعمق وتتجذر ألا وهي الأنانية السياسية والنرجسية التي يصاب بها الكثير من السياسيين.

إن هذا الواقع أصبح طاغيا وظاهرة في مجتمعاتنا، والعراق ليس استثناء من هذا الواقع، ومن يتبوأ مواقع السلطة في كل مستوياتها يمكن أن يقع في الأنا وفي النرجسية،

ليعمل بطريقة فردية بمعزل عن روح الفريق والعقل الجماعي، وعن إشراك الآخرين للوصول إلى النتائج الفضلى، إنها حالة مرضية يصاب بها السياسيون، وإذا لم يراقبوا أنفسهم وأداءهم ولم يراجعوا سلوكهم الشخصي، فقد يقعون في مثل هذه النرجسية ويبتعدون عن هموم شعبهم ويضعون لأنفسهم تصورات قد تكون بعيدة عن الواقع.

إن ذلك يتطلب الاهتمام والتركيز والابتعاد عن حالة الفردية، وانتهاج التفكير والتخطيط والعمل بروح الفريق والاستعانة بالجمع، مما يوفر فرص العمل الصحيحة والمنتجة والناجحة، ولو كان العمل الفردي منتجا ويحقق النجاح لكانت الأنظمة الدكتاتورية هي أنجح الحكومات، ولكننا لا نجد ذلك، مما يؤكد أن العمل الجماعي والعمل بروح الفريق وإشراك الآخرين هي المدخل الصحيح للوصول إلى أفضل النتائج.

لا خيار أمامنا غير الانتصار

اسمحوا لي أن اتحدث معكم بوضوح وصراحة؛ إن المرحلة القادمة التي تقبل علينا تمثل مرحلة من أخطر المراحل التي نواجهها في العراق، وإننا معنيون بالتهيؤ والاستعداد لمواجهة أخطار المرحلة القادمة، إنْ كان على الصعيد الوطني كقوى سياسية وتيارات وأحزاب وطنية، وإنْ كان على المستوى الداخلي في تيار شهيد المحراب.

إننا نشير إلى الخطر الكبير القادم إلينا، الذي يحتم علينا أن نطرحه ونصارح به جمهورنا ونشرحه لأبناء شعبنا انطلاقا من المسؤولية الشرعية والوطنية تجاه هذا الوطن وتجاه المواطنين؛ إننا مقبلون على أحداث في غاية الخطورة، ولابد من أن نواجهها بشجاعة وبسالة، وبطرق تفكير جديدة وإرادة قوية، وبممارسات نوعية وتحالفات رصينة وتضحيات جسيمة، وبدون ذلك لن نستطيع أن نتجاوز هذه المرحلة. إننا لا نتحدث عن هذه الأخطار للتخويف أو التهويل، وإنما نتحدث عنها كي نحذر منها ونستعد لها ونتهيأ لمواجهتها بما ينسجم مع طبيعة هذه الأخطار وهذه التحديات.

إن المرحلة القادمة سوف لا ينفع فيها أنصاف الحلول وأنصاف المعالجات، كما لا يُكتفى فيها بأنصاف الإنجازات، وتحتاج إلى عمل حقيقي وكبير حتى نؤسس ونؤكد ونجذر مسارات بناء الدولة التي ابتدأناها منذ عقد من الزمن، وضحينا من أجلها بالكثير الكثير. إن الانتصارات المجزأة لا يمكن أن تكون قادرة على مواجهة هذه الأخطار وهذه التحديات في إعادة بناء الدولة ومراجعة مشروع الأمة والدخول في مرحلة تثبيت الوجود السياسي والقيمي والمجتمعي لمشروعنا الوطني ولبلادنا الحبيبة.

نحتاج إلى رؤية بحجم الأخطار

إننا كدولة ومجتمع أمام تحد واختبار مصيري عسير، وليس أمامنا إلا أن ننتصر في هذه المعركة، وإلاّ أن نواجه هذه الأخطار بقوة وبسالة مهما كلفنا ذلك من ثمن، وسوف نخضع مشروعنا إلى مصالح هذه الشعب بعيدا عن الأنانية والمصالح الشخصية والفئوية بإذن الله تعالى. إننا سننطلق بسرعة وقوة وثبات، ولن يقف في طريقنا أي حجر مهما كان ليعرقل هذه المسيرة، وإنما سنتغلب على كل هذه التحديات وسنواجه هذه الأخطار بإذن الله تعالى، وإن نجاح هذا المشروع هو نجاح لمشروع الدولة ومن ورائه نجاح لمشروع الأمة التي نذرنا أنفسنا لها ولخدمتها.

أوصي نفسي أيها الأحبة وأوصي الجميع بأن نحمل رؤية واسعة باستحقاقات المرحلة وظروفها، بسعة التحدي والخطر الذي يداهمنا، ورؤية واضحة بوضوح المؤامرات التي تحاك ضد مشروعنا ووطننا، ورؤية شاملة بشمول الهجمة التي تستهدفنا وتستهدف مشروعنا. إن الرؤية الواضحة للأحداث واستشراف التطورات المستقبلية تعد تعبيرا صادقا لرؤية سياسية استراتيجية نكتشف من خلالها هذه الأخطار وما ينبغي علينا أن نقوم به لمواجهتها، إن العملية السياسية في بلادنا ما زالت هشة بالرغم من مرور عشر سنوات على تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ولذلك فإن دورنا يجب أن يزداد ثباتا وصلابة يوما بعد آخر لنكون بحجم المسؤولية في الدفاع عن هذا الوطن ومواجهة هذه الأخطار.

البحث عن موقع على خريطة الإقليم

وعلى المستوى الإقليمي، لا بد من أن نستذكر أننا نشهد اليوم إعادة رسم خريطة المنطقة والشرق الأوسط بحكم طبيعة المتغيرات والتحولات والتطورات التي نلاحظها اليوم، إن هذه الخريطة الجديدة تُبنى على تحالفات استراتيجية إقليمية تنسجم مع طبيعتها وحجم المتغيرات المتسارعة فيها منذ عامين وإلى اليوم، وقد انتجت شرقا أوسطيا جديدا غير الذي كنا نعيشه ونتعامل معه. إن العديد من الدول بدأت بمراجعة سياساتها والتراجع عن بعض مواقفها، والبعض الآخر بدأ يفكر بتحالفات جديدة، لها انعكاساتها الدولية الخاصة، بل حتى مفهوم الحرية والعدالة أصبح يفهم بطريقة مختلفة عما كنا نفهمه من قبل.

إن حركة الشعوب وثوراتها ما باتت عفوية كما انطلقت، وإنما أصبحت تُستغل من قوى ودول في المنطقة تسعى إلى أن تجير هذه الثورات لصالحها، في هذا البلد أو

ذاك، كما إن موقع الضحايا قد تغير؛ فمن كان مظلوما أصبح في موقع الظالم ومن كان مستضعفا أصبح في موقف وموقع المستبد، إنها تفاعلات كبيرة تحصل في المنطقة، ولا بد من أن نرصدها ونراقبها ونجد موقعنا في مثل هذه التحولات.

كما إن هناك مصطلحات بدأت تتغير، فكان يقال إن العراق يسير نحو اللبننة (مثل لبنان)، ولكن اليوم ما يقال هو أن لبنان أصبحت تسير نحو العرقنة وتتأثر بالمناخات العراقية وبمسارات الأحداث العراقية، كما إن تسلسل إشعال الحرائق من سوريا إلى لبنان إلى العراق إلى مصر، كل ذلك يثير الكثير من علامات الاستيضاح التي يجب أن نقف عندها ونحللها، لكي لا نجد أنفسنا أمام حدث غاب عنا وفقدنا فرصة استثماره بشكل صحيح، إن الغموض والهشاشة في الموقف التونسي والليبي واليمني، إضافة إلى مجمل التحولات التي نجدها في الساحات الأخرى والعراق في مقدمتها، وبعض الدول تحولت من سياسة تصفير الأزمات إلى سياسة الغرق في الأزمات، كما نجد ذلك في بعض دول المنطقة، وهناك دول تحولت من منطق التحالف إلى منطق التدخل في شؤون الآخرين، كل ذلك إشارات خطيرة ومهمة يجب أن نقف عندها في التحولات الإقليمية. إننا أمام خريطة جديدة لتحالفات الشرق الأوسط تتضح ملامحها يوما بعد آخر، ولا بد من أن نجد موقعنا في مجمل هذه الخريطة لنكون مؤثرين وفاعلين، لا متأثرين ومنفعلين.

ذكرى رحيل دي ميلو

مرت علينا الذكرى العاشرة لرحيل ممثل الأمم المتحدة في العراق السيد دي ميلو، وكان رجلا تفهّم الأوضاع في العراق بشكل جيد وضحى بالكثير من أجل العراقيين، وغاب عنا وعن المجتمع الدولي بفعل الإرهابيين بتلك الطريقة البشعة التي تمت، إننا نعبر من جديد عن أسفنا لهذه الحادثة، ونتمنى للأمم المتحدة أن تستمر في جهودها الحثيثة لمساعدة العراق في بناء مشروعه السياسي الوليد، والوقوف موقف المساندة والدفاع عن العراق وعن العراقيين جميعا.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٨/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ))

في إطار هذه الدروس الكبيرة، تحدثنا في الإضاءة الأولى عن دور حسن الظن في بناء العلاقة القيادية بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، وتحدثنا في الإضاءة الثانية عن الطرق التي تعزز الثقة المتبادلة بين الحاكم والمسؤول عنهم، وشرحنا الطرق الثلاث التي تحدث عنها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإضاءة الثالثة/ نتائج ومعطيات حسن الظن

حسن الظن.. سلامة في الدين والدنيا

«فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا»، يخلصك حسن الظن من متاعب طويلة وعريضة لا تحتاجها، هذا هو المعطى الكبير والنتيجة العظيمة لحسن الظن.

لاحظوا ما رُوي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسن الظن من أحسن الشيم وأفضل القسم»[٤٢]، أفضل الشيم ألاّ يكون الرجل مرعوبا من الناس، بل يحسن الظن بهم ويتعامل بإيجابية مع الآخرين، فالأساس في الناس أنهم طيبون شرفاء وطنيون ويستحقون الثقة، وهذا هو الأساس إلا من يخرج من ذلك بالدليل، فيتبين أن فلانا غير مؤهل وغير جدير بالثقة، وليس الأصل أن أتعامل مع الآخرين بسوء الظن، إلا أن أستثني أحدا وأتعامل معه تعاملا صحيحا، فالأساس هو أن أفضل الشيم أن تتعامل بحسن الظن مع الآخرين، «وأفضل القسم»، أفضل نصيب للإنسان أن تكون طريقته ومنهجه حسن الظن بالآخرين واحترامهم.

إذن، حسن الظن يوفر أرضية النجاح لأنه يمثل أفضل الشيم والمسالك، وإذا سلكت هذه المسالك فسوف يتحقق على يدك النجاح.

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حسن الظن راحة القلب وسلامة البدن»[٤٣]، إذا كنت تريد أن يكون قلبك مرتاحا ودينك مستقيما فأحسن الظن بالناس وتعامل معهم على أساس صحيح، فهذا يوفر الراحة والاطمئنان القلبي ويضعك في موضع الاستقرار النفسي ويحافظ على دينك، لأن سوء الظن سوف يدفعك إلى التجسس والتدخل في شؤون الناس ومحاولة التعرف على أسرارهم، وهو محرم عليك. ليس لك حق أن تتجسس على الناس، وليس هذا واجبك ولا يجوز لك. فمن لديه سوء ظن يتجسس، ولكن من لديه حسن ظن لا يحتاج إلى ذلك، فيحافظ على دينه ويقويه.

في رواية أخرى: «حسن الظن يخفف الهمّ وينجي من تقلد الإثم»[٤٤]، يخلصك من الذنوب ويقلل الهم، أي حسن الظن بمن يستحق، وهذه فوائد عظيمة لحسن الظن.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة»[٤٥]، إذا كنت تريد من الناس أن يحبوك فيجب عليك حسن الظن بهم. انظر إلى الناس نظرة صحيحة فيحبك الناس، وإذا وجدت الناس لا تحبك فاعرف أن عندك مشكلة مع الناس ويجب أن تعالج المشكلة، وتأكد من محبتك لهم ليبادلوك المحبة.

٤٢. عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٨.
٤٣. عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٩.
٤٤. عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٨.
٤٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٥.

بين الحق والباطل أربع أصابع

عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سُئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كم بين الحق والباطل فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أربع أصابع ووضع أمير المؤمنين يده على أذنه وعينه»، الفاصل بين العين والأذن أربع أصابع، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول إن الفاصل بين ما تراه وما تسمعه أربع أصابع، وكثير من الأخبار التي نسمعها غير صحيحة ومصادرها غير معروفة، «فقال ما رأته عيناك فهو الحق وما سمعته أذناك فأكثره باطل»[٤٦]، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ البداية إن أكثر المسموعات باطل وقليل منها صحيح، فيجب عدم التشهير بإنسان مؤمن، وإن على الإنسان أن يتاكد مما يسمعه، «أكثره باطل» لأن الناس بطبيعتها لا تتأكد والكلمة غير الجيدة تأخذ مساحاتها السريعة في الآفاق.

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من كذّب سوء الظن بأخيه كان ذا عقل صحيح وقلب مستريح»[٤٧]، إذا كذبت سوء الظن بالآخرين فإن عقلك سيكون مرتاحا مركزا، وقلبك في حالة من الراحة.

«من ساء ظنه بمن لا يخون حسن ظنه بما لا يكون»[٤٨]، لم تثق بمن يستحق حسن الظن والثقة وأسأت الظن به، لذلك يبتليك الله بمن يستحق سوء الظن فتجعل يدك بيده. إذا لم تعط يدك للصلحاء فسوف تتورط وتعطي يدك للطلحاء والأشرار، وإذا لم تتعامل مع الشرفاء بشكل صحيح، فالله تعالى سوف يبتليك بأن تتعامل وتثق بمن لا يستحق من الأشرار والفجار. إذن، هناك أخطاء، وإذا لم أحسن الظن ولم أتعامل بشكل صحيح مع من يستحق، فالله تعالى يبتليني بأن أتعامل مع من لا يستحق الثقة، وأتحمل الكثير من الإشكالات والمتاعب.

في رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في بحار الأنوار: «خذ من حسن الظن بطرف»، اعتمد حسن الظن، «تروّح به قلبك»، قلبك يرتاح ومشاعرك تستقر ونفسيتك تتحسن، «ويروح به أمرك»[٤٩]، وينجز به أمرك. سوف توزع المهام وعملك ينجز ومهمتك تتحقق، أما إذا كان لديك سوء ظن فلن تستطيع أن تكلف أحدا وستكون مهامك شاقة. حسن الظن والثقة بالآخرين يعني إعطاءهم الفرص، والقيادي الناجح ليس من يركض

٤٦. بحار الأنوار ٧٢: ١٩٥، ح٩.
٤٧. غرر الحكم، الرقم ٩٥٣٩.
٤٨. غرر الحكم: الرقم ٥٦٨٠.
٤٩. بحار الأنوار ٧٥: ٢٠٩، ح٨٤.

ليل نهار، بل القيادي الناجح من يركّض الآخرين ليل نهار ويركّض معهم، حتى تتحقق النتائج الباهرة، وهذه هو منهج علي، وهو منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

هذا درس آخر من معطيات حسن الظن، فالإنسان يخلص نفسه من كثير من العناء ويستقر نفسيا ويحقق النجاح بالمهمة المناطة به.

الإضاءة الرابعة.. المعيار في حسن الظن وسوء الظن

الوعي والتعامل المتوازن

«وإنّ أحق من حسُن ظنك به لمن حسُن بلاؤك عنده وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده»، حسن الظن لا يعني أن يتحول الإنسان إلى مغفّل، وحُسن الظن لا يعني أن يغمض الإنسان عينه عن الغادرين والمفسدين والفاشلين والمتآمرين، وإن كان هؤلاء قلة قليلة، والأساس أن الناس طيبون إلا من تبيّن أنه متآمر، وأنه غير منسجم وخائن وما إلى ذلك، هذا التوازن عميق جدا، «المؤمن كيّس»[٥٠]، حسن الظن دون أن يتحول إلى مغفل.

في رواية عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لضباط ومراتب من جيشه، يقول: «واعرف لكل امرئ منهم ما أبلى»، أنت أيها الضابط والقيادي العسكري، افتح عينك وقيّم رجالك، وأعط كل واحد قيمته؛ ماذا قدم وما حقق من انتصارات. في زماننا يبذل الجنود المجهود ويحققون الانتصار ولكن الوسام يأخذه كبار الضباط، فيصاب الجنود بالإحباط، لماذا لا تقدر جهود هؤلاء الجنود والمراتب؟!.

فالسمة القيادية تتطلب أن تنظر إلى من أنت مسؤول عنهم، لترى من يعمل أكثر ومن هو أقل كفاءة، ومن يبذل من وقته وجهده، ومن هو المخلص، فيجب أن تميز بين هؤلاء.

لا تبخس جهود الآخرين

«ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره»، لا تسجل إنجاز أي منهم إلى الآخر فيُغبن حقه.. لا تصادر أعمال الآخرين وأعط حق كل واحد له. حين يأخذ المدير العام جميع الإنجازات ويسجلها باسمه، فأين حقوق الآخرين الذين

٥٠. بحار الأنوار ٦٤: ٣٠٧، ح٤٠.

ساعدوك فحققت الإنجازات؟، ونراه في حالة الفشل يلقي باللائمة على الآخرين!.. هذا لا يجوز، فالقاعدة الفقهية تقول: «من له الغنم عليه الغرم»، من له الفائدة فإن عليه التبعات، فأنت مسؤول الإنجاز ومسؤول الفشل أيضا، وكما أنهم معنيون بالفشل فإنهم معنيون بالإنجاز أيضًا.

«ولا تقصرن به دون غاية بلائه»، لا تقلل من قيمة العمل والإنجاز للناس، وقيّم العمل كما هو، فيجب ألاّ يكون التقليل من قيمة العمل أساسا في واقعنا، ولكنه مع الأسف موجود، فالرجل يدخل البيت ويرى زوجته متعبة، فيقوم بالتقليل والاستهانة من عملها، كونه يخرج إلى الشارع ويواجه مخاطر الطريق والانفجارات، ولكنه حينما ينظر نظرة واقعية إلى عمل المرأة في البيت سيجده صعبا جدا، فيجب ألا نقلل من عمل الآخرين.

قيمة الإنسان

«ولا يدعونّك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه»، فهذا ابن معالي الوزير فيشار له بالبنان والاحترام، وأبسط قضية تُحسب له إنجازا عظيما، ولكن المواطن البسيط حتى إذا كان مجتهدا ومتفوقا فلا يشار له بذلك التقدير، لأنه لا يملك تلك الوجاهة التي يمتلكها أبناء المسؤولين!.

معيار الإبداع

«ولا يدعونك شرف امرئ»، لا يدعونّك جاه إنسان ومرتبته الاجتماعية، «الى أن تعظم من بلائه»، لا تنظر إلى عمله على أنه أكبر من واقعه، بل أعطه حقه فقط، «إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا»، عمل صغير تراه كبيرا لأنه من الموقع الفلاني أو عنده مال أو جاه أو مكانة، «ولا ضعة امرئ»، المستوى الأدنى لشخص آخر، «إلى أن تصغّر من بلائه ما كان عظيما»، إنسان بسيط ولكنه ذو إنجاز كبير، ولأنه إنسان بسيط ومغمور تُخفى إبداعاته، لأن المبدع والمخترع والمبتكر كان إنسانا بسيطا، وكم من إبداعات بسيطة أخذت صدى كبيرا عبر وسائل الاعلام لأن المبدع له وجاهة وتأثير، هذه كلها كوابح تمنع الناس من التقدم والعمل والتطور، ومن أن يقدموا لمجتمعهم. هذه النقاط مؤثرة ومهمة في المنظومة القيادية.

ملاحظة صلاح المجتمع وفساده

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم»، حينما يكون الجو العام جوا إيمانيا، ولكن هناك رجل أساء الظن برجل دون أن يصدر منه ما يستحق سوء الظن، ففي هذه الحالة سوف يظلم نفسه ويظلم الآخرين، «وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل»، دون أن يجد منه ما يستحق، «فقد غرر نفسه»[٥١]، كما أن حسن الظن أساس البيئة التي تستحق حسن الظن، فإن البيئة الملوثة يكون الحذر والاحتياط فيها مطلوبين حتى لا يغرر بك، هذا أيضا تأكيد لهذا المنهج.

في رواية أخرى: «إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل احد عجز»[٥٢]، في زمان غدر، ولا أحد يرحم الآخر، إذا اعتمدت ووثقت في مثل هذه الظروف، فهذا عجز ويجب أن تفتح عينك لأن الوضع لا يتحمل حسن الظن.

تجنب مواضع التهمة

«من عرّض نفسه للتهمة به فلا يلومنّ من أساء الظن به»[٥٣]، إذا عمل الإنسان شيئا يتهم من خلاله، فلا يغضب إذا أساءت الناس الظن به، لأن الناس تسيء الظن بمن تصدر منهم مؤشرات غير طيبة وغير صحيحة، ولذلك قيل: «إياك ومواطن التهمة»[٥٤]، فمثلا لا يجوز الدخول إلى أمكنة يُنظر اليها على أنها أمكنة فجور وإن كانت نيتك طيبة، فيجب العزوف عن مثل هذه الأمكنة، «إياك ومواطن التهمة»، فالأشياء التي تسبب اتجاه الأنظار إليك ويصعب تبريرها للآخرين عليك أن تبتعد عنها، فإذا صدر منك ما يريب وحذرت الناس منك، فلا تغضب، فإن من حق الناس أن تسيء الظن بمن يصدر منه ما يستحق أن يساء الظن به.

رسالتنا إلى الإرهاب: لن تهزمونا

مر علينا يوم دام آخر في العاصمة بغداد، حيث سقوط العشرات بين شهيد وجريح، وكلما مر علينا يوم دام، وقفنا وقفة حزن وألم على أولئك المغدورين بين شهداء وجرحى

٥١. نهج البلاغة ٤: ٢٧، ح١١٤.
٥٢. تحف العقول: ٣٥٧.
٥٣. الكافي ٨: ١٥٢، ح١٣٧.
٥٤. بحار الأنوار ٧٢: ٩٠، ح٢.

وجيوش الأرامل والأيتام والعوائل المفجوعة، واستذكرنا مسؤوليتنا تجاه هذا الواقع. إن مثل هذا الاستهداف الظالم يعبر عن خسة الإرهابيين ومشاريعهم الدنيئة وارتباطاتهم الخارجية، الذين يجرون العراق إلى مستنقع البؤرة الطائفية والمشاكل الأمنية التي تواجهها العديد من دول المنطقة، وفي مقدمتها الشقيقة سوريا، يراد للعراق أن يُجرّ إلى الصراع الدائر في المنطقة دون أن يكون للعراق والعراقيين دور في هذا الأمر، ودون أن يكون لهم مدخلية في ما يحصل في البلدان الآخرى، لكن هذه هي المشاريع الخسيسة والدنيئة للإرهابيين الذين يسعون إلى جر البلاد إلى أتون الحرب المذهبية والطائفية.

إننا نجدد وبوضوح رسالتنا إلى قوى الإرهاب والظلام والتطرف التي تقوم بمثل هذه الأعمال الإرهابية ونقول لهم؛ إن العراق وشعبه أقوى بكثير مما تظنون وتتصورون، وسوف نهزمكم بإذن الله تعالى ولن تستطيعوا أن تهزمونا في حال من الأحوال، وقد تقتلون من أبنائنا، وقد تسيئون إلينا وتضغطون علينا ونواجه متاعب في هذه العمليات الإرهابية، ولكنكم لن تنتصروا علينا بإذن الله تعالى، وسيتحول شهداؤنا إلى أمجاد في تأريخ هذه الأمة، وستتحولون إلى ملعنة للتأريخ والأجيال القادمة، كما كان هذا وصف السابقين الذين ساروا على نهجكم وأساؤوا وظلموا، فليس لهم الا اللعنة، وسوف تلعنون اليوم وفي الغد، وليس لكم إلا هذه اللعنة التأريخية والأبدية من الأجيال القادمة. إننا نقول لكم ما قالته عقيلة الهاشميين الحوراء زينب (سلام الله عليها) حينما توجهت إلى الظالم وقالت له: «كد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا»[٥٥]، وهذا ما نقوله لكم نحن أبناء الشعب العراقي؛ افعلوا ما شئتم وما تريدون، ولكنكم لن تستطيعوا أن تهزمونا وتغيروا مسارات البلد.

نحذر من إحباط معنويات الجيش

إن جيشنا الباسل برجاله الأبطال المخلصين من المراتب والمنتسبين هو محط الانظار في هذه الظروف الصعبة، ليتحمل مسؤوليته التأريخية ويواجه فلول الإرهاب والظلام والشر ويضرب بيد من حديد كل أولئك المجرمين والإرهابيين والتكفيريين، ويلاحقهم في مثاباتهم ومعسكراتهم وحواضنهم ومناطقهم. يلاحقهم في كل مكان ويضع حدا لمثل هذا الاستهداف الظالم الذي يطول أبناء شعبنا.

٥٥. بحار الأنوار ٤٥: ١٦٠.

إن أملنا كبير برجال الجيش ورجال الشرطة الأشاوس في هذه الظروف الحساسة، وكما نشير إلى توقعاتنا من مؤسستنا الأمنية والعسكرية، أن تكون على أهبة الاستعداد والجهوزية، وأن تعيد النظر وتنظم صفوفها وتوحد خططها وتطورها بالشكل الذي يمكنهم من مواجهة الإرهاب، إلا إننا في الوقت نفسه نحذر من أن نغفل عن توجيه الاتهام وفوهات أصواتنا وسلاحنا نحو الإرهاب والإرهابيين الذين يقومون بكل هذه الأعمال الإجرامية، وننشغل بتقريع وعتاب مؤسستنا الأمنية وإحباط معنويات رجالها، في لحظة هم بأمس الحاجة لمن يساندهم ويقف إلى جانبهم ويعطيهم الزخم والحماس، ويبعث فيهم روح وشيمة الوطنية العالية.

الاستهداف الطائفي المكشوف

إننا نعبر عن دعمنا وإسنادنا لرجال الجيش ورجال الشرطة، ونعبر عن إسنادنا لكل مواقفهم وخططهم الصحيحة التي تنسجم مع حقوق الإنسان وتراعي المواطنين من ناحية، وتلاحق عصابات التكفير من ناحية أخرى، وإنها مرحلة حساسة تتطلب منا وقفة كبيرة في إسناد ودعم جيشنا الباسل وشرطتنا الوطنية. إن ما يثير علامات الاستفهام المضاعف هو الاستهداف الطائفي في هذه المعركة التي يخوضها الإرهابيون، وحسب زعمهم أنهم يستهدفون الروافض والمتعاونين مع الروافض، ويقصدون رجال الصحوات الأبطال الذين يستهدفونهم أيضا، ويقصدون المواطنين الشرفاء في كل مواقع هذا البلد الذين يتعاونون مع حكومتهم وجيشهم ومؤسساتهم الحكومية لاستتباب الأمن والاستقرار في البلد، وكل أولئك يصنَّفون على أنهم متعاونون مع الروافض ويستهدفونهم كما يستهدف أتباع أهل البيت، حتى أصبحت المعركة تأخذ عنوان الاستهداف الطائفي البغيض بصورة واضحة، وحينما يلاحظ الإنسان عشرات التفجيرات يوما بعد يوم، يجد أن الاستهداف الأعم الأغلب إنما يتوجه نحو مواطنين ينتمون إلى مذهب أهل البيت أو إلى أبطال يتعاونون مع النظام السياسي العام ومع الحكومة الموقرة.

مظلومية الشبك

كنا قد تحدثنا في أكثر من مناسبة عن مظلومية اتباع أهل البيت من التركمان، في قضاء طوز خرماتو والاستهداف المتكرر لهم، وجاء بعد ذلك استهداف آخر ليؤكد هذه الدوافع الطائفية لقوى الإرهاب والظلام، حينما خرجت بيانات التكفير توجه النداء

لأعزائنا الشبك، وهم من أتباع أهل البيت أيضا، وتطالبهم بالرحيل ومغادرة أوطانهم ومدنهم والخروج من محافظة نينوى.

إننا نوجه خطابنا لأبناء الموصل الحدباء، هؤلاء الشرفاء الأوفياء والوطنيون، بقواهم السياسية وشيوخ عشائرهم ونخبهم، وعموم المواطنين في هذه المحافظة الأبية، إلى أن يقفوا وقفة حقيقية في مواجهة الإرهاب، وأن يرفعوا أصواتهم ويشجبوا ويدينوا مثل هذا الاستهداف الطائفي للشبك في هذه المحافظة الكريمة، وأن يمنعوا مثل هذا التهجير القسري الطائفي الذي يسعى هؤلاء الظلاميون إلى أن يقوموا به، وأن يحموا إخوانهم الشبك في هذه المحافظة الكريمة، وبذلك يعمّقون رسالة التعايش واللحمة الوطنية بين العراقيين، وهذا هو دأبهم وهذا ما عرفناهم به في تأريخهم الطويل، كما إن الأجهزة الأمنية تتحمل مسؤولياتها الكبيرة في مثل هذه الظروف لحماية المواطنين في كل مواقع العراق، ولا نسمح بأن يتعرض مواطن عراقي أيا كان مذهبه أو قوميته أو انتماؤه، إلى ضغط أو يُطلب منه مغادرة بلده ومدينته وحيه وداره إلى غير ذلك، فالعراق لكل العراقيين ولهم فيه حصة أينما كانوا أو سكنوا، وهذا ما يجب أن ندعمه ونحافظ عليه وتدعمه الأجهزة الأمنية المختصة.

فوضى التصريحات

ما زلنا نواجه الفوضى في التصريحات الإعلامية، وإن السياسي أو المسؤول حينما يطلق تصريحا فهو يقصد أن يوجه رسالة أو يقدم معلومة إلى الرأي العام، ولكن حينما يتحول التصريح إلى صناعة للأزمة وإلى إثارة المشاكل بين المواطنين، نكون قد أشّرنا على وجود خلل كبير في الأداء الذي يمارسه هذا السياسي أو ذلك المسؤول، وفي الواقع لا يمكننا أن نعتبر المسؤول أو السياسي الذي يتعامل بهذه الطريقة، سياسيا بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولا يمكن أن نعتبر أن هذا الخلل هو خطأ إعلامي يرتكبه هذا أو ذاك من الناس، فالكلمة ملك صاحبها ما دامت في فكره وعقله، ولكن ما إن تنطلق إلى الفضاء العام وما إن يُصرَّح بها حتى تصبح ملكا للرأي العام وليست ملكا له، فلا يمكن اعتبار مثل هذه التصريحات خطأ إعلاميا يقع فيه هذا أو ذاك من الناس.

إننا نعاني منذ زمن طويل من اللامسؤولية في إطلاق التصريحات، واللامسؤولية في إعطاء المعلومات الخاطئة والمنقوصة والمجتزأة التي لا تعطي الصورة الحقيقية للمواطنين عما يجري، واللامسؤولية في تقدير الآثار والتبعات لمثل هذه التصريحات والوقع النفسي والمعنوي الذي تتركه هذه التصريحات على عموم المواطنين.

إن السياسي والمسؤول الذي لا يهتم بما يقول ولا يدرس تبعات وآثار كلماته في الشارع، لا يمكن أن نسميه ونصفه بالسياسي، لأنه لا يستحق أن تُطلق عليه هذه الصفة، وهو لا يعرف معنى المسؤولية الحقيقية، ولا بد من أن يتعرّف الناس على هذا النمط من أدعياء المسؤولية وأدعياء السياسة والسياسة براء من مثل هؤلاء، حتى لا يعتنوا كثيرا بتصريحاتهم ومواقفهم، ولا يرتبوا الأثر عليها لنشهد حالة من الاحتقان بين أبناء شعبنا، ولا بد من التدقيق في دوافعهم وفي الأجندة التي تحرك مثل هؤلاء المدعين للممارسة السياسية، الذين يبحثون عن أي فرصة لخلق أزمة وللوقيعة بين الناس هنا أو هناك.

نحن في تيار شهيد المحراب ملتزمون تماما بما نصرح به وبما نقول، وإذا صدرت هفوة هنا أو هناك نسارع إلى التوضيح والتصحيح، حتى لا يلتبس الأمر على أبناء شعبنا، وفي الوقت نفسه نحن لا نلتفت كثيرا إلى ما يقال عنا من اتهامات وأقاويل ولا ننشغل بمثل هذه الاتهامات التي توجه إلينا، لأننا واثقون بالنهج الذي اعتمدناه وارتضيناه لأنفسنا، وقافلتنا تسير مهما رموها بالحجارة من هنا وهناك، وندافع عن أنفسنا ولكن لا ننجر إلى الصراعات الجانبية.

الدعوة إلى ثورة إدارية

ان الروتين في المعاملات الرسمية والإدارية ومعاملات الدولة، أصبح عائقا أساسيا في نموها وتطورها، والدولة ككيان باتت تئن من ثقل الإجراءات الروتينية المتراكمة منذ تأسيس الدولة وإلى يومنا الحاضر، حتى أصبحت الدولة تعاني من ضيق التنفس بفعل هذا الروتين الخانق لمؤسساتها ومفاصلها ومصالح المواطنين.

إن المواطن لو أراد إنجاز معاملة عادية وطبيعية فلابد من أن يخضع لسلسلة طويلة من التواقيع من هذا المسؤول وذاك حتى تنجز هذه المعاملة البسيطة، ونجد جيشا من الموظفين المسلحين بالاختام، يتبارون ليضع كل واحد منهم بصمة وختما على معاملة هذا المواطن المسكين حينما يراجع دائرة من الدوائر الحكومية، فتحولت المراجعات الإدارية إلى كابوس يؤرق المواطن العراقي إذا حصلت له مشكلة واضطر إلى أن يراجع دائرة من الدوائر، وتدخلت الدولة في الكثير من التفاصيل ذات الصلة بالمواطنين، التي لا شأن لها بها، ولكنها تدخلت وحاولت أن تفرض سياقاتها الإدارية وبيروقراطيتها على كل حركة وسكنة من حركات المواطنين.

في أبسط قضية، يُطلب من المواطن أن يقدم فهرسة عن اسمه وأخواته وإخوانه وعشيرته وأعمامهم وتواريخهم وأماكن سكنهم ووو، فأي علاقة لهذه المعلومات

بالمعاملة التي جاء لإنجازها، وكم مرة يجب أن نعطي كل معلوماتنا التفصيلية، وحياتنا الشخصية نعرضها في كل دائرة وفي كل مكان؟، هذه قضية لم يعد ممكنا السكوت عليها، وتمثل إجراءات روتينية عقيمة، وليست القضية منحصرة بالمعاملات الإدارية بين المواطن ومؤسسات الدولة، وإنما امتد الروتين القاتل إلى المخاطبات الإدارية بين مؤسسات الدولة نفسها، فدائرة تخاطب دائرة أخرى، ويتطلب إنجاز معاملة أشهرا من الزمن أحيانا.

من عوامل النهوض

واليوم حينما نقول إن الدولة يجب أن تنهض لا بد لنا من أن نحدد عوامل النهوض أوّلًا، حتى نعرف كيف تنهض الدولة، وفي مقدمة عوامل النهوض هو إعادة النظر في الإجراءات الروتينية البالية وقطع الحلقات غير الضرورية، وما أكثر هذه الحلقات في مؤسسات الدولة حتى يصبح المواطن قادرا على أن ينجز عمله ومعاملاته الإدارية في أقصر مدة وبأقل عدد من المراجعات والتواقيع الضرورية لإنجاز هذا العمل، ومحافظاتنا العراقية اليوم تعاني في إنجاز معاملاتها مع مؤسسات الدولة في المركز من وزارات ومفاصل أخرى، وعلى سبيل المثال عملية فتح الاعتماد التي تقوم بها محافظة حتى تشتري أدوات معينة أو معدات او تتعاقد مع شركة أجنبية في شأن من الشؤون، فإن فتح الاعتماد يتطلب عدة أشهر من المتابعة حتى يُفتح لقضية من هذه القضايا، فيما أن هذا العمل يتم في أيام قليلة في بلدان العالم الآخرى، وفي العراق يحتاج إلى عدة أشهر، وبدون فتح الاعتماد لا يمكن أن يتم التعاقد والإحالة في هذا المشروع، وبدون التعاقد لا يمكن أن تُنفذ الخطط المرسومة لهذه المحافظة في برنامجها السنوي ولا يمكن لها أن تصرف الموازنات المخصصة لها، وبدون صرف الموازنات تعود هذه الأموال إلى خزينة الدولة من جديد في رأس السنة ويقال إن المحافظات ليس لها القدرة على العمل وإن نسب إنجازها قليلة.

إن واحدا من أسرار ضعف الإنجاز هو الإجراءات الطويلة التي تتخذها مؤسسات الدولة في المركز حتى تفتح الاعتماد أو تصادق على التعاقد أو ما إلى ذلك من إجراءات إدارية من هذا النوع، إن الروتين والبيروقراطية يقتلان روح الإبداع في هذا الوطن ويجعلان الدولة مليئة بالثغرات الإدارية التي يتسرب منها الجهد وتضيع بها الأموال، ونحن اليوم بحاجة إلى تشخيص القوانين المعطلة والمعرقلة في مؤسسات الدولة والعمل على إبعادها عن المنظومة الإدارية في البلاد، وفي هذا الصدد أدعو السادة المحافظين

للقيام بثورة إدارية في محافظاتهم حتى يتمكنوا من النهوض بهذه المحافظات، وتسجيل أعلى نسب الإنجاز وتحقيق النجاح بحسب الخطط التي وضعوها لمحافظاتهم، وأن يبدؤوا هذه الثورة الإدارية بالتنظيم الإداري لمحافظاتهم قبل أي إجراء آخر، كما إن الحكومة في المركز معنية أيضا بمراجعة إجراءاتها الإدارية وإعادة هيكلة مؤسساتها الوظيفية.

إن الروتين القاتل أصبح يخنق هذه الدولة ويعرقل نموها وتقدمها، ولا توجد دولة في العالم حققت لنفسها التطور والازدهار إلا بعد أن استطاعت أن تقوم بمثل هذه الثورة الإدارية، وتطلق مؤسساتها من كل تلك الكوابح التي تكبل هذه الدوائر في إنجاز مهامها، ونحن الآن وصلنا بالعراق إلى مرحلة تستوجب الإعلان عن هذه الثورة الإدارية. نحن بحاجة إلى ثورة إدارية كاملة وشاملة تنفض الغبار من مؤسسات الدولة، وتعيد تنشيط دورتها الدموية وتضخ الدماء الشابة لهذه المؤسسات وتجدد الإجراءات وتختصرها إلى أبعد الحدود، وتواكب العصر وتخرج من عصور الجهل والتخلف والروتين التي عاشتها مؤسساتنا على مدار العقود الماضية.

إن هذه الثورة الإدارية هي السبيل الوحيد للانطلاق الحقيقي والفعلي في بناء العراق الجديد، وبدونها سنبقى نعيش الروتين ونعيش الأحلام والتمنيات والميزانيات الانفجارية دون أن تتحقق الخدمة المناسبة لأبناء شعبنا وحل مشاكلهم بطريقة متطورة وحضارية.

استخدام الكيمياوي في سوريا

أيها الأحبة، في الأسبوع الماضي أشرنا إلى أن المرحلة القادمة هي مرحلة عسيرة وخطرة على المستوى الوطني وعلى المستوى الإقليمي، ولم تمض أيام حتى دُقت طبول الحرب في سوريا، وهي اليوم في وتيرة متسارعة، قرع الطبول مؤشر على أننا ندخل في هذه المرحلة الخطرة التي تحدثنا عنها في الأيام الماضية، وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة تحديد المسؤول عن استخدام السلاح الكيمياوي في الشقيقة سوريا واستهداف الشعب السوري، لأن استخدام الكيمياوي يعني أننا تجاوزنا مرحلة الحرب ووصلنا إلى مرحلة الإجرام، ومن يستخدم السلاح الكيمياوي عليه أن يتحمل مسؤولياته الكاملة تجاه هذه الجريمة النكراء، ولكن المهم هو تحديد من هو المستخدم للسلاح الكيمياوي وليس اتهام هذا الطرف أو ذاك، لتبرير التدخل وتصفية الحسابات السياسية.

إنها جريمة نكراء ومدانة، ولكن يجب أن نعرف من الذي قام بهذه الجريمة، ولا نضيع في الضجيج الإعلامي ليتهم هذا أو ذاك وندخل حروبا ونسوق أجندة سياسية بعيدا عن الحقيقة التي يجب أن تتضح على الأرض بطرق علمية. لقد قلنا منذ مدة إن ما يجري في سوريا ليس حراكا شعبيا صرفا، وليس صراعا بين المواطنين ونظامهم السياسي، وإنما أصبحت سوريا ساحة لصراع الإرادات الإقليمية والدولية، ونحن نرى أن هذه الإرادات قد وصلت إلى مرحلة حسم الصراع، ولكي يُحسم الصراع فلا بد من أن تتدخل هذه الأطراف بصورة مباشرة، والتدخل المباشر يحتاج إلى مبرر موضوعي ومنطقي، فتكون مسألة استخدام السلاح الكيمياوي هي المبرر الذي يُعتمد عليه في تبرير التدخل المباشر وحسم الصراع في هذا البلد الكريم.

إن المنطق يقول إن استخدام السلاح الكيمياوي من قبل النظام هو انتحار سياسي لهذا النظام، والتحذيرات كانت واضحة من قبل والجميع يعرف، فلماذا يقوم النظام بالانتحار السياسي وهو قد دخل الصراع منذ سنتين واستطاع أن يصمد، بل يحسّن من ظروفه على الأرض خلال الأشهر الأخيرة الماضية، فإذا كان يندفع نحو تحسين ظروفه على الأرض، لماذا يبادر إلى الانتحار السياسي؟، هذا هو السؤال المنطقي الذي علينا أن نجيب عنه.

وقد يقول قائل إن الأنظمة بشكل عام والأنظمة الشمولية على وجه الخصوص لا تتصرف بطريقة منطقية في مثل هذه الظروف الاستثنائية، وقد يكون هذا الأمر صحيحا، ولكننا نعرف أن النظام في سوريا يتأثر بدول كبرى إقليمية ودولية في مجمل هذا الصراع، ولا يتخذ قراراته بمعزل عن هذه البلدان، وهي تعي تماما ماذا يعني استخدام السلاح الكيمياوي وما هي تاثيراته في مجمل توازنات القوى، فلم يكن من حاجة لتجاوز هذا الخط الأحمر والدخول في مواجهة مفتوحة مع قوى دولية عظمى.

إن الأيام القليلة القادمة ستنقل المنطقة إلى مستوى جديد من التوتر والصراع، وقد تكون الانعكاسات المباشرة وغير المباشرة كبيرة وخارجة عن السيطرة، وكما قلنا في حديثنا في الأسبوع الماضي، فإن هناك خارطة جديدة تُرسم ملامحها للشرق الأوسط عموما، بل إن تحالفات جديدة بدات تتكون، وفي هذه الأيام لا بد من أن نترقب رسم ملامح الشرق الأوسط الذي يُرسم في هذه الظروف وفي هذه الأزمة، وعلينا في العراق كدولة أن نكون واضحين جدا في ما نقرر وما نقول وما نفعل، لأن كل ما نقوله ونفعله سيكون جزءا من صورتنا التي ستُرسم في هذه الخارطة المستقبلية أمام الأجيال القادمة، وسينظر لنا وسنكون على المحك وستقيّم مواقفنا، لأننا في منعطف تأريخي

حساس وخطير والخطأ في هذه المنعطفات لا يُغتفر. نسأل الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الصلاح والصواب وأن يحفظكم ويرعاكم ويدفع عنكم كل بلاء ومكروه، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٩/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((لَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين، السادة الأفاضل والشيوخ الكرام والإخوة والأخوات الأعزاء، أرحب بكم وأشكركم على حضوركم، وأعزيكم بذكرى استشهاد مولانا أبي عبدالله الإمام جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإبقاء على العمل الناجح

انتهينا إلى المقطع الثالث عشر في هذا العهد وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تنقضن سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة»، يا مالك، اليوم ستكون مسؤولا جديدا في بلاد مصر، وحينما تصل إلى مصر وتأخذ موقع المسؤولية لا تنظر إلى أفعال السابقين لك على أنها أفعال خاطئة كلها، لعلك أحسن منهم، ولكن أن يكون الحاكم مستبدا أو

ظالما أو ديكتاتورا، فهذا لا يعني أن كل ما يقوم به هو خاطئ، فحتى الديكتاتور من أجل أن يستتب حكمه عليه أن يبني مؤسسات ويقدم خدمات وقد ينجح في أفكار معينة وقد يبتكر أمورا، فإذا تغير الحاكم الديكتاتور أو الظالم وجاء البديل، فهذا لا يعني أن كل الأعمال كانت خاطئة وسيئة، ولعل هناك خطوات صحيحة وإجراءات ناجعة أو نجاحات في ميادين معينة، فلا تشطب على كل عمل كان في المرحلة السابقة.

«ولا تنقضن» يا مالك، لا تنقض ولا تبطل «سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة» حينما تذهب إلى مصر قد تجد أعرافا وتقاليد وسياقات عمل وإجراءات وضوابط ومقررات وقوانين، تجدها منسجمة مع الإطار الصحيح، فلماذا تنقضها؟، وقد تجد سياقات عمل بها صدور وخبراء وعقلاء هذه الأمة فلا تنقضها، لأنه كان معمولا بها في المرحلة السابقة. نحن في العراق كان نظامنا الديكتاتوري السابق يستخدم اسم (فلسطين) استخداما خاطئا، والجيش الذي يريد أن يقمع به شعبه يسميه (جيش القدس) وأساء الاستخدام، ولكن قضية القدس وفلسطين قضية حقة، فإن استخدام الظالم هذا الاسم استخداما خاطئا لا يعني أن الموضوع خاطئ.

المحافظة على ما يعزز الألفة

«لا تنقضن سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة»، السياقات التي تعزز اللحمة والتعايش والسلام والوئام، هذه الأمور حافظ عليها ولا تنقضها لتبقى الأمة متماسكة وموحدة، «وصلحت عليها الرعية»، تلك الإجراءات التي تقدم حلولا للمواطنين وتعالج مشاكل المواطنين وتنتظم بها حياة الناس، هذه الأمور لا تنقضها. لعل الديكتاتور الظالم كان ناجحا في توزيع البطاقة التموينية ولم تكن تتأخر عن المواطنين، ما الضير في أن نرى كيف كان الأسلوب لنعمل به، لأن هذا أجراء كانت أمور الناس تنتظم به، فليس كل ما يصدر من السيئ والظالم فعلا خاطئا بالضرورة.

«ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن»، لا يصبح عندك هوس استحداث تشريعات وسياقات جديدة.. فكل شيء فيه بصمة السابقين لا نريده!، وكل شيء عليه اسم السابقين علينا أن نمحوه حتى لو كان أفضل المشاريع، فنهدمه ونبني واحدا آخر!.. وهذا خطأ، فلا تحدّث قوانين أو تشريعات ضارة بتلك السياقات إذا كانت صحيحة، ولا تستبدلها بتشريعات أو سياقات أخرى وبثقافة أخرى تكون مضرة بتلك السياقات الصحيحة، «فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها»، فيبقى الأجر لمن سن تلك السنن والسياقات الصحيحة وتتحمل الوزر والذنب على

هدم تلك السياقات الصحيحة والإتيان بامور وسياقات غير صحيحة وغير مجدية وغير ناجحة تشق على المواطنين.

التغيير على وفق معيار المصلحة

إذن، لا يوجد شيء مطلق في الرؤية الإسلامية، فليس كل شيء حسناً في الدنيا، والقول إن كل شيء سيئ غير صحيح أيضا، حتى في عهد الظَلَمة والطغاة هناك أشياء صحيحة وإجراءات صحيحة يجب ألا ننتفض عليها، فحينما نثور نثور ثورة واعية، وحينما ننقض ننقض بوعي وحينما نختلف نختلف بوعي وعلى خلفية وقواعد ومنطق ورؤية. يجب أن يكون العقل هو سيد الموقف وليس العواطف.

في زماننا وليس في بلادنا وحدها، وإنما في بلدان العالم المختلفة، طبعا البلدان التي ليس فيها تجربة ديمقراطية عميقة وكاملة، حينما يحل وزير جديد يقوم مباشرة بتغيير الطاقم كله، وقد يكون في الفريق أناس جيدون!، حتى أنه يغيّر الغرفة التي يجلس فيها ويغيّر الأثاث، وهذا غير صحيح.. بناية جديدة وفريق جديد وحتى موظف الخدمة يتغير والزي يتغير وكل شيء يتغير، لماذا؟.. حتى لا يبقى أثر للسابق وكل شيء تكون عليه بصمات الوزير الجديد، ولكن أين المصلحة العامة؟، وأين الانتصار لمصالح المواطنين؟، وأين حفظ المال العام؟، هذه كلها غير محسوبة في هذه المواقف الانفعالية، وهذه شهوة سلطة ونزوة.

يأتي فريق جديد لمجالس المحافظات، وفي المقابلة الإعلامية يخطّئ كل شيء، البعض منهم طبعا، هذا غير صحيح، فأنت البديل ومن يأتي بعدك سوف يخطئك أيضا في كل شيء، وهذه ثقافة لا تقف عند حد، ولو دامت لغيرك لما وصلت إليك، وموقع المسؤولية ككرسي الحلاق حينما تنتهي يأتي غيرك، فكرسي المسؤولية هكذا، فإذا خطّأت مَن قبلك سيأتي من بعدك ويخطئك وهذه قضية لا تنتهي.

هذا هو الأساس الذي يضعه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويمثل الرؤية الإسلامية في أحد معالمها في الإدارة والقيادة؛ أن يكون هناك تقييم موضوعي، عما هو فعل صحيح لنستمر فيه، ومن كان كفوءا نبقيه ونستعين به، وما كان خطأ نصححه، والأعوج نعدله وهكذا، ولكن ليس هناك شيء مطلق ولا بد من الحفاظ على الحالة الصحيحة، حتى تكون هناك حالة تراكمية، لذا يقال إن البناء المؤسسي مهم، لأن من إيجابياته هذه الحالة التراكمية، فبعد أربع سنين من التجارب يأتي الثاني ويبدأ من حيث انتهى السابق، ولا

يهدم ولا ينقض ويبني من جديد، والثاني اليوم عنده تجربة أربع سنين ويوم، والثالث عنده تجربة ثماني سنوات ويوم، وهكذا تتراكم الخبرة والتجربة والسياقات والعمل، وكل يأتي ليأخذ المشروع خطوة إلى الأمام، والبلد يتكامل والمنظومة تتكامل، هذا هو السياق، ماذا نستفيد من هذه الكلمات العميقة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، من هذه الرؤية الإسلامية في التعاطي مع المنظومة الإدارية والقيادية؟.

الإضاءة الأولى / ماذا تعني السنة؟

«ولا تنقض سنّة صالحة»، القرآن الكريم استخدم كثيرا مفردة السُنّة في الإشارة إلى القوانين الالهية الثابتة، قال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[٥٦]، من حفر بئرا لأخيه وقع فيها، الفعل ورد الفعل، فأنت تحصد ما زرعت، إن تزرع حنطة تحصد حنطة، وإن تزرع شيئا آخر تحصد شيئا آخر، وحين تتعامل مع الناس بخير يتعاملون معك بخير، وحين تتعامل بسوء يتعاملون معك بسوء، وإن ترفع صوتك على أبيك والعياذ بالله، فسوف يرفع ابنك صوته عليك وهكذا، «ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»، هذا قانون إلهي ثابت في الفعل ورد الفعل.

ثبات السنن الإلهية

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾، ألم يروا ما جرى على الأمم السابقة؟، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾، السنة الإلهية ثابتة لا تتغير ولا تتحول، فهذا قانون إلهي. يتغير الزمان والمكان ولكن القانون يبقى ثابتا، الأسماء تتغير وكذلك الظروف، كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، الصراع بين الحق والباطل يتجدد في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[٥٧]، هؤلاء الكفار والمشركون والمجرمون لا يؤمنون به، أي لا يؤمنون بالرسالات الإلهية ولا يأخذون بها، والقرآن يقول لهم: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾، لاحظوا الأقوام السابقة حينما استهزؤوا بأنبيائهم ورسلهم ورسالاتهم ماذا حصل لهم، حتى تعرفوا ماذا سيجري عليكم، لأن هذا قانون ثابت؛ فالذي لا يسير في طريق السماء ومع إرادة الله تعالى، ومن لا يخضع للسنن الإلهية والرسالات الإلهية ولا يعتمد منهج السماء، سيقع في الهاوية، وهذه من السنن

٥٦. سورة فاطر: الآية ٤٣.
٥٧. سورة الحجر: الآية ١٣.

الثابتة التي لا تتغير، هذا استخدام قرآني للسنة، والقوانين القرآنية الثابتة، وهو خارج موضوع حديثنا.

السنن الاجتماعية

إن القرآن الكريم يستخدم السُنة في ما هي السُنة الاجتماعية في الأعراف والتقاليد والأمور الراسخة في المجتمع، التي يتحرك من خلالها المجتمع، وهي مورد البحث، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فانظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [٥٨]، هذه الظواهر الاجتماعية التي جاءت وترسخت ثم أعطت موقعها لسنن وظواهر وأعراف جديدة، انظروا إلى الأقوام السابقة حينما كذبوها ووقفوا بوجه المجتمع، ووقفوا بوجه المنظومة الأخلاقية والاجتماعية والنفسية لمجتمعاتهم ولم يتماشوا مع القوانين والسياقات المعمول بها في مجتمعاتهم، لاحظوا ماذا حل بهم، حتى تعرفوا ماذا سيحل بكم لاحقا إذا ما خرجتم عن سياق هذه السنن والقوانين والظواهر الصالحة التي تحرّك المجتمع والتي تمثل ركائز في البنية الاجتماعية.

السنن الاجتماعية بطيئة في متغيراتها

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٥٩]، الله تعالى يريد أن يهديكم لتبيان هذه السنن الاجتماعية التي فيها نجاحكم وتقدمكم وازدهاركم ووصولكم إلى ما تتمنون وما تريدون، ، إذن، هذه السنن اجتماعية راسخة في المجتمع، وحركة المجتمع ترتبط بهذه السنن، وهذه غير القوانين الإلهية الثابتة التي لا تتغير، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[٦٠]، فهذه أمور قابلة للتغير، ولكن فيها بناء اجتماعيا، وعملية التغير فيها عملية بطيئة، وعلماء الاجتماع يتحدثون ويضعون نظرياتهم على هذا الأساس، ولذلك فإن التحول المجتمعي تحول بطيء لأن هذا التحول يرتبط بهذه الظواهر والسنن الاجتماعية وهي بطيئة في متغيراتها، فهو يختلف عن التحولات السياسية مثلا، إذ يمكن أن يحدث انقلاب في ليلة ظلماء، أو انتخابات تأتي بفريق جديد، وسواء كان تحولا سياسيا

٥٨. سورة آل عمران: الآية ١٣٧.
٥٩. سورة النساء: الآية ٢٦.
٦٠. سورة فاطر: الآية ٤٣.

ديمقراطيا أو بطرق أخرى، فهو تحول سريع، ولكن التحول المجتمعي بطيء، لأنه يرتبط بهذه المرتكزات وهي لا تتغير بسرعة.

عوامل رسوخ السنن الاجتماعية وتغيّرها

كلما كانت هذه السنن الاجتماعية منبثقة من المنظومة الأخلاقية للمجتمع، كانت أكثر رسوخا، لاحظوا مثلا أعرافنا العشائرية، فهناك سلسلة طويلة من الأعراف لها جذورها الإسلامية المأخوذة من ثقافتنا الإسلامية مثل النخوة والكرم والضيافة والتسامح وغيرها الكثير من القيم الإسلامية، لذلك تجدها راسخة لا تتغير بسهولة.

ولكن قد تكون بعض الأعراف العشائرية ليست ذات جذور إسلامية وإنما من ابتكارات حالة معينة حدثت، كقيام شيخ عشيرة بفعل ما والشيخ الثاني نحا نفس المنحى، أو توفي شيخ عشيرة له عزيز فجلس ثلاثة أيام وأطعم الطعام، وحين يتوفى شيخ العشيرة الثاني سوف يجلس محبوه ثلاثة أيام أيضا في مجلس عزاء، وشيخ آخر له إمكانيات يجلس أربعة أيام في مجلس العزاء، وهكذا يبدأ التنافس ويصبح عرفا اجتماعيا، والفقير المسكين إذا مات له أحد يجب أن يجلس ثلاثة أيام في مجلس عزاء، ولكن هذا أمر شاق عليه، وبالرغم من مصابه بفقدانه لعزيزه يضاف لذلك إرهاقه بإقامة مجلس العزاء وإطعام المعزين، بدلا من أن نساعده ونشفق عليه أرهقناه فوق طاقته، وهذا غير صحيح، أين يوجد مثل هذا الشيء في الإسلام، ومن أين اتيتم بمثل هذه الأمور؟.

وحينما ننظر إلى جذورها نجد أن شيخا من الشيوخ الأكارم فقد عزيزا له فأقام مجلس عزاء ثلاثة أيام، وهذه يمكن أن تتحول إلى ظاهرة، ولكن يمكن التخلي عنها أيضا، ويمكن استبدالها بسلوكيات مختلفة لا تكون عبئا على المجتمع وتسهّل على الناس أمورهم، وكما إن هذه الظواهر سُنت على أيدي أكابر وأن الفقير لا يقدر على تحمل أعبائها، يمكن للشيخ الكبير أن يستبدل إطعام الطعام بالتصدق على الفقراء ويعطي أضعافا مضاعفة من الطعام، ولكن في الفاتحة لا يعطي طعاما، وبهذا سوف لا يُتهم بالبخل، لأن الكل يعرفون أنه غير بخيل وميسور الحال، فإذا وقف وقال: أنا وأمثالي قادرون على ذلك، ولكن الفقراء لا يستطيعون ذلك، فما ذنبهم؟، وحتى أخفف من كاهل الفقراء والمساكين والضعفاء، فأنا أبدأ بهذا الأمر.. فإذا أقام شيخ فلان فاتحة يوما واحدا أو بلا طعام، والشيخ الثاني عمل ذلك أيضا، فهكذا تتغير أيضا باتجاه آخر، وهذا مثال بسيط وعملي من واقعنا المعاش، فكلما كانت السنن الاجتماعية ذات جذور

في المنظومة الأخلاقية ولها جذور وأصالة في الثقافة الدينية، كانت أكثر استحكاما في مجتمعنا وكان زوالها وتغيرها أصعب.

قد تكون السنة حسنة وقد تكون سيئة، وكما ذكرنا؛ يأتي شخص ويستبدل سنة حسنة بضدها حتى يترك بصماته، فيقال إن السيد الوزير الفلاني حينما تسلم الوزارة غيّرها، إذ كانت الوزارة مرتبة ولكن الوزير الجديد غيّر كل شيء، وضرب بعرض الحائط كل السياقات والسنن الصحيحة.. يجب احترام البناء المؤسسي.. هذه السنن قد تكون صالحة يجب الحفاظ عليها، وقد تكون سيئة يجب العمل على تغييرها واستبدالها بسنن صالحة.

التظاهر حق دستوري

في الأيام القليلة الماضية حدثت تظاهرات لأبناء شعبنا في العديد من المحافظات العراقية، وكان شعارها المطالبة برفع الرواتب التقاعدية وإلغائها لذوي الدرجات الخاصة من السادة النواب والوزراء والرئاسات الثلاث وغيرهم من ذوي الدرجات الخاصة، وهذه التظاهرات لا بد من أن ننظر لها من جوانب عديدة:

الجانب الأول/ أن التظاهر والمطالبة بالحقوق حق كفله الدستور العراقي للمواطنين، فمن حق المواطن العراقي أن يتظاهر وأن يعبر عن رأيه وأن يعترض على أي ظاهرة لا يجدها مناسبة وملائمة، ما دام ملتزما بالتظاهر السلمي الديمقراطي، وما دام يعبر عن رأيه بطريقة سلمية وحضارية، فمن حقه أن يتظاهر وأن يعترض وأن يقول ما يريد، وأجهزة الدولة عليها أن توفر المناخات المناسبة من الأمن إلى غير ذلك من متطلبات هذا الاعتراض والتعبير عن الرأي، ولذلك لا بد لنا من أن نشجع منظمات المجتمع المدني على أن تتحمل مسؤولياتها وأن تسهم في إشاعة ثقافة المطالبة بالحقوق.

إن الشعب الذي يتعلم كيف يطالب بحقوقه لا تضيع حقوقه، والساسة يأتون ويذهبون والسياسيون اليوم فريق، وغدا قد يكون فريقا آخر وبعد غد فريقا ثالثا، ولكن من يدوم هو الشعب وعليه أن يتعلم وأن يتثقف في أن يطالب بحقوقه وأن يعبر عن رأيه بطريقة سلمية وحضارية، ولا بد من ألاّ نحمّل هذه التظاهرات أكثر مما تتحمل، فذهب البعض ليعتبرها حركة ثورية، وذهب البعض ليعتبرها حركة ضد النظام وضد الشرعية، وفي واقع الأمر ما لاحظناه لا هذا ولا ذاك، وإنما هو تظاهر وممارسة ديمقراطية سلمية

للتعبير عن قضية مشروعة ينادى بها المواطنون، ولا بد من تقييم مثل هذه الأمور بتقييم صحيح حتى لا نتخبط ولا نظلم الآخرين.

تيار شهيد المحراب.. رؤية متوازنة

الجانب الثاني / أن لنا الشرف في أن رفع الامتيازات انطلق من أدبيات تيار شهيد المحراب، وكانت كتلة المواطن في مجلس النواب ومجالس المحافظات أوّل من تقدّم وأعلن رفع اليد عن الرواتب التقاعدية، ثم التحقت كتل سياسية وشخصيات مستقلة أخرى بهذا الشعار، وهذا المشروع الصحيح والطيب، فلا أحد يزايد في هذا الموضوع علينا، ولكننا نؤمن بأن الحل المقبول الذي يمكن أن يُقبل ويمضي في مجلس النواب وينسجم مع الحكمة، هو أن نراعي مبدأ التوازن والإنصاف، بعيدا عن الإفراط والتفريط في النظر إلى هذا الموضوع، فالبرلماني مواطن قبل أن يكون برلمانيا وله حقوق المواطنة، وسيبقى يتمتع بحقوق المواطنة بعد أن ينتهي من مهمة مجلس النواب أو مجلس المحافظة أو أي موقع من هذه المواقع، وبالتالي من المنطقي أن يتعامل معه كما يتعامل مع سائر الموظفين في الدولة.

ولذلك نتمنى أن يكون قانون التقاعد الموحد الذي صوت عليه مجلس الوزراء والذي سيناقش في مجلس النواب، قد وضع هذه الرؤية المتوازنة التي لا تظلم أحدا، وتنظر للنائب في مجلس النواب أو في مجالس المحافظات بحسب مهمته، وبحسب سنوات الخدمة التي يقدمها، وبحسب ظروف العمل الوظيفية قبل خدمته في مجلس النواب وبعد خدمته فيه، وتنظر له كمواطن خدم الدولة العراقية لسنين، فيعطى المقدار الذي يستحقه من التقاعد، كما إن أي موظف من الموظفين حينما يعمل في مؤسسات الدولة تحتسب له مدة الخدمة وعلى أساسها يحدد التقاعد المطلوب له.

فالحديث عن رواتب تقاعدية لنائب يمارس التشريع لأربع سنوات فيأخذ رواتب تقاعدية بنسبة ثمانين بالمئة من راتبه مدى الحياة، هذا شيء فيه الكثير من التفريط والتضييع في حقوق المواطنين، وأن نقول إن كل الموظفين يستحقوق تقاعد إلا عضو مجلس النواب، لا يُحتسب له حتى لو بقي عشرين سنة في مجلس النواب، فلا يتسلم دينارا من التقاعد، فهذا فيه إفراط وشدة على هؤلاء الناس وهم مواطنون ويعملون، فالتوازن والنظرة الموضوعية واحتساب خدمة النواب كخدمة سائر الموظفين في الدولة هو الإجراء الصحيح والمنطقي الذي يجب أن يُعتمد في مثل هذه الحالة.

الجانب الثالث / أن طريقة التعامل مع التظاهرات والمتظاهرين كانت طريقة مستهجنة مع الأسف الشديد في بعض المحافظات، فأي مبرر لهذا الاستنفار النفسي الذي لاحظناه في الأجهزة الأمنية، وأي مبرر لهذه القسوة التي ظهر فيها رجال الأمن في بعض المحافظات حينما تعاملوا مع المتظاهرين، لماذا القسوة؟ لماذا استخدام العنف ولماذا هذا الاستنفار ولماذا النظر إلى هؤلاء وكأنهم أعداء، بينما هم مواطنون يمارسون حقا دستوريا في التعبير عن آرائهم؟.

إنها أسئلة علينا أن نجيب عنها، وعلى المؤسسة الأمنية أن تحدد الإجابات الواضحة وتقدمها للمواطنين، إننا ندّعي أننا نعيش في ظل دولة ديمقراطية وهو كذلك، فعلينا أن نعرف أن من أوضح الأسس الديمقراطية هو انضباط سلوك رجل الأمن حينما يتعامل مع المواطنين وهذا مؤشر من مؤشرات السلوك الديمقراطي والواقع الديمقراطي في بلادنا، وعلى المؤسسة الأمنية أن تعلم السلوك المطلوب لمنتسبيها حتى يتعاملوا بطريقة صحيحة مع المواطنين.

سلوك الأجهزة الأمنية

قبل مدة من الزمن، اُستهدف المدرب الرياضي المرحوم الفقيد الاستاذ محمد عباس في مشاجرة بسيطة مع رجال الأمن أدت إلى وفاته لاحقا، وحينها قرعنا ناقوس الخطر من سلوك غير ملائم يتفشى في الأجهزة الأمنية ويجب السيطرة عليه، واليوم تلقيت خبرا أتمنى ألا يكون دقيقا، أن أحد المتظاهرين المعتقلين أيضا توفي في ظروف غامضة، وهذه قضية تحتاج إلى تحقيق شفاف، وإلى إطلاع الرأي العام إن كان هذا الأمر قد تحقق وما هي أسباب وفاة هذا الشاب حينما اُعتقل من قبل الأجهزة الأمنية في محافظة (ذي قار)؟، وعلى كل حال، علينا أن نقف بشجاعة ونضع اليد على أخطائنا ونعالج هذه الأخطاء ولا نتركها ونهملها تحت أي ذريعة كانت، إن على رجال الأمن أن يفرقوا بين الإرهابيين والمواطنين الذين يعترضون بطريقة سلمية على أي قضية ضمن الحق الدستوري الذي كفله لهم الدستور.

الإصلاح الإداري.. الضرورة المؤجلة

منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في العهد الملكي، انبثقت مع تأسيس الدولة إشكالات إدارية عويصة ولم تعالَج إلى يومنا الحاضر، ونحن نتحمل هذه المضاعفات لهذا الخلل الإداري دون أن ينبري ويتصدى من العقول الإدارية في هذا البلد من يضع

حدا لهذه التحديات وهذه الإشكالات، وفي الأسبوع المنصرم تطرقنا إلى ضرورة القيام بثورة إدارية في هذا البلد حتى نستطيع أن نكسر الأغلال والكوابح التي تمنعنا من الانطلاق الصحيح، وإن مناشئ هذا الترهل ومناشئ الكبوة التي نعيشها منذ عشر سنوات في أحد أهم معالمها تتمثل في الإجراءات الإدارية الخاطئة والروتين القاتل والبيروقراطية الشديدة، فلا بد لنا من ثورة إدارية تضع حدا لمثل هذه الإشكالات.

إن الإدارة كمفهوم لا ترتبط بإدارة الأفراد والموارد فحسب، وإنما تمتد لتشمل الإدارة في الملف السياسي أيضا؛ إدارة التفاوض، وإدارة النزاع، وإدارة الأزمات، وإدارة العلاقة الوطنية بين القوى السياسية، وإدارة العلاقة الإقليمية بين بلدنا والبلدان المجاورة، بل حتى العلاقات الدولية لا تكون ناجحة إلا في ظل إدارة ناجحة لهذا الموضوع.

إذن، الإدارة ليست أن يكون الإنسان مدير إدارة في دائرة ما ويدير أربعة موظفين أو ألف موظف، بل الإدارة مفهوم يمتد ليشمل كل القطاعات، فلا نستطيع أن ننجح في السياسة مع وجود خلل في الرؤية الإدارية، ولا نستطيع أن ننجح في الاقتصاد مع وجود خلل في الرؤية الإدارية، ولا نستطيع أن ننجح في الأمن إلا بعد أن نعالج هذا الخلل الإداري عبر الثورة الإدارية التي يجب أن نرفع شعارها وأن نعمل على تحقيقها، وستسمعون منا في الأيام القادمة ترديد هذا الأمر كثيرا وكثيرا، وسنعرض على مسامعكم مفهوم الثورة الإدارية لاحقا، لأننا نعتبر أن هذا مدخل أساسي في مشروعنا لبناء الدولة العصرية العادلة.

منذ ولادة الدولة العراقية الحديثة ولغاية يومنا الحاضر، ما زالت الأزمة الإدارية قائمة وما زالت المشكلة مستمرة ولا نستطيع أن نحل مشاكلنا إلا بعد أن نضع رؤية إدارية صحيحة لهذا الأمر، وإذا أردنا أن نراجع تأريخ المسار الإداري في البلاد، فسنجد الإخفاق والإشكالات الإدارية التي عشناها في العهد الملكي، وحينما تحولنا إلى العهد الجمهوري على يد العسكريين وكانت جمهورية البنادق، شهدنا تراجعا ملحوظا في واقعنا الإداري من جديد، إذ تراجعت الإدارة وحلت محلها لغة الأوامر، لأن العسكري يفهم أن الإدارة هي مجموعة أوامر وتعليمات، فتحولت البلاد في منظومتها الإدارية إلى مجموعة من الأوامر والتعميمات التي يصدرها الحاكم العسكري في هذه البلاد، وتحولت إلى منظومة إدارية فيها الكثير من الإشكالات والتلكؤ، لأن الرؤية لم تكن رؤية صحيحة، وهكذا أصبحنا أمام واقع كبير فيه الكثير من التلكؤ والالتباس، وإلى يومنا الحاضر، وفي ظل النهضة الجديدة التي نشهدها بعد ٢٠٠٣، ما زلنا نشهد حالة من

التجاهل لأساليب الإدارة الحديثة في مؤسسات الدولة العراقية، ولدى أغلب القائمين على هذه المؤسسات.

لا بد من أن نعلن بوضوح أنه ليس من المعيب أن نقول إننا نجهل الوسائل الحديثة للإدارة، لنذهب إلى من يمتلك هذه الوسائل والأدوات ونتعلم منه ونأخذ منه التجارب الصحيحة والناجحة في الإدارة، ولكن المعيب أن نُصر على الاستمرار في هذا السلوك الخاطئ لنغرق في ممارسات وسلوكيات إدارية تجعلنا في واد والعالم في واد آخر، ونبقى متخلفين ومتأخرين عن العالم بخطوات وخطوات.

إن البعض قد يظن أن العراق كدولة يعاني من أزمة قيادة، ولكننا نعتقد بأن هذه عقيدة غير صحيحة، فقد أثبت الواقع العملي في العراق أن هذا البلد ينتج الكثير من القادة، وليس بلدا عقيما، بل هو بلد ولود ينتج قادة كبارا، وليس لدينا مشكلة وأزمة قادة في هذا البلد، ولدينا قيادات كبيرة في مختلف المجالات والمستويات، ولكن المشكلة الحقيقية في العراق والأزمة الكبرى في الدولة العراقية هي أزمة إدارة وليست أزمة قيادة.

تطوير النظام التعليمي

إننا على أبواب عام دراسي جديد، وسيعود أبناؤنا وبناتنا إلى المدارس بعد انتهاء العطلة الصيفية، إن المجتمعات مهما تطورت ماديا وتكنولوجيا وسياسيا، يبقى التطور الحقيقي بتطور التربية والتعليم، ودائما تقترن التربية مع التعليم، لأن العلم النافع لا يكون إلا لإنسان مربى تربية صحيحة، فلا بد من أن نجمع بين التربية والتعليم، وهذه هي الثقافة القرآنية: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٦١]، التزكية والتعليم تأتي متزامنة في القرآن الكريم، ولا بد لنا من أن نعمل جاهدين على بناء جيل مستقبلي واع متمكن من خلال تطوير واقعنا التعليمي والتربوي في البلاد، ولا نستطيع أن نترقب ونستشرف مستقبلا زاهرا في العراق ما دام المنهج التربوي والتعليمي منهجا متلكئا ومتراجعا.

إن النظام التعليمي مما يؤسف له يحتاج إلى تطوير حقيقي وما زال متخلفا متراجعا عن النُظُم المتطورة في التعليم والتربية، والأدوات التعليمية عندنا غير كفوءة وغير مكتملة، ونلاحظ اليوم أن البلاد تعاني من نقص كبير في عدد المدارس وحتى المدارس

٦١. سورة آل عمران: الآية ١٦٤، سورة الجمعة: الآية ٢.

المبنية هناك الكثير من الملاحظات عليها، والكثير منها لا تتوافر فيها المواصفات الصحيحة المطلوبة في المدارس العصرية والمتطورة، كما إن التصاميم المعتمدة في هذه المدارس نجدها هي ذات التصاميم المعمول بها منذ عشرات السنين، فيما بدأ العالم يطوّر في تصميم المدارس، وقد أخذ بناء المدارس في الدول المتطورة منحى معماريا جديدا، يوفر الراحة النفسية وانشداد الطالب إلى المدرسة ليقضى وقتا ممتعا في داخل المدرسة، بينما يرى أبناؤنا العطلة عيدا، وفرحتهم حين لا تكون هناك مدرسة، وكأن المدرسة سجن يساق إليه الطفل مضطرا، على العكس مما في الغرب والدول المتطورة، حيث لا يجد الطالب الراحة في العطلة والجلوس في البيت، بل يجد أنسه في الدرسة، نتيجة الإمكانات الكبيرة وطريقة التعامل والمختبرات المتطورة والفرص والساحات المتوافرة، فالطالب ينشد إلى المدرسة ويتعلم ويُبنى بناء صحيحا.

حقوق وليست طلبات تعجيزية

كما نواجه نقصا كبيرا في طبيعة التجهيزات المطلوبة في هذه المدارس، فيما نجد في الدول المتطورة أن هناك اهتماما كبيرا بالمختبرات المتطورة والكراسي المريحة والصفوف المكيفة والمرافق الصحية النظيفة والماء المعقم وإلى غير ذلك من أمور، ولكننا في العراق نشهد حالة مختلفة تماما عن هذه الصورة، وإذا توقعنا لمدارسنا العراقية مثل هذه الأمور، فقد يقول أحدهم إن (السيد بطران)، إذ يتكلم عن صفوف مكيفة، ولكن هذا حق طبيعي لأبنائنا، أن يكونوا في أماكن مبردة في الحر، وفي الشتاء في أماكن دافئة، إلى غير ذلك، وهذه ليست بطرا وليست توقعات تعجيزية، بل هذه أبسط المقومات الصحيحة لنجاح المهمة التعليمية، وهذا أمر مطلوب، ولكننا بعيدون عن هذا الواقع.

نحن بحاجة إلى نهضة تعليمية وتربوية كبيرة حتى نعالج كل هذه المجالات وكل هذه الأمور، ولاسيما أننا اليوم على مشارف دخول ٨ ملايين طالب وطالبة إلى صفوفهم والعودة إلى مدارسهم، وهؤلاء يحتاجون إلى الرعاية الخاصة. إننا نؤكد أننا بدون نظام تربية وتعليم متطور لا نستطيع أن نتقدم خطوة أساسية واحدة إلى الإمام، ولا نستطيع أن نبني جيلا مستقبليا واعيا ومتمكنا من أداء واجباته في المجتمع، ولا نستطيع أن نحقق اللحمة والتماسك في مجتمعنا، فالبداية تبدأ من المدرسة حتى تنتهي بالبناءات الاجتماعية الفوقية.

تكامل الأدوار بين المركز والمحافظات

إن المحافظات تعاني من ضغط كبير على المستوى الاقتصادي التنموي والأمني، وقد جُعل السادة المحافظون وأجهزتهم الإدارية في زاوية حرجة في هذا المجال، فمن ناحية يريدون أن يلبوا ما وعدوا به أبناء شعبهم من الخدمات والرعاية المناسبة للمواطنين، وأن يوفروا الأمن المناسب الذي يُشعر المواطنين بالاطمئنان، ومن ناحية أخرى، فإن القرارات الأساسية في مثل هذه الأمور والملفات الحساسة لا ترتبط بالمحافظة، وإنما ترتبط بالحكومة الاتحادية في المركز، ولذلك نحن بحاجة إلى رؤية إدارية صحيحة لحل الإشكالية وربط المحافظات بالحكومة الاتحادية في المركز بشكل صحيح، وتكامل الأدوار بين الجهاز الإداري في الوزارات والجهاز الإداري في الحكومات المحلية والمحافظات، حتى نستطيع أن نتجاوز هذه الإشكالية، ولا تبقى الأمور كما هي الآن، حيث إن المحافظات مكبلة بسلسلة طويلة من القرارات المركزية الشديدة التي يجب الرجوع فيها إلى الوزارات، وفي الوزارات ـ في الكثير من الحالات ـ هناك روتين قاتل وهناك تسويف ومماطلة، وأحيانا لا مبالاة تجاه مطالب المحافظات، فينقضي الشهر والشهران والثلاثة ولا تنجز المعاملة ولا يصدر القرار ولا يعطى الترخيص، حتى تنطلق المحافظات في أداء واجباتها ومهامها المكلفة بها.

إن المحافظات بدون هذه الصلاحيات الواسعة في المجال الاقتصادي التنموي وفي المجال الأمني لا تستطيع أن تفي بوعودها لأبناء شعبنا، ولذلك نتمنى تفعيل قانون مجالس المحافظات الجديد الذي يمنح صلاحيات واسعة وتفهما من الحكومة الاتحادية والوزارات في المركز لدعم هذه المحافظات وإعطائها المزيد من الفرص، حتى تبني وتعمر وتنجز وتقدم لأبناء هذه المحافظات ما يستحقون. إن علينا أن نبحث عن حلول فعالة وواضحة لهذه الأزمة وهذه الإشكالية، حتى نتخلص من حالات التذمر والإحباط، وعدم الانسجام الذي قد نجده أحيانا بين المحافظات والمركز.

تحويل البطاقة التموينية إلى المحافظات

إن خطوة تحويل البطاقة التموينية إلى المحافظات، خطوة صحيحة وفعالة، ولكن شرطها أن تتبنى الحكومة الاتحادية دعم ومساندة المحافظات في تحقيق هذه المهمة، وإزالة العراقيل والتعقيدات الإدارية لإنجاز هذا الأمر على أفضل وجه، وعلى المحافظات أن تقوم بواجبها بشكل كامل من خلال اعتماد مجهزين خبراء وأكفاء قادرين على أن يوفروا هذه الحصة التموينية لأبناء شعبنا، كما إن عليهم إيجاد مراكز

مستقلة تحظى باعتراف دولي لفحص الأطعمة والتأكد من توفر المعايير الصحيحة فيها، حتى لا يتسببوا بأضرار لواقع المواطنين.

إن فلسفة الحصة التموينية لا تنحصر بتقديم الحد الأدنى من الطعام إلى المواطنين، وإنما يُراد من خلالها أيضا السيطرة على أسعار المواد الغذائية ولا سيما المواد الأساسية في السوق بشكل عام، وضخ أربعة مليارات دولار لشراء الطعام وتوفير الحصة التموينية للمواطنين سنويا إنما يساعد على توفير الحد الأدنى من الغذاء المطلوب للمواطنين، وفي الوقت نفسه يضخ هذا القدر الكبير من الطعام مما يسيطر على أسعار المواد الغذائية في السوق، ويمنع من ارتفاعها بشكل مضر بمصالح المواطنين.

إن الفساد والعمولات التي يأخذها البعض في هذه العملية، جعلت وزارة التجارة الكريمة عاجزة عن تقديم الحصة التموينية للمواطنين بشكل منتظم، فتتلكأ وتقل مفرداتها، بل تتوقف في بعض الأشهر، بالرغم من دفع أربعة مليارات دولار سنويا لتوفير الحصة التموينية، وهذا يكشف عن وجود فساد ومافيات ومجموعات داخل هذه الوزارة تسعى إلى أن تستفيد على حساب غذاء المواطن البسيط، وهذا ذنب كبير لن يغتفر.

أقولها لهم بوضوح وصراحة، إن هذه الأموال من السحت والمال الحرام الذي يدخل في بطونكم وبطون أبنائكم سوف ينتج أمراضا وسوف ينتج عدم توفيق وسوف ينتج بلاء في الدنيا قبل الآخرة، اسمعوا هذه الكلام مني، ثم لاحظوا أنفسكم وحياتكم وحياة عوائلكم، وانظروا كيف سيعمل المال الحرام وأموال هذا الشعب حينما تضعونها في بطونكم وبطون عوائلكم، وكل ما يذكر من تبريرات في أخذ هذه العمولات الكبيرة على المواد الغذائية، كلها من وساوس الشيطان وكلها تبريرات باطلة غير مقبولة.

وليعرف الجميع أن الله سبحانه وتعالى «يُمهل ولا يُهمل» وسيأتي اليوم الذي يندم هؤلاء على ما أخذوه وسرقوه من أموال هذا الشعب، ولا مجال للتستر والتذرع بأخذ هذه العمولات والأموال بمبررات دينية، كأننا نصرف هذه الأموال على فعل الخير والأيتام وعلى إطعام الطعام وعلى إحياء الشعائر الدينية وغير ذلك، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل أن يتستر خلفه المفسدون، وخلف هذه العناوين المقدسة، فلا يطاع الله من حيث يعصى، ولا يعطى للأيتام والفقراء من المال الفاسد الذي يُسرق من قوت هذا الشعب، ويجب أن يعرف الجميع أن الله لهم بالمرصاد.

واجب مجالس المحافظات

إننا نودع الصيف ونستقبل الخريف والشتاء، وهي فرصة مهمة للسادة المحافظين في أن يهتموا ويركزوا في هذه الفترة بشكل خاص على تنظيم الطاقة الكهربائية للمواطنين والاستعداد للصيف القادم. أيها السادة المحافظون، أيها الحكومات المحلية، ما دمتم تعقدون آمالكم على وزارة الكهرباء قد لا يأتي الكهرباء كما أننا انتظرناه طويلا ولم يأتِ، وعلى مجالس المحافظات والحكومات المحلية أن تعمل جاهدة على توفير الطاقة ولو بحدودها الدنيا المعقولة بإمكاناتها الذاتية وأن تنفتح على قطاع الاستثمار وأن الخصخصة في قطاع الطاقة هو السبيل الوحيد المنتج لكل هذه المحن والآلام وهذه تجربة إقليم كردستان ماثلة أمامنا، فقد استطاعوا من خلال الخصخصة والاستثمار أن يوفروا الطاقة، ولابد للمحافظات أن تفكر بحل هذه المشكلة.

لاجئو مخيم رفحاء

لقد تم إقرار قانون اعتبار لاجئي مخيم رفحاء من المشمولين بقانون السجناء السياسيين، إننا نتقدم بالشكر لكل من أسهم في تشريع هذا القانون؛ مجلس الوزراء ومجلس النواب وهيئة الرئاسة والكتل النيابية الكريمة، وأخص بالذكر كتلة المواطن التي أخذت على عاتقها هذا الأمر وعملت ليل نهار على مدار سنتين حتى حققت هذا الإنجاز لأهالي وأبناء مخيم رفحاء الكرام. إن هؤلاء الأبطال عملوا الكثير للعراق الجديد، ومهما قدمنا لهم لا نفي بشيء من حقهم علينا وعلى هذا الوطن، ومن أهم ما قاموا به أنهم تحركوا ولم يجلسوا واستنفروا كل طاقاتهم وإمكاناتهم، وكان لهم دور كبير في تحويل ملف العراق من أدراج المكاتب ووضعه على الطاولة، فكان القرار الدولي حينما تحرك الملف وشهدنا الانقضاض على الحكم الدكتاتوري والحرية التي حظي بها العراقيون جميعا، فتشريع هذا القانون هو انتصار للمظلومين، وهو انتصار لحقوق المواطنين، وإن جاء متأخرا، ولكن الحق لا يسقط بالتقادم.

الأزمة السورية.. اختلاط الأوراق

في الشأن الإقليمي لاحظنا الحذر الدولي في التعامل مع الأزمة السورية والتداعيات الأخيرة المتمثلة باستخدام السلاح الكيمياوي في هذا البلد العربي الشقيق، وإذا أردنا أن نقف وقفة واعية عند هذا الحذر والتريث الدولي في هذا الملف الحساس، سنجد أن المجتمع الدولي بدا أكثر عقلانية واتزانا في تعامله مع الأحداث والقضايا المتداخلة في

عالمنا اليوم وفي المنطقة. إن القضية السورية باتت واحدة من أكبر القضايا المتداخلة في الشرق الأوسط نتيجة تشابك وتقاطع المصالح في هذا البلد العربي الكريم، والذي يراجع قائمة الحلفاء والخصوم على الأرض في سوريا يصاب بالصدمة، فمن هم أعداء وخصوم في ساحات أخرى يتقاتلون مع بعضهم، اصطفوا صفا واحدا وفي خندق واحد في الساحة السورية، وهذا يكشف عن حجم التداخل وتشابك المصالح الذي نجده في هذا البلد العربي الكريم.

في مثل هذه الصراعات المتداخلة تصبح معرفة الحقيقة أمرًا شاقا ومعقدا، ولعل هذا كان سببا من أسباب التريث الذي شهدناه في موقف المجتمع الدولي من هذه الأزمة ومن تفاعلاتها الأخيرة، وهناك مؤشر آخر يبرر هذا الحذر يرتبط بالتأثير الشعبي على القرار، الذي أصبح ملموسا في هذه القضية وفي القضايا المماثلة، فسابقا كان القرار الدولي يمضي باتجاهاته وبعد أن يُحتل بلد حينذاك ترتفع الأصوات وتعترض على المحتل بعد أن يحتل، ولكن في هذه القضية ارتفعت الأصوات قبل أن يبدأ صاحب القرار وقبل أن يتخذ قراره، مما جعله يتريث ويحذر، وهذا ما يكشف عن تطور في الرأي العام وفي تفاعلاته وتاثيره في مسار القرار الدولي، ما يجعلنا نرى في الأفق وضمن المعطيات المتاحة اليوم، أن الضربة العسكرية حتى لو تمت فستكون ضربة محدودة، ومقتصرة على أهداف ونطاق محدودين، الغرض منها إعادة التوازن إلى طرفي الصراع في هذا البلد، ليكون مقدمة للذهاب إلى حوار جاد يمكن أن يفتح المجال لتسوية سياسية بين طرفي النزاع في سوريا.

إننا نتمنى من أطراف الصراع في سوريا والداعمين لهم إقليميا ودوليا أن يقفوا وينظروا بعمق إلى المبادرة العراقية لحل الأزمة السورية، التي جاءت متوازنة وعملية وتضمن حقوق الجميع، وهي فرصة مهمة لوقف نزيف الدم وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح.

شاهدنا سلسلة أخرى من التفجيرات الدموية في العاصمة وبعض المواقع الآخرى.. نترحم على شهدائنا ونتمنى للجرحى الشفاء العاجل، ونتمنى أيضا على الأجهزة الأمنية أن تتحمل مسؤولياتها الكاملة في تطوير خططها وأدائها على الأرض، بما يمنع استمرار نزيف الدم العراقي البريء بهذه الطريقة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٠١٣/٩/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((لَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))

تحدثنا في الإضاءة الأولى عن هذه المقولة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأوضحنا معنى السنة، واستعرضنا الاستخدام القرآني للسنة والمعاني العديدة للسنن بحسب الاستخدام والتعامل القرآني الكريم، والمقصود من السنة هنا هي السنن الاجتماعية؛ تلك الأمور الكلية الراسخة الثابتة في المجتمع، التي تقاس بها حركة الناس ومساراتهم، هذه سنن اجتماعية من أعراف وتقاليد وأمور يتعاهد الناس ويتعاقدون عليها، بأن يعملوا على وفقها ولا يتجاوزوها.

مناشئ التغيير الخاطئ

الإضاءة الثانية / ما المناشئ والأسباب التي تدعو مسؤولا إلى أن يُنقض وينفي كل ما مضى من سياقات، ويخطّئ كل شيء، ويغيّر فريق العمل كله؟.. ما هي المناشئ

الواقعية التي تجعل الإنسان يطمح إلى تغيير كل شيء والمجيء بأشياء جديدة تختلف عن السابقة؟.

أولا / ضيق الأفق: يأتي مسؤول جديد غير ملم بالمهمة المناطة به، ولا يعرف حيثيات القضية، وفي دوائر الدولة مئات الدهاليز والاعتبارات، وكان المسؤول السابق أخطأ وجرب حتى تعلم كيف يعمل، وأنت في اليوم الأول ولا تعرف كثيرا من الأشياء، وقد تجد بعض الأشياء خاطئة ولكن قد يكون لها ما يبررها، فيجب أن تسمع من المسؤول السابق وفريقه سبب الإجراءات والخطوات، فضيق الأفق والرؤية الضيقة أحيانا يؤديان إلى تخطئة المواقف والأعمال السابقة، مهما كانت وأيا كان فاعلها.

ثانيا / سوء التقدير: أحيانا، الرؤية الضيقة والتقديرات الخاطئة والسيئة هي التي تدفع المسؤول إلى اتخاذ قرار خاطئ، فليس هناك مسؤول يريد أن يفشل، كلهم يبغون النجاح، سواء كان المسؤول عادلا أو ظالما، حتى يبقى في مسؤوليته، ولكن المشكلة حينما تغيب الرؤية، والتقديرات حينما تكون خاطئة، وحين يورط المستشارون والمساعدون السيئون المسؤول ويجرونه إلى اتخاذ المواقف الخاطئة.

ثالثا / سياسة الإقصاء: المسؤول الذي يريد أن يتفرد برأيه ويقصي الآخرين، ولا يتحمل الآخر، الآخر كفرد أو كرؤية، أي فكرة أو رؤية تخالف رؤيته الشخصية لا يستطيع أن يتحملها فيقمعها باستبدالها، وبدلا من أن يجلس ويسمع الرأي الآخر وينضج الأمور، يريد أن يفرض رأيه في كل شيء، فهذا ينتهج سياسة إقصائية ولا يتحمل رأيا آخر ولا فكرا آخر أو فريقا آخر، وما إن يسمع أن هذا الشخص من لون سياسي آخر، حتى يأمر فورا بنقله، لماذا؟، ربما يستطيع أن ينجحك أكثر من جماعتك، وقد يكون نجاحك من خلال أناس عندهم خبرة وكفاءة، ويكونون مستقلين أو من توجهات سياسية أخرى، ولكن يعرفون العمل ويستطيعون إنجاحك وإنجاح العمل، ولكن أن تأتي بشخص من حزبك يحبك ويواليك ولكنه لا يعرف العمل، فبالتالي سيفشل ويفشلك معه وهذا ما لا تستفيد منه. منهج الإقصاء وثقافة الإقصاء واحد من المناشئ التي تدفع إلى تغيير الطواقم والمشاريع.

رابعا / الحسد: الحسد قد يدفع للتغيير؛ فالبعض لا يريد إبقاء الشخص الناجح في منظومته الإدارية، خشية من ألاّ ينظر الناس إليه!. البعض يخشى من الكفوء ويخاف من الطاقات والكفاءات وأصحاب العقول، بدلا من الاستفادة من الأكفاء ليعوضوا قلة كفاءته، وبدلا من أن يحذو حذو الأكفاء ليتعلم ويتطور ويقرأ ويدرس حتى يرتفع

ويكون بمقدارهم وأكثر منهم كفاءة، فيحاول أن يقلل من قيمة الآخرين ويقصيهم حتى يبرز هو، وليس عنده همة أن يطور من قابلياته ويغيظه أن يجد في منظومته أو دائرته من هو أكفأ منه، وهذه في كل القيادات الإدارية يمكن أن تحدث، من الأسرة التي قد يجد فيها الزوج قابليات في الزوجة هو لا يمتلكها فيحسدها ويحاول أن يقمعها حينما يراها تفكر أفضل منه أو متعلمة أكثر منه وتنجح في مجال عملها أكثر منه، وبدلا من أن يفرح ويشكر الله على ما رزقه من زوجة ناجحة ومتعلمة، تراه يقمعها، كما إن هناك أبا لا يتحمل التألق في ابنه، وإذا كان عنده فكر ورؤية وقدرات يحسده ويبعده ويقمعه حتى يبقى هو متألقا، وهذا مرض لا ينحصر في موقع قيادي معين، شيخ عشيرة أو مسؤول مكان أو رئيس شركة، إذن، أحد المناشئ هو الحسد الذي يعمي العين والقلب ولا يسمح للإنسان بأن يتعامل مع الشخص الآخر أو الفكرة الأخرى، فيقمع ويغير كل شيء حتى لا يبقى أثر لمواقف الآخرين.

خامسا / حب الذات والأنانية: منشأ آخر من المناشئ التي تدفع لمثل هذا التغيير الثأري والعشوائي لكل شيء، فمنذ البداية يريد أن يجعل كل معلم في الوزارة باسمه، وكل شيء للآخرين يجب أن ينقض ويتوقف ويتعطل، وكل شيء له يجب أن يبرز، فلا يتحمل الآخر ويريد كل شيء باسمه!.. هذه أنانية، وهذا هو الهوى، والنرجسية التي يقع بها المسؤول، ولا يريد أن يسجل إنجازا للآخرين.

سادسا / العداء والتشفي من الآخر: عنده خصم وجاء بديلا لخصمه، فكيف يعمل بسياقات الخصم؟. صدام عدونا وهو رجل أساء بحق الشعب والشعب رفضه، ولكن ليس بالضرورة أن كل ما قاله وفعله صدام والوزارات والدوائر التي عملت في زمنه ليس فيها إنجاز، فهناك الكثير من إنجازات وأعمال تحققت من أناس مخلصين وطنيين، خدموا البلاد ليس حبا لصدام ولكن حبا للعراق وانتصارا لوطنيتهم، إذا كان هناك شخص ديكتاتور فهل هذا يعني أننا نشطب على مرحلة استمرت ثلاثين عاما، ونشطب على كل الطاقات والكفاءات والناس الذين خدموا في هذا البلد على مدار ثلاثة عقود؟.

لاحظ حكمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»[٦٢]، إذا قال رجل صالح كلمة خاطئة فلا تأخذ بها، وإذا قال ظالم كلمة صحيحة فخذ بها؛ انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال، علينا ألا نبقى أسرى الأسماء، وإذا قال اسم لامع كلمة لكنه أخطأ بها لا نأخذ بها، فالأنبياء والائمة هم المعصومون فقط، فرجل ظالم

٦٢. عيون الحكم والمواعظ: ٥١٧.

قد يجري الله تعالى كلمة صحيحة وحكمة على لسانه، أي ضير في ذلك؟، قد يقيّض للظالم أدوات تقوم بمشاريع صحيحة نستفيد منها، أي ضير في ذلك؟، فحالة العداء والتشفي يجب ألا تكون في المسؤول، وإنما النظرة الموضوعية، وكل ما هو صحيح يجب أن يؤخذ به ويُبنى عليه ويعول عليه، وكل ما هو خاطئ يغير، وهذا هو المنهج الذي يجب اعتماده.

سابعا / الشهرة: هناك مسؤول يحرص على افتتاح أي مشروع لدائرته ووزارته في العراق، فيركب ويقص الشريط بنفسه.. لماذا لا تعطي الفرصة للمسؤول المحلي بهذا العمل خصوصا أنك تسرق الأضواء باستمرار؟!، أعط فرصة للوكيل أو النائب أو الآخرين، اسمح بأن يُعرف الآخرون، حتى تكون هناك حالة من الشعور بأن الجهود لا تصادر والجهود لا تضيع.

في بلادنا تصادر الجهود للمسؤول الأوّل، مع أن المسؤول الأوّل يوجه، ولكن الآخرين يصرفون الوقت ويعملون ويذهبون ويأتون وتتحقق الإنجازات، دع مسؤول القرية يُعرف بين الناس، وهو من امتداداتك، ليعرف أنه قام بعمل صحيح، وهكذا في الأقضية والنواحي. حب الشهرة أحيانا يجعل المسؤول في موقف الرفض لكل شيء سابق، فيأتي بشيء جديد حتى يكون هو من تُسلط عليه الأضواء.

الإضاءة الثالثة / المعيار في ما نرفضه من خطوات

يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثة معايير للتغيير المرفوض:

«ولا تنقضنّ سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة»، صحيح أن الطريق السريع بين بغداد والبصرة قد أُنجز في زمن صدام، ولكن ليس صدام من أنجزه، بل شركة أجنبية رصينة، فسارت عليه الدبابات والشاحنات واُستخدم في الحروب وما زال في أحسن أحواله، فكانت وراء هذا المشروع كفاءة. أمير المؤمنين يقول إن أي إجراء وأي مشروع عمل به صدور هذه الأمة، عقول هذه الأمة وكفاءاتها، فإذا كان العمل رصينا فمعناه أن هناك متخصصين عملوا به، وليس من إبداعات القائد الضرورة، بل شركات رصينة وكفاءات، وهذه الأعمال يجب الأخذ بها والإبقاء عليها. القانون الفلاني دُرس دراسة مستفيضة من عقول عراقية كفوءة وكُتب، حتى لو كُتب في العهود السابقة، فما دام نتاج عقول فذة وعمل متقن يجب الأخذ به.

«واجتمعت به الألفة»، أي خطوة تقرب بين الناس وتؤلف القلوب وتعزز اللحمة

وتحقق الانسجام والوئام، فهذه حافظ عليها، أما الخطوة التي تمزق وتشتت الناس فيجب تغييرها.

«وصلحت عليها الرعية»، أي قانون أو إجراء أو مشروع صالح للناس ينظم حياتهم ويحل مشاكلهم ويعين الناس في تفاصيل حياتهم اليومية، وكل شيء إيجابي في حياة الناس، أبق عليه، ونحن خصومتنا مع الظالم وليست مع الناس، أي شيء لصالح الناس نبقي عليه حتى لو جاء من الظالم، فإذا كان فيه الإعمار ومصالح الأمة، فهذا نبقي عليه ونأخذ به.

إذا أردنا أن نقف ونحلل من الناحية النفسية؛ لماذا تنقض الناس القانون ولا تلتزم به؟، ولماذا تحدث حالة التمرد لدى الشعب؟. لاحظوا ظاهرة النهب والسلب التي تعرضت لها البلاد، ليسوا جميعا أناسا سيئين، فالبعض منهم طيبون، ولكن لديهم فهم مغلوط، وهناك مشاكل أدت إلى فهم أن أي شيء حكومي يتحول إلى عقدة، ولذلك ما إن أفتى المراجع بحرمة التعامل مع هذه الممتلكات العامة امتلأت المساجد من هذه الممتلكات وسُلمت إلى الدولة، وهذا لأن هؤلاء الناس متدينون، ولو أنه يدري أن هذا الأمر خطأ وحرام لما عمله. لماذا تحصل حالة العداء لأي شيء ينتمي للدولة؟.. يجب أن نكون حريصين على المال العام أكثر من حرصنا على أموالنا الشخصية، المال العام ليس مالك وإنما هو مال الشعب كله، فيجب أن نكون دقيقين في استخدامنا للمال العام.

أولا – لعدم اهتمام المسؤولين بحاجة الناس وقضاياهم الضرورية، فالمواطن يحتاج إلى أشياء ولكنه لا يحصل عليها، في وقت هناك ميزانيات نجومية لدى الدولة!، فيحقد على الدولة وممتلكاتها ويصبح عنده رد فعل، فيخالف القانون ويسيء استخدام المال العام، لأن المسؤول الذي وضع الثقة فيه لا يراه حريصا على حل مشاكله وتلبية احتياجاته، ولذا تحدث عنده حالة التمرد تجاه ما هو حكومي.

ثانيا – ضعف الوازع الأخلاقي وانخفاض منسوب الحس الوطني لدى الناس، الوازع الأخلاقي والحس الوطني أمر مهم في الحفاظ على مصالح البلاد والعباد، فحينما يكون هناك حس وطني يقدم الإنسان مصالح الناس والوطن على مصالحه الشخصية، ولكن حينما يكون الحس الوطني ضعيفا يتحجج الشخص بذريعة عدم تقديم الوطن لمطالب الناس، وهذا غير صحيح؛ لأن الوطن عزيز، إنْ أعطانا قبلنا منه وإنْ لم يعطنا عرفنا أن ذلك نتيجة سوء اختيارنا، إذ منحنا الثقة لأناس لم يستطيعوا أن يوزعوا ثروات الشعب

بشكل عادل بين أبناء الشعب ولم يستطيعوا أن يخدموا الناس، وهذا ليس ذنب الوطن وإنما هو ذنبنا لأننا لم نحسن الاختيار، وعلينا أن نغير الخيارات ونختار من يستطيع أن يخدمنا، لذا نرى حينما تكون هناك أدوات رقابية عالية فالناس تدفع ضرائب وغرامات وفواتير، ولكن حين لا تكون هناك رقابة فالناس لا تدفع وتتهرب، والكثيرون لا يدفعون، هذا الوازع يجب أن يقوى ونشعر بان فاتورة الكهرباء ليست للوزير وإنما للدولة العراقية وللشعب العراقي، هذه ثقافة مهمة جدا يجب أن نعمقها في وجودنا لأن انخفاضها يؤدي إلى هذه المشاكل والمخالفة للقوانين.

ثالثا – خرق القانون من قبل المسؤولين، فالناس ترى المسؤول مع كل امتيازاته ووجاهته يخرق القانون، ويراد منهم أن يطبقوا القانون، فالقانون يُطبق فقط على الضعفاء!، وحينما يكون المسؤول غير منضبط ويخرق القانون، يتجرأ المواطن البسيط على القانون، وإذا أردنا أن نمنع ذلك علينا أن نبدأ من المسؤول وليس من المواطن البسيط، ونقول يا مسؤول عليك أن تلتزم بالقانون، وإذا التزمت طبقة المسؤولين بالقانون سيلتزم الناس بالقانون بكل تأكيد.

رابعا– حالة التمايز الطبقي والتفاوت في الامتيازات، فالمسؤول راتبه وامتيازاته وسياراته ومكاتبه وحماياته كبيرة، ولكن المواطن البسيط لا يمتلك أيا من هذه الأمور، وفي هذه الأيام نتحدث عن الرواتب التقاعدية، فمواطن بسيط يعمل ثلاثين سنة حتى يأخذ راتبا تقاعديا بسيطا، ولكن مسؤولا يدخل أربع سنوات في وزارة أو نيابة أو مجلس محافظة وغيرها، فيأخذ راتبا بنسبة ٨٠٪ من راتبه العمر كله، والمواطن حينما يرى هذا الفرق والتمييز في العطاء والامتيازات والفرص، تصبح عنده رد فعل فيبدأ يتمرد على القانون.

خامسا –إسقاط هيبة القانون من قبل المسؤولين، فالمسؤول والوزير يخرج في مؤتمر صحفي ينتقد ويتحدث عن الدستور، فكيف يحترم المواطن البسيط الدستور؟!. المسؤول إذا تعارضت مصالحه مع القانون يلوم القانون بدلا من أن يلوم نفسه، فإذا كان المسؤول لا يحترم القانون فكيف يحترمه المواطن؟، فهذه الخطوات في إسقاط هيبة الدستور وهيبة القانون وهيبة الإجراءات والتخطئة لكل شيء، تجرّئ المواطن على أن يخالف ويتجاوز على هذه الشؤون، وللحديث صلة.

الدعوة إلى تجميد الأزمات لتجاوز العاصفة القادمة

تعيش المنطقة حالة الترقب والتأهب للعاصفة التي يُظن أنها ستأتي وتتوج العواصف التي شهدناها على مدار عقد كامل من الزمان، منذ ٢٠٠٣ وإلى يومنا الحاضر، ولكن هذه العاصفة أكبر من سابقاتها من العواصف، والسؤال الذي يطرح نفسه في مثل هذه الظروف؛ هل يدرك الجميع خطورة هذه العاصفة واستعد لمواجهتها وللوقوف بوجهها، أو أننا لا ندرك الخطر الكبير من هذه العاصفة؟، هل بنينا المصدات الوطنية للوقوف بوجه هذه العاصفة وتقليل شرورها وسلبياتها علينا؟، هل جلست النخبة السياسية واجتمعت وتدارست ووضعت الخطط المناسبة لمواجهة هذه العاصفة والعوارض الجانبية والتبعات السلبية لها؟، ولاسيما أن الأضرار الجانبية لهذه العاصفة معقدة ومتنوعة ومتشعبة وقد تمتد إلى مساحات جغرافية وسياسية واسعة.

إن تسارع الأحداث يحتم علينا أن نصارح أبناء شعبنا بهذا الخطر، وأن نتمنى من وسائل الإعلام أن تذكّر الرأي العام بهذه الأخطار وتثير مثل هذه التساؤلات أمام الرأي العام والسادة المسؤولين والمتصدين لتضع الجميع أمام الأمر الواقع، فسياسة الأمر الواقع هي السياسة الناجحة والمنتجة في مثل هذه الظروف الحساسة.

من وجهة نظرنا، فإن الخطوة الأولى المطلوبة لمواجهة هذه العاصفة هي اعتماد مبدأ وسياسة تجميد الأزمات، وأقول تجميد الأزمات ولا اقول تصفير الأزمات وتفكيكها وحلها، لأننا نعرف أن الوقت قصير ولا يسمح الآن بتفكيك الأزمات وحلها، ولكن بإمكاننا أن نجمد هذه الأزمات حتى نعبر هذه العاصفة ونتعاطى مع تبعاتها وعوارضها الجانبية، وبعد ذلك نعود لنحل مشاكلنا بشكل كامل، على أننا ندرك أن العديد من هذه الأزمات إنما جاءت وليدة للتركيبة السياسية التي تشكلت على أساسها الحكومة ووليدة للتحالفات الناتجة من مصالح آنية، والتي اجتمعت عليها أغلب القوى المشاركة في هذه الحكومة فولدت هذه الأزمات المتلاحقة.

على قدر الأخطار تكون المسؤولية

إذا كنا أمام مرحلة جديدة وانتخابات تضعنا أمام حكومة جديدة وتحالفات جديدة وفريق يمكن أن يكون متجانسا ويعمل مع بعضه، فإن هذه المعادلة وهذه التركيبة الجديدة بحد ذاتها يمكن أن تخفف وتزيل الكثير من الأزمات التي نواجهها اليوم، وسنتمكن في ظل فريق متجانس من أن نعالج ما تبقى من الأزمات بروية وحكمة، ولذلك أدعو إخوتي في الوطن والمسؤولية من أصحاب القرار إلى أن نقف وقفة واحدة مجتمعة

ونتبنى سياسة تجميد الأزمات في هذه المرحلة والتفرغ للعاصفة المقبلة والاستعداد لها ومواجهتها بما يضمن مصالح الوطن والمواطن.

إذا اعتمدنا سياسة تجميد الأزمات فسوف لا يقلق أي منا من أن يلتقي الآخر، لأنه يعرف أن هذا اللقاء ليس فيه حرج ولن يجري الحديث فيه عما هو متنازع عليه ومختلف فيه، وإنما سيتركز الحديث على العاصفة المقبلة والأخطار التي تلم بالوطن والمواطن والإجراءات المطلوبة لمواجهة هذه العاصفة.

نحن رجال مسؤولية والتزام، وعلينا أن نتحمل العبء الأكبر على قدر التحديات التي تواجه الوطن والمواطن، وكم كانت لقطة مفرحة حينما اصطف رؤساء الكتل السياسية في اجتماع موحد ومؤتمر صحفي موحد، ليعبروا عن موقف موحد تجاه القضايا الإقليمية ولاسيما القضية السورية والضربة العسكرية لسوريا، وكم كانت هذه اللقطة مطمئنة للجمهور العراقي، وكم نتمنى أن نشهد مثل هذه اللقاءات والمواقف الموحدة في قضايانا الوطنية ومشاكلنا الداخلية أيضا، وليس في القضايا الإقليمية وحدها، وهو ما يمكن أن يحصل إذا اعتمدنا سياسة تجميد الأزمات.

لسنا ضعفاء كما يظنون

إن البعض أصبح يروج لسيناريوهات عديدة ومقلقة للوضع العراقي، على ضوء التطورات الحاصلة في سوريا، وبعض هذه السيناريوهات جاءت قاصرة وبعيدة عن الشمولية والرؤية العميقة والواقعية للأمور، وبعضها جاءت لتهوّل الأخطار حتى تزرع الخوف في قلوب المواطنين وتؤجج الفتنة الطائفية بين الناس وتهز مكانة الدولة.

إننا نؤكد أن مثل هذه السيناريوهات البعيدة عن الواقع التي تسعى إلى أن ترهب المواطنين وتخيفهم، ليست بالأمر الدقيق وهي بعيدة عن الواقع، ويجب ألا تخيفنا ولا ترهبنا، إننا لسنا في دولة كارتونية ولا نقود أحزابا وتيارات سياسية استعراضية، ولسنا في شعب بعيد عن القوة والعمق الحضاري والإنساني، ولا بد من أن نتعرف جيدا على مكامن قوتنا وعلى عناصر القوة المتوافرة في شعبنا وفي قوانا، إننا نمتلك من عناصر القوة الشيء الكثير الذي قد يفاجئ الكثيرين في هذا العالم، حينما يطلع على ما يمتلكه الشعب العراقي من مكامن القوة والتأثير حينما يجد الجد، ولكننا كعراقيين لسنا في وارد الاستعراض، استعراض قوتنا والتلويح بعوامل القوة المتوافرة لدينا، ولكن إذا اقتضت الضرورة فحينذاك سيتوجب علينا إبراز عوامل القوة المتوافرة التي ستطمئن أبناء شعبنا

بشكل واضح، وستضع حدا وستحذر القوى الآخرى التي تزهد بالتجربة العراقية ولا تعطيها الوزن الكافي لها، ولا تنظر لها بالجدية الكافية.

ندافع عن وجودنا ومستقبلنا

أقولها بوضوح؛ إننا كشعب نمر بأقوى مراحلنا التأريخية، وما هذه الهجمة الشرسة التي نتعرض لها إلا تجسيد وتعبير ونتاج لشعور الآخرين بهذه القوة وتحسسهم لهذه القوة التي يمتلكها أبناء شعبنا، والمعوقات دائما تأتي على قدر الإنجازات والنجاحات التي نحققها. إن علينا ألا نربط بين التلكؤ في البناء الصحيح لمؤسسات الدولة والقدرة في الدفاع عنها، وهذان أمران قد نكون متلكئين في بناء الدولة وقد نكون مقصرين في تفعيل مؤسساتها، ولكن في الدفاع عن هذه الدولة وعن هذا الوطن، فالمسألة مختلفة؛ لأن الدفاع عن الدولة العراقية هو دفاع عن وجودنا كعراقيين، وهو دفاع عن مستقبلنا وليس دفاعا عن كرسي او موقع أو وزارة أو وزير أو ما إلى ذلك، فإن كنا نختلف في تلك التفاصيل فإننا كعراقيين لا نختلف في الدفاع عن بلدنا، ولذلك فإن قوة العراقيين في الدفاع عن مشروعهم ووطنهم أكبر وأقوى مما يتصوره الآخرون، إن هذا من الشؤون التي تُستنفر فيها الطاقات ويستعد فيها الجميع لتقديم الغالي والنفيس حفاظا على الوطن والمواطن.

لا عودة إلى زمن المقابر الجماعية

إن شعبنا بكل مكوناته وقومياته وطوائفه وديناته قد ذاق طعم الحرية، وتشبع بحلاوتها التي عاشها على مدار السنوات الماضية، ولا يمكن أن يعود للاستعباد ومرارة الاستعباد من جديد، مهما صعبت التحديات وطالت في مدتها وزمانها، لأن العراقيين لن يفرطوا بهذه الحرية التي اكتسبوها.

إن هذا الشعب الغيور قد اكتشف كيف يعيش الناس في عالمنا اليوم، وكيف تنعم البلدان بالإعمار والازدهار وكيف توظف الثروة في تنمية البلدان، وهم الآن على مقربة من أن يستثمروا ثرواتهم الطبيعية في بناء بلدهم، وإذا ما أحسنا الإدارة لهذه الثروات المتاحة اليوم بإمكاننا أن نبني تجربة عراقية يفتخر بها كل العراقيين، ولذلك فإن العراقيين لن يعودوا بحال من الأحوال إلى عصور الجهل والظلام، وإلى سياسة تكميم الأفواه وتلبيد الأجواء وتعطيل العقول، ولن نعود إلى تلك المراحل التي مرت علينا في ظروف غابرة.

إن العراقيين لن يعودوا إلى زمن المقابر الجماعية والإعدامات على الطائفة والهوية وزمن الحقوق المسلوبة، إن هذا لا يمكن أن يتحقق من جديد، فإن شعبنا سيواجه أعداءه ومن يقف وراءهم ويدعمهم ويشجعهم ويعينهم ويدربهم ويمولهم ويخطط لهم ويوفر الغطاءات السياسية والإعلامية لهم، سيواجههم بقوة، ولن يفرط بمشروعه وووطنه وعزته وكرامته. إن هذا هو شأن العراقيين وعلى الجميع أن يعي هذه الحقيقة، نحن اليوم أقوياء بشعبنا العراقي الأبي، أقوياء بأربعة وثلاثين مليون مواطن عراقي من كل القوميات والطوائف والديانات والتوجهات، هؤلاء هم الذين دافعوا وسيدافعون عن وطنهم وعن مشروعهم وعن حريتهم وكرامتهم، وعن التداول السلمي للسلطة في بلادهم.

نحن أقوياء بشبابنا العقائدي

إننا أقوياء بهذا الشعب الكريم، ونحن أقوياء بشبابنا الوطني والعقائدي الذي نفتخر به، والذي أصبح مضرب المثل أمام الآخرين، في شجاعته وتضحيته ومثابرته، وتشهد له ساحات الوغى والظروف الصعبة؛ كيف وقف هؤلاء الشباب وكيف دافعوا عن كرامتهم ووطنهم. نحن لسنا لقمة سائغة لأعدائنا ولسنا دولة كارتونية كما يتصور البعض ولسنا شعبا ضعيفا ولسنا وطنا مهزوما أو طارئا في هذه المنطقة، إنما نحن شعب ووطن وتأريخ وعقيدة، وهذا ما يجمع العراقيين جميعا، وسوف يقفون ويدافعون عن وطنهم ويدافعون عن مشروعهم.

إننا جاهزون ومستعدون للدفاع عن شعبنا ووطننا والقتال ضد من يستهدف الوطن وهذا الشعب بكل ما أُوتينا من قوة مهما طال الزمن، ولكننا في الوقت نفسه أصحاب مشروع ونرفع راية السلام والوئام والتسامح والمحبة ونمد يد التسامح والمحبة إلى جميع دول الجوار والمنطقة، ولا نريد إلا الخير لكل هذه الشعوب وهذه البلدان الكريمة، ولكن لا يخطر ببال أحد أن نرفع راية الاستسلام في يوم من الأيام، كوننا دعاة سلام وكوننا نتحرك برحمة ومودة وكوننا صبورين أمام بعض الأخطاء التي توجه الينا، فهذا لا يعني بحال من الأحوال أننا يمكن أن نستسلم في أي لحظة وفي أي ظرف.

الحذر من الغرق في الأوهام

سنبقى أقوياء وأشداء على أعدائنا رحماء مع من يتعامل معنا بالمحبة والوئام، وفي السياق نفسه، فهناك الكثير من المتآمرين الذين يتآمرون على شعبنا وأمتنا، ولا بد من أن نعلم أننا ما دمنا نعيش في بلد قوي حافل بالثروات والخيرات، فيجب أن نترقب وجود

المخططات التآمرية على الدوام، التي تتوجه نحونا ونحو شعبنا، ولكن يجب أن نحذر من المؤامرات الملفقة، والمؤامرات التافهة، وعلينا ألا نستغرق كثيرا بنظرية المؤامرة لنضيع في بحر من الأوهام والمخاوف والظنون تجاه هذا وذاك، فالحذر من التآمر مهم، لكن الغرق في أوهام المتآمرين بمؤامرات وهمية أمر خطير ويجب أن نحذر منه.

إن علينا أن نحلل المعلومات وأن نقاطعها ونجمع الخيوط وننظر لهذه المؤامرات المزعومة هل تنسجم مع المنطق، وهل تنسجم مع الواقع الذي نعيشه؟، فما كان لا ينسجم مع المنطق ولا مع الواقع علينا أن نعرف أن هذا فخ يراد من خلاله إخافة العراقيين وإشعارهم بأن الخطر داهم من كل صوب وحدب، حتى لا ينطلقوا في مشوارهم الكبير في بناء هذا الوطن، إن هناك معلومات مفبركة وهناك معلومات مهوّلة تقدم إلى أجهزتنا الأمنية وإلى بعض أصحاب القرار، حتى توهم بأخطار أكبر مما يفرضه الواقع ومما يستسيغه المنطق، ولا بد من أن نكون أكثر نضجا في تفكيك هذه المعلومات وغربلتها وفرز الصحيح منها عن ذلك الذي يُراد منه أن يتحول إلى حرب نفسية يستهدف العراقيين والمسؤولين في هذا البلد الكريم.

ظاهرة (النياح الطائفي) تدعو إلى الاشمئزاز

إننا نلاحظ في الآونة الاخيرة انتشار ظاهرة (النياح الطائفي)، ويؤسفنا أن نقول إن هناك تصريحات تدعو إلى الاشمئزاز والشفقة في الوقت نفسه، ويشفق الإنسان على حال بعض من يطلق هذه التصريحات، لأنه يتحدث بنياح طائفي بغيض يكشف عن أنه فقد صوابه، وأصبح في عداد المرضى الذين علينا أن ندعو لهم بالشفاء من هذه الأمراض والعقد النفسية التي تصيبهم، إنها تصريحات طائفية تتغذى على دماء الأبرياء من أبناء شعبنا، وهو ابتلاء آخر من الابتلاءات التي تعرض لها ويتعرض لها أبناء شعبنا، فكيف لنا أن نفسر موقف من يقف ويتحدث للرأي العام عن نواياه في إبادة طائفة بأكملها، ويستهدف طائفة بكل مواطنيها رجالا ونساء وكبارا وصغارا، أي دين هذا وأي منطق وأي أخلاق هذه التي يتحدث بها هؤلاء الناس، الذين يستسيغون قتل الأبرياء ويوفرون الغطاء للممارسات الإرهابية التي تزهق أرواح المواطنين العراقيين الأبرياء في كل مكان؟.

إن هؤلاء ليسوا عارا على أنفسهم فحسب، وإنما هم عار على عشائرهم وعار على من ينتسبون إليه إن لم يتبرأ منهم، إنهم يعرّضون المجتمع لخطر جسيم بهذا النياح الطائفي الذي يخدش الأخلاق الدينية والأخلاق الوطنية والأخلاق العشائرية والشيمة العربية، فأي منطق يتحدثون به وهم يستهدفون هذه الطوائف في بلادنا والمنطقة؟.

ذكرى الشهيد الصدر

تمر علينا الذكرى السنوية لاستشهاد المرجع الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر(قدس سره) ونجليه الشهيدين المظلومين، إن هذا الاستهداف من السلطة الغاشمة هو دليل واضح على حجم التأثير والمشروع العقائدي والتربوي والإنساني الذي كان يحمله الشهيد السعيد خدمة لأبناء شعبنا الذين بذل من أجلهم الجهود الكبيرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وبناء الإنسان وإصلاح المجتمع، وأسس تيارا ثقافيا دينيا واسعا في هذا الشعب الكريم وفي تلك الظروف الصعبة.

لماذا يستهدف الشهيد السيد محمد الصدر (قدس سره)، ولماذا تستهدف أسرة آل الصدر الشريفة والنبيلة، هذه الأسرة الأصيلة والعريقة في بلادنا وفي العالم العربي والإسلامي، ولماذا تستهدف مثل هذه الأسر الكريمة في فضاءاتنا العربية والإسلامية؟، إنها سُنّة الله؛ فالمستكبرون دائما يخشون العلماء، لأنهم الأقرب إلى قلوب الناس، والاكثر تأثيرا في الشعوب والمستضعفين، فمهما امتلك المستكبرون من إمكانات وسلطات ووجاهات وأجهزة قمعية يبقى الخوف دائما من العلماء، لما لهم من تأثير في الرأي العام، وبما لهم من مكانة في النفوس والقلوب. هنيئا لشهيدنا الغالي جهده وجهاده والشهادة التي أناله الله سبحانه وتعالى إياها، وهنيئا لنجليه الشهيدين وسلام عليه، وإننا نعزي أبناء الشهيد السيد محمد الصدر وأتباعه ومحبيه في هذه المناسبة الأليمة.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَافثَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ))

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأكثر مدارسة العلماء»، أكثر من التواصل والتدارس مع العلماء.. اجلس وتباحث معهم وتدارس معهم ما يجب أن تقوم به لإنجاح هذا المشروع أو الخطوة أو الإجراء إلى غير ذلك، «ومنافثة الحكماء»، والمنافثة هي المحادثة والتواصل والالتصاق بالشخص، التصق وتحدث مع الحكماء وجالسهم، «في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك»، نتدارس مع العلماء ونجالس الحكماء، حتى نحقق الإصلاح والإعمار والتنمية والازدهار والبناء، فإصلاح شؤون البلاد إنما يكون حينما تعمر وتزدهر، ومن أجل إعمار البلاد عليك أن ترجع إلى المختص وإلى العالم والحكيم والكفوء وتأخذ منهم النصح والمشورة، «وإقامة ما استقام به الناس قبلك»، وحتى تستفيد من هؤلاء العلماء والحكماء، ليخبروك بالتجارب الناجحة حتى تعود لتطبقها وتنفذها، ولا تبدأ من الصفر، بل ابدأ من حيث انتهى السابقون، واستثمر تراكم الخبرة والتجربة، وكلما

كانت هناك خطوة صحيحة، أو إجراء صحيح، أدى إلى ثبات واستقامة وصلاح هذه الأمة، فهؤلاء الخبراء يضعونه بين يديك، فتطلع عليه وتسير في اتجاهاته الصحيحة.

الإضاءات من هذه الكلمات العظيمة:

الإضاءة الأولى / أهمية اتخاذ القرارات المدروسة والناضجة والناتجة من الرجوع للمختص والخبير، يا مسؤول، مهما كانت مسؤوليتك، حينما يُشتكى إليك أو تلحظ ثغرة، فلا تتخذ قرارا سريعا، وربما تكون الخطوة التي تتخذها أسوأ من الواقع الفعلي الإداري والقيادي، ارجع للمختص في حل المسألة، لتعرف ما هي الإجراءات الصحيحة، فالمواقف الارتجالية والعشوائية والانفعالية أمور غير صحيحة، ومقتضى الحكمة أن تعرف ما هي المشكلة وترجع إلى الخبير والعالم بهذا الاختصاص وتسأله وتأخذ منه الموقف الصحيح لمعالجة الإشكالية، إذن، يجب اتخاذ القرارات المدروسة والناضجة بعد المشورة مع العلماء والحكماء.

ماذا نفهم من هذه الكلمات؟

الملاحظة الأولى / يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أكثر مدارسة العلماء»، الإكثار يعني أن المشورة ليست في الحالات الطارئة وفي ظروف الأزمات فقط، والمشورة ليست مرحلية أو فصلية أو زمنية، بل المشورة يومية، سواء كانت هناك مشكلة أو لا، تشاورك مع العلماء وذوي الاختصاص، ربما يوفر لك اقتراحات ليخرج الأمر من الحسن إلى الأحسن، وعدم وجود مشكلة لا يعني أننا نعيش أفضل الحالات، والمشورة تخرجك من الأزمة إلى الأقل سوءا، ثم إلى الحسن ثم إلى الأحسن. أكثر من التشاور مع المختص والخبير في اتخاذ القرارات الإدارية والقيادية، ويجب أن يتحول هذا الأمر إلى ثقافة وسياق ومنهج وسلوك إداري وقيادي، عليك دائما أن تتشاور، وليس عند المشكلة فقط.

الملاحظة الثانية/ يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء، فما الفرق بين العلماء والحكماء؟. العالم هو المختص والخبير في حقل من الحقول، فهذا عالم بالهندسة وذاك عالم بالميكانيك أو الكيمياء وهكذا، فهو مختص في مجال ما، فإذا كانت عندك قضية في المجال النفطي مثلا، فعليك أن تأتي بالخبير النفطي وهكذا، ليعطيك النصيحة المناسبة للمشكلة، ولكن هذا لا يكفي؛ فأخذ مشورة الخبير والعالم

باختصاص ما لا يكفي؛ لأن هناك اعتبارات أخرى ليس لها علاقة بهذا الاختصاص، ولكن المجتمع يهتم بها.

نعطي مثالا بسيطا؛ فحين تريد بناء مجمع سكني وتأتي بخبير ألماني أو ياباني، وهؤلاء بنوا مجمعات سكنية عظمية ويمكن أن نستفيد منهم، وهذا صحيح، ولكن هذا وحده لا يكفي؛ لأنهم سوف يعملون تصاميم على ضوء ثقافتهم الأجنبية، في حين أن عوائلنا متحفظة ويجب أن يراعى في عمل المجمع السكني هذه الخصوصية وعدم الإشراف على بيوت الآخرين، وهذا الأمر لا يأتي في عقل المهندس واعتباراته، فالمهندس يعمل بيوتا لا تحركها الزلازل، ولكن الاعتبارات الأخرى المتمثلة بأعرافنا الإسلامية والعربية الملتزمة، خارجة عن اختصاصه الهندسي، فالمهندس لا يقدر هذه الظروف، ولكن من يعرف المجتمع وطبيعته ويعرف الاستحقاقات هو من يقدرها، ويمكن أن يعطي مجموعة من الملاحظات التي تنجح المشروع.

إن البيت الناجح ليس المحكم من الناحية الهندسية فقط، وإنما البيت الذي ينسجم مع ثقافتنا وظروفنا ومع علاقاتنا الإنسانية وأعرافنا إلى غير ذلك، وهكذا في كل قضية من القضايا تأتي هذه الاعتبارات، فالمشروع الجيد يجب أن ينسجم مع مشروع ثان وثالث يليه، ويجب أن تكون متوائمة مع بعضها. كذلك من غير الصحيح عمل مشروع سكني ممتاز ولكنه بجوار مجمع صناعي يضر بالبيئة، والمهندس لا يعرف هذه الأمور، ولكن الحكيم عنده استشراف ورؤية شاملة ويستطيع أن يربط الأمور بعضها مع بعض، ويعطيك المحصلة النهائية كيف تكون، فالحكيم له القدرة على ربط الحقائق والأشياء بعضها مع بعض وتكوين صورة أوسع، وأنت تحتاج حتى تحقق إنجازا صحيحا إلى الأمرين معا وليس لأحدهما فقط.

يمكن أن تطلب من الخبير أن يعالج مشكلة الاختناقات المرورية الكبيرة في بغداد، ويمكن أن يقترح عليك تطبيق نظام الفردي والزوجي، وهذه نظرة خبير بالفعل، فنصف السيارات ستقف وعندها يخف زحام الشوارع، ولكن ما مضاعفات الفردي والزوجي، وكيف يصل المواطن إلى محل عمله، وكيف يصل الطالب إلى المدرسة، وكيف ينهي الناس أعمالهم؟، لا سيما مع عدم توفر شبكة نقل واسعة ومناسبة وصحيحة مثل ما هو موجود في العالم، فليس عندنا باصات وقطارات ومنشآت ونقل انسيابي صحيح، وليس عندنا طرقات للنقل العام، وحينما أوقفنا السيارة ولم نضع البديل، فإن مشكلة النقل التي سُئل عنها الخبير حلت والشوارع خف زحامها إلى حد ما، ولكن مائة مشكلة

أخرى ظهرت ولم تحل، لأننا لم نسأل الحكيم، فالقرار القيادي والإداري الصحيح يجب أن يعرض على الخبير والحكيم، فالخبير يعطيك المواصفات الداخلية للمشروع، أما الحكيم فيوائم المشروع مع البيئة والاستحقاقات الخارجية؛ هل يصلح أو لا؟.

الملاحظة الثالثة / حينما تجلس مع العلماء والحكماء، يجب أن يكون الاجتماع هادفا ويجب أن تستفيد من اختصاصاتهم، فلا تجلس مع الخبير فقط، وإنما يجب أن تكون الجلسة هادفة، وحينما تعقد مؤتمرا للعقول العراقية في الخارج وتستقدمهم وتصرف عليهم الأموال الطائلة، وربما تقول إننا استفدنا من الخبراء، والحقيقة أننا استقدمنا الخبير ولكن لم نستفد منه، فأنت تحدثت طويلا ولم تسمع منه، فما الفائدة من إعطائه الخطابات بدون فائدة؟. أنت لم تجالس العلماء وإنما التقيت لقاء عابرا مع أناس وتكلمت ولم تسمع منهم، ولذلك يقول أمير المؤمنين إن عليك عندما تجالس العلماء والحكماء، أن تجعل هذه الجلسة هادفة.

أهداف مجالسة العلماء والحكماء

الهدف الأول/ «في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك»، أن تسأل هذا الخبير اسئلة محددة تساعدك على تطوير عملية التنمية والإعمار، فأيّ أمر فيه صلاح وتنمية وتطور حاول أن تستفيد منه، فالمجالسة لتحقيق التنمية.

الهدف الثاني/ «إقامة ما استقام به الناس قبلك»، تطلب من الخبير والحكيم أن يعمل دراسة تأريخية لبلدنا أو للبلدان الأخرى، مثلا مجمع بسماية كيف ننجحه؟، هل العدد صحيح والمكان صحيح، وهل الطريقة صحيحة والهندسة صحيحة؟، وهل ينجح مجمع كهذا في الوطن العربي، في بلدان بمثل ثقافتنا؛ مئة ألف وحدة سكنية بمواصفات يمكن أن تنجح في اليابان، حيث يعيش رجل وزوجته، وربما عندهم طفل واحد، أما عندنا فالعدد قد يصل إلى خمسة أو عشرة أطفال، ومن الممكن ألاّ تستوعب الشوارع والأزقة والبيوت هذا العدد الكبير من الناس، فهل عملت دراسة أو لا؟، وهذه مهمة الحكيم، فالمهمة الأولى مهمة العالم الخبير، والمهمة الثانية مهمة الحكيم؛ «إقامة ما استقام به الناس قبلك»، في بيئتنا العربية الإسلامية، هل نجحت مثل هذه المجمعات السكنية؟.

إذن، الهدف الثاني هو استحضار التجارب السابقة، ومشكلتنا أننا لا نقرأ التأريخ ولا نعتبر من التأريخ، فنصبح نحن عبرة من عبره، لا نقرأ ولا نطلع ولا نعمل دراسات ولا

نهتم، فالمشورة لا تتقاطع مع التوكل والتفكير في الأمور لا يتقاطع مع التوكل، ولذلك يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إن المجالسة مع العلماء والمحادثة مع الحكماء يجب أن تكون لهذه الهدفية الواضحة، فحين تلتقي العالم دون الحكيم، وتأخذ خبرة ورؤية تخصصية دون ملاحظة العوارض الجانبية، فذلك لا يحقق النجاح، بل يجب أن يجتمع الأمران حتى تستطيع أن تحقق النجاح وتتأكد أن هذا القرار صحيح.

إن الدول اليوم تخطط لخمسين سنة قادمة، لأن المسارات واضحة ومخطط لها، ولذا فإن كل شيء يحدث في وقته وليس هناك عجلة، أما عندنا، فحينما يحل وقت الأمطار، يقوم المسؤولون والبلديات بفحص المجاري على وجه السرعة، وتقوم وسائل الإعلام بنقل هذه الصورة، والأمطار في كل مكان، وهي لا تحتاج لمثل هذه الحالة، بل إلى عمل مؤسسي صحيح، وهذه الأمور يجب أن تكون في سياقها الصحيح، وكل شيء في وقته، مع حكومة كاملة تتحرك وتكون الأمور في موضعها الصحيح.

نحن نعالج الأمور دائما في وقت حدوثها، ودائما في استنفار، ودائما لنا ميزانية طوارئ، لأن الاشياء تأتي على الخط ونفاجأ بها كثيرا، ولذا دائما تكون هناك ميزانية طوارئ وتنفق مليارات الدنانير على هذه القضايا، وكل قضية تتحول إلى أزمة، لأننا لم نحسب لها حسابا، فهل هذا من الإسلام في شيء؟، لا، هذا ليس سلوكا إسلاميا، فسلوك الإسلام يتحدث عنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أن عليك الاستعانة بالعالم الخبير، والحكيم الذي عنده رؤية استشرافية شاملة تستحضر التجارب العالمية السابقة... استحضر الخبرات واتخذ القرار الصحيح قبل أن تحتاج إليه، وابدأ بالتنفيذ بشكل هادئ، وحينما تحتاج إليه يكون المشروع جاهزا بلا تخبط أو قلق أو مشكلة، هذا ما يجب أن تكون عليه الأمور، كما في هذه العبارات المؤثرة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

من المستفيد من الحرب الطائفية؟

إن الموجة الإرهابية الأخيرة التي عصفت بالبلاد جاءت لتعبر عن حقيقة واضحة، وهي أن المخططات أصبحت مكشوفة والخصم أصبح يلعب على المكشوف ولا يحتاج إلى أن يتستر في خططه ومشاريعه الإجرامية. حينما يستهدف مجلس عزاء في مدينة الصدر ويراد من الاستهداف أن يكون بطريقة تُوقع أكبر عدد من الضحايا، ليسقط الشهداء بالعشرات والجرحى ثلاثمئة شخص كما قيل، ولا أعرف مدى دقة هذه المعطيات، وهذا العدد الكبير من الشهداء والجرحى في مجلس عزاء واحد، ثم في

قبال ذلك وبعده بيوم أو يومين حدث تفجير كبير في مجلس عزاء في منطقة الدورة، ماذا نفهم من هذين التفجيرين بهذه الطريقة التي يراد منها خلط الأوراق وإيقاع أكبر عدد من الشهداء والجرحى؟.

من الواضح أن المطلوب من هذه الحالة هو عملية استدراج إلى حرب طائفية أو حرب مناطقية، ويراد إيقاع الناس بعضهم ببعض ويراد الإيحاء أن السُنّة قتلوا الشيعة في مدينة الصدر والشيعة قتلوا السُنّة في الدورة، حتى تتأجج المشاعر ويتصارع الناس ويتقاتلوا، والسؤال المهم؛ من المستفيد من الحرب الطائفية؟. إن أول سؤال يسأله ضباط كشف الجريمة حتى يكتشفوا المجرم هو من المستفيد من هذه الجريمة، فإذا قتل فلان، فمن المستفيد من قتله ومن له مشكلة معه ومن لديه قضية معه؟، فتكون علامات الاستفهام على أولئك أولا.

من المستفيد من الحرب الطائفية؟، إذا سألنا ذلك سنعرف أن المستفيد الوحيد من الحرب الطائفية هو الإرهابيون أنفسهم، لأن الحرب الطائفية توفر البيئة الملائمة المناسبة لنمو الإرهاب واتساعه واتساع نفوذه وسيطرته وسطوته على مرافق الدولة وعلى كل مساحات الوطن، ولذلك فإن معركتنا مع الإرهاب معركة ضروس، وهي معركة وجود وليست معركة مواقع أو حدود، ووجودنا في هذا البلد لا يمكن أن يستمر بوجود الإرهاب، ووجود الإرهاب لا يمكن أن يستمر بوجودنا، فهي معركة وجود للطرفين، إما أن نكون أو لا نكون.

معركة وجود

اجلب الإرهابي وقل له سيطر على هذا الحي ولكن لا تقتل أحدا، فهل سيفعل ذلك؟، كلا، يسيطر أولا، ثم الخطوة الثانية والثالثة والرابعة لا يقبل بأقل من إزاحة كل من لا ينسجم مع فكره وسلوكه ومنهجه ومع طريقته، لذلك فالمعركة مع الإرهاب معركة وجود، وليست معركة مواقع وحدود، واليوم أصبحت جرائمهم بمستوى يندرج بوضوح ضمن عنوان حرب الإبادة الجماعية، كما يشهد جميع المراقبين، وجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية، هذه العناوين الأممية اليوم، تنطبق تماما على الجرائم التي يرتكبها الإرهابيون في بلادنا.

البعض يسعى إلى أن يقلل من قيمة هذا الحدث، ويعتبرهم أناسا يحملون أفكارا متطرفة وإرهابية، ولكن القضية ليست حمل الأفكار، وإنما مجموعة من المجرمين

الذين يمارسون القتل على نطاق واسع، فأصبحوا مصداقا لمرتكبي الجرائم ضد الإنسانية ومرتكبي جرائم الإبادة الجماعية بحسب الوصف الأممي، وهذا ما يحمّل المجتمع الدولي مسؤولية مضاعفة في ملاحقة هؤلاء ومطاردتهم، وليس أفكارهم فقط، وإنما القضاء عليهم وعلى فكرهم، هذا الفكر الذي ينتشر ويصدر ويدخل إلى العقول فيجعل الإنسان يتقرب إلى الله بقتل المواطنين، هكذا يتوهم، وهذه قضية خطيرة وعلى المجتمع الدولي أن يتحمل مسؤولية الملاحقة والمطاردة لهذه المجموعات ولأفكارها، وكذلك المطاردة لمن يدعمهم ومن يروج لهم، ومن يساعدهم ويمولهم، ومن يقدم هؤلاء إلى الناس على أنهم حملة فكر خاص، وفكر يختلف عن باقي الناس، وليس تحت عنوان الإبادة الجماعية التي يرتكبونها، هذه قضية خطيرة والمجتمع الدولي يتحمل مسؤولية مضاعفة في هذه الأفكار.

انحطاط وليس فكرا

النازية عُرفت في البداية على أنها تحمل فكرا مختلفا، وحرية الفكر تسمح بكل الأفكار حتى لو اختلفنا معها، ولكن كانت الحصيلة أن ارتكبت مجازر قُتل فيها ٦٠ مليون إنسان، ووضعوا الناس في الأفران وأحرقوهم، وخلطوا دماء الكلاب مع دماء البشر في المختبرات حتى يختبروا هذا الدم وذاك الدم، وصاروا يتفكهون بدماء الناس، بلغوا هذا المستوى، فأصبحوا نازية وليسوا أصحاب فكر منحرف، ولا يُسمح لهم في كل الدول الديمقراطية أن يزاولوا عملهم أو سلوكهم أو ينشروا فكرهم، لأن الفكر الذي يقتل الناس ولا يميز بين دم البشر ودم الكلاب، هذا الفكر فكر هدام وخطير ويجب أن يلاحَق ويطارَد ويفكك ويضيَّق عليه، واليوم الفكر الإرهابي في بلادنا وفي المنطقة، فكر خطير وهدام يجب اتخاذ المواقف الواضحة في التضييق عليه وفي ملاحقته.

إن الإرهابيين ليسوا أصحاب فكر منحرف فحسب، وإنما يمثلون انحطاطا فكريا وأخلاقيا وسلوكيا ونفسيا ويجب التعامل معهم من هذا الأساس، إننا نحذر بعض الدول العربية والإسلامية التي تتساهل مع هذا الفكر المنحرف والمنحط، وتسمح له بالنمو والحركة وفتح المعاهد والتدريس في هذا البلد أو ذاك، لأن هذا السرطان سينتشر في كل الاتجاهات، وهو متغلغل في جميع المجتمعات حتى تلك التي سمحت له بإنشاء المعاهد والمدارس وتدريس هذا الفكر الخطير للشباب وللجيل الجديد، حتى في هذه البلدان يتغلغل هؤلاء الإرهابيون وسيتحينون الفرصة للانقضاض على هذه البلدان كما لاحظنا في تجارب مشابهة سابقة، فعلى الجميع أن يقرأ التأريخ ويعرف ماذا يحصل.

سرطان يهدد الجميع

أقولها بوضوح؛ إن على البعض ألا يراهن على أن هؤلاء الإرهابيين وهؤلاء التكفيريين يستهدفون طائفة بعينها، ولن يتعرضوا إلى الطوائف الآخرى، لأن هذا الفكر سوف لا يجمد على طائفة واحدة وإنما سيأكل الجميع وسيمتد إلى الجميع، وها هي سوريا اليوم نجدها مصداقا واضحا لهذا الأمر، فالجيش الحر ليس من أتباع أهل البيت وهم من مذهب آخر، ولكنهم اليوم في معركة ضروس مع هذه القوى الإرهابية، وهذا يعني أن هذه المجموعات التكفيرية لا تقف عند حدود طائفة واحدة أو جماعة واحدة.

إن الأحداث ستثبت والزمن سيبرهن على أن هؤلاء المجرمين الإرهابيين يتغذون من حواضنهم الاجتماعية، ومن البيئة التي ربّتهم وسمحت لهم بان ينتشروا وينشروا أفكارهم الهدامة، إنه سرطان لا يلتزم بمعايير النمو ولا يعرف لنفسه حدودا، وسيعصف بالمنطقة برمتها ولا يستثنى شعبا أو بلدا من البلدان، إنه طاعون المسلمين وطاعون البشرية، وعلينا أن نتخلص من هذا الفكر الإرهابي الهدام.

إننا في الوقت الذي نعزي فيه عوائل الشهداء ونواسيهم ونتضامن معهم ومع مظلوميتهم، نطلب من الحكومة المحلية ومن مجلس المحافظة في بغداد، أن يعمدوا إلى تغيير اسم شارع الفلاح في مدينة الصدر، إلى شارع الشهداء، تخليدا لذكرى هؤلاء الشهداء المظلومين المغدورين، ليبقوا في ضميرنا وفي ذاكرتنا ما طال الزمن.

التحذير من مساعي الإرهاب لإيجاد حواضن

في جانب آخر، نرصد عملية منظمة للإرهاب، في إنشاء قواعد وحواضن له على الحدود العراقية السورية في محافظة نينوى، وبدؤوا يستهدفون رجال الدين ورجال العشائر ورجال الأمن، وكل من لا ينسجم معهم ومع مشروعهم وأفكارهم، كل ذلك وصولا إلى حالة الاستقرار والسيطرة على هذه المناطق كحواضن أساسية لهم، لينطلقوا باتجاه العراق أو سوريا.

إنني أوجه ندائي لأبناء محافظة نينوى، وأقول لهم إن هؤلاء الإرهابيين إذا ما تمكنوا من البلاد وسيطروا واستقروا في هذه القواعد والحواضن، فسوف يتوجهون أول ما يتوجهون نحوكم، ويستهدفون أبناء كم ويستحيون نساءكم ويعتدون على أموالكم وأعراضكم لا قدر الله ذلك، ولاحظنا في العديد من البلدان العربية حينما عادت نساء إلى بلدانهن وهن

حوامل، تحت بدعة جهاد النكاح وغيرها من السلوكيات المنحرفة والشاذة، التي لم نعهد لها غطاء وإطارا شرعيا إسلاميا بهذه الطريقة الفجة التي تمارس اليوم من قبل هؤلاء الذين يدّعون الإسلام، ويدّعون التطرف والتشدد في الانتماء إلى الإسلام.

إنه منتهى الإجرام والسفالة حينما يعتدي الإنسان على أعراض الآخرين، ولكنه رسالة واضحة إلى أهلنا في الموصل وفي المنطقة الغربية؛ أن هؤلاء لو تمكنوا واستقروا واتخذوا حواضن لهم في مناطقكم، فستكونون أول من يستهدفهم هؤلاء الإرهابيون، وسيعتدون على مدنكم وقراكم وأبنائكم ونسائكم وأموالكم، ونحن نكن لكم كل المحبة والاحترام والتقدير والاعتزاز، ولا نرضى لكم ما لا نرضاه لأنفسنا، فنحذركم اليوم ونرفع أصواتنا بالتحذير قلقا عليكم، وخشية على أموالكم وأعراضكم وممتلكاتكم ومصالحكم، إنها صرخة الأحبة نطلقها لنبرئ ذمتنا أمام الله وأمام التأريخ، إننا شخصنا مخاطر هؤلاء، فمن يستمع لهذا التحذير عليه أن يستعد لمواجهة هؤلاء، فإن معركة الإرهاب اليوم ليست مع الحكومة، بل هي معركة مفتوحة مع أبناء الشعب العراقي، وعلينا جميعا أن نرص الصفوف ونوحد كلمتنا ونقف وقفة واحدة في مواجهة الإرهاب والإرهابيين.

تهديد وحدة نسيجنا الاجتماعي

شهدنا خطوات مؤلمة ومقلقة ترتبط بالتهجير القسري الذي يتعرض له العديد من أبناء شعبنا في مناطق عدة، إن الإرهاب يمارس هذا التهجير لنفس الأسباب، وهي إيجاد الملاذات الآمنة لنفسه، وطرد كل المجموعات التي لا تنسجم مع فكره ومع واقعه الاجتماعي وما إلى ذلك، وفي اللحظة التي يحصل فيها الإرهاب على ملاذ آمن، فسوف يتحرك ولا يفرق بين أحد وآخر من العراقيين، وإنما يستهدف الجميع على حد سواء، وما يؤسفنا أيضا هو ما نجده مع تعامل ساذج من بعض الأطراف حينما تعرضوا لإخواننا وأبنائنا وأهلنا في الجنوب، في البصرة وفي ذي قار، وعرّضوهم إلى بعض الضغوط ليخلقوا بذلك، بقصد أو بغير قصد، المبررات الكافية للضغط على أبناء شعبنا وأهلنا وأبنائنا وإخواننا ممن يسكن في نينوى أو في المحافظات الغربية، كما لاحظنا الضغوط على الشبك في نينوى والضغوط على التركمان في طوزخرماتو والضغوط على أتباع أهل البيت في بعض مناطق صلاح الدين وديالى، كل هذه المبررات تختلط

حينما يقوم البعض بأعمال غير مسؤولة وغير صحيحة، وهي لا تغطى من أي طرف في ساحتنا في الجنوب.

أقولها بوضوح؛ إن الوقفة التي وقفها أهلنا أبناء العشائر في الجنوب كانت وقفة رجولية، ووقفة مبدئية عبرت عن رؤية عميقة، حينما هبوا وعبروا عن إسنادهم ودعمهم لمن تعرّض لمثل هذه الضغوط، من أعزائنا الكرام في البصرة والناصرية من آل السعدون وغيرهم، والوفود ذهبت من عشائر الجنوب لتؤكد لهم الدعم والإسناد والمرابطة، وهكذا الأجهزة الأمنية والأجهزة الحكومية، فالجميع وقف هذا الموقف، وهو شيء حسن، وهذا ما يبرر الموقف الواضح والعميق للمرجعية الدينية في رفض أي حالة من حالات التهجير القسري والاعتداء من هذا الطرف أو ذاك، لأن العراقيين من حقهم أن يعيشوا في أي مكان وحيثما يريدون وحيثما يتمنون.

إننا نعيش معا أيها الأحبة منذ مئات السنين إن لم نقل منذ آلاف السنين، وعاشت هذه العشائر ولم تكن هناك مشكلة لبعضها مع البعض الآخر، وحينما جاء التكفير الإرهابي بدأ يصنف الناس، وبدأ يفرق الناس ويمزقهم على خلفية طائفية هنا وخلفية قومية هناك، كل ذلك من أجل أن يجد تلك المثابات والملاذات الأمنة، لينطلق منها ويستهدف الجميع، لأنه لا يبحث إلا عن سلطته وسطوته وتمكنه من شؤون البلاد والعباد، وهذا ما لا يمكن أن يتم وفينا دم يتحرك ونفس يصعد، فسوف نبقى ونستمر في مسيرتنا وفي مواجهة الإرهاب بإذن الله تعالى.

أيها الأحبة، إن الأساليب التي يستخدمها الإرهاب أصبحت أساليب مكشوفة لأبناء شعبنا، وعلينا ألا نسمح بأن يستمر الإرهاب في الضغط على العراقيين في هذا الطرف أو ذاك، فإن لحمة شعبية عراقية عابرة للطوائف والقوميات، وموقفا عراقيا رصينا، يمثلان الموقف الذي سيمكننا من الإرهابيين، وسنتغلب عليهم بإذن الله تعالى.

انتهت انتخابات إقليم كردستان بنجاح كبير، إننا نهنئ أبناء شعبنا العراقي جميعا وأبناء شعبنا في كردستان على وجه الخصوص بهذه الملحمة الانتخابية الناجحة والكبيرة. إن شعبنا يتعلم من تجاربه، وكل تجربة ديمقراطية نتعلم منها درسا جديدا ونخطو فيها خطوة إلى الأمام، فإن الديمقراطية تجربة وممارسة، تتراكم لتتحول إلى ثقافة راسخة تتربى عليها الأجيال، ولذلك، فكل عملية ديمقراطية انتخابية يمكن أن نتعلم منها درسا جديدا، وهكذا تتحول هذه الممارسات الديمقراطية إلى ثقافة عامة في المجتمع، ولاسيما لدى جيل الشباب الذين يتعايشون مع هذه التجارب بشكل واضح.

إن شعبنا في كردستان يضيف شمعة جديدة إلى واقعه الديمقراطي بهذه المنطقة الكريمة، وإن على القوى السياسية في كردستان وفي كل مناطق العراق، أن تستذكر جيدا أن العملية السياسية تعني تقدما وتأخرا، فقد يتقدم البعض ويتأخر البعض الآخر، وليس من تقدُّم دائم لأي طرف من الأطراف، لأن هذه هي سُنّة الحياة، ومن يُرد أن يكون في الصدارة دائما وفي كل حال، فلا بد من أن يلجأ إلى وسائل بعيدة عن الأنماط الديمقراطية، ويقع في مطبات العمل والسلوك الدكتاتوري الذي لا يصل إلى نتيجة في أي مكان وفي أي موقع، وكما يقول المثل: (بقاء الحال من المحال)، فلا بد من تغيرات تحصل هنا أو هناك، وعلى القوى السياسية أجمع أن تتفهم هذا الواقع وتتعايش معه، حتى نشهد هذا الحراك الديمقراطي الصحيح الذي يحقق ثقافة مهمة.

البعض يظن أنه إذا ما تقدم في الانتخابات، فقد حسم المعركة وأنهى التنافس إلى الأبد، ولكن هذا التصور غير صحيح؛ فإن من يتقدم في الانتخابات إنما يتقدم في جوهر المنافسة من جديد، ويجعل الجميع ينظرون إليه ويسعون إلى أن يصلوا إليه ويتجاوزوه، ليتقدموا عليه، فالمنافسة لا تنتهي في حال من الأحوال، ومن يتقدم عليه أن يراجع حساباته ويدقق في آلياته ويطور من أدائه حتى يحافظ على التألق والتقدم.

مفهوم الديمقراطية

الديمقراطية ليست صندوقا ومجموعة من أوراق انتخابية نضعها في الصندوق وتنتهي المسألة، بل الديمقراطية سلوك يجب أن تمارسه الأحزاب بطريقة صحيحة، ويجب أن يمارسه الشعب حينما يتوسع في سلطته ويختار من يتصدى لإدارة شؤونه ولحماية مصالحه ولدفع واقعه إلى المستقبل. إن حكومة الإقليم عملت بجد وبمثابرة وحققت إنجازات مهمة لأبناء الإقليم ولذلك استحقت المكافأة، وكوفئت من قبل شعب كردستان، والمعارضة صححت وطورت من أدائها فاستطاعت أيضا أن تحافظ على موقعها وعلى أدوارها وفرصها في المعادلة السياسية في كردستان.

إن هذا يعني أن الشعب أصبح واعيا، وأصبح ينظر نظرة دقيقة وعميقة لواقع الأمور ويعطي لكل ذي حق حقه، وهو ما رأيناه في هذه العملية الانتخابية الناجحة. إننا نبارك لإخواننا في الحزب الديمقراطي الكردستاني فوزهم وتقدمهم في هذه الانتخابات، ونبارك لقوى المعارضة، التغيير والقوى الإسلامية، احتفاظها بنسبة مقاعدها التي كانت في المرحلة السابقة، ونقول لإخوتنا الأعزاء في الاتحاد الوطني الكردستاني إن التراجع أحيانا يكون فرصة حقيقية للقفز إلى الأمام، ونحن جربنا هذه الحالة ولاحظنا

كيف يمكن أن يكون التراجع سببا لتطوير الأداء والانطلاق من جديد والعودة أقوى مما يكون الإنسان قبل التراجع، فلا يقلقوا من هذا التراجع، فقد فقدوا جولة ولكن المعركة والملحمة السياسية وخدمة الشعب مستمرة، ونتمنى لهم النجاح والتوفيق في كل الأحوال.

منحة الطلبة

لقد بدأ العام الدراسي الجديد، وبدأت مشاكله، ومما يؤسف له أن المشكلة الاساسية التي تقف بوجه طلبة الجامعات منذ بداية العام الدراسي الجديد تتمثل بالقرار الذي اُتخذ في التريث بدفع منحة الطلبة، وهو ما يثير الكثير من علامات الاستغراب، فهذا المشروع الذي بذلت كتلة المواطن جهودا مضنية من أجل المصادقة عليه وإقراره وصدور التعليمات الخاصة به، بعد أن قطع كل هذه المسارات التي استمرت لأعوام عدة، وحينما أصبح الطالب الجامعي يتأمل أن يحصل على هذه المنحة الحكومية، وإذا بالقرار بالتريث وعدم صرفها، وهو ما استفز مشاعر الطلبة والآباء والأولياء. إننا نعلق على هذا الموضوع بأمرين:

الأمر الأول / إن لهذه المنحة مناشئ ومبررات موضوعية تجعل منها قضية أساسية ومهمة في هذه المرحلة، فهي تساعد على نوع من الاستقلال الاقتصادي النسبي لطالب الجامعة، فحينما يحصل على جزء من احتياجاته التعليمية ويستطيع أن يدير شؤونه التعليمية بنفسه، تتكرس لديه هذه الحالة من الاستقلالية الاقتصادية، وهذا مما يسهم في نضج شخصيته ورفع واقعه المعنوي، وهو شيء مهم، ومن ناحية أخرى، فإن هذا يقلل من الأعباء التي تتحملها العوائل ويخفف عن كاهل العائلة في هذا الظرف الصعب الذي نجد فيه ارتفاع الأسعار بشكل كبير نسبة إلى مداخيل العوائل، ونسبة إلى دول الجوار، وبالرغم من اقتصادنا القوي وميزانياتنا الضخمة نجد هذا الارتفاع الكبير في الأسعار، حتى أصبحت أكثر ارتفاعا من بعض دول الجوار، وهذه قضية يجب على خبراء الاقتصاد أن يشرحوها ويفسروها لأبناء شعبنا، ولكن هذه المنحة تخفف من الضغوط التي تتعرض لها العوائل.

من جانب آخر، إنها خطوة تُشعر هؤلاء الطلبة بحب الوطن وبرعايته لهم، وأنه يحميهم ويوفر لهم الحد الأدنى من الإمكانات المطلوبة، ويوفر لهم التعليم المجاني والإمكانات المطلوبة لدراستهم، الأمر الذي يجعلهم يتمسكون بهذا الوطن ويعزز لديهم الحس الوطني، وهي قضية أساسية نحتاج إليها في هذه المرحلة، كما إن هذه

المنحة تسهم في إيجاد دورة اقتصادية طلابية صغيرة يمكن أن تكبر بالتدريج لتتحول إلى إسهام حقيقي في البنية الاقتصادية العامة في البلاد، ولذلك فإن هذه المنحة لها الكثير في الفوائد، وكان لا بد من أن تُصرف إلى الطلبة لأنها حق من حقوقهم بعد أن أصبحت قانونا مشرّعا، واُتخذت بشأنها الإجراءات المطلوبة تشريعيا.

الأمر الثاني / قيل إن السبب في التريث في دفع هذه المنحة هو العجز المالي للحكومة العراقية، وهذا شيء يصعب القبول به كما ذكر بعض الخبراء، فكل الأموال المطلوبة لتقديم هذه المنحة على مدار السنة الدراسية الكاملة تساوي ٢٠٠ مليون دولار، لبلد ميزانيته ١٢٠ مليار دولار، فهي ليست رقما كبيرا، وتساوي سعر مشروع واحد من المشاريع الإنشائية التي ننفذها هنا أو هناك وما أكثر الأموال التي تُنفق في محلها أو في غير محلها، ولكن لا يمكن أن نقارنها بأهمية الطلبة ودور الطلبة في مستقبل بلادنا.

إن هذه المنحة تمثل استثمارا في البشر، وهو أهم أنواع الاستثمار، ولكن البعض في بلادنا يستثمر في الحجر ولا يستثمر في البشر، ومستعد لأن ينفق لمشاريع تنموية وليس مستعدا لأن ينفق على الإنسان العراقي حتى يبنيه ويرعاه، وحتى يكون قادرا على العطاء المتزايد، وما يؤلم إلى حد كبير هو غياب المقاييس والمعايير في تحديد الأولويات، وهي المشكلة الكبيرة في بلادنا، في قضية منحة الطلبة وفي غيرها من الأمور، فهناك مشروع ترى الناس أهميته يتراجع، ومشروع آخر لا تشعر الناس بأهميته الكبيرة يُعطى الأولوية القصوى، فما هو المعيار والمقياس في سلم الأولويات حينما نقدم مشروعا وننفق عليه ونبعد مشروعا آخر عن العطاء وعن الاهتمام؟.

لن نتوقف عن خدمة شعبنا

هناك من يتحدث أن السبب وراء إيقاف منحة الطلبة هوسبب سياسي؛ إذ يقال إن كتلة المواطن هي من رفع شعار منحة الطلبة، وهي من تحركت على النواب وأخذت تواقيعهم، وهي من ساعدت على تشريع هذا القانون وتحملت أعباءه، فاليوم إذا مُنح الطلبة هذه المنحة فستسجل لصالح كتلة المواطن، ويجب ألا تستفيد كتلة المواطن فائدة سياسية حتى لو كان ذلك على حساب المصلحة العامة. إن مثل هذه الكلمات لا تقلل من عزائمنا، ونحن أطلقنا بفضل من الله ١٤ مبادرة، وأغلب هذه المبادرات أخذت طريقها إلى التنفيذ بمستوى من المستويات، فالبعض أُنجز تماما والبعض في طريقه إلى الإنجاز والبعض شُرّع له قانون والبعض اُتخذت فيه إجراءات، فالكثير من هذه المبادرات أُنجز، مما يؤكد صدقية هذه المبادرات وعلميتها، ولم تكن شعارات

تطلق إلى الرأي العام، وإنما كانت مبادرات علمية مدروسة لخدمة الوطن والمواطن وتتحقق فيها هذه الإنجازات، وسواء عطل البعض أو لم يعطل مثل هذه الإجراءات سنستمر بإطلاق المبادرات التي تخدم الوطن والمواطن، وسنعمل جاهدين على تمريرها بالتعامل مع سائر الكتل السياسية.

إن الشعار الذي رفعناه بوضوح مؤخرا هو قولنا: (شعب لا نخدمه لا نستحق أن نمثله)، هذا الشعار قلناه ونحن مؤمنون به قولا وفعلا، ونحن نرفعه شعارا للمرحلة القادمة، واطالب أحبتي واعزائي في كتلة المواطن، في مجلس النواب وفي مجالس المحافظات، بأن يكتبوا هذا الشعار ويضعوه على جدران مكاتبهم لينظر الناس ويعلموا أن هذا هو شعارنا وهذه هي بوصلتنا، وإذا كنا عاجزين عن خدمة الناس فنحن لا نستحق تمثيلهم، إنما نستحق تمثيل أبناء شعبنا إذا كنا جديرين بخدمتهم وإذا كنا متواضعين لهم، هذا الشعار، وأتمنى على وسائلنا الإعلامية التابعة لتيار شهيد المحراب أن تروج له وتهتم به وتعرّفه للناس، ونقول للناس انظروا وقيّموا رجالنا، فإنْ وجدتموهم خدومين لكم فهم يستحقون تمثيلكم، وإلا فهم لا يستحقون ذلك، فشعب لا نخدمه لا نستحق أن نمثله، هذا هو الشعار الذي نرفعه في المرحلة القادمة.

التخطيط الاستراتيجي

في محور مشروعنا لبناء الدولة والثورة الإدارية المطلوبة لعملية بناء الدولة، نتناول اليوم جانبا آخر من هذا المشروع، يرتبط بالمحافظات بين التخطيط الاستراتيجي والارتجالية والعشوائية. كيف نبني المحافظات وكيف يجب أن نسير في عملية الإعمار والبناء لهذه المحافظات؟.

أيها الأحبة، إن محافظاتنا اليوم تعاني من فوضى كبيرة في بنائها الحضري وفي مشاريعها وفي تقسيم مدنها وأحيائها، وفي الكثير من التفاصيل البنيوية التنموية لهذه المحافظات، نجد هذا التخبط وهذه الفوضوية إلى حد كبير. وفي الخدمات التي يجب أن تُقدم إلى هذه المحافظات أيضا نجد هذه الفوضى، كل ذلك لغياب التخطيط الاستراتيجي، إننا ندرك أن هذا التخطيط هو مهمة العديد من الوزارات في المركز التي عليها أن تخطط للمحافظات، ولكن يبدو أن المهمة أكبر من قدرتها الاستيعابية، وهذه قضية فيها الكثير من التعقيد والصعوبة، ولذلك ندعو السادة المحافظين والحكومات المحلية ومجالس المحافظات إلى أن تحمل هذا الهم بنفسها وأن تبدأ بوضع الخطط الاستراتيجية في تطوير مدنها عبر شركات متطورة متخصصة في هذا الشأن، يمكن

استقدامها لهذا الغرض الأساسي والمهم، حتى نصل إلى مستوى من البناء العصري لمحافظاتنا ينسجم مع طموحات أبناء شعبنا، لنتخلص من هذه العشوائية والتخبط في مشاريع بناء هذه المحافظات.

ومما يؤسف له اليوم، بالرغم من الجهود الكبيرة التي تُبذل في بناء مشاريع في المحافظات، إلا أن بعض هذه المشاريع لم تُدرس تبعاتها وآثارها الثانوية، فبدأت تتقاطع مع مشاريع أخرى، فننفق على هذا وذاك، ومشروع يعطل مشروعا آخر، مع الأسف، وكل هذه الإشكالات ناتجة من غياب التخطيط الاستراتيجي، أقولها بوضوح؛ لا نستطيع بدون تخطيط استراتيجي أن نصل إلى الدرجة المطلوبة في عملية البناء والإعمار لمحافظاتنا، حتى لو أنفقنا مئات مليارات الدولارات، فلا يتحقق البناء الصحيح إلا عبر التخطيط الاستراتيجي، وبدون التخطيط الاستراتيجي لا نستطيع أن نبني المحافظات، وبدون بناء المحافظات لا نستطيع أن نبني دولة حقيقية، حتى لو حكمنا هذه الدولة لألف سنة، وفرق كبير بين من يحكم دولة ومن يبني دولة؛ فبناء الدولة يحتاج إلى بناء محافظات وبناء المحافظات يحتاج إلى تخطيط استراتيجي، فإذا لم نعتمد هذه الوسائل فسنبقى نتخبط، وتنفق وتهدر المليارات من دون أن نحقق النتائج المرجوة.

حل أزمات المنطقة

بفضل من الله لاحظنا أن الاجواء الدولية مندفعة باتجاه الحلول السلمية في الملف السوري، وفي الملف الإيراني، فإن الاتصالات التي تحصل اليوم مع الوفد الإيراني في الأمم المتحدة دليل على توجه غربي لحل هذه الأزمات في المنطقة. نتمنى الاستقرار والأمان والوئام لكل شعوب ودول المنطقة، وأن نشهد منطقة مستقرة عامرة بأهلها وبمشاريعها وبطاقاتها. نسأل الله أن يحقق ذلك كله، واستغفر الله لي ولكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢/١٠/٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة

((وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَافثَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ))

ذكرنا أنّ في هذا المقطع من العهد عددا من الإضاءات:

الإضاءة الأولى / ترتبط بأهمية القرارات الناضجة والمدروسة، فإن تعدد القرارات، حتى يناقض أحدها الآخر ويلغي الآخر، يعبر عن حالة من التخبط والارتجالية والعشوائية وغياب التخطيط، ويُضعف الموقف أمام المتتبعين والراصدين لهذا السلوك والأداء، فالقرار يجب ألا يصدر إلا بعد دراسة مستفيضة، وأن تتوافر فيه كامل مقومات النجاح، ويجب أن يكون هناك منطق قوي نستطيع أن ندافع عنه، فالقرارات الصحيحة والمنهجية التي تبرهن الأيام على خطأ المعترضين تعزز الدور القيادي للمسؤول، فالمنهجية في السلوك الإداري والقيادي مسألة في غاية الأهمية.

الإضاءة الثانية/ إن الإدارة يجب أن تعتمد المنهج العلمي على أساس الكفاءة والخبرة وليس على أساس المحسوبيات والمنسوبيات؛ هذا من مدينتي أو من جماعتي، مهما كانت هذه الاعتبارات التي تجعل المسؤول يعتمد ويثق ويأخذ بكلام هذا أو ذاك

من الناس، فهذه الاعتبارات ليست لها قيمة، لأن مثل هذا الشخص لا يساعدك، بل يفشلك ويعرقل عملك، والمهم أن تنجح وتلاحظ الناس النجاحات على يدك، وبعكسه سوف تتراجع وتفشل، وبالتالي سوف يفشل المشروع وستتراجع سمعتك، فالأهداف المرسومة لهذا الموقع لم تستطع أن تنجزها، بل عينت عددا من جماعتك فقط!.

أما حينما تعتمد الكفوء، الذي قد لا يتملقك ولكنه يعطيك الرؤية الصحيحة، ويحذرك حينما يستحق التحذير، وينبهك حينما يستحق التنبيه، ويرشدك إلى اتخاذ المواقف الصحيحة، فتتحرك دائرتك وتنجز أعمالك وتكون مرضيا عند الناس، والمسؤول الأعلى يمنحك الترقيات، وما إلى ذلك من أمور وشؤون، وهذا أفضل للبلد وللمصالح العامة، فمن المؤكد أن محورية العلم والمعرفة والكفاءة يجب أن تكون هي الأساس، وهناك تأكيد كبير على ذلك في تراثنا وفي آياتنا ورواياتنا.

الاهتمام بمجالسة العلماء وفوائدها

من وصايا لقمان لابنه: «يا بني جالس العلماء»، جالس الخبير والعالم في قضية معينة واستفد منه، «وزاحمهم بركبتك»، التصق به حتى تستفيد منه، بمعنى التركيز والتواضع، فتقرب من العالم وركز على ما يقول وسجل الملاحظات، «فإن الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء»[٦٣]، القلوب تحيا بالمعرفة حينما تكتشف الرؤية الصحيحة وتتعرف على المعلومات الصحيحة.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جالس العلماء تُسعد»[٦٤]، إذا أردت الراحة والاطمئنان ووضع رجلك على أرض صلبة واتخاذ قرارات لا تندم عليها، يجب عليك مجالسة العلماء والاستعانة بالعقلاء والخبراء، واسمع رأيهم ثم انطلق لما تريد.

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك»، العلم تأخذه من العلماء، أما الأدب وطريقة التعامل وطريقة إدارة الملف وإنجاح المهمة، فتستطيع أن تأخذها من الخبير المختص، فالمختص لا يعطيك معرفة وعلما فقط، وإنما يعطيك العلم والعمل في أي مجال، فالطبيب لا يقول لك كيف تجري العملية، وإنما يعطيك السلوك الصحيح لتنجح عملية التطبيق أو الممارسة الطبية مثلا، وهكذا في مجالات

٦٣. بحار الأنوار ١: ٢٠٤، ح٢٢.
٦٤. عيون الحكم والمواعظ: ٢٢١، غرر الحكم: الرقم ٢٢٣..

الاختصاص، «وتزكو نفسك»[٦٥]، الإنسان يشعر بالثقة والاطمئنان والوضوح والثبات، والتطبيق الأوضح لمثل هذه النصوص هو العالم بالله تعالى، فيعطي الإنسان هذه السمات في علاقته بالله، ولكن إذا أردنا تطبيقها في مجالات الاختصاص على الخبير والعالم، فلها مثل هذا التأثير في مساحة الاختصاص.

في رواية أخرى عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جالس العلماء يكمل عقلك»، كمال العقل وكمال التدبير بالمعرفة الصحيحة لما تسأل عنه ولما تعمل به، «وتشرف نفسك»، النفس الإنسانية تسمو وتشرف حينما يكون الإنسان قادرا على تشخيص المشكلة بشكل صحيح، واعتماد الوسائل الصحيحة لمعالجة المشاكل العالقة، «وينتفي عنك جهلك»[٦٦]، بالعلم ينتفي الجهل وبالنور تنتفي الظلمة. كم هو عظيم أن نعيش في النور والمعرفة وأن تكون عندنا قدرة على التشخيص الصحيح واعتماد الوسائل المنتجة حينما نكلف بمهام معينة، فنحقق النتائج المرجوة.

«مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس»، العقل يحيا وينمو ويتكامل والنفس أيضا تشفى وتسعد وتنمو نماء صحيحا وتتألق وتشعر بالثقة حينما تتخذ الموقف الناتج من القرار الصحيح.

«جالس أهل الورع والحكمة وأكثر مناقشتهم»، لا تجلس فقط امام العالم المختص، بل حاول أن تسأله وتأخذ المعلومات منه، فإذا تحدث فاسمع، وحينما يسكت اسأله عن كل الأمور، وقلنا إن مجالسة العالم لا تعني أن تقضي وقتا معه، بل استفد منه في اختصاصه، فمجالسة العالم تعني أن يكون اللقاء لقاء هادفا، الغرض منه أن تستفيد من علمه واختصاصه، وما أكثر المستشارين والخبراء في الدولة، إلا أن المستشار يقول لم يُرسل أحد من الخبراء والعلماء إليّ. إن المجالسة الهادفة التي تستفيد فيها من علم العالم، وأنت تسأل وهو يجيب، هي ما يُقصد بالمجالسة، «وأكثر مناقشتهم فإنك إن كنت جاهلا علّموك وإن كنت عالما ازددت علما»، سؤال العالم يختلف عن سؤال الجاهل، فالإجراء يكون أسرع والسؤال يكون فيه تخصص أكثر، إذا كانت الإدارة مبنية على أساس الكفاءة والخبرة، والرجوع إلى أهل الخبرة والاختصاص قبل اتخاذ القرار من المبادئ الأساسية في نجاح المهمة الإدارية والقيادية.

٦٥. عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٣.
٦٦. غرر الحكم: الرقم ٩٧٨٨.

الإضاءة الثالثة / أهمية غرفة الفكر

نسميها في زماننا وفي اصطلاحاتنا غرفة الفكر، وهو منهج إسلامي.. جالس العلماء واعقد ورشات فكرية، واجلب خبراء وعلماء مختصين واعمل غرفة فكر. اجلب الأساتذة من الجامعات، وهم غير محتاجين للمال، وإنما يحتاجون لمن يسألهم ليخدموا البلاد من خلال أفكارهم، وإن العالم أو الخبير أو الأستاذ الجامعي، سوف يأتي مسرعا لخدمة الناس وخدمة الوطن، إذا وجهت الوزارة الفلانية له الدعوة ليخصص جزءا من وقته لسؤاله بعض الأسئلة. المشكلة اليوم في العراق وفي الكثير من مناطق العالم، وفي المنظومات الإدارية في الكثير من المواقع، أنه لا توجد أذن صاغية للخبير المختص، وليس كل الناس تريد المال والمواقع التنفيذية، وربما يمتنع بعضهم عن تسلم وزارة معينة، فهو يريد أن يعطي العلم.

غرف الفكر تؤدي إلى استثمار الطاقات الفكرية الهائلة في بلادنا، فهل يوجد قانون نريد أن نقره وراجعنا الجامعة المختصة ليدرسوه وينضجوه ويعطوا الأفكار والمعطيات التخصصية في هذا المجال؟، والعديد من قوانيننا تتأخر وتدخل في عملية الصراع والشد السياسي، وأحيانا لا تكون المشكلة سياسية، ولكنها ترتبط بالاختصاص، فمن سن القانون فصّله على نفسه؛ لأن لديه مصلحة معينة، وصاغ قانونا لمصلحته، وليس بالضرورة أن يكون قد لاحظ المصلحة العامة، فيجب عرض القضية على الخبير الذي ليس له مصلحة فيها، فالعلامة الحلي عرضوا عليه استفتاء عن كيفية تطهير ماء البئر إذا سقط فيه كلب، وفي هذه الأثناء اخبروه أن كلبا سقط في بئره، فقال مادام الكلب في بئري فإن عيني على بئري، فأول تعليمات أصدرها هي أن يغلقوا البئر، من أجل أن يتفرغ لتفحص الأدلة الشرعية، ويعرف الحكم الشرعي في المسألة.

إن البعض منا صاحب مصلحة، ولا يستطيع أن يعطي الرأي الصحيح والسديد، ويتأثر بمصلحته، ولكن حينما تأتي بالخبير فستستفيد من عقله وخبرته، وفي الوقت نفسه تصل إلى ما يحقق المصلحة العامة. إن غرفة الفكر هي استثمار للطاقات وتؤدي إلى تحويل المعارف النظرية إلى إنجازات عملية، فهناك أناس ملؤهم فكر ورؤية وهناك أناس ليس عندهم هذا العلم والفهم، وفي غرفة الفكر تنقل هذا العلم إلى من بيده التنفيذ حتى يتطور الأداء وتنجز المهام بشكل صحيح.

هذه الفجوة بين النظرية والتطبيق التي نعيشها في مجتمعاتنا مفارقات غريبة، فهناك طالب يدرس مناهج معينة في الجامعة، وبعد ذلك حينما يدخل ساحة الحياة ويُعيّن

ضمن اختصاصه، يرى التطبيقات في عالم والمناهج في عالم آخر، فهناك فجوة وشرخ كبير بين النظرية والتطبيقات، وغرف الفكر تساعد على سدّ هذه الفجوة والتقريب بين النظرية الصحيحة والرؤية الصحيحة والتطبيقات، لتكون هي أيضا صحيحة، وتوجد حالة من التوازن بين النظريات العلمية والهياكل الإدارية، فأحيانا تقول نظرياتنا في الإدارة شيئا وهياكلنا والانشطارات تقول شيئا آخر، وما أكثر الدوائر التي تُستحدث والمفاصل التي تُستحدث حتى نحل فيها مشكلة فلان ومشكلة الحزب الفلاني وغيرها، وحينما نأتي بغرف الفكر، فسنطبق نظريات الإدارة، وتصبح لدينا هياكل رشيقة وفاعلة وكفوءة وقادرة على العطاء، بعيدا عن المصالح الخاصة. إذن، هذه هي الإضاءات التي يمكن أن نستخلصها من هذه العبارة المهمة والمبدأ الإسلامي المهم في الإدارة والقيادة، وهي الرجوع إلى الكفوء والخبير المختص والاستفادة من رؤيته التخصصية قبل اتخاذ القرار الإداري والقيادي.

الإرهاب يستهدف الجميع

تابعنا بأسف الاستهداف الإرهابي الذي تعرض له إقليم كردستان، إن هذا الاستهداف جاء ليؤكد من جديد أن المشروع الإرهابي يعم العراق، ويُراد له أن يشمل كامل الجغرافيا العراقية ولا يختص بأجزاء من العراق دون أجزاء أخرى، فكل العراق يتعرض إلى الاستهداف الإرهابي، ولا بد من أن نذكر بما حذرنا منه في الأسبوع المنصرم، من أن المشروع الإرهابي التكفيري يراد له أن ينتشر في كامل منطقة الشرق الأوسط، ويغطي هذه المساحة برمتها، وهذا ما نجده اليوم في أن دول المنطقة أجمعها أصبحت تحت نيران الاستهداف الإرهابي الذي يستهدف كل هذه البلدان والمساحات، دون أن يتوقف أو يقتصر على هذا البلد أو ذاك.

إن هذا ما يدعونا إلى أن نراجع المنظومة الأمنية الإقليمية ونتأكد من كفاءتها، لأن الاستهداف لا يرتبط بنظام بعينه، وإنما يستهدف المنظومة الأمنية الإقليمية برمتها، ولا بد من عمل متضامن وتعاون إقليمي لمواجهة الإرهاب ومكافحته والوقوف بوجهه، وما كان الإرهاب لينتشر بهذه السرعة وهذه المساحات، في استهداف هذه المنطقة أو هذا البلد أو ذاك، لولا أن يكون مدعوما من دول ومؤسسات متمكنة ماليا واستخباريا، تقدم له مثل هذا الدعم والإسناد ليأخذ هذه المساحات الواسعة في حركته، والأعمال الإرهابية اليوم لم تعد مجرد ثغرات واختراقات أمنية لعمل عشوائي هنا أو هناك، وإنما تحول الإرهاب إلى عمل متناسق ومنظم ذي سياق مرحلي واضح، يتحول ضمن مراحل

ورؤية وخطة، ويتقدم خطوة فخطوة ويأخذ مساحات الاستهداف واحدة بعد الأخرى، ولا بد لنا من تضامن حقيقي على المستوى الوطني والإقليمي لمواجهته.

لا بد من رؤية موحدة

إن على الجميع أن ينتبه إلى أن عملية التجزئة في المشاكل والمسؤوليات الأمنية عملية خاطئة وخطيرة ولا تصب في مصلحة أحد، فلا يمكن القول إن المشكلة الأمنية في الموصل تختلف عن المشكلة في البصرة، وإن المشكلة في أربيل تختلف عن المشكلة في بغداد، وإنما هي حلقات مترابطة وتخطيط واستهداف من جهة واحدة تستهدف الجميع، فلا بد من رؤية واحدة لمواجهة هذا الاستهداف، ولا تصح النظرة التجزيئية ومحاولة البحث عن أسباب ومبررات للعمل الإرهابي هنا أو هناك، فإذا حدث في أربيل قالوا إن هذا لا يرتبط بالقاعدة في بغداد، إنما يرتبط بسوريا، وإذا صار في الموصل قالوا كذا.

الجهة الإرهابية واحدة والاستهداف واحد والمخطط واحد، وإن اختلفت المراحل والأزمنة وطبيعة المرحلية التي يعتمدها الإرهاب في تحقيق هذا الاستهداف لهذا الموقع أو ذاك في بلادنا. إننا جميعا مستهدفون بنيران الإرهاب والتكفيريين، ولا بد من أن نعرف أنه إذا تم التركيز على مناطق بعينها، فهذا يرتبط بالمرحلية التي يضعها الإرهابيون لأنفسهم، والتي تقتضي أن يركزوا على منطقة دون أخرى أحيانا، ويلوحوا بدعمهم لمكون على حساب مكون آخر، والحال أنهم يستهدفون الجميع، وكل من لا ينسجم مع فكرهم وإراداتهم ومنهجهم وسلوكهم فهو هدف لهم، فليكن مذهبه ما يكون وكذلك قوميته، فالجميع معرض للاستهداف.

ولا بد في المرحلة القادمة من أن نصل إلى قناعة بضرورة تحديد رؤية موحدة في مواجهة الإرهاب وأساليبه ووسائله التي يستخدمها في الإضرار بأبناء شعبنا، لا سيما أننا نعيش في منطقة ملتهبة وفي تحولات كبرى، وهذا التوتر الإقليمي يلقي بظلاله ويوفر البيئة الخصبة للإرهاب في أن ينطلق ويتحرك ويلحق الأذى والضرر بأبناء شعبنا وبشعوب أخرى حيثما استطاع أن يتحرك، وإننا بحاجة إلى رؤية موحدة مناطقية، لتتحول إلى رؤية موحدة وطنية، ثم إلى رؤية موحدة إقليمية في مواجهة الإرهاب، حتى نستطيع أن نقضي عليه، وهو واحد في فكره ومرتكزاته وسلوكه ونياته في استهداف الجميع، وقد يستهدف البعض دون البعض في مرحلة ما، ولكن البعض الآخر سيصله

الدور لاحقا، وهذه قضية يجب ألا نشك فيها وأن نقف موحدين ومجتمعين خلف رؤية واحدة واضحة لمواجهة الإرهاب دون تردد.

العام الدراسي الجديد.. شروط وطموحات

أيها الأحبة، لقد بدأ العام الدراسي الجديد وذهب مئات الآلاف من أبنائنا وبناتنا ليأخذوا مواقعهم في جامعاتنا الكريمة، ويبدؤوا حياتهم الجامعية، وهي آخر المراحل التي تهيئهم حتى ينتقلوا ويدخلوا إلى الحياة الاجتماعية ويكونوا جزءا فاعلا مؤثرا فيها، ويحققوا لأنفسهم ما يتمنونه من إنجازات على الصعيد الشخصي وتكوين الأسرة، أو على الصعيد الاجتماعي، حيث العمل والتأثير في الوطن ومستقبل المواطنين وفي الواقع المجتمعي الذي يعيشون فيه.

إن عمل الجامعة لا يقتصر على تقديم الملازم والاختبارات، وإنما الجامعة كما سُمّيت، لا بد من أن تكون جامعة للعلوم والمعارف والثقافات، حتى تستطيع أن تبني جيلا واعدا ومؤثرا وقادرا على النهوض بواقع بلادنا واستحقاقات المرحلة، وهذا ما يحتم على الجامعة أن تهتم بجوانب ترتبط بالشخصية الإنسانية والشخصية المعرفية والشخصية الاجتماعية لهذا الطالب الذي يدرس فيها، وواحد من هذه المجالات المهمة هو التثقيف السياسي الذي يُعتبر من الواجبات الملقاة على عاتق الجامعة؛ أن تثقف طلابها ثقافة سياسية صحيحة تمكنهم من قراءة الأحداث التي تدور في بلادهم والمنطقة والعالم، كي لا يبقوا مجرد متلقين لمعلومات يتلقونها من وسائل الإعلام، وإنما تكون لهم القدرة على تحليل هذه المعلومات، وعلى التعاطي مع الواقع السياسي بشكل صحيح، ولكن علينا أن نفرق جيدا بين التثقيف السياسي والتسييس في الجامعة، وبقدر ما نؤكد على ضرورة الثقافة السياسية لطلاب الجامعة، علينا أن نحذر من تسييس الجامعات وجعلها بيئة للصراعات السياسية، وإبعادها عن الفضاء الصحيح والطبيعي للعلم والمعرفة والاستفادة العلمية.

لقد لاحظنا أن جامعاتنا العراقية، وبأمر من السلطات التعليمية العليا، تمنع التثقيف السياسي في الجامعة، وعلى خلاف ما هو معتمد في الجامعات العالمية، إذ نرى في تلك الجامعات توجيه الدعوات للشخصيات السياسية، محلية ودولية، ويطلب منهم إلقاء المحاضرات والندوات وشرح رؤيتهم وفلسفتهم في الواقع السياسي والواقع الاجتماعي والواقع الاقتصادي، وفي مختلف شؤون الحياة ومرافقها، فيأتي الساسة

بدعوات من الجامعات ليحضروا ويحاضروا ويقدموا عطاءاتهم ورؤيتهم، وهكذا تتكون الثقافة السياسية بالتدريج عند الطلبة شيئا فشيئا.

بين التسييس والثقافة السياسية

إن الطالب الجامعي هو أساسا مواطن مثقف، ومقتضى أنه من المواطنين المثقفين، يوجب علينا أن نقدم له مثل هذه الثقافة ولا نحرمه منها، وهي من الواجبات التي على الجامعة أن تتحملها، ولكن ما يحصل اليوم هو محاولة الجامعات العراقية عزل الطالب عن هذه الثقافة السياسية والمجتمعية، وهناك محاولات فاشلة وغير مجدية بهذا الإطار، لأن الطالب إذا مُنع من أن يستمع إلى الرؤى السياسية في داخل الجامعة، فسيذهب ويستمع إليها خلف أسوار الجامعة، فهي ليست أمرا معيبا للطالب، وليست أمرا مانعا من أن يصل إلى الثقافة، ولكن الملامة ستتوجه إلى الجامعة التي تتخلف عن واجباتها وعن إحدى أهم مسؤولياتها في بناء هذه الثقافة السياسية والاجتماعية للطلبة، فيما أن الطالب يذهب ويحصل على هذه الثقافة خارج أسوار الجامعة.

إننا إذا نظرنا إلى الماضي القريب، فإننا نجد أن الفكر الاستبدادي والدكتاتوري البعثي حاول على مدار عشرات السنين أن يعتمد سياسة تبعيث الجامعات، وإلزام الطلبة والهيئات التدريسية والهيئات الإدارية في الجامعات بأن ينخرطوا في حزب البعث، وكان يلاحق من لا يدخل ومن لا يوقّع على ورقة الانتماء إلى الحزب، ويبقى ذلك الشخص تحت الضغوط والمتابعة والملاحقة حتى يرضخ للأمر الواقع ويوقّع على ورقة الانتماء، وتوهموا أنهم بهذا التبعيث يتمكنون من أن يمسكوا بالجامعات ويسيطروا على الجيل تماما، ولكن ما الذي حصل؟، هل تحققت ونجحت هذه الخطة؟، أو أنها باءت بالفشل الذريع وبقيت الجامعات العراقية محطة مهمة للفكر وللثقافات العديدة وللتيارات السياسية المختلفة بالرغم من كل تلك الضغوط.

لقد كان الإخوة الدعاة من حزب الدعوة الإسلامية والحركات الإسلامية الأخرى والحزب الشيوعي والأحزاب اليسارية والأحزاب القومية وغيرها من التيارات السياسية، كانت كلها تتحرك داخل الجامعة وبقيت الجامعة ولودا وتوفر الأرضية الخصبة لمثل هذه المدارس الفكرية ومثل هذه الرؤى والتصورات، ولم يستطع النظام الشمولي الدكتاتوري آنذاك أن يسيطر على هذه الظواهر، فعلينا أن نستفيد من دروس الماضي حين نضع خططنا للمستقبل، لأن إعادة بعض الممارسات الخاطئة والفاشلة التي كان يمارسها النظام البائد، إعلان عن فشل مبكر وعن محدودية في الرؤية والأفكار، تمارس

حينما يضيّق على الطلبة ويُحّجم دورهم ويحاصرون ويُمنعون من الحصول على الثقافة السياسية في داخل الجامعات.

إن هذا الخوف وهذا القلق من إشاعة الثقافة السياسية ومن اطّلاع الطلبة على الآراء والأفكار، إنما يكشف عن خلل في الثقة بالنفس لدى من يصدر مثل هذه التعليمات ومثل هذه القرارات.

إن الثقافة السياسة تختلف عن تسييس الجامعات، فما بالك بمن قد يسمح بتسييس الجامعات ولا يسمح بالثقافة السياسية للجامعة والجامعيين؟، وهذا ما يدعونا إلى الأسف الكبير، وهو موضوع يجب أن يراجع بجدية.

قانون الانتخابات

اليوم ونحن نستعد لإجراء الانتخابات النيابية القادمة، ونخوض واحدة من أهم مراحل الاستعداد التي تتمثل بقانون الانتخابات. هذا القانون يجب أن يحظى بتوافق المكونات العراقية، ويجب أن يتفق فيه على مبادئ أساسية تضمن مصالح الجميع، وقد اتفق بين أغلب الكتل النيابية على أن تكون القائمة الانتخابية قائمة مفتوحة، كما ناشدت المرجعية الدينية بذلك، حفاظا وحرصا على مصالح المواطنين، وكذلك اعتبار الدوائر الانتخابية دوائر متعددة حتى نضمن التمثيل السكاني الصحيح لكل محافظة، وهذا ما تم الاتفاق عليه بين الأطراف أيضا، ولنضمن عدم تشتت وتبعثر أصوات الناخبين، بل تركيز هذه الأصوات حتى نكون أمام فرق قوية قادرة على أن تنهض بأمور البلاد وتتخذ القرارات الصحيحة، وكذلك هناك اتفاق على موعد إجراء الانتخابات، وسمعنا أن هناك نية لدى الحكومة الموقرة أن تصدر بيانا وتعلن فيه تحديد موعد الانتخابات النيابية، وهي خطوة تستحق الشكر والتقدير، وتعد قضية أساسية تضع حدا لكل التكهنات التي تتحدث عن نية في تأجيل الانتخابات.

إن مثل هذا التوافق الذي نتحدث عنه في أساسيات قانون الانتخابات مسألة ضرورية؛ لأن هذه الانتخابات ستفرز مجلس نواب ينتخب حكومة تدير شؤون البلاد لأربع سنوات، وهذا ما يحتم ألا يشعر أي من الأطراف بالغبن حينما يدخل إلى عملية انتخابية، وإنما يعطى لكل ذي حق حقه ويشعر الجميع بتكافؤ الفرص، ويتنافسون بالخير ويعرضون أنفسهم على أبناء شعبنا الذين يقررون لمن سيمنحون الثقة ومن هو الفريق الذي سيدير شؤون البلاد في المرحلة القادمة.

الاتفاق على الثوابت

إننا نعمل مع جميع الأطراف ومع دولة رئيس مجلس الوزراء ومع دولة رئيس مجلس النواب ومع الكتل النيابية، ووصلنا إلى تفاهمات مهمة عبر كتلة المواطن، مع كتلة دولة القانون والأحرار والعراقية والكردستاني، ونصل اليوم إلى رؤية جامعة للثوابت وللإطار العام الذي يضمن مصالح جميع العراقيين ويوفر البيئة المناسبة لتمرير قانون الانتخابات، ولكننا في الوقت نفسه نحذر من المماطلة والتسويف وتضييع الوقت والاختلاف في بعض التفاصيل الجزئية التي قد لا تغير من النتائج شيئا، سوى أنها تعطي الرسائل الخاطئة وتخاطر بتأجيل الانتخابات عن موعدها المحدد، وهي القضية الأساسية والخط الأحمر الذي يجب أن نحافظ عليه جميعا، وأن نحافظ على احترامه وقداسته، فالديمقراطية جوهرها الانتخابات والذهاب إلى صناديق الاقتراع، فإذا تلاعبنا في هذه التوقيتات لأي سبب من الأسباب، فستكون سابقة وستستمر هذه العملية وسنكون قد خاطرنا بواحد من أوضح ملامح النظام الديمقراطي الذي نعتز اليوم ببنائه في هذا البلد الكريم والطيب. إن علينا أن نبذل قصارى جهودنا في الوقت المتبقي للوصول إلى اتفاق بين الكتل على التفاصيل الضامنة لحقوق الجميع، والتي لا تمنع من التصويت على القانون في أسرع وقت ممكن.

التوجه إلى التخطيط الاستراتيجي

في مجال عمل المحافظات، فإن التوجه إلى التخطيط الاستراتيجي في العلم والعمل المبني على رؤية تخصصية وبالاستفادة من خبراء دوليين، يمثل ركيزة أساسية في عملية التنمية وبناء المحافظات والنهوض بواقعها وإعمارها وازدهارها.

لقد قمنا بزيارة العديد من المحافظات في الأسبوعين المنصرمين وجلسنا مع الحكومات المحلية وتحدثنا معهم عن هذا الموضوع بالتحديد، وقلنا إن عليكم أن تضعوا خططا استراتيجية، نابعة من رؤية عميقة لما تتمنون أن تكون عليه محافظاتكم، لا تفكروا بالسنة والسنتين، ولا تفكروا بخطط لخمس سنوات أو عشر سنوات، بل قولوا محافظتنا في عام ٢٠٤٠، إلى أين؟، وضعوا الرؤية لذلك التأريخ، ثم ضعوا الخطط الاستراتيجية، بالتعاون مع الشركات العالمية المختصة والخبراء الدوليين في عملية التخطيط، حتى نعرف اتجاه البوصلة وكيف نبني ونعمر وننمي محافظاتنا، وهذا ما أناشد به جميع السادة المحافظين والسادة والسيدات أعضاء مجالس المحافظات، في كافة المحافظات العراقية، اجلسوا واسألوا أنفسكم هذا السؤال في كل محافظة؛

محافظتنا في سنة ٢٠٤٠ إلى أين؟، وضعوا الرؤية الصحيحة والخطط الإستراتيجية لتنفيذ تلك الرؤية، وحينذاك ستتضح الأولويات وستتبين خارطة الطريق، والخطوات التي علينا أن ننجزها من الآن إلى ذلك التأريخ، حتى ننهض بمحافظاتنا وننطلق انطلاقة كبيرة في بناء هذه المحافظات.

إن العمل الحقيقي لبناء العراق، ينطلق من بناء المحافظات، لأن الأجزاء إذا لم تُبن فالكل لن يبنى أيضا، فالعراق عبارة عن ١٨ محافظة، وإذا ركزنا على بناء محافظاتنا نكون قد بنينا العراق أيضا، وهذا لا يمكن أن يتم إلا عبر التخطيط الاستراتيجي المدروس والدقيق عبر شبكات رصينة وخبراء متخصصين في هذا الأمر، حتى لا نقع في العشوائية والتخبط الذي نقع فيه اليوم، فهناك الكثير من الأموال التي تنفق في محافظاتنا، ولكن المواطن لا يجد نتائجها بوضوح، والسبب هو تبعثر هذه الإمكانات في مشاريع كثيرة، بطريقة عشوائية وغير مدروسة، وبعيدة عن التخطيط الاستراتيجي، مما يجعل النتائج بسيطة وضئيلة. نحن بحاجة إلى خطط واضحة وإلى خطوات مدروسة حتى نحقق الإعمار والبناء لمحافظاتنا بشكل صحيح.

ملامح للتهدئة في المنطقة

شاهدنا في الأسبوع المنصرم بعض التحركات الدولية التي رسمت ملامح تهدئة في المنطقة، وأقول إنها رسمت ملامح تهدئة لأننا ما زلنا في مرحلة اختبار النيات من الأطراف، ولم نصل إلى الخطوات العملية على الأرض، ولكن هناك بوادر مطمئنة تدعو للتفاؤل في إمكانية الحديث عن حوار وتقارب أمريكي- إيراني في الملفات المختلف عليها، ونلمس ترحيبا دوليا بهذه الخطوات، وقلقا إقليميا من مثل هذا التقارب ومن مثل هذا الحوار بين الطرفين، ومن موقعنا نناشد الجميع أن يعتمدوا مبدأ المصالح المشتركة، ما دام كل منا يفكر بمصلحته بمفرده، فلن نصل إلى نتيجة، وما دام البعض يتحدث ويفكر بمنطق كسر الآخر، فلن نصل إلى نتيجة.

إننا بحاجة إلى أن نرفع مبدأ «الفوز للجميع»، حتى لا يخرج أحد وحده منكسرا أو منتصرا دون الآخرين، نريد للجميع أن يفوزوا وينتصروا، ونريد للجميع أن يستفيدوا، ومبدأ المصالح المشتركة هو المبدأ الصحيح الذي سيطمئن دول المنطقة وسيطمئن العالم، وسيجعل مثل هذه الخطوات تتسم بالتوفيق وبإنجاز ات كبيرة.

إن مبدأ المصالح المشتركة، من المبادئ الأساسية في صياغة العلاقات الإقليمية

والدولية، وفي عالم السياسة ليس المطلوب أن يكون هناك حب وهيام بين الدول التي تجلس وتتحاور، ولكن المهم أن تكون هناك ضرورات، وأن يكون هناك أفق للحوار يمكن أن ينتج ويحقق نتائج لهذه البلدان. المهم أن يكون هناك أفق للوصول إلى اتفاقات مشتركة، والوصول إلى فرص لإشراك الجميع في معادلة إقليمية ضامنة لمصالح الجميع، وليس فيها كسر أو انحياز أو محاور واستقطابات لهذا الطرف أو ذاك.

إن بوادر الانفتاح الأمريكي الإيراني إذا تطورت وأصبحت حقيقة على الأرض، وأساساً لتفاهمات مشتركة، يمكن أن نجد حلا جوهريا للعديد من الإشكالات والأزمات في ساحتنا الإقليمية، وفي الساحة الدولية أيضا، وستعود بالمصلحة على البلدين والشعبين الكريمين، وستعود كذلك بالمصلحة والاستقرار لشعوب المنطقة برمتها، وذلك لأن الولايات المتحدة دولة قوية ومؤثرة في المجتمع الدولي، والجمهورية الإسلامية دولة قوية ومؤثرة في الواقع الإقليمي، ولذلك فإن مثل هذا التفاهم ومثل هذا الحوار يمكن أن تكون له نتائج طيبة ومهمة للبلدين ولشعوب المنطقة برمتها، وإذا تحقق مثل هذا التفاهم فقد نجد انفراجا في الملف السوري ومعالجة للعديد من الإشكالات والمطبات في الملف العراقي واللبناني والبحريني والأفغاني وغيرها من الملفات في المنطقة، التي نجد لكلا البلدين تأثيرا في يومياتها وفي أوضاعها الداخلية.

إن العلاقات الدولية تعتبر جزءا مهما من حياة الشعوب والأمم، وفي السياسة لا توجد عداوات دائمة ولا صداقات دائمة، وإنما هناك مصالح وحقوق للشعوب دائمة، وكلما اقتربت هذه العلاقات من مصالح الشعوب، كانت مؤثرة ومجدية ونافعة ورصينة، وكلما ابتعدت عن ذلك، أمكن أن تكون مهزوزة وأن تتأثر وتتعرض إلى التصدع. إننا يمكن أن نكون على بوابة انفراجة حقيقية في الوضع الإقليمي وفي الوضع الدولي، وأن تعتمد سياسات لمعالجة كل هذه الملفات الساخنة، ليعود الاستقرار إلى المنطقة، ويمكن أن نكون أمام سياسات لصرف التهدئة وعبور مرحلة محددة، لتعود الخصومات والتوتر من جديد. نتمنى أن تكون هذه الخطوات بداية لانفراجة حقيقية تشعر فيها شعوب المنطقة بالأمن والاستقرار، وتعالج فيها الإشكالات، هذا ما نتمناه. . نكتفي بهذا المقدار من الحديث. استغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسيات الرمضانية

الأمسية الرمضانية الأولى بتأريخ ٢٠١٣/٧/١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، بداية أبارك لكم حلول شهر الصيام، شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والمغفرة والرضوان، شهر نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا فيه من المرحومين وألاّ نكون من المحرومين، شهر انقطاع إلى الله وشهر إنابة وخشوع ودمعة وتوجه نحو الله سبحانه وتعالى.

ما أجمل الدقائق التي يقضيها الإنسان وهو يتلو كتاب الله العظيم، أو يتلو نصوصا من الأدعية المأثورة في هذا الشهر الفضيل، أو يتعرف على معلومة أو معرفة مفيدة، فطلب العلم هو أفضل الأعمال في أفضل الليالي، في ليلة القدر.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كنا قد تحدثنا في السنتين الماضيتين عن رسالة الحقوق، هذه الوثيقة التأريخية العظيمة التي وضعت رؤية متكاملة لعلاقة الإنسان مع ربه، في إطار المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الإنسانية، وكنا قد تحدثنا في السنتين الماضيتين عن خمسة من هذه الحقوق هي:

- حق الله الأكبر
- حق النفس على الإنسان
- حق اللسان

- حق السمع
- حق البصر

الحقوق والواجبات

وذكرنا أن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية تنطلق من حقيقة واضحة، هي أن حق أي إنسان هو التزام من الآخرين وواجب عليهم تجاه هذا الإنسان، فلا يمكن أن نتحدث عن حقوق من دون الحديث عن الواجبات، ولا يمكن أن نتحدث عن حقوق للبعض من دون أن نتحدث عن حقوق للبعض الآخر. . ما هو حقي عليك وواجبك تجاهي؟، وما هو حقك عليّ، وواجبي تجاهك؟، فلا يمكن أن نفصل بين الحقوق والواجبات، ولا يمكن أن ننظر إلى حقوق جماعة دون أخرى، لأن هذا سيعني أن البعض لهم حقوق والبعض الآخر عليهم واجبات فقط، وهذا لا يكون، ففي قبال كل واجب يجب أن يكون هناك حق، فالحقوق متبادلة والواجبات متبادلة في رؤية الإسلام، والحق هو المفهوم العام الذي يعتمد على ضوابط وقواعد وأصول ومحددات؛ لماذا لي حق عليك في كذا، ولماذا لك حق عليّ في كذا وكذا؟، فلا بد من أن يستند إلى معايير وقواعد محددة، حتى لا يختلف اثنان، وإلا فإن كل إنسان يختار لنفسه ما يريد، ويدعي لنفسه حقوقا ويفرضها على الآخرين، لذلك، تحتاج العملية إلى محددات وإلى قواعد وضوابط ومعايير حقيقية في عملية الحقوق المتبادلة.

أسس نظرية الحقوق في الرؤية الإسلامية

الأساس الأول / الكرامة الإنسانية، فالحق لهذا، والواجب والالتزام على الآخر في إيفاء هذا الحق، يجب ألا يخرجا صاحب الحق ودافع الحق عن الكرامة، فالحقوق ليس فيها إذلال للآخر، وليس فيها اعتداء على الآخر، لذلك، فالكرامة الإنسانية أول الأسس والمبادئ.

الأساس الثاني / العقيدة السليمة، هذه الحقوق نابعة من رؤية عقيدية واضحة في النظرية الإسلامية.

الأساس الثالث / منظومة أخلاقية متكاملة، إذ كيف يمكن لنا أن نسجل على بعضنا حقوقا، من دون أن نستند إلى قيم ومنظومة أخلاقية وقيمية تستند إليها هذه الحقوق؟.

الأساس الرابع / السلوك القويم، الحق والواجب على الآخرين في إيفاء هذا الحق،

يعتمدان على نظرية السلوك في التعامل بين أبناء المجتمع الواحد. بهذه الأسس، وعلى خلفية هذه المبادئ، ينظر إلى واقع الحقوق في الرؤية الإسلامية.

الحق السادس /حق الرِّجْل

((وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقُ لَكَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَ بِالله))

لا تمشِ بها إلى الحرام

بعد أن تحدثنا عن الحقوق الخمسة، ننتقل على بركة الله إلى الحق السادس الذي يذكره سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، حيث يشير الإمام السجاد إلى هذا الحق بقوله: «وأما حق رجلك»، الرجل التي تسير بها لها حق، فما هو حقها؟، «فألاّ تمشي بها إلى ما لا يحل لك»، لا تأخذك رجلك إلى الحرام وإلى ما لا ينبغي أن تذهب إليه، أنت لست مختارا في أن تسير إلى أي مكان، فحركتك يجب أن تكون خاضعة لمحددات ومعايير وضوابط ورؤية أرادها الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان، فمن حق رجلك عليك ألا تمشي بها وتأخذها إلى ما لا يحل لك.

لا تمشِ بها إلى مواطن المهانة والشبهة

«ولا تجعلها مطيتك»، امتطاء الشيء ركوبه، فرجلك ترفعك وأنت تركب عليها، كما يركب الإنسان على الدابة (استخدام مجازي)، فلا تحرك رجلك وتذهب بها»في الطريق المستخف بأهلها فيها»، لا تذهب إلى طريق فيه استخفاف واستهانة بشخصيتك، وأنت إنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [٦٧]، وأنت مسلم صاحب رسالة وعقيدة، وأنت صاحب أخلاق، فلا ينبغي أن تمتطي هذه الرجل وتتحرك بها إلى مكان لا يليق بمقامك، ولا يليق بشأنك، وتخفي نفسك عن الآخرين لئلا يروك في هذا المكان، لماذا تذهب لمكان تخجل منه ويصعب عليك تبريره للآخرين؟، فلا تذهب لمكان يقلل من قيمتك وقدرك، فمثلا، هذا مكان تذهب الناس إليه لتشرب الخمر، وفيه كذا وكذا، فما سبب وجودك هناك؟، تقول أريد أن أرى عندما يشربون كيف يكون حالهم وهم يتمايلون، كلا، لا أحد يقرأها هكذا، فهذا مكان معصية، وتقول أريد أن أرى الناس كيف تعصي

٦٧. سورة الإسراء: الآية ٧٠.

لكي لا أرتكب المعصية، كلا، ليس بهذا الحال، فذلك المكان محرم، وهذه المبررات كلها وساوس الشيطان فلا تقبلها لنفسك، والمكان الذي تشعر بأنك محرج في تفسير وجودك فيه لا تذهب إليه، ولا تقترب منه، واتقِ مواضع التهم. اجعلها من وسائل الطاعة

«فإنها حاملتك»، هي تحملك، «وسالكة بك مسلك الدين»، إذن لا تذهب للمكان المحرم والمكان الذي يقلل من قيمتك ومكانتك، فيستهان بك وأنت كبير ومقدر وكريم وعزيز، فلا تذهب إلى مكان تُذل به وتخرج عن طاعة الله، ولا تُحترم فيه، واذهب إلى مكان يعزز انتماءك وعقيدتك ويقويك، وفي شهر رمضان احضر مجالس الذكر ومجالس الموعظة، حتى تستفيد وتعلو قيمتك، ويرتفع مقدارك، «وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك»، تأخذك إلى طريق الديانة والعقيدة والالتزام والكرامة والعزة، تأخذك إلى مكان تجعلك فيه تسبق الآخرين وتتقدم عليهم، وتصبح أقرب إلى الله وأعرف بأحكامه، وتصبح أكثر التزاما بأحكام الله وتعاليمه، وأفضل وأكمل وأقدر وأعلم، وتسبق الآخرين. الاستعانة بالله

«ولا قوة إلا بالله»، لا تستطيع أن توظف هذه الرجل لما فيه سلوك حسن، ولما فيه طاعة والتزام، ولما فيه تديّن وتعميق للثقافة الدينية، إلا بالاستعانة بالله، «فبهما تقف على الصراط»، بهاتين الرجلين تقف على الصراط، فكيف ستتعامل وتجتاز ذلك الصراط؟، هل تستطيع أن تعبره أو تقع؟، والصراط جسر ممتد على نار جهنم، وهذه صُوّرت كمسائل مادية لكي نفهمها؛ تحته نار، ويجب أن تعبر تلك النار لتدخل الجنة، كيف سيكون حالك؟، هل تستطيع أن تعبر؟.

نرى في موسوعة (غينيس) أن رجلا عبر على حبل في مكان شاهق، ١٨٠ مترا مثلا، بين جبلين، إذ ربطوا له حبلا وعبر على رجليه، وهو يمسك عصا لحفظ التوازن، وأنا وأنت لا نستطيع ذلك، وإذا كان الصراط مثل هذا، فليكن الله في عوننا، فإننا سنسقط جميعا في النار، فكم شخصا يستطيع أن يعبر، وهو مستعد لهذا، وكلما كان عمل الإنسان أفضل، كان الطريق أمامه أوسع، فيراه طريقا سريعا بأربعة مسارات، ويعبر عبورا مريحا ويذهب مهرولا، وهناك من يراه طريقا بمسار واحد، وآخر يراه طريق مشاة فقط، وهذا أيضا جيد، ولكن البعض يضيق عليه هذا الطريق، «فبهما تقف على الصراط»، أين تذهب بك هاتان الرجلان، فاحذر حتى تكون في تلك الوقفة في

مأمن، «فانظر أن لا تزل بك»، لئلا تذهب بك رجلك إلى الانحراف والضلال، «فتُردى في النار»، لئلا تأخذك إلى النار.. لا تزل فتسقط في النار، هذا حق الرجل.

معنى حقوق الأعضاء

نظرية الحقوق للأعضاء ماذا تعني؟، حق السمع، وحق البصر، وحق اللسان، وحق الرجل؟، هي تعني الواجبات التي وضعها الله سبحانه وتعالى لهذا العضو؛ انظر إلى كذا ولا تنظر إلى كذا، امشِ نحو كذا فهذا تديّن، ولا تمش إلى ما لا يحل لك، هذه الواجبات التي تخص الرجل هي حقوق الرجل علينا، أي العمل بهذه التكاليف الشرعية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتنظيم حياة الإنسان، وحين يكون هناك تكليف موجه إلى كل عضو من الأعضاء، فهناك إذن حساب لكل عضو من الأعضاء.

الأمر سهل في هذه الدنيا، وكل الأمور من خلال اللسان واللسان بيدنا، والبعض منا يكذب والعياذ بالله ويقول خلاف الحقيقة، والبعض يورط الآخرين بحديث كيدي أو بتقرير كيدي؛ فهناك إنسان لا يعرف شيئا ويشهد، ويضع يده على القرآن ويقول هذا سرق، لأن هناك ثمنا سيقبضه مقابل هذا، فيقول دعنا نحلف والله كريم، فيشهد أن هذا قتل وهذا كذا، لسان يتكلم، وأنت مسيطر على لسانك، ويتحرك بإرادتك، لكن الأمر في يوم القيامة ليس كذلك، فاللسان يريد أن يتكلم وتريد أن تحركه وتقول لم أفعل كذا... كما تعلمون، حين يأخذون شخصا للتحقيق فأول شيء في بعض البلدان المتطورة أن يأتوا بالأدلة والوثائق الدامغة، لكي ينهار ويعترف، وبعض الدول الأخرى تستخدم التعذيب ليجعلوه يتكلم... أما في يوم القيامة فترسم لك الصورة الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ﴾ (يوم القيامة) ﴿نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾، يريد أن يتكلم، لكن لا ندعه يتكلم ونضع ختما كالذي يوضع على الباب ويقفل به، نختم على الأفواه، ولا ندعه يتكلم، ويا لسان توقف، إذن كيف سيعترف؟، ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾، يد الإنسان تتكلم، هناك، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾، فالأرجل تشهد والأيدي تقول ماذا فعلت، والرجل تخبر إلى أين ذهبت؛ إلى أين أخذته والى أين عادت به، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٦٨]، اليد تنطق والرجل تشهد، وكل عضو من الأعضاء يشهد.

٦٨. سورة يس: الآية ٦٥.

الأعضاء شهود يوم القيامة

في آية أخرى يقول تعالى إن اللسان يخرج عن طاعتك، ولا يتحرك بإرادتك، ويتكلم بما نطق به، وتريد أنت أن تخفيه؛ انظر إلى قوله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم»، اللسان يشهد على الإنسان وليس لصالح الإنسان، في الدنيا يكون اللسان بيدك دائما، وأنت تستخدمه كما تريد، ولكن في يوم القيامة يشهد اللسان عليك، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٩]، كل الأعضاء بما فيها اللسان تنطق بما فعله الإنسان، وتبين الحقيقة كما هي ولا تستطيع ان تخفي شيئا ولا تستطيع أن تبين خلاف الحقيقة، لا تدليس في ذلك اليوم، إذن الأفضل أن نصلح عملنا، وأن نوظف هذه الأعضاء في ما هو واجباتها التي أقرها الله سبحانه وتعالى.

الإضاءات المستفادة من هذا الحق

الإضاءة الأولى / «فأن لا تمشي بها إلى ما لا يحل لك»، لا تسر بهذه القدم إلى مكان لا يجوز لك، والمكان الذي لا يجوز هو مكان فيه تجاوز وتعدّ على الآخرين، هذا مكان لأبي فلان، فكيف تدخل بلا إجازة وهذا غصب، والدخول إلى مكان شخص آخر بلا إذن غصب واعتداء. وعبارة«ما لا يحل لك»، فيها اعتداء على الآخر، وأحيانا أخرى، فيها تجاوز على نفسك، فأنت تظلم نفسك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[٧٠]، ماذا يعني ذلك؟.. يعني أذنبت، وحينما تذنب فأنت تظلم نفسك قبل أن تظلم الآخرين؛ ففي يوم القيامة ستشهد هذه الأعضاء وتقول ماذا فعلت... ويا عين ماذا رأيت؟، ويا لسان ماذا تكلمت؟، ويا يد ماذا فعلت؟، ويا رجل أين ذهبت؟، أليس كذلك؟.

إنك ستسيء إلى نفسك حينما ترتكب معصية، فعندما تمشي إلى مكان لا يحل لك، فقد لا يكون هذا المكان لأحد، وليس به غصب ولا اعتداء على آخرين، لكن فيه اعتداء على نفسك، وأنت ستسيء إلى نفسك حينما تذهب إلى ذلك المكان، وهذا يعني أنه حتى المشي واستخدام هذه الرجل له آداب وله فضاء وله سلوك خاص، ويجب أن نراعي هذا السلوك في حالة المشي، وألا نتجاوز.

---

٦٩. سورة النور: الآية ٢٤.

٧٠. سورة النمل: الآية٤٤، سورة القصص: الآية١٦.

النهي عن مشية التكبر

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾، لا تسر بتكبر واستعلاء، وهناك من تراه وهو يسير كأنه مالك للعباد والبلاد، رافع أنفه كما نعبر، ومشيته مشية متكبرين، ومشية استعلاء واستهانة بالآخرين، تواضع يا أخي، «إنك لن تخرق الأرض»، ماذا ترى نفسك وأنت تضع رجلك على الأرض، ستخسف وستشق لك شقين؟، كلا، ما أنت إلا موجود صغير، ونملة تدبّ على الأرض، وما قيمتك إلا فيزياوية بمعايير ستين كيلوغراما، هي وزنك على الأرض، وهذه الأرض برأيك كم تتحمل؟، وماذا تعني ٦٠ أو ١٠٠ كيلو، ليس لهذه الأوزان قيمة بالنسبة للأرض.

﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾، لا تستطيع أن تخرقها بحركتك، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[٧١]، ترفع نفسك بهذا الشكل، فما طولك؟ ١٦٠ سم أو ١٨٠، وإن أطول إنسان بالعالم يبلغ طوله ٢٣٠ سم، مترين و٣٠ سم، هل ستصل للجبال الشاهقة؟، ما أنت، وما قيمتك بالطول نسبة للجبل؟. أنت لن تصل إلى طول الجبل، ومع أنه شامخ لكنه متواضع لله سبحانه وتعالى، فما بك أنت؟، وما الذي جرى لك؟. هكذا تقول الآية الشريفة. إذن، حتى المشي بتبختر وتكبر واستعلاء، يقلل من قيمتك وقدرك.

الكبر من الجنون

عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه مرّ في أحد أزقة المدينة يوما ما، فرأى جماعة من الناس مجتمعين، فسألهم عن سبب اجتماعهم، فقالوا: مجنون شده (لفت انتباه) الناس بأعمال جنونية مضحكة، شيء غريب يضحك منه الإنسان، كما في الأفلام الفكاهية عندما يقوم ممثل بحركات ويتكلم بكلمات غريبة تضحك الناس، وعادة الإنسان الرشيد أنه لا يتكلم بها، ولكن هذا بسبب جنونه كان يتكلم بكلمات ويصنع حركات جعلت الناس تتجمهر وتضحك عليه.

انظروا العبرة والدرس من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أتريدون أن أخبركم من هو المجنون حقا؟، أتريدون أن أطلعكم على المجنون الحقيقي؟، فسكتوا وتركوا المجنون والتفوا حول رسول الله ليعرفوا من المجنون، وأنصتوا بكل جوارحهم وصار السكوت شاملا، حتى يسمعوا من المجنون؟، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «المتبختر في مشيه»، الذي يسير باستعلاء وتبختر

٧١. سورة الإسراء: الآية ٣٧.

وتكبر، «الناظر في عطفيه»، وعينه على اليسار واليمين؛ ماذا فعل هذا، وذاك أين، وهذا الرجل وتلك المرأة وذاك الطفل. أي أولا: لا تسر بتبختر وامش بتواضع، ثانيا: سر بدربك ولا تتدخل في شؤون الناس؛ هذا الباب مفتوح فماذا في داخل البيت؟.. وهذا المحل كذا، وتتطلع إلى الوجوه وتنظر إلى الأشياء وتتدخل في الأمور بنظراتك، فهذه ليست علامة صحة.

«الناظر في عطفيه والمحرك جنبيه بمنكبيه»، عندما يتحرك يحرك أكتافه.. يحرك أطرافه من خلال تحريك أكتافه، كمشية الأشقياء عندما يحركون أكتافهم بالمشي، فكل الجسم يتحرك.. مهلا ماذا ترى نفسك؟، لا يصح ذلك، «الذي لا يُرجى خيره»، هذا إنسان لا يُرجى خيره، ولا ترى خيرا منه، فكله تبختر واستعلاء ليس إلا، «ولا يؤمن شره»، لا تحصل على شيء منه غير الشر والبذاءة، «فذلك المجنون»، المجنون الحقيقي.

ذاك تحترمونه وتقدرونه وتخافون شره، ذلك الشقي الفلاني، الذي يسير في الأزقة وهو يلعب بمسبحته، والجميع يسلم عليه (وصبحكم الله ومساكم الله)، وتضحكون من هذا المسكين.

إذن، هذا ما هو يا رسول الله؟، إذا كان المجنون ذاك، قال: «هذا مبتلى»[٧٢]، مريض نسميه مجنونا، وهو مريض بمرض الجنون، وشتان بين المبتلى والمجنون الحقيقي الذي يتعامل تعامل المجانين وهو عاقل، والذي أعطاه الله عقلا ولا يشغل عقله ويتعامل بطريقة المجانين هذا الذي يخشى منه.

المختال ملعون في الأرض والسماء

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض من تحتها ومن فوقها»[٧٣]، الذي يمشي بتكبر تلعنه الأرض التي يسير عليها من تحتها ومن فوقها. وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه نهى أن يختال الرجل في مشيه[٧٤]، وقال كذلك: «من لبس ثوبا فاختال فيه»، إذن، ليس المشي بتكبر فقط، فالثوب أيضا به تكبر، وأحيانا بعض الملابس فيها تكبر على الآخرين، أتريد أن تشمت بالآخر فتلبس

٧٢. بحار الأنوار ٧٠: ٢٣٣، ح٣٢.
٧٣. بحار الأنوار ٧٣، ٣٠٣، ح٨.
٧٤. بحار الأنوار ٦٦: ٣٦١.

ملابس معينة، وتريد أن تقول للآخر أنا أفضل منك لأن قطعة القماش التي على جسمي لا تملكها أنت؟، فهذا أيضا تبختر واستعلاء، وهذه أيضا إساءة ومرض أخلاقي يجب أن نعالجه، فمن فعل ذلك وتعالى على الناس، «خسف الله به من شفير جهنم»، تفتح جهنم وتأخذه، وجهنم ما هي، حتى نعرف ما تحتها إذا خسفت ونزل إلى تحت؟، «فكان قرين قارون لأنه أول من اختال»[٧٥]، قارون كان أول متبختر ومتكبر، فيذهب مع قارون من يتعامل باستعلاء قي مشيه وملبسه وسلوكه، هكذا يصبح حاله، حتى جهنم لا تطيقه وتخسف به إلى أعماقها وبطونها، نستجير بالله من ذلك. إذن، الحركة والمشي خاضعان لحدود وضوابط، ولا يجوز أن تذهب لأي مكان أو تدخل أي مكان، من غير ضوابط.

آداب الثقافة الاجتماعية الإسلامية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الخطاب هنا ليس يا أيها الناس، بل هو خطاب للمؤمنين، ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، لا تدخل بيوت الناس، حتى لو كان بيت أخيك أو أختك أو أبيك أو أهلك، فإذا أردتم دخول بيوت غير بيوتكم، أو حتى غرفة ليست لكم، فلا تدخلوا، ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾، تقول (يا الله) لتدخل، ولا تقل هذا بيت أهلي، فماذا يعني ذلك؟، وما ذنب زوجة أخيك؟، فهي يجب أن تلبس حجابا أمامك، ولا تقل هي مثل أختي، فهذه معايير إلهية وزوجة أخيك حالها حال أي امرأة أجنبية غريبة، وبنت عمك ما دام حالها حال أي امرأة أجنبية بعيدة عنك، فلا تختلف في مسألة الحجاب والستر وما إلى ذلك، فلا تدخل حتى لو كان بيت أهلك أو بيت أبيك.

﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فإن لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً﴾، أو لم يسمعك أحد، أو هناك أحد ولكنه مشغول أو لا يريد أن يخرج أو يجيبك، وليس له مزاج، فإذا لم يأتك الجواب، ﴿فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، إلا أن يأتيك الجواب، والبعض منا لا يراعي (يا الله)، ويدخل قبل أن يسمعوا (يا الله)، والمفروض أن يسمع من في الداخل ويأتيك الجواب لتدخل، أي يقال لكم تفضلوا.

انظروا إلى آداب الإسلام والحرمات، حرمة للبيت وحرمة لغرفة الآخر التي لا يجوز

٧٥. بحار الأنوار ٦٦: ٣٦١.

أن تدخلها بدون إذن، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾. . ذهب إلى بيت ابن عمه بلا موعد، فاعتذروا إليه أنهم في طور خاص؛ ننظف البيت ورفعنا الإغراض أو من هذا القبيل، أو لدينا قضية ومشكلة ولا نستطيع أن نستقبلك اليوم، فيغضب مع أنه لم يأخذ موعدا.

ليس فيها حرج حتى لو كان أقرب الناس إليك، أن تسأل هل هم موجودون، وتخبرهم برغبتك في زيارتهم، ولن تخسر فيها شيئا، ليستعد ويتهيأ نفسيا، وإذا لم يستطع فسيقول لك إنه لا يستطيع في هذا الوقت، فإن الدخول على الآخرين بدون موعد، فيه كم كبير من الإحراجات، فقد يصدف أنهم يريدون الخروج إلى مكان معين، وربما تنتظر المرأة هذا اليوم الذي هو عطلة، ليخرجهم رب البيت إلى مطعم أو لبيت أهلها، وإذا بهم يسمعون (يا الله) ويدخل عليهم، وقد يكون هذا في صالح رب البيت ويدخلهم، والإحراجات الاجتماعية لا أحد يستطيع الكلام فيها.

قد يكون صاحب البيت غير مرتاح أو يريد أن ينام أو لديه موعد ليخرج في مشوار مثلا، وأنت تدخل عليه بلا موعد، فلا تذهب إلى مكان إلا بعد ان تتصل وتسأل حتى لو كان أقرب الناس إليك، وأنا مثلا عندما أزور والدتي، فقلما صادف أن أدق الباب وأدخل، بل اتصل بها لأتأكد من وجودها ونهوضها، فيجب أن نتعلم هذه الثقافة الإسلامية، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾، لا تغضب، فأنت أتيت بلا موعد وليس لك حق، وقال لك أرجو المعذرة الآن، وعندما تأتي بلا موعد ويعتذر لك، فيجب ألا تغضب وترجع، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، هذا أطهر للمجتمع وللعلاقات التي تُبنى بشكل صحيح، ولا أحد يغضب من الآخر ولا يؤذيه، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٧٦]، والله يرى ما تعملون وكيف تتعاملون مع بعضكم.

واجب الاستئذان

رُوي أن رجلا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أأستأذن على أمي؟»، وكانت أمه معه في نفس البيت ولديها غرفة، أي إذا أردت الدخول عليها هل أقول (يا الله)؟، «فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: نعم»، أمك التي معك في بيتك، لا تدخل عليها الغرفة قبل أن تدق الباب وتقول (يا الله)، «قال: إنها ليس لها خادم غيري»، هي مقعدة كبيرة بالسن وليس لها غيري، وأنا أدخل وأخرج كي أخدمها، «أأستأذن عليها كلما دخلت؟»، كل مرة (يا الله)،

٧٦. سورة النور: الآية ٢٧ ـ ٢٨.

فما كان جواب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ . . قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أتحب أن تراها عريانة»، في حالة مثل تلك، وهنا ارتعب الرجل وقال: لا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «فاستأذن عليها»[٧٧]، أمك إنسان وفي لحظة قد تغير ملابسها، أو قد تكون نائمة أو تريد شيئا ما، هي بشر في غرفتها وأغلقت الباب ولها الحرية الكاملة، وقد تكون في حر أو في برد، هل تحب أن تراها في كل حالاتها؟، ومن منا يحب أن يرى أمه في هذه الظروف؟. حتى لو كانت أمك، تستأذن (يا الله) حتى لو عشر مرات.

انظروا إلى آداب المشي وآداب الدخول وآداب الحركة، هذه الآداب تنظم واقعنا الاجتماعي إلى حد كبير، وللحديث صلة تأتي في ليال قادمة إن شاء الله.

جرح طوز خرماتو النازف

فاتني أن أعزيكم أيضا في الحديث بالتفجيرات التي شهدها العراق اليوم، وما كان أكثر إيلاما للقلوب هو تفجير في طوز خرماتو من جديد، فقد شهدنا عشرات التفجيرات في هذه المدينة الصغيرة، لأنهم تركمان من أتباع أهل البيت، لذلك يتم الطرق عليهم، ما الموضوع؟، فهناك مناطق أخرى قريبة منها لا أحد يصل إليها، ولا مفخخة تفجر فيها، هذا الشريط وهذه المنطقة التركمانية لأتباع أهل البيت، وهناك ضرب وطرق عليها بشكل متواصل، هل هذه هي المقاومة؟، وهذا هو الانتصار للإسلام؟، وهل هذا تقرب إلى الله ورسوله في شهر رمضان والناس صيام، والأطفال والنساء يُقتلون ويُنكبون من جديد؟، فإذا فكرت الحكومة أن تضع قوة لحمايتهم صاحوا لماذا هذا التمييز، هل تحمون هؤلاء فقط؟، نعم الطرق عليهم شديد، والمأساة يعيشها هؤلاء، والقتل في هؤلاء.

الله يحفظ الآخرين، وإن شاء الله يحفظ هذه المناطق أيضا، لكن حينما تكون منطقة مستهدفة يجب حمايتها بشكل مركز ومكثف وهذا ليس عيبا، فحماية الناس والحفاظ على الأرواح ليس أمرا معيبا، هذا واجب على الحكومة يجب أن تقوم به، وإذا ما أرادت القيام به فعلينا جميعا أن نمكّن ونسهّل هذا الموضوع، والقوى الحاضرة وأطراف طوزخرماتو كلها تتحمل مسؤولية وضع حد لنزيف الدم، لماذا تأتي المفخخات وتتجاوز مناطقهم وتصل إلى هذه المنطقة وتقتل الناس وتفجرهم بهذه الطريقة؟، هذا شيء غير مقبول.

---

٧٧. بحار الأنوار ١٠١: ٣٨، ح٣٧.

نسأل الله أن نجد ذلك اليوم الذي ننتهي فيه من هذه المرحلة المظلمة ، وهذا النزيف المستمر لدماء العراقيين ، وألا نشهد أي قطرة دم بريء تراق على هذه الأرض الطاهرة .

نسأل الله الأمن والاستقرار والأمان لشعبنا ولشعوب المنطقة جميعا ، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأمسية الرمضانية الثانية بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

بداية أرحب بكم في هذا المجلس الكريم، مجلس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأجدد التبريك بهذا الشهر الفضيل ورحابه الواسعة في الطاعة والإنابة إلى الله تعالى، والعزاء متواصل لكم ولجميع المؤمنين، ولجميع أبناء شعبنا، بسلسلة التفجيرات التي استهدفت المواطنين العراقيين بشكل عام وأتباع أهل البيت على وجه الخصوص، ولاحظنا ما جرى في محافظة ديالى وبغداد وصلاح الدين ومواقع أخرى، هذا الاستهداف الظالم الذي لا يرعى ولا يهتم ولا يحترم حتى شهر الصيام ويستهدف الأبرياء، نساء ورجالا، صغارا وكبارا، ولا جريرة لهم إلا أنهم يطلبون الحياة في هذا البلد الكريم، ولكن هذه الدماء الزكية الطاهرة، سوف لا تترك أثرا إلا مزيدا من الإصرار والثبات والعزيمة لأبناء شعبنا والوضوح في منهجهم وفي مشوارهم لبناء هذا الوطن.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةَ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقُ لَكَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَ بِالله))

قسوة القلب تحجب نور الحقيقة

في سلسلة النصوص التي تؤيد هذا التوجه؛ كيف أن الرجل يمكن أن تأخذ الإنسان إلى المعصية والحرام ما ورد في بحار الأنوار خطبة السيدة فاطمة الصغرى عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بعد واقعة الطف، فحينما جاؤوا بها إلى الكوفة خطبت خطبة معروفة وجاء فيها: «ويلكم»، تخاطب الجيش الذي قاتل الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، «أتدرون أية يد طعنتنا منكم»، أتعرفون ماذا جرى على أهل البيت، «وأية نفس نزعت إلى قتالنا»، أتعرفون طبيعة الأنفس والقلوب المتحجرة القاسية التي اندفعت لقتال الحسين وذريته وأصحابه، «أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟».

إذن، الرجل التي أخذت أولئك الجنود لحرب الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لقتال سيد الشهداء، هذه رجل أخذتهم إلى ما لا يحل، وهذه حركة محرمة واستخدام خاطئ لهذه الرجل حينما أخذتهم لقتال الحسين، وهذه الرجل التي تأخذنا إلى الحرام ما هي آثارها؟، «قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطُبع على أفئدتكم وخُتم على سمعكم وبصركم وسول لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون»[٧٨]، فالقلب حينما يقسو يصبح حجارة وساترا يمنع الإنسان من أن ينفتح على الحقيقة، فالحقيقة نور والقلب المظلم والقاسي، والقلب الذي وضع عليه حجاب، لا يستطيع أن يرى النور ولا يتفاعل مع الحقيقة، فيستمر في انحرافه وضلاله.

الاستعاذة من استعمال الأعضاء بالمعصية

يروي صاحب البحار أدعية للسَّحَر عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه المضامين، ومنها: «اللهم واستغفرك لكل ذنب خطوت إليه برجلي»، إذن، هذه الرجل تأخذك إلى الخطيئة، «أو مددت إليه يدي» استغفرك من كل ذنب مددت يدي إليه، «أو تأمله بصري»، كان مشهدا محرما، وأطلت النظر إليه، فالنظر إلى الحرام مما يأخذ الإنسان إلى الخطيئة، «أو أصغيت إليه بسمعي»، مقطوعة محرمة أو كلمات محرمة استمعت اليها، «أو نطق به لساني»، كذب أو غيبة أو نميمة تلفّظها لساني... اللهم استغفرك من جميع هذه الذنوب التي يتسبب بها عضو من أعضائي؛ عين أو لسان أو يد أو رجل وغيرها.

«أو أنفقت فيه ما رزقتني»، إلهي أنت رزقتني لطفك ورزقك وعنايتك ولكنني صرفتها

٧٨. بحار الأنوار ٤٥: ١١٠.

في الخصومة معك والعداء لك في ارتكاب المعصية، «ثم استرزقتك على عصياني»، صرفت أموالي في الحرام ورجعت أطلب منك يا إلهي الرزق وأنا في حالة من العصيان فرزقتني، «ثم استعنت برزقك على معصيتك»، لم أتعلم ولم أتب، مرة ثانية رزقتني ولكنني صرفته في الابتعاد عنك وفي خصومتك، «فسترت عليّ»، لكنك لم تفش سري وسترت عليّ، «ثم سألتك الزيادة»، ولكنني وقح، أعطيتني مرة وثانية وثالثة، وصرفته في الحرام، وأنا أسألك أن ترزقني أيضا، «ثم سألتك الزيادة فلم تخيبني»، لكن كرمك واسع يا إلهي، «وجاهرتك فيه فلم تفضحني»، بقيت على حالة الجفاء والخصومة مع الله، حتى تجاهرت بالمعصية.

أحيانا يتجاهر الإنسان بالمعصية في شهر رمضان، فهناك أناس يتجاهرون بالإفطار وكأن هذا البلد ليس إسلاميا، وحتى لو كنت معذورا أو مريضا، فلماذا الإفطار بالشارع وأمام الناس؟، وهذا التجاهر بالإفطار عدوان على الله. أين شهر رمضان في بلد غالبيته من المسلمين، أين حرمة هذا الشهر وهذا التشريع الإلهي؟، «فلا أزال مصرا على معصيتك ولا تزال عائدا عليّ بحلمك ومغفرتك»[٧٩]، كلما أصررت على المعصية تصر على الحلم والكرم والعطاء والرزق، ولكنني لا أخجل ولم أعتذر ولم أستفد، ومع ذلك، فإن حلمك عليّ واسع وعميم.

رمضان وطلب المغفرة

في البحار ورد في أدعية عيد الفطر: «اللهم وقد صمت فثبت صومي لك»، ما زلنا في بداية الشهر، وأريد صومي لك، وأنا تحملت الجوع والعطش من أجل الله تعالى، خالصة لوجهه الكريم، «في أحوال الخطأ والعمد»، سواء كنت مخطئا أو متعمدا، «والنسيان والذكر والحفظ»، سواء كنت حافظا للصوم أو مضيعا، ثبتني على طاعتك ووفقني لأداء واجبك، إذا صدرت مني أشياء في أثناء الصيام عن خطأ أو سهو أو التفات، أيا كانت الأسباب، «بأشياء نطق بها لساني أو رأتها عيني وهوتها نفسي»، أنا صائم في شهر رمضان، لكن نفسي هوت المعصية، «ومال إليها هواي وأحبها قلبي أو اشتهتها روحي أو بسطت إليها يدي»، سمعت أو رأيت الحرام، «وسعيت إليها برجلي»، أنا صائم في شهر الصيام وذهبت برجلي إلى المعصية.

٧٩. بحار الأنوار٨٤: ٣٣٢، ح٤٢.

هناك من يذهب لمجالس الوعظ والنصيحة ورضا الله تعالى، ولكن هناك من يمشي إلى المعصية في شهر رمضان، «من حلالك المباح بأمرك إلى حرامك المحظور بنهيك»[٨٠]، يترك الحلال ويذهب نحو الحرام في شهر الصيام. إلهي ثبتني في صيامي، وفي يوم العيد، يوم الجائزة، نطلب من الله تعالى أن يصفح عما بدر منا من سلوك أو قول أو حركة نحو حرام عمدا كان أو خطأ.

الله تعالى يقيم الحجة على عباده

روى في بحار الأنوار في دعاء عرفة: «فلك الحمد إلهي»، أشكرك يا الله، «أمرتني فعصيتك»، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، الحمد في ما هو صحيح وفي ما هو خطأ، وفي ما هو معروف أو باطل، «فلك الحمد إلهي أمرتني فعصيتك ونهيتني فارتكبت نهيك»، أتفنن في مخالفتك، «فأصبحت فلا ذا براءة فأعتذر»، ألقيت الحجة عليّ فماذا أقول؟، لا أدري!.. حتى في قوانين الدنيا حينما يقول لا أدري، يقال إن القانون لا يحمي المغفلين، لكن عند الله تعالى لا استطيع أن أقول لا أدري، لأن الله يقيم الحجة على عباده، «ولا ذا قوة فأنتصر»، ما هي قيمتي أمامك يارب، وليس عندي حول ولا قوة، فأي حول وقوة أمام الله تعالى، أنا لا شيء، فوجودي منك يا إلهي، «فبأي شيء أستقبلك يا إلهي»، أرسلت إلي أنبياء وكتبا سماوية وعلماء، والحق ليس خافيا على أحد، فلله الحجة البالغة، والله يقيم الحجة على عباده، فليس عندي أي دليل أو برهان استقوي به عليك يا رب، «أبسمعي أم بلساني أم برجلي»، الرجل التي ذهبت إلى الحرام، «أليس كلها نعمك عندي»، أستقوي بنعمك عليك؟!»وبكلها عصيتك يا مولاي»[٨١]، ما هي حجتي ولا دليل عندي؟. هكذا يكون عندما تأخذنا الرجل إلى المعصية.

معنى التوبة النصوح

في دعاء يوم الجمعة: «إلهي إني لا أبرح من مقامي هذا ولا تنقضي مسألتي حتى تغفر لي كل ذنب أذنبته»، هذا ما يسمونه الإلحاح في الطلب، بأن تقف بين يدي الله تعالى وتقول: إلهي لا أتحرك من مكاني حتى تغفر لي يا رب، «وكل شيء تركته مما أمرتني به»، تغفر كل شيء أمرتني به وأنا تركته، «وكل شيء آتيته مما نهيتني عنه»، تغفر لي كل شيء حرام فعلته، فقد أخطأت وأنا اليوم تائب، وهذه تسمى التوبة النصوح.

---

٨٠. بحار الأنوار ٨٨: ٢١.

٨١. بحار الأنوار ٩٥: ٢٢٢.

هناك من يتوب ويرجع إلى المعصية، إن كانت كلمة محرمة او مقطوعة محرمة، فلا يستطيع أن يتخلى عن المعصية، ولكنْ هناك توبة نصوح؛ تُغفر لي وأرجع طاهرا نقيا ولا أعود إلى المعصية من جديد، «وما نظر إليه بصري»، أية نظرة محرمة وقعت عليها عيني وأصغى إليها سمعي أو نطق بها لساني «أو ولج في بطني»، كل طعام محرم دخل بطني، «أو وسوس في صدري»، كل وسوسة مرت على قلبي، «أو ركن إليه قلبي»، أي محرم مال قلبي إليه، «أو بسطت يدي إليه أو مشت إليه رجلاي»، اغفر لي يارب أي محرم مشت إليه رجلاي، «أو باشره جلدي أو أفضى إليه فرجي أو لان له طوري أو قلبت له شيئا من أركاني»، أي فعل أو قول أو خاطر قلبي محرم حصل لي، أريدك يا إلهي أن تسامحني فيه، «مغفرة عزما جزما»، أريد اليوم يا إلهي هذه المغفرة التي أتقدم بها إليك بعزم وجزم لا رجعة فيه، أنا في طريق الطاعة، واليوم يوم الجمعة وفي شهر الصيام واللطف الإلهي، وكل منا لا يقوم من مقامه إلا ويكرر هذه المفاهيم التي تعلمناها من أهل البيت.

التوبة الصادقة جزاؤها المغفرة

إلهي كلنا مذنبون ومخطئون، نظرنا واستمعنا إلى حرام، ومشينا إلى الحرام ولمسنا الحرام، إلهي نسألك أن تغفرها كلها لنا وتصفح عنا، فنخرج من هذا المجلس ونحن في نقاء وطهارة وصفاء، ونقطع ونجزم ونعاهدك على ألا نعود للمعصية من جديد، «عزما جزما لا تغادر بعدها ذنبا ولا اكتسب بعدها خطيئة ولا إثما»، يا إلهي لا تغادر ذنبا، وامسح جميع الذنوب، ونحن أيضا لا نعود بعد ذلك إلى خطيئة أو إثم. . لك علينا ألا نذنب ونسألك أن تصفح عنا. إن توبة كهذه، بإرادة جازمة من العبد، لها آثار عظيمة، «مغفرة تطهر بها قلبي وتخفف بها ظهري»، الظهر يثقل بالمعصية، «وتتجاوز بها عن عسري وتضع بها عني وزري وتزكي بها عملي وتجاوز بها عن سيئاتي وتلقنني بها عند فراق الدنيا حجتي»[٨٢]، وتجعل في ذلك الحجة لي حينما أفارق الدنيا، إذن، المغفرة بمعناها الصحيح تعني التوبة من العبد، والمغفرة من الله بمعناها الكامل تطهر الإنسان كيوم ولدته أمه، هكذا في بعض الروايات والنصوص، وأي وقت أفضل من شهر النقاء، شهر الرحمة واللطف الإلهي؟.

إن أخطر شيء على الإنسان أن يُصاب بحالة الإحباط، فهذا الإنسان يفقد كل شيء، وقد قال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ للزهري ـ الذي كان عاملاً لبني أُمية فعاقب رجلاً فمات، فخرج هارباً وتوحش ودخل غاراً، ثم أتى الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له الإمام: «إنّي

٨٢. بحار الأنوار ٨٧: ١٣٢.

أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، ادفع دية مسلمة لأهله واخرج إلى أهلك»[٨٣].

ومن القصص المعروفة، قصة ذلك الرجل الذي جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقال أنا أعيش تأنيب الضمير، فقال له لماذا وماذا عملت؟، قال أنا أسرق الأكفان من الموتى، وفي ليلة ذهبت وأخرجت الجثمان حتى أفصل الكفن عنه، وإذا بها بنت حسناء، فوسوس لي الشيطان وارتكبت الرذيلة مع هذه البنت، وصدر منها صوت وكأن السماء نطقت، بسبب جريمة ومعصية بهذا الحجم، فارتعد رسول الله وطرده لأنه عذاب متحرك، فخرج وذهب إلى الجبال وانعزل عن الدنيا وما فيها، وبقي هناك يبكي ويئن ويتضرع إلى الله تعالى أن يتوب عليه، فجاء الأمر الإلهي والبشارة؛ ابحثوا عن فلان فقد غُفر له[٨٤]. مهما كان الذنب عظيما، إلا أن المغفرة الإلهية أوسع من ذنوبنا ومن خطايانا، وعلينا أن نعقد العزم ونجزم ونعاهد الله تعالى، فمهما صدر منا فالوقت غير متأخر، والإنسان في أي لحظة، يستطيع أن يعود إلى طاعة الله تعالى، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٨٣. بحار الأنوار ٤٦: ١٣٢، ح٢٢.
٨٤. بحار الأنوار ٦: ٢٣، ح٢٦.

الأمسية الرمضانية الثالثة بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٣ [٨٥]

الذكرى السنوية الرابعة لرحيل عزيز العراق قدس سره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في هذه الأمسية الرمضانية، ولا سيما أننا في هذه الليلة نحتفي بذكرى رحيل عزيز العراق، وأبارك لكم هذه الأيام الشريفة الكريمة من شهر رمضان، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا فيها من المرحومين وألا نكون من المحرومين.

كما أعزيكم بكواكب الشهداء الذين يتساقطون في كل يوم في محافظاتنا العراقية، والتفجير المروع الذي تألمنا له في محافظة كركوك، والذي سقط فيه العشرات بين شهيد وجريح، نسأل الله أن يجعل هذه الدماء الطاهرة والزكية سببا في مزيد من اللحمة والتماسك والثبات على طريق الهدى وبناء هذا الوطن على الأسس الصحيحة.

عزيز العراق ومرحلة المخاض الصعب

الحديث في هذه الليلة لا بد من أن يكون عن عزيز العراق، هذه الشخصية الكبيرة المؤثرة التي قُدّر لها أن تكون في الواجهة في واحدة من أخطر وأهم المراحل التأريخية

٨٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لرحيل والده سماحة السيد عبد العزيز الحكيم (عزيز العراق) قدس سره

لبلادنا، وفي مخاضات الولادة التي تمر بها الشعوب والأمم، وهي من أصعب الظروف على الشعوب والأمم، لتبين دور الرجال المؤثرين في هذه المسارات، وحينما نراجع طبيعة الأجواء والظروف والملابسات والتحديات التي واجهها عزيز العراق في رسالته وفي مشواره الرسالي، يمكن أن نستدل على أهمية هذا الرجل ودوره، وكلما ابتعدنا عن مسرح الحدث وعن لحظة وقوعه، ابتعدنا عن الملابسات والحساسيات والظروف التي تمنع من قراءة الحدث بشكل موضوعي. اليوم وبعد مرور أربع سنوات على رحيل عزيز العراق، نحن أقدر على قراءة الأدوار التي قام بها في مرحلة تصديه، ولعلنا بعد سنوات عدة، سنكون أقدر وأمام مشهد أوضح لدور هذا الرجل ولمساته وبصماته التي تركها على مسار العملية السياسية، وسيتبين عمق القرارات ودقتها في هذه الظروف الصعبة، مع إخوانه ورفاقه في مؤسسة المجلس الأعلى وفي الساحة الوطنية والتيارات والقوى والقيادات السياسية الكريمة في هذا البلد الطيب، وإذا أردنا أن نقف عند عزيز العراق فلا بد من أن نقف عند محطتين: المحطة الأولى: ترتبط بشخصه وسماته الخاصة. المحطة الثانية: ترتبط بالمشروع الذي تصدى له، وكان في واجهته في السنوات الأخيرة، وكان ركيزة مهمة ومن أعمدته في السنوات السابقة على ذلك.

المحطة الأولى/ شخصية عزيز العراق

الخشوع ورقة القلب

إذا أردنا أن نتحدث عن شخصية عزيز العراق، فلا بد لنا من أن نقف عند الجانب المعنوي والأخلاقي في هذه الشخصية، وهو ما لا تُسلط عليه الأضواء كثيرا، ولا سيما لشخصية قليلة الادّعاء كعزيز العراق، ولكنه كان متهجدا متعبدا قائما في آناء الليل، باكيا خشوعا لله سبحانه وتعالى، ومن يتابع حركة عزيز العراق الاجتماعية والسياسية يجد فيه الجدية والإقدام، ويجد فيه الهمم العالية في تحقيق الإنجازات في الظروف الصعبة، وقد لا يتوقع أن عزيز العراق في الوقت الذي يمتلك مثل هذه السمة الجادة في التصدي الاجتماعي والسياسي، ولكنه يجد في الجانب الآخر حالة من الانكسار القلبي والخشوع حين يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وحالة الابتهال والتضرع والدعاء لم تغادره حتى أيامه الأخيرة، وكان يتكئ على عصاه وينهض في آناء الليل لأداء نافلة الليل، وهو في ذلك المرض العضال والشديد.

في الأيام الأخيرة كان لي شرف الحضور إلى جواره في الستة أيام الأخيرة، وكان في ظروف صحية صعبة، وكلما فتح عينه، يسأل عن الصلاة هل دخل وقتها، لأنه كان يعرف أنه في ظرف لا يمكنه من تحديد المواقيت، فكنا نطمئنه أن الوقت لم يحن، فكان حريصا على ألا تضيع منه الصلاة في كل تلك الظروف، وكنت أجد كيف أن الدموع تنهال وهو يؤدي مناجاة الليل، والصلاة في آناء الليل سمة امتاز بها، ولعل جزءا مهما من توفيقاته ونجاحاته كانت تستند إلى هذا المصدر الوثيق، حينما يرتبط الإنسان بالله سبحانه وتعالى.

الاهتمام بالشعائر وممارستها

وفي موضوعة الشعائر كان يهتم كثيرا بإقامتها والحفاظ عليها وبالتشجيع عليها وبتوفير مقدماتها، ويذهب بنفسه ليسهم في التحضير لهذه الشعائر والمراسيم من طبخ أو مسائل أخرى، ويشرف عليها ويمارسها بنفسه ويتقرب إلى الله من خلال مثل هذه الأعمال والأداء لهذه الشعائر، ونعرف جيدا حينما كان يطل شهر محرم الحرام كان يقف بنفسه مستقبلا الهيئات والمواكب الحسينية لساعات طويلة في كل يوم في مكتبه، فكان يستقبلهم ويلقي عليهم التحية ويشجعهم على أداء هذه الشعائر.

كان مواليا ومحبا لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومواظبا على زيارة المشاهد المشرفة، وكان التقدير الإلهي أن تكون خاتمته في مثل هذه الأجواء، ففي الساعات الأخيرة أخبرنا الأطباء أن الظروف تخرج عن السيطرة، وطلبنا من المؤمنين الدعاء، وكنا إلى جواره نتلو عليه من آيات الذكر الحكيم وعددا من الأدعية، ولا سيما تلك الأدعية المسنونة في ظروف من هذا النوع، وأتذكر أني كنت أتلو على مسامعه ولم يكن يفتح عينه، ولكن من خلال حركة اليد كان يراقب ويتابع على ما يبدو ويتأثر وتدمع عينه بقراءة الدعاء، حتى انتهينا إلى زيارة أمين الله، وبانتهاء الزيارة أشر الجهاز أنه غادر هذه الحياة ورحل، فكان متفاعلا ومنسجما مع حالة الابتهال إلى الله والدعاء في كل الظروف، حتى في ذلك الظرف الاستثنائي الذي مر به.

رب الأسرة الناصح

وكان يرغّب من في البيت بالدعاء أيضا، ويخلق لهم أجواء مساعدة تقربهم إلى الله منذ الطفولة، وكلما دخل علينا شهر رمضان كان يوزع أيامه بين الأطفال في البيت، فيقال العشرة الأولى لفلان والعشرة الثانية لفلانة والعشرة الثالثة لفلان، فيجعل الأطفال

يتحمسون أن هذه العشرة هي عشرة فلان من الأولاد، وذهب من عشرتك ثلاثة وبقي سبعة وذهب ستة وبقي أربعة وهكذا، والجميع كان يواكب ويشعر بالاعتزاز بهذا الشهر الفضيل، حتى تنتهي العشرة الأولى، ويدخل في العشرة الثانية وتكون باسم طفل آخر ممن هو في الدار، وهكذا ينشدّ الجميع إلى هذا الشهر الفضيل.

في ما يخص صلاة الجماعة والعديد من الممارسات العبادية، كان يخلق أجواء جذابة في داخل البيت ويشجع الجميع على أداء العبادات، ويشكر الجميع ويقدم الهدايا في يوم العيد، ولا سيما لمن كان يصوم سنته الأولى، فله حصة خاصة في الهدية التي يقدمها في ذلك العيد، وما إلى ذلك مما كان يمتاز بالترغيب في الدعاء والالتزام وإحياء المناسبات.

الهمة العالية

ومن السمات التي تميز بها عزيز العراق همته العالية، وكان لا يعرف الكلل والملل، ولا يعرف معنى للتعب، فكان بهمة عالية في جميع الظروف، وينظر إلى المستقبل وإلى النصف الممتلئ من الكأس، وحينما كان الآخرون يشعرون بالإحباط، كان يتحدث لهم عن النصف الآخر ومجالات التفاؤل التي يمكن أن تكون.

كان عزيز العراق يتميز بالهمة العالية والنشاط والحماسة والجد والمثابرة، وكان يصرف وقته لخدمة المشروع، ولم يكن يأخذ منه إلا القليل، وكلما دب الإحباط بالآخرين بسبب طول المحنة، أخذوا العزيمة من عزيز العراق، بتفاؤله وثقته العالية بالله سبحانه وتعالى، وبتقديره النقاط الايجابية وعناصر القوة المتوافرة في الأمة، التي تمكن من إنجاح المشروع، كما كان يتميز بالعمق والدقة، فكان عميقا ودقيقا وينظر إلى الأمور بعناية كبيرة بعيدا عن الانفعالات، وكان يتميز بالالتزام والانضباط في حياته الشخصية ومواعيده وتعامله مع الآخرين.

الجدية والكتمان

ومن سماته العامة أيضا، أنه كان ملتزما، وكان يسير ضمن ما هو مخطط له أن يكون في مجمل المواقف الحساسة والصعبة، وكان كتوما، ومن يتصدّ لمواقع الخدمة العامة يطلع على الكثير من الأسرار ويتعرف على الكثير من الأمور، والبعض منها ذات طابع خاص وشخصي يرتبط بحياة الناس الشخصية، والبعض الآخر بزلات تصدر من هذا

وذاك، وبعضها يرتبط بالمصالح والأوضاع العامة، والكتمان واحد من أهم الشروط التي تؤدي إلى نجاح المتصدي حينما يكون متصديا للعمل الاجتماعي والسياسي، ومسؤولا عن جماعة من الناس، وعزيز العراق كان يتميز بهذه السمة، فكان كتوما على الأسرار، ولا نتعرف إلا على بعض منها مما يخص أقرب الناس وفي الظروف الاستثنائية، وكان مطلعا منذ فترة طويلة، لكنه يحفظ الأسرار ولا يبوح بها ولا يخاطر بالعمل وبمن معه والشخوص، وكان رجل المهام الصعبة والنوعية، ومن ينظر إلى تأريخه، يجد أن الحمل الذي ليس هناك من يحمله، كان يكلف به عزيز العراق، ويتصدى ببراعة ويحقق إنجازا كبيرا في هذه المهام، وكان يتمتع بعقلية إستراتيجية ويفكر تفكيرا استراتيجيا، والناس الذين يتمتعون بالعقلية الإستراتيجية لا تستهويهم المواقف اليومية والانفعالات السريعة، وردات الفعل ليست من شأنهم وطريقتهم.

حزمٌ في لين

كنت أرى في مواطن عديدة، أن أناسا من مقربيه ومن ذويه وقيادات عاملة بالساحة، يأتون إليه مرتبكين من معلومة خطيرة ومن موضوع حساس، ولكنه كان يتعامل بهدوء شديد، ولا يتخذ القرار في لحظة الانفعال، ولا يصدر أحكاما قبل أن يطلع على الوجهة الآخرى ويتفحص الأمور، وكان دائما يضع أمامه خارطة طريق؛ أين نحن؟، والى أين وصلنا؟، والى أين يجب أن نصل؟، وما هي أولوياتنا والسياسات التي توصلنا أو تساعدنا على تحقيق هذه الأولويات؟. لذلك لم يكن رجلا انفعاليا يتحرك بانفعالات سريعة، وإنما كان يحسب للأمور حسابا خاصا.

وكان حازما في العمل وفي الأداء، وشخصيته حازمة، وهذه هي السمة التي يراها الناس، ولكنه إلى جانب هذا الحزم والجرأة في اتخاذ القرار، والحدية في المواظبة على أن يسير المشروع ضمن سياقه الصحيح أو تسير الأمور بسياقها المقرر، ولم يكن يسمح بالتساهل والتخاذل واختلاق الأعذار والإهمال في العمل، وهذه كانت سمة واضحة فيه، لكنه إلى جانب ذلك، كان يتمتع بعاطفة جياشة ومشاعر تتحرك وانفعالات نفسية في ما يخص علاقته بعائلته، وفي ما يخص الهم العام الذي كان يحمله تجاه الآخرين، والمظالم التي كان يطلع عليها، ولم يكن ممن يمر عليها مرور الكرام، فمع كل خبر وكل عاجل، من مفخخة انفجرت وأناس استشهدوا، تدريجيا يبدأ الإنسان، خصوصا المتصدي، بالتعود شيئا فشيئا، إذ تأتيه الأخبار والتقارير بالساعات، أن هنا مشكلة

وهناك . . . وتتبعها الثالثة والرابعة والعشرون، وشيئا فشيئا يتطبع ولا يتأثر كثيرا، ويعتاد على سير البلد بهذه الطريقة؛ بوجود مشاكل وأناس تُقتل، لكن عزيز العراق لم يكن من هذا النوع، إذ كان يتألم لكل خبر يصله، ولكل معلومة يطلع عليها، عن مظلمة وانتهاك أو مصيبة أو ألم يمر به مواطن أو ممن يعرفهم أو يسمع عنهم.

الأب والصديق

وكانت له علاقة خاصة مع أبنائه في البيت، ولم يكن يتعامل من موقع الأب والابن، بل كان ينزل ليكون أخا أو صديقا لهم، لم يكن يسمح بتداول مشاكل الأولاد بالواسطة، وكان يربي أولاده على أن يأتوا إليه ويصارحوه بمشكلتهم ويناقشوه في قضاياهم، وكان يجلس ويعطي شيئا من الوقت ويتصدى للصبي وينزل إلى عمر المتحدث معه ويتفهم مشكلته ويقدم له حلولا ومعالجات، لذلك فإن التماسك في الأسرة كان تماسكا عاليا، وكل يذهب مباشرة إلى الأب ويتحدث بمشاكله أو بعض القضايا التي يحب أن يطرحها، ويستمع إلى نصيحة الأب، في الوقت الذي كان يتعامل بهدوء تجاه المستجدات الخطيرة ولا ينفعل ولا يتعصب في الظرف الصعب.

القائد الشجاع والمبدئي

كان يجلس ويستمع والآخر يأتي ثائرا ناقلا لمعلومات خطيرة، ولكنه كان يحافظ على هدوئه ويستمع جيدا، ثم يبدأ يقلّب الأمور، ثم يبدأ بطرح أسئلة على الوافد، ثم يطلب التحري من أطراف أخرى ليتأكد من عمق المشكلة وحجمها وأبعادها، ولكن في الوقت الذي كان يتعامل بهذا الهدوء، إلا أنه في القضايا التي كانت تمس الخطوط الحمر وتمس العقيدة، وتمس الثوابت الدينية أو الوطنية وتخاطر بالمشروع، هذه الأمور التي فيها تجاوز للخط الأحمر، كان يثار لله ويخرج عن هدوئه، ويكون في حالة من الشدة والحزم، يتابع مثل هذه القضايا ويتخذ قرارات جريئة ويتصل بنفسه.

وكنت شاهدا على اتصالات أجراها مع كبار المسؤولين، وكان يصرخ على الهاتف، وكنت إلى جانبه استمع وهو يصرخ صراخا شديدا بذلك المسؤول الكبير، فحينما تكون هناك مشكلة والتعاون الحاصل يخاطر بالخطوط الحمر، حينئذ لا مجاملة على حساب المصلحة العامة وعلى حساب الخطوط الحمر والثوابت. كان يثار مدافعا عن تلك القضايا، وكان مرافقوه يخبروننا، فهو لا يخبرنا كثيرا عن هذه الأمور، عن الصراخ الذي يحصل مع (بريمر) أو قيادات أمريكية نافذة آنذاك، حينما كانت تجلس

مع القيادات العراقية وتناقش بعض الأمور وتسعى إلى أن تضغط عليهم أو تفرض عليهم أمورا محددة، وعزيز العراق لم يكن من أولئك الذين يصمتون في ظروف كهذه، وكان يصرخ بوجوههم ويهددونه ويذكّرونه بما جرى في ثورة العشرين، في إشارة إلى إمكانية أن يُستبعد هو والشارع الذي يمثله من المعادلة، ولم يكن ممن يهتز لمثل هذه الحالات من التخويف والترهيب، وإنما كان يقف ببسالة وجرأة شديدة ويدافع عن حقوق هذا الشعب، وهذه كانت من السمات الواضحة في عزيز العراق. مبدئيته كانت فوق كل المجاملات والاعتبارات، وكان رجل قرار ومسؤولية حينما يتطلب الأمر أن يقف ويتخذ قرارا محددا، وكان مصداقا لهذه الصفة المعروفة عن المؤمنين»قليل المؤونة كثير المعونة»، مؤونته قليلة لا يطلب الكثير، واقتنع لنفسه بالقليل، ولكنه كان كثير المعونة يقدم كل ما لديه من أجل هذا الشعب.

تعدد الأدوار وبراعة الأداء

من الخصائص التي تميز عزيز العراق هو تعدد الأدوار التي مارسها، وكان يخرج من كل دور ببراعة ويتألق فيه، هذا التعدد في الأدوار بدءا من الدور الحوزوي الذي نشأ فيه في أكناف مرجعية الإمام الحكيم ثم الإمام الشهيد الصدر، وكان متفاعلا وعنصرا مؤثرا في كلا المرحلتين.

لاحظنا أن عزيز العراق كان متميزا في تلك المرحلة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مرحلة الجهاد ومقاومة النظام الاستبدادي الدكتاتوري وأصبح له موقع متميز على هذا الصعيد، واستطاع أن يدير هذا الملف بجدارة كبيرة وببراعة بعيدا عن الأنظار، وهذه واحدة من سمات عزيز العراق، فالشعب العراقي تعرف عليه في السنين الأخيرة من حياته، وكان قدره أن يكون في الواجهة، ولكن المساحة الأكبر من حياة عزيز العراق كانت بعيدا عن الواجهة؛ يعمل بصمت ولكن في مراكز التأثير وفي غرف صناعة القرار وفي الميدان، رجلا ميدانيا صاحب قرار ومؤثر، لكنه بعيد عن الصورة والواجهة، وهذه كانت السمة العامة، لذلك كان يشعر بعناء حينما تطلبت المسؤولية أن يتصدر إلى الواجهة، لأن تركيبة شخصيته وما اعتاد عليه وما كان ينسجم مع سماته الأخلاقية، أن يكون بعيدا عن الواجهة، فعليه أن يعمل وليكن التصفيق لغيره ولكن المشروع يتقدم إلى الإمام، هذه كانت السمة التي ميزت عزيز العراق.

وهكذا في البعد السياسي والاجتماعي الذي تصدى له وهو في ذروة العمل الجهادي، فقد لاحظ ما بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ والحصول على ملايين

الوثائق التي تشير إلى انتهاكات النظام لحقوق الإنسان واعتدائه على الشعب العراقي، هنا لاحظ أن هذه القضية مدخل مهم لإدانة النظام والضغط عليه، فأسس (المركز الوثائقي لحقوق الإنسان)، وكان يصرف جزءا من وقته إلى المركز ويذهب بنفسه إلى الأروقة الدولية والأمم المتحدة ويتابع المواضيع، وتحول المركز بإمكانات بسيطة إلى مركز قد يكون هو الأهم على الإطلاق لدى المعارضة العراقية آنذاك، من حيث حجم الوثائق واتساقها مع الضوابط المطلوبة لدى الأمم المتحدة، والمنشورات والكتب التي صدرت ووُثقت هذه الأمور ودفعتها إلى الأروقة الدولية، ومثلت ضغطا كبيرا على النظام الصدامي آنذاك.

وهكذا على الصعيد السياسي بعد ذلك، حينما تصدى في مرحلة نشوء العملية السياسية وبناء الدولة العراقية بحلتها الجديدة بعد ٢٠٠٣، وكان واحدا من أهم المؤثرين في بناء العملية السياسية، ومن رواد هذا المسار وبصماته واضحة كما سنتحدث في المحور الثاني.

المربي وراعي عوائل الشهداء

كان مربيا لكل من يحيط به، وكان يجد منه هذه الأبعاد التربوية والإشارات والدروس التربوية في العمل وفي الأداء وفي السلوك وفي التعاطي مع الأمور والنظرة إلى القضايا إلى غير ذلك، وكانت له رعاية خاصة لأسر الشهداء، يأنس بالتواصل معهم وكأنه يشعر بمسؤولية، تعرفون أن أسرة الإمام الحكيم قدمت ٦٣ شهيدا، والكثير من هؤلاء الشهداء كانوا شبابا وتركوا أطفالا صغارا، بنين وبنات، وهؤلاء إخوانه وأولاد إخوانه الشهداء، وبالتالي فإن بنات الشهداء كنّ من محارمه، فكان يسهل عليه التواصل معهن، وكان يصرف وقتا في التواصل والتفقد وفي الاستماع لمشاكلهم وفي متابعة قضاياهم ويعتبر نفسه مسؤولا عنهم، وعندما يأتي العيد يرسل إليهم ويجمعهم ويجلس معهم، الذكور في قاعة، والإناث في قاعة أخرى، ويجتمع ساعات هنا وهناك ويقضي العيد مع هؤلاء حتى لا يشعروا بفقد الأب، وهكذا كان تحسسه وزيارته لعوائل الشهداء بشكل عام، ولكن مع ذويه وعائلته، نتيجة للمحرومية، كان التواصل أسهل ويقوم بهذا الدور بشكل كبير وواسع.

الزهد والبساطة في التعامل

كان عزيز العراق زاهدا، في كل شيء على المستوى الشخصي؛ في ملبسه ومأكله ومركبه، وقد قضى حياته بزهد شديد، ففي أيام المعارضة وهو يدير أغلب الملفات، كانت السيارة التي يستقلها سنين (بيكب مزدوج الكابينة)، وقد يشعر أي أحد منا اليوم بحراجة من أن يركب (بيكب من هذا النوع)، لكن هذه السيارة بقيت سنين لدى عزيز

العراق، يتحرك فيها ويدير شؤونه ويمر على المجاهدين ويتحرك في مهامه ويقطع مئات الكيلومترات بهذه السيارة، وانقلبت مرات ومرات، وشاءت الأقدار أن يبقى ويواصل المشوار، حتى كان يمزح ويقول هذه (المجاهدة) لكثرة رفقتها له في أيام الجهاد، ثم بعد ذلك، وفر لنفسه سيارة متواضعة حتى لم يكن فيها جهاز تبريد وقضى سنين طويلة أخرى في تلك السيارة البسيطة، يتحرك فيها ويدير أعماله.

وهكذا كان في ملبسه، فكان يرتدي ملابس من أبسط أنواع الأقمشة المحلية المتاحة آنذاك، ولعل بعض مرافقيه يرتدون ملابس بقماش أحسن نوعا من القماش الذي كان يرتديه، وإذا خيطت له ملابس يبقي يرتديها إلى أن تتمزق، ولم يكن يطلب لنفسه، وهذه ثقافة كان يطبقها على نفسه ويربي بها أبناءه، فيعيش هذا الزهد، وفي السكن حينما كان في المنفى والمهجر وكان لديه إمكانيه أن يبني لنفسه دارا كما بنى كثيرون، ولكن كان يجلس في بيت قديم مر عليه عشرات السنين والرطوبة تنخر فيه، وابُتلي عدد منا بأمراض الروماتيزم وأمثالها نتيجة الرطوبة، ولكن كان يعيش بهذه الطريقة، وحينما جاء إلى بغداد، بقي أشهرا هو ووالدتي في غرفة واحدة، يعيشون فيها ويأكلون ويشربون ويطبخون في غرفة واحدة، وبعد ذلك انتقلوا إلى ملحق في داخل هذا المكتب ليعيشوا فيه.

لم يكن يطلب لنفسه إلا القليل، وكان يروض نفسه ويروض عائلته على هذه الحالة من البساطة في التعامل، وقضى كثيرا من حياته وهو يرقد وينام على الأرض ولم يستخدم سريرا، وبعد ذلك تطور الموقف وجلبوا سريرا لعزيز العراق، ونوع السرير هو التخت الخشبي الذي يُستخدم في المقاهي الشعبية وأحيانا في الأماكن العامة، فكان يضعه ويرقد عليه، وهكذا عاش المساحة الأطول من حياته بعيدا عن الدنيا ولذاتها، وكان يعتمد هذه الحالة في مجمل مساراته، وكان كريما مع الآخرين، حينما يتعرف على مشكلة يسعى إلى أن يعالجها ويحلها، والكثير ممن أوصل صوته لعزيز العراق يعرف أنه كان يندفع لحل مشاكل الناس، لكنه على المستوى الشخصي والعائلي كان حريصا على أن تكون الأمور بمقدارها.

التربية على المسؤولية وتقدير الأمور

منذ الطفولة كان يربّي أبناءه على استشعار المسؤولية، ويقول نوفر لك المال، ولكن هل أنت بحاجة إليه، وهل هذه الحاجة ضرورية؟، شخّص ذلك بنفسك، فإن كانت ضرورية نشتريها لك، فالطفل الصغير والشاب يبدأ يفكر هل هذا ضروري أو

لا؟، فإذا كان ضروريا ويقول هذا ضروري يشتريه، وإذا لم يكن كذلك هو يقدر ويتخذ القرار، وهكذا مع والدتي، كان يتعامل بهذه الطريقة، وهذا المال يجب أن يصرف للناس، ونحن نأخذ منه بقدر الكفاف، وقدروا ما هو الضروري ونحن نصرف على ما هو ضروري، من دون ترف وتساهل وراحة وصرف أكثر من الضرورة، كلا، يجب أن ندقق في هذا الأمر.

أذكر بعد ان تزوجت بيوم أو يومين، وقد تزوجت في غرفة في بيت والدي، أرسل إلي الوالد وقال أنت الآن طالب وأصبح لديك عائلة وزوجة، وهذه ستحملك متطلبات جديدة وتحتاج إلى أشياء، إلى ذلك الوقت لم يكن هناك مرتب، فقال من الآن صار لك وضع آخر، فكيف تريد أن نتعامل معك؟، قلت له ماذا تعني سيدنا؟، فقال أتريد أن تخبرني عندما تحتاج، أم تريد أن أضع لك شيئا أعطيه لك شهريا، قلت إن الحياء لا يسمح لي أن آتي كل مرة وأطلب منك كذا وكذا، فهل من الممكن أن تخصص شيئا شهريا؟، فسيكون ذلك أفضل، ففاجأني وقال كم تريد؟، فقلت له إن هذه العائلة دخلت توا في هذا العالم ولا أعرف كم أحتاج لذلك، وأنا لا أريد أكثر من الحاجة، وأنتم أعرف فأنتم مبتلى بإدارة العائلة، وإن الطعام هنا موجود وكذلك الخدمات العامة في البيت نعيش فيها، فخصص مبلغا زهيدا للتربية، فقال هذه أخصصها لك شهريا، وأنت ترى إن كان هذا المبلغ قليلا وتحتاج إلى أكثر وضرورتك أكثر، فأخبرني وأنا مستعد أن أزيد على هذا المبلغ.

ثم بعد فترة، أودع عندي مبلغا من المال، وقال هذا المبلغ دعه لديك، وأنا سأكلفك أن تعطي فلانا وأن تقوم ببعض الأعمال، وبعد ذلك أدركت أن هذا المبلغ وضعه عندي، وكان غطاؤه أن يكلفني بصرف هذا المبلغ على حالات معينة هو يشخصها، لكن واحدا من الجوانب ألا أكون محرجا حين تأتي لحظة احتاج فيها إلى شيء وليس عندي مبلغ من المال أصرفه في ذلك الشيء، لكننا تعلمنا ألا نستفيد من هذه الأمور، ومضت علينا سنين وسنين وليس في بيتنا في كثير من الأحيان الطعام البسيط الذي يأكله الناس، ولكننا لم نكن نتحدث أو ممن يطرق الباب، ونعتبر هذا جزءا من إعدادنا وتربيتنا الصحيحة، ويجب أن نعيش بهذه الطريقة، وكنا نتحمل ونضغط على أنفسنا، واليوم نجد كم كانت هذه التربية مفيدة في بنائنا، وهذه الصعوبات والمشاكل والمحددات في حياة الإنسان كلها تسهم في إعداد الإنسان وفي تربيته، وهكذا كان يتعامل في إدارة الجوانب المالية والاقتصادية في داخل الأسرة.

ذهب خفيفا إلى ربه

وبعد أن غادر الدنيا، تبين أنه لم يترك حتى النزر اليسير الذي يتركه الآخرون من بسطاء الناس، عندما يترك ميراثا لأهله، لكن عزيز العراق ليس له ميراث حتى يورثه لأحد، وذهب خفيفا إلى ربه، وهذا شيء نحن نعتز به ونفتخر أن الشخص الذي كان بهذا الموقع أمام هذه الإمكانات الكبيرة وهذه الفرص، وتأتي إليه هدايا كثيرة من أناس بصفة شخصية، لكنه يقول لماذا أعطوا السيد عبد العزيز ولم يعطوا غيره؟، صحيح أن عنوانها شخصي، لكن واقعها لأن السيد عبد العزيز في هذا الموقع الاجتماعي، فهذه للعمل، وكانت قاعدته أن كل شيء يفوق سعر العطور، وهي العطور البسيطة التي أكثرها لا يتجاوز سعرها عشرة دولارات أو عشرين ألف دينار، أي شيء من هذا فهو مال عام، يتعامل معه على أنه من المال العام وليس من أمواله الشخصية. عاش عزيزا وغادر عزيزا وترك ذكريات عزيزة على قلوب محبيه ومن يعرف سيرته في هذه الحياة.

المحطة الثانية/ صاحب المشروع المتكامل

كسر المعادلة الظالمة

كان يحمل مشروعا، ولم يكن يتحرك بعفوية، ولم يكن يتحرك بظروف اليوم وإملاءات الظرف الحالي الذي يعيشه، بل كانت لديه رؤية ومشروع متكامل، فهو ورفاقه يجلسون ويفكرون ويخططون ويضعون تصورا كاملا لما يجب أن يسيروا فيه لخدمة هذا الشعب، ودائما كان يروّض كل الأدوات لصالح هذا المشروع، ويدفع بالأمور نحو هذا المشروع، وكان دوما في أحاديثه وخطبه يركز على مفردات هذا المشروع: «كسر المعادلة الظالمة وبناء المعادلة العادلة»، وسمعناها مئات المرات من عزيز العراق في خطاباته، أنه يجب أن تُبنى معادلة عادلة في هذا البلد، تطمئن الجميع وتحافظ على حقوق الجميع، حتى يطمئن الناس ويستقر البلد، وما لم نصل إلى المعادلة العادلة المطمئنة، ستستمر المشاكل في هذا البلد والضغوط على المواطنين.

كان يتحدث عن العلاقة بين المكونات على قاعدة شراكة الأقوياء، وكان يقول إن الضعيف عندما يأتي فهو أتى، والقوي عندما يأتي يمثل مكونه وشارعه يطمئن، وعندما يأتي فإن شارعه يأتي معه، فيجب أن نتعامل مع الأقوياء وندفع ضريبة التعامل مع القوي، لأن الأثر المترتب على شراكة الأقوياء هو حل مشاكل البلد والمضي إلى الأمام.

نعرض ولا نفرض

كانت له رؤية دينية أخلاقية قيمية مبدئية واضحة، وكان له فهم واضح عن النسيج الاجتماعي، وكان يبشر به ويتحدث ويشجع على الشعائر وعلى المفاهيم الدينية والالتزام الديني ويشجع عليها، ولكن على قاعدة»نعرض ولا نفرض»، هكذا نرى الأمور والذي يقبل منا يستفيد، والذي لا يقبل هو من يتحمل قراره ولا نفرض عليه ذلك، ولا نفرض جلبابنا الديني ومنظومتنا الأخلاقية على الناس، بل نعرضها على الناس ونستنفر طاقاتنا لإقناعهم بها، وفيها خدمتهم وسعادتهم كما نرى، أما الذي يريد أن يسير في طريق آخر فيبقى مواطنا عراقيا ضمن سقف الوطن ولا يخرج من هذا السقف، هذه أيضا من المبادئ المهمة التي كان يتبناها عزيز العراق.

مبدأ الوحدة

وحدة الوطن ووحدة المواطنين ووحدة المكونات ووحدة القوى، الوحدة الداخلية كان يعتبرها أساسا مهما في نجاحنا في هذا المشوار، والوحدة تبدأ من الجزئيات الصغيرة، والحزب الواحد والكيان الواحد والجمهور الواحد والشارع الواحد يجب أن يكون موحدا حتى يتوحد الوطن. هناك منطقان ومنهجان؛ منهج يقول فرّق تسد، وازرع الخلافات بين الناس لتبقى الخيوط كلها بيدك، وتسحب الذي تريده، ومنهج يقول وحّدهم وقوّهم حتى تتعامل مع الشريك القوي، لذلك كان بنفسه يدخل على الخط، ويبذل جهودا من أجل حل مشاكل داخل قوى سياسية أخرى لديه علاقة طيبة معها، وفلان وفلان القياديان في حزب آخر يختلفان، فكان عزيز العراق يتوسط لحل المشاكل، وهذا منشق يعود به، وهذا لديه مشكلة يحلها ويصفّي الأجواء في ما بينهم، فكان يؤمن بهذا المبدأ، وهكذا نرى حرصه على لملمة ساحتنا.

كان الائتلاف الوطني العراقي يتشكل وهو في ظروف المرض العضال، وفي شدة مرضه، ومع ذلك، وهو على سرير المرض ويعرف أنه يقترب من اللحظة التي يرحل فيها إلى ربه، لكنه كان يزاول جهده ونشاطه واتصالاته مع القيادات، ويطلب منهم الانضمام، وما زلت اذكر أنه كان في وضع صحي صعب، قبل ٤٨ ساعة من وفاته، وكانت الأجهزة في فمه ولا يستطيع أن يتحدث وعينه لا يستطيع أن يفتحها، ولكنه كان يحرك يده فنعرف أنه يقظ فنحدثه، وكان يتفاعل من خلال اليد ويعطينا رسائل وكنت أتابع التلفاز، فعُرض المؤتمر الصحفي للائتلاف الوطني لانبثاق الائتلاف وتشكيله، فذهبت إلى جانب السرير وأمسكت يده وقلت: سيدنا الائتلاف الوطني تشكل، هذا

الجهد الذي بذلتموه أثمر والحمد لله، والآن تشكل ويُعرض على الهواء المؤتمر الصحفي لإعلان الائتلاف، وهو في تلك الحال دمعت عينه ولاحظت الدموع فرحة بأن هذه الوحدة تحققت، وهكذا كان يفرح لكل وحدة موقف يشهدها البلد.

نظرية المسؤول الخادم

وفي مشروعه كان يحمل رؤية في بناء الدولة العصرية المتطورة، وعنده فهم لهذه الدولة هو وإخوانه، وكان يعتقد بأن الدولة المتطورة التي نبنيها يجب أن تعتمد على خدمة الناس، وأكبرنا شأنا أكثرنا تواضعا وخدمة للناس، وكان دائما يقول في خطاباته أنا الخادم، ويستخدم مفردة خادم بشكل مبالغ فيه وكثير، حتى يغرس هذه الثقافة؛ إننا في خدمة هذا الشعب، وأيضا تعتمد هذه الرؤية على دولة المواطن، فالأساس هو المواطن وكل الجهد من أجل خدمة المواطن، فالإنسان هو الأساس في هذا البناء والمجتمع والدولة، والمواطن هو الذي يخرج وينتخب ويضع الناس في مواقع الخدمة، فالأساس هو المواطن ويجب أن ننطلق من خدمة المواطن في أدائنا وحركتنا.

رؤيته في الملف الأمني

في الملف الأمني كان يحمل رؤية متكاملة تعتمد على خمسة أسس:

أولا:

الاعتماد على الطاقات الشعبية، فالأمن بنظره لا يستطيع عنصر الجيش وعنصر الشرطة أن يديره، فإن الجيش والشرطة يجب أن تكون لديهما حاضنة شعبية مساندة لهما، داعمة لهما ومتفاعلة معهما، فكان يصر على إدخال العشائر والجمهور في النظرية الأمنية حتى يستتب الأمن، ففي اليوم الذي يشعر فيه كل مواطن بأنه معنيّ بالأمن، ويرى سيارة مشبوهة أو حركة غريبة أو أناسا غرباء يدخلون في بيت، فإنه سيتحرك ويخبر الجهات المختصة، ولا أحد يفلت، وأين يذهب؟، وليس هناك أناس تاتي من السماء، وكل من يفخخ سيارة لديه حاضنة وبيت وأناس تدله ومهندسون يفخخون له، وهؤلاء حركة وأناس وبيوت وأحياء ومناطق، والمواطن يرى أشياء كثيرة ويغمض عينه ويقول لا شأن لي، فقد أتكلم وبعد ذلك تصل إلى الإرهابيين قبل الوصول إلى أصحاب القرار، ويبقى الإرهاب يعمل ويفجر بيتي، فما شأني بهذا؟، لا أتكلم أبدا، هكذا تصير الأمور، وإدخال الجمهور كجزء أساسي في النظرية الأمنية شيء مهم.

ثانيا :

الاستفادة من القيادات النظيفة التي يكون ولاؤها للنظام الجديد في المواقع الأمنية ، وكان يعتقد بأن جزءا مهما من المشكلة هي الاختراقات داخل المؤسسة ، فإذا كان»حاميها حراميها»في بعض الحالات كما يقال ، فماذا نتوقع منه؟ ، فتعطى المعلومة لمن يوصلها للإرهاب ، وتحدث مشكلة ، فيجب أن نعتمد على قيادات تأريخها معروف وولاؤها للنظام الجديد معروف ، وأثبتت جدارة ، ونطمئن لها لكي نستطيع أان ننجح .

ثالثا :

الخطط الناجحة ، اليوم لا ندير معركة وحربا نظامية بين جيش وجيش ، والجيوش عندما تحارب فإن لديها خططا خاصة بها ، ولكن عندما نحارب إرهابا وأعداء يتحركون بيننا ، فهذه حرب شوارع ولها خطط أخرى ورؤية أخرى ، فيجب أن نعتمد على خطط ناجحة في التعاطي مع الواقع الأمني الذي نعيشه .

رابعا :

الجهد الاستخباري ، فالهمرات والجيوش والعناصر الأمنية والسيطرات وحدها لا توفر الأمن ، وكلما زدنا السيطرات فإن المواطن يدفع الضريبة ويبقى ساعات خلف هذه السيطرات والإرهاب لا يتوقف والتفجيرات مستمرة ، إذن ليس هذا الطريق الصحيح ، فالجهد الاستخباري يجب أن يكون في أساس النظرية الأمنية .

خامسا :

في الرؤية الأمنية لعزيز العراق أن هذه المشكلة الأمنية هي في جزء منها مشكلة سياسية ، تعكس على الواقع الأمني ، مشكلة سياسية داخلية وأخرى إقليمية ، فإذا قمنا بحل المشكلة السياسية داخليا وإقليميا سنكون قد قللنا من تأثير هذه المشاكل الأمنية والتحديات التي تواجهنا ، وجزء منها اقتصادي ، فهناك شباب يدفعهم العوز إلى الانخراط في المجموعات الإرهابية ، فإذا توفرت فرص عمل جيدة سنبعدهم عن هذه المجموعات ، وجزء منها ثقافي ، وجزء منها تنموي ، وجزء منها أمني . إذا نظرنا إلى الواقع الأمني ومعالجته بمعالجات أوسع من المعالجة الأمنية البحتة ، نستطيع أن نحل

مشكلة الأمن، وهذه الرؤية التي كان يؤمن بها عزيز العراق ويحدّث بها القيادات الأمنية آنذاك.

العلاقات الوطنية

كان يمتلك رؤية في العلاقات الوطنية، فالكرد إخواننا وشركاؤنا في الوطن، ويجب أن نحسن العلاقة معهم ونطورها ونتغلب على بعض المشاكل القائمة، وقد اتهم بأن عنده مصالح مع الكرد وهو منحاز إليهم، وعزيز العراق لم تكن له أي مصلحة خاصة كشخص أو ككيان، أقولها وأنا مسؤول عن كلامي، أي مصلحة مع الإخوة الكرد؟، هل هي تجارة وعقود أو مشكلة أو قضية أو فندق فلاني وما إلى ذلك؟، أبدا، فلا يوجد فلس واحد في تعامل مشترك اقتصادي أو غيره، والمسألة لم تكن تخص المجلس ومصالح المجلس، بل مصالح البلد عربا وكردا وقوميات أخرى، بأن يتفاهموا بينهم، وهكذا المذاهب الكريمة والجمهور المتنوع والديانات، هذه كلها يجب أن تتفاهم، ومن دون ذلك لا يمكن أن ينجح مشروع، وهذا كان إيمانا راسخا لدى عزيز العراق ويعمل من أجله.

العلاقات الإقليمية والدولية

في الوضع الإقليمي كان يؤمن بضرورة الانفتاح على إيران وتركيا والدول العربية، والتواصل معهم لنطمئنهم ونخفف من الضغط على الواقع العراقي.

وفي الوضع الدولي قام شخصيا بعدة زيارات للولايات المتحدة وبريطانيا ودول عديدة في أوربا، ودول أخرى، وكان يُتهم في كل هذه الأمور، وكأن هناك مصالح خاصة تدفعه لمثل هذه الاتصالات واللقاءات والزيارات، فيما أنه لم يكن هناك شيء إلا مصلحة العراق، وخدمة العراق، وكان أول من دعا لحوار أمريكي – إيراني في الشأن العراقي، وقال نحن اليوم ندفع ضريبة هذا الصراع في حينها، فدعهم يجلسوا ويحلوا مشكلتهم في العراق، وإذا كانت لديهم في مكان آخر فهم أعرف بمصالحهم في حلها أو عدمه، ولكن في الشأن العراقي، دعهم يجتمعوا، والجمهورية الإسلامية اتخذت قرارا من أعلى المستويات ولأول مرة، بشأن البدء بحوار من هذا النوع، والولايات المتحدة جاءت والطرف العراقي كان ناظرا إلى هذه الحوارات التي توقفت فيما بعد. هكذا كان يقتحم ويقول رؤيته، وكان يبني استراتيجية في العلاقات الإقليمية والدولية.

بناء البلاد وإدارتها

في بناء البلد كان يؤمن بالصلاحيات الواسعة للمحافظات ويقاتل من أجل هذا الأمر، وكُلف بصياغة قانون لتحرير صلاحيات واسعة، ومن قبلها كان له مواقف حازمة في صياغة الدستور تمنح صلاحيات حقيقية لمجالس المحافظات، وكان يقول إن الحمل إذا لم يتوزع فلا يستطيع أحد أن ينهض به، وعندما نوزعه بين ١٨ محافظة، فكل محافظة تستطيع أن تنهض بحملها، ويومها كان وزراء عدد من الوزارات الخدمية من كيانه السياسي، وفي ذلك الوقت دعا إلى حل هذه الوزارات وإعطاء صلاحياتها للمحافظات، فلماذا يذهب المواطن في كل شيء إلى بغداد والمحافظة هي الحكومة المحلية المنتخبة بانتخاب مباشر؟، ولهذا تعطى الصلاحيات بحسب المحافظة، وكان يؤمن بضرورة التوازن في البنية الإدارية في البلد، ومنذ ٢٠٠٣ كان يقول إن هناك إقليما في مكان، ومحافظات في أماكن، وهذا سيعني أن الإقليم بصلاحياته وإمكانياته الطبيعية سينمو، والمحافظات تبقى متخلفة ونعود إلى حالة من التمييز والطبقية بين الناس، غير مقصودة لكنها تتحقق وتسبب مشاكل، والأفضل للعراق إما أن يدار بالأقاليم أو بنظام المحافظات، لكي يكون هناك توازن في الهيكل الإداري لإدارة الدولة.

ومسألة خروج العراق من الفصل السابع، كان أول من تنبه لها، وحولها إلى ثقافة شعبية وذهب إلى الأروقة الخاصة مع القادة العراقيين وناقشها وحملها على أكتافه في زيارته المعروفة التي أسماها»زيارة الاستقلال والسيادة»للولايات المتحدة، ليتحدث عن إخراج العراق من الفصل السابع وأهميته، ولم يدخل عليه مسؤول دولي أممي أو إقليمي أوالتقى به إلا وكان واحدا من الموضوعات خروج العراق من الفصل السابع، وهذه كانت ثابتة في كل حواراته ولقاءاته واتصالاته السياسية، وتم الأمر والحمد لله، بفضل كل هذه الجهود الخيرة، فالحكومة بذلت جهودا والبرلمان بذل الجهود وكذلك القوى السياسية وقيادات البلد، وأنتجت هذه النتيجة الطيبة، واعلموا أيها الأحبة أن قليلا من البلدان دخلت تحت الفصل السابع واستطاعت ان تخرج منه، والعراق من البلدان النادرة التي استطاعت أن تخرج من الفصل السابع، وهذا إنجاز كبير وعظيم يجب أن نفتخر به ونعتز.

رعاية الشرائح الحاملة للمشروع

ومن نهجه الرعاية للشرائح الحاملة للمشروع، من مجاهدين ومستضعفين ومحرومين، فكان يرعاهم رعاية خاصة ويهتم بالتواصل معهم وحل مشاكلهم، وكان

من العناصر المهمة في اقتراح تأسيس مؤسسة للسجناء وللشهداء إلى غير ذلك، حتى تحل مشاكلهم، وكان همه المشروع وليس موقعه في هذا المشروع، على قاعدة»أم الولد»المعروفة لديكم حينما جاءت امرأتان إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكل منهما تقول هذا ابني، فسأل أمير المؤمنين إحدى المرأتين أهذا ابنك؟، قالت نعم، وسأل الثانية السؤال نفسه، فقالت نعم، فقال ائتوني بسيفي، فارتبكت واحدة منهن وقالت ماذا تفعل يا أمير المؤمنين بالسيف؟، فقال سأقسمه إلى نصفين، نصف لك ونصف لهذه وننتهي، فقالت واحدة منهن إنه ليس ابني، بل ابن تلك، فلا تقطعوه، فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إن هذه هي الأم الحقيقية، فهي المستعدة للتخلي عن هذا الولد ليبقى حيا فقط، وليذهب في أكناف الثانية، فتفقده حتى لا يفقد حياته، هذه «أم الولد»[٨٦].

نحن «أم الولد»

عزيز العراق كان يقول نحن»أم الولد»والبعض كان يتهمه ويقولون لا علم له بالسياسة، وهو وإخوانه بالمجلس الأعلى لا يفهمون السياسة وهم دراويش درسوا في الحوزة ولا يعرفون شيئا، فساعة يعطونها يمينا وأخرى يسارا، ويتساهلون في توزيع المواقع بين الآخرين ولم يأخذوها فارتدت عليهم، والآخر تقدم وهم تراجعوا، ومن هذا الحديث الذي تقرؤونه وتسمعونه وما أكثره، وكان يصل إلى مسامع عزيز العراق، وهو يعرف جيدا جميع التفاصيل، ويعرف الفرص التي كانت له، أين كانت وكيف كانت، ولكنه لم يكن يفكر كيف يحصل كيانه السياسي على فرصة، بل كان يفكر بالمشروع كيف يُبنى ويحافظ عليه، وكيف يلم ويجمع ويوحد القوى السياسية، وهذا كان همه، ولم يكن يكترث لمثل هذه الكلمات، ويرجع ويقول نحن»أم الولد».

كان بعض القادة الميدانيين يأتونه شاكين؛ نحن نركض ونأتي بأصوات ثم عندما تأتي الفرص تتفرق وتتوزع بين الآخرين، والمجلس يخرج بفرص محدودة، لماذا؟، وكان يقول نحن»أم الولد»، نتحمل ليسير المشروع وتصل السفينة، ونحن جميعا فيها، والمهم أن تصل السفينة، أما أن ندخل الآن في تنافس وصراعات على المواقع ويضيع البلد، فهذا هو الخطر الفادح الذي يجب ألا يكون، وتعرّض إلى الكثير من الاتهامات والتسقيط والإساءات، ولكنه كان أقوى منها وصبر وتحمل، وكان يرى أن نوضح وندافع عن أنفسنا ولا ندخل في صراعات ومعارك جانبية.

٨٦. بحار الأنوار ٤٠: ٢٥٢، ح٢٤.

رؤيته تجاه الأمة والمرجعية الدينية والمشروع

كان يحمل رؤية مميزة تجاه الأمة، ويقول إن الأمة هي صاحبة التغيير وهي صاحبة المشروع، وكل خطوة وكل مبادرة من المبادرات يجب أن تخضع لمعايير الأمة وإرادة الأمة، وهذا في مشروعه، كذلك كان يحمل رؤية مميزة تجاه المرجعية الدينية ودورها المميز، وينادي ويدافع ويهتف باسم المرجعية، وخلف الأبواب المغلقة حينما كان يختلي بالإمام السيد السيستاني والمراجع، وأنا شخصيا كنت معه في اجتماعات عديدة، كان يقول للإمام السيستاني «المرجعية دين ندين الله به». وجاءت وصيته الشاملة الواسعة التي وضعت النقاط على الحروف، والتي حددت مسار حياته وتوجهاته بشكل كبير.

لقد سمعت منه شخصيا في الأيام الأخيرة من حياته، أن عقارب الساعة لو عادت اليوم إلى الوراء، لأرجع شابا في أول حياتي، بعد أن رأيت كل هذه المعاناة والآلام والمحنة، وهذا الطريق الشاق، فلن أختار إلا هذا الطريق الذي اخترته ومضيت فيه، لأن فيه رضا الله سبحانه وتعالى وخدمة هذه الأمة، وهذا الوضوح في الرؤية يجعل الإنسان ينطلق بكل قوته لخدمة شعبه، وللمضي في مثل هذا المشروع. إن الانتصار لعزيز العراق أيها الأحبة، وأنتم تجتمعون وتؤبنون عزيز العراق في هذه الليلة، هو انتصار لمشروعه ونهجه، وانتصار لسلوكه، وانتصار لتربيته.

علينا أن نعود ونستذكر هذا المنهج ونعمل به، ونجزم أن في هذا المنهج حلاً لمشاكل العراق وحلاً لمشاكل المنطقة، فالعراق لا يستقيم أمره إلا بحوار صادق ومعادلة عادلة تطمئن جميع الأطراف وتجمعهم إلى طاولة الحوار.

جولة في المنطقة العربية

في مصر لا تنتظم الأمور إلا بحوار حقيقي بين الفريقين المقسمين؛ فريق صعد وجاء بنصف الأصوات وأخذ الرئاسة قبل سنة، ثم تعامل بسلوك خاطئ وضيّع على نفسه والشعب المصري فرصا كثيرة وارتد عليه البعض، والنصف الآخر حرّك جمهوره في استقطاب كبير وواضح، فانقضّوا عليه وعزلوه، والآن، إذا كان هذا الفريق الجديد يريد أن يعمل نفس الشيء مع الفريق السابق، ويقع في نفس الخطأ ويستبعد الفريق المعزول، فإن هناك جمهورا من الناس يؤمن بذلك المنهج، ولا تستطيع أن تغير الواقع، وكل يقول إن الثاني مخطئ، والحقيقة مع من؟، لا نعلم. إن إرادة الشعب المصري يجب

أن تُحفظ، فالفريق الجديد يجب ألا يعزل الفريق القديم من العملية السياسية والمسار، وإصدار مذكرات الاعتقال بحق قيادات الإخوان، واعتقال الرئيس وترتيب ملفات وإدانات لكل هؤلاء، هذا معناه أن المشكلة في مصر لن تنتهي، ولا أحد يستطيع فرض قناعته على النصف الآخر من المجتمع، وبدون تفاهم وحوار ولملمة الأوضاع لا يمكن أن يكون هناك حل.

إن الواقع في سوريا كذلك، ومن يظن في سوريا أن بإمكانه أن يفرض أمرا واقعا محددا، يتجاهل فيه إرادة الشعب السوري، فهو مخطئ، إلاّ أن تجلس الأطراف المتنازعة في سوريا إلى طاولة الحوار، ويتفقوا على معادلة عادلة، تضمن حقوقهم ومصالحهم وتعايشهم مع بعضهم، والكلام في البحرين هو كذلك، فلا تستقيم أمور البحرين إلا بأن يُصغى لإرادة الشعب البحريني، ومعالجة مشاكل هذا الشعب، وتحكيم إرادته بشكل صحيح.

ملخص المشروع

إن الحوار والتفاهم وشراكة الأقوياء والتواصل مع الأطراف، هو الطريق الوحيد الذي يضمن العزة والكرامة والاستقرار والنجاح في العراق وفي المنطقة، هذا هو المنهج الذي تحرك من خلاله عزيز العراق، على نهج شهيد المحراب وعلى نهج السلف الصالح والمرجعيات الكبيرة، وهذا خط نحن ماضون فيه، ويجب أن نستمر بنفس هذا الاتجاه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن يتقبل منا صالح الأعمال وصيامنا وقيامنا، وأن يرحم فقيدنا الغالي عزيز العراق، وأن يجعله في أعلى عليين مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمسية الرمضانية الرابعة بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

يوم جديد واستهداف آخر

السادة الأفاضل، الإخوة الاكارم، الأخوات الفاضلات، أبارك لكم هذه الأيام الشريفة، واسأل الله تعالى أن يتقبل منكم صالح الأعمال في هذا الشهر الفضيل، وأن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته الواسعة.

يوم جديد من أيام الصيام، وجريمة جديدة واعتداء جديد يطول العديد من المحافظات العراقية، وهكذا في كل يوم نزداد ألما ونتجرع الحسرة على أحبة من أبناء هذا الوطن، يغيبون عنا بأجسامهم ولكنهم حاضرون بمنهجهم ووطنيتهم وانشدادهم إلى هذا الوطن الكريم، وبمظلوميتهم وهم ينتقلون إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، ويُستهدفون على يد الإرهاب الأعمى، وليس لهم ذنب إلا الولاء لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهنيئا لهم الشهادة، ونسأل الله أن يعين المتصدين والمسؤولين على أن يضعوا حدا لمثل هذه الاختراقات والاستهداف الظالم لأبناء شعبنا، في كل محافظة من محافظاتنا الكريمة.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقُ لَكَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَ بِالله))

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا سيد الساجدين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ

وكان الحديث عن الحق السادس من هذه الحقوق، وهو حق الرجل، فإن رجل الإنسان لها حق عليه، وكان الدرس الأول الذي تعاطيناه في الليالي الماضية ألا تمشي إلى ما لا يحل لك، فلا تأخذك رجلك إلى مكان محرم لا يحل لك الذهاب إليه، وتحدثنا على مدار الليالي الماضية عن مداليل هذه العبارة وهذا الدرس البليغ.

الإضاءة الثانية: لا تذهب إلى أماكن الشبهة

الدرس الثاني من هذه العبارة العميقة في حق الرِّجل، هو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تجعلها مطيتك في الطريق المستخف بأهلها فيها»، هذه الرجل تمتطيها كما لو كنت تمتطي دابة وتضع حملك عليها، إذ يستخدم سيد الساجدين مفردة الامتطاء في التعبير، هذه الرجل هي التي تحملك، فلا تركب هذه الرجل، ولا تأخذك إلى موقع فيه استخفاف بكرامتك، ويقلل من شأنك وقيمتك ومقدارك.

لا تسمح لهذه الرجل أن تأخذك إلى مكان، لا تجد جوابا حين تُسأل لماذا ذهبت إليه، فالكرامة الإنسانية تخدش بالذهاب إلى أماكن معينة، وقد تكون النية طيبة، «إياك ومواطن التهمة»[٨٧]، والمكان الذي يجلب لك التهمة لا تذهب إليه، ولا تذهب إلى مكان يحط من قيمتك، ولا تذهب إلى موقع يصعب عليك تبريره، أتظل تبرر وتدافع، ولماذا تضع نفسك في موضع الاتهام وتضطر دائما إلى أن تدافع عن نفسك؟، وقد تقول أنا ذهبت من أجل أن اطلع على المسيئين ماذا يعملون، فمن يقبل منك هذا الكلام ومن يصدقك؟، فلا تأخذك هذه الرجل إلى المكان الذي يحط من قيمتك، ويُستخف بك بسببه ويقلل من قيمتك.

لا تذهب إلى مكان قد لا ترتكب فيه الحرام، ولكن يصعب عليك تفسير وجودك في هذا المكان وتبرير وجودك فيه، فيقلل من قيمتك ويجعلك في مكان الشبهات والاتهام، «إياك ومواطن التهمة»، وهذا منهج إسلامي أصيل، وأحيانا يقوم الإنسان بعمل ليس محرما ولكنه خلاف المروءة، فأنا بعمامتي لا أستطيع ارتياد بعض الأماكن، ولكنك تستطيع أن تذهب إليها، فإن تدخل إلى مطعم وتأكل لفة أو تأكل لفة في الشارع

٨٧. بحار الأنوار ٧٢: ٩٠، ح٢.

فليس في ذلك مشكلة، ولكن الناس لا تتقبل ذلك من معمم، وهو ليس حراما ولكنه خلاف المروءة، وكل إنسان بحسب ظروفه.

هناك مواقع وسلوكيات لا تليق بالبعض، ولكنها أمر طبيعي من شخص آخر في ظرف آخر، فهذه الرجل لا تأخذك إلى مكان خلاف المروءة، وفي الوسط الإيماني هناك أماكن لا يصح أن يذهبوا إليها، حتى لو لم يرتكب مرتادها حراما، لأنه لا يحبذ الذهاب إلى مكان يجلب الشبهة للإنسان ويقلل من قيمته، فالإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول إن من حق رجلك عليك ألا تورطها، وتجعلها مطية تمتطيها، وتذهب إلى مكان فيه استخفاف بكرامتك وعزتك ووجودك وموقعيتك الإيمانية بين المؤمنين.

معيار الأماكن المحظورة

في الكافي: قال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»، يا مؤمن لا تذل نفسك، «قلت بماذا يذل نفسه، قال يدخل في ما يعتذر منه»[٨٨]، يدخل في مكان يوجب عليه أن يأتي بمبررات وأعذار، فحينما تدخل المسجد أو تزور أرحامك أو أخاك المؤمن فلا أحد يسألك، ولكن هناك مكان تُسأل لماذا ذهبت إليه ودخلت فيه؟! وتضطر إلى أن تجد الأعذار لنفسك، وهذا به إذلال لنفسك، إذ تضع نفسك في موضع الاتهام ويجب أن تدافع عن نفسك، والإنسان يدافع عن نفسه في المحكمة فقط، حينما يقف أمام المدعي العام ويدافع عن نفسه، فلا تدخل إلى موقع يضطرك إلى أن تأتي بأعذار تبرر دخولك ووصولك إلى هذا الموقع، هذه هي الضابطة؛ فكل مكان لا تستطيع تبرير ذهابك إليه، وتضطر إلى أن تُخفي وجهك خوفا من أن يراك أحد، فلا تذهب إليه، ولماذا تذهب إلى مكان تتحير فيه، وتريد أن تبرر، وتخشى أن يراك أحد؟، اذهب إلى مكان يرفع رأسك ولا تخاف من أن يراك أحد فيه.

صيانة عزة المؤمن

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها»، أعطى فسحة للمؤمنين أن يتحركوا في مساحة المباحات ضمن الحدود التي وضعها الله تعالى؛ هذا واجب وهذا حرام وما سواهما مباحات، والمباح دائرة واسعة فوض للمؤمنين أن يتحركوا في مساحتها، وجعل لهم سعة في حركتهم، «ولم يفوّض

٨٨. الكافي ٥: ٦٤، ح٥.

إليه أن يكون ذليلاً»، صحيح أنها مباحات، ولكن هذا لا يعني أن تذل نفسك وتعرض نفسك للاتهام، «ألم يرَ قول الله عز وجل ههنا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٩]»[٩٠]، الله تعالى أراد لك أن تكون عزيزا، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، يا مؤمن، الله جعلك عزيزا فلا تذل نفسك، والله جعلك كريما فلماذا تسيء إلى نفسك؟، فلا تسئ إلى نفسك بالذهاب إلى أماكن تحتاج لأن تبرر ذهابك إليها، والمؤمن ينبغي له أن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا، فدائرة المباحات واسعة، ولكن دون أن تعرضك إلى الذل لأن الله أراد لك العزة.

اذهب إلى مكان تكون فيه عزيزا وترفع رأسك وتقول كنت في المكان الفلاني، هذا درس مهم وهذا منهج في الحياة وإطار يحدد لك حركتك إلى أين تذهب. اسأل نفسك قبل أن تذهب إلى أي مكان؛ إذا رآني الناس في ذلك المكان، فهل سيرونه أمرا طبيعيا أو يجب عليّ أن أوضح والتمس الاعذار؟، فأيّ مكان يجعلك متهما ويجعلك ذليلا لا تذهب إليه، وأي مكان يجعلك عزيزا يمكن أن تذهب إليه.

الإضاءة الثالثة: اسلك برجلك سبل الصلاح

«فإنها حاملتك»، رجلك تحملك وتتحرك عليها: «وسالكة بك مسلك الدين»، الرجل لا تأخذها إلى مكان فيه استهانة بك وإذلال لك، بل خذها إلى مكان تعزز فيه قيمك والتزامك ودينك، واجعلها تأخذك إلى مجلس الموعظة في شهر رمضان، أو إلى المسجد، إلى حيث طاعة الله وإلى حيث الصلة مع عباد الله، إلى حيث الخدمة للناس وإلى حيث حل مشاكل الناس، فأينما يُعزز دينك، لتأخذك رجلك إلى ذلك المكان.

«فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك»، تأخذك إلى أي مكان تسبق فيه الآخرين وتتقدم عليهم في الخير والصلاح وطلب العلم، والرجل تأخذ يعني أن تقبل على شيء وأن تمشي باتجاه شيء وأن تهم بشيء، والإقبال على شيء أيضا يستخدم للرجل، ولكن في الواقع هي ليست رجلك، فطلب العلم يعني أنك مشيت للعلم والفضيلة وذهبت باتجاه مكارم الأخلاق.. لتأخذك رجلك إلى كل مكان تسبق فيه الآخرين وتتقدم عليهم قربة إلى الله وخدمة لعباد الله ونصرة للحق والحقيقة، هذا هو

٨٩. سورة المنافقون: الآية ٨.
٩٠. الكافي ٥: ٦٣، ح١.

المعيار، لنمش إلى كل ما يعزز من وجودنا وقربنا إلى الله ومن عزتنا وكرامتنا ومن ديننا ومن منظومتنا الأخلاقية إلى غير ذلك.

امشِ بقوة في تواضع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾[٩١]، هوناً وسكينة ووقارا وبدون تكبر واستعلاء وعنجهية، عباد الرحمن من يجسد العبودية لله تعالى ويمشون على الأرض هوناً، باتزان وتواضع، والنظر إليهم يذكّر بالله، ولا يمشون بطريقة استعلائية يتكبرون فيها على الآخرين، والتواضع في المشي لا يمنع من الجدية والقوة، فهناك من هو متواضع ولكنه قوي، متواضع ولكنه جاد.

يُنقل عن بعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما وصفوا مشية الرسول، قالوا ما رأينا أحدا أسرع في مشيته من رسول الله[٩٢]، رسول الله ليس مريضا ولكنه متواضع، وهناك فرق بين التواضع والضعف، وبين التواضع والمرض، وبين التواضع والذل، فأنت متواضع ولكنك عزيز وقوي.. متواضع ولكن عندك همة، امشِ بقوة وحزم ولكن بتواضع، وهاتان تجتمعان، ولا يمتنع أن تكون كذلك، وهكذا كانتَ مشية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ يمشي سريعا ولكن بتواضع وليس بتكبر وبتبختر، وحاشا لرسول الله أن يكون متكبرا ومتبخترا.

السير في طلب العلم

في إرشاد القلوب، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى في طلب العلم خطوتين وجلس عند العالم ساعتين»، إن ساعتين لا تعنيان ساعتين من ساعاتنا، فالساعة تعني برهة من الزمن، فساعتان بمعنى فترة قصيرة، «وسمع منه كلمتين أعطاه الله جنتين كل جنة قدر الدنيا مرتين»[٩٣]، يعني اخطُ خطوة تحصل على هذا الأجر العظيم، خطوة تعزز دينك ومعرفتك وثقافتك وانتماءك وهويتك وتمنحك الوضوح والبصيرة، فتصبح على بصيرة من أمرك، ومشكلتنا الجهل والغفلة ومشكلتنا الضياع، فالإنسان يطلب البصيرة والمعرفة ليمشي ويمضي على بصيرة من أمره، لذلك هذا الأجر والثواب ليس بقدر الجهد الذي يبذله، ((خطوتين.. كلمتين.. ساعتين)) ولكن هذا التوجه وهذا المسار

---

٩١. سورة الفرقان: الآية ٦٣.

٩٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٦٩.

٩٣. إرشاد القلوب: ١٩٥.

وهذا المنحى وهذا الدرب حينما سرت فيه، فاذهب إلى النهاية، فهذا طريق الصلاح والفلاح والنجاح، امضِ فيه فأنت مأجور عليه وتزداد علما ومعرفة وتقى، وتزداد قربا من الله، وماذا يريد الإنسَان أكثر من ذلك؟.

الخطوة الواعية

في بحار الأنوار، قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا دخلت المسجد فأدخل رجلك اليمنى وصل على النبي وآله، وإذا خرجت فأخرج رجلك اليسرى وصل على النبي وآله»[٩٤]، ما هي الرسالة وما هو الدرس؟، الحركة الواعية والالتفات إلى ما يقوم به الإنسان، فأنت تدخل إلى المسجد، بيت الله، فيجب أن تنسجم رجلك وحركاتك وسكناتك وذكرك ولسانك مع إيقاع المسجد، والبدء باليمين؛ رجلك اليمنى أوّلًا، وفي رواية أخرى حينما تدخل إلى بيت الخلاء لتقضي حاجة، تدخل رجلك اليسرى أوّلا، وحينما تريد الخروج تخرج رجلك اليمنى أوّلا. لبيت الخلاء أدخل اليسرى، وللمسجد أدخل اليمنى، وشتان بين هذا وذاك.

هذه ثقافة أن تكون خطواتك واعية؛ هذا مسجد فيجب أن تدخل اليمنى أوّلا، وذاك بيت الخلاء فيجب أن تُدخل اليسرى أوّلا، فالتعامل مع بيت الخلاء غير التعامل مع المسجد؛ فهذا مكان فيه رفعة، وذاك مكان فيه قضاء لحاجة إنسانية، وإذا أردت ان تذكر الله سبحانه وتعالى وإذا أردت أن تصلي تستقبل القبلة، وإذا أردت أن تقضي حاجتك يُحرّم الاستقبال والاستدبار، فلا يجوز أن تستقبل القبلة وتقضي الحاجة، ولكن هذا هو قدر الإنسان، وعليه أن يتعامل بوعي مع هذا القدر؛ يجب ألا تكون كل حياتك حالة واحدة.

هذه كلها رسائل في التعامل الواعي مع الحياة، وفي الالتفات إلى ما يقوم به الإنسان، فالله خلقني مختارا، أنا الإنسان، وخلق الكائنات الأخرى على الفطرة، سواء كان حيوانا، أو كان ملكا مقربا، فهو أيضا غير مختار ومجبور على الطاعة، أما الإنسان فخلقه مختارا، فيجب أن يقوم بأفعاله باختيار ووعي حتى يحول كل هذه الخطوات إلى فرص للكمال الإنساني وإلى فرص يتكامل بها أكثر وأكثر.

٩٤. بحار الأنوار ٨١: ٢٣، ح١٣.

الخطوة المباركة للصالحين

في سياق الرجل أيضا، ورد في البحار: «عن أبي الصهباء البكري قال سمعت علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا اسقف النصارى فقال: أنشدك بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى»، الرسالة الإسلامية تؤمن بالرسالات السابقة، هي مؤمنة بها ومهيمنة عليها، أي مكملة لها، فالرسالة الإسلامية فيها جوهر الرسالة اليهودية والنصرانية وزيادة، «أنشدك بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى وجعل على رجله البركة»، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل الله البركة في رجله، فحينما يوظف الإنسان هذه الرجل في العمل الصالح، تصبح رجله بركة وتأخذه إلى حيث يتعزز الدين ويتحقق له السبق.

«وكان يبرئ الأكمه والأبرص»، شفى أكمه العين، واحيا الميت وصنع لكم من الطين طيورا وأنبأكم بما تأكلون وما تدخرون، نحن نؤمن بكل هذه الأشياء لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يوجه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأسقف النصارى هذا السؤال: «بكم افترقت بنو اسرائيل بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، كم فرقة أصبحتم بعد عيسى؟، فقال: «لا والله إلا فرقة واحدة»، نحن فرقة واحدة.. نحن كلنا لون واحد، موحدون ومنسجمون، فقال أمير المؤمنين: «كذبت والذي لا إله إلا هو لقد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة»، أصبحتم ٧٢ فرقة، «كلها في النار إلا فرقة واحدة»[٩٥]، هي الفرقة الناجية، فالحق واحد، ولكن الجميع يدّعي أنه الحق!، فمن هو الحق إذن؟، هل هي حق كلها؟.

الحق والباطل

القرآن يتعامل مع قضية الحق والباطل بقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ﴾[٩٦]، ليس من الظلام بل «الظلمات» بالجمع، و«النور» وليس الأنوار، فالحق واحد، والنور واحد، لكن الظلمات بالجمع كثيرة، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ﴾، من الطرق الظالمة والظلامية والمنحرفة إلى النور الواحد، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٩٧]، الله هو النور الواحد والحق لا يكون إلاّ مفردا، وإلاّ واحدا، «كلها في النار إلا فرقة واحدة»، وبالطبع عندنا روايات عن الأمة الإسلامية أنها كذلك ٧٢ فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة هي الناجية.

---

٩٥. بحار الأنوار ٩: ١٩٨، ح٥٢.
٩٦. سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
٩٧. سورة النور: الآية ٣٥.

إن الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾، أمة واحدة، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٩٨] امة مقتصدة، هذه التي تنجو، أمة تسير في الطريق الصحيح وتمشي وراء النور، وليس أمما وفرقا تمشي وراء الظلمات. إذن، الرجل تكون مباركة، فرجل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت مباركة كما يذكر أمير المؤمنين، وكل رجل تخطو نحو الطاعة لله تعالى فهي مباركة.

الله يهيئ فرص الكمال

عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يتوب على آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، حينما أتى الأمر ألاّ يأكلا من هذه الشجرة أكل آدم وحواء، وآدم نبي معصوم، والمعصوم لا تصدر منه المعصية، وهنا يقولون إن الأمر لم يكن أمرا مولويا وأمرا إلهيا واجب الطاعة، أو يحرّم عليهما أن يأكلا من الشجرة، ومع ذلك خالف آدم الأمر وعصى الله وأكل، ليس الأمر كذلك، بل هذا أمر إرشادي، فحين تذهب للطبيب يعطيك الوصفة، ويقول إذا أردت الشفاء فاستعمل هذا الدواء، ولا يقول لك يجب أن تأخذه، فهو أمر باختيارك، إذا أردت أن تشفى فهذا الدواء، فأمر الطبيب أمر إرشادي يعطيك طريق العلاج وأنت تختار.

الله تعالى يقول يا آدم، إذا أردت ان تبقى في الجنة فلا تأكل من هذه الشجرة، وإذا أكلت منها فسوف تخرج من الجنة، وأنت تختار، فالأمر الإلهي أمر إرشادي، وحينئذ لا تكون مخالفته مشكلة، فهذه ليست معصية حتى نقول إن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي معصوم، فكيف ارتكب معصية؟.

الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ينقل أن الله تعالى لما أراد أن يتوب على آدم، إذ قال لا تأكل منها، لكنه أكل فخرج من الجنة، وآدم تحمل التبعات وكان صبورا، فالله تعالى حين أراد أن يوفر له طريقا يعالج هذه القضية، «أرسل اليه جبرائيل، فقال له السلام عليك يا آدم الصابر على بليته»، أنت نجحت في الصبر بعد أن خرجت من الجنة وتعاملت بمسؤولية، وهذا شيء طبيعي فهو نبي، «التائب عن خطيئته»، أنت استعجلت وأكلت من هذه الثمرة وخرجت من الجنة، والآن يريد الله تعالى أن تعالج هذه القضية ويعوضك عما خسرته من البقاء في الجنة، «إن الله تبارك وتعالى بعثني اليك لأعلمك المناسك التي يريد أن يتوب عليك بها»، إذا عملت المناسك يعوضك الله، والله تعالى بعثني لأعلمك، لاحظوا الرسالة والدرس العظيم؛ فالله يوفر فرص الكمال وفرص التعليم، «فلله الحجة

٩٨. سورة المائدة: الآية ٦٦.

البالغة»، «وأخذ جبرائيل يده وانطلق به حتى أتى البيت»، البيت الحرام، المسجد الحرام.

الحركة العبادية الواعية

صحيح أن ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وضع الأسس، لكن البيت الحرام كان بيتا حراما منذ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمكان المبارك والتوقيت المبارك، الزمان والمكان، هذه خصوصية، فهذا مكان مبارك، وهذه البقعة لله شأن فيها مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأتى به إلى هناك، «فنزل عليه غمامة»، وإذا بغيمة تأتي وتصنع دائرة أو ظلا دائريا، ربما بحجم الكعبة، «فنزل عليه غمامة من السماء فقال له جبرائيل خط برجلك حيث أظلك هذا الغمام»، يعني أن يطوف، إذن، الطواف منذ زمان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قبل أن يُبنى البيت، فالله قدر أن تأتي غمامة لتغطي الكعبة، هذه البقعة المباركة... أتريد أن يلغي الله كل الأثر السلبي من أكلك من هذه الثمرة، خط برجلك، امشِ على هذه الدائرة التي عملتها الغمامة بظلها، ويعني الطواف.

قد يُنتقد المسلمون على عملية الحج والطواف من قبل بعض الناس، وهؤلاء لا يفهمون أننا لم نذهب للحجر، وإنما نحن ذاهبون للحج، والحج هو القصد، فأنا أذهب قاصدا الله تعالى، فكيف أجسد هذه العبودية؟، يجب أن أظهرها بتعامل مادي، فأطوف حول البيت ولكني أطوف قاصدا الله تعالى ولم أقصد الحجر، ولو كان الحجر لبنينا في كل قرية كعبة لنطوف بها، فالقضية ليست قضية حجر.

«خط برجلك»، حتى أجسد العبودية لله وأتحرك حركة واعية، أحرك رجلي بوعي وأحرك بدني بوعي، وضمن شروط وثوابت وضوابط في قضية الحج، حتى أتعلم كيف أتعامل تعاملا واعيا وأحقق النتائج، «خط برجلك حيث أظلك هذا الغمام، ثم انطلق به حتى انتهى به إلى منى فأراه موضع مسجد منى»، ولكنها لم تكن مسجدا بل قطعة أرض في الصحراء في ذاك الوقت، «فخطه برجله»، هنا أيضا خط برجلك مسجد الخيف، «ثم أخذه إلى المشعر الحرام ثم جميع أقسام الحج»[٩٩]، فأول من حج من الناس كان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حج البيت قبل أن يكون هناك بيت، وليس هناك كعبة، ولكن آدم كان أول من طاف وأول من وقف في مسجد الخيف وأول من وقف في المشعر الحرام وهكذا الأعمال التي نقوم بها إلى اليوم.

٩٩. بحار الأنوار ١١: ١٦٧، ح١٥.

خصوصية المكان والزمان والحركة

هذه الحالة من التقيد بمكان وزمان والتقيد بحركات، ففي الصلاة عليك أن تعرف القبلة في أي اتجاه، وإذا انحرفت متعمدا حتى لو بشبر عن القبلة فهي غير مقبولة، وملبسك يجب أن يكون طاهرا ولا تصح الصلاة بملابس نجسة، ومكان الصلاة يجب أن يكون مباحا وغير مغصوب وطاهرا أيضا، ومحل السجود يجب أن يكون طاهرا، وكذلك الالتزام بالوقت بدون تقديم أو تأخير، والصيام إلى المغرب، ولو أفطرت قبله بعشر دقائق، بل حتى دقيقة واحدة، فصيامك غير مقبول ويصبح باطلا، والصيام أكثر من يوم واحد، لمدة يومين أو ثلاثة أيام متواصلة، غير مقبول، فصوم الوصال محرم، هذه الحالة من التقيد ما معناها؟.

هذه القيود معناها القراءة الواعية للحياة، والسلوك الواعي في هذه الحياة، وكل شيء له حساب وانضباط والتزام وسياقات واضحة تعينك على الوصول إلى الله تعالى. المتدين يأتي للحج، لكن المرشد يقول إن وضوء أكثر من ٨٠٪ خطأ، وكذلك صلاة ركعتي الطواف، نعلمهم لكننا عددا كبيرا من الناس صلاته غير صحيحة، وضوؤه غير صحيح، وفي الصوم تجد تساهلا في قضايا بسيطة، فتجد البعض يصوم النهار كله لكنه لم يضبط قضايا كثيرة، وأنا أدعو كل من يسمعني إلى أن يرجع إلى عالم يعلمه الوضوء الصحيح، فلا حياء في الدين، وأن أتعلم اليوم وأصحح أفضل من أن أبقى على حالي، ويوم القيامة أقول لا أدري، فيقولون لي هلا تعلمت، والعلماء موجودون في كل مكان، فلماذا لم تصحح صلاتك ووضوءك؟، ولماذا لم تتعلم؟، إن»لا أدري»ليس عذرا، نسأل الله تعالى أن يجعل عبادتنا عبادة واعية وأن يجعل سلوكنا سلوكا واعيا وأن يجعل استخدامنا لجوارحنا؛ أرجلنا وأيدينا وألسنتنا وآذاننا وعيوننا وبصرنا، استخداما واعيا حتى نقترب من الله سبحانه وتعالى.

الأمسية الرمضانية الخامسة بتاريخ ٢٠١٣/٧/١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقُ لَكَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَ بِالله))

منهجية الإنسان المؤمن

انتهينا إلى هذه الرواية في بحار الأنوار عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ قال له قائل: «إني صاحب صيد سبع وأبيت بالليل في الخرابات والمكان الوحش»، يصيد السباع، وفي تلك الأيام كان الصياد يرى موقعا في الصحاري أو البراري ويتصيد، فيجلس بالانتظار ويترقب حتى يجد السبع فيصطاده، فمهنته تفرض أن يكون دائما في الأماكن الموحشة والخطيرة، وهكذا كان يشعر بقلق ويطلب من الإمام أن يدله على طريق ليحفظ نفسه في هذه الأماكن الموحشة، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا دخلت فقل بسم الله وأدخل رجلك اليمنى وإذا خرجت فأخرج رجلك اليسرى»[١٠٠]، ادخل المكان الموحش ببسم الله وبالرجل اليمنى، وهذا التسلسل قلناه سابقا؛ أن أدخل رجلك اليمنى حينما تدخل المسجد

١٠٠. بحار الأنوار ٧٣: ٢٤٨، ح٣٩.

وأخرج رجلك اليسرى حينما تخرج من المسجد، وأدخل رجلك اليسرى حينما تدخل إلى بيت الخلاء وأخرج رجلك اليمنى حينما تخرج من بيت الخلاء.

هناك من لا يعطي هذه الأمور أي اهتمام، والجواب أن هذه منهجية الإنسان المؤمن، فذهنه وسلوكه منظمان، بإيقاعات منظمة واعية، فلا يرفع رجلا ولا يضعها إلا بوعي، فهذا مسجد، إذن يُدخل اليمنى أولا، وهذا بيت الخلاء، إذن اليسرى أوّلا وهكذا، هذا التسلسل وهذه القيود تجعل الإنسان يعيش حالة الوعي في حركاته وفي سكناته، وإلاّ إذا أردنا أن نمتد بهذه النظرة فيمكن أن نخاطر بكل العبادات؛ الصلاة والوقوف باتجاه القبلة والركوع والسجود، والله لا يقبلها إلا بهذه الحركات، والطواف إذ نذهب إلى بيت من حجر نطوف حوله، والبعض يقول إن الطواف الحقيقي هو طاعة الله، وهذه من وساوس الشيطان، وبالطبع فإن الله موجود في كل مكان، ولكن يجب أن يُطاع الله من حيث أراد تعالى، وحيث وضع لنا سياقات، ونحن نعيش حياة مادية، وفي هذه الحياة المادية نتعامل مع المحسوسات، والله تعالى أراد أن يوظف جميع هذه الحركات المحسوسة لمداليل أعمق؛ حينما تطوف حول البيت استحضر هذا المعنى؛ أنك تركز على التوحيد وتلتف وتتمحور وتتمسك وتلوذ بالله الواحد الأحد، فيتحول هذا الطواف إلى مداليل، وحينما تسعى بين الصفا والمروة جسد هذه الحقيقة في نفسك؛ أنك تهرب من المعصية والإثم إلى طاعة الله، وتهرول نحو الله سبحانه وتعالى، فتحول هذه الحركة إلى حركة عبادية وإلى حالة واعية، توصلك إلى الله وتقربك من الله تعالى.

إن تقديم الرجل وتأخيرها، هنا يمنى وهناك يسرى، هذه كلها لها أبعاد ترتبط بالحركة الواعية للإنسان في مساره نحو الله تعالى. «وإذا خرجت فأخرج رجلك اليسرى وقل بسم الله فإنك لا ترى مكروها إن شاء الله»، لا ترى المكروه لأن ذكر الله حاضر، ولأنك سيطرت على إيقاعاتك وجعلت حركاتك وسكناتك متجهة نحو الله وجعلتها واعية في طاعة الله، فهذه الثمار والنتائج.

الأجر في النية الصالحة وعمل الجوارح

في رواية أخرى في البحار عن عبد الرحمن بن جندب قال: «لما أقبل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفين ورأينا بيوت الكوفة فإذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت على وجهه آثار المرض فلما أراد أن ينصرف عنه قال له جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك»، أراد أن يصبرّه، وقد رأيت وقفية لطيفة؛ فالواقف أوقف مزرعة كبيرة على أن تُصرف مواردها على المرضى في المستشفيات، بأن نؤجر أشخاصا يدخلون للمستشفيات،

فيدخل أحدهم على المريض ويعطيه وردة ليرفع من معنوياته، وهذا الواقف كبر في عيني كثيرا، وقلت كم هذا الإنسان نبيل حينما وقف مزرعته ليسهم في المعالجة النفسية لمرضى الناس، فهذا المواطن في المستشفى نفسيته متعبة، فاصرفوا من هذه الوقفية واشتروا الورد للمرضى وتكلموا مع المرضى كلاما جميلا يقوى معنوياتهم.

أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يواسي هذا الرجل، إذ قال له: «جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك»، هذا المرض يُتعب، والأعمال بالنيات، فكلما تعبنا أكثر حُطّت ذنوبنا وتطهرنا من الذنوب أكثر، «فإن المرض لا أجر فيه»، الله لا يثيب الإنسان على المرض، وإنما يحط الذنوب عن المريض، وإذا صبر المريض وتحمل يؤجر على صبره، «فإن المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع للعبد ذنبا إلا حطه»، الله إذا إراد أن يطهر الإنسان ابتلاه بالمرض، «إنما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل»، العمل له الأجر، «وإن الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة»[١٠١]، الأجر بالكلمة الطيبة وباستخدام اللسان في موعظة وكلام مفيد ونافع وبذكر الله، والأجر والثواب أن تحرّك رجلك في طاعة الله تعالى، والأجر العظيم في النية الصالحة وفي السريرة الصالحة والطيبة.

ثقافة الطلب الصحيح

في رواية أخرى في البحار عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران أن أخرج عظام يوسف من مصر»، أمر إلهي من السماء، «فسأل عمن يعلم موضعه فقيل له ههنا عجوز تعلم مكانه فبعث إليها فأوتي بعجوز مقعدة عمياء فقال أتعرفين قبر يوسف؟.. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبريني بموضعه، قالت لا أفعل حتى تعطيني خصالا، تطلق رجلي وتعيد إليّ بصري وترد إليّ شبابي وتجعلني معك في الجنة»، هذه الاستفادة من الفرصة؛ ثقافة الطلب في الموقع الصحيح، وهذه تريد هذه الأمور لطاعة الله، وتريد الجنة وهذا إكرام من الله لهذه العجوز، «فكبر ذلك على موسى، «فأوحى الله عز وجل أن ما تعطي عليّ فأعطها ما سألت»، ثقافة الدعاء شيء مهم، «فأعطها ما سألت».

لتكن لديك ثقافة الطلب الصحيح؛ اطلب أشياء كبيرة ولا تطلبها لنفسك فقط، بل اطلب للمؤمنين ولأهلك ولأبناء وطنك، اطلب للمؤمنين وللإنسانية لأنك في محضر

١٠١. بحار الأنوار ٧٨: ١٩٠، ح٤٦.

جواد كريم، وحين تطلب للآخر يعطي الآخر ويعطيك بقدره أيضا، ولذلك في ثقافة أهل البيت الدعاء للمؤمنين، فالسيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تقف أحيانا وتدعو للناس دون نفسها. اطلب الكثير واجعل نفسك صاحب همة، واطلب لدنياك وآخرتك واطلب للناس كلهم وليس لنفسك وحدك. البعض منا حتى في دعائه أناني، فلا يدعو لغير نفسه وعياله. . ادعُ لجيرانك وابن عمك وعشيرتك وناسك وأصدقائك، لماذا أنت غارق في الأنا حتى في الدعاء؟، «ففعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، استجاب للأمر الإلهي، «وقال لك ذلك فدلته على قبر يوسف فاستخرجه من شاطئ النيل فحمله إلى الشام»[١٠٢].

الحذر من الدنيا

في رواية أخرى عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر»، التكبر والاستعلاء أن يرى الإنسان نفسه أحسن من غيره، وأنه مقدم على الآخرين، ويعرف والآخرون لا يعرفون، وحالة الكبر تجعل الإنسان في حالة من النرجسية، «وعينها الحرص»، الجشع والتكالب على الدنيا وعلى الكراسي وعلى المال، «وأذنها الطمع»، حالة الاستحواذ، «ولسانها الرياء»، فعل الخير بالسر هو الذي فيه أجر عظيم، «ويدها الشهوة ورجلها العجب»، بأن تتبختر، «وقلبها الغفلة»، الدنيا جُبلت على الغفلة، والغفلة تأخذنا إلى المعصية أحيانا، «وكونها الفناء»، وجودها العدم والفناء.

اعلم أنها لو دامت لغيرك لما وصلت إليك، لكننا حينما نذكر الموت لا نذكره لأنفسنا بل نذكره لغيرنا، والفناء أساس هذه الدنيا وحاصلها الزوال، تركض عشرات السنين ولكن ما نهاية المطاف؟، هي الانتقال إلى رحمة الله، «فمن أحبها أورثته الكبر»، الذي يحب الدنيا «حب الدنيا رأس كل خطيئة» يصبح عنده استعلاء، «ومن استحسنها أورثته الحرص»، لأنها مثل المستنقع يجرك أكثر بلا نهاية، «ومن طلبها أوردته إلى الطمع»، الذي يدخل إلى الدنيا يصبح طماعا، «ومن مدحها اكبته في الرياء»، فيظهر عمله ويضيع العمل بإظهاره.

في مواطن قليلة يُستحب الرياء، ومن هذه المواطن حينما تذهب إلى تشييع أظهر نفسك لذوي الفقيد وسلم عليهم، حتى يروك ويشعروا بالطمأنينة والسكينة وتهون عليهم وتستمر حالة التضامن الاجتماعي وكذلك حفظ حرمة الميت، والخير لا ينقطع والناس لا ننساهم بوفاتهم وذكرهم الطيب يبقى حاضرا، وهذه دروس في الحياة.

---

١٠٢. بحار الأنوار ٧٩: ٦٧، ح٤.

«ومن أرادها مكنته من العجب ومن اطمأن إليها ركبته الغفلة»، لا تطمئن للدنيا، «وكونوا من الدنيا على حذر»، بعض وسائل العدو والخصم أن يستدرجك ويريحك، وفي ساعة معينة يضربك ويجرك إلى مصيدة، والدنيا تشعر الإنسان بالطمأنينة والراحة واللذة حتى تجره وتصيده، «ومن أعجبه متاعها فتنته في ما يبقى»، الدنيا تغر الإنسان، فلا تأخذك الدنيا، «ومن جمعها وبخل بها ردته إلى مستقرها»، إذا كان بخيلا يجمع ويكدس... إلى متى؟، استفد واصرفها في طاعة الله، على الأقل أنت بيدك اكسب راحتك وأرح الناس واصرف، فالجمع لا يكون إلا بالبخل، «ردته إلى مستقرها وهي النار»[١٠٣]، تأخذ الإنسان إلى الهاوية.

هذه حزمة من الروايات التي تشير إلى دور الرجل في تحقيق الطاعة لله تعالى، دور الرجل في دفع الإنسان إلى الانقياد، ولكن الرجل تستخدم أحيانا مجازا للإقدام على شيء، وقد يكون على فعل محرم أو إلى فعل طيب، وهذا ما سنتحدث عنه في الليلة المقبلة، ونذكر مجموعة من الروايات تظهر كيف يقبل الإنسان على فعل الخير وخدمة الناس والعمل الصالح، وهذا الإقدام يجعل الإنسان في طريق العبودية لله تعالى.

١٠٣. بحار الأنوار ٧٠: ١٠٥، ح١٠٠.

الأمسية الرمضانية السادسة بتاريخ ٢٠١٣/٧/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

ها نحن قد أكملنا العشرة الأولى من هذا الشهر الفضيل، ونستعد لنواصل مشوار الطاعة لله سبحانه وتعالى في العشرة الثانية والثالثة، وصولا إلى يوم الجائزة، «يوم العيد»، الذي نسأله تعالى أن يكون لنا عيدا حقيقيا، نُمنح فيه الجائزة بحسن أدائنا وطاعتنا وانقيادنا لله سبحانه وتعالى.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِي بِهِمَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ وَلا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخِفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبْقُ لَكَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَ بِالله))

كان حديثنا عن رسالة الحقوق، في الحق السادس الذي يذكره سيد الساجدين، وهو حق الرِّجل على الإنسان.

وفي هذا الحق هناك العديد من الإضاءات التي يشير إليها إمامنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنا نتحدث عن الإضاءة الثالثة، وهي قوله سلام الله تعالى عليه: «فإنها حاملتك»، رجلك تحملك وتتحرك فيها من مكان إلى آخر، «وسالكة بك مسلك الدين»، تأخذك إلى حيث طاعة الله سبحانه وتعالى، وإلى حيث القرب من الله، وإلى حيث تعزيز الهوية الدينية والمنظومة الأخلاقية للإنسان، «والسبق لك»وحينئذ من خلال هذه الرجل تحقق

السبق وتحقق التقدم على الآخرين، لأنك بهذه الرجل وبتوظيفها في طاعة الله تكون قد تقربت أكثر فأكثر من الله سبحانه وتعالى.

وذكرنا دور الرجل (القدم) في تعزيز الانتماء والهوية الدينية وفي تقريب الإنسان من الله سبحانه وتعالى، وهو حديث يُنظر فيه إلى هذه الرجل المادية، وهو ما تحدثنا به في الليالي الماضية، عن المداخل لتكون هذه الرجل سببا في التدين وأن تأخذ الإنسان إلى حيث طاعة الله سبحانه وتعالى. الإقدام على طاعة الله

ولكن في بعض الأحيان تُستخدم الرجل في التعبير عن الإقدام، فتقول إن الرِّجل أخذتني أو سعيت برجلي، ويراد منها الإقدام والسعي والهمة نحو الشيء، وهذا المعنى المجازي للرِّجل، وهنا أيضا العديد من النصوص والروايات الشريفة التي جاءت لتبين أهمية الإقدام على طاعة الله، من خلال العبادة وحل مشاكل الناس وقضاء حوائجهم، وهذا إقدام، بأن تقدم على قضاء حوائج الناس، فهو حق على الإنسان في أدائه وحركته تجاه ما ينويه وما يقصده في مساره.

قضاء حوائج الإخوان

لاحظوا هذه الرواية عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) عن المفضل عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال لي الإمام الصادق: يا مفضل اسمع ما أقول لك»، انتبه هذا درس جديد في الحياة، «واعلم أنه الحق»، وأهل البيت لا يصدر منهم إلا الحق، «وافعله وأخبر به علية إخوانك»، هذا درس لك لتعمل به، وأخبر به علية إخوانك، بلغ النخبة الصالحة من إخوانك ليعملوا بهذا الشيء، «قلت: جعلت فداك وما علية إخواني».

انظروا إلى هذا العالم (المفضل)، كان عالما والعالم لا يأخذ الأشياء كما هي، إذ وجدها المفضل فرصة ليتعلم درسا ثانيا؛ فمن هم العلية في نظر الإمام الصادق؟، هل هم من يملكون الأموال؟، أو من يملكون الجاه؟، أو من يُدعون للفطور؟، من هم علية الإخوان؟، وما هي معايير العلو عند الإمام الصادق؟. سؤال دقيق جدا من المفضل، فقال الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم»، وليس من يضطر إلى ذلك اضطرارا، والرغبة في قضاء حاجة الإخوان تعني الفرحة في قضائها، وهذا الراغب من علية القوم والإخوان المؤمنين، «ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة»، أخ مؤمن لديه حاجة تقضيها له، «قضى له عز وجل يوم القيامة مئة ألف حاجة». قضاؤك

حاجة واحدة لأخ مؤمن تعني أن الله سبحانه وتعالى يقضي لك مئة ألف حاجة. إنها ليست خطوة بعشر خطوات، «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» وليست مئة... أو عشرة آلاف، ففي قضاء الحوائج تخطو خطوة، فيكتبها الله لك مئة ألف خطوة.

عطاء عظيم أوله الجنة

كم هو عظيم قضاء حوائج المؤمنين، فهذا قول إمام معصوم لا ينطق إلا الحق، وليس قول هذه مبالغات، فلا مبالغات في كلام المعصوم، «ومن ذلك» من المئة ألف، واحدة منها، مثلا الحاجة بـ (ريال) وفي الحج هناك محال شعبية بسيطة تباع القطعة فيها بريال أو بريالين، فهذه الحاجة ذات الريال أو الريالين، أو العشرة دنانير أو غيرها من أي نوع؟، فواحدة من المئة ألف ما هي؟، «أولها الجنة»، واحدة من المئة ألف هي الجنة، وهناك تسعة وتسعون ألفا وتسعمائة وتسع وتسعون حاجة باقية، فما هي؟.

انظر إلى مقدار قيمة قضاء حوائج المؤمنين، «ومن ذلك» من المئة ألف، «أن يُدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة»، واحدة من المئة ألف الجنة، والباقي اجلب من تشاء من أقاربك وإخوانك ومعارفك وأدخلهم معك إلى الجنة، لكن فيها شرطا واحدا؛ «بعد أن لا يكون نصابا»، لا يدخل الجنة من يكنّ العداء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته، فلا يدخل الجنة ولا تشمله هذه الرحمة، لكن غير ذلك ممكن أن يدخل الجنة، فيأخذ بيده ويدخله الجنة، وكان المفضل بعد أن أخذ هذا الدرس الكبير والعظيم عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، «كان إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه»، إذا طلب حاجة من المقربين منه، «قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان؟»[١٠٤]، لأن العلية هم الذين يرغبون في قضاء الحاجة، فمن يقضي حاجة واحدة لمؤمن، يعطه الله مئة ألف حاجة.

حاجة واحدة وأجر عظيم

في رواية أخرى عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة»، ألف رقبة تُعتق في سبيل الله بحاجة مؤمن واحد فقط، وحاجة واحدة، وهذه الحاجة أجرها وثوابها اكثر من عتق ألف عبد في سبيل الله، «وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله»، والحملان يعني الحمولة التي يحملها الفرس، وهي هبة وصدقة تقدم للفقراء والمساكين، ولم تكن هناك شاحنات ولوريات فالخيل

١٠٤. الكافي ٢: ١٩٢، ح١.

هي التي تحمل، فالجزاء حمولة ألف فرس في سبيل الله، تقدمها في سبيل الله صدقة جارية، فكم أجرها؟، فإن قضاء حاجة المؤمن أجره أعظم من هذه الكمية.

في رواية أخرى أيضا عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لقضاء حاجة أمرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة»، تذهب عشرين مرة للحج، لكن قضاء حاجة مؤمن واحد تساويها وبقدر أجرها، وأفضل من عشرين حجة، «كل حجة ينفق فيها صاحبها مئة ألف»، وليست حجة فقراء، بل يذهب ويصرف مئة الف في سبيل الله وفي خدمة الحجاج، فمرة يذهب أحدهم كيفما اتفق، ليصل هناك على دابة أو مشيا على الأقدام ويأكل خبزا يابسا، ومرة يأخذ أحدهم مئة ألف درهم أو دينار مثلا، وينفقها على حجاج بيت الله الحرام وراحتهم، هذا النوع من الحج عندما تقيسه، ترى أن حاجة المؤمن تفوق عشرين حجة، فتلاحظون في كل رواية يصعد العطاء الإلهي ويرتفع لمن يقضي حوائج المؤمنين.

حاجة الإخوان رحمة

في رواية أخرى عن إسماعيل بن عمار الصيرفي قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعلت فداك، المؤمن رحمة على المؤمن؟، قال: نعم رحمة، قلت: كيف ذاك؟»، كيف يصبح المؤمن رحمة على المؤمن؟ «قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيّما مؤمن أتى أخاه في حاجة»، مؤمن يأتي إلى أخيه المؤمن ليلبي له حاجة، «فإن ما ذلك رحمة من الله ساقها إليه»، حاجة المؤمن رحمة إلهية لك، والله متفضل عليك أن ساق إليك صاحب حاجة، وصاحب الحاجة هو الرحمة، والحاجة المطلوبة منك هي الرحمة الإلهية، «وسبّبها له»، في أن يحصل على هذه الرحمة الإلهية العظيمة، «فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها»، فهنيئا له وقد قبل الرحمة، «وإنْ رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها»، لكن إذا اعتذر، ومن يعتذر لأنه لا يقدر عليها فهو معذور، ولكن إذا كان يستطيع وليس لديه وقت، كقول بعضهم ليس لدي وقت لقضاء أعمالكم مثلا، ومما يشبه هذا الكلام، وهو يقدر على حلها، فماذا يكون؟، «فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل»[١٠٥]، يضيعها على نفسه، فانظروا كم هو خطير رفع اليد عن قضاء حوائج الناس وعدم الاهتمام بحوائجهم.

١٠٥. الكافي ٢: ١٩٣، ح٥.

ثواب التكافل الاجتماعي

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى عليّ ثوابك»، هناك من يدخل المطعم ويرى صديقا فيقوم ويؤشر إليه بأن حسابك عليّ، ومهما كان حاله وكرمه وإمكاناته وما يدفع للمحاسب، لفة فلافل أو غيرها، فالله سبحانه وتعالى يقول ثوابك عليّ، والله الجواد الكريم المعطاء ماذا يعطي؟، فلم يحدد، بل يقول هذه عليّ وهو الجواد، ويعني ليس فيها حساب وهي كثيرة وعظيمة، «ولا أرضى لك بدون الجنة»[١٠٦]، عندما أقول عليّ، فأقل شيء فيها الجنة، حين تقضي حاجة أخيك المؤمن.

كبيرة وعظيمة مسألة التكافل الاجتماعي، وكل إنسان في المجتمع بمساحته، وما يستطيع علاجه من مشاكل، عن طريق معارفه وابن عمه أو بالدائرة الفلانية وكذا، هؤلاء تستطيع أن تحل مشاكل كثيرة للناس عن طريقهم، فقد لا تكون لدي مسؤولية، لكن ابن عمي وأصدقائي وأرحامي لديهم، ولا أقول هذا أدخره لي وأترك حاجة الناس، وأخشى أن أذهب إليه بحاجة أخي فقد احتاج إليه عندما تعرض لي حاجة، وقد يغضب مني حينها، ولأحفظ ماء وجهي لحاجتي، لا تحسبها بهذا الشكل، وحل مشكلة أخيك المؤمن، وعندما تأتيك المشكلة فالله يقيّض لك من يحل مشاكلك.

التنافس في المعروف

في رواية أخرى قال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تنافسوا في المعروف»، المعروف كل طاعة تقرب إلى الله، وكل حسنة تقدم لعباد الله، وأي خطوة طيبة تسمى معروفا، «تنافسوا في المعروف»، تسابقوا واستبقوا الخيرات، وهنا التنافس ليس على الكراسي للتدافع، لكن على خدمة الناس، فهذا المحافظ يعمل كذا وذاك يقول سأعمل كذا، وهذا الموظف يقول أنجز باليوم ١٠٠ معاملة، وذاك يقول سأنجز أكثر من ١١٠ معاملات وسأدخل موسوعة (جينيس للأرقام القياسية)، في خدمة الناس وحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم... تنافسوا، فهذا شيء جيد.

«تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله»، وهناك من يفعل المعروف وهناك من يشتهر بفعل المعروف ويقال هذا من أهل المعروف، وعندما يكثر من فعل المعروف يكون من أهل المعروف، «فكونوا من أهله فإن في الجنة بابا يقال له المعروف»، الإنسان

١٠٦. الكافي ٢: ١٩٤، ح٧.

أحيانا يدخل في مطارات وفي أماكن، وهناك ضوء أخضر وضوء أحمر، ومن ليس لديه شيء يدخل من الباب ذي الضوء الأخضر، ومن لديه شيء يجب أن يصرح به للكمارك، ويدخل من الباب ذي الضوء الأحمر ويحولونه إلى الخط الأحمر، وفي الجنة هكذا، فهذا لديه قضايا وحساب فيدخل في الخط الأحمر، وهناك باب آخر في الآخرة يسمى (باب المعروف)، والداخل منه لا يقف بالصف بل يدخل فورا ولا يحتاج إلى أن يدخل في الصف، «فإن في الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا»، هذا باب خاص لا يدخل منه إلاّ من اصطنع المعروف.

«فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين واحدا عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربه ويدعوان له ربه بقضاء حوائجه»، لكي تُقضى حوائجه ويحصل على الرحمة الإلهية والأجر العظيم لقاء قضاء حوائج المؤمنين، ثم قال: «والله لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة»[١٠٧]، عندما تتصل بأخيك المؤمن وتقول له أبشرك فقد حُلت القضية وأخذت التوقيع، فكم سيفرح هذا المؤمن، لكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أشد سعادة بقضاء حاجة هذا المؤمن، فالإنسان يُدخل السرور على قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقضاء حوائج المؤمنين، ويستنزل له الرحمة الإلهية بقضاء حوائج المؤمنين، ويحصل على قضاء حوائجه من الناس، وكل حاجة مقابلها مئة ألف حاجة.

أجر كفالة الفقير يثير الدهشة

أما هذه الرواية، فأنا شخصيا قرأتها عدة مرات وتأثرت بها، وهي مما يصيب الإنسان بالدهشة، والرواية عن أبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «والله لأن أحج حجة أحب إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة ورقبة ورقبة»وكررها عشر مرات، يعني حتى بلغ عشرا وعشرا وعشرا إلى السبعين، مضروبة بعشر، فتصبح سبعمائة، فحجة واحدة إلى بيت الله الحرام أحب اليّ من عتق سبعمائة رقبة وثوابها أكثر واعظم.

«وأن أعود أهل بيت من المسلمين»، عائلة فقيرة من الشهداء وضحية إرهاب، أو رب البيت مقعد ولا يملك عملا. . . فعائلة واحدة من بيوت المسلمين أعولها وأتكفل برزقها وخدمتها، «أسد جوعتهم»، فلا يجوز في مجتمعنا أن يوجد متخمون، وهناك من يأكله الجوع ولا يجد ما يتقوت به، «لأن أعول أهل بيت من المسلمين أسد جوعتهم

١٠٧. الكافي ٢: ١٩٥، ح١٠.

وأكسو عورتهم»، أوفر لهم الملابس والطعام، «فأكف وجوههم عن الناس»، لئلا يضطروا لأن يريقوا ماء وجوههم أمام الناس ليحصلوا على مساعدة من هنا وهناك، فأوفر لهم هذا المقدار من مأكلهم وملبسهم، «أحب إليّ من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرا»، فالحجة الواحدة فضلها على عتق سبعمائة رقبة في سبيل الله، وعائلة واحدة تتكفلها أجرها أعظم من عشر حجج إلى بيت الله الحرام، «ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين»[١٠٨]، فإعانة عائلة واحدة تتكفلها يفوق أجرها سبعمائة حجة، والحجة الواحدة أجرها أعظم من عتق سبعمائة رقبة في سبيل الله سبحانه وتعالى، فاضرب هذا الرقم في ذاك، أي بلغة رياضية يكون (٧٠٠ × ٧٠٠ = ٤٩٠ ألفاً).

فعائلة واحدة تعولها وتغنيها عن سؤال للناس، أجرها أعظم من عتق ٤٩٠ ألف رقبة في سبيل الله، وهذا كلام المعصوم وليس مبالغة، وهكذا هو الأجر العظيم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لهذا التكافل، فإن تسعى وتقدم على فعل الخير فيه طاعة لله سبحانه وأجر بهذه العظمة، ونحن أحيانا ننفق أشياء كثيرة على أنفسنا وأوضاعنا، ونغفل عن رعاية الناس وحل مشاكلهم وتقديم العون لهم، وهذا الأجر العظيم في هذا الأمر.

أجر التعاطف القلبي

في رواية أخرى أيضا عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن المؤمن لترد عليه الحاجة»، تأتيه حاجة أو يدقون بابه في حاجة، «فما تكون عنده»، لا يستطيع أن يقضيها، دين مثلا، فيعتذر بأنه لا يستطيع قضاء الشيء الفلاني، وهو معذور، «فيهتم بها قلبه»، ويهتم لأخيه في قلبه وهو يرى أخاه المؤمن في ضيق، وهو لا يملك طلبه، فيدعو له ويظل حزينا ومهموما، لأنه لا يستطيع قضاءها له، «فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة»[١٠٩]، فالذي يقضي حاجة المؤمن يعطيه الله الجنة، ومن لا يستطيع قضاءها لكنه يحزن ويهتم بحاجة المؤمن، يدخله الله الجنة لهذا السبب، فكم هي واسعة رحمة الله.

الأمنون يوم القيامة

عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إن لله عبادا في الأرض يسعون في حوائج الناس»، يعني أن الله أعطى الوسام لبعض عباده، فعملهم قضاء حوائج الناس والمسارعة اليها، «وهم الأمنون يوم القيامة»، وهم في مأمن يوم القيامة،

١٠٨. الكافي ٢: ١٩٥، ح١١.
١٠٩. الكافي ٢: ١٩٦، ح١٤.

فالناس كلها في قلق وخوف وفزع، لكن هؤلاء يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، مطمئنون وآمنون، «ومن أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة»[١١٠]، حين تُفرح أخاك المؤمن بشيء، فإن الله يعطيك بدله ويفرح قلبك به يوم القيامة، وفي اليوم الذي يشعر الجميع بالقلق والفزع، تكون أنت آمنا مطمئنا فرحا، لأنك أسعدت مؤمنا في الدنيا.

حاجة واحدة بمليون حسنة

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله»، يقضي الحاجة لا ليقول له الناس ما شاء الله، بل لوجه الله، ولا أحد يعرف ذلك، لأن الله يعرف ويرى ذلك، «كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنة»، يكتب له الله مليون حسنة بدلها، «يغفر فيها لأقاربه وجيرانه وإخوانه ومعارفه ومن صنع إليه معروفا في الدنيا»، من ساعده ووقف معه ومعارفه كلهم تشملهم المليون حسنة، أي يقضي الله له مليون حاجة.

«فإذا كان يوم القيامة»، وهذا التعبير عجيب فأنت به إليه جيدا، «فإذا كان يوم القيامة قيل له ادخل النار، فمن وجدته فيها صنع إليك معروفا في الدنيا فأخرجه بإذن الله عز وجل إلا أن يكون ناصبا»[١١١]، أي تستطيع بإذن الله أن تخرج من صنع لك معروفا، ولكنه عمل ذلك ليس لوجه الله، وإلاّ لماذا دخل النار؟، لكنك عملت ذلك لوجه الله، فأدخل النار ومن قضى لك حاجة وساعدك بشيء، فخذ بيده وأخرجه من النار، إلاّ أن يكون (ناصبيا)، فهناك «فيتو» واجتثاث على الناصبي فاتركه، فليس هناك استثناء من هذا الاجتثاث. هذا من كرم أهل البيت سلام الله عليهم، بأن يتحفونا بهذه الدروس، دروس الحياة والعطاء.

الخلق عيال الله

عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال الله عز وجل»، هذا حديث قدسي عن الله، «الخلق عيالي»، عيال الله، «فأحبهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»[١١٢].

الأمثال تُضرب ولا تقاس، إذا كان هناك صديق مسافر تحبه جدا وتوفي لا سمح الله، حفظكم الله وأحباءكم، ووفاء لهذا الصديق الغائب ترعى أهله وتهتم بهم وتساعدهم

١١٠. الكافي ٢: ١٩٧، ح٢.
١١١. الكافي ٢: ١٩٧، ح٦.
١١٢. الكافي ٢: ١٩٩، ح١٠.

وتقضي حوائجهم، فالله سبحانه بفضله يقول إن الخلق عيالي كلهم، فالذي يحبني يخدم عيالي ويساعدهم ويحل مشاكلهم، وهذا من لطف الله بعباده.

عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفإن اللهتان»، اللهفإن المكروب والمغموم واللهتان العطشان، «عند جهده»، فأتى إلى أخيه المؤمن، «فنفّس كربته»، يعني حل مشكلته، «وأعانه على نجاح حاجته»، وقضاها له، «كتب الله عز وجل بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل منها له واحدة»، يعطيه الله اثنتين وسبعين رحمة، منها رحمة واحدة في الدنيا والباقي للآخرة، «يعجل له منها واحدة يصلح أمر معيشته ويعطيه الباقي يوم القيامة وأهواله»[١١٣].

مثلا، من المفروض أن يتعرض هذا الشخص لحادث سيارة، ولكن بالتقدير الإلهي دفع الله عنه ذلك، أو أصيب أخوك بمرض مثلا، ويجب أن يذهب للمستشفى ليجري عملية قد تكلف ١٠٠ مليون أو أقل أو أكثر، ولكن الله دفع عنه ذلك، وهناك أشياء كثيرة في حياتك لا تعرفها، ومن يعرف ماذا ستكون أحوالنا غدا، وقاكم الله كل بلاء ومكروه، لكن هذا الإنسان لا يعرف ما سيكون ويقدر بعد دقيقة، والله يدفعها بقضاء حوائج المؤمنين، وهناك حاجات تسهّل لك، وكل من أطلق يده بالمعروف ويحل مشاكل الناس، سيُمعن النظر بهذا الكلام، وسيقول هذا صحيح جدا، وأهل المعروف يعرفون كم يسهل الله لهم ويدفع عنهم، وحين يدفع الله البلاء عنهم ويفتح لهم آفاقا ويسهل أمورا، فهذه فائدة في الدنيا، أي واحدة من الـ ٧٢ والـ ٧١ رحمة الباقية في يوم القيامة، لحل المشاكل التي يواجهها الإنسان في الدار الآخرة.

قضاء حوائج المؤمنين أن يقبل الإنسان على فعل الخير والمعروف، وفيه هذا الأجر العظيم، وهذه المنزلة الرفيعة عند الله، والآثار المباشرة في حياتك الدنيا اليوم قبل الآخرة. تعلمون أنه في الدول المتطورة، هناك من يعمل تأمينا على الحياة ويدفع لشركات التأمين مبلغا من المال، فإذا مات أو مرض، يتسلم أفراد عائلته ما يساعدهم إلى آخر حياتهم، وإذا كنت تريد تأمينا على الحياة، فلا تحتاج إلى الذهاب إلى شركات التأمين، بل اقضِ حوائج المؤمنين، فهذا أفضل تأمين لك ولعائلتك ومعارفك والمقربين في الدنيا، وفي الآخرة ما هو أعظم، ونسأل الله أن يوفقنا للخير والمعروف، بقضاء حوائج الناس وأن يجعل حياتنا مكرسة في خدمة الناس وفي مثل هذا التضامن الاجتماعي.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

١١٣. الكافي ٢: ١٩٩، ح١.

الأمسية الرمضانية السابعة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

أبارك لكم هذه الأيام الشريفة، وأسأل الله أن يتقبل منكم صالح الأعمال، كما أعزيكم بقوافل الشهداء على يد الإرهاب الأعمى، وفي هذه الساعات التي قضيناها بعد الإفطار من هذه الليلة، كان هناك العديد من التفجيرات في بغداد، ولعله في مواقع أخرى، نسأل الله تعالى أن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته الواسعة وأن يعين المعنيين والمسؤولين عن الملف الأمني على وضع حد لنزيف الدم المستمر، فالدم العراقي غال على قلوبنا ونفوسنا، وهو أيضا عظيم عند الله تعالى في شهر الصيام وفي شهر ضيافة الله تعالى، أن يتعرض أبناء شعبنا إلى جميع هذه الضغوط والاستهداف الظالم.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((أنْ لا تمشي بهمَا إلى ما لا يَحِلّ لك، فبهِما تقفُ على الصِّراط، فانظر أنْ لا تزلّ بك فتردى في النار))

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق، لزين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانتهينا إلى الحق السادس في هذه الرسالة والوثيقة الإنسانية الكبيرة، وهو حق الرِّجل، أي حق رجلك عليك، وتحدثنا عن إضاءات ثلاث في هذا الحق، كما ورد في كلمات سيد الساجدين.

الإضاءة الرابعة

تعبر بها الصراط

ننتقل اليوم إلى الإضاءة الرابعة، وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار»، رجلك هذه ستقف بها على الصراط في يوم القيامة، في لحظة الحساب العسير الذي سيتعرض له الإنسان، فإن زلت سقطت من على الصراط إلى النار، وإن حفظتك فسوف تستطيع أن تدخل إلى الجنة، لأن طريق الصراط يعبر فوق النار، في تمثيل مادي حتى يمكن أن نفهم عمق تلك المقامات والمواضع التي جعلها الله تعالى والمنازل في النشأة الآخرة، فالرجل التي تسوقك إلى الطاعة وإلى حيث عبادة الله تعالى ورضاه في الدنيا، هذه الرجل ستكون ثابتة على الصراط في يوم القيامة، والرجل التي تأخذك إلى المعصية وإلى التمرد على أمر الله تعالى، هذه الرجل ستزل في يوم القيامة وتأخذك إلى النار.

معنى الصراط

ماذا يعني الصراط، وما المقصود من الصراط؟، وهذه واحدة من العقائد التي نقف عليها. الصراط في اللغة هو الطريق الذي يأخذنا إلى الخير، فليس كل طريق، بل الطريق الذي يأخذك إلى الخير والطاعة والمعروف يُسمّى الصراط، على خلاف مفردة السبيل؛ فالسبيل أعم، فهو يعني الطريق إلى الطاعة أو المعصية، وإلى الخير أو الشر، فحينما يُستخدم في الآيات القرآنية أو الروايات الشريفة، ففي المعنى الأوسع من طريق الصلاح يُستخدم سبيل، ولكن حينما يُستخدم في طريق الطاعة والمعروف يقال صراط، فالصراط للمعروف حصرا، والصراط تارة نعني به الصراط في النشأة الدنيوية، وتارة نعني به الصراط في النشأة الآخروية، كما جاء في هذا التعبير عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذن عندنا نشأة مادية دنيوية للصراط، والصراط في النشأة الآخروية.

صراط النشأة الدنيوية

الصراط التكويني:

والصراط في النشأة الدنيوية أيضا تارة يكون صراطا تكوينيا، وهذا أعم من الإنسان، فيشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فحتى الجمادات هذه كائنات لها وجود أيضا، وخاضعة لهذا الصراط التكويني، فالحجر حتى يكون حجرا يجب أن يخضع

لاعتبارات وتفاعلات في الطبيعة، فحين يُسأل كيف نشأ الحجر؟، يقال إن هذه التربة مع الهواء والماء مع كذا.. مر عليها ملايين السنين فتحولت إلى حجر، فهذه الاعتبارات التي تجعل الحجر حجرا، وهذه القوانين والسنن الإلهية التي تجعل من الحجر حجرا ويحافظ على تماسكه، هذه نسميها الصراط التكويني. والنبات لا يكون نباتا ولا تكون له فرصة الحياة إلا إذا كان في بيئة فيها هواء وتربة وماء وحركة طبيعية معينة وتلقيح وغير ذلك، وربما بعد ١٠٠ سنة تظهر اكتشافات جديدة، ونعرف جميع العناصر التي يحتاج إليها النبات حتى ينمو ويصل إلى مدياته الطبيعية، وهذا نسميه الصراط التكويني للنبات.

الحيوان كذلك؛ كيف ينمو وما هي شروط الحياة فيه، وكيف يتكاثر؟، وهذه الاعتبارات والشروط المطلوبة نسميها الصراط التكويني، والكلام نفسه للإنسان، فالصراط التكويني للإنسان هو جميع الاعتبارات التي تدخل كشرط أساسي في حياة الإنسان، «وجعلنا من الماء كل شيء حي»[١١٤]، إذن بلا ماء لا نستطيع أن نعيش، فالماء يدخل ضمن الصراط التكويني، والماء والطعام وشروط التوالد وكيفية استمرار عملية التوالد البشري إلى غير ذلك من اعتبارات، هذه كلها نسميها الصراط التكويني في الدنيا، أي تلك القوانين والقواعد التي تجعل كل كائن في هذا الكون وكل موجود في عالم الإمكان، قادرا على أن يصل إلى كماله الممكن، وإلى كماله المرجو في ما هو، فالإنسان كماله كإنسان في بدنه ونموه وتكاثره وفي كل شيء، وهكذا الحيوان والنبات والجماد، وهذا نسميه الصراط التكويني، وهو يعم الإنسان وغير الإنسان..

الصراط التشريعي

الصراط التشريعي يختص بالإنسان وحده، وهو عبارة عن الأحكام الشرعية التي أمر بها الله تعالى وجعلها سببا لهداية الإنسان، فالصلاة أمر تشريعي؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكذلك الصيام في شهر رمضان، لأن الصوم يقوي الإرادة، لتنجح في هذه الحياة، فسر النجاح في الحياة هو قوة الإرادة، وتحصل عليها في الصوم، وعليك أن تفعل كذا وكذا وعليك أن تترك كذا وكذا، وهذه المنظومة من الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات، تمثل الحكم الشرعي في ما ينبغي ولا ينبغي، وما يحل وما يحرم، وهذه المنظومة الشرعية والأحكام والأوامر الإلهية سبب أساسي

١١٤. سورة الأنبياء: الآية ٣٠

في سعادتك أو شقائك، فإن امتثلت لأمر الله فهنيئا لك الجنة، وإن عصيت أمر الله فمصيرك النار وبئس المصير، وهذا نسميه الصراط التشريعي، وهو يخص الإنسان ولا يعم غيره. إذن، لدينا صراط تكويني وصراط تشريعي، في صراط الدنيا أو في النشأة الدنيا.

طريق الحق واحد

لدينا صراط في النشأة الأخرى، في يوم القيامة، وبالنسبة للصراط التشريعي فالناس بين شكور وكفور، فهناك من يشكر وهناك من يكفر. . . كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[١١٥]، هناك من يشكر ويتخذ الموقف الصحيح ويخضع للحكم الشرعي، أي لإرادة الله، وهناك الكفور، من لا يخضع لهذه الإرادة الإلهية.

في الاتجاه الإيجابي لاحظوا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالسا مع أصحابه على الأرض، فرفع عودا من الخشب ووضع خطا على التراب ورسم خطوطا أخرى على اليمين واليسار، وقال لهم هذا الخط المستقيم الذي يوصل إلى الله تعالى، «وأن هذا صراطي مستقيما»، هذا هو الحق الذي يوصلك إلى الجنة، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[١١٦]، الصراط واحد لأن الحق واحد، لكن السبيل يمكن أن يكون سبلا بالجمع، لكن الحق واحد، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١١٧]، ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ﴾[١١٨]، فالنور واحد لكن الظلمات عديدة، لأن طرق الباطل كثيرة.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾، صراط واحد، ﴿مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، بالجمع لأن الباطل طرق عديدة، لكن الحق واحد، «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله». قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوا إلى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إلى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[١١٩]، الهداية حينما نسير في الطريق الواحد، طريق الحق، الطريق الموصل إلى الله تعالى، لكن إذا سرت في الطريق الآخر، طريق الضلال والانحراف، فالنتيجة كما في قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

١١٥. سورة الإنسان: الآية ٣.
١١٦. سورة الأنعام: الآية ١٥٣.
١١٧. سورة النور: الآية ٣٥.
١١٨. سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
١١٩. سورة الحج: الآية ٢٤.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ﴾، تولى الشيطان، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فإنه يُضِلُّهُ﴾، الذي يسير وراء الشيطان يوصله إلى الضلال والانحراف، ﴿وَيَهْدِيهِ إِلى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[١٢٠].

إذن، فالصراط في الدنيا قد يكون تكوينيا وهو يعم الإنسان وغيره، وقد يكون تشريعيا وهو يخص الإنسان وحده، وهو طريق الطاعة والامتثال لأمر الله الموصل إلى السعادة الآخروية.

صراط النشأة الآخرة

أما الصراط الآخروي، في النشأة الآخرة، فهو ما تشير إليه العديد من الآيات والروايات الشريفة، حينما نقف على الصراط في الدار الآخرة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾[١٢١]، حين يرى الناس جهنم فإنهم من شدة الرعب والفزع يرتجفون، ففي حالة الفزع الشديد يرتجف الإنسان ويسقط على ركبتيه، وهي حالة الجثوّ، فحينما يرى الناس النار يجثون ويجلسون على الأرض، «وإن منكم إلا واردها»، الكل يدخل النار، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[١٢٢]، ليس هناك مفر، فالجميع واردها، فماذا يعني واردها؟.

البعض قال إن واردها لا يعني الدخول فيها، وإنما يعني الإشراف عليها، وورود الشيء يعني الإشراف على الشيء، فيراها ولكن لا يدخل فيها، هذا ما قاله بعض المفسرين، والبعض الآخر استند إلى بعض الروايات، فقال إن المؤمن والكافر، والصالح والطالح، كلهم يدخلون في النار ويعبرون، فالمؤمن يعبر من النار إلى الجنة، ولكن النار تكون بردا وسلاما عليه كما كانت لإبراهيم، فلا يتعذب بالنار بل يدخل فيها ويعبر منها إلى الجنة، أما الآخر الكافر المنحرف الضال فيبقى في النار ويحس حرارتها ويتلمس عذابها.

الصراط: لا إفراط ولا تفريط

في الدر المنثور رواية عن جابر بن عبدالله الانصاري عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»[١٢٣]، الظالم المنحرف يسقط في النار ويتعذب بحرارة جهنم، ولكن الذين اتقوا ينجيهم الله تعالى ويخرجهم من النار.

لتأكيد هذه الحقيقة لاحظوا الرواية عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والصراط

١٢٠. سورة الحج: الآية ٤.
١٢١. سورة مريم: الآية ٦٨.
١٢٢. سورة مريم: الآية٧١.
١٢٣. الدر المنثور ٤: ٢٨٠.

المستقيم صراطان؛ صراط في الدنيا»، هذا الصراط التشريعي، «وصراط في الآخرة، أما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو»، هذا الذي لا يصل في الالتزام إلى الغلو، والغلو هو المبالغة، مثل تأليه عباد الله حتى لو كانوا أنبياء، وأن يقول في أهل البيت ما يتجاوز عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، وهذا غلو يذهب بهم إلى النار، فالصراط المستقيم ألا يتجاوز سقف العبودية ولا يعبر الخط الأحمر، «وارتفع عن التقصير»، ومن ناحية أخرى لا يقع في التفريط. إذن، الصراط المستقيم هو لا إفراط ولا تفريط، والإفراط أن تصل إلى مرحلة الغلو، والتفريط أن تضيع الحكم الشرعي وتتساهل فيه.

العبودية تبدأ من صغائر الأمور والواجبات، فالإمام الخميني، وهو من كبار مراجع المسلمين، سأله أحدهم كيف أدخل الجنة، وكان بقربه مفاتيح الجنان والرسالة العملية، فرفعهما الإمام وقال له بهذه، التزم بها تدخل الجنة، وهذا يعني أن العمل بالواجبات وترك المحرمات والدعاء والتضرع إلى الله والالتزام بالمنظومة الأخلاقية، تدخلك الجنة، والزيادة زيادة خير، إذن حالة الوسطية هي الصراط المستقيم في الدنيا، «واستقام»، يضاف إليها الاستقامة والثبات على الحق، «فلم يعدل إلى شيء من الباطل»[١٢٤]، لا تترك الحق وتذهب إلى الباطل، فالاستقامة والاعتدال يدخلان الإنسان الجنة، هكذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذن، الصراط المستقيم في الدنيا اعتدال ووسطية واستقامة وثبات على الحق، وألا تنحرف عن الحق إلى الباطل، أما الطريق الآخر، صراط الآخرة، فهو طريق المؤمنين إلى الجنة، هذا الطريق الذي يسلكه المؤمنون ويذهبون إلى الجنة نسميه الصراط.

زرع الدنيا حصاد الآخرة

نستنتج أن صراط الدنيا هو الالتزام والاعتدال والاستقامة والثبات، بأن تمضي على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتلتزم الموقف الشرعي، وإذا سرت على الصراط المستقيم في الدنيا، ففي الآخرة تسير أيضا على الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة نفسه، وإذا تخلفت عن الصراط المستقيم في الدنيا، وذهبت للاتجاهات الخاطئة وسرت وراء الشيطان، فهناك أيضا تزل عن الصراط الآخروي وتسقط في النار، هذه هي المعادلة؛ فالذي يسلك ويهتدي بهدي رسول الله وأهل بيته في الدنيا سيصل إلى

١٢٤. بحار الأنوار ٨: ٧٠، ح١٨.

الجنة ويعبر الصراط في الآخرة، والذي يهتدي بهدي الشيطان في الدنيا سيسلك طريق الشيطان في الآخرة، وهو طريق يأخذك إلى النار.

في سورة الحج: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فإنه يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إلى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[١٢٥]، عليك أن تختار؛ فمن أراد أن ينجح في صراط الآخرة، فعليه أن يكون ناجحا في صراط الدنيا، وهو بيدك. إن العبور على الصراط، كما في الروايات، يشبه الصراط بخصوصيته، فيقال إن الصراط أدق من الشعرة، وعليه يجب أن تكون عقيدتك ثابتة حتى تستطيع تجاوز الصراط، وأحدّ من السيف، فيجب أن يكون عملك صحيحا حتى تستطيع أن تعبر على مكان أحدّ من السيف، وكلما كان التزامك بالحكم الشرعي والموقف الشرعي وبما يريده الله تعالى أكبر، كان عبورك أسهل على هذا الصراط.

الناس درجات في عبور الصراط

في أمالي الصدوق، عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الناس يمرون على الصراط طبقات»، الناس مراتب في حركتهم على الصراط، «والصراط أدق من الشعر»، والدقة ناتجة من البعد النظري والعقيدة، فالعقيدة كلما كانت سليمة ناصعة تشبه بالدقة هذا الوصف، «وأحدّ من السيف»، والحدة بالنظر للموقف العملي، سلوكك وأعمالك والتزامك، فالعقيدة الناصعة تجعلك تعبر الصراط حتى لو كان أدق من الشعرة، والسلوك الصحيح يجعلك تجتاز الصراط حتى لو كان أحدّ من السيف، «فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل عدو الفرس»، ليس بسرعة البرق، بل أقل مرتبة، فكأنه راكب على فرس، وحركة الفرس حركة سريعة، «ومنهم يمر حبوا»، تهبط المرتبة إلى أن أحدهم يمر وهو يحبو ولا يستطيع أن يمشي على رجليه، والنار تحته ويصله لهيبها، «ومنهم من يمر متعلقا قد تأخذ النار منه شيئا وتترك شيئا»[١٢٦]، في يوم القيامة هناك من لا يستطيع أن يحبو، وإنما يسقط، وبجهد يريد أن يصعد ويتعلق، وتأخذ النار منه شيئا، وهناك من يسقط في الطريق.

ليسأل كل منا نفسه؛ من أي جماعة نحن؟، ومن الآن يقرر الإنسان ماذا يريد، وكيف تكون حاله على الصراط يوم القيامة؟، اخترها من الآن واعمل على أي من المستويات، وقرر وامضِ على هذا الأساس. البعض يقول أنا متساهل في الدين والدين

١٢٥. سورة الحج: الآية ٤.
١٢٦. أمالي الصدوق: المجلس ٣٣، ص٢٤٢، ح٥٠. بحار الأنوار ٨: ٦٤، ح١.

سمح، وأعمل بالمباحات وبدائرة المسموح، وأعمل الواجب بدون زيادة، فالصلاة بمقدار الواجب، من غير تسبيح ودعاء وإقامة وقنوت، حاول أن تتلذذ بالعبادة، عليك أن تكون ذا همة عالية.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة عَنْ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[١٢٧]، منحرفون، فما تختاره في الدنيا هو نفسه يكون خيارك في الآخرة. الإمام تجسيد للصراط

لقد ورد في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تفسير الصراط المستقيم بعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١٢٨]، إذا كان الصراط المستقيم هو الالتزام والاستقامة والاعتدال، فيكون مظهره وتجسيده علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل البيت؛ يروي الشيخ الصدوق عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الصراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل وهما صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة»، الإمام المعصوم، «من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه»، معرفة الإمام والاقتداء به وإطاعته والالتزام بنهجه، وهو نهج رسول الله ونهج الإسلام، وهو ما أراده الله تعالى، «مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة»، إذا عرف موقع ومنزلة الإمام ـ من زاره عارفا بحقه ـ مع اتّباع والتزام بنهج الإمام، فقد ضمن لنفسه عبور الصراط في الآخرة، «ومن لم يعرفه في الدنيا، ، ذهب مع الهوى، ولم يتمسك بالعروة الوثقى، «زلت قدمه على الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم»[١٢٩]، نسأل الله أن يجيرنا من ذلك.

١٢٧. سورة المؤمنون: الآية٧٣-٧٤.
١٢٨. سورة الفاتحة: الآية ٦.
١٢٩. بحار الأنوار ٨: ٦٦، ح٣.

الأمسية الرمضانية الثامنة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((أنْ لا تمشي بهمَا إلى ما لا يَحِلّ لك، فبهِما تقفُ على الصِّراط، فانظر أنْ لا تزلّ بك فتردى في النار))

ذكرنا أن الصراط صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وصراط الدنيا أيضا له معنيان:

أ-صراط تكويني:

وقلنا إن الصراط التكويني لا يختص بالبشر، بل يشمل الإنسان والحيوان والنبات، وحتى الجمادات، فهي أيضا مشمولة بهذا الصراط التكويني، ونعني بهذا الصراط العناصر المطلوبة لبقاء كل موجود وكل كائن، ولكماله الممكن، وذكرنا أن الشجرة من أجل أن تنمو وتعيش تحتاج إلى مجموعة من المقومات وهذا صراطها التكويني للبقاء، وهكذا كل كائن من الكائنات.

ب- صراط تشريعي:

والصراط التشريعي يخص الإنسان وحده دون غيره من الكائنات، لأنه يرتبط بالمنظومة التشريعية وبالأحكام الشرعية التي يفرضها الله سبحانه وتعالى على الإنسان ليحقق من خلالها الكمال.

هي أمر ونهي وهي واجب وحرام وهي تحكم بإيقاعات السلوك الإنساني، ومن خلال الالتزام بهذه التشريعات يتكامل الإنسان في سلوكه وطريقه نحو الله سبحانه وتعالى، وقلنا إن الصراط في الآخرة ليس إلا تعبير عن الصراط في الدنيا، فالذي يطيع الله سبحانه وتعالى ويلتزم بالواجبات والمحرمات وما أمر الله، يكون قد اجتاز الصراط التشريعي في الدنيا، والذي يجتاز الصراط في الدنيا فهو قادر على اجتيازه في الآخرة، ومن يسر بهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام في الدنيا، فهناك أيضا يسير نحو الجنة، ومن يسر بهدي الشيطان وينحرف ويضل في الدنيا، فيكون قد سار إلى النار، وتزل قدمه يوم القيامة، وقد قلنا هذا المعنى في الحديث عن الصراط في الآخرة.

الإمام والجواز على الصراط

ولكن هناك معنى آخر جاء في الروايات وفي النصوص الواردة، وهو لا يتنافى مع هذا المفهوم، ولكنه بيان تطبيق لهذا المفهوم، إذ جاء أن الصراط في الدنيا هو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصراط هم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصراط هو معرفة الإمام المفروض الطاعة واتّباعه، ومعرفته واتّباعه أمران حين يجتمعان يمكن أن يتحقق الفلاح والنجاح والاجتياز للصراط في هذه الدنيا، وهو ما يوصلنا إلى اجتياز الصراط في الآخرة. في هذا المعنى هناك العديد من الروايات التي يرويها العلامة (الأميني) في موسوعته (الغدير)،

إذ يورد في الجزء الثاني من موسوعة (الغدير)، مجموعة من الروايات في هذا المعنى.

عن قيس بن حازم قال: «التقى أبو بكر وعلي بن أبي طالب»، الخليفة الأول وأمير المؤمنين، «فتبسم أبو بكر في وجه علي عليه السلام، فقال له علي مالك تبسمت»، لماذا ابتسمت يا أبا بكر؟، «قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز»[١٣٠]، إذن لا يجوز الصراط إلا بختم علي، يرويها

١٣٠. ذخائر العقبى: ٧١. ينابيع المودة ٣: ٣٣٠.

الخليفة الأول عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ. في رواية أخرى عن ابن عباس قال، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إذا كان يوم القيامة أقام الله عز وجل جبرائيل ومحمدا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ على الصراط»، يقف جبرائيل ورسولنا الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ على الصراط، «فلا يجوز أحد»، لا يعبر أحد، «إلا من كان معه براءة من علي ابن أبي طالب»[١٣١]، إذن جبرائيل ورسول الله يضعان (سيطرة)، والذي يعبر يجب أن تكون لديه تأشيرة الدخول إلى الجنة وهي براءة وختم من علي أمير المؤمنين، مما يعني أن الصراط في تجسيده هو السير على نهج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ونهج علي وأهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ. في رواية ثالثة، عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه قال: «معرفة آل محمد براءة من النار»، كما ذكرنا، فإن المعرفة والاتّباع أمران وجناحان يطير بهما الإنسان لتحقيق الفوز والنجاح واجتياز الصراط في الدنيا والآخرة. حب آل محمد جواز على الصراط «وحب آل محمد جواز على الصراط»، إذا كانت عندك معرفة وحب لمن عرفته، لأن المعرفة تولد الحب، إذا صارت المعرفة والمحبة، فسوف يأتي الاتّباع والولاية، «والولاية لآل محمد أمان من العذاب»[١٣٢]، الولاية لرسول الله ولأهل بيته هي الأمان من عذاب الآخرة، إذن الصراط يجسد في علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وفي أهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ لأنهم يمثلون منهج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ولكن في الوقت نفسه هناك تحذير شديد تجاه الأدعياء، أي هناك من يدّعي الولاء لآل البيت وهناك من يدّعي أنه من أصحابهم من أتباعهم، ولكنه لا يسير على نهجهم ولا يلتزم بتعاليمهم وتعاليم رسول الله، فيكون صرف ادّعاء بعيد عن الواقع والتطبيق، فهناك تحذير شديد منه.

في كتاب الكافي عن زرارة بن أعين، وهو أحد كبار أصحاب الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾[١٣٣]، في تفسير هذه الآية الشريفة يقول الإمام الباقر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ»: هذه نزلت في أمير المؤمنين وأصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن لهم»، يرون أمير المؤمنين في الجنة والمقامات العالية وفي مكان يُغبط على حضوره فيه، «فيسيء وجوههم»، تُساء وجوههم ويحزنون ويتألمون أنهم ليسوا مع علي في هذه المكانة، لأن صحبتهم كانت صحبة ادّعائية ولم

١٣١. بحار الأنوار ٨: ٦٦، ح٤.
١٣٢. ينابيع المودة ١: ٧٨، ح١٦. الشفا بحقوق المصطفى ٢: ٢٤٧.
١٣٣. سورة الملك: الآية ٢٧.

يكونوا صادقين في نهجهم وفي اتباعهم لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «ويقال لهم هذا الذي كنتم به تدّعون»، كنتم تدّعون أنكم من أصحاب علي ومن أتباعه، فأين أنتم من نهج علي؟، إذن، أنتم انتحلتم شخصية علي ولم تعتمدوه وتتبعوه، وفي زماننا اليوم يحاسب القانون على انتحال الشخصية. قد يوقفك أحد فتقول أنا من رئاسة الجمهورية مثلا، وإذا اكتشف الضابط أن ادّعاءك غير صحيح فهذه جريمة يحاسب عليها القانون، وهناك من يدّعي التبعية لعلي وآل علي، ولكن سلوكه وموقفه ونهجه وحركاته وسكناته لا توحي بذلك، فهو ادّعاء ليس إلاّ، «ويقال لهم هذا الذي كنتم به تدعون والذي انتحلتم اسمه»[١٣٤]، بعضنا ينتحل اسم علي ولكنه في الواقع والتطبيق والعمل لا يسير على نهج علي عليه السلام، فهي تبعية ادّعائية.

ادّعاء المحبة والولاية

في رواية أخرى أيضا في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، «أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين وهو من أصحابه»، مصنف على أنه من أصحاب علي، «فسلم عليه»، سلم هذا الرجل على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «ثم قال له: أنا والله أحبك وأتولاك»، أدى القسم في محضر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنني أحبك يا علي وأتولاك واتّبعك، «فقال له أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: كذبت»، أنت كذاب في ما تدّعي، وهذا كلام فقط وادّعاء، أنت لست صادقا في ذلك، «قال: بلى والله إني أحبك وأتولاك، فكرر ثلاثا»، يؤدي القسم أنه يحب علياً ويتولاه، وعلي عليه السلام يقول له «كذبت»، هذا كله كلام وادّعاء، وفي الواقع أنت لست كذلك.

وعندما كررها ثلاث مرات، قال له أمير المؤمنين: «كذبت ما أنت كما قلت»، يعني ليس الأمر كما تقول وتدّعي، «إن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام»، والأبدان تُخلق لاحقا بنطفة، والله سبحانه وتعالى يودعها فتكون سببا طبيعيا للولادة والبدن، لكن الأرواح خُلقت من طينة واحدة، «وخُلقوا من فائض طينتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»، فالأرواح خُلقت قبل ذلك، قبل الأجسام، «ثم عرض علينا المحب لنا»، الله سبحانه وتعالى عرفنا بالأرواح المحبة لنا، «فوالله ما رأيت روحك في من عُرض فأين كنت؟»[١٣٥]، إذا كنت بالفعل صادقا وفي قائمة الموالين والمحبين والأتباع، فلِمَ لم نرك في تلك الألواح التي عرضت علينا لأسماء محبينا وأرواحهم؟، فرأى أنه كشفت قضيته،

١٣٤. الكافي ١: ٤٢٥، ح٦٨.
١٣٥. الكافي ١: ٤٣٨، ح١.

فقد يستطيع بالقسم والتملق والتزلف أن يضحك عليّ وعليك، ولكن لا يستطيع خداع أمير المؤمنين.

آفة المتزلفين

انظر إلى الوقاحة؛ شخص يأتي ويكذب على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ علناً، ويقسم على شيء ليس فيه، وهذا داء المتصدين؛ فهم يحاطون بالمتزلفين، وهناك أناس يقولون مولانا وسيدنا ويقبل اليد ويسمعك كلاما طيبا و(علي وياك علي)، فهل كل من قال ذلك هو بالفعل صادق؟، ليس دائما. الولاء الحقيقي هو ولاء المنهج، والإسلام اعتمد على منهج قويم وليس فقط مشاعر وعواطف جوفاء تبرز لاعتبارات مختلفة، وهناك من يقرّب نفسه من المتصدي ويسمعه الكلام المنمق، وأي طاغوت من طواغيت التأريخ لم يسمع المديح والإطراء؟، وأي غبي من القادة الأغبياء في العالم لم يقفوا ويتغنوا بذكائه وفطنته وإبداعاته وفكره إلى آخره؟.

في مجتمعاتنا الإنسانية نصنع طغاة وظلمة، فنحن الذين نساعد على صناعة الظالم والطاغية، وهذه الشريحة من الناس التي تصفق لكل من يتصدى وتلتف حوله، ليس إيمانا بمنهج أو برؤية معينة، وإنما هي مشاعر تقال حتى يتقربوا إليه ويحصلوا على امتيازات وفرص.. إلى آخره.

وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن من أولئك الذين يمكن أن تمرر عليه مثل هذه الأمور، وعلي أكبر من أن يُستغفل بهذه الأمور، وعندما قال له: «فوالله ما رأيت روحك في من عرض فأين كنت؟»، سكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه ولم يره بعد ذلك اليوم وكشف أمره وافتضح، فذهب ولم يعد لأن ادّعاءه كان غير واقعي.

بين المؤمن والمنافق

في رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق»[١٣٦]، أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بفضل من الله، نتيجة للمنقبة الوجودية التي يتمتعون بها، عندما يمر أي شخص يعرفون إن كان منافقا أو صادقا أو كاذبا في الادّعاء، بأن يظهر شيئا ويبطن شيئا، والنفاق هي حالة الازدواجية، فيظهر شيئا ولكنه يبطن شيئا آخر، فتراه يحدّث شخصا بعبارات المديح والإطراء و (حياكم الله مولانا)،

١٣٦. الكافي ١: ٢٢٣، ح١.

وما أن يذهب حتى يبدأ بالسباب والشتيمة خلفه . . لماذا الازدواجية؟، وهذه ليست من سمات المؤمنين، كن واضحا، فالخطأ خطأ حتى لو كان من حاكم ومتصد أو رجل خدمة عامة، فقف بوجهه وقل له هذا خطأ، والصحيح صحيح حتى لو كان من إنسان مغمور بالمجتمع، فمتى نكون بلون واحد وصادقين مع أنفسنا والآخرين؟، والكثير من الزلات والانحرافات تحصل حينما يحسب الإنسان أنه يسير بخطى صحيحة، والحال ليس كذلك، والناس كلها تعرف أنه كذلك ولا تصارحه.

يقول تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ ليس بالخاسرين بل بالأخسرين، هناك أسوأ من هؤلاء، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [١٣٧]، يعتقد بأنه يسير بالشكل الصحيح، وليس هناك من هو أفضل منه وكل كلماته صادقة، ولكنه في الواقع ليس كذلك، والآخرون يصفقون ويشجعون، ولكنهم يتحدثون ويهمسون من خلفه ولا يصارحونه، فتحصل عنده نرجسية واعتداد بالذات، ويحسب أنه دائما على صواب، وهو ليس كذلك.

الحق والباطل لا يجتمعان

النقطة الأخرى المهمة، أن الإنسان لا يمكنه أن يجمع بين الحق والباطل، فالحق نور والباطل ظلام، وهذا المكان إما فيه نور فلا مكان للظلام فيه، وإما يغيب النور فيأتي الظلام ولا تجتمع الظلمة والنور في مكان، فحب أهل البيت، وهو الحق، لا يجتمع مع حب أعداء أهل البيت، فهذا حق وذاك باطل، وهذا نور وتلك ظلمة، والقلب إما أن يتنور بحب أهل البيت، وإما أن يكون مظلما بحب أعداء الحق، ولا يمكن أن تجتمع هذه المحبة مع تلك، فالحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى: «أنا محب من أحبني، ومطيع من أطاعني»[١٣٨]، لا يجوز أن أحب الله وأطيع الشيطان، فإما أن أحب الله أو لا أحبه بل أحب الشيطان، والله والشيطان لا يجتمعان معا.

هذه الرواية التي سأتلوها على مسامعكم عن أحد الأصحاب الكبار ذوي التأثير، وهو من الرواة الكبار، واسمه صفوان الجمال، وصفوان من كبار أصحاب الأئمة ورواتهم وثقاتهم، وكان جمالا، أي (عنده شركة نقل) على حد تعبيرنا اليوم، إذ كانت لديه جمال يؤجرها ويرتزق منها، وكان رجلا صالحا طاهرا نقيا، وقد حدث معه هذا

١٣٧. سورة الكهف: الآية ١٠٤.
١٣٨. مستدرك الوسائل ٥: ٢٨٦، ح١٠.

الحدث الذي نقرأه على مسامعكم لتعلموا كيف أن القضية معقدة، ولا يمكن أن يجتمع الالتزام بالحق مع الالتزام الآخر بغير الحق.

عن أبي فضال عن صفوان بن مهران الجمال قال: «دخلت على أبي الحسن الأول الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي: يا صفوان كل شيء منك حسن جميل»، تسير بشكل صحيح؛ دينك وسلوكك والتزامك، وهذه شهادة عظيمة من إمام معصوم، «كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا»، لديك زلة واحدة، «قلت: جُعلت فداك أي شيء؟»، لا أريد أن أحيد عن الحق وقلبي عامر بذكر الله وحبكم أهل البيت، فماذا صدر مني وأنت لست راضيا عنه؟، والإمام هنا يلفت نظره وينصحه، وإلفات النظر ثقافة جيدة، وليس كما نقول اليوم؛ أنه مادام المسار العام مقبولا فلا ينبغي أن نُشكل، ومنطق (عبّر!) في تعاملاتنا الاجتماعية و(متسوه!) وأخاف أن يغضب مني، ودع غيري يقل له، لماذا أقول له أنا ذلك، وكل طرف يرميها على الآخر... كلا...، «كل شيء فيك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا»، فيجب أن أقول له ليمسحها، حتى لو كانت واحدة، ليكون أبيض ناصعا ليس عليه مؤاخذه، وهذا شيء جيد.

ما هي سيدي فديتك؟، أخبرني ما الذي أخطأت فيه؟، «قال: إكراؤك جمالك هذا الرجل»، يعني هارون الرشيد، كيف تؤجر جمالك لهارون الرشيد؟. «قلت: والله ما أكريته أشرا ولا بطرا ولا للصيد ولا للهو»، أجّرت الجمال لكي يذهب لحج بيت الله الحرام ولم أؤجرها ليفتك بأحد أو يهجم على مكان أو يسرق أموالا أو يعتدي على حرمات، كلا، بل أرسل اليّ رسولا ليؤجر الجمال لحج بيت الله الحرام، وأنا أجرتها للحاكم الظالم في عمل صحيح، وهو حج بيت الله الحرام.

«ولا أتولاها بنفسي»، حتى هذه، لست أنا من أسير بالجمال، «ولكني أبعث معه غلماني»، سأرسل غلماني معهم (من الموظفين والطاقم ولست أنا)، إذن، خطأ صفوان هو أنه أجّر جماله لحاكم ظالم حتى يركبها ويذهب للحج، فانظروا إلى جواب الإمام؛ «فقال لي: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟»، عندما يأخذون الجمال هل يدفعون لك عمولة وإيجارا؟، «قلت نعم»، أنا جمّال وهذا عملي والحاكم غني، «فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟»، هل يعجبك أن يبقى هارون الرشيد سالما ويعود ليعطيك الإيجار؟، وبعد ذلك يموت أو يذهب إلى جهنم، ولكن بعد أن يدفع الإيجار، أتريده أن يبقى حيا حتى يعطيك حقك؟، «قلت: نعم»، أرغب في ذلك، فإن مات ماذا أفعل؟... يرسلونني إلى وزارة المالية والى التخطيط، ثم إلى الحكومة المحلية، ولا أعرف أحصل على نقودي... أعان الله الذين يتعاقدون مع الحكومة، وبعضهم يأتي

ويشكو من عقد حكومي، قائلا: لقد استوردنا بضاعة بكذا مليون، وأخذوا البضاعة ووزعوها ولم يعطونا الأموال بحجة أنهم لا يملكونها.

«قلت: نعم»، بودي أن يبقى حيا ويعطيني أموالي والذي يحصل بعدها ليحصل، «قال: فمن أحب بقاءهم فهو منهم»، ما دمت تحب بقاءه فأنت منه، وصرت تدعو له اللهم أحفظه ليعود ويعطيني نقودي، «ومن كان منهم ورد النار»، ومن كان من الظلمة ورد النار، فتحير صفوان، فهو على موعد مع الحاكم وقد وقّع معه عقد إيجار، فماذا يفعل، وماذا يقول له؟، ألغيت العقد؟، وهذه مشكلة، ولكن انظروا ماذا فعل الإنسان المتدين وذو العقيدة؛ قال صفوان: «فذهبت وبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك إلى هارون»، وصل الخبر إلى هارون، «فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك، قلت: نعم، فقال لي: لم؟»، لا يستطيع أن يقول له إن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لي ذلك، لأن ذلك معناه أن يعرض حياة الإمام إلى الخطر ويتحمل المسؤولية الكاملة، وهذا درس آخر أن الموالي والتابع الصحيح يتحمل مسؤولية القرار، ولا يضعها برأس الآخرين.

«فقلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يقوون بالأعمال»، ما حكّ جلدك مثل ظفرك، وعندما لا أقف على الجمال وأديرها بنفسي وأتركها للعمال والموظفين، فسوف تضيع ولا يستطيعون تأدية الحق بشكل صحيح، «فقال: هيهات هيهات»، الآن تذكرت أنك شيخ كبير وبالأمس اتفقنا؟، «إني لأعلم من أشار عليك بهذا»، يشير بذلك إلى الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالإمام الكاظم هو من أشار عليك ولذلك بعتها، ولو كان ذلك في زماننا لقلنا ضعوا جهاز تنصت في بيت الإمام، وفي ذلك الوقت كانت هناك عيون تسمع أو تحليل واستنتاج.

«قلت: ما لي ولموسى بن جعفر»، ما علاقة موسى بن جعفر بجمالي؟، محاولا إبعاده عن القضية لكي لا تتوجه إليه يد الغدر من الحاكم الجائر ويسيء إليه، «فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك»[١٣٩]، لا تستطيع أن تخفي عني، ولولا أنك رجل مستقيم لقتلتك.

فإذا كان إكراء الجمال لحاكم ظالم لزيارة بيت الله الحرام تجعلنا معه ومحسوبين عليه، لصرف أنا نتمنى أن يبقى إلى أن يدفع لنا حقنا، فانظروا كيف أن القضية معقدة، فالتولي والتبري، من القضايا الأساسية في إيمان المؤمن، بأن يتولى الحق وأهل الحق،

١٣٩. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٧، ح٣٤.

ويتبرأ من الباطل وأهل الباطل. قد لا تكون من محبي الباطل، لكن لديك مصلحة مع أبي فلان المنحرف، وهذه المصلحة أنك قد تواجه قضية في يوم من الأيام فتحتاج إليه، لذلك تبقي شعرة معاوية وخيطا معه، إذن أنت تتواصل مع جميع أهل الباطل، وتحفظ مصالحك، والحق ليس مشكلة، لكن السلوك المنحرف حينما يجد حالة الانكماش والانكفاء عنه من المجتمع، ولا يجد المخطئ من يغطي له ويسكت عنه، والجميع يصطف في جانب الحق، فالمخطئ سيشعر آنذاك بعزلة ويصحح من سلوكه ويغيّر من أدائه، إلى غير ذلك، وهذه ثقافة.

جزاء إعانة الظالم والرضا بفعله

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد أجرم»[١٤٠]، قد لا تعلم أنه ظالم وتقدم له مساعدة ظنا منك أنه إنسان عادي، ولكن إذا كنت تعلم أنه ظالم وقدمت العون له فقد خرجت من الإسلام، فالإسلام دين السلام، والإسلام دين الاستقامة، وكيف تكون مستقيما وتعين الظلمة الذين لا استقامة لهم؟.

وقال الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاث»[١٤١]، الثلاثة شركاء، فمن رضي بفعل قوم كان منهم وحسب عليهم ويتحمل وزرهم، وإذا كنت لا تستطيع إصلاح الظالم، فيجب على الأقل أن تنكر بقلبك ولا تقبل به وبالظلم، وفي قرارة نفسك لديك موقف وحصانة. نحن نلقح الطفل بالرغم من أعراض التلقيح كالحمى مثلا، ولكننا نأخذه بأيدينا ونلقحه لتكون له مناعة من المرض، وفي هذه الحالة كذلك نحتاج إلى التلقيح، والتلقيح هنا هو الإنكار القلبي.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «شر الناس المثلث، قيل يا رسول الله وما المثلث؟، قال: الذي يسعى بأخيه إلى السلطان»[١٤٢]، يكتب تقريرا كيديا ويرسل للظالم معلومات خاطئة يكسر بها رقاب الناس، فيهلك نفسه بهذا العمل لسعيه بأناس أبرياء، ويهلك أخاه الذي سعى به، لأن السلطان الظالم سيتخذ موقفا، ويهلك السلطان كذلك، لأن السلطان سيعتدي على هذا البريء، فيهلك نفسه ومن كتب عنه وسعى به والسلطان.

١٤٠. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٧، ح٣١.
١٤١. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٧، ح٣١.
١٤٢. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٧، ح٣١.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مشى مع ظالم فقد أجرم»[١٤٣]، السير مع الظالم جريمة، وأن تغطي للظالم وأن تدعم الظالم وأن تسكت عن الظالم جريمة، انظروا المنهج الإسلامي الأصيل في تعريف الأخطاء وكشف المخطئين وعزلهم؛ لا تمش معه ولا تساعده ولا تقدم له أي عون حتى لو كان حج بيت الله الحرام، ولا ترض بعمله وأنت في مكانك، وهذا مطلوب ليحصل المجتمع على حصانة وتصبح فيه اصطفافات حقيقية وصحيحة.

وللحديث صلة تأتي تباعا، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٤٣. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٧، ح٣١.

الأمسية الرمضانية التاسعة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

أسئلة بحجم الألم العراقي

بداية أبارك لكم هذه الأيام الشريفة، ونحن نقترب من النصف من شهر رمضان المبارك، فهنيئا لكم صيامكم وقيامكم ومناجاتكم وابتهالاتكم إلى الله تعالى في هذه الأيام، وفي هذا الشهر الفضيل ونحن نعيش أيام الصيام، ولكننا نعيش الأسى والألم والغضب والقلق لما يجري في بلادنا من تدهور أمني خطير وكبير، ويكاد المرء يصل إلى لحظة يشك فيها بمسارات إدارة الملف الأمني؛ هل من رؤية واضحة؟، هل من استراتيجية محددة؟، هل من خطط ناجعة؟، هل من قيادات كفوءة؟، لا نعرف كيف تدار الأمور، وفي كل يوم قائمة طويلة من الشهداء والجرحى، وحينما أقارن بين حجم الشهداء والجرحى في العراق والضحايا في سوريا، وهي تعيش ذروة الحرب الأهلية والاقتتال الداخلي بين النظام ومن معه والمعارضة ومن معها، أجد أن حجم الضحايا في العراق في عدد من الأيام يفوق حجم الضحايا في سوريا، بعد مرور عشر سنوات وبعد إنشاء مؤسسة أمنية تتجاوز مليونا و٣٠٠ ألف عنصر أمني، حتى أصبحت من أكبر المؤسسات الأمنية في المنطقة في عددها، وعدد السيطرات يملأ الأرض حتى يكاد الإنسان لا يخرج من سيطرة إلاّ ويصل إلى سيطرة أخرى، ويقف ساعات طويلة خلف السيطرات، ومع ذلك يوجد هذا الإرباك الأمني الكبير وهذا الاستهداف للمواطنين في كل مكان.

هذه العمليات وصلت إلى مواقع خطيرة، حينما يُستهدف سجن أبي غريب وسجن

التاجي، وهذه محطات في غاية الأهمية والخطورة، وفيها عدد كبير من النزلاء من أعتى المجرمين ومن أخطر الإرهابيين، وكل واحد من هؤلاء قد تكون يده ملطخة بدماء العشرات أو المئات من أبناء شعبنا، كم قدمنا من ضحايا حتى نعتقل واحدا من هؤلاء، وحينما نعتقله تظهر الأخبار العاجلة على شاشات التلفاز، ويظهر القادة الأمنيون في مؤتمرات صحفية يبشرون أبناء شعبنا بأننا اعتقلنا أمير القاعدة في المنطقة الفلانية أو المسؤول عن القضية الفلانية أو المتورط في المجزرة الفلانية، واُعتبر اعتقال كل واحد منهم انتصارا للعراق وللعملية السياسية ولأبناء الشعب العراقي.

ومنذ أن اعتقلوا وأنظار الناس شاخصة متى سيعاقبون، لا سيما عوائل الضحايا من الشهداء والجرحى، منتظرين أن يأخذ هؤلاء جزاءهم العادل، وطال الانتظار سنوات، ولم يعاقبوا مما جرّأ الآخرين على أن يسيروا في طريق الجريمة واستهداف هذا الشعب، ثم في ليلة ظلماء يقال إن هجوما حصل بتسعة انتحاريين، وفر المئات، كما في عدد من الروايات غير الرسمية التي تتحدث بها وسائل الإعلام، ويُظن أن فيها مستوى من الصحة، مئات من النزلاء في ليلة واحدة يفرون من السجن، قيل خمسمئة قد يكون أغلبهم من القاعدة، وبعضهم من كبار المجرمين، كيف حصل ولماذا حصل؟، يقال كانوا تسعة انتحاريين، وهل هذا شيء غريب؟، ألم يكن متوقعا، ألم تُستهدف السجون في ظروف سابقة، ألم تُستهدف المواقع التي فيها هؤلاء الإرهابيون في ظروف سابقة؟، فما هو العجيب والغريب في القضية، حتى يعتبر هذا ذريعة لوقوع هذه المشكلة؟.

دماء تنزف... ولا أجوبة

أين الأجهزة الأمنية، وأين الأجهزة المتطورة، وأين الاستخبارات، ومن يتحمل هذه المسؤولية؟. مئات من الإرهابيين فروا، فماذا سيكون حال العراق بعد خروجهم؟، فقد كانوا في السجون، ومع ذلك نشهد في اليوم الواحد عشرة أو خمسة عشر انفجارا تستهدف الناس وتقطع أشلاءهم، فإذا فرّ٥٠٠ إرهابي من عتاة المجرمين وعادوا إلى الجريمة، فماذا سيكون حال العراق ومن يتحمل مسؤولية هذه الدماء البريئة؟، صرخة لا بد من أن نطلقها، ولا بد من أن نعبر عن قلق هذا الشعب وعن مرارته، حينما يستمع إلى هذه الملاحظات.

في أي بلد حين يخرج قطار من السكة، يبادر الوزير المختص فورا إلى مؤتمر صحفي، ويخرج المسؤول ويشرح لماذا خرج القطار وما حصل، وإذا اصطدم باصان مع بعضهما في شارع في بلد ما، يخرج الوزراء المختصون فورا؛ ليبينوا هل المشكلة

في السائق أو في إشارات المرور أو المشكلة في الطرقات. . . أين المشكلة؟، أما في العراق، فكل هذه الضحايا وكل هذه المحنة العظيمة وكل هذه الجرائم الكبرى، ومع ذلك قلما يخرج مسؤول في مؤتمر صحفي ويوضح للناس ويشرح ماذا جرى ولماذا جرى، وما هي الإجراءات لئلاّ تتكرر هذه الجريمة من جديد، فلا توجد تصريحات رسمية، بل صمت مطبق وكأن على رؤوسهم الطير، لا أحد ينطق ولا أحد يتحدث، وكل ما نسمعه في هذه القضايا في أغلب الأحيان تصريح عدد من السادة النواب، والنائب ليس له مهمة تنفيذية بل يقوم بدور رقابي، فأين المسؤول المباشر؟، لماذا لا يخرج ويتكلم للناس، ليشرح الأسباب في تكرر هذه الجرائم يوما بعد آخر، لِمَ لا يقول لنا ما هي الإجراءات التي ستُتخذ كي لا تتكرر هذه الجرائم من جديد، وما هي الخطة للقبض على هؤلاء المئات من عتاة المجرمين الذين فروا من السجن؟.

أخطاء بلا مسؤولية.. مؤسسات بلا مسؤولين

هل سمعتم أن ضابطا كبيرا أو قائدا مهما تمت إقالته في قضية من القضايا؟، فمن المقصر؟، تقولون إنه إرهاب، وماذا تتوقعون من الإرهاب؟، فالإرهاب هو الإرهاب، ولكن ماذا عمل الجهاز الأمني؟، هل قام بواجبه؟، هل حوسب أحد من القادة الأمنيين؟، والى متى تبقى الوزارات الأمنية شاغرة بدون وزير، والمؤسسات الأمنية الخطيرة بدون وزير أو بمسؤولين بالوكالة؟. ثلاث سنوات مرت من عمر الحكومة الموقرة، فهل يُعقل أن العراق لم ينجب من يصلح لأن يكون وزيرا لداخلية أو دفاع أو أمن أو ما إلى ذلك؟!.

لماذا يدار الملف الأمني بهذه الطريقة، وهل من ضمان أننا سنغير الخطط الأمنية، وهل من توجه لتغيير بعض القيادات الأمنية بعد كل هذه الخروقات؟. . لا أحد يتكلم، ولا أحد يشرح ويوضح، والشعب عليه أن يقدم الضحايا والشهداء والقرابين واحدا تلو الآخر، وعشرة بعد عشرة، ومئة بعد مئة، ولا يعرف إلى متى.

أصبحنا نواجه صعوبة كبيرة في تبرير هذا الواقع، حينما تجلس في الخارج مع القادة والملوك والأمراء والرؤساء، فأول سؤال مع أي شخص هو عن هذا الملف الأمني في العراق؛ ما قصته وإلى متى، وقد مرت عشر سنوات، وماذا تعملون وما هي المبررات؟، ماذا تجيب بالله عليك؟، ضع نفسك مكاني ومكان غيري، ماذا نقول لهم وأي حجة مقنعة يمكن أن نقدمها لهم، والناس تتابع وترى دولا بلا إمكانات ولا تملك قوى كبيرة أو حصانات، حصل فيها تغيير، ولكن لم يجر فيها ما جرى في العراق. إننا

نشعر بألم كبير وبأسف على ما يجري، ونتمنى من السادة المسؤولين المعنيين بهذا الملف أن يتخذوا إجراءات صارمة وحاسمة وحازمة في الوقت نفسه، حتى نخرج من هذه البوتقة. نسأل الله الأمن والأمان والاستقرار للعراق وشعب العراق وشعوب المنطقة والعالم كله.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((أنْ لا تمشي بهِمَا إلى ما لا يَحِلّ لك، فبهِما تقفُ على الصِّراط، فانظر أنْ لا تزلّ بك فتردى في النار))

ذكرنا أن الولاء للحق لا يجتمع مع الولاء لغير أهل الحق، وكيف يجتمع النور مع الظلمة؟، واستعرضنا العديد من الروايات في هذا المجال، وذكرنا أن الولاء لله ورسوله والمؤمنين هو الخط الموصل، أما الولاء لغير ذلك فلا يمكن أن يوصل الإنسان، ونواصل تلاوة بعض الروايات في هذا المعنى.

شروط العمل مع السلطان الجائر

في بحار الأنوار: عن سدير عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ألا أبشرك؟، قلت بلى جعلني الله فداك، قال أما أنه ما كان من سلطان جور في ما مضى ولا يأتي إلا ومعه ظهير من الله يدفع عن أوليائه شرهم»[١٤٤]، إن الله تعالى بفضله وكرمه يقيّض في جهاز أو بلاط كل ظالم أناسا ينتصرون للحق ويدافعون عن المؤمنين.

سمعت من بعض السجناء في النظام البائد أنه في ذروة المحنة والألم وأنا معصوب العينين، وإذا بجندي يأتي ويهمس في أذني: هذا ماء بارد أو سيكارة، ويهمس لي: سأضربك ضربا خفيفا وعليك أن تصيح بصوت عال حتى نوهم المسؤولين عن السجن، فالله يهيئ مثل هؤلاء الناس في فريق الحاكم الظالم ليعين المظلوم والسجين، وهؤلاء غالبا ما يأتون بإذن خاص من الإمام المعصوم أو نائبه، وهذا ما سمعته من بعض السادة المراجع؛ يقولون إن بعض الصلحاء كانوا يستفتوننا ويسألوننا عن رأينا في فرصة أتتهم ليصبحوا ضباطا في الأمن، هل يقبلونها أو لا، فيقال له إذا استطعت أن تحفظ دماء

١٤٤. بحار الأنوار ٧٥: ٣٧٨.

الناس، أو أن تتلف وثائق كيدية وتحافظ على أعراض الناس، فتوكل على الله، وإلا فلا تبع آخرتك، فالله يقيض في مثل هذه المواقع وفي مثل هذه المؤسسات للحاكم الظالم، يقيض أناسا يعملون دفاعا عن المؤمنين والصالحين.

في رواية أخرى إشارة للإذن الخاص لمن يدخل في بلاط الظالم، قال جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما من جبار إلا وعلى بابه وليّ لنا»[١٤٥]، جبار وظالم، ولكن على بابه وليّ لنا من أهل الحق، يتولى الصالحين قيضه الله في هذا المكان.

وفي رواية أخرى: «استأذن علي بن يقطين مولانا الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في ترك عمل السلطان»، علي بن يقطين كان من خيرة أصحاب الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والإمام أذن له أن يدخل في البلاط وأصبح قائد الشرطة (وزير الداخلية في ذلك الوقت)، وفي روايات أخرى المستشار الخاص لهارون العباسي، موقع مرموق ومميز، وقد تعب من معايشة الظلمة ونفاقهم ودنياهم، فاستأذن الإمام؛ سيدي يا موسى بن جعفر ائذن لي أن استقيل، ضاق صدري من انحرافاتهم، فلم يأذن له، وقال: «لا تفعل فإن لنا بك أنساً ولإخوانك بك عزا»، نحن نأنس بوجودك في هذا البلاط وفي هذا الفريق الظالم، لتدافع عن حقوق الناس.

التعميم منهج خاطئ

وهذا ما يجب أن نعرفه جيدا؛ أن التعميم في أي زمان مرفوض وغير صحيح، فلا تقل إن جميع السياسيين غير جيدين ولا تقل إن جميع السياسيين جيدون، فكلا الأمرين غير صحيح، فليسوا جميعا جيدين، وكذلك ليسوا جميعا سيئين، فلا تظلم الجميع.

في زماننا هناك قادة أمنيون في مواقع متقدمة وبرتب عسكرية عالية جدا، لكنهم يعيشون على رواتبهم ولا يأخذون دينارا واحدا غير رواتبهم، وأنا دخلت إلى بيوت بعضهم ورأيت بيتا متواضعا جدا، تنطفئ الكهرباء عنه كما تنطفئ عن سائر الناس، ولا يملك مولدة، وفي حياته الشخصية بسيط ومتواضع، وهناك مسؤولون مثله في كل زمان ومكان وأنا أعرفهم، فيجب ألاّ نعمم ولا نظلم الجميع.

«فإن لنا بك أنسا ولإخوانك بك عزا»، يرفع إخوانك المؤمنون رؤوسهم بك وتحل

١٤٥. بحار الأنوار ٧٢: ٣٧٩، ح٤٠.

مشاكلهم، «وعسى أن يجبر الله بك كسراً»، الظالم يكسر ويفتك ويبطش ويسيء ويظلم، أما أنت يا علي بن يقطين، فلعل الله يحل بك مشكلة ويرفع بك مظلمة، «ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه»، حينما تأتي الوشاية للسلطان وأنت موجود، يمكنك عندئذ أن تدفع عن المؤمنين بطريقة أو بأخرى، فتنقذ حياة إنسان بكلمة، أو تكسر قرارات جائرة بحكمة.

كفارة العمل مع السلطان

«يا علي كفارة إعمالكم الإحسان إلى إخوانكم»، كفارة عملك في منظومة الظالم هي الإحسان إلى إخوانك، فإن الإحسان والخدمة وحل مشاكل الناس هي كفارة حضورك في هذا الموقع، «اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثا»، يا علي بن يقطين، أنا الإمام الكاظم أقول لك، اضمن لي واحدة وأنا أضمن لك ثلاثا؛ »اضمن لي أن لا تلقى أحدا من أوليائك إلا قضيت حاجته وأكرمته»، اقض حاجة المؤمنين المظلومين وحل مشاكلهم بقدر صلاحياتك، وأنت وزير أو وكيل أَو مدير عام وتستطيع حل المشاكل للناس المساكين من خلال اتصال هاتفي أو وجاهتك لخدمة المؤمنين والصالحين، هذه أريدها منك. يا علي بن يقطين، لا تقض حوائج الناس فقط، بل أكرمهم أيضا واحترمهم وقدرهم واحفظ مكانتهم أمام الناس وفي المجتمع.

«وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبدا»، لا تدخل السجن أبدا، فقضاء حوائج المؤمنين يدفع البلاء، «ولا ينالك حد سيف أبدا»، الظالم لن يقطع رقبتك ولا تصل يده إليك، أضمن لك الحياة، فما دمت في خدمة الناس قربة إلى الله فلا شيء يمسك، «ولا يدخل الفقر بيتك أبدا»، لا يصيبك عوز ما دمت في خدمة الناس، فلا سجن ولا قتل ولا فقر، ثلاثة أشياء أضمنها لك، وهي ضمان لكل من يخدم الناس ويمشي في قضاء حوائجهم، «يا علي من سرّ مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثنى وبنا ثلث»[١٤٦]، هذا الأجر العظيم، والإمام الكاظم وفى لعلي بن يقطين في هذا الموضوع.

هارون الرشيد مثل جميع الظلمة شكّاك، ويعرف أين نقطة ضعفه، وأمامه جبل بحجم موسى بن جعفر، الذي لا يدانيه أحد وتهفو إليه قلوب الناس، لذلك كان هارون يخافه، فوضع عيونا خاصين على وزرائه حتى لا يتواصلوا مع موسى بن جعفر، وعلي بن يقطين يتولى موسى بن جعفر وبينهما رسائل، لكن الإمام وعده بعدم القتل والسجن.

١٤٦. بحار الأنوار ٤٨: ١٣٦، ح١٠.

مصداق ضمان الإمام

في رواية عن علي بن يقطين يقول: «كنت واقفا عند هارون الرشيد إذ جاءته هدايا ملك الروم»، الامبراطور أرسل تحفا وهدايا لهارون الرشيد، «وكان فيها دراعة ديباج»، دراعة أي ثوب، «سوداء منسوجة بالذهب لم أر أحسن منها، فرآني أنظر إليها فوهبها لي وبعثتها إلى أبي إبراهيم الإمام موسى بن جعفر، ومضت عليها برهة تسعة أشهر، وانصرفت يوما من عند هارون بعد أن تغديت معه، فلما دخلت داري قام إليّ خادمي الذي يأخذ ثيابي وقدم لي بمنديل على يده، وكتاب لطيف ختمه رطب، قال أتاني بهذا رجل الساعة، فقال أوصله إلى مولاك ساعة يدخل»، فاستغرب علي بن يقطين، «ففضضت الكتاب وإذا به كتاب مولاي أبي إبراهيم الإمام الكاظم وفيه: يا علي هذا وقت حاجتك إلى الدراعة وقد بعثت بها إليك، فكشفت طرف المنديل عنها ورأيتها وعرفتها».

بهذه الأثناء، «دخل عليّ خادم هارون بغير إذن»، دخل بلا استئذان، وهذا معناه أن هناك قضية خطيرة، «فقال أجب أمير المؤمنين، قلت أي شيء حدث؟، قال لا أدري، فركبت ودخلت عليه وعنده عمر بن بزيغ»، أحد أعوانه واقف بين يديه، فقال يا علي ما فعلت بالدراعة التي وهبتك؟، قلت خلع أمير المؤمنين كثير من دراريع وغيرها فعن أيها تسألني؟»، حتى يبعد الشبهة عن نفسه، «قال دراعة الديباج السوداء الرومية المذهبة، فقلت ما عسى أن أصنع بها، ألبسها في أوقات وأصلي بها ركعات، وكنت دعوت بها عند منصرفي من أمير المؤمنين»، ألبسها وأصلي بها ركعات، وهنا التقية بسبب الخوف على الحياة؛ وكنت الآن دعوت الخادم ليجلبها لي، «فنظر إلى عمر بن بزيغ»، عمر كان جاء بالتقرير لهارون وذكر أن الدراعة أرسلها للإمام الكاظم، وما كان من هارون إلا أن أرسل إلى ابن يقطين، فتعجب هارون وعمر بن يزيغ، «فقال عمر قل يحضرها»، لأنه متأكد بحسب تقاريره أنها أرسلت للإمام الكاظم، «فأرسلت خادمي فجاء بها فلما رآها قال يا عمر ما ينبغي أن تنقل عن علي بعد هذا شيئا»، حصل تصريح من الحاكم برفع الملاحقة والرصد عن علي بن يقطين، «قال فأمر لي بخمسين ألف درهم، حتى يعوضني عن الاتهام، «حُملت مع الدراعة إلى داري، قال وكان الساعي ابن عم لي فسود الله وجهه وكذبه»[١٤٧]. لقد وفى الإمام بوعده لعلي بن يقطين وأنقذه من هذا الموضوع.

١٤٧. بحار الأنوار ٤٨: ٥٩، ح٧٢.

أعوان الظالمين يحشرون معهم

قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة والأعوان للظلمة، من لاقى لهم دواة أو ربط لهم كيسا أو مد لهم مدة حشره معهم»[١٤٨]، أبسط القضايا التي تعملها تجعلك من الظلمة، فمن أعان الظلمة صار منهم.

قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «الفقهاء أمناء الرسل»، الفقيه العالم أمين على الرسالة، «ما لم يدخلوا في الدنيا»، علماء فقهاء دخلوا في الدنيا، «قيل وما دخولهم في الدنيا قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اتّباع السلطان»، وضعت الآلاف المؤلفة من الروايات على لسان رسول الله إرضاء للسلطان، «فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم»[١٤٩]، لا تسلموا دينكم بيد هؤلاء، فهؤلاء ليسوا علماء وإنما أدعياء علم، فالعمامة قماش يُشترى، والقيمة ليست بالقماش، بل بالسلوك والأداء والمسؤولية، فإن كان من أهل المسؤولية فهذا من العلماء، وإن كان يبحث عن دنيا ومستعدا لأن يضيع كل شيء من أجل الدنيا، فهؤلاء أدعياء العلم، فلا تسلموا لهم دينكم، لأنكم بذلك تضيعون دينكم. هذه هي أهم النصوص الواردة في هذا الموضوع.. وللحديث صلة.

١٤٨. بحار الأنوار ٧٢: ٣٨٠، ح٤١.
١٤٩. الكافي ١: ٤٦، ح٥.

الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

حق اليد

((وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللهِ الْعُقُوبَةَ فِي الآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللائِمَةِ فِي الْعَاجِلِ، وَلا تَقْبِضَهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِلُّ لَهَا وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ فِي الآجِلِ.))

كفها عن الحرام

كان حديثنا في الأيام الماضية عن رسالة الحقوق لسيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد انتهينا من الحق السادس من هذه الحقوق، وهو حق الرِّجل على الإنسان، واليوم ننتقل إلى الحق السابع وهو حق اليد، في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وأما حق يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك»، لا تمد يدك إلى ما لا يحل ولا يجوز، «فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن الناس بلسان لائمة في العاجل»، إذا استخدمت أو مددت يدك إلى الحرام فستنال العقوبة في العاجل؛ في الدار الآخرة من الله، وستنال الملامة من الناس في هذه الدنيا، فالناس يشيرون إلى سلوك من

يبسط يده إلى الحرام ويعاتبونه، فلا ترتكب بيدك المعصية بأن تمدها نحو الحرام، لئلا تواجه العقوبة الآخروية من الله والملامة الدنيوية من الناس.

بسطها في الواجب وكفها عن الشبهة

«ولا تقبضها مما افترض الله عليها»، كما لا تبسطها نحو الحرام، فلا تقبضها عما يجب عليها ان تفعل، فهناك واجبات على اليد أن تقوم بها وهناك عمل يجب أن تقوم به وتحققه، «ولا تقبضها مما افترض الله عليها مما جعله الله واجبا عليها، ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما يحل لها»، وقار هذه اليد ليس فقط في أن تعمل الواجب وتكف عن الحرام، بل أن تقبضها عن كثير مما يحل لها، أشياء ليست حراما لكنها قد تكون مكروهة أو من موارد الشبهة، فالقضية التي فيها شبهة وفعلها مكروه، اقبض يدك عنها كما تقبض يدك عن الحرام، «وتبسطها إلى كثير مما ليس عليها»، وكما تمد يدك إلى الواجب والى ما فرض الله، عليك أن تمد يدك إلى أمور ليست واجبة، ولكنها مستحبة مسنونة، فابسط يدك إلى المستحب أيضا.

«فإذا هي قد عقلت وشرّفت في العاجل»، إذا كسبت هذه اليد العقلنة والشرف، لشرف صاحبها الذي يحرك هذه اليد، فعقلنة اليد بعقلانية وسلوك صاحبها، فإذا تعاملت بحالة عقلائية وتشرفت بحسن العمل لشرف صاحبها، «وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل»، في الدار الآخرة.

أصناف أعمال اليد

نفهم من هذه العبارات الكريمة لسيد الساجدين أن هناك أفعالا يجب أن تفعلها هذه اليد، وهناك ما يحرم أن تفعله ويجب أن تُقبض عنه، وهناك أفعال يُستحب أن تفعلها، وهناك أفعال يُكره أن تفعلها، فهناك الواجب وهناك المستحب، وهناك الحرام وهناك المكروه ومورد الشبهة الذي يجب أن تقبض عنه وتمسك عنه ولا تقع فيه. هذه الحالات التي تمر على اليد، وأداء حقها هو الإيفاء بهذه الأحكام الشرعية من واجب وحرام ومكروه ومستحب في حركة اليد، واليد ترمز لعملية نقل الشيء من موضع لآخر، . . . ولذلك لا بد لنا من أن نتحدث في عدة أمور حينما نستعرض هذا الحق.

الأمر الأول: المعنى الحقيقي لما يجب وما يحرم وما يستحب وما يكره أن تقوم به هذه اليد.

الأمر الثاني: الآثار المترتبة على اليد، فاليد تقوم بشيء فيترتب أثر ما، قد يكون إيجابيا وقد يكون سلبيا.

الأمر الثالث: المعنى الكنائي؛ فأحيانا تُستخدم اليد ولا يراد بها هذا العضو فقط، بل يراد بها ما وراء هذا العضو، فنقول هذا له يد في هذه القضية، ونعني أنه متورط بهذا العمل وله بصمات فيه، وقد لا يكون استخدم يده، بل دعا بلسانه إلى شيء ما فأصبح شريكا في العمل، فالذي يشترك في عمل ما، يقال إن له يداً في هذا العمل.

أحيانا تُستخدم اليد بمعنى القوة: ﴿عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[١٥٠]، بمعنى أن المسلم يكون بموقع العلو، ويقال هذا عنده يد أي هو مقتدر: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١٥١]، فالله تعالى ليس له عضو بهذا المعنى، ولكن يد الله تعني قدرة الله، فتستخدم بمعنى القوة والقدرة.

وأحيانا تُستخدم اليد بمعنى الاعتداء والتجاوز على الحرمات، وأحيانا تعني تضييع شيء من الحقوق، وكل هذه معان كنائية.

روايات في الاستعمال السلبي لليد

في المحور الأول، حينما تقوم اليد بفعل محرم أو مكروه، وكان عليها أن تُقبض عن هذا الفعل، هناك مجموعة من الروايات في الإشارة إلى استخدام اليد في بعدها السلبي.

خيانة أمانة المسؤولية

في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر: «ثم تفقّد أعمالهم»، يا مالك، تفقّد أعمالهم، ولا تعطِ أمرا ديوانيا للمسؤولين وتتركهم، بل تفقّد أعمالهم وقم بعملية التقييم والتفتيش والمراجعة والرصد؛ هل يحسنون الأداء أو لا؟، «وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء»، واستخدم من يقومون بدور التفتيش، ولكن من أهل الصدق والوفاء، بأن يكونوا صادقين وأوفياء، لا يقدمون تقارير كيدية، أو تقارير غير صحيحة، ضد الكفوء والقدير والمخلص، ولسوا كمن يسترون على الناس المرتشين وغير الكفوئين لأنهم يقدمون لهم الرشوة، ويقدمون تقارير جيدة وغير واقعية عنهم، فحينما تصل هذه التقارير إلى المسؤول يقوم بإبعاد الجيدين والأكفاء اعتمادا على التقرير، أما المرتشون والانتهازيون والنفعيون فيبقيهم ويرفعهم أكثر وأكثر فيحصل البلاء.

---

١٥٠. سورة التوبة: الآية ٢٩.

١٥١. سورة الفتح: الآية ١٠.

يجب أن يكونوا من أهل الوفاء، ولا يعطون تقارير غير واقعية ولا يوقعوك يا مالك. . يا حاكم. . لا يوقعوك في التغرير ولا يضحكوا عليك، فأهل الصدق والوفاء هم العيون الذين يجب أن تستخدمهم، «فإن تعهدك في السر أمورهم حدة لهم على استعمال الأمانة»، تتابع شؤونهم وتتأكد من أدائهم هذا يحدهم ويشجعهم على أن يتعاملوا بأمانة مع الناس، «على استعمال الأمانة والرفق بالرعية»، فالمواطن يكون هو تاج الرأس ويكون هو المعزز والمكرم، والمسؤول هو الذي يخدم المواطن، «والرفق بالرعية»، مدير عام يقول للمواطن سيدي ماذا تأمر، وهذا هو الصحيح.

«وتحفّظ من الأعوان»، كن على حذر من البطانة، من معاونيك ومستشاريك ومن مكتبك وحاشيتك وفريقك، فهؤلاء قد يكونون أول البلاء ومنهم تبدأ المشكلة، فيجب أن يكون فريقك جيدا وقويا ويوصل لك الأمور بصدق ويوصل لك الحقيقة وإن كانت لا تعجبك، «وتحفّظ من الأعوان فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة»، مد اليد للخيانة وهذا من الحرام الذي يجب أن يترك، ويجب قبض اليد عن الخيانة واستخدام اليد بشكل سلبي، «فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك»، جميع التقارير من الصادقين الأوفياء اجتمعت وأكدت أن هذا خائن، فالدليل متكامل والتقارير صادقة من أناس أوفياء اجتمعوا، وإذا اختلفوا على أحد من الفريق يتم تشكيل لجنة إضافية، واعتمد على نفسك، ولكن إذا أجمعوا على كلمة واحدة؛ أن هذا غادر وخائن، فلماذا أسلّمه السجون إذا كان خائنا؟!.

المبادرة إلى عقاب الخائن

لماذا تنتظر حتى تقع الواقعة، وفي ذلك الوقت، تقول هذا مخترق وهذا خائن وهذا عليه ملف منذ البداية؟، فحين هرّب أكثر من ٥٠٠ من عتاة القاعدة والإرهابيين تذكرنا هذا المسؤول، فلماذا سلّمته هذه السجون الخطيرة؟. حينما لا نعمل بالمنهج الصحيح نقع في المطبات.

«فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك»، جميع عيونك أجمعوا على وجود هذه الخيانة، «اكتفيت بذلك شاهدا»، تعتمد على هذه البينة، ولا تقل هذا صاحبي أو (خطية)، فالأهم هو الشعب والمشروع والوطن، «فبسطت عليه العقوبة في بدنه»، إذا ثبتت الخيانة بشكل وأدلة واضحة وبينة، لا تمهل هذا الخائن واتخذ إجراء صارما بحقه، «وأخذته بما أصاب من عمله»، وعاقبه على هذا العمل السيئ، هذه الخيانة، «ثم نصبته بمقام المذلة» اجعله عبرة لمن اعتبر، «من أمن العقوبة أساء الأدب».

قالوا في هذه السجون ٨٠٠ شخص محكوم عليهم بالإعدام وإجراءاتهم متكاملة، فلماذا تبقيهم وكل واحد منهم قتل العشرات والمئات من أبناء شعبنا؟، نفذ حكم الله والقانون وأنزل العقوبة بهذا المجرم، لماذا تتركهم ثم يخرجون؟، «ثم نصبته بمقام المذلة فوسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة»، لا تستطيع أن تدير الأمور بالإفراط في اللين، فتواضع للناس وقدم لهم الرعاية والاهتمام، أما الخونة والغادرون الذين يأخذون الامتيازات والوجاهات ويلتفون حول الحاكم ويسيئون إلى الناس، فلا تأخذك بهم رأفة، هكذا يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

استعمال نعمة الله في عصيانه!

في رواية عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعلمنا فيها دعاء نقرأه بعد صلاة المغرب، في بحار الأنوار: «اللهم تقبل مني ما كان صالحا وأصلح مني ما كان فاسدا»، إذا كان هناك انحراف أو شطط في عملي فأصلحه لي يا ربي، فلا أريد أن أخطئ أو أذنب أو أعصي، «اللهم لا تسلطني على فساد ما أصلحت مني»، حينما تصلح عملي لا توفر لي فرصة أن أقوى على فعل الحرام والخطأ من جديد، إن رأيت الحرام لا استطيع أن أغمض عيني والعياذ بالله، فلا تمكني من أن أفسد ما أصلحته من فسادي، «وأصلح لي ما أفسدته من نفسي»، وإذا أخطأت مرة ثانية فارجع يا ربي وأصلح لي، «لأنك أنت القادر على إصلاح عبادك».

«اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك»، إني أنظر للحرام بنعمة العين التي أعطيتني أنت يا ربي، فحتى المعصية التي أعملها أعملها بنعمة أنت وفرتها لي يا إلهي، وأسمع الحرام بالأذن التي منحتني إياها، وهكذا جميع الأفعال المحرمة الأخرى، «ونالته يدي بفضل نعمتك»، هذا الذنب نالته يدي ووصلت إليه وحققته بفضل نعمتك، فأنت أعطيتني نعمة اليد والقوة والعافية فارتكبت بها هذه المعصية. إذن، فاليد تنال الذنب وتنال المعصية والعياذ بالله، حينما تُستخدم استخداما خاطئا.

«وبسطت إليه يدي»، بسطتها إلى المعصية والذنب، «بسعة رزقك» برزقك وعافيتك، ففعل الحرام يحتاج إلى أموال، والإنسان يشتري شيئا محرما ويشربه أو يأكله، يدفع أموالا حتى يذهب إلى مكان محرم، وهذه الأموال أتتني برزقك لكني عصيتك بها، برزقك وقعت في هذا الحرام وهذه المعصية، «إذا بسطت إليه يدي»، بسط اليد نحو المعصية والذنب واستخدام اليد في الحرام، «واحتجبت فيه عن الناس بسترك»، حتى هذه المعصية حينما أخفيتها عن الناس فبسترك، فأنت خير الساترين، فبنعمتك عصيتك ومع ذلك سترت عليّ أنت فلم أنكشف وأفتضح، فأنت ستار العيوب، «واتكلت فيه على كريم عفوك»، جرّأني

على فعل المعصية كرمك وعفوك المتكرر عني، فكلما أخطأت عدت عليّ بالصفح والعفو عني، والغفران والتوبة عليّ وفتح صفحة جديدة معي.

الاستغفار من أفعال اليد

«اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه وندمت على فعله واستحييت منك وأنا عليه»، إلهي، أستغفرك من كل ذنب خجلت من نفسي أن صدر مني هذا الذنب تجاهك، والإنسان أحيانا يرتكب معصية معينة فيخجل من نفسه، ويتوب من ذنبه ويندم على فعله.. إذن لماذا تعمل الذنب؟، النفس تضعف؛ أنظر إلى حرام فيه لذة وشهوة وحينما ينتهي لا يبقى الا الندم والحسرة والبكاء وانكسار القلب؛ إلهي أستغفرك من كل ذنب أندم عليه.. من كل ذنب استحي من فعله، «ورهبتك وأنا فيه»، أستغفرك من كل ذنب أخاف منك وأنا في حال وقوعه، إذ يخاف من وقوع العذاب بسرعة.. يعمل الذنب ويخاف من العقوبة، «راجعته وعدت إليه»، كنت خائفا وخجلا منه ونادما عليه، وأنت غفرت لي ورجعت مرة ثانية ووقعت فيه من جديد.

هناك من يمد يده وعينه إلى أعراض الناس، ويمد لسانه ويهتك أعراضهم، وهو بحاجة إلى قوة حتى يقلع عن هذه الانتهاكات بحق الناس، «اللهم إني أستغفرك من كل ذنب علمته أو جهلته»، هناك ذنوب يعملها الإنسان ولايدري أنها ذنوب، اللهم اغفر لي الذنوب التي أعملها عن علم أو جهل، «ذكرته أو نسيته»، هناك ذنب يعمله الإنسان ويبقى في باله ويستغفر الله، وهناك ذنوب ينساها الإنسان، إلهي اغفر لي حتى الذنوب التي نسيتها ولا أدري ما هي واصفح عني، «أخطاته أو تعمدته»، هناك ذنوب يتعمدها الإنسان ويعملها مع سبق الإصرار والترصد، وهناك ذنوب تحصل خطأ وهو نادم عليها، «مما لا أشك أن نفسي مرتهنة به»، لكن نفسي مرتبطة بهذه المعصية، «وإنْ كنت أنسيته وغفلت عنه»، حتى لو نسيته أو غفلت عنه يبقى في ذمتي، إلهي اغفره لي قبل أن أفد عليك، ففي يوم الحساب لا طاقة لي على حسابك.

«اللهم إني أستغفرك من كل ذنب جنيته عليّ بيدي»، ذنب جنيته على نفسي بيدي، وبيدي ورطت نفسي، أحيانا يعقد صفقة خاسرة، فيشتري بيتا ويتضح أن المعاملة فيها مشكلة، فيقول بيدي ورطت نفسي، وهكذا حينما يرتكب الذنب، فهو يجني على نفسه بيده، وفي يوم القيامة هناك من يريد أن يتخلص من الذنوب، فيقول يا رب إن الشيطان ورطني ويظن أن ذلك يخلصه، ولكن هيهات، فالشيطان يتبرأ من فعلك، ويقول إنه ليس له سلطان وهيمنة عليك، وإنما أنت أتيت ركضا إلى الذنب، «إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي»،

فتسقط هذه الحجة وهذا الدليل، وحتى في الدنيا هناك معاص يرتكبها الإنسان ويحملها على آخرين ورطوه، ولكنك أنت كنت تريد هذا الفعل لمصالح معينة.

شياطين الإنس

«وآثرت فيه شهوتي»، قدمت شهوتي فوقعت في هذه المعصية، «أو سعيت فيه لغيري أو استغويت فيه من تابعني»، ورطت أناسا آخرين وحسنت لهم المعصية، والإنسان الذي يوقع الآخرين في الذنوب والمعاصي والجرائم ذنبه أكبر، لأنه عمل الذنب وورط الآخرين، فذنبه أعظم.

البعض منا يصير شيطانا يمشي على رجلين، والبعض منا يصبح شيخ الشياطين! وهو يقود الناس إلى المعصية والرذيلة، «أو كابرت فيه من منعني»، نصحني صديقي بترك هذا الفعل لأنه حرام، ولكنني كابرت وعملت المعصية، «أو قهرته بجهلي أو لطفت فيه بحيلة غيري»، تقربت إلى الذنب بحيلة غيري، «أو استزلني إليه ميلي وهواي»، شهواتي هي التي دفعتني نحو المعصية والذنب.

«اللهم إني أستغفرك من كل شيء أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك»، الهي أتيت إلى هذا المجلس لأسمع موعظة وأتقرب إلى الله، ولكن الشيطان وسوس اليّ بالظهور في الشاشة، لم آتِ لذلك وإنما أتيت لسماع موعظة ونصيحة في شهر رمضان تفيدني في دنياي وآخرتي، ولكن دخل شيء آخر على الخط وأفسد هذا الثواب والأجر بحالة أو بأخرى، «وشاركني فيه ما لم يخلص لك، وأستغفرك على ما عقدته على نفسي ثم خالفه هواي»، إلهي استغفرك من كل أمر طيب قررت أن أفعله واعترضه هواي، وكل عزم عقدته ثم ضعفت نفسي عنه.. ونحن في ليالي القرار، ليالي القدر.. إلهي أسألك أن تغفر جميع الذنوب والمعاصي، من اعتداء وتجاوز على الناس، إلهي أنا الذي أسأت وأخطأت أتيتك في شهر رمضان وأنا في ضيافتك، وأريد أن افتح صفحة جديدة، «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وأعتقني من النار وجُد عليّ بفضلك»[١٥٢]. نسأل الله تعالى أن يجود علينا بفضله الواسع وكرمه العميم.

١٥٢. بحار الأنوار ٨٣: ١٠١، ح٧.

الأمسية الرمضانية السابعة عشرة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

((وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللهِ الْعُقُوبَةَ فِي الآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللائِمَةِ فِي الْعَاجِلِ، وَلا تَقْبِضَهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِلُّ لَهَا وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ فِي الآجِلِ.))

معاني اليد

قلنا إن اليد تشير إلى نقل الشيء من مكان إلى آخر، فاليد تحرك الأشياء من موقع إلى آخر، فالاستخدام الروائي وفي الآيات يشير تارة إلى هذا المعنى الحقيقي لبسط اليد أو قبضها، وتارة يراد من اليد الآثار المترتبة على اليد، وتارة ثالثة تستخدم اليد كناية عن القوة والقدرة؛ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١٥٣]، فهنا يقصد القوة وليس اليد كعضو، أو يكنى باليد عن التجاوز والاعتداء على الآخرين حينما توظف توظيفات خاطئة، وهذا البعد أو المعنى الكنائي لليد.

١٥٣. سورة الفتح: الآية ١٠.

شواهد روائية في أفعال اليد

بسط اليد في الظلم

استعرضنا في الجلسة السابقة جملة من الروايات التي تتحدث عما هو حرام ومكروه، وعلى الإنسان أن يقبض يده عنه، واليوم نكمل بعض هذه الشواهد.

في رواية جاءت لبيان حجاب علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو دعاء عن الإمام الرضا يقول فيه: «استسلمت مولاي لك»، وضعت نفسي بين يديك، «وأسلمت نفسي إليك وتوكلت في كل أموري عليك»، هكذا يجب أن يكون الإنسان.

يسلم وجوده وإرادته وقراره وشؤونه إلى الله تعالى، والله أقدر على أن يحفظ الإنسان في نفسه وعرضه وماله، «وأنا عبدك وابن عبديك، خبّئني اللهم في سترك عن شرار خلقك»، إلهي خبئني في سترك يا ربي، والله تعالى قادر على أن يعمي أعين الظالمين عن الإنسان، نطلب من الله أن يسترنا بستره، «واعصمني من كل أذى وسوء بمنك»، إلهي بلطفك اعصمني من كل سوء، إن نفسي أمارة بالسوء، وأنا لا أريد أن أعصيك، ولكن تضعف نفسي فأتكلم بما هو حرام وأفعل أحيانا ما هو حرام، «واكفني شر كل ذي شر بقدرتك»، أنت يا إلهي القادر على أن تدفع الشرور عني، «اللهم من كادني وأرادني فإني أدرأ بك في نحره»، أتمترس بك يا الله؛ أن تعيد كيده إلى نحره فلا يسيء إليّ.

«واستعيذ منه بحولك وقوتك، وشد عني أيدي الظالمين»، شد عني أي يد تمتد إليّ بالظلم يا إلهي، نسأل الله أن يشد يد الظالم فلا تصلنا. إن اليد أحيانا تمتد للظلم والإساءة والقتل والتفجير والإرهاب وقتل النفس البريئة، اللهم شد عني تلك اليد الظالمة ومكّني منها حتى لا تسيء اليّ، وهذا امتداد اليد وبسطها في ما هو حرام وظلم، «إذا كنت ناصري لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين وإله العالمين أسالك كفاية الأذى»، إلهي تحملنا الكثير من الآلام ووقع على شعبنا الكثير، إلهي في كل يوم كوكبة من الشهداء تُقطّع أشلاؤهم على قارعة الطريق، إلهي نسألك أن تكفينا هذه الشرور، وتكف عنا الأذى، اللهم أنت القادر على أن تكفينا وتحمينا وتسدد وتعين من هو مسؤول عن هذه الأمور في أن يتخذ القرارات الصحيحة.

«أسالك كفاية الأذى والعافية والشفاء والنصر على الأعداء»، النصر من الله تعالى، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[١٥٤]، «والتوفيق لما تحب ربنا وترضى»، الهي، إن الأشياء التي تحبها وتريد أن تراها من عبدك لا نستطيع أن نفعلها إلا بتوفيقك، نسألك أن نكون كما تحب ونحظى بمحبتك، إن محبة الله تعالى لا تنال إلا من يعمل على ضوء هذه المحبة، وعلى ضوء إرادة الله ورضاه، والله هو الذي يعيننا ويدفعنا ويوفقنا لأن نقوم بهذه الأفعال التي يرضى بها، «يا إله العالمين يا جبار السموات والأرضين يا رب محمد وآله الطيبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين»[١٥٥].

بسط اليد في غير موضعه

في رواية أخرى إشارة إلى بسط اليد في غير موضعه، عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما تلقى يوسف يعقوب»، حينا التقوا بعد الفراق الطويل، «ترجل له يعقوب»، كان يوسف، كما تخبرنا بعض النصوص والروايات، في موقف محرج؛ فهو رئيس وزراء في ذلك الوقت والجيوش واقفة في استعراض عسكري كما نعبر اليوم، وضمن البروتوكولات لم يكن مألوفا أن ينزل رئيس الوزراء، ويعقوب لم يكن عنده سمة دبلوماسية، بل كان أبا ونبيا والناس لم تكن تعرف، وترجل يوسف يعتبر خرقا لهذه البروتوكولات، وترجله قد يعرضه إلى شيء من العتاب لخرق البروتوكولات الدبلوماسية كما نعبر اليوم.

يوسف لاحظ هذه الاعتبارات ليس تكبرا أو استعلاء على أبيه وهو نبي من الأنبياء، ولكن لملاحظة هذه الاعتبارات، «ترجل له يعقوب ولم يترجل له يوسف»، لم يسئ يوسف ليعقوب النبي، وإنما ترك الأولى وكان الأفضل ألا يلاحظ هذه الاعتبارات الدبلوماسية ويترجل لأبيه، لا سيما أن أباه كان صدّيقا، ولكنه لم يفعل ذلك... والنتيجة أنهما التقيا وتعانقا، «فلم ينفصلا من العناق حتى أتاه جبرائيل فقال له يا يوسف ترجل لك الصدّيق ولم تترجل له»، الصديق يعقوب نزل لك ولكنك لم تنزل، «ابسط يدك فبسطها، فخرج نور من راحة يده، فقال له يوسف ما هذا؟، قال لا يخرج من صلبك نبي عقوبة»[١٥٦]، النبوة خرجت من ذريتك بهذا الفعل، بترك الأولى، فالله كبر عنده أن يترجل أبوك النبي الصديق ولا تترجل.

١٥٤. سورة آل عمران: الآية ١٦٠
١٥٥. بحار الأنوار ٩١: ٣٧٤.
١٥٦. بحار الأنوار ١٢: ٢٨١، ح٥٨.

هذه قضية مهمة وتربية ودرس لنا، أن العلاقات والاحترام والتبجيل والتقدير فوق كل اعتبار آخر، علينا أن نأخذ الدرس ونعممه على ما هو محل ابتلائنا، فلا يكفي أن تكون متواضعا في داخلك، بل يجب أن تكون متواضعا في سلوكك، يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حُرم من النبوة في صلبه نتيجة هذا الموقف وخرج نور النبوة منه، هكذا هو تأثير مثل هذه المواقف عند الإنسان.

بسط اليد بما هو محمود

بسط اليد للبيعة

حينما يبايع الإنسان من يستحق البيعة يمد يده ويبايع.. لاحظوا هذه الرواية عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه قال: «لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وحضر خروجه إلى بدر دعا الناس إلى البيعة فبايع كلهم على السمع والطاعة وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا خلا»، لا تأتي الناس دفعة واحدة فيحصل فراغ، «دعا عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره من يفي منهم ومن لا يفي»، من الناحية الظاهرية كل من يبايع رسول الله يمد يده ويبايع، ولكن رسول الله كان يعرف من يفي ومن لا يفي وكان يُسرّ عليا بهذا الأمر، «ويسأله كتمان ذلك»، يا علي لا تقل ذلك لأحد من الناس فلن يتحملوا؛ «لو تكاشفتم لما تدافنتم»[١٥٧]، لكن رسول الله يعلم والمصلحة أن عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ يجب أن يعرف هذه الأمور.

ثم دعا رسول الله عليا وحمزة وفاطمة فقال لهم بايعوني بيعة الرضا فقال حمزة بأبي أنت وأمي على ما نبايع، أليس قد بايعنا؟، بايعناك مع الناس فما هي بيعة الرضا التي تخصنا بها نحن الثلاثة، «فقال يا أسد الله وأسد رسوله تبايع لله ولرسوله بالوفاء والاستقامة لابن أخيك لتستكمل الإيمان»، أن تقبل بالنبي خليفة ونبيا، فهذا ما قبله جميع الناس، لكن البيعة منكم أنتم الخواص بيعة الوفاء والثبات والإيمان وليست فقط بيعة الإسلام، فكل إنسان يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يكون قد أسلم، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١٥٨]، فالإيمان مرحلة أعمق، وهناك بيعة المسلمين جميعا، وهناك بيعة الخواص والوفاء والاستقامة. «قال نعم سمعا وطاعة وبسط يده»، بسط اليد لتحقيق هذه البيعة، «فقال لهم ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾»، الله تعالى يرعى هذه البيعة وأنتم

١٥٧. بحار الأنوار: ج٧٤ ص٣٨٣

١٥٨. سورة الحجرات: الآية١٤

صادقون في بيعتكم، «علي أمير المؤمنين وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وفاطمة سيدة نساء العالمين والسبطان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا شرط من الله على جميع المسلمين من الجن والإنس أجمعين»، أن يبايعوا الرسول بيعة الفداء والصدق والثبات، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[١٥٩].

قال: «ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها»، ليلة استهداف حمزة سيد الشهداء واستشهاده، «دعا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: يا حمزة يوشك أن تغيب غيبة بعيدة»، أجلك أصبح قريبا وأنت راحل عنا، «فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى»، إذا انتقلت إلى رحمة الله ماذا تقول هناك؟، «وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟»، حمزة حينما عرف أن النهاية قد دنت ولا بد من أن يحضر جوابا بكى، وقال: «بأبي أنت وأمي أرشدني»، علمني حتى يكون جوابي واضحا يوم القيامة بما يريده الله تعالى.

«فقال: يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأني رسول الله تعالى بالحق، قال حمزة: شهدت، قال: وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الصراط حق والميزان حق، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وفريق في الجنة وفريق في السعير». هذه المبادئ والعقائد تؤمن بها، «وأن عليا أمير المؤمنين، قال حمزة: شهدت وأقررت وآمنت وصدّقت، وقال: الأئمة من ذريته الحسن والحسين وفي ذريته، قال حمزة آمنت وصدّقت، وقال: فاطمة سيدة نساء العالمين، قال نعم صدقت، قال: حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه، فبكى حمزة حتى سقط على وجهه»، ضج بالبكاء، «وجعل يقبل عيني رسول الله، وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وأن محمدا وآله خير البرية، تؤمن يا حمزة بسرهم وعلانيتهم وظاهرهم وباطنهم وتحيا على ذلك وتموت، توالي من والاهم وتعادي من عاداهم، قال نعم يا رسول الله أشهد الله وأشهدك وكفى بالله شهيدا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سددك الله ووفقك»[١٦٠]، إذا كنت تؤمن بهذه الأشياء، فأنت إذن عابر على الصراط، فهذه هي العقائد التي يجب أن تشهد بها لله تعالى، فهذا بسط اليد للبيعة.

---

١٥٩. سورة الفتح: الآية١٠

١٦٠. بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٨، ح٣٢.

آثار الولاية الصادقة

في رواية أخرى في بحار الأنوار عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بينا أمير المؤمنين يوما جالس في المسجد وأصحابه حوله فأتاه رجل من شيعته فقال يا أمير المؤمنين إن الله يعلم أني أدينه بحبك في السر كما أدينه بحبك في العلانية»، الله يعلم أني أدين الله بحبك في السر والعلانية وأنا صادق في حبي، وهكذا يجب أن يكون الحب في الله، يدين الله بحبه لأولياء الله وأوصيائه، «وأتولاك في السر كما أتولاك في العلانية»، ليس فقط محبة يا أمير المؤمنين وإنما أطيعك والتزم بما تقول وأسير على نهجك، «فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: صدقت».

هذه شهادة من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان صادقا في حبه بالسر والعلن، إذن، ما هو الأثر المترتب، «أما فاتخذ للفقر جلبابا»، وهو الخليفة وبيده بيت المال، «فإن الفقر أسرع إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي»، الفقر يسرع إلى شيعتنا أسرع مما يتحرك السيل نحو الوادي، لأن من يتولانا يجب ألا يمد يده للمال الحرام وليس عنده فساد مالي ويقنع بالقليل وينفق بوجه الخير، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أول من يطبق هذا الكلام، «قال فولى الرجل وهو يبكي فرحا»، بهذه البشارة وتصديق أمير المؤمنين له بأنه صادق، وهو يبكي فرحا لقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ له صدقت، فالكلمة فرحته كثيرا، أن يكون حبنا وولاؤنا حقيقيا.

«قال رجل من الخوارج يحدّث صاحبا له قريبا من أمير المؤمنين»، الخوارج يحملون العداء والنصب لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنهم كانوا من أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ سابقا، ولكنهم في صفين ضغطوا على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وتفاجؤوا بالنتائج فارتدوا عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه سار على ما أرادوه هم بضغطهم وتهديدهم بالقتل لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فقال أحدهما لصاحبه تالله إن رأيت كاليوم قط»، لم أر يوما مثل هذا اليوم؛ إنه أتاه رجل فقال له: صدقت»، أتى هذا الشخص فصدقه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فقال له الآخر: أنا ما أنكرت من ذلك، لم يجد بدا من أن إذا قيل له أحبك أن يقول له صدقت»، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يجامل الرجل!، فكأنهما اختلفا في هذه القضية، هل كان علي جادا وبالفعل شخّص حب الرجل؟، «تعلم أني أنا أحبه؟»، وهذا من الخوارج وينصب العداء لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، «فقال له صاحبه: لا، فقال أنا أقوم فأقول له مثل مقالة الرجل»، أتكلم بنفس كلام الرجل وسوف يقول صدقت أيضا، «فيرد عليّ مثل ما رد عليه، فقام الرجل فقال له مثل مقالة الأول فنظر إليه مليا»، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نظر إليه مليا، «ثم قال له: كذبت لا والله ما تحبني ولا أحبك»، لماذا تكذب؟، أنت منهجك ليس منهج علي ولا تحبه.

«قال فبكى الخارجي فقال يا أمير المؤمنين لتستقبلني بهذا ولقد علم الله خلافه، أبسط يديك أبايعك»، بسط اليد للبيعة، وهو غير صادق، لكنها طريقة لعمل صحيح، «فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله لكأني بك قد قتلت على ضلال ووطئت وجهك دواب العراق»، سوف تقتل بالعراق وتدوسك الناس، «ولا يعرفك قومك»، تموت شر ميتة وقومك لا يستطيعون أن يشخصوك بعد أن تدوسك الخيل بحوافرها، «قال فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وخرج هذا الرجل معهم فقُتل كما أخبر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ»[١٦١]، إذن، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يتكلم بمجاملات، فحينما قال للأول صدقت فلأنه كان صادقا في ولائه ومحبته لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال للثاني كذبت لأنه لم يكن كذلك، بل كان كاذبا في ادّعائه.

مد اليد للشفاء

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أن «عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق»، اهتموا بالمساكين والفقراء، «ونهاهم عن الجبابرة فوجه اثنين إلى انطاكية»، وهي منطقة موجودة في تركيا اليوم، «فدخلا في يوم عيد لهم فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها»، في يوم العيد ينحرون الذبائح لأصنامهم، «فعجلا عليهم بالتعنيف»، نهياهم عن المنكر، فاستغرب الناس، فقد كانوا كفرة، «فشُدا بالحديد وطُرحا بالسجن فلما علم شمعون بذلك»، وهو من الحواريين، «أتى أنطاكية حتى دخل عليهما بالسجن فقال ألم أنهكما عن الجبابرة؟»، في إشارة إلى نهي نبي الله عيسى بن مريم أو شيء من هذا القبيل، «ثم خرج من عندهم وجلس مع الناس، مع الضعفاء»، شمعون جلس مع الضعفاء، «فأقبل يطرح كلامه الشيء بعد الشيء فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه»، وخلال مدة شهرين وصل إلى الدرجات العليا؛ إلى الملك.

«وأخفوا كلامه إخفاء شديدا فلم يزل يتناقل الكلام حتى انتهى إلى الملك»، وصل إلى مسامع الملك أن شمعون ينصح الناس، «فقال الملك: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟، قالوا: منذ شهرين، فقال: عليّ به»، نتيجة للتكتم لم تصل القصة بالكامل للملك، «فأتوه، فلما نظر إليه وقعت عليه محبته فقال لا أجلس إلا وهو معي»، أحب شمعون، «فرأى في منامه شيئا أفزعه»، رأى الملك حلما مزعجا، «فسأل شمعون عنه فأجاب بجواب حسن فرح به»، فسر له الحلم، فاعتز الملك أكثر بشمعون وقربه منه أكثر، «ثم ألقي عليه في المنام ما أهاله مرة أخرى»، شيء آخر أفزعه في منام آخر، «فأوله

١٦١. بحار الأنوار ٤١: ٢٩٤، ح١٧.

له شمعون فازداد سرورا»، فسره تفسيرا مريحا وبشره بنتائج مريحة.

«فلم يزل يحادثه حتى استولى عليه»، أثر شمعون في شخصية الملك نتيجة المجالسة والحديث والمنطق الذي يمتلكه، «وكان شمعون بهذا التقرب إلى الملك يريد أن يخلي سبيل هذين الرجلين من المؤمنين من جماعة عيسى بن مريم، «ثم قال: إن في حبسك رجلين عابا عليك»، تحدثا بحديث أزعجك وسجنتهما، «فقال نعم، فقال: فعليّ بهما، فلما أُتِي بهما قال: ما إلهكما الذي تعبدان؟»، أنتما تقولان لا تعبدوا آلهة الملك وعندكما إله آخر، فمن هو إلهكما؟»، وبالطبع كان شمعون يعرف، ولكنه يريد أن يسمع الملك هذه الحجة، «قالا: الله»، نحن نعبد الله وليس الأصنام والأوثان. قال: «يسمعكما إذا سألتماه؟»، إذا تكلمتما مع الله فهل يسمعكما؟، «ويجيبكما إذا دعوتماه؟، «قالا: نعم، قال شمعون: فأنا أريد أن استبرئ ذلك منكما»، أريد أن أعرف ذلك منكما وأتأكد بالفعل أن ربكما يسمع كلامكما ويجيب دعواتكما «قالا: قل»، اسأل، «قال: هل يشفي لكما الأبرص؟».

هل يستطيع ربكما أن يشفي المريض بمرض البرص؟، «قالا: نعم، قال، فأُتِي بأبرص فقال: سلاه أن يشفي هذا، قال فمسحاه فبرئ، قال: وأنا أفعل مثل ما فعلتما»، يريد أن يؤكد القضية عند الملك، «قال فأُتِي بآخر فمسحه شمعون فبرئ»، بإذن الله، بنفس السبب، وهذه كلها طريقة حتى يستهوي الملك، «قال: بقيت خصلة إن أجبتماني اليها آمنت بإلهكما، قالا: وما هي؟، قال: ميت تحييانه، قالا: نعم»، هنا دخل شمعون إلى الملك من الشيء الذي يفهمه ويؤثر به أكثر، «فأقبل على الملك وقال ميت يعنيك أمره؟»، هل هناك ميت أنت مهتم به؟، «قال: نعم ابني»، وكان متعلقا به تعلقا شديدا، «قال: اذهب بنا إلى قبره فإنهما قد أمكناك من أنفسهما»، وكأنه صار نقاش حول الذهاب إلى المقبرة، «فتوجهوا إلى قبره فبسطا أيديهما فبسط شمعون يديه فما كان بأسرع من أن صدع القبر وقام الفتى».

شمعون والآخرون ممن هم من أتباع عيسى يحيون الموتى بإذن الله وإرادته بمسحهم على القبر، «فأقبل على أبيه فقال أبوه: ما حالك؟، قال: كنت ميتا ففزعت فزعة فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطو أيديهم يدعون الله أن يحييني»، مدّوا أيديهم بالدعاء والطلب من الله أن يحييني، «وهما هذان وهذا، فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين»، أنا مؤمن بإلهكما، قالها بعد أن رأى الملك ما حدث واطمأن لشمعون.

الحكمة والموعظة الحسنة

في النصيحة لا يكفي أن تقول وتنصح، بل يجب أن توفر المناخ والبيئة الملائمين لقبول النصيحة، ويجب أن تعزز الثقة أوّلًا، فلو كان شمعون قال منذ اليوم الأول للملك عليك أن تؤمن بالله تعالى كما فعلها الرجلان قبله، لما نجح مسعاه، لكن شمعون دخل وتحدث معه وفسر له بعض أحلامه ودخل إلى قلبه، ثم استدرجهم بعنوان غير المؤمنين بالله، إلى أن أحيى ابنه ووثق به الملك، «فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين، فقال الملك: أنا بالذي آمنت به يا شمعون من المؤمنين»، الملك عنده ثقة بشمعون فآمن بالرب، «وقال وزراء الملك: ونحن بالذي آمن به سيدنا من المؤمنين، فلم يزل الضعيف يتبع القوي». بدأ من الضعيف إلى القوي، وحينما آمن الملك آمن الوزراء، وحينما آمن الوزراء آمن من هم دونهم وهكذا نزلت من القوي إلى الضعيف، «فلما يزل الضعيف يتبع القوي فلم يبق بأنطاكية أحد إلا آمن به»[١٦٢]، بالله تعالى، وبهذا يتبين أن طريق الطاعة يحتاج إلى سعة صدر وإلى جهد وعناء، وإلى وقت ومراحل. إن بسط اليد للبيعة واحد من الموارد التي تتحرك بها اليد لتكون سببا في نجاة الإنسان وكماله، وهو حق من حقوق اليد.

١٦٢. بحار الأنوار ١٤: ٢٥٢، ح٤٤.

الأمسية الرمضانية الثامنة عشرة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك لكم في هذا الشهر الفضيل وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر، وألا نكون من المحرومين. قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ صدق الله العلي العظيم.

في رحاب ليلة القدر

ليلة عظيمة، وما أعظمها من ليلة، يُقدّر فيها عمل الإنسان لسنة كاملة، «فيها يفرق كل أمر حكيم»[١٦٣]، ليلة الفصل، ليلة القرار، ليلة التقدير، الليلة التي تُحدد فيها مساراتنا لسنة كاملة، كيف يجب أن نكون في مثل هذه الليلة، كيف يجب أن نستعد لإدراك حقيقة هذه الليلة؟. المسؤولية عظيمة، والحدث كبير، والآثار المترتبة عميقة وعظيمة، إن أحسنا العمل في هذه الليلة وكنّا بمستوى المسؤولية، وإن أدركنا حقيقة هذه الليلة، فحين يطلع الفجر نكون قد سجلنا لأنفسنا تقديرا إلهيا يدفع بنا سنة كاملة في طاعة الله وفي خدمة عباد الله، وان لم نستثمر هذه الليلة، فقد يكون التقدير باتجاه آخر.

١٦٣. سورة الدخان: الآية ٤

نزول القرآن في ليلة القدر

نلاحظ في القران الكريم أن هناك نوعين ونمطين من الآيات الشريفة؛ بعض الآيات تشير إلى أن القران نزل في ليلة القدر، كما في سورة القدر؛ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [١٦٤]، فالقران نزل في ليلة القدر بحسب هذه الآية الشريفة، وأيضا في سورة الدخان، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [١٦٥]، ليلة إنذار، ولكن القران ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، في ليلة مباركة.

في قبال ذلك هناك واقع لاحظناه؛ أن القرآن نزل على مدار ٢٣ عاما، وكلما كان يحصل حدث تنزل فيه آية من القران الكريم، حتى أن المفسرين اليوم يعبرون عن الحدث الذي جاءت فيه هذه الآية أو تلك بشأن النزول، فيقال إن شأن نزول هذه الآية هو هذه الحادثة أو تلك أو هذه القضية، وهكذا خلال ٢٣ سنة كانت تنزل الآيات القرآنية الشريفة، واكتمل نزول القران في ٢٣ عاما، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث»، فرقناه يعني بيناه، فصلناه، شرحناه، على مكث: على حالة من التأني، على مهل، في مدة طويلة، ٢٣ سنة.

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [١٦٦]، (تنزيل) في اللغة العربية على وزن (تفعيل)، نزّل ينزّل تنزيلا، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، (إنزال) على وزن (إفعال)، أنزل يُنزل إنزالا، فكأنه كلما استخدمت مفردة نزول القران على وزن (إفعال)، (إنزال)، كان ذلك بمعنى الحالة الدفعية، وكلما استخدمت على وزن (تفعيل)، (تنزيل)، كان ذلك بمعنى التدريج، وهذا معناه أن لدينا نزولين للقرآن الكريم؛ نزول دفعي، فحقيقة القرآن نزلت على رسول الله في ليلة القدر؛ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١٦٧]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[١٦٨]، هذا النزول الدفعي حقيقة القرآن على إجماله، ثم فصلت هذه الحقيقة وشُرحت ووضحت على مدار ٢٣ عاما، كما في سورة الإسراء؛ ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾، وهذه حقيقة الجمع بين هذين النمطين من الآيات الشريفة.

---

١٦٤. سورة القدر: الآية١

١٦٥. سورة الدخان: الآية٣

١٦٦. سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

١٦٧. سورة القدر: الآية١.

١٦٨. سورة الدخان: الآية ٣.

عظمة ليلة القدر

يُلاحظ أن بعض الآيات تقول إن القران نزل في شهر رمضان، وآيات تقول إن القران نزل في ليلة القدر؛ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وعندما نجمع هذه الآيات يظهر لدينا أن ليلة القدر في شهر رمضان، حتى يتم الجمع بين هذين الأمرين، فإذا نزل في ليلة القدر وكانت ليلة القدر في شهر رمضان، يكون القرآن قد نزل في شهر رمضان أيضا، ولكن، أي ليلة من شهر رمضان هي ليلة القدر؟.

الآيات القرآنية لا تشير إلى ذلك، وهو متروك للروايات التي جاءت لتدلل على تحديد ليلة القدر أيَّ ليلة هي؛ «إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر»، تكررت (ليلة القدر) ثلاث مرات في هذه الآيات، وفي اللغة العربية عندما يُذكر الاسم المرة الثانية لا يعاد، بل يضعون له ضميرا «إنا أنزلناه في ليلة القدر(وهي) خير من ألف شهر»، فيضعون له ضميرا، ولكن في هذه السورة الكريمة جاء الاسم وتكرر ثلاث مرات؛ «إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر» ولم يقل (ما هي)، «ليلة القدر خير من ألف شهر»، وهذه إشارة إلى منزلتها الرفيعة والى جلالة قدرها.

ليلة القدر عظيمة، فلا يشار إليها بضمير حتى لو تكررت ثلاث مرات، وهذا يدل على الأهمية، فتكرار اسم (ليلة القدر) ثلاث مرات في آيات واحدة تتلو الآخرى، لبيان مقدارها ومنزلتها الرفيعة، «ليلة القدر خير من ألف شهر»، أي أن العمل في ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ليلة القدر.. هدية الله

بعض الروايات تقول إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأى، ليس في عالم الرؤيا، بل في عالم الكشف، رأى أن بني أمية يرتقون منبره ويضلون الناس، فتألم وحزن وانقبض، فنزل عليه جبرائيل وسأله؛ يا رسول الله ما الأمر؟، فقال يا جبرائيل هكذا رأيت؛ أن بني أمية يرتقون منبري، فما معنى ذلك يا جبرائيل؟، فقال جبرائيل لا أعرف هذه، حتى أرى ماذا يقول رب العالمين، فصعد إلى السماء، ونزل ومعه سورة القدر، هدية من الله ليطمئن رسوله؛ «إنا أنزلناه في ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر»[١٦٩].

١٦٩. انظر: بحار الأنوار ١٨: ١٢٧. سنن الترمذي ٥: ١١٥، ح٣٤٠٨.

وقد جمعوا مدة حكم بني أمية من أولهم حتى آخرهم، فوجدوها ألف شهر بالتحديد تماما، لا تنقص ولا تزيد يوما واحدا. . . قال الله أعوضك يا رسول الله وأعوض أمتك بليلة القدر، وهذه تلغي جميع محاولات الإضلال والانحراف؛ ألف شهر على المنابر يسبون عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتقربون إلى الله بسب علي، نحن نعالجها لك يا رسول الله بليلة القدر، فنزلت هذه السورة الكريمة تعبيرا عن ذلك.

أيُّ ليلة من ليالي رمضان؟

لاحظوا هذه الرواية عن القاصد بن محمد (أحد الرواة) قال: «كنت عند أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له أبو بصير(من خيرة أصحاب الإمام الصادق): ما الليلة التي يُرجى فيها ما يرجى؟»، التي يرجو فيها الإنسان ما يرجو من الرحمة والمغفرة ومضاعفة الأجر والثواب وتقدير الأمور، الليلة الموعودة، أي ليلة سيدي يا أبا عبد الله؟، «قال عليه السلام: في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين»، ليلة القدر هي الليلة الحادية والعشرون من الشهر أو الثالثة والعشرون منه، «قال أبو بصير: فإن لم أقوَ على تلك؟»، يا أبا عبد الله، إذا كان عندي شغل أو كنت مريضا ولا أستطيع أن أحيي ليلتين، فأيّ ليلة منهما ليلة القدر؟.

لم يقل (ليلتي القدر)؛ «إنا أنزلناه في ليلة القدر»، لماذا تدعها تتراوح بين اثنتين؟، قل لي أي ليلة أحييها إذا لم أستطع إحياء الاثنتين؟، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أيسر ليلتين في ما تطلب»، أي لا تكن هكذا كسولا، فالذي تطلبه من ليلة القدر هو الرحمة والمغفرة وتقدير الأمور لسنة كاملة.

ما أيسر الفعل وأعظم الأجر

إن شركة صغيرة أو دكانا أو مؤسسة صغيرة، لكي تدرس وترتب ميزانيتها السنوية وكشوفاتها الختامية تحتاج إلى أسبوع أو اثنين، وعمل من الصباح إلى الليل، وفي ليلة القدر تنجز حساباتك الختامية لسنة كاملة وموازنة السنة القادمة، فهل أنت مستكثر ليلتين لذلك يا أبا بصير؟، «ما أيسر ليلتين في ما تطلب»، الذي تطلبه شيء كثير، وتريد أن أحدد لك إياها في ليلة واحدة، قم بإحياء ليلتين.

أبو بصير عالم ويعرف كيف يسأل الإمام الصادق؛ قال أبو بصير: «قلت فربما رأينا الهلال عندنا وجاء من يخبرنا بخلاف ذلك في أرض أخرى»، يا ابن رسول الله دعنا عن الليلتين فسنحييهما، ولكن إذا اختلفوا في رؤية الهلال؛ أناس ثبت عندهم الهلال يوم

الأربعاء وأناس رأوه الخميس، فأيهما ليلة إحدى وعشرين مثلا، الأربعاء أم الخميس؟. عند الاختلاف في رؤية الهلال، وفي زماننا يحدث هذا الأمر؛ فهذا المرجع يثبت عنده والمرجع الآخر لا يثبت، ومن يقلدون هذا المرجع يقولون إن شهر رمضان الأربعاء، ومن يقلدون المرجع الثاني يقولون إن شهر رمضان الخميس، فأي ليلة منهما هي ٢١ أو ٢٣ عند الاختلاف في رؤية الهلال؟، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي بصير: «ما أيسر أربع ليال تطلبها فيها».

أربع ليال أحيها حتى تدرك ليلة القدر كما هي، وفي هذه السنة لا اختلاف والحمد لله، فجميع المراجع بل المذاهب الإسلامية في عالمنا الإسلامي كلها بدأت شهر رمضان في يوم واحد، ولكن في السنة التي يكون فيها اختلاف، ما أيسر أن تحيي أربع ليال في ما تطلب؛ فما تطلبه شيء كبير؛ طلب الرحمة والمغفرة من الله يستحق أن تحيي أربع ليال في طاعة الله.

بعد ذلك حاول أبو بصير أن يحصل على كلمة من الإمام الصادق، قال لعلّي أحصل منه على كلمة بدون أن يقصد، قال: «جُعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني؟»، والجهني أعرابي اسمه عبد الله بن الأمين الجهني، أما قصته فهي كما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (صلوات الله عليه) أنه قال: «أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رجل من جهينة»، من عشيرة جهينة، «فقال يا رسول الله، إن لي إبلا وغنما وغلمة، (عمال) وأحب أن تأمرني بليلة أدخل فيها من شهر رمضان»، ليلة واحدة، في أي ليلة آتي وأصلي وأحيي هذه الليلة معك يا رسول الله، «فدعاه رسول الله ليُسرّه»، لم يتكلم رسول الله أمام الناس لكي لا يعرف الناس أي ليلة يحيون، هل هي ٢١ أو٢٣، فدعاه رسول الله فأسره في أذنه، فرأى الناس أنه عندما قال الرسول ذلك للجهني أنه «إذا كانت ليلة ٢٣ دخل الجهني بإبله وغنمه وولده وغلمته فبات تلك الليلة بالمدينة، فإذا أصبح خرج بمن دخل معه ورجع إلى مكانه»، عندما رأوا الرسول يسره وجاء ليلة ٢٣ من شهر رمضان، عرفوا أن ليلة ٢٣ هي ليلة القدر الكبرى.

وهنا يسأل أبو بصير الإمام الصادق بعدما لم يجبه؛ «قلت: جُعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني؟»يعني التي أسرها الرسول للجهني، وبعد أن وضع الإمام في الزاوية كما يقال، بعد ذلك قال (عليه السلام): «إن ذلك ليقال»، هكذا يقال، وعندما يقول الإمام، فهذا يعني أن هذا ما قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، «قلت: إن سليمان بن خالد روى أنه في تسعة عشر يكتب وفد الحجاج»، يعني أن سليمان بن خالد يروي عنكم، أن ليلة ١٩ يكتب فيها من هو من أهل الحج هذه السنة.

التقديرات الإلهية في ليلة القدر

البعض يعتقد بأن من لديه (فيشه) من هيئة الحج والعمرة فسيذهب قطعا إلى الحج، ومن ليس لديه لا يذهب، من قال لكم هذا؟، فما أكثر الذين واجههم ما منعهم من الذهاب في اللحظة الأخيرة والفيشة في جيوبهم، فقد يصادف أن ينزلق ويقع على الأرض وتكسر رجله مثلا أو يضيع الجواز ويتأخر عن الحج، وهناك من لم يكن في حسبانه ولم يخطط أنه سيذهب إلى الحج هذه السنة، وفي اللحظة الأخيرة يصله كتاب أو اتصال أو غير ذلك، ليخبره أنه سيكون معهم في الحج هذه السنة، وفي الصباح يقول نعم، وبعد أربع ساعات يكون في الحج، كيف ذلك وكيف ترتبت؟. . هذه تقديرات إلهية.

أبو بصير يقول ذلك للإمام الصادق، ولذلك نحن في شهر رمضان نقول: «اللهم اجعلني من حجاج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام»، نطلب الحج لأنه في شهر رمضان يُتخذ القرار وتُقدر الأمور، وأبو بصير ينقل عن سليمان بن خالد أنه يروي أن قائمة الحجاج تقدر ليلة ١٩، فإذا كانت ليلة القدر يوم ٢٣ فلماذا صار التقدير ليلة ١٩؟، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا أبا محمد يكتب وفد الحاج في ليلة القدر، والمنايا (الوفاة)»، إذا كان منا أحد مقرر له أن يرحل إلى ربه، أطال الله أعماركم في طاعة الله، ففي ليلة القدر تحدد المنايا للسنة القادمة، «والبلايا»، هذا يضيع وهذا يمرض وهذا تحدث له مشكلة أو يفقد عزيزا، ففي ليلة القدر يُتخذ التقدير، «والأرزاق»، تقديرها يكون في ليلة القدر؛ على ماذا ستحصل، من هدية أو نجاح بمشروع أو تقدم، فقرار الأرزاق كلها في ليلة القدر.

«وما يكون إلى مثلها»، من ليلة القدر هذه، إلى ليلة القدر في السنة القادمة، يقدر ماذا يحدث لك من إيجابيات وسلبيات، فالمكتسبات والثغرات والعثرات لدينك ودنياك خلال سنة، تقدر كلها الليلة، «فاطلبها في إحدى وثلاث»، يعني ٢١ و٢٣، «وصلّ في كل واحدة منهما»، في ليلة القدر، في ليلة ٢١ وفي ليلة ٢٣، «صلّ مئة ركعة في كل واحدة منهما»، وليس خمسين ركعة في كل واحدة، «وأحيهما إن استطعت إلى النور»، يعني إلى الفجر، فلا تنم في ليلة القدر وابق مستيقظا لتحيي هاتين الليلتين حتى طلوع الفجر، «واغتسل فيهما»، ويستحب الغسل في ليلة القدر.

التيسير الإلهي في العبادة

«قلت: فإن لم أقدر على ذلك وأنا قائم؟»، سيدي يا أبا عبد الله، أنا كبير والشيب له حصة ولا أستطيع أن أقوم وأقعد ١٠٠ ركعة، «فقال: فصلِّ وأنت جالس»، من

جلوس، «قلت: فإن لم استطع»، ظهري يؤلمني مثلا أو رجلي أو تؤلمني الفقرات ولا أستطيع من جلوس، «فقال: فعلى فراشك»[١٧٠]، انبسط وصلّ وأنت نائم. . صلّ بحسب استطاعتك، ولكن لا تترك هذه الصلاة، فقد ورد الكثير في فضل هذه الـ ١٠٠ ركعة في ليلة القدر.

في رواية أخرى: «كانت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لا تدع أحدا من أهلها ينام تلك الليلة»، في ليلة القدر، حتى الطفل الصغير لا تدعه ينام، فعندما يستيقظ سيتلقى البركات والفيوضات الإلهية. أيها المؤمن، دع أولادك حتى الصغار منهم مستيقظين، والإحياء بحد ذاته من أعمال ليلة القدر، بأن يجمع رب البيت أولاده وزوجته ومن في البيت ويقرأ لهم الدعاء بصوت مرتفع، وإذا كنت لا تعرف الدعاء فالفضائيات تبث هذه الأدعية المسنونة فاسمع الدعاء منها، وفي زماننا والحمد لله توجد الأدعية المأثورة حتى في الموبايلات، وكذلك هناك المسجل، وصوت الدعاء في البيت يُطرد الشياطين ويستنزل الرحمة الإلهية، فليلة القدر ليست ليلة للمسلسلات، اتركها فقط في هذه الليلة، ليلة ٢٣، ليلة القدر، لنقض هذه الليلة بالذكر والدعاء ليقدر لنا التقدير الصحيح.

محروم من حُرم خيرها

«كانت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ لا تدع أحدا من أهلها ينام تلك الليلة وتداويهم بقلة الطعام»[١٧١]، تعلمون أن الإنسان عندما يكون متخوما ينعس فورا وينام، فكانت ليلة القدر لا تدعهم يشبعون وتعطيهم شيئا قليلا من الطعام، لأن الشبعان كثير النوم، فتساعدهم في هذا الموضوع، وفي بعض الروايات أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يرش وجوه النيام بالماء[١٧٢]، وتعلمون أن رش الوجه بالماء أو غسله يُذهب النعاس، فعليك التقليل من الطعام في إفطار ليلة القدر، والتأهب لها من النهار؛ ففي اليوم الذي في مسائه ليلة القدر، تجعل الأطفال ينامون أكثر في النهار، كي لا يشعروا في ليلة القدر بالنعاس ويستفيدوا من الإيحاءات وأجواء ليلة القدر، وتقول»محروم من حُرم خيرها»المحروم الذي يُحرم ليلة القدر والله أعطاك هذه الفرصة العظيمة، فإن سنة كاملة تقديرها في هذه الليلة، لذلك يجب ألا تنام، بسبب مسلسلات أو الجلوس مع

١٧٠. الكافي ٤: ١٥٦، ح٢.
١٧١. بحار الأنوار ٩٤: ١٠.
١٧٢. بحار الأنوار ٩٤: ٩.

الأصدقاء، هي ليلة واحدة فلا تضيعها بغير المفيد، واستفد منها في طاعة الله والاستماع إلى الذكر والدعاء وفي المناجاة، لتحصل على الرحمة الالهية في هذه الليلة.

صبيحة ليلة القدر

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «صبيحة يوم ليلة القدر مثل ليلة القدر فاعمل واجتهد»[١٧٣]، ليس فقط في ليلة القدر، وبعد الفجر ننام ولا نستيقظ حتى صلاة المغرب، فاليوم القادم امتداد لليلة القدر، فأتعب نفسك بالدعاء والمناجاة في يوم ٢١ و٢٣ من شهر رمضان؛ قال سليمان المروزي للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا تخبرني عن (إنا أنزلناه في ليلة القدر) في أي شأن نزلت؟، قال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا سليمان، ليلة القدر يقدر الله (عز وجل) فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من حياة وموت أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم»[١٧٤].

الختم الأخير في ليلة القدر، كما في الكتاب الرسمي (الأمثال تضرب ولا تقاس)، فالأول يكتب والثاني يراجع والثالث يختم، وبعدها تأخذ الكتاب وتخرج، فليلة ١٩ من رمضان ليلة القدر الأولى؛ وفيها التقدير، وليلة ٢١ فيها التصديق على ذلك، وليلة ٢٣ فيها الختم النهائي لما يتم في سنة كاملة.

مائدة الرحمن العامرة

في رواية أخرى، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هذا شهر رمضان، شهر مبارك افترض الله صيامه تُفتح فيه أبواب الجنان»، في كل شهر رمضان، «وتصفد فيه الشياطين»، أيادي الشياطين مغلولة، «وفيه ليلة خير من ألف شهر فمن حرمها حرم»، المحروم من يحرم ليلة القدر، هذا المحروم، كما هو «الشقي الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر»، فإذا دخل رمضان وانتهى ولم يغفر الله لي، فأنا الشقي، كمن دخل على سلطان والنعمة لديه وفيرة ثم يخرج وهو جائع، أو أذهب للنهر وأعود وأنا عطشان، والمشكلة ليست بالنهر لأن فيه ماء، لكن المشكلة بي لأني وصلت إليه ولم أشرب وعدت وأنا عطشان، ومن شهد شهر رمضان ولم يحصل على الرحمة الإلهية فهو المحروم، هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ يردد ذلك ثلاث مرات، «فمن

١٧٣. بحار الأنوار ٩٤: ١١، ح١٦.
١٧٤. بحار الأنوار ٤: ٩٦، ح٢.

حرمها حرم . . فمن حرمها حرم . . فمن حرمها حرم»[١٧٥]، ثلاث مرات يعيدها رسول الله في بيان حجم الخسارة الفادحة لمن يكون في ليلة القدر ولا يدركها ولا يستفيد من روحانيتها وأجوائها .

قال رسول الله : «من صام شهر رمضان إيمانا واحتسابا» ، قربة إلى الله ، «غفر الله له ما تقدم من ذنبه» ، يمسح جميع ذنوبه ويعود كيوم ولدته أمه ، «ومن صلى ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله ما تقدم من ذنبه»[١٧٦] ، هذه الليلة إذا أحياها بالصلاة والعبادة ، كتب الله سبحانه وتعالى له المغفرة .

روايات في فضل ليلة القدر :

ثلاثة أنواع من الناس

هذه مجموعة من الروايات التي وردت في فضل ليلة القدر وأهمية هذه الليلة الشريفة . . سلطان أو ملك ، يوجه دعوة مفتوحة في التلفزيون ؛ أيها المواطنون ، من أراد منكم فهو اليوم مدعو عندي على الفطور ، والناس تتسابق ؛ وإذا سألتهم عن سبب ذهابهم ، فمنهم من يقول نحن جياع ، وهذا حاكم يملك المليارات ، فدعنا نشاهد ماذا يأكل ونشاطرهم في ليلة واحدة ، فالبعض يهرول بحثا عن الطعام والشراب ويقول هذه سُفرة السلطان ، والله أعلم ما بها من أشربة وأطعمة منوعة ، وهناك أناس ميسورو الحال يهرولون أيضا ، وحين تسأله عن السبب ، يقول لم أذهب للأكل فأنا أملك الطعام ، بل أريد أن ألتقط صورة لأقول لمعارفي أنا كنت مدعوا عند الرئيس الفلاني ، ونحن أفطرنا عن الأمير أو الملك الفلاني ؛ أبحث عن وجاهة وموقع اجتماعي ولم أذهب للطعام ، وهناك ثالث يقول لا أريد طعاما ولا صورة ، بل أنا أحب هذا الرجل ، وما دام قد فتح الباب للوليمة ، فأنا أريد أن أراه ، ولست بحال الطعام ولا الصورة والوجاهة ، بل أحبه هو شخصيا .

هناك من يسافر ويركب ويشقى لزيارة مرجع من المراجع ، وعندما يقبل يديه ويتبارك به ويحصل على البركة ، فهذه هي الكبيرة عنده ، فهو لم يذهب لطلب المساعدة ولا

١٧٥ . بحار الأنوار ٩٣ ، ٢٦٦ ، ح٤١ .
١٧٦ . بحار الأنوار ٩٣ ، ٢٦٦ ، ح٤٢ .

للحصول على شيء، ولا يريد أن يوصيه بشيء، كلا، بل يقول أنا أحبه شخصيا فقط، هذه ثلاثة أنواع من الناس.

عند سلطان السلاطين، الله سبحانه وتعالى، الملك القهار، يتسابق العباد أيضا، وهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هناك من يحيي ليلة القدر، وعندما تسأله عن السبب، يقول عندي مشاكل وديون وأطلب من الله أن يسدد فواتيري، أو امرأة أحصل عليها، لعل الله يقدر لي بنت الحلال أو بيتا أحصل عليه من فضل الله، أو هو مريض يرجو أن يشفيه الله في هذه الليلة الشريفة، وليس هذا الشيء عيبا، وهو مطلوب، ولكن هذا من الصنف الأول الذي يريد أن يأكل ويفكر بالنعم الدنيوية، ويحسب القائمة كلها عبارة عن تسديد فواتير وسيارة جديدة وبيت وسكن وزوجة صالحة وطفل لعل الله يرزقني به، أو مشكلة يحلها الله، وكلها دنيوية. هناك من جاء إلى ليلة القدر يريد أن يأخذ ويحل مشاكله الدنيوية، وهذا من حقه وليس هناك مانع، هذا صنف من الناس، ولا يريد شيئا آخر.

يجب أن نعرف ماذا نطلب

مرّ رسول الله قبل أن يصبح نبيا بمنطقة وهو عطشان ومتعب، وحين وصل سأل أحدهم إن كان عنده شيء من طعام أو شراب، فأكرم هذا الرجل الرسول وأدخله وسقاه الماء، فشكره الرسول وذهب، وبعد ذلك بُعث نبيا، فجاء جماعة هذا الرجل وأخبروه أن من أتى عندك قبل أربع أو خمس سنوات وأكرمته وسقيته أرسله الله نبيا، فلم يصدق، وقيل له اذهب إليه لعله يعطيك شيئا ما، ففي الدنيا أحيانا تكرم شخصا ثم ترى صورته في الصحيفة وقد أصبح وزيرا أو عُيِّن مسؤولا، وتقول لأذهب إليه لعله يقف معي مثلا.

جاء الرجل من الطائف مهرولا، وحين وصل إلى مكة ذهب إلى الرسول وقال له أتعرفني؟، قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أنت؟، قال أتذكر عندما جئت إلى الطائف وأكرمتك وسقيتك؟، فقال له رسول الله نعم قد عرفتك، قال أنا قدمت، قال ما تريد؟، قال أريد ١٠٠ من الغنم، قال أعطوه ١٠٠، وعندما ذهب قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن التفت إلى المسلمين أنا أشفق على حال هذا الرجل؛ طلب ١٠٠ وأخذها ولم يطلب الرحمة ولم يطلب المغفرة والجنة، ولو كان طلب مني الجنة لأعطيته، وأكثر من ذلك لو طلب مني أن يكون معي في الجنة في منزلتي لطلبت من الله ذلك ولأعطيته، لكن هذا همه ١٠٠ خروف ولا يملك سقفا أكثر من ذلك.

النوع الثاني: إلهي أسألك الجنة، وأن تحرم جسدي على النار في هذه الليلة، «اللهم إني أسالك طلبة إن أعطيتنيها لا يضرني ما منعتني، وإن منعتنيها لا ينفعني ما أعطيتني؛ فكاك رقبتي من النار»[١٧٧]، هذه الطلبة نقرأها في دعاء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عرفة؛ إلهي، طلبة إذا أعطيتني إياها فما أخذت فخذ، وإذا أخذتها مني فأي شيء تعطيني لا يفيدني.

«فكاك رقبتي من النار»، حرّم جسدي على النار يا إلهي، فهذا الصنف الثاني يطلب الجنة، ويطلب أن يحرم بدنه على النار، يطلب المقامات العالية والحور العين، ونشبههم بمن يذهب ليس للطعام، بل لديه شيء آخر أهم من الطعام.

النوع الثالث: وهناك صنف ثالث؛ ذاك هو علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ونحن ضعاف الإيمان لا نصل إليه، «إلهي ما عبدتك خوفا من نارك»، ليس لأن عندك نارا، «ولا طمعا في جنتك»، وليس لأجل جنتك، «وإنما وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك»[١٧٨]، إلهي أنا أحبك، أنا متعلق بك وليس بجنتك، وهذه حالة الفناء في الله والإقبال على الله سبحانه وتعالى، فهنيئا لمن يصل إلى هذه المراتب.

مناجاة المحبين

لاحظوا هذا الدعاء في (مناجاة المحبين): «إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا»، عجيب، إذن محبة الله فيها حلاوة، ولكن من يتذوقها؟، من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك يا الله، وعرف محبة الله ما هي لذتها؟. العلم أحيانا فيه لذة، ولا أقول علم الدين والسماء، لكن علم الفيزياء والكيمياء، ومعادلة فيزياوية قد يفكر فيها العالم ليل نهار إلى أن يكتشف الحل لهذه المعادلة، ولذة اكتشاف شيء واحد مثل تسلق جبل والوصول إلى القمة والدخول في موسوعة (جينيس)، وهناك من يأكل طعاما كثيرا خلال وقت قصير، وكأنه يريد أن ينافس الفيل، ويشعر باللذة أنه انتصر ودخل(جينيس) بطريقة الأكل بسرعة.

حب الله

حب الله فيه حلاوة وما أعظمها من حلاوة، لكن من يتذوقها؟، إلهي أذقني حلاوة حبك، هكذا يجب أن أدعو، وإذا ذقتها وعرفت معنى حبك، فليس هناك حب سواك، ولا يساوي غيره عندي شيئا، «ومن ذا الذي أنس بقربك»، هناك من عينه على التلفزيون

١٧٧. إقبال الأعمال ٢: ٨٧.
١٧٨. بحار الأنوار ٦٧: ١٨٦.

وعلى الساعة في أثناء العبادات، وهناك من يصل إلى مرحلة الأنس، فيأنس بالقرب بالله سبحانه وتعالى، «فابتغى عنك حولا؟»[١٧٩]، من يأنس بقربك لا يتركك ويذهب إلى غيرك يا ربي، وهذه مشكلتنا أننا لا نملك هذا الأنس، فلا نأنس بالدعاء ولا نأنس بالعبادة، وبما أنه ليس لنا أنس بهذه الأشياء، تصبح مملة وإسقاط واجب، كيف أصلي وكيف أصوم وأنتهي من هذا الواجب، وهناك من لا يصوم إلا في شهر رمضان، ولو كان يوما واحدا، فلا يستقبل شهر رمضان بيوم واحد، بل يصوم على قدر شهر رمضان، ولا يصوم يوما واحدا زائدا، وهناك من يصوم كل اثنين وخميس، وشهري رجب وشعبان مع شهر رمضان.

مناجاة العارفين

«وَما أَطْيَبَ طَعْمَ حُبِّكَ»، الله أكبر، حبك يا إلهي لذيذ، لكن من الذي يتذوق ومن الذي يوفق إلى أن يتلذذ بحبك، وبهذا الطعم اللذيذ بحب الله سبحانه وتعالى؟، «وما أعذب شرب قربك»[١٨٠]، القرب من الله سبحانه وتعالى عذب كعذوبة الماء البارد في حر الصيف اللاهب، عذب كهذه العذوبة، ولكن متى ندرك العذوبة حتى نتعلق ونتمسك به؟.

مناجاة المريدين

«وفي مناجاتك روحي وراحتي»، نشاطي وحيويتي في مناجاتك، آخذ حيوية ونشاطا من مناجاتك، وأشعر بالراحة، والراحة ليست النوم والدعة والكلام الكثير ونشر أسرار الناس، بل الراحة الحقيقية بمناجاة الله سبحانه وتعالى.

«وعندك دواء علتي»[١٨١]، إلهي علتي ومرضي ومعاناتي ومحنتي دواؤها عندك، أنت البلسم وأنت الدواء لكل داء، وإذا ارتبطنا بك فهذا الارتباط سيحيينا، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١٨٢]، الإنسان مثل النبات؛ يريد سقاية وحينما تسقيه الماء ينتعش، وتسقى روح الإنسان بالمناجاة والدعاء والبكاء والخشوع، وبالتوجه إلى الله وبعبادة الله تحصل على الراحة والدعة.

---

١٧٩. بحار الأنوار ٩١: ١٤٨.
١٨٠. بحار الأنوار ٩١: ١٥١.
١٨١. الصحيفة السجادية: ٤١٢، ط. مدرسة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ
١٨٢. سورة النحل: الآية ٩٧.

في مقطع آخر من (مناجاة العارفين): «إلهي فاجعلنا من الذين قد كشف الغطاء عن أبصارهم»[١٨٣]، ليس عين البصر بل البصيرة، لا يعلم ماذا هناك، وعندما سيرى سيعجب؛ ما هذا العالم وما هي اللذة، وأين أنا طوال هذه الفترة؟، وكل منا يمكن أن يحصل على هذه النفحات.

لحظات تعادل عمرا

راجعوا أنفسكم في لحظة انكسار قلب وليلة معينة وزيارة للإمام المعصوم، وفي حالة من الحالات يمر الإنسان بلحظة يخرج فيها من هذه الأجواء وتنكشف حقيقة أخرى أمامه وواقع جديد وعالم آخر، قد تطول نصف دقيقة أو عشر دقائق، أقل أو أكثر، لكن يظل الإنسان سنوات طويلة يتذكرها ويتحسر عليها ويتساءل؛ متى تأتي إليّ هذه الحالة؟، ويصل الإنسان إلى مستوى من القرب الإلهي في كل يوم يعيش هذه الحالة في صلاته وعبادته ومناجاته، يأنس ويلتذ، لذة هذا الدعاء والمناجاة، ويتساءل؛ متى أنهي العمل وأذهب وأغلق الباب عليّ واختلي بربي، لذته في ذلك، «إلهي فاجعلنا من الذين قد كُشف الغطاء عن أبصارهم».

أنا أورد هذه العبارات والأدعية حتى تعرف ماذا تطلب في ليلة القدر، ولا تكون مثل هذا الأعرابي الذي كان كل طلبه ١٠٠ خروف، ولا مانع أن تطلب ١٠٠ خروف، لكن اطلب معها هذه المعاني؛ قل له في ليلة القدر إلهي، أريد رضاك وحبك وتعلقي بك، أريد أن تزيل هذه الغشاوة عن عيني وأرى ما وراء هذه الدنيا ولذاتها وشهواتها وميولها وما فيها.

حقيقة الحياة الدنيا

هناك أناس تكيد بأناس، وأناس تحفر لأناس، يكيد لمسؤول القسم لكي يصبح بدله مديرا للقسم، صراع كراسي ومواقع، مسائل بسيطة، وانظر إلى النملة، حياتنا تستطيع أن تراها في الحياة المادية، كما ترى النملة وهي ترفع حبة قمح أو شيئا بسيطا، وترى نفسها كأنها تصعد جبل (أبو قبيس) وهي ليست إلا تعرجات في الأرض، تصعد وتقع إلى الأرض وتدور، وبعد نصف ساعة تجد نفسها في نفس المكان، لأنها تتحرك بلا هدف وخطة، وتجتهد وتصل إلى الماء ولا تستطيع أن تعبره، وبعد نصف ساعة تلف حتى ترفع حبه صغيرة تعتقد أنها ستصل بها إلى مكان وتجد نفسها في نفس المكان،

١٨٣. بحار الأنوار ٩١، ١٥٠.

وتعتقد أنها فاتحة الفتوح وعابرة للقارات والجبال وبعد امتار تجد نفسها في نفس المكان.

حينما نصعد إلى الطائرة، وعندما تريد أن تهبط، تنظر إلى نقطة معينة، وقد ترى سيارة أو شاحنة بقدر حجم النملة وهو يتنقل من مكان إلى مكان، وكما تعلمون فإن من يركب شاحنة يرى نفسه أعلى من بقية السيارات، وتراهم فضلا عن ذلك يضعون جهاز تنبيه قويا ليخيفوا به الناس.

أنت مع سيارتك لا تعادل ذرة، فما قيمتك في هذا الكون وما تأثيرك؟، حتى لو كنت تسير بسرعه ٢٠٠ كيلومتر، العراق أربع أصابع على الخارطة العالمية، ما قيمة الدول؟، سواء كنت مديرا أو وزيرا، ما هو القسم أو الوزارة أو الدولة؟، كل هذه وما فيها لا تمثل شيئا في الدنيا ولا أقول في الكون، وهذه قضايا يجب أن نعرفها؛ أن المهم هي آخرتنا، وقد لا تحصل على ما تريد من الدنيا، حتى لو ركضت، وبعد عشرين أو ثلاثين سنة تجد نفسك في المكان نفسه مثل النملة، سواء سرقت أو استخدمت الشطارة أو الخداع أو قمت بسرقة أموال الفقراء، وسواء صرت مليونيرا أو ملياردرا، قد يأتي زلزال أو حريق أو سارق، فيذهب كل شيء وتعود كما كنت (على بساط الفقر والفاقة)، وفوق ذلك يبقى وزر كل هذه الأشياء برقبتك.

ماذا يفيدك ما حصلت عليه؟، ومن يحصل على المليارات ماذا سيستفيد منها لكي تستفيد أنت؟، هذه مهمة أن يكشف الغطاء عنا، «إلهي فاجعلنا من الذين قد كشف الغطاء عن أبصارهم وقرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم»، نريد أن تقر أعيننا بالنظر إليك، والى عظمتك ولطفك وكرمك.

نسأل الله أن يحقق ذلك ونسألكم الدعاء، ادعوا لأنفسكم ولأهلكم ولشعبكم ولكل المسلمين والعرب ولكل البشرية، ووسع الدعاء وصر كبيرا، وعندما يراك الله هكذا سيرحمك وينزل رحمته عليك.

ثقافة الدعاء للآخرين والاهتمام بهم

في رواية أن السيدة الزهراء عَلَيْهَاالسَّلَامُ كانت تقضي ليلها بأكمله وهي تدعو لفلان وفلان، ويطلع الفجر وهي لم تدع لنفسها[١٨٤]. ادعُ لنفسك، والله سيعطيك لنفسك، ولكن ادعُ للآخرين، والله سيعطي للآخرين ويعطيك بقدرهم، ادعُ لأمك وأبيك،

١٨٤. بحار الأنوار ٤٣، ٨٢، ح٣.

ووسع الدعاء، والله سيستجيب الدعاء ويعطيك بمقدارها لك، فأنت رابح في جميع الأحوال، لكن الآخر سيربح أيضا.

هذه ثقافة أن نهتم بالآخرين؛ «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»[١٨٥]، يجب أن نهتم بشؤون الناس وشعبنا، وإذا رأيت في التلفزيون تقريرا عن منطقة فيها تفجير إرهابي، وإذا رأيت الأشلاء المقطعة أو رأيت تقارير عن فقراء، هل تدمع عينك؟ فإذا دمعت فهذا شيء جيد وهذا يعني انك تسير بالطريق الصحيح، ولكن إذا قلت غيروا القناة لا أريد أن أرى هذه الأشياء المتعبة، فشك بنفسك وراجع نفسك، وهذه الأخلاقية ليست جيدة.

نسأل الله سبحانه أن يكشف عن بصيرتنا، لنرى الحق والصواب والواقع بحجمه الحقيقي وليس بحجمه الذي نراه بعيوننا الباصرة العادية، في زماننا هناك الناظور الذي يريك مساحات لا تراها بعينك العادية، وترى بالتلسكوب أشياء أبعد وبالمكروسكوب ترى أشياء صغيرة يكبرها لك، وهذه كلها مادية، فإذا صرت ترى بعين البصير فماذا ترى؟ وماذا سيفتح أمامك الله؟. هنيئا لمن يحصل على هذه المقامات ومن يطلب هذه الأمور، فاطلبوها في ليلة القدر.

أطلت عليكم كثيرا، نسأل الله أن يجعلنا في هذه الليلة من المرحومين وألا نكون من المحرومين ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا.

أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه، نسألك يا إلهي ألاّ نقوم من مقامنا ومجلسنا إلا وقد غفرت لنا، وكتبت لنا ولشعبنا ولشعوب المنطقة ولكل مظلوم في هذه الدنيا، النصر والسؤدد والتوفيق، نسأل الله أن يحقق ذلك كله.

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٨٥. بحار الأنوار ٧١: ٣٣٩، ح١٢٠.

الأمسية الرمضانية التاسعة عشرة بتاريخ ٢٠١٣/٨/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

يوم القدس العالمي

كلما حلت علينا العشر الأخيرة، وكلما اقتربنا من الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، استذكرنا محطة مهمة من محطات مسؤوليتنا في البعد الإسلامي، نِعمَ ما صنع وفعل إمام الأمة الراحل الإمام الخميني (قدس سره) حينما دعا لتكون آخر جمعة من شهر رمضان يوما عالميا للقدس واستذكارا للقضية الفلسطينية، هذه القضية الأساسية والمحورية، القضية الأولى بين المسلمين.

الشعوب تتعرض إلى هزات ونكبات وإلى تحديات، ولكن التحدي الذي تعرض له الشعب الفلسطيني مختلف عن جميع هذه التحديات، نحن في العراق اُستهدفنا في الماضي ونستهدف اليوم من قبل الإرهاب، ولكن لا أحد يشك في عروبتنا أو في قومياتنا الآخرى الكريمة في بلادنا، لا أحد يستهدف إسلامنا، والهوية الإسلامية والقومية محفوظة، وهكذا لدى الشعوب الأخرى، الهوية محفوظة والصراع سياسي أو صراع إرادات أو صراع وجود لتغييب تيارات أو تغييب جماعات، لكن الصراع في فلسطين صراع على الهوية، فالهوية مستهدفة ويراد تغييبها وتمييعها وإقصاؤها وإبعادها، ولذلك كانت قضية فلسطين القضية الأساسية والأولى بين المسلمين، ومهما تعمقت جراحهم في قضاياهم الخاصة إلا أن قضية فلسطين تبقى هي القضية الأولى ومحط الاهتمام.

وفي آخر جمعة من رمضان وفي أجواء ليلة القدر التي يقدر فيها للإنسان الفرد والجماعة والشعوب والأمم مصيرها، نقف ونحتفل بهذا المناسبة ونستذكر دور وموقع فلسطين في مجمل أولوياتنا واهتماماتنا الإسلامية. على هذه الخلفية نجد أن المرجعيات الدينية في تأريخ طويل، منذ بداية الصراع الفلسطيني مع العدو الصهيوني وإلى يومنا الحاضر، كانت دائما واقفة مع الشعب الفلسطيني ومستنكرة ومنددة بالكيان الصهيوني وبمخططاته الخبيثة في استهداف الهوية الإسلامية لأبناء هذا الشعب الكريم.

في هذه الليلة نحاول أن نستعرض عددا من مواقف المراجع العظام بشأن فلسطين والقضية الفلسطينية لنعرف أنها قضية ممتدة منذ أكثر من ٥٠ عاما، منذ بدأت الأزمة في فلسطين، ومنذ ذلك الحين نجد أن المرجعيات تسجل المواقف واحدا تلو الآخر، بدءا من المرجع الكبير الإمام محمد حسين كاشف الغطاء والذهاب بشخصه إلى مؤتمر القدس ليشجع ويدعم المطالب الحقة والمشروعة للشعب الفلسطيني.

مواقف الإمام محسن الحكيم

– لاحظنا إرسال وفد كبير من قبل الإمام الحكيم، مكّون من شخصيات مهمة وعلماء، بعد حرب ١٩٦٧، إلى عدد من الدول الإسلامية ومنها إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا وسنغافورة وغيرها، للتباحث بشأن قضية فلسطين وما ينبغي فعله في تلك الظروف الصعبة.

–الإمام الحكيم كان أول من أفتى بجواز العمل الجهادي الاستشهادي العسكري في مواجهة الكيان الصهيوني، إذ قال إن هذا يجوز بل يجب مع توفر الشروط المطلوبة.

–كان الإمام أول من أجاز دفع الزكوات والحقوق الشرعية لدعم القضية الفلسطينية ونصرة الشعب الفلسطيني، وسنقرأ بعض النصوص حتى نكون في الأجواء، كم كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف متطورة ومتقدمة في تلك الظروف الصعبة قبل خمسين عاما، ولها نظرتها وبصيرتها ورؤيتها الواسعة.

– نجد مخاطبات بين الإمام الحكيم ورئيس الجمهورية العراقية آنذاك (عبد الرحمن عارف)، وبين الإمام الحكيم ورئيس جمهورية مصر (جمال عبد الناصر)، ورسائل من الإمام الحكيم فيها تحذير شديد لشاه إيران آنذاك واستنكار لاعتراف إيران الشاه بالكيان الصهيوني والتعامل معه وفتح سفارة له في طهران.

– مراسلات مع الأمم المتحدة، وكانت تسمى آنذاك عصبة الأمم، وكانت هناك مراسلات للإمام الحكيم في ما يخص هذا الشأن.

–التباحث مع شخصيات دولية كشيخ الأزهر (محمود شلتوت) وغيره، فكان هناك الكثير من المخاطبات والمراسلات مع هذه الأطراف، والبيانات التي أصدرها الإمام الحكيم في نصرة القضية الفلسطينية.

–استدعاء السفير الإيراني في بغداد إلى النجف لإيصال رسالة تحذير شديدة حول هذا الموضوع.

–إرسال العديد من الكلمات لمؤتمرات دولية وإسلامية عُقدت حول القضية الفلسطينية، فكان يرسل بيانات وكلمات إلى هذه المؤتمرات، ولم يكن معهودا للمرجعية الدينية الحضور بكلمات في مثل هذه المؤتمرات، ولكن ذلك كان نتيجة للاهتمام.

–إقامة العديد من المؤتمرات في جامع براثا في بغداد ومجالس الفاتحة على أرواح الشهداء الفلسطينيين في جامع الهندي في النجف الأشرف من قبل الإمام الحكيم.

– استقبال العديد من القيادات الفلسطينية، كياسر عرفات وغيره آنذاك، للتباحث معهم في بيان أهمية الموقف تجاه فلسطين ونصرة ودعم القضية الفلسطينية.

مواقف الإمام الخوئي

في عهد الإمام الخوئي وجدنا هذا الأمر يتكرر أيضا ويتعزز، فكانت هناك فتوى بجواز دفع الحقوق الشرعية لدعم القضية الفلسطينية، وتأييد ومباركة للعمل العسكري والفدائي الفلسطيني لمواجهة العدو الإسرائيلي، ومباركة التطوع والانخراط في المنظمات المسلحة الفلسطينية مع توفر الشروط لمواجهة العدو الإسرائيلي.

مواقف الإمامين الخميني والخامنئي

لقد بلغت هذه العملية في الأداء المرجعي ذروتها على عهد الإمام الخميني (قده) ومن بعده الإمام الخامنئي، في ظل دولة الإسلام الكبيرة، وجعل الإمام الخميني أولى أولوياته في السياسة الخارجية قضية فلسطين، ومنذ أكثر من ثلاثة عقود وقضية فلسطين هي القضية الحاضرة والأولى في السياسة الخارجية لإيران وما للجمهورية الإسلامية الإيرانية من تأثير في العالم الإسلامي عموما. إنّ تبنّي قضية فلسطين ليس فقط على

مستوى الشعار وإنما على مستوى الدعم والإسناد على جميع الصعد المتاحة، جعل قضية فلسطين قضية حية متحركة في ضمير الأمة، وهذا ما لاحظناه خلال هذه الفترة.

مواقف الشهيد الصدر

نجد أيضا المواقف الواضحة للإمام الشهيد الصدر في هذا الموضوع؛ إصدار العديد من بيانات الشجب والاستنكار لمجازر وجرائمٍ ارتكبت من قبل الكيان الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني، والفتاوى التي أصدرها الإمام الصدر في وجوب وليس استحباب نصرة الشعب الفلسطيني، وكانت فلسطين أيضا حاضرة في خطب الشهيد الصدر، وفي بياناته يذكر فلسطين دوما ويتحدث عن فلسطين، وهكذا الاستنكار المعروف لتهويد القدس وإبعاد المسلمين، ومنذ بداية حملة التهويد كان الإمام الشهيد الصدر له مواقف واضحة وصريحة.

مواقف الإمام السيستاني

وصولا للإمام السيستاني (أدام الله ظله الوارف)، نجد الدعم والإسناد للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني والجاليات الفلسطينية البعيدة عن وطنها؛ فنجد الفتوى الشهيرة بتحريم استهداف الفلسطينيين في العراق الذين كانوا يتعرضون لبعض الضغوط نتيجة مواقفهم السابقة واصطفافهم مع النظام السابق أو بعض منهم، فكانت هناك انطباعات معينة وضغوط تعرضوا لها، فأصدر الإمام السيستاني فتوى حرم فيها ملاحقة الفلسطينيين في العراق، فحفظ الفلسطينيين في العراق بهذه الفتوى، وأيضا حينما أشيع خبر أن هناك عقارات وأراضي تُستملك من يهود صهاينة في العراق، أصدر فتواه الشهيرة وحرّم بيع الأرض لمثل هذه الأوساط، وكذلك بيانه الاستنكاري حول الاعتداءات الصهيونية في مخيم جنين، وبيانه بإدانة استهداف الشيخ (أحمد ياسين)، وبيانه بإدانة الاعتداءات الصهيونية في غزة إلى غير ذلك، مما يؤكد أن هذا مسار عام ومواقف صلبة وواضحة في نصرة فلسطين والقضية الفلسطينية.

نصوص وبيانات الإمام الحكيم

هذه بعض النصوص والبيانات أو الرسائل التي أُرسلت من قبل الإمام الحكيم في هذا الموضوع، لنجد كيف أن هذه القضية تحوز أهمية كبيرة منذ ذلك الحين.

بيان إدانة واستشراف المستقبل

أصدر الإمام الحكيم في التاسع من جمادى الآخرة سنة ١٤٨٩ هجرية بيانا يقول فيه: «لقد رُوّع العالم الإسلامي واهتز إزاء أنباء الجريمة المنكرة التي قامت بها إسرائيل وخططت لها منذ مدة، وهي جريمة إحراق المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين وموطئ الأنبياء والمرسلين، وبالرغم من أن هذه الجريمة الشنعاء كانت من أفظع الجرائم التي اقترفها الإسرائيليون في تأريخهم الأسود الحافل بقتل الأنبياء والأولياء وهتك الحرمات وإهانة المقدسات، فإن هذه الجريمة ليست شيئا غريبا على طبيعة إسرائيل العدوانية ووجودها غير المشروع في قلب العالم الإسلامي»، الإمام الحكيم لا يرى أية مشروعية لإسرائيل في هذه المنطقة، فلا شرعية للكيان الصهيوني، «كما أن ذلك ليس بعيدا عن المخططات الإجرامية التي رسمتها القوى الكافرة من الغرب والشرق، التي تساند إسرائيل وتصر على وجودها».

هنا يشير الإمام الحكيم إلى الغطاء الدولي الذي تمتع به هذا الكيان الصهيوني في غصب بلاد المسلمين، وتشير هذه المأساة إلى أن العدو الإسرائيلي حينما يقوم بأعمال جنونية كإحراق المسجد الأقصى، فهذا دليل على شعوره بأنه معزول، «والتمكن من إخضاع الأمة الإسلامية لمخططاته وأهدافه، ما دام لهذه الأمة دين يجمع قلوبها ويوحد كلمتها حول شعار لا إله إلا الله، وما دام في أراضيها بيت من بيوت الله يدعو المسلمين إلى الأخذ بحقوقهم ويستصرخهم لإنقاذه من أيدي الصهاينة المعتدين، واتجاه المآسي التي تعانيها الأرض المقدسة لا يسعنا إلا أن نضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الدينية»، إذن، يجب ألاّ نقول إن قضية فلسطين تخص الشعب الفلسطيني، فهذه قضية تخص المسلمين جميعا، والعالم الإسلامي يتحمل مسؤوليته والمرجعية تضع الجميع أمام مسؤولياتهم.

«وندعوهم جميعا إلى أن يجمعوا صفوفهم ويتركوا خلافاتهم ويجندوا جميع طاقاتهم وإمكاناتهم من أجل تحرير المسجد الأقصى وإنقاذ الأماكن المقدسة من أيدي المعتدين الإسرائيليين»، هذه دعوة للتضامن ووحدة الصف، دعوة لأن نكبر على الخلافات ونكون صفا واحدا لمواجهة العدو الصهيوني واستعادة الأراضي الإسلامية الفلسطينية في هذا البلد الكريم الطاهر، «وبهذا الصدد يجدر بالمسلمين أن يدركوا أن وسيلتهم الوحيدة لاستعادة كرامتهم واستنقاذ حقوقهم والدفاع عن مقدساتهم، إنما هي

التمسك بتعاليم دينهم الحنيف والأخذ بأحكامه الخالدة ورفض جميع الأفكار الضالة والمبادئ الملحدة الوافدة من الشرق والغرب».

أيها المسلمون، ما دمتم متمسكين بمبادئكم، فالمبدأ الإسلامي يدعو إلى الدفاع عن الهوية والعقيدة، فما إن يحصل الغزو الثقافي والفكري الدخيل للغرب في بلاد المسلمين حتى تبدأ حالة التمييع وتضيع كل هذه الحقوق والمكتسبات.

«والمبادئ الملحدة الوافدة من الشرق والغرب التي ما تزال تتقاذفهم وتمزق كيانهم ووجودهم، وأن يواصلوا العمل الجاد من أجل توفير عناصر القوة والنصر لمعركتهم المصيرية التي تهدد كيانهم». الإمام الحكيم يرى أن معركة فلسطين تهدد الكيان وتستهدف الكيان والهوية للشعب الفلسطيني، «ومن دون ذلك فليس على المسلمين إلا أن ينتظروا المزيد من العدوان والدمار والتنكيل والإرهاب»، الغريب أن الإمام الحكيم، قبل ٥٠ سنة، يستخدم مفردة الإرهاب بحق الكيان الصهيوني، ولعله أول من عبر عن إسرائيل بأنها كيان إرهابي، أول استخدام لهذا المصطلح كان من قبل الإمام الحكيم في ذلك التأريخ، «من اليهود الصهاينة والقوى الكافرة التي تحمي وجودهم وتشجعهم على ارتكاب المظالم والمآثم»، ترون هذه النظرة العميقة واستشراف المستقبل، إذ نقرأه بعد ٥٠ سنة وكأنه بيان صادر اليوم لنا، جميع الخيوط والمؤامرات توضحت، وما كانت المرجعية تراه في ذلك التأريخ رأيناه اليوم يتحقق، يقول إذا تساهلتم فانتظروا مزيدا من الخراب والدمار في بلاد المسلمين، وهذا ما نجده اليوم بعد خمسين سنة.

مواجهة التخاذل الرسمي

في برقية أرسلها الإمام الحكيم إلى وكيله في طهران آية الله البهبهاني، يقول: «إن نبأ اعتراف إيران بإسرائيل أحدث ضجة عظيمة بين المسلمين واستنكارا شديدا في أوساطهم، فالمأمول نصح المسؤولين في إيران بالمحافظة على واجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين والله سبحانه الموفق والمعين».

هنا يطلب الإمام الحكيم من وكيله في طهران أن يفاتح السلطات الإيرانية باسمه ويطلب منهم التراجع عن اعترافهم بالكيان الصهيوني، ثم يطلب من جماعة العلماء التي كانت تتحرك تحت إشرافه (قدس سره) أن يصدروا بيانا بهذا الشأن، وجاء في ذلك البيان: «إن جماعة العلماء في النجف الأشرف تستنكر اعتراف إيران بإسرائيل أشد الاستنكار، لأن في ذلك إنكارا لحق الإسلام والمسلمين في أرض فلسطين المغتصبة».

وحينما يُسأل الإمام الحكيم في مجموعة من الاستفتاءات حول قضية فلسطين، لاحظوا الأسئلة والأجوبة في ذلك التأريخ، وكانت هذه الأسئلة وُجهت له في عام ١٩٦٨، يقول السائل: «لا أظن أنه بخاف على سماحتكم القول بأنه طل جديد ومبارك في معترك التصدي للصهاينة»؛ كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد شُكلت توا، وتجمع الفصائل المناضلة التي تحمل السلاح بوجه الكيان الصهيوني، «وأن هدفهم ينحصر في ردع المعتدين واسترجاع ما اُغتصب، فما هو الواجب الذي يحتمه علينا الدين الإسلامي الحنيف إزاء ما سلف ذكره؟».

يقول الإمام الحكيم: «إذا كان الإنسان يتمكن من الانضمام إلى هؤلاء وقادرا على العمل معهم، وكانت القيادة حكيمة ولا يلزم من عمله ضرر على المسلمين وجب عليه ذلك»، إذا لم يكن هناك عنوان ثانوي ولم يكن هناك ضرر على المسلمين ومع القدرة وزوال الموانع يجب الذهاب والالتحاق بالمجموعات المسلحة الفلسطينية ومقاتلة الكيان الصهيوني، هذا موقف في سنة ١٩٦٨ كما أسلفت، بوجوب التصدي للمواجهة مع القدرة وعدم ترتب الضرر على المسلمين.

الدعوة إلى قتال الصهاينة بالنفس والمال

في سؤال آخر: «إن أعمال الفدائيين تلهب حماس كثير من المسلمين وتدفعهم للمساهمة بشرف العمل في سبيل مقدساتهم، ولكن عدم علمهم بالحكم الشرعي كان يحول دون ذلك»، الشعب العراقي شعب النخوة والنصرة لكل قضايا المسلمين في كل مكان، فمن ناحية، فإن قلوبهم ومشاعرهم وعواطفهم مع فلسطين، ولكن من ناحية أخرى لا يعلمون الموقف الشرعي من هذه الحرب، فيسألون الإمام الحكيم عن هذا الموضوع؛ يسألون عن شيئين، المساهمة بالمال والتطوع بالنفس، فيقول الإمام الحكيم: «إذا كان الإنسان يعرف من نفسه القدرة على الإضرار بالعدو»، أحيانا يذهب الإنسان ولكن عمره ووضعه لا يفيدان شيئا، أما إذا كان يستطيع أن يضر بالعدو وأن يكون نافعا في هذه المعركة، «وكانت القيادة حكيمة ولا يلزم من عمله ضرر على المسلمين وجب عليه الإضرار بالعدو المجرم»، هذه فتوى صريحة من الإمام الحكيم بوجوب الإضرار ووجوب قتال الكيان الصهيوني في تلك المرحلة، «وجب عليه الإضرار بالعدو المجرم خذله الله تعالى وفق الله الجميع».

في سؤال آخر: هل يجوز جمع الزكوات من الإخوة المؤمنين للفدائيين الذين يدافعون عن الأراضي الإسلامية المحتلة من قبل اليهود الصهاينة؟، يقول الإمام

الحكيم: «إن ما يقوم به الفدائيون من أفضل الأعمال»، ليس عملا صالحا فحسب، بل من أفضل الأعمال، «نصرهم الله تعالى وخذل أعداء الإسلام، من الراجح مساعدتهم بالزكاة»، ليس الأمر جائزا فحسب، بل راجح ويُستحب أن تعطوا الزكوات لهم، «فإن ذلك صرفا لها في سبيل الله سبحانه بل أفضل سبل الله تعالى».

الإمام الحكيم يحمل الحكام المسؤولية الأكبر

في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في عمان في الأردن عام ١٩٦٧، أرسل الإمام الحكيم رسالة فيها مقتطفات مهمة جدا، يقول (قدس سره): «وقد وضع الله سبحانه المسلمين جميعا أمام مسؤوليات كبيرة في أعقاب هذه المأساة المفجعة»، لا يقل أحد نحن في العراق تنهش المفخخات بنا ولا علاقة لنا بفلسطين. يجب أن نعالج المفخخات في العراق، ومشاكل العراق يجب معالجتها، فقصور الخدمات يجب حله، والعراق يجب أن نبنيه بيد المخلصين، والظواهر السلبية يجب أن نعالجها، ولكن هذا شيء والاهتمام بفلسطين شيء آخر، فيجب الاهتمام به، «كما وضع الحكام منهم بصورة خاصة أمام مسؤوليات أكبر»، هنا الإمام الحكيم يوجه خطابه للحكام، باعتباره مؤتمرا دوليا إسلاميا، ويحملهم مسؤولية أكبر من عموم الناس، فماذا يستطيع أن يفعل المواطن العادي؟، «وليست هذه المسؤوليات إلا امتحان جديد للأمة وإرادتها وللحكام في العالم الإسلامي ومدى قدرتهم على الارتفاع إلى مستوى القيادة الواعية الحريصة على كرامة الإسلام والمسلمين».

وفي مقطع آخر من هذه الرسالة: «إن حكام المسلمين جميعا مدعوون بصورة خاصة إلى مواجهة مسؤولياتهم أمام الله وأمام التأريخ والأمة الإسلامية بروح مخلصة وإيمان صامد وحشد كل قواهم وإمكاناتهم لإعادة الأراضي السليبة إلى دار الإسلام والعمل بكل ما يملكون من حول في سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى الذي أسري إليه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام من أيدي اليهود المجرمين الذي أباحوا تلك البقعة الطاهرة وداسوا بأقدامهم أرضها التي باركها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مسراه العظيم، ولا بد للحكام في العالم الإسلامي من أن يعلموا أن استنقاذ القدس والأراضي السليبة الأخرى من براثن الأعداء لا يمكن أن يتم إلا باتخاذ موقف إسلامي صارم يتمثل في الإصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدسة والأرض الطاهرة من الأعداء الغاصبين». الإصرار الهائل المستميت الذي تطير فيه الرؤوس وتبذل فيه التضحيات والجهود، فكل شيء يهون أمام فلسطين، هكذا يقول الإمام الحكيم.

«ورفض أية محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف»، وعود كاذبة والمستوطنات تُبنى والكيان يقوي نفسه والفلسطينيون يتشتتون والخلافات تدب بينهم وتتفكك الجبهة الفلسطينية وتقوى الجبهة الأخرى!، وهكذا منذ ٦٥ سنة وما زال المسلمون في الانتظار؛ وعود كاذبة لم يحصل الفلسطينيون منها على شيء، فقد ضاعت الحقوق وتفككت الجبهات، فيما أن العدو يقوي من فرصه ومواقعه يوما بعد آخر، «ورفض أي محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف أو تقديم أنصاف الحلول»، يحل لكم مشكلة ويبقي عشرين أو مئة!، حتى وقف الاستيطان لا يقبل من هذا الكيان الصهيوني.

التحذير من فخ التدويل

«أو تقديم أنصاف الحلول أو استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل»، الإمام الحكيم يخالف تدويل هذه القضية، فهذه قضية المسلمين وبسواعدنا يجب أن نحلها. اليوم بعد ٥٠ سنة، إلى أين وصلت رحلة تدويل القضية؟، فالآن لا يقبلون حتى برفع علم فلسطين في الأمم المتحدة بحضور رمزي!، ومن شروط المفاوضات من جديد الآن أن توقف فلسطين محاولاتها لكسب الشرعية وأخذ مقعدها في الأمم المتحدة، هذه أنصاف الحلول التي تقع فيها القضية الفلسطينية حينما تدول، وكان الإمام الحكيم يحذر من التدويل.

«ولا بد لنا من أن نؤكد هنا كما أكدنا في مجالات سابقة أن قضية فلسطين عموما والقدس خصوصا هي قضية الإسلام»، ينص الإمام الحكيم على أن قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وليست قضية العرب، بل هي قضية الإسلام مهما حاول البعض أن يضعها في إطار ضيق أو يفسرها على أساس آخر، ولهذا فإن مسؤوليات الموقف العظيمة يواجهها المسلمون عموما، وحكامهم بشكل خاص على اختلاف لغاتهم وقومياتهم، والتأريخ سوف يحكم والأمة سوف تحدد مفهومها عن الحكام اليوم، العرب منهم وغير العرب، على أساس مواقفهم من المأساة.

أيها المسلمون، قوّموا حكامكم على أساس موقفهم من القضية الفلسطينية، وهذه قالها الإمام الحكيم منذ ٥٠ سنة، فالحكم على الحاكم أنه وطني أو عميل يكون بحسب موقفه من فلسطين، هذا هو المعيار في مستوى تحمّل أعباء المسؤولية، «ودرجة الصمود الذي يتحلون به في معركة تحرير القبلة الأولى للإسلام وطرد الغاصبين من

أرضنا الإسلامية الطاهرة»، هذا هو الموقف المتطور للمرجعية الدينية في النظر إلى فلسطين وتحليل الموقف الفلسطيني.

الدعوة إلى مؤتمرات منتجة

في المؤتمر الإسلامي في القدس العام ١٣٨١ هجري، يقول الإمام الحكيم في رسالته المطولة الموجهة إلى المؤتمرين، إن هذه المؤتمرات لا تغني ولا تسمن من جوع؛ فالناس تجتمع وتتحدث وبعدها يغادر الجميع بدون نتيجة، وما نحتاج إليه هو مؤتمرات تقود الأمة، ونحتاج إلى مشاريع حقيقية تقف بوجه الكيان الصهيوني، وتستنهض هذه الطاقات الكبرى وتسترجع البلاد العربية والإسلامية المغصوبة، هكذا يتحدث ويضع مجموعة من المعايير المطلوبة لهذه المؤتمرات، ونحن اليوم نحتاج إلى هذه المعايير للكثير من مؤتمراتنا ومبادراتنا، هذه المعايير التي يذكرها ويحددها الإمام الحكيم في هذه الرسالة، ليكون المؤتمر ناجحا وحقيقيا ويصلح لأن يكون مبادرة لحل مشكلة حقيقية، واليوم يشرفنا فخامة نائب رئيس الجمهورية في هذا المجلس الكريم، وهو يحمل مبادرة مهمة لرأب الصدع، وبذل جهودا مضنية في شهر رمضان وعقد لقاءات، نسأل الله له التوفيق، وجهده اليوم هو جهد التحالف الوطني بأجمعه وجهد العراقيين جميعا، نسأل الله أن يكلل جهده بالنجاح والتوفيق.

بين الأزهر والإمام الحكيم

لقد كتب شيخ الأزهر رسالة للإمام الحكيم يسأله فيها عن الموقف المطلوب تجاه اعتراف شاه إيران بإسرائيل، شيخ الأزهر يراجع النجف، ويقول للإمام الحكيم ما هو المطلوب بعد اعتراف شاه إيران بإسرائيل؟، فيجيب الإمام الحكيم شيخ الأزهر برسالة ورد فيها: «تلقينا برقيتكم الكريمة تستنكرون اعتراف إيران بإسرائيل، فشكرنا لكم اهتمامكم بأمور المسلمين وحرصكم على تقوية الرابطة الإسلامية بينهم»، لاحظوا التقريب كيف كان قويا في ذلك الوقت، قبل ٥٠ سنة، مع عدم وجود أجهزة الاتصال الحديثة الموجودة اليوم، ولكن هكذا كان التواصل والمراسلات بين المرجعيات الإسلامية، «وإننا منذ أن بلغنا نبأ هذا الاعتراف بادرنا إلى إبلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤولين في إيران بواسطة بعض إخواننا في إيران، وأوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمة الإسلامية، ونصحناهم بالاحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين. وإننا إذ نستنكر كل خطوة تُتخذ لتعزيز كيان إسرائيل من أي جهة كانت،

نلفت أنظار المسلمين كافة إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم، وندعوهم جميعا إلى رص صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهة موحدة أمام التيارات العاتية من قوى الظلم والكفر والطغيان».

الإمام الحكيم يقول إننا لا نستطيع أن نقف بوجه إسرائيل إلا بوحدتنا، ومنذ ذلك الوقت كان يرى الواقع الذي نحن فيه اليوم، من الشرذمة والخلافات، فتارة على أساس مذهبي، شيعة وسنة، وتارة على أساس سياسي داخل الصف الواحد، فهؤلاء (إخوان) وهؤلاء (سلفيون)، وحتى داخل المذهب الواحد، فنرى في مصر أن هناك خلافات ومشاكل، وفي غيرها من البلدان»والتي جعلت همها الأول محاربة الإسلام وإبعاده عن واقع المسلمين، وما إقامة إسرائيل في فلسطين إلا مثل من الأمثلة الكثيرة على محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه»، نحن كتلة بشرية هائلة بإمكانات مادية عظيمة، وننتهك ويأخذون منا دولة كاملة، «اعقلها وتوكل»، إذ يجب أن تأخذ موقفا، لماذا يروننا ضعافا ولماذا لا يخشىانا أحد؟.. لأننا مختلفون ومتناحرون، هذا حال بلداننا الإسلامية اليوم مع الأسف الشديد.

«ومن هنا كان لزاما على المسلمين عامة والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصة، أن يرجعوا إلى حضيرة الإسلام ويلتفوا حول لوائه الظافر الذي هو عنوان نصرهم وعزتهم، ويستمدوا تشريعاتهم من ينبوعه الثر ومنهله الصافي، ليستعيدوا مجدهم وكرامتهم»، مجد هذه الأمة وكرامتها بالعودة للمنهج الإسلامي الأصيل، الإسلام هو المنقذ، التعاليم السمحاء للإسلام هي الجامعة، والقوة والعزة والكرامة والثبات والاستقامة إنما تحصل من خلال المنهج الصحيح، «وما هذه المآسي التي ضجت بها حياة المسلمين إلا أثر من آثار تهاونهم في الإسلام وإبعاده عن إدارة شؤون الأمة.... »الى آخر ما جاء في كلامه (قدس سره).

رسالة الحكيم إلى رئيس الجمهورية

نورد المقطع الأخير من نص الرسالة الجوابية التي أرسلها لعبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق آنذاك، الذي أبرق له برقية حول هذا الموضوع، فأجابه الإمام الحكيم بهذه الرسالة: «إنا في الوقت الذي نرفع أكف الدعاء لله جل جلاله أن يشمل هذه الأمة الإسلامية بلطفه وتأييده، وكل مجهود المسلمين وقادتهم بالنصر والعزة، ويرد كيد المعتدين ويعيد فلسطين إلى موضعها في دار الإسلام، ندعو حكام البلاد الإسلامية في مختلف أرجاء الأرض وعلى اختلاف لغاتهم وقومياتهم باسم المصلحة الإسلامية

العليا»، هذه المصلحة العليا ليغلبوها، «أن يتناسوا جميعا خلافاتهم ويوحدوا صفوفهم ويبذلوا كل ما لديهم من إمكانيات في سبيل كسب الموقف لمصلحة الإسلام، والرد على الاعتداء الصهيوني الصريح»، هنا يطلب الإمام الحكيم من الحكام أن يتخلوا عن مشاكلهم وصراعاتهم الخاصة، ويوحدوا كلمتهم لمواجهة الكيان الصهيوني.

لو يؤخذ بهذه التوجيهات بعد ٦٥ سنة، لما كنا نرى وضع فلسطين بهذه الحالة، واليوم يقال إن أقوى جيش في المنطقة جيش الكيان الصهيوني وأقوى دولة اقتصادية إسرائيل، لماذا؟. إنهم يقوون بثروات المسلمين، ونحن مشتتون مختلفون، فهذا حال مصر وذاك حال سوريا وهذا حال العراق، وهكذا البحرين واليمن، وجميع البلدان الإسلامية في ظروف صعبة، فالعديد من البلدان تواجه تحديات كبيرة وخطيرة. نسأل الله ببركة هذا الشهر الفضيل وببركة هذه الليالي والأيام الأخيرة من شهر رمضان، وهي أيام تضرع وإنابة إلى الله تعالى، نسأله التوفيق والتسديد لنكون صفا واحدا.

أوصي أعزائي وإخواني بالاهتمام بقضية فلسطين وبيوم القدس العالمي، وأن يكون لنا حضور وموقف غدا بإذن الله تعالى، ليكون العراق إلى جانب البلدان الإسلامية الأخرى، له صوت، وله صرخة مدوية دفاعا عن فلسطين وعن قضية الشعب الفلسطيني، ونسأله تعالى أن يمن على شعبنا بالأمن والأمان والاستقرار، وأن يوفق العاملين والمتصدين للوقوف بوجه هذه الهجمة الشرسة التي تطول المسلمين، وتطول العراقيين جميعا في هذه الظروف. إن هؤلاء الأعداء طائفيون، وتركيزهم على مناطق يقطنها أتباع أهل البيت بالأعم الأغلب، ولكن غيرهم يتعرضون أيضا إلى استهداف.

نسأل الله أن يدفع البلاء عن جميع العراقيين، وعن جميع بلداننا العربية والإسلامية، وعن كل إنسان في العالم، نحن نطلب الخير لجميع البشرية، ونسأل الله أن يحقق ذلك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محاضرات محرم الحرام

الليلة الأولى بتاريخ ٢٠١٣/١١/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

المجالس الحسينية سُنّة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

السلام عليكم أيها الحسينيون، إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته، يطل علينا شهر محرم الحرام من جديد، وتتجدد الآلام والمحنة والمصيبة والعزاء، بذكرى استشهاد سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلما جاءنا محرم تجدد المصاب وكأننا في هذا اليوم وفي هذه السنة فقدنا سيد الشهداء، وهذه واحدة من الكرامات التي خص بها الله سبحانه وتعالى أبا عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن لقتل الحسين في قلوب المؤمنين حرارة لن تبرد أبدا»[١٨٦]، رسول الله لا يقول لا تبرد أبدا، بل يقول: «لن تبرد أبدا»، و (لن) في اللغة العربية تأتي للتأبيد لا للنفي، فعبارة (لن تبرد أبدا)، تعني أن هذه الجذوة والحرارة وهذه العاطفة وهذه المشاعر ستبقى

١٨٦. مستدرك الوسائل ١٠: ٣١٨، ح١٣.

جياشة متجددة في كل عام، كما بشر بذلك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وصدق رسول الله؛ فنحن بعد مرور ألف وأربعمئة سنة ونيف، ما زلنا نعيش جذوة المصاب بفقد سيد الشهداء.

المجالس الحسينية كهذا المجلس الذي نجتمع فيه، تمثل واحدة من أهم الشعائر الحسينية التي سنّها أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ والتي مارسوها بأنفسهم عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، حتى أصبحت مصداقا واضحا لإحياء الشعائر الحسينية، لأنها مصداق واضح لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فإنها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١٨٧]، الحسين ثأر الله، وبالتالي هي تعظيم لشعائر الله سبحانه وتعالى.

إذا أردنا أن نرجع إلى تأريخ هذه المجالس، نجد أن أول مجلس عُقد للحسين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أقامه زين العابدين علي بن الحسين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في الشام وعلى مقربة من قصر يزيد بن معاوية؛ حينما دخلت السبايا إلى الشام، وكان يزيد يتبجح ويعاملهم معاملة الخوارج، ولكن الخطب التي خطبها زين العابدين (صلوات الله وسلامه عليه) والحوراء زينب بدأت تحرك مشاعر الناس، وفضحت تلك المخططات ومحاولات التلبيس والتشويش.

وهذه قضية نتعرض لها دائما؛ الباطل يُنمّق ويُصوّر بصورة الحق ويُقدّم بصورة مغرية، والإنسان حين يسمع يمتدحه ويقول كلام لطيف، وترون المجتمع تعصف به الشائعات، وهذه التفسيرات الباطلة والقراءات المغلوطة والمحاولات البائسة، لحرف أفكار الناس وتوجهاتهم وتسويق الباطل إليهم، ويزيد أيضا توّهم أنه بماكنته الإعلامية الضخمة، وهو السلطان آنداك وهؤلاء سبايا ليس بيدهم شيء، سيستطيع أن يغير ويشوه الحقيقة لصالحه، ولكن تلك الخطب العظيمة التي خطبتها الحوراء زينب وإمامنا زين العابدين عرّت المخطط وفضحته، فبدأ المد الشعبي يرتد على يزيد بن معاوية، الذي شعر بالخوف والقلق، فبعد ثلاثة أو أربعة أيام من حضور السبايا بدأ يخفف عنهم، وتغيرت القضية؛ فبعد أن كانوا خوارج، صاروا أهل بيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وعبيد الله بن زياد ارتكب هذه الخطيئة ويزيد بريء منها، وحاول أن ينمّق صورته بنوع من التساهل مع أولئك السبايا عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، والإمام زين العابدين استفاد من الفرصة، وكما

١٨٧. سورة الحج: الآية ٣٢.

تشير بعض القراءات التأريخية، فإنه عقد مجلسا رثائيا لسيد الشهداء ثلاثة أيام في الشام وعلى مقربة من قصر يزيد، ولعله أول مجلس حسيني يعقد.

وبعد ذلك أيضا هناك المجلس الذي أقامته بعض أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويحدثنا التأريخ أن أم سلمة حينما عادت السبايا إلى مدينة رسول الله عقدت مجلسا حضره زين العابدين والناس وأبّنت ورثت سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هذه المجالس التي انطلقت يوم انطلاقها من خلفية عاطفية رثائية كان الهدف منها هو التعاطف والتفاعل والتضامن مع مصيبة سيد الشهداء، التي كانت صدمة للمجتمع الإسلامي آنذاك؛ هل من المعقول أن يُقتل ابن بنت رسول الله؟، وهو الوحيد في العالم كله الذي يحمل هذا العنوان، وهذا ما قاله الإمام الحسين في احتجاجاته في يوم عاشوراء؛ حين قال: «أفتشُكُّونَ أنّي ابنُ بنتِ نبيِّكم؟، فوالله ما بينَ المشرقِ والمغربِ ابنُ بنتِ نبيٍّ غيري فيكُمْ ولا في غيركُمْ»[188]... فهذا الاستهداف بتلك الطريقة المروعة مثّل صدمة حقيقية، ومثّل ألَماً في قلوب المسلمين، فتحولت المجالس الحسينية إلى مجالس عواطف ورثاء وعزاء إلى غير ذلك. ولكن بالتدريج تطورت هذه المجالس من التركيز على البعد العاطفي الصرف إلى أبعاد أخرى مهمة جدا أعطت أهمية وتأثيرا كبيرين لهذه المجالس، وهذه الأبعاد، هي البعد الثقافي والبعد الروحي والبعد الاجتماعي والبعد السياسي والتعبئة الواسعة التي تحصل عبر المجالس لصالح الحق وضد الباطل، كل هذه أبعاد مهمة جعلت المجالس مؤثرة ومهمة في مجمل مسار المجتمع الإسلامي، وهذا ما نجده اليوم من العزة والهيبة والعظمة، والعظمة لله ولرسوله ولأهل بيته، هذه العزة والكرامة التي نتلمسها في المجالس الحسينية.

وهكذا استمر أهل البيت بعقد هذه المجالس في شهر محرم الحرام، وحيثما حصلت فرصة لعقد مثل هذه المجالس على مدار السنة، وحثوا وشجعوا أتباعهم على أن يحيوا ذكرى الحسين ويقيموا هذه المجالس الحسينية، وحددوا لها مجموعة من الأهداف المهمة والحيوية، ونحن حينما نحضر مجلس الحسين عليه السلام علينا أن نلتفت إلى هذه الأهداف وأن نعمل جاهدين على تحقيق هذه الأهداف في مساراتنا.

---

١٨٨. بحار الأنوار ٤٥: ٧.

أهداف المجالس الحسينية

أولا : الحفاظ على القضية الحسينية من التشويه

كان هناك تعتيم وتشويش وتشويه كبير للقضية الحسينية ؛ في البداية قالوا إن الحسين شق عصا المسلمين وخرج على الخليفة ، فتعاملوا مع الحسين وأهل بيته وأصحابه على أنهم من الخوارج ، فقالوا إن هؤلاء خرجوا عن الدين والجماعة ، وحين لم يفلحوا في هذه ، رجعوا وقالوا إن الصراع صراع عشائر وقبائل ، وصراع على كرسي وسلطان ، والمعركة بين بني أمية وبني هاشم معركة تأريخية تجددت في عهد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والقضية ليست قضية حق وباطل وليست قضية انحراف ومحاولات إصلاح ؛ «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا ، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»[١٨٩] .

إذن ، فالقضية ـ بزعمهم ـ أن الحسين أراد أن يثأر لبني هاشم من بني أمية ، أي معركة قبائل ، وهذه لم يفلحوا بها أيضا ؛ إذ لو كانت بين قبائل وعشائر ، فما شأن جون العبد الأسود بذلك؟ ، وحبيب بن مظاهر الأسدي شيخ العشيرة القرشي العربي ، ما الذي جاء به في معركة بين عشيرتين؟ ، وأولئك الذين وقفوا مع الحسين لم يكونوا من بني هاشم ، فمن جمعهم في صراع عشائري؟ ، وحين لم يجدوا تفسيرا ، بحثوا عن طريقة أخرى ؛ قالوا إن هؤلاء هم الرعيل الأول ، ومن يستطيع أن يحاكم الأولين الكبار؟ ، فهذا يزيد بن معاوية ، ومعاوية عندهم أحد المبشَّرين بالجنة ، وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ومن الأفضل عدم التدخل بصراع الكبار ، فنقول سيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين ! ، وهذا سيدنا وذاك سيدنا ، والله أعرف بما يحكم بينهم ، وليس من حقنا أن نحكم ، وهذا السد الدفاعي الأخير .

الحسين ابن بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ولكن يزيد يجب أن ندخله بعنوان سيدنا يزيد ، ونعطيه نوعا من الحق ، فانهارت هذه أيضا ، فالمعركة على قيم ، ومفاهيم النور والظلمة لا تجتمع ، والحق والباطل لا يجتمعان ، وكيف يمكن أن نجمع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويزيد تحت وصف (سيدنا)؟ ، فهذه لا تُقبل أبدا ، وبذلك انهارت جميع

١٨٩ . بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩ .

هذه المحاولات، وكان للمجالس الحسينية دور كبير في الحفاظ على القضية الحسينية وشرحها للناس وأيضاحها، ليبقى الناس مرتبطين بقضية الحسين ولا تؤثر فيهم هذه المحاولات.

ثانيا : إبقاء القضية الحسينية حية بين الناس

لا تبرد ولا تضيع، فقد تأخذ قضية ما، اهتمام الرأي العام وتتكلم بها الناس، وبعد أيام أو أسابيع تنساها الناس وتذهب، ما الذي جرى، ألم تكونوا مهتمين بالموضوع؟، واليوم مع الأسف، قضية الإرهاب في العراق من هذا النوع، ففي حين كان تفجير واحد يهز العالم وتصدر بيانات الاستنكار من الأمم المتحدة، ويستنكر العالم قتل أناس أبرياء، ولكن بعد تكرار التفجيرات وسقوط الشهداء كل يوم، ترى أن عبوة صغيرة في صحراء دولة عربية، تأخذ الخبر الأول والعاشر في نشرات الأخبار، ولا أحد يلتفت إلى عشرين تفجيرا في العراق راح ضحيتها المئات من الجرحى والشهداء، فخبر عبوة صغيرة مهم؛ لأنه يخص بلدا ليس فيه تفجيرات، لكن التفجيرات ومئات الضحايا في العراق لا تحظى باهتمام الرأي العام العالمي، وأصبحت قضية روتينية، فهناك خشية وقلق من أن تتحول قضية الحسين إلى حالة رتيبة تبرد وتذهب، ومن أهداف المجالس الحسينية إبقاء هذه الجذوة وهذه الحرارة وهذا الحماس في القضية الحسينية لتبقى حية.

ثالثا : إذكاء البعد الوجداني

في البعد الوجداني والمشاعري والعاطفي، نجد الخطباء والشعراء والأدباء، يكتبون وينشدون ويتحدثون ويصورون القضية الحسينية، وهناك سؤال مهم يمكن أن يسأله الإنسان؛ هو أن قضية بأهمية القضية الحسينية، عندما نراجع تراثنا كله، لا نرى أي رواية من أئمتنا الأطهار فيها سرد تفصيلي لما جرى في واقعة الطف، حتى زين العابدين الذي كان حاضرا وكان يمكن أن يكتب ما جرى كله، وهو شاهد بعينه، ولكنه لم يكتب.

عندنا إشارات وعندنا عناوين عامة، نسميها في أدبياتنا الإعلامية «مانشيتات»، ولكن بدون تفاصيل على لسان أئمة أهل البيت، لماذا لم يذكر أئمتنا واقعة الطف بالتفصيل حتى نأخذ كل شيء، وخلاف ذلك نهمله؟، وهذه الرواية التي يرويها أئمة أهل البيت نتمسك بها، فقد أصبح لدينا كتب بالمقاتل، وعلماء بالمقاتل، ومقتل

يختلف عن مقتل، لذلك فالخطباء حينما يروون واقعة الطف ينقلون مسائل مختلفة، فلماذا الاختلاف؟.

إن أئمة أهل البيت لو سردوا الواقعة بحذافيرها لكنّا نلتزم بهذا النص ونترك كل شأن آخر، وسنبقى نتعاطى مع النص بحدوده، فيغيب الإبداع والابتكار والإنشاد وتصور حجم وفداحة المصيبة التي ألمت بسيد الشهداء من قبل الناس، أعطوا الخطوط العريضة وتركوا التفاصيل للناس لكي يعبئوها ويتكلموا بها، لذلك، فالتراث الشعبي والأدبي الرثائي الذي لدينا، والذي ينقل واقعة الطف، قد يكون من المجاميع الأدبية النادرة في الأدب الإنساني وليس الإسلامي فقط، فليس هناك قضية في العالم والكون أُنشد فيها بقدر ما أُنشد في قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، نقول عشرات ومئات الملايين من القصائد الشعرية، وهذا هو المدون فما بالك بغير المدون؟، وهذه أعطت للقضية عمقا، وعمّقت الحالة العاطفية وأبقتها متفاعلة.

رابعا: التعبئة في البعد السياسي

هذا البعد الكبير وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، وفي كل سنة نستذكر بتفصيل واقعة الطف، ولو أن الحسين أراد العافية والامتيازات والعيش بدون ضغوط، لقُبل منه السكوت فقط، ولا يريدون منه أن يرفع الراية ويبايع يزيد، بل كان يكفي ألا يتعرض ليزيد ليأخذ ما يريد، ولا يريدون غير هذه القضية، هكذا كانت تجري الأمور، والحسين لا يمتلك قضية شخصية، بل كانت قضيته مواجهة الانحراف في إدارة شؤون الناس، والانحراف في تأمين مصالح الناس، والانحراف عن القيم والضوابط والإطار الذي جعل فيه تنظيم شؤون الناس وإدارتهم والحكم، وتستحق هذه القضية أن يضحي الحسين بنفسه وأهل بيته وأصحابه، وجميع هذه التضحيات الجسام من أجل تقويم الانحراف في الحكم.

إن هذه القضية تعطي ثقافة الشعور بالمسؤولية للناس جميعا، وهذه مسألة مهمة جدا، وكذلك قضية الإيثار، وقضية المثابرة، وقضية التضحية والعطاء، والانتصار للمظلوم، والتعاطف مع المنكوب، ورقة القلب تجاه أي مظلمة، لذلك ترون أتباع أهل البيت لديهم سمات ليس عند أي جماعة من البشر، والبعض لا يعرف، فيقول لماذا أنتم بكاؤون وحزينون، استمتع بهذه الدنيا وافرح، لماذا البكاء؟، وهو لا يعرف أني إذا لم أكن مباليا تجاه الحياة والمجتمع والمظلومين وتجاه الانتهاكات، فما فرقي عن أي

حيوان؟، ميزة الإنسان عن سائر الحيوانات أنه ليس فقط يأكل ويشرب ويمرح، لأن الحيوان هكذا أيضا، وإنسانية الإنسان في تحمل المسؤولية تجاه الآخرين، وفي كونه صاحب رسالة ومشروع وقضية، وهذه الثقافة نحصل عليها في المجالس الحسينية، لذلك فالمجالس تضخ معرفة سياسية بمعنى التصدي لهموم الأمة والتصدي للشؤون العامة وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»[١٩٠]، هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أسمي نفسي مسلما، وهناك قضية تحدث، فأقول ما دامت لم تصل إلى بيتي وعملي يسير، إذن لا شأن لي بالناس، فالذي يكون كذلك ليس منهم، ويسلب منه الإسلام، إذ يجب أن يكون مهتما مكترثا بهموم المسلمين وبقضاياهم العامة.

خامسا: نشر الثقافة والوعي

هناك ضخ معرفي كبير في المجالس الحسينية، فكلما صعد خطيب تحدث عن مفهوم وتفسير آية قرآنية، وقضية فقهية، وظاهرة اجتماعية، وموضوع أخلاقي، ومسألة ابتلائية، وعن مشكلة تواجه المجتمع، وكلها تعضد بالآيات القرآنية وبالروايات الشريفة الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكل هذه دروس وعطاء تجتمع فتمثل خزينا معرفيا كبيرا لأتباع أهل البيت، ولذلك أصبح أتباع أهل البيت يخيفون المتشددين، فالمتشددون من مذاهب أخرى، كما نسمع خطاباتهم عبر الفضائيات، يحدثون الآخرين بعنوان النصح، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١٩١]، كما قال الشيطان لآدم وحواء، حين جاء بلغة النصح وأراد أن يضلهما، وهؤلاء أيضا كذلك، ينصحون الناس بعدم الاحتكاك بأي شخص من أتباع أهل البيت، ويقولون لا تسمعوا لهم فهؤلاء يسحرونكم، فلا تقتربوا من شبابهم ونسائهم وكبارهم وصغارهم، وعندما ترونهم اهربوا، ما هذا الكلام؟! نحن لا نملك السحر بل نملك المنطق والعلم والمعرفة، صغارنا وكبارنا، لأن هذه المجالس لا تنحصر بفئة دون أخرى ولا تحتاج إلى (باجات خاصة)، فمجالس الحسين مفتوحة للجميع وكل من يرتاد هذه المجالس ويشارك فيها يزداد علما ومعرفة وتفقها في الدين وخزينا معرفيا كبيرا.

حتى يوجدوا فجوة وثغرة ويمنعوا الناس من المجيء إلى المجالس الحسينية

١٩٠. بحار الأنوار ٧١: ٣٣٩، ح١٢٠.
١٩١. سورة الأعراف: الآية ٢١.

والاستفادة من المعارف الدينية وما إلى ذلك، قالوا هذه (مجالس شركية)، انظروا المنشورات التي وزعتها القاعدة والمتطرفون، ولا سيما في المناطق المختلطة؛ يا أتباع أهل البيت، إذا جلستم في مجالسكم الشركية نستهدفكم. . يعتقدون أنهم يخيفوننا ولا يعلمون أننا منذ زمن أجدادنا ومنذ زمن الحجاج حينما هددونا قال أجدادنا: «لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفا سيدي يا حسين»، لذلك فالتهديد لا يخيفنا ولا يزعجنا بل يحفزنا، فإذا كان هناك من قرر أن يتابع مجلسا عبر الفضائيات، فعندما يرى المنشورات سيأتي إلى المجالس بنفسه، ودائما هذا رد الفعل الطبيعي لأتباع أهل البيت والحسينيين تجاه التهديدات.

هذه المجالس عامرة بالفكر والعظة وآيات الذكر والسُنّة النبوية الشريفة والنصح، هذه مجالس يتعمق فيها الانتماء إلى الإسلام الصحيح، وتتجسد فيها الثقافة الإسلامية الأصيلة، هذه ليست مجالس شركية، بل هي (مجالس توحيدية)، هذه مجالس معرفية، نتقرب بها وفيها ومن خلالها إلى الله سبحانه وتعالى.

روايات في قيمة المجالس الحسينية

سأقرأ لكم بعض الروايات الواردة في فضل هذه المجالس، لتعرفوا قيمتها وتعرفوا التوفيق العظيم في إقامة مثل هذه المجالس الحسينية.

جزاء الدمعة

قال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تذكّر مصابنا وبكى لما اُرتكب منا»، الذي يجلس في مجلس الحسين ويذكر مصاب سيد الشهداء وتأخذه العبرة وتنزل دموعه وتتحرك مشاعره وعواطفه تجاه الحسين ومظالم أهل البيت سلام الله عليهم، «كان معنا»، الإمام الرضا يقول من يقوم بذلك «كان معنا في درجتنا»، يمكن أن نتقبل ونتفهم أن يكون في الجنة بسهولة، لكن «معنا في درجتنا»، أين درجة أهل البيت في الجنة؟، «معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذُكّر بمصابنا فبكى وأبكى»، الخطيب يبكي ويُبكي الناس، «لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا»، كهذا المجلس، «يُحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»، حياة القلوب، «ولنحيينه حياة طيبة»[١٩٢]، الحياة الطيبة هي هذه؛ حين يجلس الإنسان في مجلس الحسين يتعاطف ويتفاعل مع الحق ويرتبط

١٩٢. بحار الأنوار ١: ٢٠٠، ح٦.

ويتمسك به، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [١٩٣]، وأي حبل لله أوثق من حبل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟.

عاقبة من أوذي فيهم

وفي رواية أخرى، عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كان علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ السجاد يقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي حتى تسيل على خديه بوأه الله في الجنة يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعا حتى يسيل على خده لأذى مسنا من عدونا في الدنيا (تعاطفا مع أهل البيت) بوأه الله مبوأ صدق في الجنة وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خديه من مظاظة ما أوذي فينا»، شخص يقال له أنت رافضي، لأنه من أتباع أهل البيت، ويسيئون إليه ويؤذونه، فتدمع عيناه ويكسر خاطره؛ يا أهل البيت، لأننا من أتباعكم يعملون بنا هذا ويهينوننا ويذلوننا ويقتلوننا، ويبكي تظلما لأنه استهدف لانتمائه لأهل البيت، «صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[١٩٤].

هنيئا لكم يا شعب العراق، فالإرهاب يستهدفكم لأنكم محبون لأهل البيت، فهنيئا لكم هذه النتائج، وهذه العاقبة الحسنة، وهذا العطاء الجزيل من الله سبحانه وتعالى على ما تقدمون.

فضل إحياء أمرهم

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال لفضيل: «تجلسون وتتحدثون؟»، هل تجلسون (يعني محبي أهل البيت) وتتحدثون في مناقبنا وفي أمر دينكم ودنياكم، «قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها»، الإمام الصادق يقول، «فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل من ذَكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب»، يعني دمعة صغيرة، حبا لنا وتعاطفا مع مظالمنا، «غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[١٩٥].

---

١٩٣. سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
١٩٤. بحار الأنوار ٤٤: ٢٨١، ح١٤.
١٩٥. ثواب الأعمال: ١٨٧.

الله سبحانه وتعالى كريم ومعطاء وغفور ورحيم، ولا بد من أن نستثمر هذه المجالس ونتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى.

أجر المُنشد

عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي»، وأبو عمارة كان شاعرا ومنشدا رثائيا، أي هو (رادود) كما نقول في زماننا، والإمام الصادق يقول له: «أنشدني في الحسين، قال: فأنشدته بعض الأبيات فبكى ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار»، يعني من المكان الذي فيه العائلة وذراري الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ارتفع البكاء وذراري رسول الله كن يسمعن هذا الرثاء ويبكين على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال «فقال: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعرا فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فأبكى واحدا فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرا فبكى فله الجنة»، لم يستطع أن يُبكي الآخرين وبكى على شعره فله الجنة، «ومن أنشد في الحسين شعرا فتباكى»، أراد أن يبكي فلم تأت الدمعة فتظاهر بالبكاء، وهذه ثقافة الحسينيين؛ فالذي يستطيع البكاء يبكي، والذي لا يستطيع يظهر الحزن ويتباكى، أي إظهار البكاء وليس عندك بكاء، «فتباكى فله الجنة»[١٩٦].

هذه الرواية أقرأها وأختم بها الحديث، عن زيد الشحام قال: «كنا عند أبي عبد الله الإمام الصادق، ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عفإن الطائي»، هذا المعروف بالولاء لأهل البيت، «على أبي عبد الله فقربه وأدناه»، الإمام الصادق قرب شاعر أهل البيت، وأجلسه إلى جانبه، خدمة الحسين لهم مكانة عظيمة عند أهل البيت، «ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتجيد»، قالوا لي إنك شاعر جيد وتحسن الأداء، «فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: قل (أسمعني) فأنشده صلى الله عليه فبكى ومن حوله»، بمجرد أن بدأ جعفر ينشد بكى أبو عبد الله الصادق وكل من كان في المجلس، «حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته»، كان بكاء شديدا من الإمام الصادق، «ثم قال: يا جعفر

١٩٦. بحار الأنوار٤٤: ٢٨٢، ح١٥.

والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون هاهنا يسمعون قولك في الحسين»، الملائكة المقربون حضروا يسمعون قولك في الحسين، «ولقد بكوا كما بكينا وأكثر»، أنت ترى نحيبنا يا جعفر، لكن ملائكة السماء تنحب أكثر منا بكاء على الحسين عليه السلام.

«ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها»، يا جعفر أبكيتنا وأبكيت ملائكة السماء وذكرتنا بمصيبة سيد الشهداء، وفي هذه اللحظة التي أبكيتنا فيها كتب الله لك الجنة وغفر الله لك، «فقال: يا جعفر ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيدي قال: ما من أحد قال في الحسين شعرا فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له»[١٩٧].

لذلك نزداد معرفة ونبلا والتحاما وتمسكا بالحسين بهذه المجالس الحسينية، ولا نتخلى عنها ونأتيها ونحافظ عليها ونحيي ذكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ونتقرب إلى الله، ونبني مجتمعنا على أساس الأخلاق الحسينية، والمنهج الحسيني والفكر الحسيني والتسامح الحسيني، على أساس التعايش الحسيني والانفتاح الحسيني، ونحن حسينيون ولا بد من أن نبقى حسينيين ونتمسك بالحسين، ولا بد من أن نتعلم من الحسين دروس الحياة، فهنيئا لكم يا أنصار أبي عبد الله الحسين بحضوركم ومشاعركم ومواساتكم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولأهل بيته الكرام بمصيبة سيد الشهداء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٩٧. بحار الأنوار٤٤: ٢٨٢، ح١٦.

الليلة الثانية بتاريخ ٢٠١٣/١١/٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

البصيرة.. سمة المدرسة الحسينية

السلام عليكم أيها الحسينيون.. إن الحسين حمل رسالة الحياة وعلمنا كيف نعيش، وإذا ما كانت حياة الأمة تتطلب التضحية، كيف نضحي ليعيش الآخرون، فهي مدرسة معطاء، ولا بد من أن نقف عندها ونتعلم، وكلما تعمقنا أكثر في هذه الثورة والحركة وهذا المشروع الرسالي، اكتشفنا المزيد من السمات والصفات، وإن واحدة من الصفات التي شهد لها الأعداء والخصوم قبل الأصدقاء والأولياء في الحسين وأهل بيته هي البصيرة.

إن الحسين ومن معه كانوا من أهل البصائر، وهذا ما نجده في كلام عمرو بن الحجاج وهو قائد الميمنة لجيش عبيد الله بن زياد، فحينما أراد أن يحرّض جماعته على قتل الحسين وأصحابه قال لهم: «أتدرون من تقاتلون؟، تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر، وقوما مستميتين»، إذن، من سمات الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه أنهم من أهل البصائر، وإذا كان الإنسان على بصيرة فإنه يكون قويا وثابتا ومتحديا ومستميتا.

«لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم»، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١٩٨]، فالله تعالى يجعل البركة والتوفيق لدى الجماعة التي تتحرك بمنطلقات رسالية وبضوابط ومعايير إنسانية، ويقول القائد الخصم: «والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم»[١٩٩]، لاحظوا الخسة والدناءة، كانوا سبعين شخصا وكان جيش العدو ثلاثين ألفا وفي رواية أخرى سبعين ألفا، ومع ذلك لا يجرؤون على قتالهم وجها لوجه، وإنما يقول ارضخوهم بالحجارة من حيث لا يقدرون على الرد، كما يفعل الإرهاب اليوم بشعبنا؛ فأساليبه ليست شريفة وليست أساليب الخصومة حتى لو كانت هناك خصومة، فالخصم يقف بوجه الآخر ويخاصمه، لكنهم يقتلون الناس ويقطّعون أشلاءهم في قارعة الطريق هنا وهناك.

ما أشبه اليوم بالأمس

وقبل أيام قليلة استذكرنا فاجعة سيدة النجاة، وكيف اُستهدف أهلنا وشركاؤنا المسيحيون في هذا الوطن من قبل الإرهابيين، وفي كل يوم نستذكر ونعيش حالة الفجائع والمجازر التي يرتكبها الإرهابيون المتسترون الخائفون الذين يفتكون ويبطشون بأبناء شعبنا، هل هذه شجاعة؟ هل هذه جرأة أو صلابة؟.. أن يأتي الإنسان ويفجر الناس في الأسواق، الأطفال والنساء والكبار والصغار، وفي دور العبادة والمدارس والجامعات وفي الأزقة والشوارع، هذا هو المنهج الأموي، المنهج اليزيدي هو ذاته نجده اليوم بنفس المنطق والأساليب.

إذن، البصيرة من المفاهيم المهمة ومن السمات المهمة في الشخصية الإنسانية، وقد تجلت وتجسدت في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي أهل بيته وأصحابه. ونسعى هذه السنة في المجالس إلى أن نتحدث بعدة موضوعات ومحاور حول البصيرة.

أولا: معنى البصيرة.

ثانيا: ما أهمية أن يكون الإنسان من أهل البصائر وأن يكون على بصيرة من أمره؟.

ثالثا: ما هي الأدوات والوسائل التي تحقق للإنسان الوصول إلى مرحلة البصيرة، فيكون من أهل البصائر، كيف نقوي هذه البصيرة ونجددها في نفوسنا ووجودنا، كأفراد ومجتمع؟.

---

١٩٨. سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

١٩٩. بحار الأنوار٤٥: ١٩.

رابعا: ما هي العوامل والعناصر التي تساعد على تحقيق البصيرة؟.

خامسا: ما هي الآثار والمعطيات والنتائج لأهل البصائر، فحينما يكون الإنسان على بصيرة ماذا يترتب، ما هي الآثار والإيجابيات المترتبة على المجتمع البصير والفرد البصير والجماعة البصيرة؟.

سادسا: ما هي الموانع التي تمنع من تحقق البصيرة للإنسان؟.

سابعا: ما هي مصاديق أهل البصائر في نظرة لحركة الأنبياء والأولياء والأوصياء على مر التأريخ.

هذه هي العناوين التي نسعى لنتحدث فيها في هذا الموسم الكريم من شهر محرم الحرام.

أوّلا: معنى البصيرة

الوضوح

البصيرة في اللغة هي حالة اليقين، وحالة الاعتقاد الراسخ في القلب، وحالة الفطنة والتنبه والعبرة والنظرة التقييمية إلى السلف والتأريخ، ولما جرى على الأقوام والأمم السابقة وما جرى على الإنسان في ظروف سابقة، فالذي لا يقرأ التأريخ يكون هو عبرة من عبر التأريخ، ومن لا يقف عند تجارب الأمم السابقة يتحول إلى تجربة من التجارب للأمم اللاحقة.

مشكلتنا أننا لا نركز كثيرا على تجارب السابقين، ولا نبدأ من حيث انتهى الآخرون بل نبدأ من الصفر، فنجرب ونقع في مطبات وقع فيها السابقون، ولو قرأنا ونظرنا وتدبرنا وراجعنا تجارب السابقين لكان بالإمكان أن نجنّب أنفسنا الوقوع والسقوط في هذه المطبات والإشكالات، لأن الحياة وإن كانت تتجدد في تفاصيلها وفي رجالها وطبيعة معطياتها، ولكنها تخضع لمعايير وضوابط وسنن وقوانين واحدة لا تتغير؛ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[٢٠٠]، هناك حق وهناك باطل، وصراع بين الحق والباطل، والنزعات الشريرة والخيرة في الإنسان، فهذا الصراع الداخلي بين

٢٠٠. سورة فاطر: الآية ٤٣.

نزعات الشر والخير، والصراع المجتمعي بين الشر والخير، وبين الحق والباطل، تجسد في قضية الحسين ويتجسد في كل زمان ومكان، ولذلك نقول: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»، لأن قضية عاشوراء التي وقعت على أرض كربلاء هي قضية متجددة في كل زمان ومكان، وهي قضية الحق والباطل والصراع الأزلي بينهما.

إذن، البصيرة هي قوة الإدراك وقوة العقيدة واليقين والوضوح والفطنة والتنبه والرؤية الثاقبة والنظر للأمور بقراءة ليست قشرية وسطحية وإنما قراءة عميقة، وكما نعبر؛ قراءة ما بين السطور، أن يكتشف الإنسان الحقائق قبل أن تنفجر بوجهه، هذه هي البصيرة، ونجد الاستخدام القرآني لهذه المفردة في صياغات عديدة كلها بنفس المعنى؛ بمعنى الوضوح ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[٢٠١]، مبصرة بمعنى الهداية، و﴿أَدْعُو إلى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[٢٠٢] أي هو ذو علم وخبرة، ومستبصر أي مستبين يطلب البصيرة، ومتبصر أي متأمل، وتبصير أي أيضاح... فتجدون جميع هذه التشقيقات لمفردة البصيرة تركز على ذات المعنى والحقيقة؛ وهي حالة الوضوح لدى الإنسان؛ الوضوح في العقيدة، الوضوح في ما هو صلاحه، والوضوح في ما ينبغي عليه فعله، والوضوح في تشخيص وتقدير الموقف.

الرؤية الاستراتيجية

البصيرة في مصطلحاتنا الحديثة تعني الرؤية الاستراتيجية، والإستراتيجية التي لا تتغير بالانفعالات ولا تتأثر ببعض الإزعاجات والمنغصات تختلف عن الرؤية التكتيكية الوقتية، فالرؤية الإستراتيجية تشخص المصالح والمفاسد والاصطفافات، والأمة التي تمتلك رؤية لا تضيع ولا تتلكأ، هذه الأمة لا تخفق ولا تتردد لأنها شخصت مسارها وحددت اتجاه البوصلة مهما كانت العوائق كبيرة والتحديات ضخمة والأخطار جسيمة، فهي قادرة على أن تتلمس طريقها وتصل إلى الهدف. الفرد الذي يمتلك رؤية، والجماعة التي تمتلك رؤية، والأمة التي تمتلك رؤية، على هذه الأصعدة كلها، هي الرؤية الاستراتيجية.

البصيرة مفهوم قرآني يرتبط بالعقيدة الإيمانية، وبالوضوح في ما يجب أن يفعله الإنسان حتى يحقق لنفسه السعادة الأبدية ويصل إلى الجنة ويحقق رضا الله تعالى،

٢٠١. سورة الإسراء: الآية ١٢.
٢٠٢. سورة يوسف: الآية ١٠٨.

والرؤية الاستراتيجية التي نتحدث عنها اليوم لا تختص بالحركة التكاملية نحو الله فقط، وإنما ترتبط بتنظيم حياتنا اليومية وتفاصيلها، ولكن المعيار واحد والإطار واحد. لماذا نتحدث عن البصيرة في هذا العام؟، لأن واحدا من أهم تحدياتنا المجتمعية وواحدا من أهم إشكالاتنا المعاصرة في العراق وفي الوطن العربي والعالم الإسلامي والمجتمع العالمي الإنساني هي حالة التخبط، وحالة الارتجالية والمواقف الانفعالية وردود الأفعال غير المدروسة بعيدا عن التقدير الصحيح للمصالح، فكم من حركة يقوم بها الإنسان ترتد عليه وتضر بواقعه وبحاله، وكم من قرار يتخذه المجتمع ثم يرتد عليه ويبدو أن هذا القرار لم يتسم بالحكمة وبالاستقامة فيتحول إلى حالة عكسية.

ينبغي تقدير الموقف الصحيح والانطلاق في كل موقف من رؤية استراتيجية، والحرص على ألا نتحرك اعتباطا وارتجالا، بل نفكر ونقدر ونحلل ونقلب الأمور ونتريث فيها حتى تكتمل الرؤية، فحينها نكون قد وصلنا إلى مرحلة الرؤية وأصبحنا على قناعة واضحة وتامة أن الخطوة الصحيحة هي أن نذهب بهذا الاتجاه، لماذا يعيش المجتمع كل هذه الاشكالات والتخبطات؟، ولماذا يعيش الفرد حالة التراجع في حركته؟، لأنه يتخذ قرارات ثم يندم عليها ويتراجع عنها ويقول ليتني لم أقم بهذه الخطوة، ليتني لم أفعل هذا الفعل، ليتني لم أذهب بهذا الاتجاه، فالرؤية الصحيحة تمكّن الإنسان من اتخاذ المواقف الصحيحة التي لا يندم عليها ويستطيع أن يذلل العقبات كلها.

إذن، هذه أزمة اجتماعية كبيرة نعيشها اليوم في مجتمعنا العراقي وفي مجتمعات أخرى، والإسلام قدم تصورا واضحا لكيفية معالجة هذه الأزمة من خلال البصيرة التي يتسم بها الإنسان، وحينما نتحدث عن أهمية البصيرة، نتحدث عن المفتاح السحري والمدخل الصحيح لمواجهة الكثير من التحديات، والتخلص من ظاهرة التخبط والارتجالية والانفعال التي نقع فيها على مستوى الفرد والجماعة.

البصيرة في القرآن

لاحظوا كيف يتحدث القرآن عن أهمية البصيرة: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[٢٠٣]، الناس عندها بطر وتوقعات عالية وكبيرة؛ يا محمد، إذا كنت رسول الله بالفعل فاجعل بيتي من ذهب هل تستطيع؟!.. يا محمد، إذا كنت رسول

٢٠٣. سورة الأنعام: الآية ٥٠.

الله، فحول مكة القاحلة بصحرائها إلى جنة فيها أعين وأنهار وبساتين!.. وهكذا كل واحد يتمنى ويطلب شيئا. أيها الناس، هذا رسول الله، وقد جاء بمشروع ولم يأتِ حتى يحقق أمانيكم على خلاف نظام السببية الذي يحكم هذا الكون.

﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، الأشياء التي تطلبونها هذه من عند الله، وأنا لا أملك خزائن الله، لا تطلبوا مني أشياء لا يمكن أن تتحقق، النظام الذي وضعه الله تعالى لا يسمح بتحققها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢٠٤]، ننزل بمقدار، لكن خزائن الله فيها كل شيء، وهي ليست في متناول يد الناس حتى الأنبياء منهم إلا ما قدر الله تعالى.

«ولا أعلم الغيب»، يأتون النبي ويطلبون منه معرفة كم يعمرون أو هل يربحون صفقة تجارية معينة؟ وما يشبه ذلك من الطلبات، يريدون معرفة خيرهم وشرهم من دون أن يشغّلون عقولهم ويستغلون مواقع الرسالة الإلهية للوصول إلى مآرب شخصية أو الوقوف أمام أضرار شخصية ومصلحية.. يا رسول الله، قل لهم إني لا أعلم الغيب، فالله عالم الغيب ويعلم كل شيء أما أنا فلم أقل لكم إني أعلم الغيب، فالله هو عالم الغيب وحده، ولكنه سبحانه وتعالى أحيانا يُطلع بعض أنبيائه على بعض الغيب، فيطلعون عليه بإرادة الله تعالى؛ كما في سورة الجن: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾، لا أحد يطلع على غيب الله، ﴿إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى﴾، الا من ارتضاه الله وأراد أن يطلعه، ﴿مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[٢٠٥]، إذن يا رسول الله، قل لهم إني لا أعلم الغيب، وهذه كلها شكوك وحجج لأنكم لا تريدون أن تؤمنوا بالرسالة الإسلامية ولا تريدون الهداية والانصياع للحق.

«ولا أقول لكم إني ملك»، أنت نبي تحمل رسالة إلهية، ونرى أنك مثلنا تأكل وتشرب وتنام وتجلس وتمشي في الأسواق، فإذا كنت نبيا حقا فإنا نريدك أن تكون ملكا أو يمشي معك ملك من الملائكة، فالله يعلمه الجواب؛ «ولا أقول لكم إني ملك»، وفي آية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[٢٠٦].

أنا إنسان، وهذه عظمة الخالق أن يرسل للإنسان إنسانا بسمات الإنسان يحمل الرسالة الإلهية، الله تعالى حينما يقدم لنا القدوة من أنفسنا، من شخص يحمل نفس

٢٠٤. سورة الحجر: الآية ٢١.
٢٠٥. سورة الجن: الآية ٢٦.
٢٠٦. سورة فصلت: الآية ٦.

صفاتنا الإنسانية فهذا معناه أننا يمكن أن نقتدي به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٢٠٧]، إذن يا رسول الله، أنت لا تملك خزائن الله ولا علم الغيب، فالله تعالى يقول له قل لهم: «إن أتبع إلا ما يوحى إليّ»، أنا عبد مأمور، أنا عبد مرسل، الله يوحي إلي وأنا أنقله لكم من دون زيادة أو نقيصة، فلا تطلبوا مني أكثر من ذلك، «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»، فالمسألة ترتبط بالله تعالى وبإرادته؛ ماذا أقول وماذا أفعل؟.

البصيرة مفتاح الإيمان

بعد ذلك كله، بعد أن جاءت الآية لتناقش المنكرين الكافرين المشركين، بعد ذلك تنتهي الآية بهذا النص الشريف: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٠٨]، وهنا محل الشاهد، فالذي عنده بصيرة ورؤية ثاقبة وفطنة وفهم صحيح يتلقى الرسالة ويتمسك بها، وما إن يطلع على الحق حتى يتشبث به، لكن الذي لا يمتلك البصيرة يعيش حالة الفوضى والارتباك والتردد والتخبط، فلا يدري ماذا يعمل ولا يعرف كيف يعالج أموره وكيف يتغلب على مشاكله؟، ولو كان لديكم قدرة على التفكر والتأمل لوصلتم إلى الرؤية الصحيحة وإلى البصيرة، ولتمسكتم بالحق دون هذه الاشتراطات التعجيزية ودون هذه الحجج (البني إسرائيلية)، حجج وذرائع لو حققها النبي لهم لقالوا ساحر.

تصوروا لو غيّر هذا البيت وجعله من ذهب ولو أخبر الناس بحقائقهم، لما انتهت القضية ولما آمنوا؛ لأن هؤلاء ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ [٢٠٩]، المسألة ليست ذات صلة بتلبية هذه المطالب التعجيزية، فلو كانت هناك بصيرة في القلب تنفتح على الحق وتتمسك به لآمنت بالرسالات الإلهية دون هذه الاشتراطات التعجيزية، أما إذا كنت أعمى القلب فحينذاك لو تحققت جميع هذه الأشياء فلن تؤمن، كما لاحظنا ذلك في أبي سفيان؛ فبعد أن رأى جميع الحجج والبينات، يلتفت ويقول إن ملك ابن عمي لعظيم، ملك ولا يقول رسول!، لم يؤمن بالرسالة ولم يستطع، وهي حالة النفاق حينما يضطر لأن يبدي شيئا ويبطن شيئا آخر.

لا علاج لأزماتنا إلا بالبصيرة، وإذا لم تكن هناك بصيرة فستبقى المشاكل قائمة،

---

٢٠٧. سورة الأحزاب: الآية ٢١.
٢٠٨. سورة الأنعام: الآية ٥٠.
٢٠٩. سورة البقرة: الآية ١٠.

فإن معاجز بمستوى معاجز سيد الأنبياء لم يستجيبوا لها وطلبوا أشياء أخرى، إذن فالحل الأساسي عبر البصيرة.

نماذج من البصيرة الحسينية

ما أكثر نماذج البصيرة في المدرسة الحسينية، ولكن نتبرك باستعراض هذه النماذج حتى نعرف مستوى البصيرة.

شهادة الإمام المعصوم

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يشهد لأصحابه وأهل بيته بأنهم من أصحاب البصائر وأنهم يتمتعون بهذه الرؤية الثاقبة، ولذلك أصبحوا خير الأصحاب حينما قال: «فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي»[٢١٠]، خير الأصحاب أصحابي ولا يمكن أن يكون الأفضل إلا بالبصيرة والرؤية واختيار الحق، لا يستوحش طريق الحق لقلة سالكيه، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢١١]، حينما تكون لدى الإنسان بصيرة، يرى الحق كما يرى الشمس، والحق أن يمضي في هذا الطريق.

أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا سبعين في مقابل سبعين أو ثلاثين ألفا، أين هذا من ذاك؟، ومن الناحية العسكرية هي معركة خاسرة ولكن عليهم أن يعملوا بالتكليف، هذا هو الذي يهمهم، أما النتائج فإن كانت الشهادة فهي أحلى من العسل.

الوضوح والثبات

لاحظوا موقف مسلم بن عوسجة في ليلة عاشوراء، في تلك الليلة الشريفة حينما كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يصبّرهم ويرفع عبء المسؤولية عنهم: «إن القوم يطلبونني ولو ظفروا بي لذهلوا عن غيري، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»[٢١٢]، هكذا قال لهم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال مسلم بن عوسجة: «أنحن نخلي عنك؟»، نتركك يا حسين؟!.. حتى لو رفعت عبء المسؤولية الشرعية عنا، فإن حقك ونصرتك واجب من الله علينا، «أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما

٢١٠. بحار الأنوار٤٤: ٣١٦.
٢١١. سورة سبأ: الآية ١٣.
٢١٢. الهداية الكبرى: ٢٠٤.

ثبت قائمه بيدي»، وهذه هي البصيرة والوضوح، فلو وقفت الدنيا وما فيها بوجهي فلن أتراجع ولن أتنازل، وما دمت أقوى على رفع هذا السيف، فسأذب عنك وأقاتل دونك، «ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك»[٢١٣].

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: «والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك»، لا والله لا نتركك ولا نتخلى عنك، «أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذرى يُفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا»[٢١٤]، كرامة الدنيا والآخرة؛ هذا الذكر الحسن لأصحاب الحسين بعد ١٤٠٠ سنة، لو كان سعيد إنسانا عاديا فمن يذكره بعد وفاته، ولكننا إلى اليوم نذكره ونذكر موقفه الخالد، الحياة موقف، قال كلمة بصدق عن بصيرة من أمره في اللحظة الصحيحة؛ اتخذ القرار الصحيح في الوقت الصحيح، فحظي بفوز الدنيا والآخرة وسعادتهما. إن الموقف الصحيح في الوقت الخاطئ لا يفيد، كالموقف الخاطئ في الوقت الذي يجب أن يكون فيه الموقف صحيحا، لقد اتخذوا الموقف الصحيح في الوقت الصحيح فخلدوا فهنيئا لهم ذلك.

معرفة الحق

قال زهير بن القين: «والله لوددت أني قتلت»، وزهير بن القين تأريخه عثماني، وكان من مدرسة أخرى، لكن سريرته نظيفة فرزقه الله تعالى البصيرة، ففي الطريق، حين علم بمسير الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، غيّر طريقه وابتعد حتى لا تقع عينه في عين الحسين، ، وبعد أن بقي يبتعد عن قافلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل في مكان، ونزل الحسين في مكان آخر على مقربة، فأرسل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ له رسولا، وكان زهير يتهرب ولكن زوجته قالت له: أيبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟، فخجل زهير وقام وذهب إلى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحين جلس عند أبي عبدالله وفاتحه بالموضوع رأى زهير الحق أمامه وتمسك به، ورجع بعد دقائق إلى زوجته وقال لها ارجعي لأهلك.

البصيرة والحق لا يحتاجان إلى براهين وأدلة واشتراطات وتعجيزات، فإذا كان لديك بصيرة فسوف تعرف الحق وتتمسك به، وفي هذا يقول زهير بن القين: «والله لوددت أني

٢١٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٨٥.
٢١٤. بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٣.

قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أُقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك»[٢١٥].

سلام عليهم وعلى بصيرتهم، فقد قدموا دروس العطاء والوفاء والثبات والإصرار على الحق، فكانوا مدرسة للإنسانية كلها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢١٥. بحار الأنوار ٤٤: ٣١٦.

الليلة الثالثة بتاريخ ٢٠١٣/١١/٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

دروس البصيرة ومعانيها

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون، إخوة وأخوات، ورحمة الله وبركاته، كان حديثنا في الليالي الماضية عن درس مهم ونقطة وضاءة وسمة أساسية من سمات الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه، ألا وهي سمة البصيرة، فكانوا من «أهل البصائر» كما ورد في حقهم على لسان خصومهم وأعدائهم، وقلنا إن البصيرة هي الاكسير وهي المفتاح لحل الكثير من الإشكالات والتحديات، وهي الطريق الذي يوصل الإنسان إلى طي مراتب الكمال والوصول إلى الله (سبحانه وتعالى).

البصيرة تعني الوضوح واليقين وقوة الإدراك والفراسة والتمكنمن رؤية المستقبل وتقدير الموقف الصحيح، لذلك يتحدث القرآن الكريم عن البصيرة وأهميتها بشكل واضح في العديد في آياته الشريفة.

ثلاث سمات توصل إلى الجنة

قد استعرضنا في الليلة الماضية الآية الشريفة الخمسين من سورة الأنعام، واليوم نستشهد بآية أخرى على أهمية البصيرة؛ وهي قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم »، هناك ثلاث سمات يترتب بعضها على البعض الآخر؛ «إن الذين آمنوا»، الإيمان، العقيدة الراسخة، «وعملوا الصالحات»، كلما كانت مرتبة الإيمان أعلى، كان تجسيد هذا الإيمان عبر العمل الصالح أوضح، ، فكلما كان الإيمان أقوى كان العمل أكبر والهمم أكبر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾، المخبت والإخبات هي حالة التسليم إلى الله تعالى وهي متفرعة على الإيمان والعمل الصالح؛ حينما يكون الإنسان مؤمنا ومعتقدا ويظهر منه العمل الصالح يصل إلى مرحلة الإخبات والتسليم لله جل وعلا، إلى مرحلة الخضوع والخشوع بين يدي الله جل وعلا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢١٦]، الجنة، السعادة الأبدية، المستقبل، لمن تتوافر فيه هذه السمات الثلاث.

«مثل الفريقين»، المؤمن وغير المؤمن، «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا»، الأصم هو الذي يفتقد إلى القدرة على السمع، هل حاله كحال من يسمع؟، والأعمى هل حاله كحال من يرى؟، لا يمكن أن يتساويا، والمقصود في هذه الآية الشريفة ليس بصر العين، فالمؤمن وغير المؤمن كلهم يبصرون، ولكن الفرق الكبير بين المؤمن وغيره أن المؤمن لديه بصيرة، بصيرة القلب، وليس بصر العين فقط، يرى بعين الله، هذه البصيرة إنما يهبها الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمؤمنات وليس لغير المؤمن، والسمع لا يراد منه سمع الأذن، بل يراد منه الوعي؛ أن يعي الإنسان الحقائق، ومن لديه البصيرة قادر على أن يعي الأمور بشكل صحيح، ولكن غير المؤمن ليس له وعي، فلا يستطيع أن يعي الحقائق.

﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [٢١٧]، في ذلك تذكرة وانتباه، أي التفتوا، فمن لديه بصيرة ليس كالذي يفتقد إلى البصيرة، وفي مقابل البصير الذي يمتلك البصيرة، هناك» الغفلة »، الإنسان الذي لا يستطيع أن يعي ويفقه ويتعاطى مع حقائق الكون.

---

٢١٦. : سورة هود: الآية ٢٣.

٢١٧. سورة هود: الآية ٢٤.

نتائج فقدان البصيرة

في آية أخرى في سورة الرعد: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، يا رسول الله أخبر الذين لا يؤمنون بوحدانية الله والذين يعبدون الأوثان وقل لهم من ينظم شؤون السماوات والأرض، ﴿قُلْ اللَّهُ﴾، لا يعرفون فقل لهم وعرفهم بهذه الحقيقة، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾، الله هو رب السماوات والأرض، ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء﴾، تركتم رب السماوات والأرض ومدبرهما، واتخذتم أولياء من دون الله وتمسكتم بغير رب العالمين؛ تمسكتم بهذه الأوثان والأصنام، وتركتم عبادة الله وعبدتم الأوثان.

﴿يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾، هل هذه الأوثان قادرة على أن تدفع عن نفسها الضرر، أو تجلب لنفسها منفعة حتى تنفعك وتدفع الضرر عنك؟، هل هي قادرة على أن تحل مشكلتها لتحل مشكلتك؟، أنتم تعبدون أصناما؛ اللات والعزى وهبل وغيرها من الأصنام عند الجاهلية، والصنم قد يكون من الحجر يضعه الإنسان أمامه ويعبده، وقد يكون أي شيء في الحياة يبعده ويصرفه عن الله، فيكون هو كذلك؛ مثلا، شخص يرى فتاة ويعجب بها ولكنها لا تصبح من قسمته ونصيبه، فيظل باله وفكره وحياته ووجوده، وكل شيء فيه متعلقا بها، فهذه صارت إلها له، صارت وثنا، وكذلك إذا كان هناك شخص لديه قضية معينة، تجارة مثلا، وهي شيء جيد، لكنها تصبح كل وجوده، فلا البيت له حصة ولا الدين له حصة ولا الحياة لها حصة ولا المجتمع له حصة، كل وجوده عمل في التجارة وجمع المال، لمن تجمع، ومتى ترتاح وأين راحتك؟، أين راحة أهلك وأين فائدة المجتمع منك، ومن يستطيع أن يراك، فأي شيء يستحوذ على وجود الإنسان وعلى اهتمامه من دون الله بعيدا عن الطريق الصحيح، فقد اتخذه إلها.

البصيرة تقودنا إلى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

هناك من يجاهد في سبيل الله ويصرف كل حياته ووجوده لما يحقق التكامل إلى الله وبما يوصله إلى الله، هذا في طريق العبودية، واليوم هناك أناس من خدمة سيد الشهداء يصرفون الوقت والجهد في خدمة سيد الشهداء، والحضور في هذه المجالس والخدمة الحسينية بجميع أنماطها، من هو الحسين؟ ولماذا نخدمه، ولماذا نواسيه، ولماذا نستذكره، ولماذا نعتلي المنابر له؟. . . ، لأنه ابن بنت رسول الله، ولأنه حامل مشروع الله سبحانه وتعالى، مشروع الرسالة، «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما

ولا مفسدا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢١٨]، قيمة الحسين بما يمثله من امتداد؛ السلام عليك يا وارث آدم. . .السلام عليك يا وارث إبراهيم. . . السلام عليك يا وارث نوح. . . السلام عليك يا وارث موسى. . . السلام عليك يا وارث عيسى. . . ويا وارث محمد حبيب الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[٢١٩]، لذلك فإن الارتباط بالحسين ارتباط بالله سبحانه وتعالى، لكن إذا صببت اهتمامك على قضية ما سوى الله استحوذت عليك، فقد صارت لك إلها.

البصيرة نور والغفلة ظلمة

﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً﴾ [٢٢٠]، لا يستطيعون أن يدفعوا الضرر عن أنفسهم، ولا يستطيعون أن يجلبوا المنفعة لأنفسهم، ولا يدفعون الضرر عنكم. يا رسول الله، قلهذا الكلام للوثنيين، وهنا الشاهد، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، من يعبد الله هو البصير الذي يملك البصيرة والرؤية والوضوح، ويسير في الاتجاه الصحيح، ولكن الذي يعبد الأوثان والذي يتعلق اهتمامه بما سوى الله فهذا كالأعمى، قلبه لا يرى، وليس لديه بصيرة.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [٢٢١]، من يسير في طريق العبودية لله، قلبه منوّر بذكر الله، واهتمامه وتركيزه على تكامله المنشود، أما الذي يسير بطريق آخر، فهو في الظلمات، والظلمات سكون وجمود، يراوح في مكانه، في حالة اليأس والانكسار، والتوقف عن كل شيء، لكن الإنسان المؤمن، المتوجه نحو الله، صاحب المشروع، الإنسان الطموح، الإنسان الذي يتحمل المسؤولية تجاه المجتمع، هذا إنسان مليء بالطاقة والحيوية والحماسة والنور وهمة الانطلاق نحو الأهداف الصحيحة.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، قل لهم يا رسول الله؛ أتركتم رب العالمين وتمسكتم بحجر؟، هل خلقوا كخلق الله، لذلك لم تستطيعوا التمييز بين ما خلق الله، وما خلق هبل وغيره من الأوثان، فبالاشتباه تمسكتم بالأوثان،

٢١٨. بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.
٢١٩. بحار الأنوار ٩٨: ١٩٣، ح٨.
٢٢٠. سورة الرعد: الآية ١٦.
٢٢١. سورة الرعد: الآية ١٦.

هل يخلقون شيئا؟، ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢٢٢]، الخالق هو الله سبحانه وتعالى لا غير، فإذا كانت المخلوقات كلها من خلق الله سبحانه وتعالى فكيف وقعتم في العمى والظلمة والتشبث بالأوثان وترك الله سبحانه وتعالى وتجاهل وحدانية الله سبحانه وتعالى؟، انظروا إلى البصيرة وتأثيرها، انظروا إلى البصيرة وآثارها العظيمة في حياة الإنسان وحياة الأمة.

النور واحد والظلمات كثيرة

الآية الرابعة في سورة فاطر، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[٢٢٣]، المؤمن هو البصير والكافر هو الأعمى، من يسير في طريق الكمال وفي طريق الله سبحانه وتعالى هو البصير وما سواه أعمى، ولا يستويان، ﴿وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾[٢٢٤]، حاشا أن يتساوى النور والظلمة، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٢٥]، النور مفرد والظلمات متعددة، فلم يقل (إلى الظلمة)، والنور واحد لأنه يتجسد بالهدف الواحد؛ بالله سبحانه وتعالى، فليس به تعدد، لكن الظلمات كل ما سوى الله، وهذه قد تتعدد، لذلك فالظلمات جاءت بالجمع.

منشأ الظلام هو السكون والركود واليأس والإحباط، ومنشأ كل خطر على الإنسان، فالإنسان يتعثر في الظلمة وقد يقع ويتأذى، فالظلمة منشأ الأخطار، وكما أن الظلمة المادية منشأ أخطار مادية، فإن ظلمة القلب منشأ الأخطار المعنوية الجسيمة والعظيمة، ولكن النور منشأ الحياة والحركة والحيوية والنشاط والتكامل إلى غير ذلك.

﴿وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ﴾[٢٢٦]، الظل بعيد عن الشمس، حيث يأتيك هواء لطيف بارد، فهل حاله كحال الحر والشمس المحرقة، وهذا الهواء الحار السموم، هل هما متساويان. الناس تهرب من الشمس المحرقة وتلوذ بمكان تحت الظل، فالظل ليس مثل الحرور، والإنسان الكافر، والإنسان المنحرف، الذي يبتعد عن جادة الصواب في بعده الديني والدنيوي، الإنسان الذي يتخبط، الإنسان الذي ليس لديه رؤية، الإنسان الذي

٢٢٢. سورة الرعد: الآية ١٦.
٢٢٣. سورة فاطر: الآية ١٩.
٢٢٤. سورة فاطر: الآية ٢٠.
٢٢٥. سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
٢٢٦. سورة فاطر: الآية ٢١.

لا يعرف ماذا يفعل ويعيش حالة ارتجالية، هذا الإنسان مكشوف تحت النار المحرقة وتحت الشمس اللاهبة، مكشوف ومعرض للاستهداف من كل صوب وحدب، فلا بد من أن تكون لك رؤية.

مؤشرات الحياة المعنوية

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ [٢٢٧]، الحياة الحقيقية هي حياة الإنسان المؤمن، حياة الإنسان المتجه نحو المشروع، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [٢٢٨]، الحياة المادية فيها مؤشرات، فالمريض حين يكون في حالة خطرة ويذهبون به للمستشفى، لا يعلم الطبيب فورا فيمسك يده ليفحص نبضه، فهناك مؤشرات معينة للحياة، إذا وجدت فالكائن حي، وإذا ذهبت المؤشرات فمعنى ذلك أنه مات، فكما أن الحياة المادية فيها مؤشرات على الحياة، فالحياة المعنوية، حياة القلب وحركة الإنسان التكاملية نحو الله سبحانه وتعالى، فيها مؤشرات أيضا؛ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾.

ويقول الله سبحانه: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، الله يمنح البصيرة، والله يهديك إلى صراط مستقيم، وكنا أمواتا وفي ظلمة لا نعلم أين الحق، والله سبحانه وتعالى بفضل منه أحيانا حينما أرانا الطريق وأوصل إلينا الأنبياء والأوصياء والأولياء.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، جاءته الحياة الطيبة وامتلك بصيرة وأصبح يعرف أين الحق والباطل وأين يضع يده وبيد من، ويعرف مع من يصطف وضد من يقف، وهذه كلها بصيرة. نحن نقف اليوم بعد ١٤٠٠ سنة ونقول السلام عليك يا أبا عبد الله ليتنا كنا معك فنفوز فوزا عظيما، ليتنا كنا في يوم عاشوراء لكنا معك نذب عنك ونضحي بأرواحنا من أجل ألاّ يصلك وأهل بيتك مكروه، أليس هكذا نقول له، فكيف امتلكنا هذا الوضوح؟.. والجواب: من البصيرة. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، هذا الإنسان الذي أحييناه.

الله مانح البصيرة

﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، الإنسان الذي يسير بنور الله ويعرف الطريق وواجباته ومسؤولياته، ويتحرك ضمن إطار صحيح، ولديه بوصله واضحة

٢٢٧. سورة فاطر: الآية ٢٢.
٢٢٨. سورة النحل: الآية ٩٧.

تحدد اتجاهه، هل هو كالذي يسير في الظلمات، الذي يدخل ولا يعرف سبيلا للخروج منها؟، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢٢٩]، الله سبحانه وتعالى جعل هذه الخصوصية؛ البصيرة سمة مهمة للمؤمنين، أما الكافر فزين له وهو سعيد بالظلمة، ويعتقد بأن فيها كل شيء، ويأكل ويشرب وبعد سنوات يصاب بالسكر وضغط الدم، ويملك أموال الدنيا لكنه يتحسر على لقمة يأكلها كما يتمنى ويشتهي؛ فهذا ممنوع وتلك كذا، واندفع نحو الدنيا والشهوات حتى ضعفت قواه ولم يبق له شيء، لا دنيا ولا آخرة، فخسر الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾، الله يسمع ويحيي، الله يهب النور، والبصيرة يمنحها الله سبحانه وتعالى ويسمع الله من يشاء، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٢٣٠]، لكن من ليس لديه بصيرة ولا إيمان ولا مشروع ولا رؤية، فهذا مهما تكلمنا معه فلن ينفع، ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢٣١] و﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾[٢٣٢] ومهما قلت فلن يسمع، لماذا؟، إن القضية واضحة، فلماذا لا تعرفها ولا تقبلها ولا تتفاعل معها، ألا تعرف الحسين بعظمته وتتنكر له؟.

((طوبى لمن شغله عيبه))

من مواعظ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه»، هناك من لا يرى إلا ما تراه هذه العين ولا يملك غير هذا، ولا يعرف ما في الدنيا، وهناك من بصره في قلبه، وقلبه منفتح على الحقيقة ويعرف الأمور ويقدرها ويحلل الظواهر ويتخذ القرارات الصائبة.

«لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب»، انظروا ماذا يقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه، فإن بني البشر خطاؤون وكل منا به عيب ونقص معين، وقانا الله العيوب والأخطاء جميعا، لكن هذه سمة البشر، فلا تتمسك بزلة أخيك المؤمن وتبتزه بها وتضغط عليه في هذا الموضوع، ولا تتعامل باستعلاء وتستغل نقاط ضعف الآخرين في الضغط عليهم، «وانظروا في عيوبكم كهيئة العبيد»[٢٣٣]، ركز على عيوبك.

---

٢٢٩. سورة الأنعام: الآية ١٢٢.
٢٣٠. سورة فاطر: الآية ٢٢.
٢٣١. سورة التوبة: الآية ٨٧.
٢٣٢. سورة البقرة: الآية ١٠.
٢٣٣. بحار الأنوار ١٤: ٣٠٦، ح١٧.

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره»[٢٣٤]، لو أن كل شخص شغله إصلاح أخطائه وسلوكه، لما وجد وقتا لينظر للآخرين؛ أترون من يبني بيتا ولا نراه لأنه منشغل؟. نريد أن نبني وجودنا وشخصيتنا، وألا تبقى عيوننا تلاحق الناس؛ هذا قال وذاك فعل، ونهتم بعيوب أنفسنا ونكون كهيئة العبيد في موقع الذل بين يدي الله، ننظر بتواضع إلى أخطائنا ونعالجها.

داعش.. خوارج العصر

اليوم كنت أتابع بيانا منسوبا لـ (داعش) أو ما تسمى (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وفيه صلافة ووقاحة ونصب علني، قرأت البيان وقلت الحمد لله الذي زادنا فيكم بصيرة، كم يصدر عن أعدائنا من أقوال وأفعال تجعل الوضوح في ضلالهم وانحرافهم أعظم وأكبر؛ يقول بيانهم: (يزيد قائدنا والحسين عدونا)، الله أكبر، ما هذا الضلال والانحراف والنصب، هؤلاء نواصب هذا الزمان، فلاحظوهم يا أهل البصائر، ونحن نتكلم عن البصيرة، وافهموا ما يقول هؤلاء، يقول البيان: (إمام الرافضة الحسين قد خرج على إمام زمانه (يزيد بن معاوية) واستحق القتل)، حقه أن يقتل على يد يزيد، (لأن الأمير يزيد بن معاوية كان خليفة المسلمين والحسين وإن كان جده محمد) لا يقول رسول الله (إلا إنه أراد شق عصا المسلمين فتصدى له الخليفة العادل)، يزيد الذي كان يشرب الخمر ويلعب مع القردة والخنازير ويقتل النفس المحترمة هو «العادل» برأي هؤلاء.

لاحظوا أن الكلمات التي قالها اليزيديون والأمويون في يوم عاشوراء هي نفس هذا الكلام؛ أولا، تنزل على حكم ابن عمك فسوف لا يروك إلا خيرا ولن يروك مكروها.. انزل على حكم ابن عمك يزيد بن معاوية، ويعبرون عن أنفسهم بأهل السنة، وعن مجموع المسلمين من مذاهب أهل السنة الكريمة؛ يقول: «أهل السنة لم يرضوا بإهانة أميرهم وخليفتهم يزيد بن معاوية»، وبما أن الحسين كان عدوا ليزيد فإن الحسين وأتباعه هم أعداء لأهل السنة، إذن أعداؤهم الحسين وأتباع الحسين، وهم هدف شرعي لداعش، يتكلم بالشرع، هذه الظاهرة (الخوارجية والنواصبية) تتجلى بأوضح صورها.

٢٣٤. بحار الأنوار ١: ٢٠٥، ح٣١.

كرامتنا الشهادة

ادخلوا على الموقع الرسمي لداعش لتجدوا هذا الكلام، ثم يقول «قد قرر أبناؤكم في دولة العراق الإسلامية في العراق والشام تحمل المسؤولية الشرعية والتصدي لهؤلاء الروافض وإلحاقهم بإمامهم الحسين»، أيها النواصب ألا تعرفون أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟، ألا تعلمون أنه عز ليس فوقه عز، أن نكون على نهج الحسين ونستهدف كما قُتل الحسين ونلتحق به؟، ألا تسمعوننا ليل نهار ونحن نقول: (يا ليتنا كنا معك سيدي أبا عبد الله فنفوز فوزا عظيما)، فلا تخوفونا بالموت، قالها أصحاب الحسين وننحن نقولها اليوم، هذه لا تخيفنا بل تجعلنا نزداد إصرارا على حقانية المنهج الذي نسير فيه.

ثم لا يكتفي باستهداف أهل البيت ومن يعبر عنهم بالروافض، «وإننا إذ نحذر الروافض الشيعة من إقامة الطقوس فإننا نحذر»، هنا يعبر عن جموع المسلمين من أهلنا وأحبتنا، ولا يقول أهل السنة بل يقول السنة، «نحذر السنة الذين يشاركونهم أو يتعاطفون معهم ونقول لهم سيصيبكم ما يصيبهم لأنكم خرجتم على الملة ووقفتم إلى جانب أعداء الله»، يكفّر إخواننا من أهل السنة كلهم ويتعامل معهم بهذه الطريقة، ونحن لا نعرف من أهل السنة والجماعة من لا يحمل الود لرسول الله ولأهل بيته والحسين عليه السلام، ونعلم أنهم يشاركوننا تأريخيا في إقامة العزاء لسيد شباب أهل الجنة، وهذا الاستهداف وهذه ظاهرة خارجية وهؤلاء نواصب زمانهم، والحمد لله الذي جعل خصومنا بهذه الصورة وبهذا الوضوح في بيانهم وغيهم.

دور المرأة في المشروع الرسالي

في هذه الليلة الشريفة، ليلة الرابع من محرم، نذكر أم البنين، هذه السيدة الطاهرة الجليلة كانت آية في البصيرة ومن ذوي البصائر، إذ فقدت أربعة من أبنائها في واقعة الطف مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هم عبد الله وعثمان وجعفر وأبو الفضل العباس، حينما دخل بشر إلى مدينة الرسول، حتى يخبر الناس أن قافلة السبايا على مشارف المدينة بأمر من زين العابدين كما تشير بعض النصوص، تلقته أم البنين: «أخبرني عن ولدي الحسين»، فسأل من هذه المرأة؟، فقالوا هذه أم البنين، قال: «سيدتي عظّم الله أجرك بولدك عبد الله»، قالت: «أسألك عن ولدي الحسين»، قال لها: «عظّم الله أجرك بولدك عثمان»، قالت: «سألتك عن ولدي الحسين»، قال: «عظّم الله أجرك بولدك جعفر»، قالت: «أسألك عن ولدي الحسين»، قال: «عظّم الله أجرك بأبي الفضل العباس»،

قالت: «أسألك عن الحسين»، قال: «عظّم الله أجرك بأبي عبد الله الحسين»، حينها فقط انهارت أم البنين.

لقد فقدت أبناءها الأربعة وتحملت ذلك، انظروا البصيرة، والرؤية الثاقبة، فنظرها متوجه إلى أبي عبد الله الحسين لتطمئن عليه؛ إذا كان الحسين حياً فلا بأس أن يذهب الأبناء الأربعة في هذا الطريق. لقد كان للمرأة دور مهم في واقعة الطف، وكيف لا يكون لها هذا الدور والموقع، في هذا المشروع الرسالي الكبير، وهو مشروع للانسان كل الإنسان، وأي مشروع رسالي استبعد المرأة، وأي مشروع للإنسانية جمعاء ويستبعد المرأة؟، فالمرأة فرع أساسي، وهناك من يقول لماذا أخذ سيد الشهداء النساء معه وهو يعلم بالنتائج؟، والجواب، أنه أراد أن يصنع ملحمة إنسانية كبرى، وكيف تُصنع هذه الملحمة ونصف المجتمع غائب عنها؟.

نجد البصيرة لدى أم البنين، وكذلك لدى الحوراء زينب؛ حينما أراد (الملعون)أن يشمت بها قال لها: «كيف رأيت صنع الله في أخيك الحسين؟»، ودُهش ودُهش الجميع حينما قالت: «ما رأيت إلا جميلا»[٢٣٥]، انظروا إلى البصيرة والرؤية العميقة للحوراء زينب التي رأت تلك الآلام والمحن إذ تقول: «ما رأيت إلا جميلا».

ولم تكن هذه البصيرة عند ذوات الشأن الكبير من النساء كالحوراء زينب وأم البنين وإنما امتدت لتشمل جميع أولئك النسوة العاديات اللاتي شاركن في كربلاء، إذ كانت عندهن هذه البصيرة، ونقرأ في المقاتل عن (أم وهب) زوجة عبد الله بن عمير الكلبي؛ فحينما كان زوجها يقاتل واحتوشوه من كل حدب وصوب، تذكر الروايات أنها اخذت عمودا وأقبلت نحوه تقول له: (فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لا تقول له ارجع وانتبه لنفسك، بل فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ولا تتركهم ودافع عن الحق وعن حجة الله، هكذا توصيه، وحين أرادوا أن يرجعوها للخيمة لم تطاوعهم وكانت تقول لزوجها لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين: «جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيرا»، ثم بعد أن استشهد، مشت إليه زوجته أم وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: «هنيئا لك الجنة»، انظروا إلى البصيرة، «هنيئا لك الجنة أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك»[٢٣٦]، فقال

٢٣٥. بحار الأنوار ٤٥: ١١٦.
٢٣٦. بحار الأنوار ٤٥: ١٧.

الشمر لغلامه رستم اضرب رأسها بالعمود فشدخه فماتت مكانها، وهي أول امراة قُتلت من أصحاب الحسين.

صلى الله عليك يا أبا عبد الله وعلى أهل بيتك وأصحابك وجعلنا من الآخذين بثأرك تحت راية وليّه الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الليلة الرابعة بتاريخ ٢٠١٣/١١/٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

البصيرة سبيل التكامل

لقد كان حديثنا في الليالي الماضية عن واحدة من المحطات والسمات الأساسية في واقعة الطف، التي تميز بها الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه، ألا وهي سمة البصيرة، فقد كانوا من أهل البصائر، وهذا ما شهد به أعداؤهم قبل أوليائهم وأصدقائهم، إذ كانوا على بصيرة من أمرهم، وقلنا إن موضوع البصيرة يمثل المفتاح للنجاح والتألق وكمال الإنسان، والذي يمتلك هذه البصيرة والرؤية الثاقبة وتكون لديه القدرة على تحليل الأمورتحليلا صحيحا، وبالتالي اتخاذ المواقف الصحيحة والسديدة، مثل هذا الإنسان يعيش حالة الانطلاق والتكامل المستمر نحو الله تعالى، وكذلك الجماعة أو الأمة المالكة للبصيرة، وقلنا إن الحديث عن البصيرة في محاور عدة، وتحدثنا في المحور الأول عن معنى البصيرة وفي المحور الثاني عن أهمية البصيرة في رؤية القرآن الكريم والسنة النبوية وسنة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

أدوات تحقيق البصيرة

ننتقل اليوم في الحديث إلى محور ثالث حول البصيرة، وهو أدوات البصيرة؛ ما هي الأدوات التي من خلالها نحصل على البصيرة؟ . . . القرآن الكريم يحدد ثلاث أدوات أساسية لتحقيق البصيرة في الإنسان.

أولا : القلب

ويعني الفكر والتأمل والتفكر والنظرة الثاقبة في الأمور، فالإنسان البصير ليس إنسانا ساذجا وليس إنسانا انفعاليا يأخذ قراراته على خلفيات انفعالية وانطباعات سريعة، بل يفكر ويتأمل وينظر ويدقق ويحلل، فالقلب واحد من المداخل والأدوات المهمة لتحقيق البصيرة.

ثانيا : السمع

لا نعني بالسمع الأذن التي تسمع، فالناس كلهم يسمعون، من له بصيرة ومن ليس له بصيرة، ولكن نعني به الوعي؛ أن تكون له القدرة على أن يصغى لنداء الحقيقة، ويعي الحقائق حوله وما الذي يجري حوله، حتى يصل إلى نتيجة تحدد الموقف المطلوب تجاه ما يجري حوله.

ثالثا : البصر

لا يُراد بالبصر العين، وما أكثر من يبصر بعينه ولكنه أعمى القلب، بل البصر الذي يأخذنا إلى رؤية ما وراء الحدث وما بين السطور، والى اكتشاف الحقائق كما هي. هذه هي الأدوات الثلاث للبصيرة.

أدوات البصيرة في القرآن

في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾، ذرأنا أي نشرنا، ولعل المقصود بها خلقنا، ﴿كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[٢٣٧]، كثير من الجن والإنس الذين نخلقهم لجهنم، مصيرهم ومسارهم نحو الضلال والانحراف، نحو السعير، وقد يقول قائل؛ كيف ينسجم هذا مع

٢٣٧. سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٢٣٨]، أي ليعرفوا الله فيعبدوه ويسيروا في طريق العبودية والطاعة لله، فإذا كان الهدف من الخلق طاعة الله وعبادته، فكيف تقول هذه الآية: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾؟.

الواقع أنه لا تعارض بينهما؛ فالله تعالى بكرمه ولطفه حينما خلق الناس للكمال والطاعة وفر لهم أدوات البصيرة وأعطاهم السريرة الطيبة، فكل مولود يولد على الفطرة، وأعطاهم القدرة على الوعي واكتشاف الحقائق والسير في طريق عبودية الله تعالى، ووفر لهم سبل السعادة والصلاح والانطلاق نحو الله تعالى ونحو كمالهم، وهذه قضية يجتمع عليها الجن والإنس؛ فالله أودع فيهم هذه السمة، ولكن البعض منهم يستفيد من هذه العطية الإلهية والنعمة العظيمة، والبعض الآخر لا يريد أن يعي ويبصر ويفكر، بل يأخذ القرارات الانفعالية المرتجلة السريعة في شؤونه الشخصية وفي حياته الاجتماعية وفي كل شيء، فهو رجل انفعالي لا يريد أن يقف ويصل إلى رؤية وبصيرة من أمره.

التخطيط لا يعارض التوكل

اعقلها وتوكل، خطط وفكر وانظر وضع المعايير الصحيحة وامض في الاتجاهات الصحيحة، وارفع يدك في الدعاء واطلب من الله أن يجعل رؤيتك ومواقفك صحيحة، اطلب منه التسديد في القول والفعل والرؤية وما إلى ذلك، ولا تهمل هذه الأدوات وتطلب من الله التوفيق تتوكل عليه، لأن الله هو الذي جعل هذه الأدوات وطلب من الإنسان أن يستخدمها، والله أودع في الجن والإنس مكامن الصلاح والهداية، ولكن البعض يأخذ بها والبعض لا يفعل ذلك، والله تعالى بعلمه الواسع يعلم سلفا أن هؤلاء، من الجن والإنس، سوف لا يأخذون بهذه الأدوات ولا يستفيدون منها، ولذلك يحدد موقفه مسبقا ويقول: ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾، أعطيناهم الفرصة ولم يستفيدوا منها، فهؤلاء، من الجن والإنس، مصيرهم إلى جهنم.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، لهم قلوب لا يريدون أن يستفيدوا منها، ولا يريدون أن يحققوا سعادتهم من خلالها، وقد جمدوا طاقة قلوبهم الكبيرة، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، الله تعالى أعطاهم القدرة على القراءة الصحيحة للأمور وأن ينظروا نظرة ثاقبة، ولكنهم لا يريدون أن يوظفوا هذه النعمة، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، الله أعطاهم القدرة على الوعي ولكنهم لا يريدون أن يعوا ويفكروا. هناك شاب حينما يسير في

٢٣٨. سورة الذاريات: الآية ٥٦.

الطريق يضع سماعات في أذنيه وأنت تسمع الصوت من بعيد، لماذا؟.. لا يريد أن يفكر فيبحث عن اللهو وعن إشغال نفسه.

غياب البصيرة من صفات الحيوان

﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾، إذن ما يميز الإنسان عن الحيوانات هو البصيرة بأبعادها الثلاثة، الجن والإنس لهم قلوب ولهم أعين ولهم آذان، ولديهم قدرة الإدراك والبصيرة، ولكن الحيوان ليس له هذه القدرة، فالإنسان الذي يجمد هذه الأدوات ما هو فرقه عن الآخر؟!، ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾، الإنسان الذي لا يوظف أدواته الإدراكية ولا يستخدم طاقته التي أودعها الله فيه حتى يبصر، يكون حاله كحال الحيوان!، فإنسانية الإنسان بالقلب والسمع والبصر، أي بالبصيرة، وقد جمّدها ولم يستفد منها.

﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، هؤلاء أسوأ من الحيوانات؛ لأن الحيوان مجبول على الغريزة ولا يستطيع أن يفكر ويتأمل، أما الإنسان فعنده هذه القدرة، لذلك فهو ليس معذورا، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُون﴾[٢٣٩]، يا إنسان، إذا لم تكن عندك بصيرة ولم تستخدم أدواتك الإدراكية ولم تعمل على تحقيق البصيرة في نفسك، فإنك غافل، ففي مقابل البصيرة هناك الغفلة.

لا يستوي المبصر والغافل

في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، اجترحوا من الجرح، والجرح يخلف أضرارا في البدن، والاجتراح هو جرح معنوي يخلف أضرارا في روح الإنسان، ويعنى بها المعصية، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، هؤلاء الذين صدرت منهم المعصية والذنب، هؤلاء المذنبون المجرمون العصاة، ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، المؤمن الذي يحول إيمانه إلى موقف وسلوك وبناء وخدمة، وإلى وقفة مع النفس ومع الآخرين، ويدفع الجميع لتحقيق الازدهار والكمال الإنساني في بعده المادي والمعنوي، فكيف نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالذين اجترحوا السيئات؟.

﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[٢٤٠]، حياتهم ومماتهم نفس الشيء، بلا فرق!.. وهذا السؤال في اللغة العربية سؤال استنكاري، فحين يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

٢٣٩. سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
٢٤٠. سورة الجاثية: الآية ٢١.

لا يَعْلَمُونَ﴾ [٢٤١]، يعني (لا يستوون) ومثل ذلك: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ [٢٤٢]، فهذا سؤال استنكاري، فلا يجوز المساواة بين المذنب والمؤمن، في حياتهم ومماتهم، هيهات أن يكون العالم والجاهل على حد سواء، وهيهات أن يكون النور والظلمة على حد سواء، وفي الآية الشريفة من سورة ص: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [٢٤٣]، هيهات أن يكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، هيهات وحاشا لله أن يساوي بين هذا وذاك.

في سورة القلم: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٢٤٤]، ما هذه الرؤية الخاطئة، وكيف يمكن أن تساووا بين هذا وذاك؟، المؤمن الذي يعمل العمل الصالح بحكم إيمانه وعمله الصالح يعيش حالة الاستقرار النفسي، ويشعر بالأمن والراحة والطمأنينة؛ إن أصابه خير شكر الله عليه، ولا يصاب بالغرور، وإن أصابته مصيبة وألمّ به مكروه فلا ينهار ولا يضيع بل يتدارك ويتحدى ويقف ويواجه، هذا الإنسان المؤمن يعيش حالة الاستقرار، أما الآخر الخارج عن الإيمان فيعيش حالة الاضطراب والقلق دائما، على العكس من الإنسان المؤمن الذي يشعر بالطمأنينة والاستقرار في جميع الأحوال ويقف ويتحدى ويحقق الإنجاز، وإذا أصابه الخير شكر الله تعالى على ذلك ووظف هذه النعمة لخدمة العباد والبلاد، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢٤٥].

وفي سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، مؤمن ولم يخلط إيمانه بظلم وإساءة ومعصية وذنب، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأمن وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٢٤٦]، الهداية والأمن والطمأنينة للإنسان المؤمن، الإنسان المؤمن يعده الله تعالى بالنصر وحاشا لله أن يخلف وعده.

---

٢٤١. سورة الزمر: الآية ٩.
٢٤٢. سورة السجدة: الآية ١٨.
٢٤٣. سورة ص: الآية٢٨.
٢٤٤. سورة القلم: الآيتان ٣٥ـ٣٦.
٢٤٥. سورة إبراهيم: الآية ٧.
٢٤٦. سورة الأنعام: الآية ٨٢.

نور البصيرة دليل النجاة

في سورة غافر: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[٢٤٧]، ننصر الأنبياء والذين آمنوا في الحياة الدنيا، وفي الدار الآخرة ننصرهم كذلك، حالة النصرة والعزة والكرامة والرفعة يكتبها الله للذين آمنوا في الدنيا والآخرة. الإنسان المؤمن يملأ قلبه نور الايمان أما الإنسان الكافر فيعيش الإحباط والخوف والتردد، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ﴾، فيعيشون حالة النورانية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ﴾[٢٤٨]، الله جبلهم على الفطرة والفطرة فيها أدوات البصيرة، لكن اتباع الطاغوت والمنكر هو الذي أخذهم للظلمات.

في سورة النحل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، الناس الذين لديهم الطيبة والطهارة والسمو، ﴿يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الملائكة يقرؤونهم السلام ويطمئنونهم بأنهم مقبلون على رب غفور رحيم، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،[٢٤٩] نتيجة عملكم الصالح.

وفي آية أخرى من السورة نفسها: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾، المذنبون العصاة، ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَمَ﴾، حين تتوفاهم الملائكة تنفتح أبصارهم على النشأة الأخرى ويصبحون أمام الأمر الواقع وإن كل ما يقال هو حقيقة، ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَمَ﴾، يحاولون أن يتماشوا، لذلك يستسلمون ولكن بعد فوات الأوان وبعد ذهاب الفرصة؛ في الدنيا كانت لديك فرصة لماذا لم تغتنمها؟!... ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٢٥٠]، إذا ارتكبت المعصية فسيكون قلبك قاسيا، والذين قست قلوبهم لا ينصاعون لأمر الله.

أيها الأحبة، كلما أرى هذا العدد الكبير من الشباب في مجالس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومجالس الصلاح تدمع عيني وأشكر الله تعالى أن أعطى هذه البصيرة لشعبنا، ولشبابنا خاصة، نحو التقوى والعلم والفضيلة، فهنيئا لكم، واليوم وأنت شاب، عندك فرصة لا تقدر بثمن، فحاول أن تسير في الطريق الصحيح.

---

٢٤٧. سورة غافر: الآية ٥١.
٢٤٨. سورة البقرة: الآية ٢٥٧.
٢٤٩. سورة النحل: الآية ٣٢.
٢٥٠. سورة لقمان: الآية ٣٤.

إن من ينهي حياته في المكر والخداع والكذب والدجل، يحاول في الآخرة أن يمارس التضليل والخداع أيضا؛ ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، هؤلاء العصاة أنهوا حياتهم كلها بالدجل والتضليل والكذب، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، ولكن يأتيهم الرد الإلهي؛ ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، الله يعرف كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، هذه خطيئة أخرى؛ حتى في النشأة الأخرى تريد أن تكذب وتتحايل وتخدع، ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢٥١].

بين العدل والمساواة

في سورة الجاثية التي سبق ذكرها: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، فالله تعالى خلق كل شيء بالحق، والحق لا يمكن أن يجمع المؤمن والمذنب والعاصي والمجرم في بوتقة واحدة وحكم واحد، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، الله تعالى يتعامل بالحق ويعطي كل ذي حق حقه ويعطي كل واحد نتيجة أعماله.

البعض يقول نحن نريد أن نشيع العدل والمساواة، ودائما نستخدم العدل والمساواة، والعدل في الرؤية القرآنية لا يعني المساواة، فالمساواة فيها ظلم أحيانا؛ من درس وتعب وحصل على درجات عالية في الامتحان هل يتساوى مع من لم يدرس ولم يحصل على درجات عالية في الامتحان؟، هذا غير ممكن، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، كل واحد يأخذ نتيجة أعماله، إذن، فالعدل لا يعني المساواة بل يعني إعطاء كل ذي حق حقه، والمساواة تؤدي إلى الظلم والتعسف في كثير من الأحيان.

ختم أدوات البصيرة

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، هناك من يتخذ هواه إلهاً، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، الله يضله لأنه لا يمكن أن يكون في طريق الهداية وهو يعتمد على هواه، ﴿خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، سمعه وقلبه وبصره، هذه الأدوات الثلاث للبصيرة، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، ﴿مَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، كما في سورة الأعراف الآية ١٨٦، الله يضله بعدما علم بسوء سريرته ولا مجال للهداية.. ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٥٢]، ألا تشعرون بالتفاوت؟، هذا دور البصيرة.

---

٢٥١. سورة النحل: الآية ٢٨ ـ ٢٩.

٢٥٢. سورة الجاثية: الآية ٢١ ـ ٢٣.

بصيرة مسلم بن عقيل

هذه الليلة منسوبة لمسلم بن عقيل، وكان أحد الرجال العظام في واقعة الطف، تجلت فيه ظاهرة البصيرة، ويكفي أنه كان خيار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لينقل رسالته ومشروعه الرسالي إلى أهل الكوفة، وحين أرسل مسلم بن عقيل لم يرسله على خلفية عشائرية أسرية لأنه ابن عمه، ففي المشاريع الرسالية لا تعني القرابة شيئا، والقدرة على تحمل أعباء الرسالة هي التي تجعل الرسول بمستوى تحمل هذه المسؤولية، والحسين وجد في مسلم هذه القدرة، وكان خير رسول في تعامله وبصيرته ورؤيته وتقديره للأمور.

تخبرنا الروايات أنه حين كانت الناس معه وخصمه عبيد الله بن زياد، وكان نازلا ضيفا في دار هانئ بن عروة، وكان شريك مريضا ومقيما في دار هانئ، وقد أراد عبيد الله بن زياد زيارة شريك المريض، وأرسل اليهم خبرا بذلك، فقالوا هذا أمر جيد، وطلبوا من مسلم أن يذهب إلى الغرفة الثانية، وحينما يأتي عبيد الله ويجلس يعطونه إشارة، ليدخل ويحسم المعركة سلفا ويقتل عبيد الله ويخلصهم، فلم يجبهم مسلم بشيء.

وحينما جاء عبيد الله أعطوا الإشارة إلى مسلم، لكنه لم يظهر إلى أن أنهى عبيد الله زيارته، وحين خرج مسلم سألوه عن السبب، فقال: سمعت عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الإيمان قيد الفتك»[٢٥٣]، وهذا جاء ليزور مريضا فكيف نختلي به؟! أين الوفاء والصدق، أتريدون من أجل أن نتخلص من عبيد الله بن زياد أن نطلق طلقة على مشروع الحسين؟، فمشروع الحسين ليس مشروع سلطة؛ «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[٢٥٤].

لاحظوا البصيرة والرؤية العميقة، فلو كان مسلم قتل عبيد الله بن زياد، وهذا عامل من عمال يزيد، وإذا قتل عبيد الله فسيأتي غيره وليست قضية صعبة، يكفي أن يصدر مرسوما ويعين واليا آخر، ولكن قتل عبيد الله كان سيعطي ورقة رابحة بيد يزيد بن معاوية ويصبح هو المظلوم والحسين هو الظالم، بحجة أن الوالي جاء يتفقد مواطنا فقمتم باستغلال هذه الحالة وقتلتم الوالي، وسوف يهتز مشروع الحسين نتيجة هذه الحجة، لاحظوا البصيرة وتأثيرها، هناك من يرى الحدث الصغير والخطوة المباشرة، وهناك من يحلل المواقف.

---

٢٥٣. بحار الأنوار ٤٤: ٣٤٤.

٢٥٤. بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

شجاعة الموقف ووضوح الحجة

مسلم بن عقيل بعد أن تفرق عنه الناس وهجم عليه أعوان عبيد الله وكسروا أضلاعه وأخذوه أسيرا، أتوا به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: «إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وهم جمع»، كانت كلمة الناس واحدة، وكانوا متوحدين مجتمعين، «فشتّت بينهم»، فرقت بين الناس، «وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض»، جعلت بعضهم يقاتل بعضا، أنت فرّقت الأمة، لاحظوا الظالم كيف يشوش على أهل الحق حقيقتهم؛ يقول لمسلم هذا الكلام، وبسطاء الناس يقولون إن الأمور قبل مجيء مسلم كانت هادئة، والناس إنما كانوا هادئين لأنهم تحت الظلم، وجاء مسلم ليأخذ للناس حقهم، كانوا مغدورين واليوم رفعوا رؤوسهم يدافعون عن كرامتهم، فماذا كان جواب مسلم؟.

كانت أضلع مسلم مكسورة، وهو مقبل على الشهادة، لكنه يقف أمام عبيد الله بن زياد ويقول كلا لست كذلك، لست لذلك أتيت، «ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر»، ظلمتم الناس وأخذتم الامتيازات الكبيرة على حسابهم يا بني أمية، «فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونعمل فيهم بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب»[٢٥٥]، نحن ندعو للصلاح وأنت فرقتهم وظلمتهم واعتديت عليهم أنت وأبوك، نحن نريد أن نعيد الأمور إلى نصابها، لاحظوا البصيرة والمنطق والاستدلال الراقي.

قيمة الحياة

وهكذا نجد البصيرة في بني عقيل بن أبي طالب في ليلة عاشوراء، ليلة المعركة جاءهم الحسين وجمع إخوان مسلم قائلا: «حسبكم من القتل بمسلم»[٢٥٦]، يكفي يا آل بني عقيل، قدمتم مسلم بن عقيل هذا الرجل العظيم وهذا يكفيكم فاذهبوا قد إذنت لكم، ابتعدوا هذه الليلة حتى لا تقتلوا فقالوا: ماذا يقول الناس لنا وماذا نقول لهم إنا تركنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن بنت نبينا حتى نحافظ على أرواحنا، لم نرم معه برمح ولم نضرب معه بسيف لا والله يا ابن رسول الله لا نفارقك أبدا، ولكنا نفديَك بأنفسنا حتى نُقتل بين يديك، فقبح الله العيش بعدك، ما قيمة الحياة، فكلنا سنموت في النهاية،

٢٥٥. بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٣.
٢٥٦. بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٣.

إن قيمة الحياة أن يعيش الإنسان على بصيرة من أمره، وأن يصطف مع الحق وينحاز إلى الحق وإلى الموقف السديد والصحيح، وأن يدافع عن القيم، هذه قيمة الحياة، فهنيئا لمسلم بن عقيل وهنيئا لبني عقيل وهنيئا للحسين وأهل بيته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الليلة الخامسة بتاريخ ٢٠١٣/١١/٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

البصيرة مفتاح النجاح

كان حديثنا في الليالي الماضية عن واحدة من السمات والصفات الأساسية التي تميز بها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه ألا وهي سمة البصيرة، فكانوا من أصحاب البصائر، وكنا نستشهد بالآية الشريفة التي أنهينا بها حديث الليلة الماضية، في سورة الجاثية، قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، من يرتكب المعاصي والموبقات والذنوب، ومن يسيء إلى قلبه، وإلى نفسه، وإلى وجوده، هل هو كالذين آمنوا وعملوا الصالحات؟. والحال أن الذي يؤمن يمتلك العقيدة والرؤية ويتمسك بهذه العقيدة ويجسدها ويحولها إلى عمل صالح على الأرض، فهل هؤلاء يتساوون؟.

﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، كيف يمكن أن تكون حياة المؤمن كحياة المذنب والعاصي، وكيف يمكن أن يكون ممات المؤمن كممات المذنب والعاصي والمجرم وما إلى ذلك؟، والذي يساوي بينهم فهو يسيء التقدير، ألا بئس ما يحكمون، بئس الحكم وبئس الرؤية وبئس القناعة التي لا تضع معايير واضحة تميز الناس على أساسها، من يعمل ومن لا يعمل، من يؤمن ومن لا يؤمن، ومن يسير في طريق الصلاح ومن يسير في طريق الهوى، هل كلهم سواسية؟، بئس المنطق هذا، و﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، وسبب هذا التمييز بين المؤمن وغير المؤمن، أن الله سبحانه وتعالى جعل المعيار والأساس والإطار الذي خلق به السماوات والأرض هو الحق، والحق يعني إعطاء كل ذي حق حقه وعدم المساواة بين الناس جميعا.

﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾، يعطي الله كل واحد نتيجة أعماله، فالمؤمن الذي يقوم بالعمل الصالح يتعامل معه على أساس هذا العمل والإيمان، والمجرم والكافر والمشرك والعاصي والمذنب يتعامل معه على أساس ذلك؛ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

غياب البصيرة وعبادة الهوى

ثم تنتقل الآية إلى الاستشهاد: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٢٥٧]، هل رأيت من جعل هواه؛ شهواته وميوله ورغباته، جعلها إلها له؟، والإله يعني المتَّبع، والإله من يُتّبع، هناك من جعل الله إلها له فهو المؤمن الموحد، فهنيئا له، وهناك من جعل إلهه هواه وشهواته. لماذا، أليس ذلك حراما؟، يقول نعم حرام، ولكن ساعة لنفسك وساعة لربك، دعني استفد من الدنيا واستمتع، يعني هوى، على حساب الحكم الشرعي والموقف الشرعي، وعلى حساب واجب الإنسان تجاه الله والكمال، وعلى حساب الكرامة الإنسانية؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٢٥٨]، كرامته ألا تصدر منه المعصية ويكون كبيرا على المعصية والذنب.

ترون كبراءنا وعلية القوم والوجهاء والشيوخ، لا يعملون كثيرا من الأشياء الطبيعية المباحة، فالناس تركض في الشارع، فهل رأيت وجيها يركض في الشارع؟، إلا في

٢٥٧. سورة الجاثية: الآيتان ٢١ ـ ٢٣.
٢٥٨. سورة الاسراء: الآية ٧٠.

(ركضة طويريج) إلى سيد الشهداء، وما سواها لا يليق كما يعتقدون، والناس تقوم بأشياء كثيرة، لكن الوجيه لا يقوم بها؛ لأن موقعه الاجتماعي ومكانته لا يسمحان له بان يقوم بهذه الأمور، فالإنسان المؤمن، بل الإنسان عموما، كرمه الله وجعله أفضل الخلائق، فطغى على جميع الموجودات، وكرامته لا تسمح له أن يكون أسيرا ذليلا خاضعا لهواه وشهواته ونزواته الدنيئة، فالإنسان يجب أن يكون أكبر ويحترم نفسه، ومن يحترم إنسانيته لا يذهب إلى المعصية.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، أرايت من جعل إلهه هواه، جعل إلهه ومعبوده شهواته ونزواته؟، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، علم الله أنه سيسير في طريق الضلال فأضله؛ أضله الله على علم أنه سيسير في ذلك الطريق، والله لا يجبر أحدا على الضلال والانحراف حاشا لله، الله أودع فينا مكامن السعادة والانطلاق والتكامل، فإذا كنا من ذوي الهمم الصغيرة والدنيئة، وارتكبنا المعاصي وذهبنا في طريق المخالفة لله سبحانه وتعالى ومعصيته حينذاك يضلنا الله.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، وهنا الشاهد؛ ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾، في مقابل البصيرة هناك حالة الغفلة والضلال وحالة الضياع، فالملياردير الفلاني يمتلك كل شيء لكنه انتحر، لماذا؟.. وصل إلى لحظة وجد فيها الحياة ليس لها معنى، وكل شيء يريده فعله، وأي مكان بالدنيا رغب فيه ذهب إليه، وكل إمكانية يتمناها إنسان لديه، وكل موبقة اشتهاها وتمناها عملها، عمل كل شيء بنقوده، ووصل إلى لحظة من الإحباط الشديد.

غياب البصيرة وأمراض النفس

ومن أمراض الناس غير المؤمنين الكآبة، فالإنسان المؤمن يُصاب بدرجة أقل، فالكآبة تصيب غير المؤمنين، والمؤمن ضعه في زنزانة انفرادية، وسيعيش مع ربه وتجد همته عالية وسيستفيد من هذه الخلوة في طاعة الله، وضعه بين الناس تجده مليئا بالطاقة والحماس في خدمة عباد الله، وأينما تضعه يتكيف ويتأقلم، فرحته وسعادته في طاعة الله، والطاعة لا تحتاج إلى ظرف دون ظرف، سواء في البرد أو الحر، في الخلوة أو بين الجمع.

طاعة الله لا تحتاج إلى مكان وزمان ولا تحتاج إلى ظرف من الظروف، ويستطيع الإنسان أن يطيع الله في كل الأحوال والظروف، والإنسان المؤمن يعيش حالة الراحة

والاستقرار والطمأنينة، والإنسان غير المؤمن يعيش دائما حالة القلق والاضطراب، وإذا ذهبت الدنيا فقد كل شيء، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾، فهو لا يعي.

أحدهم أخبرني نقلا عن شخصين، يقول: إن تاجرا كبيرا من أهل الإيمان ذهب إلى سويسرا وشغلته التجارة، وذهب صديقه لزيارته في جنيف، ويقول هذا الصديق: جلست قربه وقلت يا أبا فلان، تركت الصلاة والصوم والالتزامات وذهبت بطريق آخر، وعمرك اليوم دخل الستين ورجلك في قبرك، وغدا تأتيك نوبة قلبية فماذا تفيدك المليارات والقصور؟، فلو أصلحت من وضعك، وفورا قاطعني وقال: هذا حديث مزعج ومخيف، ما هذا الكلام، ومن أرسل إليك؟، وطردني، قلت: له ألسنا أصدقاء؟، قال: أبدا، ماذا يعني موت وما هذا الكلام؟، وهذا يعني ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾، فلا يمتلك بصيرة ويعيش الغفلة.

فاقد البصيرة.. ميت الأحياء

﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ﴾، هذا أولا، ﴿وَقَلْبِهِ﴾، ثانيا، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾[٢٥٩]، وثالثا: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، والآن هناك نظارات سوداء تضعها على عينك، فلا ترى شيئا، وكما أن العين الباصرة يمكن أن تغطيها غشاوة، فعين القلب يمكن أن تكون عليها غشاوة فلا يرى الحقيقة، ولا يتفاعل مع الحق والمظلوم والحدث، فلا علاقة له بالناس ولو ذهب الشعب كله بالانفجارات، ويردد: «للبيت رب يحميه»، كلمة قالها السابقون، و«لهم الله» و«نحن أناس فقراء ماذا نفعل»، يجب الانتباه للوضع الأمني والشعب له الله، طيب، الله للشعب والجميع، هذا مؤكد، ولكن أين مسؤوليتنا في كل هذه الأمور والشؤون؟. هذا الإنسان الذي يفقد السمع والقلب والبصر.

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٦٠]، إذا أضله الله فمن يهديه؟، ومن يمكن أن يقوّمه ويعيده إلى نصابه، ﴿مَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢٦١]، كما في سورة الأعراف، ليس له نصيب، فقد ضاع بسوء اختياره، حينما لم يوظف السمع والبصر والقلب توظيفا صحيحا، ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، ألا تشعر بهذا الأمر وتقف عنده؟، هذا واحد من أخطر الأمراض التي يتعرض لها الإنسان؛ أمري ليس بيدي، وعندما تسقط عيني على الحرام لا أستطيع أن أرفعها، ورجلي عندما تقودني

٢٥٩. سورة البقرة: الآية ١٠.
٢٦٠. سورة الجاثية: الآية ٢٣.
٢٦١. سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

للحرام لا استطيع أن أتوقف، وأذني عندما تسمع الحرام، حين نتكلم عن هذا وذاك، لا أستطيع أن أتوقف فأسمع وأحس بالراحة، وليس لدي قدرة على أن أمسك نفسي وأسيطر على شهواتي، وعندما تنتهي القضية لا يبقى إلا الندم والحسرة وأعض على أصابعي؛ لماذا فعلت ذلك وقبلت لنفسي أن أكون كذا وكذا؟ . . . ولكن بعد أن تضيع الأمور وتتغير المسارات، وحين لا ينفع ذلك بشيء.

المؤمن همه بناء آخرته

في «بحار الأنوار» عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله عز وجل يقول: بجلالي وجمالي وبهائي وعلائي وارتفاعي» «ما هذه الإيمان المغلظة التي يقسم بها الله»، «لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت عناءه في نفسه»، أجعل همه كيف يبني نفسه وعينه على عيوبه ومشاكله؛ كيف ارتكبت هذا الخطأ وتكلمت بهذا الكلام وسمعت كذا ونطقت بكذا . . ؟، فيصبح همه وعناؤه في نفسه، كيف يبني نفسه ويربيها، وهذه أكبر نعمة أن الله سبحانه وتعالى يوجه طاقتك إلى بنائك وبناء نفسك فتصبح قويا وتسير ضمن المسارات التي أرادها الله سبحانه وتعالى.

«وهمه في آخرته»، كل همه كيف يرضى الله عنه وكيف يضمن آخرته. يقضي الإنسان خمسين أو ستين سنة، ومهما أكل فهو في النتيجة طعام، والناس أكلت ولم تمت من الجوع، سواء الخبز اليابس أو الأطعمة الفلانية، والله يتكفل رزق العباد وستأتيك نعم الله، عليك أن تعمل بالأسباب الطبيعية ولا تقصر في السعي وأداء واجباتك وتبحث عن عمل والباقي على الله، ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٢٦٢].

اجعل همك في الآخرة، فإن أربعين أو خمسين أو ستين سنة تأتي وتذهب في رمشة عين، وكل واحد منا مهما كان عمره، فالدنيا تسرع بنا، فقبل فترة كان أحدنا في الأول الابتدائي، وقبل مدة قليلة سقط صدام، عشر سنوات مرت كلمح البصر، بالأمس تزوجت واليوم زوجت أولادي وأصبحت جدا، وهكذا تمضي حياة كل منا، لكن ماذا قدمت للحياة الأبدية؟ وماذا حضرت للآخرة؟ فهذا هو المهم.

«إلا جعلت عناءه في نفسه وهمه في آخرته»، هذا الذي يصبح همه رضا الله، وهمه أن يبني للدار الآخرة، والبعض منا يبني بيتا، ويحتاج مكانا للإيجار إلى أن يجمل البيت، بعد أن يبحث كثيرا عن مواصفات عالية، أما الإيجار فكيفما اتفق إلى أن يكمل بيته ليعيش فيه.

---

٢٦٢. سورة الذاريات: الآية ٥٨.

ودائما، قاعات الترانزيت بالمطار فيها خدمات بسيطة لساعات فقط ويعبر، والإنسان لا يستعد لدار المجاز كما يستعد لدار القرار، والآخرة هي التي تحتاج إلى كل الجهد، «وكففت عنه ضيعته»[٢٦٣] أنا أتكفل بما يغيب عنه، وكل ما يخسره ويفقده أنا أتكفله، فالله سبحانه وتعالى هو الضامن.

من أعظم ضماناً من الله؟

في العالم اليوم، من أكبر الشركات ربحية هي شركات التأمين، والناس تعمل تأمينا على الحياة والبيوت والسيارات، وعلى الطائرة والباخرة، وهكذا يشعر الناس براحة البال، فمهما كان، فإن شركة التأمين ستدفع، فما هو أكبر من أن يكون الله سبحانه وتعالى هو المتكفل بالتأمين للإنسان في كل شؤونه؟، إذا كان عندنا إيمان فهذا أهم من شركات التأمين الأخرى، «وضمنت له السماوات والأرض رزقا»، الله يقول إن رزقك في السماوات والأرض وأنا ضامن له.

وكل منكم ليراجع نفسه؛ هناك أشياء نتعب بها ونعتقد بأن فيها ربحا، ولكن النتيجة تكون ليس عدم الربح فقط، وإنما نخسر فيها، وهناك شيء ليس في بالنا، وفجأة تاتي فرصة فيها ربح، سواء في مال أو قضية في شأن من شؤون الحياة، فهناك ما نخطط له كثيرا ولا يأتي بنتيجة وهناك أشياء لا نخطط لها وفجأة تصبح واقعا.

هناك من يسجل للحج وينتظر سنوات، وأصدر الجواز وهو سعيد وليلة السفر وقع وانكسرت رجله ولم يستطع أن يذهب، وهناك من ليس في باله أن يذهب، حتى يأتيه الاتصال، أن هناك فرصة فهل تأتي؟..، يخبرونه في الليل وفي الصباح يكون على ظهر الطائرة وفي الظهر يرى نفسه في المسجد النبوي أو المسجد الحرام!.

«ضمنت له السماوات والأرض رزقا»، الله يقول أنا ضامن وأجعل له رزقه في السموات والأرض، فقدّم إرادة الله على إرادتك، وغلب إرادة الله ورضا الله على نزواتك، وسترى الأمور كيف تُحل وحياتك كيف تترتب بنفسها، وهنيئا لمن يقوم بذلك.

بين الطموح وطول الأمل

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل»، إن أخشى نوع من الفايروسات ـ كفايروس

٢٦٣. بحار الأنوار ٦٧: ٧٥، ح٢.

الأنفلونزا الوبائية الذي أرعب الناس بشده ـ وأخطر فايروس على الحالة المعنوية للإنسان هو «الهوى وطول الأمل».

ماذا تريد أن تصبح؟.. أريد أن أكون طبيبا وأفتح مستشفى وأعمل كذا، وهو غارق في الأحلام، وهذا بعد ١٠٠ سنة، إذا قيل له أين الموت؟، سيقول أحتاج إلى ٥٠٠ سنة، وكيف يفكر بالموت ولديه هذه الآمال الطويلة، وهناك فرق بين طول الأمل والطموح العالي، فإن علو الطموح وعلو الهمة شيء جيد، والآمال والتمنيات التي تجعل الإنسان متشبثا بالدنيا هي التي يخشى منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على المسلمين، «أما الهوى فإنه يصد عن الحق»، ترى الحق بعينك ولكن لا تستطيع أن تسير معه لأن هواك لا يسمح، وحينما سأل الحسين الفرزدق عن أهل الكوفة قال: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»[٢٦٤].

ما هذه الازدواجية؟، قلوبهم معك ويعرفونك يا حسين، وهم متعاطفون معك ويعرفون أنك ابن بنت رسول الله، ولكن هناك تضحية في هذا ومواجهة مع السلطة، وهؤلاء يطلبون العافية، فسيوفهم عليك رغبة بأموال السلطان وعطايا الظالم.

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حواريته المعروفة مع عمر بن سعد، سأله ألا تعرفني؟، قال أعرفك يا ابن بنت رسول الله، وكيف لا أعرفك، ولكنه ملك الري وجرجان، إذ وعدوني أنهم سيجعلون مني أميرا على الري وجرجان.

أتعلمون أن إيران في ذلك الزمن كانت تابعة للكوفة؟، والري منطقة طهران اليوم، وجرجان، وهي باللغة الفارسية (كركان)، في شمال إيران في طريق خراسان، فالري وجرجان وخراسان وطبرستان والترك والديلم، وتسمى اليوم كيلان، ومازندران، هذه الحدود الإيرانية كانت تابعة للكوفة، والوالي في الكوفة هو من يعين الولاة في تلك المناطق، وكانت بمثابة إقاليم، والكوفة هي التي تعيّن الولاة، فعبيد الله بن زياد طمّع عمر بن سعد بالري وجرجان إذا قاتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي منطقة كبيرة (٥٠٠ كم) وفيها ثروات هائلة، ولكن الحسين قال له: «لن تسعد بعدي بدنيا ولا آخرة»، والحسين كان يرى بعين البصيرة، «كأني أرى رأسك تتلقفه الصبيان بالكوفة يتخذونه غرضا بينهم»[٢٦٥]، أخبره الحسين بهذه الحقيقة، ورأس عمر بن سعد اتخذه الأطفال كرة يتدافعونها بينهم ويرمونها بأرجلهم.

---

٢٦٤. بحار الأنوار ٤٤: ١٩٥، ح٩.

٢٦٥. بحار الأنوار ٤٥: ١٠.

«أما الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[٢٦٦]، نعوذ بالله من طول الأمل، لأنه لا يذكّرك بالآخرة، فإذا كانت لديك مشاريع تحتاج إلى ١٠٠ سنة للتنفيذ فلن تستعد للموت، وهناك ملياردير طائرته الخاصة تحت يده، ففي الصباح بالشرق بأندونيسيا وبالليل بكندا بالغرب، يركض يمينا ويسارا يجمع الأموال، أين حياتك، ألديك وقت للصلاة والتعبد، وعائلتك هل تراك، وأين ينتهي ركضك وراء الدنيا؟.

ثلاثة لا نجاة لهم

عن الصادق عليه السلام: «إني لأرجو النجاة لهذه الأمة من عرف حقنا منهم»، أرجو النجاة والسعادة لمن عرف حق أهل البيت، ولكن ليس بالمطلق، «إلا لأحد ثلاث»، ثلاثة من هؤلاء حتى لو كانت لديهم محبتنا لا يرون السعادة؛ «صاحب سلطان جائر»، سلطان ظالم يتقربون منه، وحين تسأل أحدهم؛ هل أنت راض؟، يقول: لا، هذا ظالم فلماذا أنت معه؟، يقول: طلبا للعافية؛ فهناك راتب جيد وإمكانات، وعندي وجاهات. إن الظالم يظلم بأدواته، وأنت أصبحت أداة للظالم، صرت وسيلة للظالم على الناس، وقدمت مصلحتك على مصلحة الأمة، وهذا الشعور بالخوف والرعب من ذوي الإمكانات والوجاهات والظلمة على مر التأريخ؛ فتجد قولهم: لئلا يقتلوني ويهدموا بيتي.. أخاف أن يأسروني ويسجنوني ويعذبوني، فتراه يصبح مطية وأداة للظالم، حبا لنفسه وخشية من أن يتعرض إلى مكروه.

«وصاحب الهوى»، لديه هذه المشكلة الكبيرة، «والفاسق المعلن»[٢٦٧]، الفاسق المتجاهر بالفسق والعناد لله، فمن تضعف نفسه أجارنا الله وإياكم، ويرتكب معصية معينة، ويندم عليها ويتوب ويذرف الدموع ويسأل الله المغفرة، هذا غير من يخرج ويقول على الشاشات والفضائيات ويتبجح أمام الناس، وفي بطاقته مكتوب أنه مسلم، ويقول طوال عمري لم أصلّ أي صلاة ويتبجح بأنه لم يؤدّ الصلاة، ولا يعرف شكل الصلاة، هل هذه قضية تتبجح بها وتسمي نفسك مسلما، فعلى الأقل أخفها، فالتبجح بها عناد لله وذنبه أعظم من ترك الصلاة على ذنبها المعروف.

---

٢٦٦. بحار الأنوار ٦٧: ٧٥، ح٣.
٢٦٧. الكافي ٨: ١٢٨، ح٩٨.

التحذير من اتباع الهوى

وفي رواية عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكافي: «احذروا أهواءكم»، أخاطب أحبتي الشباب بالدرجة الأساسية؛ لأنهم يمتلكون الحماس والعنفوان والنزوات والرغبات، في زماننا هناك مشاكل اقتصادية عويصة وفرص العمل لا تتوافر للجميع، فيولد شعور بالإحباط واليأس، وهذه الحالة أحيانا تولد لديه ردود أفعال غير منضبطة، ويندم عليها لأن قلبه طاهر، لذلك هذا خطاب للشباب أولا؛ احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فإذا صاحوا أن هناك مفخخة فإن الناس سيحتاطون لأنفسها لأن طبيعة الإنسان هكذا، فتجنبوا الهوى كما تتجنبون العدو.

«فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم»[٢٦٨]، وإطلاق اللسان دون رادع وحاجز، وكيفما يعجبه يتكلم... انتبه لكلامك، فالكلمة ستسجل ويوم القيامة ستعرض عليك؛ أنك قلت كذا وكذا وشهّرت بالآخرين وأسأت لهم، وذكرت أشياء غير صحيحة وعبّرت عن تحليلك للأمور وأعطيته صفة الخبر، وهذه نحن مسؤولون عنها؛ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٢٦٩]، يجب أن نكون حذرين، فالهوى خطر عظيم على الإنسان.

بصيرة أصحاب الحسين

هذه ليلة السادس من محرم المنسوبة إلى أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحينما نراجع مواقف الأصحاب نجد فيها البصيرة والوضوح لدى هؤلاء، يكفيهم تقييم سيد الشهداء لهم حينما قال: «يستأنسون بالمنية دوني»[٢٧٠]، الحسين شهد لهم بذلك، أنهم لا يضحون ويقبلون فقط، بل يستأنسون، الحسين المعصوم يشهد لهم بذلك، فهم مستأنسون وسعداء بأن يقتلوا دون الحسين ويضحوا من أجل الحسين، وهذا أكبر من الاستعداد، فهناك من يقول إنا لله وإنا اليه راجعون، وأنا مستعد لأن أضحي، وهناك من لا يراه تكليفا، بل يأنس ويسعد ويفرح، وهذا حال أصحاب الحسين؛ يستبشرون أنهم مقبلون على الشهادة ليُقتلوا بين يدي أبي عبد الله ويذودوا عنه.

---

٢٦٨. الكافي ٢: ٣٣٥، ح١.
٢٦٩. سورة الإسراء: الآية ٣٦.
٢٧٠. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٩٣.

مسلم بن عوسجة

لاحظوا موقف (مسلم بن عوسجة)، حينما وقع صريعا على أرض كربلاء وكان به رمق، مشى نحوه الحسين وحبيب بن مظاهر، فقال له الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رحمك الله يا مسلم (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)»، ودنا منه حبيب وهو من أصدقائه، وقفوا ودافعوا عن الحق في تأريخ طويل، وقال: «عز عليّ مصرعك يا مسلم»، يعز عليّ أن أراك في هذه الحال، «وأبشر بالجنة»، فقال مسلم بصوت ضعيف: «بشرك الله بخير، قال حبيب: لو لم أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بما أهمك»، الإنسان عندما يموت يقال له ماذا توصي، وحبيب يقول له لولا علمي أني بعد دقائق سألحق بك لأحببت أن توصيني بما تريد لأنفذه، ولكني لست قادرا لأني مقبل على الشهادة بعدك فقال مسلم: «أوصيك بهذا أن تموت دونه»، وأشار إلى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مسلم لديه وصية واحدة وهمّ واحد وهو يغادر الدنيا، وليس همه نفسه وعائلته ودنياه، بل لديه همّ واحد هو الحسين؛ كيف يذب عنه ويقاتل دونه، فيقول أوصيك بقضية تقدر عليها؛ لا تترك الحسين ولا تسمح بأن يصاب بمكروه وفيك الحياة، قال حبيب: «أفعل ورب الكعبة»[٢٧١]، وفاضت روحه بينهما.

انظروا كيف تتجلى البصيرة والوضوح والإيمان والعقيدة في الإنسان، فلا يرى إلا الحق ولا يطالب إلا بالحق ولا يتمنى إلا الحق، فهنيئا لمسلم بن عوسجة.

عابس بن شبيب الشاكري

ومثل ذلك موقف عابس بن شبيب الشاكري، هذا البطل الذي تنسب إليه المقولة المعروفة: «حب الحسين أجنني»[٢٧٢]، كان يقولها بصوت مرتفع، وكان صادق المشاعر والعواطف وذا بصيرة وإيمان وشجاعة، وله موقف مع مسلم بن عقيل بالكوفة، حينما اجتمع الناس قبل الإدبار ١٨ ألفاً وبايعوا مسلم بن عقيل، هناك وقف عابس ورفع صوته وخاطب مسلم بن عقيل بحضور كبار القوم وعيونهم، قال له: «إني لا أخبرك عن الناس»، هؤلاء الـ١٨ ألفاً لا أكلمك عنهم، «ولا أعلم ما في نفوسهم»، لا

٢٧١. بحار الأنوار ٤٥: ٢٠.

٢٧٢. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٨٥.

أعلم بالتشكيك ـ الناس كلها تصيح (علي وياك علي) ـ فالكوفة خرجت تهتف وتبايع، لكن عابس لديه بصيرة ويعرف الأمور جيدا.

«إني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم»، لا أريد أن أقول لك إن هؤلاء جيش لك وأنت قدر، و «لا أقول لك» بمعنى لا أقتنع، فهذا كلام وإذا جد الجد لا تجد أحدا منهم، وهذا ما حصل، فانظر إلى العمق والبصيرة والرؤية التي يمنحها الله للإنسان البصير، «والله إني أحدثك عما أنا موطّن نفسي عليه، والله لأجيبنّكم إذا دعوتم»، إذا دعوتنا للقتال فأنا أجيبكم، ولا أعلم نية الـ ١٨ ألفا، «ولأقاتلنّ معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله»[٢٧٣].

كمال البصيرة

هذه قمة البصيرة؛ يقول لا أريد شيئا، أنا أريد من الله، وحاجتي آخذها من الله وعطاء الله يكفيني، وله موقف مع الحسين في يوم عاشوراء، عندما استأذن الحسين ليخرج للبراز، إذ قال كلمات صادقة من صميم القلب في لحظة صدق وليست كذبا، وهو مقبل على الله، قال: «يا أبا عبد الله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ منك»، ليس بهذه الدنيا أعز عليّ منك يا أبا عبد الله، «ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز عليّ من نفسي لفعلت»، ليس عندي ما أفديك به أكثر من نفسي، ولو كان عندي لفعلت، «نفسي بين يديك، السلام عليك أشهد أني على هداك وهدى أبيك»[٢٧٤]، هذه الشهادة والبصيرة وهذه الرؤية العميقة.

خير الأصحاب بشهادة المعصوم

وكذلك(أبو ثمامة الصائدي)، حينما حان الظهر يوم عاشوراء قال للحسين: «نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله لا تُقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها»، انظروا إلى البصيرة؛ في ذروة القتال في ركاب الحسين، وهو يمثل الحق، ويقول دخل وقتها، وأعرف أن الموت وشيك يا أبا عبد الله وأريد أن أصلي الصلاة الأخيرة خلفك، وبعد ذلك استقبل قدري وأذهب شهيدا دفاعا عنك، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من

٢٧٣. تأريخ الطبري ٤: ٢٦٤.
٢٧٤. بحار الأنوار ٤٥: ٢٩.

المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي لربنا»[٢٧٥]، ولم يسمحوا لهم بذلك، إلى غير ذلك من المواقف، وما أكثر هذه المواقف التي سطرها أولئك الأصحاب، حتى أصبحوا مصداقا لقول الحسين: «لا أعرف أصحابا خيرا ولا أبر من أصحابي»[٢٧٦]، كانوا أفضل الأصحاب لأنهم كانوا على بصيرة من أمرهم، فهنيئا لهم ويا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٧٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٣٥.
٢٧٦. بحار الأنوار ٤٤: ٣١٦.

الليلة السادسة بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته، كان حديثنا في الليالي الماضية عن واحد من أهم المفاتيح في النجاح والتوفيق في حركة الإنسان الفرد والإنسان الجماعة نحو الله سبحانه وتعالى، وفي مسار التكامل في حياته ونشأته الدنيوية، وهو عنصر البصيرة.

روافد البصيرة

كيف نحقق البصيرة في أنفسنا، وما هي العناصر والعوامل التي توجد البصيرة في وجود الإنسان، ليكون من أهل البصائر، والآيات القرانية حافلة، والنصوص الشريفة مليئة، بالتركيز على هذه العوامل والعناصر. وأهم هذه العوامل:

أولا: الكتب السماوية

الكتب السماوية تمثل واحدا من أهم المصادر والروافد لمنح البصيرة للإنسان، فكلما تمعن الإنسان في هذه الكتب السماوية ازداد بصيرة، وهذه قضية طبيعية؛ لأن الله أرسل الأنبياء والكتب السماوية لهداية الإنسان، وليمنحه القدرة على الوعي تجاه ما يجري حوله وفهم وإدراك ما يجري حوله، لذلك فالقرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى تمثل رافدا أساسيا من روافد البصيرة.

القرآن: بصائر وهدى ورحمة

نقرأ في سورة الأعراف: ﴿وإذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾، يا رسول الله، إذا جئت بآية من السماء وقلت لهم إن الله أوحى إلي، فسيكذبونك ولا يقبلون بالآيات، وإذا حصلت فاصلة زمنية في الوحي وتعطل لفترة من الزمن ولم تنزل آية، قالوا لك أين الآيات؟، ﴿لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾، أنت اجمع كلمات واختر لنا، و﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي اخترتها، اختر آيات واقرأها لنا، هل هي كلماتي لكي أجمع عبارات وأصطنع آيات وأعطيها لكم؟، وعندما تقولون لي اختر لنا آيات، وقل إن الله قال هذه، فهذا دليل آخر على إنكار الرسالة الإلهية، وكأنك تقول إن السماء لاعلاقة لها بالموضوع، المسألة بيدك أنت فاجلب لنا آيات. . . إن جئت لكم بآيات من السماء كذبتموها وإن تأخرت السماء ولم تنزل آية قلتم أين آياتك؟.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾، يا رسول الله، قل لهؤلاء إن الأمر ليس بيدي وليس كما أشتهي، فليس الأمر مسألة رغبات وأمنيات، هذه قضية وحي و ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾، والله سبحانه وتعالى بيده الأمر، فإذا قدّر، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، فأنا أوصل الآيات لكم، وإذا لم يقدّر الله سبحانه وتعالى، فالقضية ليست بيدي لأجتبي واختار وأنقلها لكم.

البصيرة باب الهدى والرحمة

هذه من عند الله سبحانه وتعالى؛ «هذا بصائر من ربكم» هذا القرآن بصائر من ربكم ليمنحكم البصيرة ويوعيكم ويعطيكم الرؤية ويدلكم على الطريق ويرشدكم إلى

المسار، لتعرف طريقك، وتعرف ما تعمل، ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٧٧]، ثلاث صفات في القرآن؛ ﴿بَصَائِرُ﴾ و﴿هُدًى﴾ و﴿رَحْمَةٌ﴾.

وهذا التسلسل المنطقي بين هذه المفردات الثلاث؛ البصائر أولا، فإذا تسلحت بالبصيرة وأصبحت من أهل البصائر ورأيت الطريق، فستأتي الهداية، إذن، من يمتلك البصيرة يمتلك الهداية، فيهتدي، وإذا اهتديت وسرت في الطريق الصحيح، فسيأتي الدور للمقام الثالث؛ مقام الرحمة، وتستنزل الرحمة الإلهية على القوم المهتدين، فالبصيرة تأتي لك بالهداية والهداية تستنزل الرحمة الإلهية.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، لاحظوا هذه الإشارة المهمة والعميقة في هذه الآية، ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، البصيرة لكم جميعا، والله أودع قدرة الالتقاط والإدراك، وإمكانية الوصول إلى البصيرة، أودعها في الجميع من دون استثناء؛ ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، لكم جميعا، لكن، ﴿وهدى ورحمة﴾، ليس للجميع، بل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، الهداية والرحمة تخص المؤمنين، لكن البصيرة تعم الجميع، فالله أودع في الجميع القدرة على البصيرة والإدراك، ولكن هناك من يستثمر هذه القوة فيصبح بصيرا، وهناك من أعطاه الله القلب والسمع والبصر ولكن لم يستفد منها؛ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[٢٧٨]، كما شرحنا في أدوات البصيرة، فلديه القلب والبصر والسمع، ولا يقصد منها الجوارح، إنما يقصد الإدراك القلبي، فإذا استخدم هذه القوة صار من المؤمنين وجاءته الهداية والرحمة، وإن لم يستخدمها فإنه ضيّع على نفسه الهداية والرحمة.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، البصيرة للجميع، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، لكن الهداية والرحمة تخص المؤمنين.

الآية الآخرى في سورة الجاثية: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢٧٩]، هنا تشير هذه الآية إلى حقيقة جديدة؛ فالبصيرة للجميع، والقرآن فيه بصيرة، ولكن هذه البصيرة إذا تحولت إلى هداية ورحمة، فهي تكون عند من يصل إلى مرتبة اليقين، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وفي سورة الأعراف ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، إذن الإيمان يجلب الهداية والرحمة، واليقين والوضوح الكامل أيضا.

---

٢٧٧. سورة الأعراف: الآية ٢٠٣.
٢٧٨. سورة الأعراف: الآية١٧٩
٢٧٩. سورة الجاثية: الآية ٢٠.

القرآن مصابيح الهدى

لاحظوا عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في دور القرآن وكيف يمنح البصيرة: «فعليكم بالقرآن»، يا شباب، القرآن مهجور، وفي شهر رمضان فقط نتذكر ونخرج المصحف، كثير منا هكذا مع الأسف الشديد، شهر رمضان ربيع القرآن، ربيع يعني أن تقرأ أكثر ولا تهمل القرآن في سائر أشهر السنة، القرآن عندنا مهجور فلا نقرأ كثيرا آيات الذكر الحكيم، أمير المؤمنين يقول: «فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع»، إذا كان عندك أنس مع القرآن والتصاق بالقرآن وحقائق القرآن، فالقرآن «شافع مشفع»، يشفع لك يوم القيامة، ويقف لك.

«وماحل مصدق»، ماحل: يعني الساعي، هناك شخص يرى قضية ويرويها للآخرين، والقرآن يسعى ويشكو أمره لله سبحانه وتعالى، وهو مصدّق لأنه لا يقول إلا الحق، فإذا هجرنا القرآن، فالقرآن يشكونا إلى الله ويقول يا إلهي هجروني وما قرؤوني وما تدبروا في آياتي وما عملوا بحقائقي وتركوني وابتعدوا عني، ومصائبنا لابتعادنا عن القرآن، والكثير من المحن التي تمر بنا في مجتمعاتنا الإسلامية في العراق وفي غير العراق، لأننا ابتعدنا عن قيم القرآن وعن مفاهيم القرآن وعن حقيقة القرآن وتلاوة القران، فأصبنا بما أصبنا به من إشكالات كبيرة.

«ومن جعله أمامه»، الذي يضع القرآن ويسير على هدي مفاهيمه، «قاده إلى الجنة»، القرآن يأخذ بيدك إلى الجنة، «ومن جعله خلفه قاده إلى النار»، الذي يعطي ظهره للقرآن وحقائقه وقيمه ويسير بطريق آخر، هذا المنهج يقوده إلى النار، «وهو الدليل إلى خير سبيل»، يدلك إلى أفضل الطرق التي تحقق لك الكمال.

«فيه مصابيح الهدى»[٢٨٠]، وهنا محل الشاهد، أتريد المصباح الذي يضيء لك وتصل إلى البصيرة لتحقق الهداية؟، مصباح الهدى هو القرآن الكريم، نحفظ المقولة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[٢٨١]، وهنا أمير المؤمنين يقول إن القرآن مصابيح الهدى، فإذا كان القرآن مصباح الهدى والحسين مصباح الهدى فكيف تجمع؟.

٢٨٠. الكافي ٢: ٥٩٩، ح٢.
٢٨١. مدينة المعاجز ٤: ٥٢، ح٣٣. معالي السبطين ٢: ٢٨٧.

الحسين قرآن ناطق

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا»[٢٨٢]، لأن أحدهما يكمل الآخر، ومن هو الحسين، ولماذا نحترم الحسين ونؤبن ونجلس بعد ألف وأربعمائة سنة؟، لأن الحسين كان القرآن العملي والناطق، وتجسيدا لقيم القرآن، وثورة الحسين امتداد وتطبيق لحقائق القرآن الكريم، لأن مشروع الحسين إلهي، كما أراده الله سبحانه وتعالى، وكما أنزله على قلب رسولنا الكريم، فالقرآن مصباح والحسين مصباح.

«فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودال على الحجة»، أتريد الحجة البالغة، وتريد أن تعرف بمن تتمسك، وكيف تصل وكيف تسعد وكيف تفوز؟، من خلال القرآن الكريم، والقرآن هو الطريق.

القرآن شفاء الصدور

عن الحسن بن علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور»، ينور قلبك فتصبح عندك بصيرة، «وشفاء الصدور»[٢٨٣]، أتريد لقلبك أن يطمئن؟ أتريد لقلبك أن يُشفى من كل مرض أخلاقي؟، ولدينا القلب الجارحي ونقول عنده ضعف بالقلب فركبوا له بطارية واعملوا له قسطرة ليضخ الدم، وكما أن القلب الجارحي يمرض، فالقلب المعنوي، وفكر الإنسان، وروح الإنسان، والنفس الإنسانية، هذه أيضا تمرض، لدينا أمراض بدنية نذهب بسببها للطبيب ويكتب لنا وصفة لنشفى بإذن الله، ولدينا أمراض أخلاقية وروحية ونفسية، فأين الوصفة؟.. إنها القرآن الكريم، فتمسك بالقرآن الذي يشفي الأمراض الروحية.

ما يصيبنا بما كسبت أيدينا، فالله سبحانه وتعالى يتعامل معنا على وفق ما نقوم به، وما نتعامل من خلاله، فإذا تعاملنا بشكل صحيح فالله يعطينا الرفعة والشرف والكرامة في الدنيا والآخرة، وإذا تجاوزنا وأخطأنا واعتدينا وأسرفنا، فالله سبحانه يعطينا ما يلائم ويناسب حالة الإسراف والذنب والمعصية.

---

٢٨٢. بحار الأنوار ٢: ١٠٠، ح٢٢٦. مسند أحمد ٣: ١٤، ٢٦، ١٧.
٢٨٣. بحار الأنوار ٧٥: ١١٢، ح٦.

حقيقة واحدة

عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كتاب الله تبصرون به»، القرآن يعطيك بصيرة، وبالقرآن ترى الطريق، وبالقرآن تتعرف على الحقائق فتصبح من أهل البصائر، «كتاب الله تبصرون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض»، القرآن حقيقة واحدة، فيه آية متشابهة وهناك آية أخرى محكمة تفسر وتوضح الآية المتشابهة. العلامة الطباطبائي في تفسيره الشريف «الميزان» اعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن؛ فحين تريد أن تعرف عن هذه الآية، يأتيك بأربع آيات ويقول لك هذه الآيات تقول كذا وكذا، فالقرآن ينطق بعضه ببعض.

«ويشهد بعضه على بعض»[٢٨٤]، لا تجد تناقضا واختلافا، وأحدنا يتكلم نصف ساعة في مقابلة تلفزيونية ويسألونه في أول المقابلة فيجيب بشيء، وبعد عشر دقائق يجيب بجواب آخر ويناقض كلامه، لكن القرآن نزل على مدار ٢٣ سنة، فهل يستطيع أيّ منا، بعد تطور العقل البشري، أن يقول هنا تناقض بين هذه الآية وتلك؟، أبدا، فلا يوجد تناقض وهو يكمل بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويشهد بعضه على بعض.

في أدعية عيد الأضحى: «اللهم إني أسالك بحقك على خلقك وبكل حق هو لك»، أسالك بجميع حقوقك يا الله، «أن تجعل القرآن ربيع قلبي». أُنسي بالقرآن، وراحتي بالقرآن، «ونور بصري»، أسألك أن تعطيني البصيرة بالقرآن، وتنور بصيرتي بالقرآن الكريم، لأن القرآن مصدر مهم من مصادر البصيرة، «وجلاء حزني»، ينجلي حزني وينتهي ويزول بالقرآن، إلهي، بالقرآن أريد أن تداوي جروحي وبالقرآن تحل مشاكلي، «وذهاب همي وغمي»، إلهي كل همّ وغمّ لدينا في هذا الشعب، ومشكلة أمنية واقتصادية وخدمية واجتماعية، إلهي نسألك بحق القرآن الكريم أن تشافي جراحنا بالقرآن.

اليوم، ينهمر المطر في هذه اللحظات بكثافة، وهو رحمة ونعمة، ولكن هل نرفع أيدينا إلى السماء ونقول ليستمر المطر؟، جاءت نعمة المطر وتحول إلى مشكلة وأزمة للناس وغرقت أحياء مدننا، وذهب المطر وجاء الجفاف، وهي مشكلة أيضا. نقول يا إلهي أرسل إلينا المطر، وإذا جاء المطر حدثت مشكلة، لأننا لا نعرف كيف نستثمر ونوظف هذه النعم الإلهية بشكل صحيح، وهي تحتاج إلى إعداد وتحضير، وشكري

٢٨٤. نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

وتقديري إلى جميع العاملين المخلصين في بلديات العراق وفي كل المؤسسات الخدمية الذين يقفون تحت الأمطار ويسعون لتخفيف الإشكالات والأعباء التي تصيب المواطنين.

نور البصيرة وإلهام القلوب

«وأن تقضي لي كل حاجة من حوائج الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين»[٢٨٥]، قضاء الحوائج بالقرآن، وهمومك وغمومك وجراحك تعالجها بالقرآن، والبصيرة والرؤية الثاقبة والإدراك القلبي إنما يكون بالقرآن، إذ يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أحد خطابات جبرائيل له: «قال لي جبرائيل: والذي بعثك بالحق نبيا»، ما هذه الإيمان المغلظة التي يستخدمها جبرائيل؟، «من يقرأ هذه الآيات (آيات الذكر الحكيم) ملأ الله تعالى قلبه نورا وضياء»، قلبه يمتلئ نورا وضياء فينظر بعين الله وتصبح له بصيرة وقدرة على إدراك الحقائق، «ويلقي الإلهام في قلبه»، يجلس في مكان ويخطر بباله أن يذهب للمكان الفلاني، وبعد دقيقتين تنفجر مفخخة ويقول الحمد لله، لو بقيت لحدث كذا وكذا، هذا إلهام الله الذي يعطيك البصيرة، ولا تعرف لماذا في لحظة تقرر أن تذهب إلى مكان، وتقرر أن تتخذ موقفا وتقول كلمة، ويتبين أن هذا الموقف والكلمة والخطوة والاتصال دفعت بلاء عظيما، وأوجدت تأثيرات كبيرة جدا. أحيانا تذهب إلى عمل معين بسيط، وترى أن له آثارا كبيرة، والله يلهمك أن تتخذ قرارا صحيحا في لحظة صحيحة.

«ويلقي الإلهام في قلبه ويجري الحكمة على لسانه»، ببصيرة القرآن، يجري الله الحكمة على لسانك فتتكلم بالحكمة والسداد، وهناك شخص قد يتكلم ويبلي العمر كله والناس يلومون؛ فلان قال كذا وكذا، وهناك من يتكلم والناس تتلاقفها وتتمسك بها وتستفيد منها كحكمة، والله سبحانه وتعالى يلقي الحكمة على لسان من يريد، والبصيرة القرآنية تؤدي إلى أن تتحدث بالكلام الحكيم.

«ويحشو قلبه من الفهم والتبصرة»، وهنا شاهد آخر؛ آيات الذكر الحكيم تملأ قلبك بصيرة وفهما وإدراكا، «ما لم يُعطَ مثله أحد من العالمين»[٢٨٦]، وترى الدنيا بشكل آخر كما هو الحال في الأشعة التي تري الأمور بطريقة مختلفة، وترى شيئا آخر، وكما أن

٢٨٥. الإقبال ٢: ٢١٨. بحار الأنوار ٨٨، ٧٥.
٢٨٦. بحار الأنوار ٩٧: ٤٢١.

الناس تستخدم (CT scan) والمفراس لرؤية الأشياء التي لا تُرى بالعين وبالتحليل العادي، ويوما بعد يوم تتطور وتاتي أجهزة تري الحقيقة بالبدن، ففي ما يخص الروح أيضا كذلك؛ فهناك من يرى الحقيقة بطريقة لا يراها الآخرون، فهذا لديه بصيرة والآخرون ليس كذلك، وهذا يرى والآخرون لا يرون، فالله يعطيه ما لم يعط أحدا مثله.

البرهان الواضح

في خطبة السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ: «كتاب الله بيّنة بصائره»، بيّنة واضحة بصائره، يمنحكم البصيرة، كل فكرة منحرفة وكل موقف ضال، وكل خطوة ظالمة واعتداء على حق، ناتجة من الابتعاد عن القرآن ومضامينه ومفاهيمه الصحيحة، «بيّنة بصائره وآي منكشفة سرائره» آيات الذكر الحكيم تكشف لك أسرار الكون وأسرار الحياة، وأسرار العلاقات الاجتماعية، وأسرار علاقتك بالله، وأسرار علاقتك مع الآخرين، والحقائق والسرائر تنكشف وتتضح بآيات الذكر الحكيم، فتمسّك بالقرآن واجعل أنسك به وانفتح عليه، وسترى أن الحقائق تنكشف.

«وبرهان متجلية ظواهره»، القرآن فيه براهين وحجج، وحينما تقرأه تنجلي لك هذه الأدلة والبراهين وهذه الحجج، فتصبح على بينة ومعرفة وعلى وضوح من أمرك، «مديم للبرية استماعه»، أتريد أن يطول عمرك وأن تستفيد وتبقى صحيح البدن؟، واصل وأدم الاستماع إليه وتلاوته وتعاطيه «وقائد إلى الرضوان اتباعه»، أتريد من يقودك إلى الجنة؟، اتباع القرآن والآخذ بحقائق القرآن والالتزام بالمنظومة الأخلاقية والقيمية التي يقدمها القرآن الكريم، «ومؤد إلى النجاة أشياعه»[٢٨٧]، أي من يتبعه، و(أشياع) تعني (اتباع)، فمن يتبعه يأخذ به إلى النجاة، فهنيئا لمن يتمسك بالقرآن الكريم.

الكتب السماوية الأخرى

وما أكثر الآيات التي تشير إلى أن القرآن رافد من روافد البصيرة، وكذلك الكتب السماوية الأخرى، وبالطبع ليس المحرف منها، فالكتب السماوية الأخرى تعرضت إلى التحريف، لكن تلك الكتب المنزلة على قلوب أنبياء الله كالتوراة والإنجيل والزبور، شأنها شأن القرآن، لأن المرسل واحد والهدف واحد والحقيقة واحدة والمخاطبين هم أنفسهم، فبالتالي تكون النتائج واحدة.

---

٢٨٧. بحار الأنوار ٦: ١٠٧، ح١.

التوراة.. بصائر وهدى ورحمة

لاحظو الآية من سورة القصص: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، (التوراة) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى﴾، بعد ما جاء الأنبياء السابقون بالرسالات وكفر بهم الظالمون وقتلوا أولئك الأنبياء وأهملوا تلك الرسالات، إذ جاءت أقوام نوح وعاد وثمود وفرعون وانتهت الأمور إلى من انتهت إليه، هنا جاءت التوراة لتكون بلسما وبصيرة إلى للناس.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى﴾، آتينا موسى الكتاب، ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٨٨]، نفس التعبير في القرآن؛ بصائر وهدى ورحمة، كذلك في التوراة، وهناك «لقوم يوقنون» وهنا «لعلهم يتذكرون»، عندما أعطاك البصيرة فهذا يعني أن تكون من الذاكرين، ممن يبتعد عن الغفلة، فمقابل «يتذكرون» هناك الغفلة، فالبصيرة تعطيك حالة الذكر والالتفات، والتوراة تمنحك البصيرة لأنها كتاب الله.

في الكافي، الجزء الثامن، في مناجاة الله تعالى لموسى (عليه وعلى نبينا السلام)، يقول له الله: «يا موسى ما آمرك به فاسمع»، الذي آمرك به التزم به، «ومهما أراه فاصنع»، وما أراه لك اصنعه واعمل به، «خذ حقائق التوراة إلى صدرك»، حقائق التوراة خذها إلى صدرك لأنها تمنحك البصيرة، «وتيقظ بها في ساعات الليل والنهار واجعل قلبك عامرا بها»، واجعل قلبك متبصرا بآيات التوراة، «ولا تمكن أبناء الدنيا من صدرك»، أما عبيد الدنيا، أبناء الدنيا وليس أبناء الآخرة، فهؤلاء لا تعطهم هذه الأسرار؛ لأنهم لا يتحملونها ولا يستوعبونها ولا يستطيعون أن يتعاطوها، فلا تعطهم هذه الأسرار، «فيجعلونه وكرا كوكر الطير»[٢٨٩]، يستغلونها استغلالا بشعا ولا يستفيدون منها في طريق الهداية، فلا تطلعهم على هذه الأسرار.

التوراة: آثار العبادة الخالصة

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «في التوراة مكتوب»، من آيات التوراة، وما يرويه إمام معصوم هو النصوص الحقيقية غير المحرفة، فالكتاب الموجود اليوم، قد يكون فيه الكثير من التحريف، لأن القرآن يخبرنا أن الكتاب السماوي الوحيد

٢٨٨. سورة القصص: الآية ٤٣.
٢٨٩. الكافي ٨: ٨٣، ح١.

الذي لم يتعرض إلى التحريف هو القرآن الكريم، وهو بإرادة إلهية؛ «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٢٩٠]»، والله اخذ على نفسه ألا يحرف القرآن، وبعد ألف وأربعمائة سنة لم يحرف حرف واحد منه، «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي»، ركز على عبادة الله والتفت وتوجه نحو الله سبحانه وتعالى.

«أملأ قلبك غنى»، لا يقول جيبك بل يقول املأ قلبك، فالجيب قد يمتلئ بالمليارات لكن القلب أجوف ويعيش حالة الغربة والوحشة، ولكن حينما يكون القلب غنيا فقد يكون لا يملك فلسا لكن قلبه غني ولديه كرامة وعزة ورفعة وسمو، ولا فرق عنده حتى لو وقف العالم كله أمامه؛ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٢٩١]، لنا الله فمن يستطيع أن يؤثر فينا، هذه البصيرة والوضوح، «ولا أكلك إلى طلبك»، لا أتركك إلى مطالبك.

والأمثال تُضرب ولا تقاس؛ مثلا طفل صغير يقول لك أريد حلوى، والدنيا كلها أمامه، لكنه يطلب حلوى أو بسكويتا أو نستلة، أشياء يطلبها الأطفال، فهذا سقفه، والحياة المعنوية إذا أردنا أن ننظر إليها، ماذا تريد يا إنسان؟.. أريد عملا وامرأة صالحة، وهذه مطالب جيدة لكن هل هذا سقفك؟، وإذا تركك الله إلى مطالبك سيكون سقف مطالبك محدودا، فيقول الله؛ إذا توجهت إلى عبادتي فإني أعطيك، والله الجواد الكريم المعطاء حينما يعطي ويجزل، فالعطاء أكثر من المطالب البسيطة.

«وعليّ أن أسد فاقتك»، لا تخف الفقر والفاقة والعوز ومن أن تذل على أبواب الناس، فلا أسمح بأن تمد يدك، فأصلح علاقتك بالله وتمسّك بعبادة الله واهتم وارتبط بالله سبحانه وتعالى، والله يتكفل بألاّ تصاب بفقر وعوز ولا تمد يدك للآخرين، «وأملأ قلبك خوفا مني»، إذا جئت نحوي وعبدتني املأ قلبك من خشية الله ومخافته، وهذا الذي قلبه يُملأ بمخافة الله لا يرتكب خطأ أو معصية أو يصاب بغفلة ويذهب بالاتجاه الخاطئ، لأن الله أمامه ونصب عينيه وهذه حقيقة كبيرة، «وإن لا تفرغ لعبادتي»، لكن إذا لم تهتم بعبادتي وذهبت مع هواك، ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٢٩٢]، وتحدثنا عن ذلك سابقا، «أملأ قلبك شغلا بالدنيا»، فتراه مهموما؛ بالدائنين والبيت والزوجة ومشاكل الأولاد والقضية الفلانية... فهو متحير، لأن الله شغله بمشاغل الدنيا.

---

٢٩٠. سورة الحجر: الآية٩

٢٩١. سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

٢٩٢. سورة الجاثية: الآية ٢٣.

هناك من في ساحة المعركة والأعداء من كل حدب وصوب وتتفجر القنابل أمامه وخلفه وتسأله كيف أنت؟، فيقول أنا مرتاح لأني قمت بتكليفي الشرعي، فإذا قُتلت فأنا شهيد في سبيل الله؛ «القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة»، وإنْ خرجت فالحمد لله؛ لأني أديت تكليفي وأنا سعيد، وهناك من يسكن في قصور مليئة بالمليارات ويمتلك من الخدم والحشم، ما شاء الله، بالمئات، وتسأله كيف أنت؟ ويقول أنا غير مرتاح، لماذا؟ الله أعطاك كل شيء، يقول تجارتي بالمكان الفلاني كذا وسفينتي بالمكان الفلاني صودرت والبضاعة تقف بالميناء الفلاني وهكذا، مهموم ومرتبك ومشغول، والله سبحانه وتعالى يشغل قلبك بالدنيا إذا تجاوزت عبادته وانشغلت بعبادة هواك، ((اتخذ إلهه هواه))، وأما إذا انشغلت بالله فيمكن أن يكفيك هذه الأمور ويسهل أمرك.

«ثم لا أسد فاقتك»[٢٩٣]، لكن عندما يأتيك فقر، أو تأتيك مصيبة ومشكلة، ما دمت قد تركت الله، فاذهب وحل مشكلتك، «ثم لا أسد فاقتك وأكلك إلى طلبك»، أتركك لعقلك، الإنسان ماذا يطلب، وعقل الإنسان المنغمس بالدنيا والشهوات ماذا يطلب؟، أتركك بهمك مع نفسك، وترى أهل البصائر وأهل الهمم، لهم طموحات وأهداف وغايات نبيلة، وذلك الآخر الذي لا يملك بصيرة طموحه على قدر همته، مثل الأطفال؛ على ضفة بحر أو نهر ويتشاجرون بينهم على الماء، هذا نهر كبير وبحر، فلماذا تتشاجرون على مكان فيه، وهكذا هو مترنح ومشغول بهذه التفاصيل البسيطة والمملة.

بصيرة أصحاب الحسين

أبو الفضل العباس . .نفاذ البصيرة وصلابة الإيمان

هناك روايات أخرى في هذا المجال نتركها لليلة قادمة، وهذه الليلة الشريفة ليلة أبي الفضل العباس. ماذا نقول في أبي الفضل؟، كان عميق البصيرة، مليئا بالوفاء، والنبل، والشيمة، والالتزام بالعهود والمواثيق، وقف لصالح الحق ونصره ولم تأخذه في الله لومة لائم، والإنسان عندما يلاحظ مواقف أبي الفضل العباس، يرى أنها مليئة بالبصيرة.

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة»، لديه بصيرة نافذة، هكذا يقول الإمام الصادق ويشهد له هذا الإمام المعصوم، «نافذ البصيرة صلب الإيمان»،

٢٩٣. الكافي ٢: ٨٣، ح١.

إيمانه صلب لا تزحزحه العواصف، «جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيدا»[٢٩٤]، هنيئا لأبي الفضل هذه الشهادة، من الإمام الصادق سلام الله عليه.

في زيارة أبي الفضل العباس كما يرويها ابن قولويه في كامل الزيارات يقول: «أشهد أنك (الإمام المعصوم يشهد له) لم تهن ولم تنكث وأشهد أنك مضيت على بصيرة من دينك»، الإمام المعصوم يشهد له بالبصيرة، «مقتديا بالصالحين ومتبعا للنبيين»[٢٩٥]، وكذلك يقول زين العابدين علي بن الحسين السجاد صلوات الله وسلامه عليه: «رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى»، يعني نجح في الاختبار، آثر بنفسه وهواه وحياته وحفظ سيد الشهداء، «وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة»[٢٩٦]، هذه شهادة زين العابدين بحق أبي الفضل العباس، وكذلك روي عن أهل البيت سلام الله عليهم قولهم في العباس: «أنه زُقّ العلم زقا»[٢٩٧]، وكيف لا يكون على بصيرة من يكون مشبعا بالعلم، ومن يكون مملوءا بالمعرفة وبالرؤية.

لديه ثلاثة إخوة؛ هم عبد الله وعثمان وجعفر، لم يخرج قبلهم لئلا يقتل ويضعفوا، فقال تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله، ليتأكد من ثباتهم على الحق، وشجعهم ودفعهم إلى ساحة المعركة، وبعد أن سقطوا شهداء، حينذاك سمع صراخ الأطفال والعيال، فجاء إلى الحسين مستأذنا طالبا منه أن يذهب للبراز ويأتي بالماء ليسقي العطاشى أبناء الحسين ونساءه، وحينما برز اشتد به العطش، ووصل إلى الفرات، ونزل من على ظهر جواده، وضع يده في الماء البارد، وقلبه يتقطع من العطش، ولما اغترف من الماء ليشرب، هكذا في الرواية، رفع بيده غرفة من الماء حتى يشرب ويشفي غليله، تذكّر عطش الحسين ومن معه، أبو عبد الله عطشان وأهل البيت، ونساء وأطفال، عطاشى، أيجوز يا أبا الفضل العباس أن تشرب الماء وأبو عبد الله يعيش العطش، دفع الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تا الله ما هذا فعال ديني

، لاحظ البصيرة ولاحظ الرؤية، ولاحظ الوفاء، ولاحظ الإيثار.

٢٩٤. سر السلسلة العلوية: ٨٩. عمدة الطالب: ٣٥٦.
٢٩٥. كامل الزيارات: ٤٤٢.
٢٩٦. بحار الأنوار ٢٢: ٢٧٤.
٢٩٧. العباس لعبدالرزاق المقرم: ١٥٨.

وحينما كان يقاتلهم كان يرتجز ويقول :

لا أرهـب الـموت إذا الـموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا إنـي أنـا الـعـبـاس أغـدو بالسقا
ولا أخاف الشر يوم الملتقى

، هكذا كان يقاتل ببسالة وكان همه إيصال الماء لأطفال الحسين وعياله ، وحينما قُطعت يده اليمنى قال : «

والله إن قطـــعتمُ يميني إنـي أحـامـي أبـدا عـن دينـي
وعـن إمـام صـــادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين[٢٩٨]

، فهكذا كان على بصيرة ، وأصبح بابا من أبواب الحوائج وطريقا إلى الله سبحانه وتعالى ، بعظمته وبوقفته ونصرته وبصيرته ، فهنيئا لأبي الفضل العباس هذه البصيرة ، ورزقنا الله وإياكم هذه البصيرة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٩٨ . بحار الأنوار ٤٥ : ٤٠ ـ ٤١ .

الليلة السابعة من المحرم بتاريخ ٢٠١٣/١١/١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

ما زلنا نعيش في رحاب واقعة الطف الأليمة، والثورة الحسينية بكل ما تحمله من أبعاد عظيمة وجسيمة تركت آثارها ليس في الوسط الإسلامي وحده وإنما على الإنسانية جمعاء، وقلنا إن مدرسة الحسين مليئة بالدروس والعبر، ووقفنا في هذه السنة عند درس من دروس كربلاء، ألا وهو (البصيرة) التي تمتع بها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه

وانتهى بنا المطاف إلى الحديث عن روافد البصيرة والعوامل التي تساعد على تحقيق البصيرة، وبدأنا بالعامل الأول في الليلة الماضية، وقلنا إن الكتب السماوية تمثل رافدا أساسيا للبصيرة، لأنها كتب هداية، فقد أنزلها الله سبحانه وتعالى على الإنسان من أجل أن تريه الطريق وتفتح عينه وبصيرته وإدراكه على حقائق هذا الكون، وتناولنا آيات من الذكر الحكيم في أن القرآن مصدر من مصادر البصيرة، ثم تحدثنا عن التوراة وأنها

مصدر من مصادر البصيرة، وذكرنا أن الكتب السماوية، نعتقد بأنها تعرضت للتحريف، فحينما يتحدث أنها كتب تعطي البصيرة يراد بها تلك الكتب التي نزلت على قلوب الأنبياء، وليس النصوص المتوافرة الآن التي قد يكون البعض منها فيه تحريف وما إلى ذلك، ونحن نؤمن بالكتب السماوية الأخرى بقدر ما جاء في القرآن الكريم من إشارات إلى تلك الكتب وما ورد فيها، والسنة النبوية وسنة أهل البيت حينما يحدثوننا عما ورد في تلك الكتب السماوية.

الزبور: بشارة الوعد الإلهي

اليوم نتحدث عن كتاب سماوي آخر وهو (الزبور)، لاحظوا هذه الآية في القرآن الكريم في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[٢٩٩]، ماذا يراد بالذكر هنا؟: الذكر يراد به التوراة، لأن الذكر جاء في القرآن الكريم بمعنيين؛ المعنى الأول استخدم الذكر وقصد به التوراة، كما في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٠٠]، آتينا موسى التوراة، ويعبر عنه القرآن الكريم ﴿وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ﴾، إذن التوراة ذكر، وجاء التعبير عن القرآن الكريم بالذكر، كما في سورة التكوير: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٣٠١]، فالذكر يمكن أن يكون التوراة ويمكن أن يكون القرآن، ولكن في هذه الآية الشريفة: ﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، يتحدث عن الذكر الذي كان قبل الزبور وهو التوراة وليس القرآن الكريم، لأن القران نزل في وقت متأخر.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، ماذا كتب في الزبور، في هذا الكتاب السماوي؟، ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا﴾، ماذا يعني الميراث بمعناه اللغوي المعروف؟، ان يحصل الإنسان ويكتسب من دون معاملة، فتارة تعمل تاجرا وتبيع وتشتري ولا يسمى ميراثا بل تجارة، لكن أن تحصل على شيء دون مقابل، هنا الوريث حينما يموت المورِّث ـ نسأل الله أن يحفظ أقرباءكم جميعا ـ يرث بمعنى يكتسب شيئا بدون معاملة، ولكن قد لا يكون هذا المقصود في هذه الآية الشريفة، بل حينما ينتصر الصالحون على الظالمين وحينما يتغلب المؤمنون المخلصون على المنحرفين.

---

٢٩٩. سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

٣٠٠. سورة الأنبياء: الآية ٤٨.

٣٠١. سورة التكوير: الآية ٢٧.

لاحظوا قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾، أورثنا المستضعفين المظلومين المضطهدين، هؤلاء أورثناهم، أي حققنا لهم الانتصار، ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [٣٠٢]، جعلنا لهم السطوة والحضور، ولهم القدرة والقوة في مشارق الأرض ومغاربها.

انتصار الصالحين ووراثة الأرض

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا﴾، أي يتغلب عليها ويسيطر عليها ويهيمن عليها ويتصدى لإدارتها وقيادتها، «عبادي الصالحون»، الصالحون هم من سيديرون هذه الأرض، وهذا المخاض العسير والصراع الدائم والمستمر بين الحق والباطل ستكون المحصلة فيه والنتيجة لصالح المؤمنين، لصالح المخلصين، هذا المبدأ القرآني، الإشارة إلى هذه السنة الإلهية، هذا القانون الذي يتحكم بمجرى التأريخ حينما يطمئن الإنسان؛ ما دام على صلاح فالنتيجة لصالحه، إن قُتل في طريق الانتصار للمشروع الرسالي فهو شهيد في سبيل الله وحقق السعادة الأبدية، وإن تحقق النصر في هذه الدنيا فقد كسب الوعد الإلهي وانتصر المشروع بانتصاره، وهذه تعطي قوة وعزيمة وبصيرة، وتعطي رؤية كبيرة للإنسان المؤمن حينما يسير في مشروع، أن هذا المشروع سينتج بكل تأكيد وسينتصر على جميع التقادير.

وهذه هي الوقائع التي وجدناها في الحسين؛ كان يُعتقد أن الحسين سقط صريعا هو وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء وانتهت القضية، ودقوا طبول الفرح والانتصار وأخذوا السبايا إلى الكوفة ومنها إلى الشام، يعتقدون أن القصة انتهت، وبعد أيام من دخولهم إلى الشام ولم يمر إلا ثلاثة أيام ارتد الرأي العام عليهم وانكشفت الحقيقة وتعرت الأمور بتلك الخطب البليغة التي خطبها زين العابدين وزينب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وانقلب السحر على الساحر وظهر الحسين منتصرا في تلك المعركة، لذلك ما دمنا متمسكين بالحق وما دمنا نسير في طريق الحق، وما دمنا نسير في طريق الصلاح، فنحن على ثقة عالية بالوعد الإلهي وبالسنة الإلهية أن النصر سيكون حليفنا لا محالة، وهذه تعطي قوة.

في مقاطع التأريخ الطويلة هناك صراع، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [٣٠٣]،

٣٠٢. سورة الأعراف: الآية ١٣٧.
٣٠٣. سورة البقرة: الآية ٢١٣.

هذا الاختلاف الذي بدأ بين هابيل وقابيل وإلى يومنا الحاضر وسيستمر، سيتوج في نهاياته بظهور المصلح الأكبر إمام زماننا (عجل الله فرجه الشريف)، ليملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت جورا وظلما، إذن على المستوى التكتيكي ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وما دام الإنسان على صلاح فهو منتصر وهذه تعطيه قوة وعزيمة ووضوحا واندفاعا، وعلى المستوى الاستراتيجي أيضا، نهاية المشروع إلى خير وصلاح، ونهايته إلى سيطرة المؤمنين على إدارة شؤون هذه الأرض.

معنى الصلاح

إن قوله تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ بشارة دنيوية، وسبقت هذه الآية آيات تحدثت عن البشارة الآخروية للإنسان الصالح، وهذه الآية تتحدث عن بشارة دنيوية، هنا في الدنيا ينتصر المؤمنون، الصالحون ينتصرون ويتقدمون ويتغلبون على جميع التحديات، لذلك هي بمثابة البشارة في طبيعة الاستحقاق المادي الدنيوي للصالحين، ولكن يأتي الكلام من هو الصالح؟، هل هو الخيّر الذي يمتلك مسبحة؟، أو الذي يصلي صلاة الليل؟.

إن الصلاح في المنطق القرآني يجب أن يكون صلاحا عمليا؛ بمعنى العمل الصالح للمؤمن بسيرته وأدائه وسلوكه، والصلاح النظري والعلمي، يجب أن يحمل مشروعا صحيحا، يجب أن يتحرك ضمن مقاسات ومعايير صحيحة، الصلاح باستنفار الإمكانات المادية المتاحة، لأن العالم عالم مبني على نظام السببية الذي أودعه الله فيه، لا أجلس في بيتي وأقول اللهم ارزقني، فالله لا يرزقني هكذا، بل يجب أن أعمل وأقول اللهم ارزقني، أقعد في بيتي وأرفع يدي وأقول اللهم أسالك الشفاء وأنا مريض، الله لا يشافيني هكذا، اذهب وابحث عن العلاج وأقول اللهم شافني ليجعل الشفاء من خلال العلاج ويجعل العلاج مؤثرات.

وحين نقول اللهم انصرنا على أعدائنا ونحن جالسون في بيوتنا، لا ينصرنا الله، فهذه سُنّة إلهية، لكن تحتاج إلى أن نوظف مقومات الصلاح بكل أبعادها؛ ﴿وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [٣٠٤]، ونوفر الصلاح المعنوي والنظري والصلاح العملي والسلوكي والصلاح في تقديرات الموقف والمشروع، والصلاح في استجماع أدوات النصر وتوفير الأدوات المادية المطلوبة لتحقيق النصر، والصلاح في الاستنفار

٣٠٤. سورة الأنفال: الآية ٦٠.

والجهوزية والتهيؤ للمعارك التي يتعرض لها الإنسان، حضّر هذه المقدمات وامضِ والله سينصرك على كل تقدير. إن النصر حليفنا لأن هذه سنة الحياة، والقانون الذي يَتحكم بمجرى التأريخ، وهذه قضية أساسية.

إذن، الكتب السماوية هي الرافد الأول والعامل الأول الذي يحقق البصيرة ويوضح لنا الطريق، فنرى ونسير على بركة الله ونحقق الكمال لأنفسنا.

العامل الثاني/ آيات الله والظواهر الكونية

ان الإنسان يجب أن يكون له حضور واعٍ في الحياة، فالقول (أذهب بدربي وأعود بدربي)، يعني أني لا أعرف الدنيا؛ ولا أدري أيّن ذهبت وأين جاءت، فما صار لا يخصني، ولا أتابع ما يجري، والمهم أني وأولادي بخير وبيتي محفوظ وعملي جيد، فهذا كل ما يهمني وغيره لا شأن لي به، هل هذا منهج صحيح بالحياة؟.

القرآن الكريم يدين هذه الطريقة الأنانية الشخصية المصلحية الانتهازية في الحياة، وهكذا السنة النبوية: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»[٣٠٥]، أمور الناس وأمور المجتمع وأمور الطبيعة، الإنسان يجب أن يفتح عينه، يلتفت إلى الظواهر؛ ما هذا الشجر؟ ما هذا النبات؟، ما هذا المطر؟، ما هذه الطبيعة؟، عالم البحار وأسرار عالم البحار.

في زماننا الحمد لله هناك قنوات وثائقية تعطيك أفلاما ومعلومات عظيمة عن أسرار هذا الكون؛ ماذا يوجد في الطبيعة وماذا يجري في البحار وعالم الحيوان؟، هذه العوامل التي نعيشها حولنا مليئة بالأسرار والمعارف، وكلما دققنا فيها وجدت فيها مدخلا ووجدت فيها معرفة، ووجدت فيها بصيرة، توصلك إلى الله سبحانه وتعالى.

آية التكيف في الكائنات الحية

في يوم من الأيام كنت ذاهبا مع عدد من العلماء إلى ماليزيا، ذهبنا وبعض الزملاء في السفرة بدعوة من المضيفين في ماليزيا، وقالوا إن هناك متحفا لطيفا جدا، ورغّبونا بزيارته، فقال بعض الزملاء لنر ذلك ما دمنا وصلنا والدعوة من الإخوان من ماليزيا، ركبنا وذهبنا إلى هذا المكان لنرى ما هو، ذهبوا ليدفعوا الفاتورة واطلعنا على السعر فإذا به رقم كبير وليس بسيطا بعملتهم، فقالوا من المعيب أن نعود بعد أن أتينا والناس دعونا، وعلى كل حال دخلنا أول قاعة، فرأينا مجموعة من العينات عن خضار معين،

٣٠٥. الكافي ٢: ١٦٢، ح١.

تصفحناه وقلنا هذا ما جلبناه إلى أنفسنا، فهذا نراه في الشارع، فما قيمته وخرجنا منزعجين من القاعة، فرآنا مسؤول القاعة غير مرتاحين فسأل عن السبب، وحين عرف أن سبب انزعاجنا هو أننا دفعنا نقودا لنرى خضارا وغصن شجرة، فما قيمة الغصن ونحن نراه بالشارع في كل مكان، وماليزيا كما تعرفون من البلدان الخضراء وطبيعتها خضراء جميلة، قال إذن أنتم لم تروا، قلنا رأينا، قال لا لم تروا، تعالوا لأريكم، قلنا إن هذا (بطران) يريد أن يأخذ وقتنا، فرجانا أن نعود وعلى مضض وحياء من هذا الرجل رجعنا.

جاء بنا إلى أول محطة، وهي صندوق زجاجي، وقال ما ترون؟، قلنا نرى غصنا، قال انظروا بتدقيق، هذا غصن وحشرة بلون الغصن وبشكل الغصن، انظروا إلى هذه التي تتحرك، نظرنا إلى حشرة بلون الغصن وحتى بهيئة الغصن، ما هذه الحشرة الغريبة؟، جئنا للثاني ورأينا غصنا آخر وحشرة بلون ذلك الغصن وبهيئة ذلك الغصن، فإذا بكل صندوق زجاجي، أنواع غريبة من الحشرات، ما هذه الحشرات؟، ما هذه الأنواع؟، وقفنا وقلنا سبحان الله، مثلها تساوي دفع المبلغ، لنرى هكذا عجائب في الكون والخلق، سبحان الله.

مئات الآلاف من الحشرات، كل حشرة لها شكلها وحياتها الخاصة وتركيبتها الفسيولوجية ولها أهداف وأدوار مشخصة بهذه الحياة، ونحن لا نعرفها، وعلماء الطبيعة والأحياء وعلماء البحار يبحثون منذ مئات السنين، وأعتقد أنهم لم يكتشفوا واحدا بالألف من حقائق هذه الدنيا وهذه الأسرار، وكلما تعمق الإنسان اكتشف أشياء جديدة، وهذه الغشاوة التي جعلها الله سقفا لهذا الكون، هذا الجو كما نعبر عنه، وعندما تعبر الجو تصبح في عالم آخر، فهنا جاذبية وحين تعبر هذه الغشاوة، لا توجد جاذبية، وهنا أوكسجين تتنفسه وهناك لا يوجد أوكسجين، وهنا مستوى من الحرارة يمكنك من أن تعيش أنت وغيرك من الكائنات، وعندما تعبر لا تستطيع، ونسبة الحرارة إذا كانت بدرجة أكثر او أقل لانقلبت الدنيا عن بكرة أبيها، وهذا ما نطلق عليه بالنظام الأحسن؛ فكل شيء يسير ضمن أهدافه الخاصة ويحقق نتائج، هذه ما يعبر عنها قرآنيا(سير الآفاق، وسير الأنفس).

آيات الآفاق والأنفس

لدينا سير الآفاق؛ أن تتحرك بهذه المعمورة والكون وتنظر إلى الحقائق وتزداد بصيرة، وتزداد عمقا ورؤية، وسير الأنفس تدخل في وجودك ونفسك، هذه النفس العجيبة والغريبة الأطوار أيضا تمثل شيئا كبيرا.

قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، الأرض فيها آيات لأهل اليقين، لمن يكون بمستوى اليقين، من كانت له بصيرة، لهؤلاء آيات في الأرض.. تلفت يمينا وشمالا ستجد ما يبرهن على وجود الله ويدلك على الله وما يأخذ بيدك إلى الكمال في كل شيء وفي كل الظواهر الكونية، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾[٣٠٦]، وفي نفسك أيضا، نفسك في بعدها المادي ونفسك في بعدها المعنوي ووجودك؛ الأذن والسمع والكلى والكبد.... إلى آخرها، أي واحد من هذه الأعضاء عند تعطله يُركب جهاز ليعوض عن هذه الآلة في البدن، العضو البسيط والصغير، والجهاز الذي يعوض عن القلب حجمه بحجم نصف الغرفة، والجهاز الذي يعوض عن الكلى نصف غرفة، وهذا حجمه أضعاف حجم الإنسان، ولكن ما حجم الكلى في بدن الإنسان؟، وهذا الجهاز على سعته ومع كل التطور التكنولوجي والبشري لا يستطيع أن يحقق كل ما يحققه الجهاز والعضو البشري الطبيعي؛ القلب والكبد، وجميع هذه الأجزاء في البدن، وهو شيء معجز، وهذا التعقيد في عملية الإبصار بالعين، والتعقيد في عملية السمع بالأذن وهذا اللسان...، وفي كل خلية من خلايا هذا البدن هناك أسرار وعجائب، حتى قال الكثير من الشعراء أشعارا في ذلك ومنها:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
أنت حيّرت ذوي اللب وبلبلت العقولا
كلما قدمت فكري فيك شبراً فرّ ميلا
ناكصاً يخبط في عم ياء لا يُهدى السبيلا[٣٠٧]

الفكر يعجز ويكل عن إدراك البدن والوجود والإنسان، والعقول تحيرت في فهم هذا الإنسان في أبعاده المادية وقدراته وفي همه وفي عزيمته، اذهب وافتح موسوعة غينس، الأول في العالم من البشر في كل المجالات خيرها وشرها صالحها وطالحها، سلوك العقلاء وسلوك المجانين، كل شيء بالدنيا، افتح موسوعة غينس وانظر كم من قدرات في هذا الإنسان؛ ذاك صعد إلى أعالي الجبال وذاك كذا، وهذا الإنسان الصغير في جرمه وحجمه انظر إلى قدراته التي أودعها الله فيه، (كلما قدمت فكري فيك شبرا فر ميلا)، أتقدم شبرا فتنفتح آفاق جديدة، وأجد نفسي بعيدا عن اكتشاف أسرار الإنسان

٣٠٦. سورة الذاريات: الآية ٢٠ ـ ٢١.
٣٠٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٥١.

بقدر ميل، وكلما اقتربت أكثر وجدت القضية أعمق وأوسع من أن أدركها، (ناكصا يخبط في عمياء لا يهدى سبيلا)، مهما يعمل فلا يستطيع أن يدرك عمق الإنسان.

معرفة النفس معرفة للرب

إن التدبر في آيات الله والنظر إلى الظواهر والآيات والوقوف عندها تمنح الإنسان بصيرة وعزيمة، لذلك نجد مقولة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في سفينة البحار: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٣٠٨]، دقق بنفسك وتأمل إمكاناتك وقدراتك ونعم الله عليك، ستعرف ربك، ومن عرف الكون عرف ربه، ومن عرف الشجر عرف ربه، ومن عرف البحار عرف ربه، ومن عرف هذه الظواهر الكونية عرف ربه؛ لأنها تمنحه البصيرة، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[٣٠٩]، هل استطعتم أن تحصلوا على البصيرة وتفتحوا عين القلب لتدركوا كل هذه الحقائق وتتمسكوا بها وتكونوا على قدر المسؤولية؟، هذا التدبر يوصلك إلى ذلك، حينما تتدبر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذه الظواهر الكونية، بمعنى أن التدبر في آيات الله يعطيك المعطيات، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، التدبر في هذه الظواهر الكونية يجعلكم من أهل اليقين.

وفي سورة يونس يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٣١٠]، هنا التدبر يعطيك السمع والوعي والإدراك الحقيقي، وفي سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣١١]، حين تنظر وتفكر وتقف عند هذه الظواهر وتصبح من أصحاب الفكر والتدبر.

التدبر في سنن التأريخ

في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، أيام الله اُعتبرت من آيات الله، اعتبرت محطة نستذكر فيها عمق هذا الكون وأهمية معطياته والقوانين التي تتحكم به، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

٣٠٨. بحار الأنوار ٢: ٣٢، ح٢٢.
٣٠٩. الذاريات: ٢٠ـ٢١.
٣١٠. سورة يونس: الآية ٦٧.
٣١١. سورة الرعد: الآية ٣.

شَكُورٍ﴾[٣١٢]، الصبر والشكر، ولا يقول صبور ولا يقول صابر، بل يقول صبار.

التدبر في آيات الله يمنحك المزيد من الصبر، عندما ترى أحوال الأمم السابقة وترى أيام الله، وعندما ترى الانتقال من الظلمات إلى النور وما جرى على الأقوام السابقة، لا تخيفنا أربع مفخخات والإرهاب لا يعوقنا والمشاكل لا تعجزنا أبدا، كم من هذه المشاكل جاءت، ماذا يريد هؤلاء الإرهابيون أن يصبحوا؟، مثل الفراعنة؟.. عندما نقرأ التأريخ نجد أمورا مرت وأمما أُبيدت عن بكرة أبيها من قبل طواغيت وفراعنة في زمانهم، والحياة استمرت والبشرية مضت في طريقها وتطورت، واليوم داعش وغيره، هل يؤثرون فينا؟، لا والله، والحمد لله الذي زادنا فيهم بصيرة؛ يقفون ويقولون: «يزيد قائدنا والحسين عدونا»، لعنة الله عليكم.. الحسين عدوكم؟، ريحانة رسول الله عدوكم؟، «أحب الله من أحب حسينا»، ولكن هذه نعمة أن يتعروا وينكشفوا حتى يتنصل عنهم الجميع، واليوم التيار الإسلامي السلفي كله يتبرأ منهم ليس بالسر بل يصدر بيانات يتبرأ فيها منهم، وهؤلاء سلفيون والتيار السلفي أصبح متهما لذلك تبرؤوا منهم، وتتكشّف الحقائق، وهذا نصر ما بعده نصر، ليُعرف الحق من الباطل وتتكشف الحقائق وتُعرف مظلومية هذا الشعب الذي يتعرض إلى الحملات الإرهابية منذ عشر سنوات.

هل تتصورون أن تضيع هذه الدماء سدى عند الله، النساء والأطفال المظلومون الذين تتقطع أشلاؤهم هل نُسوا وضاعوا؟، حاشا لله أن يكون ذلك، انظروا يا شباب، انظروا واسمعوا واصبروا لتروا النتائج قريبا بأعينكم وليس الأجيال القادمة، وسترون ما يجري عليهم والنصر لكم والعزة لكم؛ «فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين[٣١٣]»، ولا تأخذنا في الله لومة لائم، أيخيفوننا؟، لا والله، فشهداؤنا في الجنان ونحن سنزداد رفعة وشأنا وستتضح الأمور.

الحسين شوشوا على قضيته والناس استقبلوه في الشارع كما يستقبلون الخوارج، وفي ثلاثة أيام صاروا أصحاب حق، ويزيد صار في ساحة الاتهام، ويمكن أن يُشوش على الشعب العراقي وتقال أشياء، ولكن «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض[٣١٤]»، ستبقى الحقيقة الناصعة وستتضح الأمور وستتبين وستتكشف كل الحقائق في القريب العاجل بإذن الله.

---

٣١٢. سورة إبراهيم: الآية ٥.
٣١٣. سورة المنافقون: الآية٨
٣١٤. سورة الرعد: الآية١٧

التدبر في صنع الله

في سورة النحل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ﴾، هذا الطير آية من آيات الله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣١٥]، النظر في آيات الله يعطيك الإيمان.

في سورة طه: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾، الأنعام والدواب آية من آيات الله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾[٣١٦]، أصحاب العقول، ومن يملك العقل ينظر إلى الآيات ويتدبر بها ومن ينظر إليها يوسع عقله.

في سورة الحجر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٣١٧]، المتوسم: نسميه اليوم في مصطلحاتنا الدارجة (الموهوب)، فهم أكثر من الأذكياء والمتميزين، فالمتوسمون هم الموهوبون، هؤلاء الذين عرفوا من أين تؤكل الكتف، ومن لاحظ الأقوام السابقة وكيف أن من كانت لديه العزة والقوة والإمبراطوريات والمنعة والفراعنة ذهبوا برمشة عين، وتفجرت الأوضاع وتغيرت الأمور.

في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾، اختلاف الألوان من أبيض وأسود وكذلك الألسنة كلها من آيات الله، كلها آيات رب العزة، الليل والنهار آية من آيات الله، لو نظر الإنسان في الليل وخصائصه والفصول، كلها آيات عظيمة من آيات الله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[٣١٨]، تعطي العلم، فترون اليقين والعلم والفطنة والفكر والصبر والشكر، كل شيء من خلال سير الآفاق والأنفس، من خلال النظر في آيات الله سبحانه وتعالى.

بصيرة المدرسة الحسينية

حينما نقف عند واقعة الطف نجد هذه الرؤية العميقة والصبر والوضوح، ونجد هذه البصيرة في كل كلمة وفي كل قول وفي كل فعل صدر من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه.

---

٣١٥. سورة النحل: الآية ٧٩.
٣١٦. سورة طه: الآية ٥٤.
٣١٧. سورة الحجر: الآية ٧٤-٧٥.
٣١٨. سورة الروم: الآية ٢٢.

القاسم بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ

القاسم بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو صاحب هذه الليلة الشريفة، فتى في الحادية عشرة من عمره وفي مقتبل شبابه، ولكنه كان على بصيرة من أمره، وأبوه الإمام الحسن المجتبى(صلوات الله وسلامه عليه) أوصى لولده وسلمه مكتوبا مغلقا، وقال فيه: إذا رأيت عمك الحسين مهموما مغموما فافتح كتابي هذا، وعندما صارت واقعة الطف ورأى هم الحسين وغمه فتح المكتوب ووجد فيه أن الحسن المجتبى يأمره أن يسير في ركاب الحسين ويقاتل دون الحسين ويضحي من أجل الحسين عليه السلام، وقد عمل بوصية أبيه، ويخبرنا أرباب السير والمقاتل أنه حينما قُتل الأصحاب وجاء الدور إلى أهل البيت، وكان أحدهم القاسم بن الحسن وهو فتى صغير، تقدم بين يدي أبي عبد الله؛ سيدي يا أبا عبد الله، ائذن لي بالخروج والبراز، أريد أن أقاتل هؤلاء القوم وانتصر لك وآخذ بوصية أبي وأقف مع الحق.

انظر إلى رؤية هذا الفتى الهاشمي العلوي وهو في الحادية عشرة من عمره، والحسين استكثر ذلك، فأبوه الحسن المجتبى شهيد، والآن هو يقتل في المعركة، فلم يسمح له بذلك ووقع على يد أبي عبد الله ورجله يبكي ويطلب منه أن يسمح له حتى أذن له الحسين، لكن الحسين سأله سؤالا كما في بعض الروايات، قال: «يا قاسم كيف ترى الموت؟»، أنت ذاهب للموت فكيف تراه؟، قال: «أراه أحلى من العسل»[٣١٩]، هذه الكلمة المعروفة «أحلى من العسل»، منسوبة للقاسم بن الحسن.

بصيرة الشباب

انظر إلى البصيرة، فتى شاب عمره إحدى عشرة سنة والدنيا أمامه كما يقال، وأي شاب في هذا العمر قل له ما تريد؟، وسيقول أريد أن أدرس وأتزوج وأتعلم وأكون إنسانا ناجحا في الحياة، وهذا يقول طبيب وذاك مهندس، ولكن القاسم بن الحسن وهو في الحادية عشرة من عمره يرى الموت أحلى من العسل، انظروا إلى البصيرة، وحين انقطع شسع نعله بعد أن برز إلى القوم، وسقط من رجله، أنف ابن النبي الأعظم أن يحتفي في الميدان؛ أنا ابن رسول الله أيجوز أن أسير حافيا؟، لا يليق هذا، انظروا الآداب ومراعاة المظهر وطريقة الأداء والملبس، وكل منا يجب أن ينظر إلى نفسه، إخواني انظروا إلى ملبسكم ولون الثوب الذي تختارون وتصاميم الثوب الذي تلبسون،

٣١٩. الهداية الكبرى: ٢٠٤.

يا شباب يا أحبتي، من يحمل الاسم العظيم؛ الانتماء لرسول الله ولأهل بيته الكرام، والانتماء للمرجعية الدينية، الانتماء للخط الرسالي، فحتى لون القميص غير مسموح له باختياره كما يشاء، عليه أن يعرف قيمته ويختار الملبس المناسب والمظهر المناسب، وقصة الشعر واللحية والتفاصيل الدقيقة الأخرى، إلى القضايا العامة، يجب أن يكون كل شيء بحساب.

وأخواتي، وهن في مجلس سيد الشهداء، علينا أن نعرف جيدا المظهر، وعزها في عفتها، والحجاب من الرأس إلى الرجل، وهناك تساهل في مجتمعاتنا النسوية في ما يخص الجورب؛ البعض يلبسن ألوانا غير مناسبة، والبعض يلبسن بطريقة تكشف ما تحتها، هذه التفاصيل يجب أن تراعى، لنكون بأدب الحسين وأصحاب الحسين وبمستوى وقدر المسؤولية.

القاسم أنف في تلك الساحة وفي المعركة أن يمضي وهو حافي القدمين، فنزل من على ظهر جواده ليشد شسع نعله غير مكترث بالجمع وبالألوف، وأنا أحلل هذه القضية تحليلا نفسيا، فأمامه ثلاثون ألفا وقبله الأصحاب وبعض أهل البيت سقطوا قتلى مضرجين بدمائهم، يراهم بعينيه وليس هناك قضية لا يعرف بها، وحاشا للقاسم أن يكون غير مطلع، ومع علمه الكامل أنه مقبل على الشهادة وينظر بعينه إلى عشرات الألوف مصطفين لقتاله، عمره إحدى عشرة سنة وغير مكترث بالجمع وغير مبال بالجيوش، لديه ثقة واطمئنان واستقرار نفسي وبصيرة، ويملك وضوح الرؤية في الحق والطمأنينة، ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣٢٠]، فسلام على القاسم بن الحسن وسلام على أصحاب الحسين وأهل بيته، وسلام على أبي عبد الله الحسين، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٢٠. سورة الرعد: الآية ٢٨.

الليلة الثامنة بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

البصيرة مفتاح كل نجاح

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

ذكرنا في الليالي الماضية أن الحسين مدرسة العطاء، والمشروع الحسيني أطروحة إلهية، جسدت المشروع السماوي والرسالي على الأرض، فكلها دروس وعبر، الحسين عِبرة وعَبرة، ودمعة وتعاطف وجداني مع تلك الظلامات، وقلنا إن واحدة من المحطات والدروس من واقعة الطف هي سمة تجسدت فيهم بوضوح، وشهد لهم بها الأعداء قبل الأصدقاء، ألا وهي البصيرة، فهم أهل البصائر؛ الحسين وأهل بيته وأصحابه كانوا من أهل البصائر، ووصلنا إلى العامل الثاني من عوامل البصيرة وهو آيات الله؛ سير الآفاق وسير الأنفس، حينما يتحرك الإنسان وينظر إلى ما يحيطه من حقائق كونية وينظر إلى الهواء والسماء والى الشمس وإلى الأرض والبحار والحيوان والنبات والشجر، وحينما ينظر الإنسان إلى نفسه ويتعمق في وجوده على مستوى أعضاء بدنه

وعلى مستوى القدرات الهائلة التي أودعها الله سبحانه فيه، عندما يراجعها الإنسان في كل خطوة وفي كل حقيقة وفي كل كائن وفي كل ظاهرة من ظواهر هذا الوجود، فهي آيات وآيات لعظمة الله تمنح الإنسان البصيرة فيصبح قادرا على أن ينظر ويحلل وأن يصل إلى ربه وأن يتكامل في وجوده.

آيات الله في الآفاق والأنفس

لاحظوا هذه الآية من سورة الذاريات: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[٣٢١]، من يصل إلى مقام اليقين والمستوى العالي من الوضوح حينئذ ينظر إلى آيات الله في الأرض وما فيها من آيات عظيمة، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾[٣٢٢]، انظر إلى نفسك وجوارحك؛ إلى عينك وأذنك وقلبك والى جميع أعضائك وجوارحك والى مواقفك وقدراتك، وقلنا افتح موقع (غينس) وانظر إلى همة الإنسان وطاقة هذا الموجود الصغير، الكائن البشري الذي يمشي على رجلين، هكذا يستطيع أن يحقق وأن يصل في البعد المادي، وفي البعد المعنوي: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٣٢٣]، يصل الإنسان إلى هذا المستوى من الكمال ويكون أقرب ما يكون إلى الله سبحانه وتعالى حيث يعجز المقربون من الملائكة عن الوصول إلى هذا الموقع، وهذه الآفاق والمجالات والفرص مفتوحة لكن لا تستطيع أن تتجاوز كل هذه المحطات إلا بالبصيرة، ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾، هذه الآيات تعطيك البصيرة والرؤية وترى عظمة الله سبحانه وتعالى، الذي أبدع النظام الأحسن وجعل كل هذه الكائنات تتفاعل بعضها مع بعض.

آية الرزق

أي حشرة وحيوان ونبات، بما فيها النباتات السامة والضارة، أي نوع إذا غاب عن الكون فسيترك آثارا سلبية، حتى النبات السام والحيوان الذي قد نراه مضرا، فيه فوائد عظيمة في ظل النظام الأحسن والتوازن الكوني المطلوب وتوزيع الأدوار الدقيقة، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٣٢٤]، الرزق من الآيات الإلهية التي تمنحنا البصيرة، ﴿وَفِي

٣٢١. سورة الذاريات: الآية ٢٠.
٣٢٢. سورة الذاريات: الآية ٢١.
٣٢٣. سورة النجم: الآية ٨ ـ ٩.
٣٢٤. سورة الذاريات: الآية ٢٢.

السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ لا تظن أن الرزق بجهدك وشطارتك، كلا، بل بيد الله سبحانه وتعالى؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٣٢٥]، هو القادر لكنه يقول اطلب الرزق ولا تجلس في بيتك منتظرا أن يأتيك الرزق، الله هو الرزاق لكن يجب أن تسلك المسالك المادية والطبيعية لتحقيق الرزق، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، قسم غليظ؛ يقسم بالسماوات والأرض، ﴿إِنَّهُ (الرزق) لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [٣٢٦]، أتشك بنطقك؟ هذه السمة التي تميز الإنسان عن غيره، فكما لا تشك بنطقك كذلك لا تشك برزقك، فالله هو الرزاق، يسد بابا ويفتح لك أبوابا.

(رئيس شركة مايكروسوفت)، وهي من الشركات العالمية العملاقة رأسمالها مليارات الدولارات، قرأت أنه في حياته كان يعمل موظف برمجة في شركة وكان مخلصا، لكن الشركة التي يعمل فيها انهارت، يقول إنه عمل ليل نهار حتى استطاع أن يُوجِد نقلة في الشركة وانطلقت، وعندما انطلقت وجاءت الأرباح وزاد رأسمال الشركة، خاف رئيس الشركة منه أو هناك شيء آخر، لا نعلم، طرده من العمل وقال استغنينا عن خدماتك، وأُصيب بنكسة وصدمة، كيف عملت كل ذلك العطاء والعمل الجاد وتعاملت بإخلاص من أجل إنقاذ الشركة ثم تتخلون عني بعد سنين من خدمة هذه الشركة؟، وخرج محبطا وحزينا، لكنه فكر أن يفتح شركة وفي غضون سنوات من العمل حصل على مليارات وأصبحت شركته من كبريات شركات العالم، وكان يقول عندما كنت عائدا إلى البيت بعد فصلي من العمل، لو سألوني من هو أبغض شخص في العالم سأقول رئيس الشركة، ولكن اليوم أكثر إنسان أحبه هو رئيس الشركة، وذهبت وحاولت أن أصل إليه لأراه لأنه خدمني، كنت أتقاضى بضعة عشرات من الدولارات وكنت موظفا أعيش على الراتب، وصرت الآن من أصحاب المليارات.

الله هو من يعطي الرزق، ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾، الرزق بيد الله، يجب أن نؤمن بذلك ونعتمد الأسباب الطبيعية ونطلب الرزق ونكافح، ولكن يجب أن نعلم بأن الله هو الرازق وليس شطارتنا وجهودنا، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الرزق لا يجره حرص الحريص»، ليس بحرصك والتخبط والمكر والخداع والسرقة، وبهذه الأشياء تعتقد أنك تكسب، وربحت مليون دولار سرقة من أموال الشعب، وفجأة أُصيب ابنك بالسرطان أجاركم الله وامرأتك أصيبت بكذا وغير ذلك، وتعطي كل المليون ويوم

٣٢٥. سورة الذاريات: الآية ٥٨.
٣٢٦. سورة الذاريات: الآية ٢٣.

القيامة أنت مسؤول عنها ولم تستثمرها ووضعتها للعلاج، وإذا وضعت كوابح تحجزك عن المال الحرام، فيمكن أن يجنبك الله كل هذه الأمراض، صحيح أن المليون لم تأت لكن الصحة والعافية والتوفيق والسلامة ستأتي كلها.

على قدر البلاء تأتي المعونة

لا تعتقدوا أن المال الحرام يسعد إنسانا أبدا، خذوها حقيقة من الحقائق الكونية، «إن الرزق لا يجره حرص حريص»، لا يأتي الرزق بالحرص، «ولا يصرفه كره كاره»[٣٢٧]، لا تخف من يريد النيل منك لأن الرزق ليس بيده، فقد تخرجني من المعمل والدائرة وتظلمني بقضية ولعلك بذلك تفتح لي أبوابا، فلا تتوقع أن الأمر بكره كاره وحرص حريص، فيصير لديك إيمان بالله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى جعل آثارا وضعية لأفعال الإنسان تزيد من الرزق أو تنقص؛ لاحظوا قول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والذي بعث جدي بالحق نبيا إن الله تبارك وتعالى يرزق العبد على مقدار المروءة»، كم لديك من المروءة فالله يعطيك الرزق على قدر إنسانيتك وقدر التزامك بمنظومتك الأخلاقية ومعاييرك الإنسانية الصحيحة، «وأن المعونة تنزل على قدر شدة البلاء»[٣٢٨]، كلما زاد البلاء زاد الصبر وزادت العناية الإلهية والتوفيق والثبات، هذا حال الإنسان كالمسمار كلما طرقت عليه أكثر اشتد تصلبا في الجدار، البعض يعتقد أن المفخخات ستجعلنا ننهار، لكنهم يحسنون إلينا؛ فالوضوح وحقانية المنهج والتماسك والاندفاع، هذه ما كانت لتكون لولا تلك التحديات.

في ذروة الأزمة الطائفية عام ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ وقطع الرؤوس في مثلث الموت تشرفت بزيارة أحد المراجع العظام، قلت مولانا أشكو مظلومية الشعب إليكم، فالناس تُذبح على الهوية، ما هو حال هؤلاء الناس؟، فقال: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[٣٢٩]، هذا تمسك الناس بالدين وبالشعائر لو لم تكن ضغوط وتأثيرات حزب البعث فلا نعلم أين نحن ذاهبون وأين تصير الأمور، النعمة والترف لهما عوامل وثمن وعوارض وليس بلا استحقاقات، هذا ليس معناه أننا لا نريد النعمة بل يجب أن نهيئ أنفسنا ونبني انفسنا ونبني البلد بناء صحيحا لنحقق لأهله الخدمة الصحيحة ويعيشوا الرفاه، لكن يجب أن نبني أنفسنا أولا، وبناء الأنفس كبناء البلدان وهذه قضية

٣٢٧. بحار الأنوار ٧٤: ٦١، ح٤.
٣٢٨. وسائل الشيعة ١١: ٤٣٣، ب٤٩ من أبواب المواقيت، ح١.
٣٢٩. سورة النساء: الآية ١٩.

أساسية، على قدر شدة البلاء تأتي المعونة من الله، فإن شعوبا قد تكون كثافتها السكانية مئات الملايين، لكنها ستصاب بالرعب من تفجير واحد وحكومات تسقط، وشعب مثل الشعب العراقي في زمن الدكتاتورية والإرهاب على مدى عشر سنوات، لكنه صامد وثابت ومستقيم ومعتز بمشروعه وبوطنيته ومعتز بهويته وبقيمه ومعتز بدينه.

أتعلمون ما هي النعمة؟، نحن نعيش فيها ولا نراها، والذي يعيش خارجها ينظر إليها وينظر إلى الشعب العراقي نظرة انبهار وإعجاب ودهشة؛ ما هذا الشعب، وكيف يتحمل المعاناة والآلام؟، يتعب نعم، لكن التعب فيه نتاج وآثار وثمار؛ يُبنى شعب يمهد لظهور سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان المصلح الأكبر.

الآثار الوضعية للأفعال

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كف الأذى وقلة الصخب يزيدان في الرزق»[٣٣٠]، لا تؤذِ الناس ولا تؤذِ أهلك ولا تؤذِ الآخرين، وسيزداد رزقك، ما العلاقة؟. بالتفسير المادي ليس هناك علاقة، لكن في هذا العالم الذي تترابط فيه الحقائق الكونية هناك تفسير واضح، فكلما كنت رجل سلام ورجل محبة وخدمة، تنفتح على الآخرين وتساعدهم... يا شباب يا أحبة، خذوا هذا درسا؛ النخوة والشيمة ومساعدة الناس والوقوف مع الآخرين في قضاياهم ومشاكلهم، هذه تزيد في الرزق.

«وقلة الصخب»، هذه ظاهرة يعاني منها مجتمعنا في العراق ودول الشرق الأوسط، وقد تكون في مجتمعات أخرى أيضا؛ الصخب والصوت المرتفع، حتى لو كان الأذان بطريقة تؤذي الناس، وهناك أناس مرضى، وكذلك القرآن وذكر الحسين، ووضع سماعات تزعج الناس، وهناك مرضى ومن لديهم مشكلة، ونحن المتدينين نحترم الأرض كثيرا؛ فهذا غصب وحرام وصلاتنا فيه باطلة، ونعتبر الهواء ملكنا، في كل الأجواء، والبعض يضع موسيقى بأعلى صوت، وهو في الشارع والشارع كله مشغول، ألا تعتقد أن البعض تؤذيه ولا يعجبه سماعها؟، ضع مؤشر الصوت على قدر ما تسمع، وأنت تعرف تكليفك وهذا شأنك، وأنت تتحمل تبعاتها، لكن بمقدار لا تزيد عليه ولا تؤذِ الآخرين بالصخب والصوت العالي، والهواء والفضاء ليسا ملكنا وحدنا، بل ملك الجميع والفضاء الذي نشترك به مع الآخرين ملك الجميع ولا يجوز التجاوز، فقلة

٣٣٠. التوحيد: ٤٦٠، ح٢٨.

الصخب تزيد في الرزق، هذا هو الأمن البيئي والاستقرار، والإسلام دقيق بهذه الأمور وفي هذه التفاصيل.

التفكر في خلق الكون

الآية الآخرى في سورة ق: «أفلم ينظروا»، ليس نظر العين بل البصيرة؛ افتح عينك واقرأ ما بين السطور وحلل ما وراء الحدث، دقق في الظواهر؛ إذا جاءتك معلومة في صحيفة أو تلفزيون أو على شبكات التواصل الاجتماعي، فهل نسمع ونأخذ بكل شيء، وننشره بدون معرفة دقته؟، قد نسيء به إلى إنسان ونعتدي على حرية أحد ونهتك حرمة لا قدر الله، هذه تحتاج إلى بصيرة ودقة لمعرفة حقيقة المعلومة، وما دامت البصيرة مفقودة في مجتمعنا بالمستوى الذي نتمناه، فسيظل خاضعا لموجة تأتي به وموجة تذهب به.

المصدر المطلع وغيره، أليس له اسم؟، والناس تتلقفه، وصاحب الموضوع المسكين يحلف ولا أحد يسمع له، فالكلام غير الجيد كل الناس تأخذ به، والتوضيح لا أحد يأخذ به، والمجتمع يظل بحالة من التخبط والناس تهتز ولا تعرف أين الحق والباطل، وأين الصدق والكذب.. لا نعلم لأنه لا توجد بصيرة.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾، لا يكفي رفع رأسك لترى إن كان هناك مطر، بل انظر إلى السماء والعظمة الإلهية، والآية العظيمة من آيات الله، انظر كيف بناها فوق رأسك، إن بيتا صغيرا لا يقف سقفه بدون أعمدة، وهذه السماء بدون أعمدة، فكيف وقفت وكيف بناها الله؟، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾، بالنهار الضياء والنور والشمس وبالليل النجوم والقمر، والإنسان حين ينام على السطح يسرح بعينه في السماء ويأخذه فكره إلى السماء العظيمة، انظر إلى الجمال والزينة التي زين الله سبحانه وتعالى بها السماء، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٣٣١]، ليس بها شقوق، وسقف البيت إذا دخل إليه المطر ستصبح به مئة ثغرة وهذه السماء متوازنة وقوية ومنيعة، حافظة لنا كما في سورة الأنبياء؛ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[٣٣٢]، حافظة للحياة في الدنيا بهذا القشر الذي يُعبّر عنه بالسماء مجازا، وهذه السماء، ألا تراها؟، افتح عينك وانظر للسماء.

٣٣١. سورة ق: الآية ٦.
٣٣٢. سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، كيف بسطناها، تجوب فيها من مكان لآخر، هنا صحراء وهنا وديان وهناك جبال وغابات وأنهار وهنا عيون، وهذه الأرض كلها آيات الله، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾، جبالا راسيات، ثابتة راسخة، الجبال أعمدة في الأرض، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ أخرجنا النبات، ﴿كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٣٣٣]، يوم نزل القرآن لم تكن الناس تعرف بذلك، وبعد مئات السنين من نزول القرآن، عرفنا أنه كما في الإنسان والحيوان هناك زوجية؛ ذكر وأنثى، فالنبات أيضا فيه زوجية، ذكر وأنثى، حتى يحدث التلاقح، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، البهجة والنباتات التي تروق للإنسان ويستفيد منها، والسماء والأرض والجبال، كل هذه الأمور، ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٣٣٤]، كل هذه جعلناها تبصرة، حتى تعطيكم البصيرة، فافتحوا أعينكم وانظروا حتى تصلوا إلى البصيرة، وكلما ازددتم بصيرة اقتربتم من الله سبحانه.

التفكر يقود إلى الإيمان

هناك من لا يملك عقيدة ودينا، وكلما رأى النسق العظيم في الكائنات الحية والظواهر الكونية ازداد انبهارا حتى يصل إلى الإيمان بالله سبحانه، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾، المطر آية أخرى، كيف ننزل هذه الآية المباركة، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾، بساتين كلها تنمو بالمطر والمياه، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[٣٣٥]، وحب الزرع الذي يحصد، وهذه العملية للنمو الزراعي تحصل من خلال ماء المطر، وهذه آية من آيات الله، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، انظروا إلى النخل، ورسول الله يقول: (أوصيكم بعمتكم النخلة خيرا)[٣٣٦]، هل وضعت عينك عليها وفكرت بها ورأيتها من نعم الله؟، العراق كان بلد النخيل، وإن شاء الله يرجع، ومع كل المعاناة هناك عدد كبير من النخيل. النخلة تستهوي الإنسان في تركيبتها وخصوصياتها، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾، طويلة، ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾، الثمرة في بداياتها في النخلة طلع، ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾[٣٣٧]، متراكم، وتعرفون أن الطلع في عذق النخل متداخل بشكل كبير.

هذه العظمة، وهذه الآيات من أرض وسماء ومطر ونبات ونخيل كلها، ﴿رِزْقاً

٣٣٣. سورة ق: الآية ٧.
٣٣٤. سورة ق: الآية ٨.
٣٣٥. سورة ق: الآية ٩.
٣٣٦. بحار الأنوار ٦٣: ١٢٩، ح٣.
٣٣٧. سورة ق: الآية ١٠.

لِلْعِبَادِ﴾، يعني الزرع، كل هذه رزق لك، حتى توفر لك ما تحتاج إليه، وهذه آيات من الله لرزقك، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾، أرض خراب جرداء وصحراء يابسة، يأتي ماء المطر ويحييها، وتتحول إلى أرض طيبة وخضار وثمر، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[٣٣٨]، كما إن الأرض الميتة نحييها بالمطر، كذلك الخروج عندما يموت الإنسان ولحظة النشور، نحييه من جديد بعد موته كما نحيي الأرض، لا تقل كيف؟، ألم تكن الأرض ميتة فأحياها بالماء؟، فكذلك الأموات يحييهم الله، وهكذا يُخرجون من الأجداث إلى يوم القيامة، هذه أيضا آية من آيات الله، وهذا عامل آخر من عوامل البصيرة، ومن روافد البصيرة والنظر في آيات الله.

بصيرة المدرسة الحسينية

علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ

هذه الليلة منسوبة لعلي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا الشاب اليافع؛ عمره سبع وعشرون سنة، فتى من بني هاشم، لكن الإنسان يكون متصاغرا أمام بصيرة علي الأكبر، في ليلة عاشوراء، أراد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصارح أهل بيته وأصحابه، يخشى أن يكون هناك من لا يعلم، لأن المشروع الإلهي بحاجة إلى بصيرة وقرار جريء واضح، وليس حالة تعويم، وحالة التفاف على الحقائق، وليس حالة تمويه على الحقيقة، الحسين جمعهم وقال: «يا قوم»، يا جماعة، يا أهل بيتي، «إن القوم (الأعداء) يطلبونني ولو ظفروا بي لذهلوا عن غيري، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا»[٣٣٩]، اخرجوا، وكل من يخرج الليلة فليس لديه مشكلة؛ لأنهم يطلبونني وليس فيكم حسين، وغدا سنقتل جميعا، قالها صراحة، وهذه شجاعة، المشروع الرسالي يحتاج إلى وضوح ليدخله الناس عن قناعة، ولولا هذا الموضوع لما كان الثبات في عاشوراء.

هنا تخبرنا الروايات أن علياً الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ قام في ذلك الجمع وقال: «يا ابن رسول الله أولسنا على الحق؟»، يا حسين، هل نحن نسير بطريق الحق أو لا، قال: «بلى يا بني»، قال: «إذن لا نبالي أن نموت محقين»[٣٤٠]، المهم أن نكون على الحق وما دمنا على الحق فلا شيء مهم. انظروا إلى البصيرة والرؤية الثاقبة، انظروا إلى الوضوح الذي

٣٣٨. سورة ق: الآية ١١.
٣٣٩. الهداية الكبرى: ٢٠٤.
٣٤٠. بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٩.

يحصل للإنسان؛ لا نبالي، وكان سباقا، وليست اللحظة لحظة مجاملات، فبعد أن انتهى الأصحاب واستشهدوا، كان أول المبارزين من أهل البيت، وهذا دليل على بصيرة علي الأكبر، مع السمات العظيمة التي كانت لديه، فقد كان أشبه الناس برسول الله «خَلْقا وخُلُقا ومنطقا»، حتى أن الحسين يقول: «كلما اشتقنا إلى رسول الله نظرنا إلى علي الأكبر»[٣٤١]، يشبّه عليا الأكبر برسول الله، وأخلاق رسول الله كانت فيه ومنطقه منطق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، حتى أن المغفور له آية الله السيد صادق العاملي يقول:

ورث الصـــــفات الغر وهي تراثه ... مـن كـل غـطـريـف وشـهـم أصيد
في بأس حمـــزة في شجـاعة حيدر ... بـإبـا الحسين وفـي مـهـابـة أحمد
وتراه في خـــلق وطـــــيب خلائق ... وبـلـيـغ نـطـق كالنبي مـحـمـد[٣٤٢]

أم علي الأكبر هي ليلى بنت ميمونة ابنة أبي سفيان، أي أن جدّ ليلى من أمها هو أبو سفيان، وهذا يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذن هناك قرابة، وبما أن ليلى بنت ميمونة بنت أبي سفيان، فقد صاح رجل من القوم: يا علي إن لك رحما بأمير المؤمنين يزيد، ونريد أن نحفظ هذه الرحم، ونعطيك استثناء، يعني نريد أن نبقيك ونعطيك حصانة، لجوءا دبلوماسيا كما يُعبّر اليوم، تعال إلى جهتنا، «فإن شئت آمناك»، قال عليه السلام، وانظروا إلى البصيرة: «إن قرابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أحب أن ترعى»[٣٤٣]، قرابتي من رسول الله لا تراها، وقرابتي من أبي سفيان تراها، وتعطيني لقرابتي منه، ولا تعطيني الأمان لقرابتي من رسول الله، أين الدين والإسلام؟، ألست تقول أنا خليفة المسلمين فأين الإيمان؟، انظروا إلى منطق أهل البصائر، هكذا يفحم الآخرين.

حينما برز للقتال كان يقول مرتجزا:

أنَا عَلـــيّ بن الحســـين بن علي ... نحن وربّ البيت أولَـى بِالنَّبي
تالله لا يَحـكُمُ فـــينا ابنُ الدَّعي ... أضـرِبُ بالسَّيفِ أحـامِي عَـن أبي
ضَربَ غُلام هَاشِميٍّ قُرشيّ[٣٤٤]

«أنا علي بن الحسين بن علي – نحن ورب البيت أولى بالنبي»، عرّف علي الأكبر بمشروعه الرسالي؛ (أولى) وليس (نسبا)، فهو حامل مشروع والحسين حامل مشروع

٣٤١. بحار الأنوار ٤٥: ٤٣.
٣٤٢. شهداء أهل البيت: ١٢١. سيرة الإمام الحسين: ١٢٤.
٣٤٣. سر السلسلة العلوية: ٣٠.
٣٤٤. بحار الأنوار ٤٥: ٤٢.

ومن معه حملة مشروع، «تا الله لا يحكم فينا ابن الدعي»، انحراف بالحكم يسلط على الناس من لا يرحمهم بالباطل، لا والله، «أضرب بالسيف أحامي عن أبي»، أدافع عن الحجة الشرعية، «ضرب غلام هاشمي قرشي»، وهذه الصلابة التي كانت لعلي الأكبر، حتى قال أرباب السير والمقاتل إنه لم يزل يحمل على الميمنة ويعيدها على الميسرة، ويغوص في الأوصال، فلم يقابل جحفلا إلا رده وبرز إليه شجاع إلا قتله، فقتل مئة وعشرين فارسا، وهو شاب بعمر سبع وعشرين سنة، وهذا الثبات لا يكون إلا من أهل البصائر.

والدليل على بصيرته ما رآه في حياته قبل الشهادة؛ فحينما سقط صريعا نادى بأعلى صوته: «عليك مني السلام يا أبا عبد الله هذا جدي قد سقاني بكأسه شربة لا أظمأ بعدها وهو يقول إن لك كأسا مذخورة»[٣٤٥]، رأى رسول الله وشرب من مائه العذب، فانظروا إلى البصيرة والوضوح والرؤية عند علي الأكبر، ثم أخذ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بكفه من دمه الطاهر ورمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة، ومنزلة علي الأكبر وما نقرأه بزيارته: بأبي أنت وأمي من مذبوح...، بأبي وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله، بأبي أنت وأمي، من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك، محترقا عليك قلبه، يرفع دمك إلى عنان السماء لا ترجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة. السلام عليك سيدي ومولاي يا أبا عبد الله وعلى أهل بيتك وأصحابك، وسلام على علي الأكبر في هذه الليلة الشريفة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٤٥. بحار الأنوار ٤٥: ٤٤.

الليلة التاسعة بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

في هذه الليلة الشريفة، ليلة العاشر من المحرم، ليلة الفجيعة وليلة الألم، ليلة الاستعداد لتلك التضحية الكبرى والملحمة التي خاضها الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام، فأصبحت شعلة وضّاءة للإنسانية جمعاء، ليلة عزاء وليلة حزن، ولكنها أيضا، ليلة عبرة وليلة علم ومعرفة، وهكذا تعودنا دائما أن نتعاطى مع الحسين مشاعريا وعاطفيا، ونتعاطى معه فكريا ومنهجيا.

البصيرة وحسن العاقبة

كان حديثنا في الليالي الماضية عن البصيرة التي تمتع بها الحسين وأصحابه وأهل بيته، البصيرة، هذا المفتاح المهم من مفاتيح النجاح والتألق، فالفرد حينما تكون له بصيرة والجماعة حينما تكون لها بصيرة، والأمة حينما تكون لها بصيرة، حينما تعرف

ماذا يجري وتقدر الأمور تقديرا صحيحا، وحينما تتخذ المواقف الصحيحة التي لا تندم عليها.

الحياة موقف، والحياة كلمة، والحياة خطوة؛ موقف سديد وخطوة صحيحة وكلمة في محلها، هذه تصنع الحياة، ونلاحظ في قضية الحسين، أن هناك من كان له تأثير كبير ومواقف وصولات، كالشمر بن ذي الجوشن، الذي قاتل مع علي في صفين، وكان محسوبا على جيش علي في تأريخه الطويل، لكن في اللحظة الأخيرة والمقطع الأخير في حياته كان مصداقا لسوء العاقبة، وظهر بتلك الصورة المروعة والنتنة، وأصبح ملعنة للتأريخ، والحر بن يزيد الرياحي ومن قبله زهير بن القين، أولئك أناس محسوبون على الحكم الأموي، كانوا متبنين للمنهج السياسي الآخر غير منهج أهل البيت، ولكن في لحظة الحقيقة منحهم الله سبحانه وتعالى البصيرة، وقرؤوا الأمور قراءة صحيحة، فتخندقوا واصطفوا مع الحق وأصبحوا ملحمة للتأريخ والناس تترحم عليهم، وأصبحوا ضمن قائمة أصحاب الحسين، فالحياة موقف والمسألة لا ترتبط بالمدة الزمنية، فما أكثر من قضى وقتا طويلا في عبادة وطاعة، ولكن في لحظة الفصل ولحظة القرار اتخذ القرار الخاطئ وذهب إلى مزابل التأريخ والعكس صحيح، فالبصيرة لها دور مهم وكبير.

التفكر في سيرة الأمم السابقة

لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، أليس كافيا لهدايتهم، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ﴾ [٣٤٦]، راجع سيرة الأمم السابقة، عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من الأقوام، هؤلاء الذين أهلكناهم، بعد أن كانت لهم صولات وجولات، بعد أن كانت لهم قوة وبعد أن كانت لهم أموال، وبعد أن كانوا مؤثرين في مجتمعاتهم، تصوروا أنهم يملكون الأرض، إذ جاء الفراعنة وذهبوا، فرعون الذي يقول ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ [٣٤٧]، يقولون إله موسى في السماء، ياهامان (وزيره) أريد أن تبني ناطحة سحاب لأصعد إلى السماء وأرى كيف شكل إله موسى، لم يكن الحديث تعجيزيا وما كان حديثا عابرا، وما كان لقلقة لسان.

٣٤٦. سورة السجدة: الآية ٢٦.
٣٤٧. سورة غافر: الآية ٣٦.

اليوم عندما تذهب إلى الأهرام في مصر تصاب بالدهشة ويأخذك الإعجاب؛ كيف تم بناؤها يومها بتلك الأدوات السابقة، كيف حملوا الصخور ووضعوها على بعضها بالطريقة التي نراها اليوم في أهرام مصر وغيرها؟، قدرات وإمكانات ضخمة، وإمبراطوريات مخيفة على مر التأريخ، ألم تر كيف أهلكناهم، والنظر إلى مصير الأقوام السابقة والإمكانات الهائلة المتوافرة لديهم، وكيف أنها زالت وذهبت أدراج الرياح ولم تنفعهم ولم تدفع عنهم أذى، هذه تعطينا فرصة للاعتبار وألا نقلق ولا نخشى من المستكبرين والطغاة مهما كانت قوتهم وبطشهم، فإن الأمم والشعوب تبقى وهؤلاء يذهبون إلى مزبلة التأريخ، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ﴾، حضارات وأمم أهلكناها، وإمبراطوريات وإمكانات أهلكناها وأصبحت نسيا منسيا، ألا يرون ذلك أوليس كافيا للهداية، وهذه تتجدد في كل زمان وليس بالضرورة للعقاب ولكن هذه سُنّة الحياة.

في هذه الأيام نتابع العواصف التي عصفت بالفلبين، وهي دولة في طريق الرياح ومعتادة، فدائما لديهم عواصف، وقد كيفوا أنفسهم وأوضاعهم لاحتواء هذه الصدمات، لكن شعبا مثل الفلبين مع كل هذاالتهيؤ والإمكانات، وعرفوا أن العاصفة التي ستأتي إليهم شديدة واستعدوا لها وأجلوا مئات الآلاف من مناطق العاصفة، ومع ذلك في وقت قصير تغيرت ملامح هذا البلد؛ والحديث عن عشرة آلاف قتيل، معناه عشرات الألوف من الجرحى، وقرى بأكملها دُمرت ومدن تعرضت لخراب هائل وكبير برمشة عين، هذه كلها عبر وكلها دروس ورسائل للإنسان.

وفي اليابان، عصف زلزال خلال دقائق بأكبر بلد صناعي في العالم، حتى المحطة النووية تتعرض إلى اهتزاز مع كل الإجراءات الاحترازية التي تتخذ، فلا تتصور إذا صار في جيبك بعض المال، وإذا امتلكت قدرات معينة، وكان هناك أربعة أو خمسة حولك، أنك ستستطيع أن تقف أمام الكون؛ فقد جاء أقوام أقوى منك وذهبوا وصاروا اليوم عبرة للتأريخ، ونحن أيضا نأتي ونذهب، وعلينا أن نستثمر ونعتبر ونهتدي بهذه العبر والدروس.

«يمشون في مساكنهم»، تلك الإمبراطوريات تحولت إلى متاحف، والناس تقطع تذكرة وتذهب لترى الأهرامات، وتذهب لترى المكان الفلاني، وهنا كان مكان الأمة الفلانية، بقي منها خرائب وآثار منذ آلاف السنين، والناس تراها وتستذكر أولئك

الأقوام، من كان يستطيع أن يقرب من قلاعهم؟، ومن كان يستطيع أن يرفع رأسه إليهم؟، واليوم يذهب الناس ليتفرجوا على أماكنهم، «يمشون في مساكنهم»، والناس ينظرون ويطلعون على ما كان لديهم من قوة وبطش وقدرة وإمكانات، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾[٣٤٨]، هذه كلها آيات الله؛ تلك الأقوام والحضارات والإمكانات كلها آيات، ألا تسمع، ألا تعي، ألا ترى، ألا تعتبر؟.

إحياء الأرض بعد موتها

الإنسان يجب أن يستفيد ويعتبر من هذه الأمور، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، الله يريد أن يقول إن آياتي ليست في الهدم وهلاك الأقوام فقط، فهلاك الأقوام آيات من آيات الله، والبناء والإعمار وبث الحياة آية من آيات الله. بعد أن مثّل بهلاك القرون الأولى يمثل بالاتجاه المعاكس؛ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، الجرز أي اليابسة الجرداء القاحلة، كيف يأتيها الماء ويأتيها المطر، فتحيا بإذن الله، وتدب فيها الخضرة والزرع وتنبت الأرض فتتحول إلى أرض حية بعد أن كانت ميتة.

، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾، نحن نسوق الماء لماذا نسوق؟، لأن الماء ثقيل وبحكم ثقله يركد في الأرض ويخترقها ويسكن في أعماقها، وكلما تأتي الأمطار ستنزل بعد أسبوع وتستقر في قعر الأرض وتتحول إلى مياه جوفية، ولو تُرك الماء لنزل في العمق واستقر في أعماق الأرض، لكن الله ببركته يسوق الماء والبحار المالحة، والماء في البحر غير قابل للشرب ولا للاستفادة ولا للزرع، ولكن الله سبحانه وتعالى يجعل الماء يتبخر وتتشكل منه السحب ويسوق الماء، إذ تأخذ الرياح السحاب ثم تمطر، فيتحول إلى ماء سائغ شرابه صالح للزرع والشرب فيه الحياة و يحيي به الأرض، ولولا المطر لكانت مساحات شاسعة من الأرض جرداء حتى بوجود الأنهار، مثلا أعالي الجبال والتلال المرتفعة والمناطق البعيدة عن الأنهار، تلك المساحات كيف يمكن أن تُسقى وتحيا؟.. تذهب إلى مناطق طبيعية كبيرة، وتجد روافدها من ماء المطر فقط، وهناك مناطق كبيرة في العالم تزرع اعتمادا على مطر السماء فقط، ولا وجود للأنهار ولا فرصة لتُسقى بماء الأنهار وأمثالها، هذا العظمة الإلهية.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾، هذا ماء المطر، ونحن نسوقه من البحار والمحيطات آلاف

٣٤٨. سورة السجدة: الآية ٢٦.

الكيلومترات تقطعها هذه الغيوم أحيانا، يأتي بها لتمطر في المكان الفلاني، منخفض جوي، البشر بدأ يتحايل وبدأ بصنع غيوم اصطناعية إذ تصعد طائرات وترش مادة على الغيوم لتهطل الأمطار ولا تنتقل إلى مكان آخر، ولو تركها لطبيعتها لكان أفضل، كيف يتوزع الماء بين جميع المناطق، وكيف تحيا الأرض بالمطر؟، «فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم»، تأكل من هذا الزرع الحيوانات، وهم يأكلون كذلك.

وقد يسأل سائل؛ لماذا تقدمت الأنعام على الإنسان؛ ﴿أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾، أليس الإنسان أهم؟، نعم، لكن الأنعام تعتاش على الزرع فقط، و الإنسان يأكل الزرع ولحوم الأنعام أيضا، وقد يكون واحدا من الأسباب، أو أن الحيوان يأكل الزرع كيفما يكون؛ الأعشاب والدغل، لكن الإنسان لا يستطيع، بل يجب أن يتحول الزرع إلى ثمر وينضج ليستطيع أن يأكله، وقد تكون هذه وغيرها سبب تقدم الأنعام على الإنسان في هذه الآية، ﴿أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾[٣٤٩]، ألا تفتح عينك وتزداد بصيرة من هذه الحقيقة وهذه الآيات؛ الأقوام السابقة والعقوبات الإلهية والمطر وإحياء الأرض ونمو الزرع، كلها آيات «أفلا يبصرون»، كلها تمنحنا البصيرة.

وهاتان الآيتان فيهما مداليل لطيفة؛ فحينما يتحدث عن الأقوام السابقة وهلاكهم يقول: «أفلا يسمعون»، وحينما يتحدث عن الحياة والأمطار يقول: «أفلا تبصرون»، فالسمع هناك والبصر هنا، لماذا؟، لأن إحياء الارض نراه بأعيننا، فهذه الأرض جرز وجاء المطر وظهر الزرع وظهرت الأشجار وتحولت إلى بساتين نراها بأعيننا، أما الأقوام السابقة فلم نعش معها بل نقرأ ونسمع عنها، «أفلا يسمعون» يستخدم السمع للأقوام السابقة والبصر لحقائق نراها اليوم في حياتنا، وأيضا تشير هذه الآيات إلى مفارقة مهمة في آية أخرى من آيات الله؛ هذا الهواء نفسه تارة يتحول إلى إعصار ويصبح سببا للهلاك وسببا للخراب والدمار الكبير، وتارة تتحول هذه الرياح نفسها إلى سبب يحمل هذه الغيوم آلاف الكيلومترات لتنزل المطر وتحيي، فهذه الرياح تارة تكون سببا في العقوبة وأخرى سببا في الحياة والنمو والزرع وما إلى ذلك، وهي بيد الله سبحانه وتعالى يتحكم بها.

آية المطر.. بشارة الحياة

في آية أخرى في سورة النور: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾، يعني يسوق برفق، ﴿سَحَاباً﴾، قطرات الماء في البحار، تتحول إلى بخار، ثم الله يسوق هذا البخار وهذه القطرات

٣٤٩. سورة السجدة: الآية ٢٧.

الصغيرة بعضها إلى بعض حتى يتكون السحاب، «ثم يؤلف بينه»، يجمع هذا البخار والسحاب، وهذه الذرات المتبخرة يجمعها بعضها إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾، يتراكم ويشكل ظاهرة الغيوم، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾، وعندما يتراكم وينضغط هذا الضغط والتراكم تنزل قطرات المياه، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾، من الغيم وتراكمه تنزل قطرات المطر، فتسقي الأرض الجرز وتحييها، وينمو الزرع والنباتات ويروى الإنسان والحيوان إلى غير ذلك من الفوائد، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ﴾، عندما تتراكم الغيوم تشكل جبالا في السماء، يراها من يركب الطائرة، إذا كان هناك حالة من تراكم الغيوم فسيراها الإنسان جبالا من الغيم؛ شكلها مثل الجبال، وهناك تنخفض الحرارة إلى حد كبير ويتحول الماء إلى ثلج ولذلك تأتي ظاهرة البَرَد (الحالوب).

﴿وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، البَرَد هو (الحالوب)، هذه الجبال من الغيوم المتراكمة ودرجات الحرارة المنخفضة تحول الماء إلى بَرَد، ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، الله سبحانه يحول هذا الحالوب إلى عذاب وإلى سبب اختبار وابتلاء، فيضرب المزارع ويتلف الزرع، وأحيانا تؤثر شدة الحالوب في الإعمار وتقتل أناسا وحيوانات ويصبح حاله كحال الاعصار، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾، بيد الله كيف يحول هذه الأمورإلى مصدر حياة ومصدر عذاب ومصدر ابتلاء واختبار إلهي، نفعنا وضرنا بيد الله سبحانه وتعالى وليس بيد شخص آخر.

﴿يَكَادُ سَنَا﴾، سنا أي ضوء، وهج، يكاد سنا برقه، هذه الشعلة الكهربائية الصاعقة، شعلة كهربائية نتيجة هذا الاندكاك الذي يولد طاقة كهربائية فيحدث الرعد والصوت المخيف والانفجار الذي يحصل في الرعد، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[٣٥٠]، يثير الرعب لدى الإنسان وكأنه عملية انفجار كبير، هذا الرعد الشديد حينما تكون الغيوم متقاربة يظهر صوت مرعب ونور وشعلة وصعقة كهربائية كبيرة.

آية الليل والنهار

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، آية أخرى؛ الليل والنهار، الليل يدفع النهار والنهار يدفع الليل وعملية التعاقب من آيات الله، جاء الصيف فطال النهار وقصر الليل، وجاء الشتاء فقصر النهار وطال الليل، وحينما يتدافعان بامتدادهما تأتي عملية الفصول وتتحرك

٣٥٠. سورة النور: الآية ٤٣.

فصول السنة بهذه الطريقة، وكل هذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ [٣٥١]، استفد يا إنسان، استفد من هذه الظواهر الإلهية، من الرعد والبرق والأمطار والأرض والسماء والنبات والحياة والليل والنهار، فكلها آيات وعبرة لأولي الأبصار، لنعتبر ونصل إلى البصيرة ونحقق البصيرة في نفوسنا.

آية الخلق العظيمة

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾، كل الدواب مصدرها من ماء ونطفة، والنطفة ماء، نفس النطفة، لكن تنتج حيوانات ودواب متنوعة ومختلفة، سبحان الله، هذه القطرة من الماء ساعة تصير خنزيرا وساعة تصير حصانا، ومئات الآلاف من أنواع مختلفة من الدواب والأنعام، هي من قطرة الماء هذه، وكل قطرة تنتج شيئا آخر، فالمنشأ واحد هو هذه النطفة.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾، الحيات وأمثالها التي لا تملك أرجلا، ﴿مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، الخلق بيد الله سبحانه وتعالى، وهو القادر، فالله يخلق وليس غيره، ومع كل هذا التطور البشري حققوا عملية الاستنساخ وأخذوا الحياة من الكائن الحي، ولكن هل يعيدون الحياة إلى كائن ميت فيحولونه إلى كائن حي؟، لا يستطيعون حتى هذه اللحظة ولن يستطيعوا أن يمنحوا الحياة للكائن الميت، فالحياة خلق الله، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، الحياة والخلق شأن الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٥٢]، تلاحظون الآيات العظيمة الإلهية كيف تمنحنا البصيرة.

٣٥١. سورة النور: الآية ٤٤.
٣٥٢. سورة النور: الآية ٤٥.

ليلة عاشوراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

نماذج من بصيرة الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

نجتمع في مجلس أبي الشهداء، وسيد الشهداء، صاحب البصيرة، ماذا نقول فيه، وأي موقف من مواقف الحسين بعيد عن البصيرة، وكلها تجسد البصيرة بأبهى صورها؟. نأخذ نماذج من بصيرة الحسين حتى نستفيد في هذه الليلة، هذه العملية والثورة والملحمة، الحسين يعرفها بتفاصيلها منذ البداية، ولا يتصور أحد أن الحسين لم يكن يدري ولم يكن له خط رجعة، من البداية في مدينة رسول الله قبل أن يخرج كان يعرف كل شيء.

تجسيد إرادة الله

لاحظوا هذا الحوار مع أم سلمة زوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي دار بين أم سلمة والحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما رأت أم سلمة عزم الحسين عليه السلام على التوجه إلى العراق، قالت له: «يا ولدي لا تحزني بخروجك إلى العراق»، لا تخرج للعراق، ولا تؤذني ولا تحزني، «فإني سمعت جدك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق بأرض يقال لها كربلاء»، جدك رسول الله أخبرني فلا تخرج للعراق فأنا أرى أن هذا الخروج سيؤدي إلى استشهادك.

«وعندي تربتك في قارورة، دفعها إليّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، دفع لي قارورة فيها من تربة كربلاء، والقضية تصميم إلهي وليست طارئة، فقال الحسين عليه السلام: «يا أماه وأنا أعلم أني مقتول مذبوح ظلما وعدوانا»، انظروا إلى البصيرة الحسينية؛ لديّ معرفة وعلم بما يجري عليّ، «وقد شاء الله عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا»، وشاء الله أن يراهن سبايا، إرادة الهية، حتى الطفل الرضيع إرادة إلهية، البعض يقول لماذا أخذ الأطفال والنساء معه وهو ذاهب إلى الموت؟، هذا تصميم رباني، فالمشروع الحسيني، مشروع الإنسان والحياة، وليس هناك حياة بلا أطفال وبلا نساء وبلا أنماط وشرائح اجتماعية مختلفة، وهذه ظواهر حياتية، وجيش الحسين الصغير يمثل مجتمعا بكل تلاوينه؛ فيه الرجل والمرأة والكبير والصغير وشيخ العشيرة والعبد الأسود، وفيه كل الأنماط والمذاهب والأديان، وأريد له أن يمثل الحياة، وهذا مشروع حق إنساني يجب أن يمثل كل الإنسان، وهذه إرادة إلهية.

قالت أم سلمة: «واعجباه فإنى تذهب وأنت مقتول»، متأكد أنك ذاهب للموت وتريد الذهاب؟، ، فقال عليه السلام: «يا أماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غدا»، هذا تقدير إلهي أني يجب أن أذهب، «وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت بد»[٣٥٣]، هذا قرار إلهي.

لماذا العراق؟

شهيد المحراب (قدس سره) كان لديه تحليل مهم لهذه القضية؛ لماذا كانت الإرادة الإلهية أن يُراق دمه في العراق؟، يقول: لأن الشعب العراقي مليء مشاعر وعواطف، ودم الحسين يُحفظ في العراق، ولو أن واقعة الطف كانت في بلد آخر بدون اسم وشعب من الشعوب الآخرى لضاع الدم ولذهب، لكن دم الحسين يُحفظ في العراق، وقد قرأت رواية عن إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام، أن إبراهيم يعاتب الشعب العراقي حين كان في العراق قبل أن يخرج للجزيرة العربية، لأن الناس الذين عاصروه آذوه، فنزل وحي من السماء أن يا إبراهيم لا تعتب على العراق، فقد أودعت فيهم خصوصيتين؛ الولاء والعلم، فالولاء جعلته في العراق، والعلم جعلته في العراق[٣٥٤]، في هذا الشعب

٣٥٣. بحار الأنوار ٤٤: ٣٣١.

٣٥٤. بحار الأنوار ٩٠٠: ٣٥٣. كنز العمال ١٤: ٩٨، ح٣٨٠٤١. تأريخ بغداد ١: ٥٢. تأريخ دمشق ١: ١٢٨.

فلا تعاتبهم، والله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يعاتَب العراقيون، والله يحبكم أيها العراقيون، وهذا البلاء والنعمة ليس اعتباطا، فالبلاء والنعمة تكامل.

البعض يقول لماذا هذا الألم المسلط علينا؟، هذه المشاكل والطغاة والظالمون وما جرى في العراق لم يجر على شعب آخر. . . لأن الشعب العراقي يجب أن يعد إعدادا كبيرا، والقوات الخاصة لا تُدرب مثل الجنود العاديين، والشعب العراقي يجب أن يلعب أدوارا تأريخية كبيرة، وهذه الأدوار تحتاج إلى تمحيص وغربلة وبناء، وهذا البناء لا يكون إلا بالابتلاء في سُنّة السماء، فهنيئا لكم، فحتى هذه الابتلاءات عزة وكرامة لكم.

وضوح الموقف والنتيجة

«وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد وما من الموت بد»، «وإني لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه والساعة التي أُقتل فيها والحضرة التي أُدفن فيها كما أعرفك» يا أم سلمة«وأنظر إليها كما أنظر اليك»، تلك البقعة، «وإن أحببت يا أماه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي»، أتريدين يا أم سلمة أن أريك مكاني ومكان دفن اصحابي؟، فطلبت منه ذلك، فأراها تربة أصحابه، أخرج لها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دما أيقنت قتله، قال لها هذا التراب متى ترينه تحول إلى دم عرفت أني قُتلت في هذه اللحظة.

وفي اليوم العاشر من محرم بعد الظهر نظرت إلى القارورتين، قارورة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والقارورة التي وضعت فيها التراب الذي أعطاه إياه الحسين، فإذا هما تفوران دما، فعرفت أن الحسين عليه السلام قد قُتل.

وكذلك كلمات سيد الشهداء من المدينة ومن مكة إلى كربلاء، كلها مليئة بمواقف تكشف عن وضوح في ما ستؤول إليه الأمور، وتكشف عن البصيرة الحسينية والأسباب والمبررات التي دعته إلى هذه الثورة: «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل»، القضية ليست شخصية؛ فكان يستطيع القول إني أنا الحسين، لا أريد أن تلطخ ثيابي، وأنا معزز ومكرم وأدرّس والناس تقبّل يدي ومحبوب ومحترم، فأنا ابن بنت رسول الله واستطيع أن أحصل على ذلك، لكن المسألة أعمق، «والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد، عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون»، العذاب ينزل عليكم إذا قتلتم حسينا، لأن قتل الحسين ليس قتل شخص؛ فأنتم الآن لديكم عداء مع الله، والعداء

لله فيه عواقب كبيرة، «وأعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»[٣٥٥]، وأحذركم يا قوم من الاستعلاء على الله لأن به ضريبة كبيرة ستدفعونها.

هيهات منا الذلة

في موضع آخر: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»[٣٥٦]، الحياة ليست أكلا وشربا وبيوتا فارهة وسيارات حديثة، بل الحياة سعادة القلب حينما تسير بالطريق الصحيح، الحياة مع الظالم ولو كانت في القصور برم وشقاء وألم، والحياة في طريق الحق حتى لو أفضت إلى الشهادة فهي عزة وكرامة، ومقولته المعروفة: «هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون»[٣٥٧]. وفي المدينة قال: «خُط الموت على بني آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»[٣٥٨]، القلادة لا تفارق رقبة المرأة، والموت أيضا يرافق الإنسان ولا يفترق عنه، وأنا ذاهب للموت.

إقامة الحجة وتثبيت المظلومية

عندما رأى زهير بن القين الحصار في كربلاء، الذي بدأه الحر قبل أن تلتحق عساكر وجيوش عمر بن سعد، وكان مع الحر ألف مقاتل يحاصرون جيش الحسين، اقترح على الحسين، قال هؤلاء قليلون، لنهاجمهم ونتخلص منهم ونخرج من هذا الحصار، فقال له الحسين: «أكره أن أبدأهم بقتال»، انظروا إلى البصيرة، لا أريد أن أكون أول من يبدأ القتال، ولا أعطيهم حجة الدفاع عن أنفسهم، لن أمنحهم هذا الامتياز، ولذلك نجد وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه الحسن: «لا تدعونّ إلى مبارزة»، لا تدع لمعركة وحرب وقتال ولا تبدأ أنت، فالبادئ أظلم، «وإنْ دعيت إليها فأجب»، وإن دعيت إليها فلا تقبل بذل نفسك، والذي قاتلك قاتله، و﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[٣٥٩]، ولا تبدأ بالمعركة، «فأجب فإن الداعي إلى القتال باغ والباغي مصروع»[٣٦٠].

أكره أن أبدأهم بقتال»، انظر إلى البصيرة الحسينية لتثبيت المظلومية والحق، ولا

---

٣٥٥. بحار الأنوار ٤٥: ٧.
٣٥٦. بحار الأنوار ٤٤: ١٩٢.
٣٥٧. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥١٤.
٣٥٨. بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦.
٣٥٩. سورة البقرة: الآية ١٩٤.
٣٦٠. نهج البلاغة: الحكمة ٢٣٣.

مجال للطعن بحق الحسين عليه السلام، يأتيه الوليد أمير المدينة، فحينما أرسل اليه يزيد وطلب منه أن يعقد البيعة أصر الوليد على الحسين أن يبايع، لكن قضية الحسين ليست شخصية، بل قضية مشروع رسالي، ومن يحمل مشروع السماء كيف يضع يده بيد من يحمل مشروع الانحراف والانحطاط، فالقضية قضية شرعية ومسؤولية شرعية، فقد أجاب الحسين: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله»[٣٦١].

الشجاعة وصلابة الموقف

في المكان الذي حاصره فيه الحر بن يزيد الرياحي التحق بالحسين أربعة نفر أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، أربعة من أهل الكوفة سمعوا بالحسين فجاؤوا إلى كربلاء، وقد أراد الحر احتجازهم أو ردهم عنه، لأن الحصار مكتمل ولا يقبل بإمدادات إضافية، وأراد من الحسين ومن معه أن يبقوا إلى أن يرى أمر ابن زياد، والأربعة خارج هذا وأرادوا أن يدخلوا، والحر لم يسمح لهم، وقال إن هؤلاء نفر من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك، وأنا حاجزهم أو رادهم، فانظروا إلى موقف الحسين؛ لا يفرق بين أحد وآخر، وكل من وقف مع الحسين فهو من أصحاب الحسين، فقال له الحسين: «لأمنعهم مما أمنع منه نفسي»، أدافع عنهم كما أدافع عن نفسي، إذا أردت أن تحبسهم فمعناه أن ندخل في معركة، انظروا إلى الدفاع عن أصحابه: «إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنت أعطيتني أن لا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد»، قلت لا أقاتلك يا حسين إلى أن يأتي كتاب ابن زياد، فإذا تعرضت لهؤلاء فقد بدأت القتال، انظر الدفاع عن الأصحاب والأنصار، فقال أجل ولكن لن يأتوا معك، قال هم أصحابي، اسمعوا فهذا كلام ينطبق على الأربعة وعليكم أيضا، وكل من لم يكن مع المجموعة لكن قلبه ومشاعره مع الحسين فهم أصحابه وهم بمنزلة من جاء معه، «فإن تممت على ما بيني وبينك وإلا ناجزتك»[٣٦٢]، هؤلاء أصحابي، وحتى لو لم يكونوا ضمن القافلة فكف عنهم، انظروا إلى البصيرة في تثبيت الأمور، ولعل هذا الموقف أحد المواقف التي حركت ضمير الحر، ولذا قال: أخيّر نفسي بين الجنة والنار، والتحق بالحسين لاحقا، هذه المواقف الصحيحة الناتجة عن بصيرة واضحة.

---

٣٦١. اللهوف على قتلى الطفوف: ١٧.
٣٦٢. تأريخ الطبري ٤: ٣٠٦.

بصيرة الحسين في الميدان

يوم الطف حينما حمل على عسكر ابن زياد، كان الإمام الحسين يقتل بعضهم ويترك بعضا آخر وإن كان قادرا على قتله، فقيل له في ذلك؛ يا حسين البعض تقتله والبعض سيفك على رأسه ولا تقتله لماذا؟، وأنت في ساحة المعركة، انظروا إلى البصيرة الحسينية، فقال: «كُشف عن بصري فأبصرت النطف التي في أصلابهم»، الله أراني ذلك، «فصرفت عمن يخرج من نطفته من هو أهل الإيمان»[٣٦٣]، وهو يقاتلني، لكني أرى في صلبه إنسانا مؤمنا فلا أقتله حتى أمنح المؤمن فرصة أن يشهد الحياة ويكون صوتا لصالح الحق، تركته لاستخلاص تلك الذرية منه، في الغربة والوحشة، حينما قتل الأصحاب ثم قتل أهل البيت ثم لم يبق إلا الحسين وحده، وانهالوا عليه من كل صوب وحدب، يقول الحسين في تلك اللحظات من حياته الشريفة: «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله»، يهوّن ويخفف عني ألم المصاب أن الله ينظر ويرى، وأن هذه المحنة بعين الله سبحانه وتعالى: «اللهم اجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل»[٣٦٤]، إلهي كل هذا البلاء والمحنة والآلام اجعلها سببا في علو شأننا في الآجل، وهذا ما نجده اليوم من علو شأن الحسين في الدنيا والآخرة.

لاحظتم اليوم في تاسوعاء كيف هب أبناء العراق، ومنهم أبناء شهيد المحراب، وخرجوا يهتفون وينادون يا حسين، واليوم في كربلاء والنجف وفي بلداننا العربية والإسلامية وفي العالم، قلما تجد محطة إلا وفيها ذكر الحسين، ودمعة تُسكب على سيد الشهداء، وما أكثر المواقف التي تعزز البصيرة الحسينية وتدلنا على هذه البصيرة، فهنيئا لك يا أبا عبد الله، وصلاة الله وسلامه عليك، وجعلنا من السائرين على منهجك والآخذين بثأرك تحت راية وليّه الإمام المنتظر، عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه الشريف، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٦٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٦٠٩.
٣٦٤. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٧٣.

المحاضرات الاخلاقية في

الأُخوّة الإيمانية

ألقى سماحة السيد عمار الحكيم هذه المحاضرات على ملاكات المكتب الخاص والملاكات المتقدمة لتيار الحكمة الوطني خلال شهر رمضان المبارك بعد صلاة الظهر واستمرت بعد الشهر الفضيل في يوم الثلاثاء من كل أسبوع .

المحاضرة الأخلاقية الأولى
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [1] صدق الله العلي العظيم

أيها الأعزاء المؤمنون، بداية أبارك لكم هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والمغفرة والرضوان إلى الله تعالى، شهر دُعينا فيه إلى ضيافة الله، وجُعلنا فيه من أهل كرامة الله، شهر يتفنن الله (سبحانه وتعالى) في تكريم عباده وضيوفه.

الناس تتحدث بكرم (حاتم الطائي) عبر الأجيال، فما بالك بالله (سبحانه وتعالى) الكريم المطلق، بيده كل شيء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ليس لكرمه حدود ولا سقف، نحن ندعو الله تعالى فنقول (يامن يعطي من سأله ومن لم يسأله تحننا منه ورحمة).

في محضر الله (سبحانه وتعالى)، في أجواء العطاء الإلهي المتدفق، الله تعالى الكريم المطلق يجعل أنفاسك تسبيحًا، ونومك عبادة، فإذا كانت محطات راحتك تسبيحًا وعبادة، فكيف بتلاوة القرآن وخشوع القلب و خضوع الجوارح؟ كيف بامتثالك لأوامر الله ونواهيه؟ كيف بتحقيق الخصال الكريمة التي أرادها الله (سبحانه وتعالى) في سلوك هذا الإنسان؟

---

١. سورة البقرة: الاية ١٨٥

كل خطوة تخطوها نحو الله (سبحانه وتعالى) الله (جلّ وعلا) يخطو نحوك خطوات وخطوات، يجب أن لا يضيع منا هذا الشهر، أحبتي نحن في اليوم الأول، شهر رمضان أيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، خير من ألف شهر، يجب أن لا نكون غافلين عن استثماره، لنضع برنامجا و رؤية لنستفيد من أجواء شهر رمضان، حتى نكون في ليلة العيد من أصحاب الجائزة الكبرى، ولا نندم على ضياع الفرصة وننتظر السنة القادمة، إذا قرر الإنسان وهو في اليوم الأول من شهر الصيام أن يعطي حق شهر رمضان فالله تعالى سيعينه و يفتح عليه.

يؤسفنا أن شهر رمضان في زماننا أصبح شهر المرح والترح والفرح والمسلسلات، والكثير من القنوات تضع ميزانيات كبيرة لإنتاج أعمال تشغل الناس عن شهر رمضان، وتحرمهم فرصة الاستفادة من أجوائه الإيمانية، دمعة الليل في رمضان لا تغب عنكم، انكسار القلب، ذكر الله، الإرادة في أن نكون صالحين، فما زلنا في بداية الطريق.

في السنة الماضية في شهر رمضان كنا نقف في كل يوم عند الدعاء القصير، دعاء الأيام، كنت أفكر بماذا أتحدث في هذا الشهر الفضيل في هذه السنة، فلاحظت أنّه شهر تقترب فيه النفوس إلى الله (سبحانه وتعالى)، وأفضل ما يمكن الحديث فيه هو المفاهيم الأخلاقية. وبالطبع فإنّ الوقت لن يتسع للحديث عن الأخلاق بشكل واسع، ولكن سنأخذ مفردة أخلاقية واحدة وموضوعًا أخلاقيًا واحدًا، ونحاول أن نسلّط الأضواء عليه.

معنى الأخلاق

ماذا تعني الأخلاق؟ وماذا تعني المفاهيم الأخلاقية؟ وماذا نعني بعلم الأخلاق؟.

نعني بالأخلاق أنّ الإنسان لديه خصال طيبة وخصال سيئة، خصال حميدة وخصال ذميمة، ولكن ما الذي يجعل هذه الخصال حميدة وتلك الخصال ذميمة؟، أي لماذا تكون المحبة والصدق والوفاء والإيثار والتعاون خصالًا حميدة؟ ولماذا تكون الغِيبة والنميمة والكذب خصالًا سيئة؟. والجواب هو أن الأُولى مقربة نحو الله تعالى، في حين تكون الثانية مبعدة عن الله سبحانه، وكلما التزمنا وتمسكنا بالخصال الحميدة، كنا أقرب إلى طريق الطاعة، وكلما ابتعدنا عن هذه الخصال وذهبنا باتجاه الخصال الذميمة، كنا أبعد عن الله (سبحانه وتعالى). ووظيفة علم الأخلاق هي تصنيف هذه الخصال؛ أيّ خصلة منها حميدة، وأي خصلة منها ذميمة، وماذا ينبغي أن نفعل لتكون

أخلاقنا حميدة، وماذا ينبغي أن نترك لئلا تكون أخلاقنا ذميمة. أي يبيّن لنا ما يجب أن نلتزم به وما يجب أن ننتهي عنه ونحذر منه.

وبما أن للإنسان بُعدين؛ هما بُعد فردي ذاتي، أي كشخص فرد بغض النظر عن المجتمع، وبُعد اجتماعي، الشخص عندما يكون ضمن المجموع، فهذه الخصال الحميدة والذميمة، بعضها للبعد الفردي للإنسان، أي تختص هذه الأخلاق بالإنسان، سواء كان بين مجموعة من الناس أو كان يعيش وحيدًا في صحراء أو في زنزانة انفرادية، فعليه أن يلتزم بأخلاق معينة، وينتهي عن أخرى.

وهناك خصال حميدة أو ذميمة للإنسان في بُعده الاجتماعي، وليس الإنسان كفرد، فالناس عندما يتواصلون بعضهم مع بعض ويشكّلون مجتمعًا ويصيرون جماعة، وقد يكونون في مؤسسة، وقد يكونون في فوج عسكري، وقد يكونون في مدرسة، فما التصرفات التي ينبغي أن يأتوا بها كجماعة؟ وما التصرفات التي ينبغي أن يتركوها كجماعة؟.

وهذه الجوانب التي ترتبط بالعلاقات الإنسانية وبحقوق الآخرين تجاهنا وحقوقنا تجاه الآخرين، نسميها الأخلاق الاجتماعية، فعندنا أخلاق فردية، ترتبط بالخصال الحميدة أو الذميمة للفرد، وعندنا أخلاق اجتماعية ترتبط بالخصال الحميدة أو الذميمة للجماعة، ولا شكَّ في أنّ الحديث عن العلاقات، ونحن جميعًا نتعايش بعضنا مع بعض، هي من هذا النوع.

إنّ الذي يجعل الإنسان يندفع باتجاه الآخر هو أنّه مدنيّ بالطبع، أي أنّ الله (تبارك وتعالى) جعل في فطرته أنّه يستوحش من الوحدة والغربة، ولذلك نرى أنهم إذا أرادوا أن يعذبوا أحدًا، فإنهم يضعونه في غرفة وحده أو في زنزانة انفرادية في السجن، ليعاني مزيدًا من التعذيب بسبب العزلة عن الآخرين، فيستوحش لذلك وربما يُجن، ولكن مهما كانت الظروف، فعندما يكون مع آخرين فسوف يتعايش معهم ويأنس بهم؛ لأنّ الإنسان بطبعه تواق للتعامل مع الآخرين.

ولما كان الإنسان مدنيًا بالطبع، ولما كان تواقًا إلى أن يتعامل وينفتح على الآخرين ويتعايش معهم، فينبغي أن تتحول هذه النزعة الفطرية عند الإنسان، إلى سبب وإلى طريق يدفعه ويوجهه نحو الله (سبحانه وتعالى).

وهنا يبرز السؤال التالي: كيف نجعل هذه العلاقات الاجتماعية علاقات متجهة نحو الله (جل وعلا)؟. وهذا سؤال كبير؛ كيف تصيرعلاقاتنا الاجتماعية علاقات إلهية؟،

فالإنسان عندما يبحث عن أُناس لكي يتعامل معهم، فإنّه يبحث عن نمط من الناس يشاركونه ويشاطرونه نفس العقيدة التي يؤمن بها.

فالإنسان ينجذب عادة لمن يشاركه قناعاته الخاصة ويؤمن بنفس ما يؤمن به، ونراه ينفر ويبتعد عن المحيط الذي لا يحترم عقيدته، فيستوحش من الناس الذين هم حوله، ولكنه يأنس بالناس الذين يعرفهم ويعرفونه، وتتطابق عقيدتهم وأفكارهم مع عقيدته وأفكاره، ويشعر بالتجاوب معهم والراحة في الانفتاح عليهم، ولذلك نلاحظ أن الإنسان المؤمن في ديار الغربة، وهو يعيش في أجواء بعيدة كل البعد عن عقيدته وعاداته، يشعر بالحنين إلى الوطن، ويسعى للعيش مع جاليات تقترب من عقيدته وتقاليده، وإن توفرت له كل أسباب الراحة المادية.

وفي البُعد الاجتماعي تكون العقيدة هي الجامع والرابط الذي يربط الناس بعضهم مع البعض الآخر، وهذا ميل معنوي وروحي، فنرى المؤمن عندما يجتمع مع المؤمنين يتكلم بكلمة يستفيدون منها، وهم يتكلمون بكلمة أو يقدمون نصيحة يستفيد هو منها، لأنّ أحاديثهم غالبًا ما تكون في أُمور تتعلق بالدين، وبقضايا فيها معرفة وعلم، وتعمّق وتجذّر علاقة الإنسان بربه، وترسّخ وتؤصّل المفاهيم العقيدية والفكرية الصحيحة التي هو يؤمن بها، وهذه العلاقة بين المؤمنين علاقة خير، وعلاقة فائدة، وكما أنّ هذه المفاهيم مفاهيم مقدسة، فالعلاقة المبنية عليها هي أيضًا علاقة مقدسة، لأنّها تأخذ قداستها من قداسة الرابط.

وينبغي للإنسان أن يصادق المتدين الصالح الذي ينهاه عن الحرام، فيحذره من الغيبة والكذب والنظرة المحرمة والكلام المحرم، ويشجعه على الحلال وينصحه بإتيان الأعمال الصالحة. وبما أنّ الرباط الذي جعلنا متقاربين بعضنا إلى بعض هو رباط مقدس، فهذه العلاقة تصبح علاقة مقدسة أيضًا وعلاقة كريمة عند الله (سبحانه وتعالى)، ونعبّر عنها بالعلاقة الإيمانية والأُخوّة الإيمانية.

لقد وصفها القرآن الكريم بهذه الصفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٢]، ووصفها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بهذه الصفة أيضًا في قوله: (المؤمن أخو المؤمن) [٣]. فهي أُخوّة إيمانية وعلاقة إيمانية مقدسة لقداسة الرابط الذي يربط بينهما، وهذه هي الحالة الطبيعية عند الإنسان، اللهم إلا إذا سيطرت على الإنسان حالة النزوات والشهوات

٢. سورة الحجرات: الاية ١٠.
٣. الكافي ٢: ١٦٦، ح٢، ح٣، ح٤.

والميول تجاه الدنيا ولذاتها المحرمة والعياذ بالله، فعندها تصبح الحالة عكسية، ويبدأ بانتقاد من يدله على طريق الهدى والرشاد، ويرى أن الوقت الآن ليس مناسبا لهذه المواعظ والحديث أن هذا حلال وهذا حرام؛ نريد أن ننطلق مع شهواتنا ونلهو ونعمل ما تشتهي أنفسنا، وينطلق ليبحث عمن هو على شاكلته، فالطيور على أشكالها تقع، فصاحب النزوات يبحث عن رفيق من صنفه، وليس المهم عند هؤلاء أن يبحث عمن يوافقه في العقيدة، بل المهم عنده أن يجد من يشاركه في نفس ميوله وشهواته، سواء كان من نفس عقيدته أو من عقيدة مختلفة، فالرباط هنا ليس رباط عقيدة وفكر، وإنما هو رباط شهوات ونزوات، فالإنسان الهارب من عقيدته ومبدئه وبيئته وفضائه، ويريد أن ينساق وراء شهواته من غير أن ينكشف بين المؤمنين، يبحث عن شخص من صنفه، فلا يلومه ولا يعاتبه ولا يفضحه، فهؤلاء يستر أحدهم على الآخر، ويأنس بعضهم ببعض، لأنّ اللذة المحرمة والنزوات المحرمة هي التي جمعتهم، وليست العقيدة.

وليست العقيدة الدينية وحدها هي الرابط بين جماعة ما، بل هناك أحيانًا عقيدة سياسية تربط بين أفراد الأحزاب والتيارات والكيانات، فيقولون مثلًا نحن من التيار الفلاني، وهو الذي يربط بعضنا بالبعض الآخر، إذ تجمعنا رؤية واحدة لشؤون البلاد والعباد، ولدينا نظرة واحدة للقضايا السياسية، ويسمون أنفسهم أو يُعرفون بين الناس بالحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية أو التيار الفلاني، وأحيانًا يلبسون لونًا واحدًا، ويكون علمهم واحدًا وشعارهم واحدًا، وتكون أفكارهم واحدة وتجمعهم العقيدة السياسية، كما أنّ العقيدة الدينية تجمع الناس على قيم ومبادئ معينة.

والحديث عن الأُخوّة الإيمانية وعن العلاقة الإيمانية حديث مهم للغاية، ونسعى بإذن الله تعالى في هذا الشهر الفضيل إلى أن نتحدث عن هذا الموضوع، وأعتقد جازمًا بأنّنا إذا عملنا بهذه المفاهيم التي سنطرحها في هذا الشهر الفضيل، فإنّ وضعنا كجماعة سوف يقفز إلى الأمام قفزة كبيرة، وسنقدم أنموذجًا طيبًا إذا استطعنا أن نعمّمه في المجتمع، وسوف يتقدم مجتمعنا أيضًا خطوة مهمة إلى الأمام.

إنّ إصلاح كثير من مشاكلنا التي نواجهها اليوم ونعاني منها يرتبط بالعلاقة الصحيحة بين المؤمنين، ونحن كلنا في دائرة المؤمنين، وهذه العلاقة الإيمانية مهمة جدًا.

يُروى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا، وكونوا إخوة بررة، كما أمركم الله عز وجل»[٤].

٤. الكافي ٢: ١٧٥، ح١.

نواجه في مجتمعاتنا الإسلامية مشاكل اجتماعية كبيرة، في التقاطع الاجتماعي وعدم الانسجام اللازم بين أفراد العائلة الواحدة، وبين العائلات المتجاورة، وفي محيط العمل والدراسة، وفي جميع أماكن اللقاء والتواجد المستمر والدائم الذي يحتاج إلى أخلاق التعايش الإنساني. ولهذا قد يمر الإنسان في كثير من الأحيان في ظروف قاسية يحتاج فيها إلى مساعدة المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، لكي يستطيع أن يواصل حياته بهدوء وسلام.

والأُخوّة الإيمانية هي التي تتكفل بالتراحم والتواصل بين الإخوة، ليكونوا بررة يبرّ بعضهم بعضًا، وهذا مبدأ مهم ينبغي أن يحظى بالبحث اللائق به. ونريد أن نتكلم في هذه المحاضرات اليومية في ست نقاط:

أولًا: تعريف الأُخوّة الإيمانية.

ثانيًا: أقسام الأُخوّة الإيمانية وأهميتها.

ما هي أقسام الأُخوّة الإيمانية؟. ولماذا تعد أهم من الأُخوّة النّسَبية؟، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥]، فالقرآن الكريم يقرر أنّ أقرب الناس إلى إبراهيم ليس هو ابنه النّسَبي، بل هم الذين اتّبعوه وساروا على نهجه وطريقه، وكان الرباط بينهم هو رباط العقيدة وليس رباط الدم، فرباط الدم ليس رباطًا اختياريًا، ولكن رباط العقيدة رباط اختياري، فأقرب الناس لإبراهيم هم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه.

ثالثا: حقوق الأُخوّة الإيمانية.

رابعا: جذور الأُخوّة الإيمانية.

خامسا: آثار الأُخوّة الإيمانية ومعطياتها.

سادسا: طرق تحقيق الأُخوّة الإيمانية، أي كيف نكون إخوة بررة للآخرين، وكيف نعقد الأُخوّة الإيمانية.

فهذه ست نقاط أساسية وستة محاور، سنحاول الحديث بها في هذا الشهر الفضيل.

٥. سورة آل عمران: الاية ٦٨.

المحور الأول

تعريف الأُخوّة الإيمانية

ماذا يعني الإيمان؟ وماذا يعني المؤمن؟ وما الفرق بين الإيمان والإسلام؟، إذ نقول: هذا مسلم، وهذا مؤمن، فما الفرق بينهما؟. قالوا: إن الفرق هو أن الإسلام يعني إظهار الانتماء إليه بالنطق بالشهادتين، بأن يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، وكل من ينطق بهاتين الشهادتين، فيشهد لله بالوحدانية، ويشهد للرسول بالرسالة، صار مسلمًا وترتبت له كل الحقوق التي قررها الإسلام للمسلم، وكذا كل من شهد له سلوكه بممارسة شعائر الإسلام كأداء الصلاة فهو مسلم، كمن كان من أتباع ديانة أخرى ولكنه حضر مع المسلمين ودخل المسجد وصلّى صلاتهم، وكان سلوكه الظاهري يدل على إسلامه، فهو مسلم وإن لم يسمعه أحد ينطق بالشهادتين؛ لأنّ الصلاة تتضمن في أجزائها النطق بالشهادتين.

أما الإيمان فهو ليس مجرد نطق للشهادتين باللسان أو أداء للصلوات، بل هو انتقال لهذا المعتقد من اللفظ إلى قناعة راسخة وإلى إذعان قلبي، أي ينبض القلب بالشهادة لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة. ويسمى المسلم حينما يكون هناك تصديق قلبي وإذعان روحي بالمؤمن.

ومن مستلزمات الإيمان بالرسول، التصديق بكل ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنها الإيمان والتصديق بولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فلا يكون المسلم مؤمنًا حقًا ما لم يكن قلبه ينبض بالولاء لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وعترتي»[٦]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، فقالوا: يا رسول الله وما الصلاة البتراء؟ فقال: الصلاة الخالية من الآل»[٧]. ومع ذلك نرى إصرار البعض على ترك الصلاة على الآل حتى عند قراءة هذا الحديث من على المنابر أو شاشات التلفاز. وهذا يعني عدم الإيمان الحقيقي بما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعدم وجود عقيدة قلبية وإذعان قلبي.

٦. بحار الأنوار ٢: ١٠٠، ٣٢٦، ٢٨٥، مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٤، ١٧.
٧. بحار الأنوار ٥: ٢٠٩، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٤.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٨).

الأعراب ليس جمع عربي، بل جمع أعرابي، وجمع العربي هو العرب، والأعراب يعني الناس البعيدين عن الثقافة الدينية، لأنّ من كان بعيدًا عن الثقافة الدينية يكون أشد كفرًا ونفاقًا، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ (٩). ولكننا نرى البعض يقول: أنتم العرب أشد كفرًا ونفاقًا، فهو يتوهم بأنّ الأعراب هم العرب، مع أنّه من الثابت والمعروف عند علماء اللغة أنّ الأعراب هم الناس الذين لا يملكون أي ثقافة دينية، وليس عندهم التزام بالدين، وليس لديهم فهم عن الدين، وليس المقصود بالأعرابي كل شخص يعيش في الصحراء، إذ من الممكن أن يعيش في الصحراء أناس وهم من المؤمنين أو من أوتادهم، كما أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠). ومما يؤكد هذا المعنى أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ (١١)، مع أنّ أهل المدينة ـ أي سكان يثرب ـ كانوا من العرب، ومع ذلك لم يسمّهم القرآن الكريم أعرابًا.

إذن فالأعراب ليس وصفًا لمنطقة جغرافية معينة، بل الأعراب وصف لمرتبة ثقافية، وعلى هذا فهو يشمل كل من كان ذا مستوى ثقافي متدنّ ولا يعرف شيئًا عن الثقافة والحياة المدنية، فيشمل العرب وغيرهم، ممن كان على نفس المستوى الثقافي كما أشار إليه أهل اللغة.

«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا»، نعم نطقتم بالشهادتين وأصبحتم بها مسلمين، وترتبت لكم كافة الحقوق التي شرعها الإسلام للمسلم، ولكن ما زالت مقاييسكم ونظرتكم للأمور جاهلية، إذ لا تستطيعون الرقي إلى المستوى الذي يؤهلكم إلى الفهم الصحيح والواقعي للحقائق التي جاء بها الإسلام، فمثلًا هذا أبو سفيان بعد فتح مكة واستسلامه مع من كان يقودهم من جيش الضلال والشرك، كان

٨. سورة الحجرات: الاية ١٤.
٩. سورة التوبة: الاية ٩٧.
١٠. سورة التوبة: الاية ٩٩.
١١. سورة التوبة: الاية ١٠١.

يقول للعباس بن عبدالمطلب وهما ينظران إلى جيش الإسلام الفاتح: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا) . فقال له العباس: (ويحك إنّها النبوة) [١٢]. فهو لم يستطع أن يرتقي بفهمه السقيم إلى إدراك حقيقة النبوة، بالرغم من طول مدة الصراع مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، التي استغرقت أكثر من عشرين عامًا، وكان ينظر إلى هذا الصراع على أنّه صراع من أجل السلطة والملك.

«ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم»، فأنتم أسلمتم ولكن لم يصل الإيمان إلى قلوبكم؛ لأنّ الإيمان هو تصديق بالقلب، وما زالت الشهادة التي نطقتم بها شهادة ادّعائية. وكذلك ما ندّعيه نحن أنّنا من أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فلا يكفي مجرد الكلام بأنّنا موالون لهم، بل يجب أن تكون قلوبنا معتقدة بذلك.

ولكن كيف يتسنى لنا أن نعرف ما في قلوب الآخرين، لنميّز بين المؤمن وغيره؟ وربما كان الإنسان نفسه لا يستطيع أن يعرف بشكل دقيق ما موجود في سويداء قلبه من حقيقة الإيمان؟ فهل هناك طرق يمكن من خلالها معرفة ما في القلب؟.

عن سماعة قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان. فقلت: صفهما لي؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، به حُقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان: الهدى، وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة»[١٣].

تتطرق هذه الرواية الشريفة إلى بيان الفرق بين الإسلام والإيمان، فتبيّن أولًا الحقوق القانونية للنطق بالشهادتين، التي منها: أن بها تُحقن الدماء، أي لا يستطيع أحد أن يعرّض حياة الناطق بها للخطر، كأن يُتهم بالارتداد، فيحفظ نفسه من القتل. ومنها: أنّه يصير مسلمًا، وعلى اعتناق الإسلام جرت المناكح، فإنّ غير المسلم لا يستطيع الزواج من المسلمة وبالعكس. ومنها: حصوله على الميراث، فإنّ ميراث المسلم لا يصل إلى غير المسلم. ومنها: أنّه على ظاهر الإسلام جمعت الناس، وعلى ظاهر الإسلام عموم الناس، وهو تعبير دقيق جدًا من الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وعلى ظاهره جماعة الناس»،

١٢. بحار الأنوار ٢١: ١٤، و مجمع الزوائد ٦: ١٦٤، والمعجم الصغير للطبراني ٢: ٧٥.
١٣. الكافي ٢: ٢٥، ح١.

أي أنّ الإسلام له ظاهر وله باطن، وظاهر الإسلام هو أنّ كل من قال (أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله) صار مسلمًا ظاهرًا، وحصل على كافة الحقوق القانونية للمسلم، ولكن باطن الإسلام وحقيقة الإسلام وحالة الإيمان لا تكون إلا بإذعان القلب، ومن لم يذعن قلبه فهو ليس بمسلم حقيقي، بل هو مسلم ظاهري يجري عليه حكم المسلمين من حقن الدماء والزواج والميراث وأحكام الإسلام الأخرى، ولكن المسلم الحقيقي يجب أن ينظر هل استقرت عقيدة الإسلام في قلبه، أو كان إسلامه مجرد لقلقة لسان؟.

وأما الإيمان فهو الهدى، أي أنّ القلب ينفتح ويتنور ويرى الطريق إلى الله تعالى والسلوك إليه، ويؤمن بهذه المفاهيم وهذه العقيدة، وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وعقيدة الإسلام التي نطق بها بلسانه، وحينئذٍ تثبت في قلبه ويؤمن بها ويعتقد بها، وما ظهر من العمل بها.

أما كيف يُعرف أنّ هذا مؤمن وذاك غير مؤمن، وكيف يُعرف ما في قلبه، فإن ذلك من خلال ما ظهر من العمل، فإنّ الإنسان إذا كان مقتنعًا بفكرة ما، فإنّ الدنيا بأجمعها لو وقفت ضده فسيقف ويتكلم بها ولا يخاف من الآخرين؛ لأنّه معتقد بها، فيقول هذه فكرة صحيحة ويدافع عنها، وحينئذ سيخافه الآخرون لأنّه أحب عقيدته، ولا يستطيع أن يقف في وجهه من يخلو قلبه من عقيدة، وسينهزم أمامه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١٤]، كيف تغلّبوا وهم قليل على فئة أكثر منهم عددًا؟. . غلبوهم لأنّ عندهم عقيدة، فهم يقاتلون حتى الموت معتقدين بأنّهم على الحق، وأنّ من يقابلهم على الباطل، بينما الطرف الآخر ليس له عقيدة، أو إنّ عقيدته ضعيفة، ولذلك ينبغي على المؤمن أن يظهر الإيمان في سلوكه وفي مواقفه وفي أعماله.

«والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة»، أي أنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر وزيادة، وهو ما ترسخ في القلب. بينما لا يشارك الإسلامُ الإيمانَ في الباطن، وحكم الإسلام لا يتطلب أكثر من الظاهر، ولكن الإسلام الحقيقي يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول وفي الصفة، وعلى كل واحد منهما يقال مسلم، ولكل منهما يقال إنّه يصلي، ولكن لصلاة المؤمن منزلة غير منزلة صلاة المسلم، وشتان بين الصلاتين، بين صلاة من باله مشغول بالدنيا وهو يصلي، وصلاة من توجّه بكل وجوده نحو الله

١٤. سورة البقرة: الاية ٢٤٩.

تبارك وتعالى، كصلاة علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أُخرج السهم من قدمه وهو في الصلاة من غير أن يشعر بذلك[١٥].

وعلى كل حال، فإنّنا لا نستطيع أن نكون مثل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكن الإيمان مراتب، وينبغي أن نحرص على الرقي في هذه المراتب خطوة فخطوة، لكي نستطيع التقدم إلى الأمام.

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٥. شرح إحقاق الحق ٨: ٦٠٢.

المحاضرة الأخلاقية الثانية
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأُخوّة الإيمانية، وذكرنا أن الحديث عن الأُخوّة الإيمانية يتطلب أن نقف عند معنى الإيمان حتى نعرف مِن هو المؤمن وكيف يمكن أن نبني علاقة ونجسّر علاقة مع هذا المؤمن ونحقق الأُخوة الإيمانية، وذكرنا أن الإيمان يختلف عن الإسلام؛ لأن الإسلام هو حالة ظاهرية، اعتبار الشخص مسلمًا قضية ترتبط بما يظهر منه، ما يبرز منه، فيكون قوله قول المسلمين، وأن يتلفظ الشهادتين، وأن يكون سلوكه سلوك المسلمين، يحضر في شعائر الإسلام، والناس تشاهده مع المسلمين في شعائرهم، وأما الإيمان فقلنا هو حالة الانتقال من الادّعاء، من اللفظ، من الظاهر، إلى الباطن، حيث القلب، وما يشير إليه القلب، وما يدلل عليه القلب، من إيمان جازم، وعقيدة راسخة، بما يتلفظ به ويجري على لسانه حينما ينبض القلب بحب الله (سبحانه وتعالى) والالتزام بتعاليم السماء وبالرسالات الإلهية، حينذاك يمكن أن نقول بأن هذا مؤمن.

فإذا كانت هناك ظواهر تصدر من الإنسان فهذا هو حكم الإسلام، وإذا كان هناك إذعان وجزم وتأكيد قلبي على هذه المفاهيم فيكون هذا هو الإيمان، وقلنا إن الإسلام

الحقيقي حاله حال الإيمان يجب أن يكون بالقلب وبالعقيدة، أما أن يخفي الإنسان شيئًا ويظهر شيئًا آخر فهذا لا يجعله مسلمًا حقيقيًا.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة التي يرويها الشيخ الكليني في الكافي عن حمران بن أعين، عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: الإيمان ما استقر في القلب، وأفضى به إلى الله (عز وجل)، وصدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حُقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج. . .»[١٦].

لقد تضمنت هذه الرواية الشريفة فقرات عدة في بيان ماهية الإيمان والإسلام، فبدأت أولًا في ذكر حقيقة الإيمان:

«الإيمان ما استقر في القلب»، أي أن الإيمان لا يكون إلا حينما تتحول الادّعاءات إلى إذعان قلبي يستقر في القلب.

«وأفضى به إلى الله عز وجل»، فالإيمان إذا استقر في القلب، ونبض بالطاعة لله عز وجل، فحينئذ يتوجه الإنسان نحو الله (سبحانه وتعالى). وأفضى به أي دفعه نحو الله جل وعلا.

«وصدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره»، أي أنّ من يقول إنّ القلب هكذا، فلا بُدَّ من أن يأتي بالتصديق والدليل والبرهان، والدليل هو الطاعة لله تعالى والتسليم لأمره، فلا يمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا، ولا يمكن أن يكون قلبه نابضًا بحب الله تعالى، وهو لا يطيعه، فمن يؤمن بالله (عز وجل) ويحبه، لا يكون في عمله معصية له وابتعاد عن طاعته، لأنّ الطاعة لله (سبحانه وتعالى) والتسليم لأمره يعدان أثرًا ونتيجة للإيمان، فمن كان مؤمنًا فلا بُدَّ من أن يظهر هذا الإيمان في سلوكه وفي طاعته لله (سبحانه وتعالى).

إذن فالعمل الصالح والطاعة لله تعالى يصدّقان دعوى الإيمان، وما أكثر من يدّعي أنّه مؤمن وقلبه ينبض بحب الله سبحانه وأنّ عنده إيمانًا وعقيدة قلبية، ولكنه لا يطيع الله سبحانه في ما أمر به، ولا ينتهي عمّا نهى عنه، فيفعل الحرام ويترك الواجب، ولا ترى عليه سمات الطاعة، إذ الطاعة كاشف ودليل وأثر من آثار الإيمان، فمن كان مؤمنًا ينبغي أن يكون أثر الإيمان في سلوكه وطاعته لله (سبحانه وتعالى) والتسليم لأمره.

---

١٦. الكافي ٢: ٢٦، ح٥.

والرواية طويلة، ولكن نأخذ مقطعًا من أواخرها، قال الإمام الباقر لهذا السائل: «وسأضرب لك مثلًا تعقل به فضل الإيمان على الإسلام»، أي أريد أن آتي لك بمثال لتبسيط الموضوع، لكي تستطيع أن تفهم الفرق بين الإيمان والإسلام، وهذا المثال هو: «أرأيت لو بصرت رجلًا في المسجد ـ ويعني به المسجد الحرام ـ أكنت تشهد أنك رأيته في الكعبة؟ قلت: لا يجوز ذلك. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فلو بصرت رجلًا في الكعبة أكنت شاهدًا أنّه قد دخل المسجد الحرام؟ قلت: نعم. قال: وكيف ذلك؟ قلت: إنّه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد أصبت وأحسنت. ثم قال: كذلك الإيمان والإسلام».

أي إذا رأينا شخصًا مسلمًا يدّعي أنّه يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فلا نستطيع أن نقول إنّ هذا مؤمن، ولكن إذا رأينا شخصًا مؤمنًا من خلال الطاعة والالتزام والسلوك، اكتشفنا أنّه مسلم قطعًا، إذ لا يمكن أن يكون مؤمنًا وهو ليس بمسلم، لأنّ الإسلام بوابة الإيمان، فإذن كل مؤمن مسلم، ولكن ليس كل مسلم مؤمنًا.

وهذا ما يؤكد أنّ الإيمان والعمل الصالح مقترنان دائمًا، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في كثير من آياته حينما قرن بينهما، كقوله كثيرًا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فالإيمان مقترن دائمًا بالعمل الصالح؛ لأنّه لا يمكن أن يكون الإيمان موجودًا وهو لا يعطي ثماره، فهو شجرة مثمرة، فالنخلة لا تكون مثمرة إلا إذا رأينا الرطب أو التمر فيها، وهكذا الإيمان لا يكون إيمانًا حقيقيًا إلا إذا كان فيه آثار وثمار، وثمرته هي العمل الصالح.

من هذا يتبين أنّ هناك علاقة بين الإيمان والعمل الصالح، فثمرة الإيمان هي العمل الصالح، والعمل الصالح يكشف عن وجود الإيمان، فننتقل من الإيمان إلى العمل الصالح، وننتقل من العمل الصالح إلى الإيمان، فالعمل الصالح من ناحية هو ثمرة ونتاج وأثر، ومن ناحية أخرى هو طريق وكاشف عن الإيمان، وهذه هي العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح.

لاحظوا هذه الرواية في الكافي أيضًا، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من أروع ما وصف به الإسلام الحقيقي، فإذا سألك شخص ما الإسلام؟ ولماذا أنت مسلم؟ وما الدليل على أنّك مسلم؟ فهذه الرواية التي لخّص فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيقة الإسلام هي خير جواب عن هذه التساؤلات، وإذا استطعنا أن نحفظ مفاهيمها فحينها نكون قد لخّصنا الإسلام برؤية متكاملة جامعة مانعة.

سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن صفة الإسلام، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى شرع الإسلام، وسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه لمن حاربه، وجعله عزًّا لمن تولاه، وسلمًا لمن دخله، وهدى لمن أئتم به، وزينة لمن تجلّله، وعذرًا لمن انتحله، وعروة لمن اعتصم به، وحبلًا لمن استمسك به، وبرهانًا لمن تكلم به، ونورًا لمن استضاء به، وعونًا لمن استغاث به، وشاهدًا لمن خاصم به، وفلجًا لمن حاجّ به، وعلمًا لمن وعاه، وحديثًا لمن رواه، وحكمًا لمن قضى، وحلمًا لمن جرّب، ولباسًا لمن تدبر، وفهمًا لمن تفطن، ويقينًا لمن عقل، وبصيرة لمن عزم، وآية لمن توسم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدّق، وتؤدة لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وثقة لمن توكل، ورخاء لمن فوّض، وسبقة لمن أحسن، وخيرًا لمن سارع، وجنة لمن صبر، ولباسًا لمن اتقى، وظهيرًا لمن رشد، وكهفًا لمن آمن، وأمنة لمن أسلم، ورجاء لمن صدق، وغنى لمن قنع، فذلك الحق، سبيله الهدى ومأثرته المجد وصفته الحسنى، فهو أبلج المنهاج مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النقمة، كامل العدّة، كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه، والصالحات مناره، والفقه مصابيحه، والدنيا مضماره، والموت غايته، والقيامة حلبته، والجنة سبقته، والنار نقمته، والتقوى عدّته، والمحسنون فرسانه، فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمّر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تُختم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة، وبالقيامة تُزلف الجنة، والجنة حسرة أهل النار، والنار موعظة المتقين، والتقوى سنخ الإيمان»[١٧].

في هذه الرواية الشريفة يسأل ابن الكواء ـ وهو من رجالات الخوارج ـ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق. ونرى فيها كيف يتعامل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مع عدوه، هل يقول له اذهب عن وجهي من أنت حتى تسألني، أو هل يعطيه جوابًا ينم عن عدم الاكتراث والاهتمام؟ كلا، فعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ حجة الله في الأرض، وينبغي أن يعطيه الجواب الأكمل الذي يكون حجة بالغة عليه يوم القيامة، فأعطاه عصارة الإسلام، وهو الحل والوصفة التي يستطيع بها النجاة؛ لأنّ عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس لديه عداوات أو ثأر شخصيّ، وليس عنده تشفٍّ أو حقد، بل هو ناصح غاية النصيحة حتى لعدوه، لعله يأخذ بها ويصير مسلمًا حقيقيًا ويرجع إلى طريق الهداية.

١٧. الكافي ٢: ٤٩، ح١.

وفي هذا درس عظيم لنا، نتعلم منه كيف يجب علينا أن نتعامل حتى مع عدونا، فنرشده إلى الطريق لعله يهتدي، وما أكبر أن يهدي الله تعالى عدوك على يديك، وترشده إلى الطريق الصحيح، فلا ضير أن تعلّم خصمك كيف ينجو من عذاب الآخرة، بل هذه هي مهمة الأنبياء الذين بُعثوا من أجلها.

ومن هذا الموقف لسيّد الموحدين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ نتعلّم أيضًا أن نعلّم منافسينا كيف ينجحون، ولا نخشى أن يحصلوا في المستقبل على الأصوات، لأنّنا ليس لدينا مشكلة مع الناجحين؛ لأنّ في هذا نجاحًا لمشروعنا أيضًا، وهو بناء البلد، فليس المهم أن يُبنى بأيدينا أو بأيدي منافسينا، وليس المهم أن ننجح نحن، بل المهم أن ينجح المشروع، وليس المهم أن يصير فلان محافظًا أو وزيرًا، بل المهم أن يُبنى البلد، فإن تمّ ذلك على أيدينا فالحمد لله، وإن تمّ على أيدي غيرنا وكنّا نحن من علّمه ونحن من ساعده ودعمه، فهذا أيضًا نوع من النصر لنا في أن ينجح مشروعنا ولو على يد غيرنا، فلا تقلقوا من الناجح، ولا تخشوا ممن يعمل بشكل صحيح، وعلينا أن نصفّق للعمل الصالح والعمل الناجح، ونشكر أصحابه ولو كانوا من الآخرين. كن أنت كبيرًا وقويًا، وهذا هو منهج علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما يجيب ابن الكواء بواحد من أشمل وأوضح الأجوبة في حقيقة الإسلام.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما بعد»، وعندما يقول «أما بعد»، فمعنى ذلك أنّ هذه خطبة يخطبها، أي أنّ ابن الكواء عندما سأله فقد سأله في المسجد أمام جمع من الحاضرين، وعلى مرأى ومسمع من الناس، فالحديث وإن كان جوابًا عن سؤال ابن الكواء، ولكنه كان خطابًا لعامة المسلمين.

«فإنّ الله تبارك وتعالى شرّع الإسلام»، فالله تعالى أرسل لنا رسالة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[18].

«وسهّل شرائعه لمن ورده»، يعني أنّ الله تبارك وتعالى قد جعل الإسلام دينًا يسيرًا ليس فيه تكاليف معقدة وشاقة لمن يدخل فيه، لأنّه أراد أن يخفف عن عباده.

«وأعزّ أركانه لمن حاربه»، أركان الإسلام عزيزة قوية منيعة، أقوى من أن ينالها الأعداء مهما حاولوا أن يدخلوا فيه الوهن والضعف، فكان الإسلام خلال هذه القرون المتمادية

١٨. سورة الشورى: الاية ١٣.

كالكتلة الكونكريتية، لا تنهار أمام الأعداء، فكم من المفكرين والعلماء جاؤوا وأرادوا أن يجدوا ثغرة ليهدموا الإسلام، فلم يستطيعوا وباءت جهودهم بالفشل الذريع، وقد تحداهم القرآن الكريم بأن يأتوا ولو بسورة من مثله، فلم يستطيعوا بالرغم من مرور ألف وأربعمائة سنة، بل إنّ كل من حاول أن يأتي ولو بآية واحدة، أذلّه الله (سبحانه وتعالى) إذلالًا كبيرًا، إذ أتى بكلمات أصبحت موردًا للفكاهة والتندر.

وهكذا جعل الله تبارك وتعالى أركان الإسلام عزيزة، فاعتزوا بدينكم واعقلوه، واعلموا أنّ أعداء الإسلام لا يستطيعون أن ينالوا من الإسلام شيئًا.

«وجعله عزًا لمن تولاه»، أي أنّ الذي يتولى الإسلام وينتمي إليه يصبح عزيزًا بعزة الإسلام، لأنّه حصن حصين لمن دخل فيه، والمنتمي إليه يكون كالجبل الأشم، فارفعوا رؤوسكم عاليًا وافتخروا بانتمائكم إلى الإسلام، لأنّكم أعزاء بعزة الإسلام.

«وسلمًا لمن دخله»، الإسلام دين السلام والمحبة، والذي يدخل الإسلام يكون في أمان وسلام من أن يناله الأعداء بسوء؛ لأنّ الإسلام يوفر له الحماية اللازمة.

«وهدى لمن ائتم به»، الائتمام يعني التبعية، فمثلًا نسمّي من يُقتدى به في صلاة الجماعة إمام الجماعة، أي عندما يركع يركع المأمومون وراءه، وعندما يرفع رأسه من الركوع يرفع المأمومون رؤوسهم أيضًا، وهكذا في جميع أفعال الصلاة، فالائتمام يعني التبعية، فالذي يطيع ويلتزم بتعاليم الإسلام يحصل على الهداية، ويصل إلى الله (سبحانه وتعالى).

«وزينة لمن تجلّله»، أي أن الذي يرتدي ثقافة الإسلام ويطبقها في وجوده، تكون زينة يتزيّن بها، فيقال انظروا إلى هذا المسلم في صدقه ووفائه وإيثاره وعلاقته مع الآخرين. وهكذا في جميع تعاليم الإسلام الأُخرى، فهي زينة يتزين بها الإنسان.

«وعذرًا لمن انتحله يوم القيامة»، فإنّ المسلم حين يُسأل يوم القيامة: لماذا فعلت هذا، يقول: الله أمرني بذلك، فمن أخذ برسالة الإسلام كفاه ذلك عذرًا عند المساءلة.

«وعروة لمن اعتصم به»، فتمسكوا بالإسلام؛ لأنّه الملاذ الذي ينجينا يوم لا نجاة إلا به.

«وحبلًا لمن استمسك به»، وهو الحبل الذي من تعلّق به نجا، فالإسلام هو المنجي والمنقذ للإنسان.

«وبرهانًا لمن تكلم به»، فمن يفهم الإسلام بشكل صحيح، فستكون الحجة القوية دائمًا بيده؛ لأنّ البرهان والدليل عنده يستدل به ويحاجج الآخرين بهذا الإسلام.

«ونورًا لمن استضاء به»: الإسلام نور يهدينا ويدلنا على الطريق، فهو الجواب لكل سؤال، وهو الحل لكل معضلة.

«وعونًا لمن استغاث به»: أي حين يتعرض الإنسان إلى مشكلة وملمة، يستطيع أن يستغيث بالإسلام وسيجد الحل لمشاكله.

«وشاهدًا لمن خاصم به»: أي إذا دخل الإنسان في خصومة مع الآخرين، فالمفاهيم الإسلامية هي التي تجعله ينتصر في هذه المعركة الفكرية.

«وفلجًا لمن حاج به»: أي هو المخرج لمن يحاجج به، فمن كان يستند إلى الدليل الإسلامي وإلى رؤية الإسلام وفهم الإسلام في الأمور، يتغلب على من يحاججه.

«وعلمًا لمن وعاه»: يعني أنّ الإنسان إذا وعى الإسلام وفهمه وتعرّف عليه، فهو علم يمكن أن يلوذ به.

«وحديثًا لمن روى»: يعني أنّ الإسلام هو أحسن الحديث لمن يريد أن يتحدث، وهل هناك أفضل من مفاهيم الإسلام يُتكلم بها. إن أحاديث مجالسنا اليوم في الأعم الأغلب أحاديث غير نافعة، ونستغرق في تفاصيل لا تسمن ولا تغني من جوع، والبعض يعبّر عن هذه الساعات الثمينة التي يقضيها من عمره بقتل الوقت، فلماذا لا نفكر في إنقاذ أنفسنا وأعمارنا من هذه الأحاديث الفارغة، والاستفادة بشكل مثمر ومنتج في تنمية طاقاتنا وقابليتنا وتسليح أنفسنا بأنواع العلوم والفنون، فإنّ هذا العمر فرصة ينبغي استثمارها بالشكل الصحيح، فإنّ الفرص تمر مر السحاب. وما أجمل أن تكون أحاديثنا أحاديث الموعظة والنصيحة، فالحديث المفيد هو الحديث الذي يريده الإسلام في كل الأمور النافعة.

«ويقينًا لمن عقل»: أي من يعقل ويتدبر الإسلام يصل إلى حالة اليقين والقطع والجزم، ويصبح عنده وضوح كامل عن الماضي والحاضر والمستقبل، وكان الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يصف أصحابه بأنّهم أهل البصائر، وصاحب البصيرة تكون عنده رؤية واضحة، فلا تغره الأموال ولا المناصب ولا الجاه، فلا شيء يثنيه عن بلوغ هدفه مهما كانت التحديات.

«وحكمًا لمن قضى»: الإسلام هو الحكم في الخصومات والمنازعات، ففي الموارد التي نحتاج فيها إلى القضاء يجب أن نرجع إلى الإسلام ونأخذ الحكم منه.

«وحلمًا لمن جرّب»: فمن جرّب الإسلام ازداد صبرًا وحلمًا تجاه الأُمور المختلفة، ومن لم يكن لديه علم وفهم عميق للأُمور لا يستطيع أن يصبر.

«ولباسًا لمن تدبر»: الإسلام هو اللباس الساتر والواقي لمن تدبره وعقله، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[١٩]، فهو جلباب لمن ينظر إليه نظرة عميقة، ولكن البعض منّا ينظر إلى الإسلام نظرة خاطفة ونظرة قشرية وسطحية، فلا يأخذ من الإسلام إلا رسمه وشكله، ويقتصر على بعض المظاهر العامة، ولكن هناك من يتعمق فيه، فمثلًا من المهم جدًا أن نعرف لماذا هذا واجب وذاك حرام؟، ولماذا هذا مستحب وذاك مكروه؟، فمعرفة الأسباب وراء الأحكام هي من التدبر فيه.

«وفهمًا لمن تفطّن»: الإسلام يعطي فهمًا ولكن لمن يتفطن، والفطنة هي الذكاء، فالذي ينظر نظرة متفطنة وذكية لمفاهيم الإسلام، يرزقه الله تعالى الفهم.

«وبصيرة لمن عزم»: أي من كانت لديه العزيمة، فالفهم الإسلامي الصحيح يمنحه البصيرة.

«وآية لمن توسم»: الإسلام إذا توسّم فيه الإنسان وأخذ منه الرؤية العميقة والصحيحة، فسيكون له الآية والدليل لكل شيء في هذه الحياة.

«وعبرة لمن اتعظ»: أي أنّ فهم الإسلام هو أفضل عبرة وموعظة لمن يتعظ.

«ونجاة لمن صدّق»: التصديق بالشيء بمعنى الأخذ به والعمل به، أي من عمل به نجا.

«وتؤدة لمن أصلح»: التؤدة هي الرزانة والتأني، ومن يصلح أمره على أساس الإسلام، يحصل على حالة الرزانة والتأني والدراية والموقف الحصين والحكيم.

«وزلفى لمن اقترب»: الإسلام هو القربى لمن اتخذه قرينًا له، وعندها سيشعر صاحبه بالقرب من الله (سبحانه وتعالى).

«وثقة لمن توكل»: فمن توكل على الله تعالى انطلاقًا من فهم إسلامي صحيح، فسيحصل على حالة الشعور بالثقة والاطمئنان، وهو شعور بالعزة وقوة القلب، فلا يستحي معها أنّه مسلم، وإن كان الجميع ممن يحيطون به من لون آخر وعقيدة أُخرى.

«ورخاء لمن فوض»: من يسلم فقد فوض أمره إلى الله ـ والإسلام هو التسليم ـ

---

١٩. سورة الأعراف: الاية ٢٦.

وسيحصل عند ذلك على حالة من الاستقرار والرخاء والراحة النفسية، أي ما دام الإسلام قد أمرك بكذا، فاغمض عينيك وامشِ وراءه واتّبع سبيله ولا تنحرف عن طاعته، وستشعر بالراحة والطمأنينة.

«وخيرًا لمن سارع»: فالإسلام خير لمن يبادر بتنفيذ أوامره، ولا يتلكأ ويتباطأ في الاستجابة له، فإذا أذّن المؤذن لا يتكاسل عن أداء الصلاة بأي عذر كان، وهكذا في جميع الأمور التي يطلبها منه الإسلام أو ينهاه عنها. فالمسارعة إلى الخيرات هي التي تهب الخير والبركة لصاحبها.

«وسبقًا لمن أحسن»: من يُحسن العمل ويُحسن الالتزام يسبق الآخرين ويتقدم عليهم، وقد حذّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته قبيل استشهاده من أن يسبقنا الآخرون من غير المسلمين إلى العمل بما جاء به القرآن الكريم حين قال: «الله الله في القرآن أن يسبقكم بالعمل به غيركم»[٢٠]، وهذا الذي حصل بالفعل، فقد سبقنا الغرب اليوم إلى العمل بتعاليمه السامية في الاتقان والالتزام بالمواعيد والصدق وعدم الغش في صناعاتهم، وصرنا نفضّل منتجاتهم على منتجات بلاد المسلمين بسبب جودتها، فهذا النظام الدقيق الذي سار عليه الغرب في تنظيم حياته الاقتصادية قد جاء به الإسلام، وأمرنا به على لسان أوليائه، فقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى وصاياه: «أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم»[٢١]، ولكننا تركنا ذلك وراء ظهورنا وانشغلنا بالسير وراء الظَلَمَة والتصفيق لهم التماسًا لبقايا موائدهم وحطام دنياهم.

إننا اليوم في العراق صرنا نبحث عن شركات غربية لتنفيذ مشاريعنا العمرانية وإن كانت أعلى كلفة، لما تتميز به من الاتقان والجودة، أليس الاتقان مفهوما إسلاميا، ألم يرد في النصوص الشرعية عن المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قولهم: «إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»[٢٢]، فلماذا تركنا الاتقان في أداء أعمالنا وصرنا نكتفي بإنجازها كيفما كان؟. وهناك كلمة تُنسب إلى السيد جمال الدين الأفغاني أو إلى تلميذه الشيخ محمد عبده عند زيارته لباريس مطلع القرن العشرين يقول فيها: رأيت في بلاد المسلمين مسلمين بلا إسلام، ورأيت في بلاد الغرب إسلاما بلا مسلمين. إنّ كل نقطة قوة تسجل اليوم للغرب هي من مفاهيم الإسلام التي أخذوها منّا وتقدموا علينا بها.

---

٢٠. الكافي ٧: ٥١، من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩٠.
٢١. نهج البلاغة ٣: ٧٦ الرقم ٤٧.
٢٢. مجمع الزوائد ٤: ٩٨.

«وجُنة لمن صبر»: والإسلام بعد ذلك جُنة لمن صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية.

«ولباسًا لمن اتقى»: الإسلام هو اللباس الذي يستر من تدّين به عن التعرض للمعاصي والآثام.

«وظهيرًا لمن رشد»: حالة الرشد وحالة العقلنة إذا فهمناها وطبقناها بشكل جيد، فسيكون الإسلام ظهيرًا لنا، أي هو من يساعدنا على بلوغ هذه الدرجة.

«وكهفًا لمن آمن»: يلوذ الإنسان بالكهوف عندما يتعرض للخطر ليحمي نفسه، وكذلك الإسلام كهف للمؤمن، ليحمي نفسه من خطر الذنوب والمعاصي. ولكن ليس الإسلام الذي هو مجرد كلمات ينطق بها الإنسان، لتتحقق له كل تلك المزايا، بل المقصود به الإيمان القلبي.

«وأمنة لمن أسلم، ورجاء لمن صدّق»: إذا صدق الإنسان في التعاطي مع الإسلام، فهو رجاء لمن يرجو النجاة.

«وغنى لمن قنع»: إذا توفرت عند الإنسان حالة القناعة، توفرت لديه بشكل تلقائي حالة الغنى، وهذه حالة مهمة وغريبة ملفتة للنظر، فهناك مثلًا ملياردير عندما يُسأل عن الأوضاع في هذه الأيام، تراه يتظلم ويشتكي من الركود والكساد وقلة الأرباح، ولو وُجّه هذا السؤال لآخر فقير يعيش الكفاف، تجده يحمد الله تعالى ويشكره؛ لأنّ عنده قناعة فيشعر بالغنى، وذاك عنده جشع فلم تغنه المليارات.

رأيت اليوم في بعض الصحف صور أثرى عشرة رجال في التأريخ الإنساني، وكان أحد هؤلاء معمر القذافي في المرتبة السادسة أو السابعة، وكان يملك ١١٥ مليار يورو، وهي تمثل العقارات والممتلكات فقط التي تملكها أسرة القذافي في العالم، وهي بحدود ٢٠٠ مليار دولار، في حين كان الشعب الليبي يتضور من الجوع ويعيش في الخيم في الصحارى، ولو أنّه وزّع هذه الثروة الطائلة بين أبناء شعبه لكانوا جميعًا أثرياء، ولتمسكوا به وبأولاده من بعده ولم يذهب الحكم من أيديهم، فماذا نفعته هذه الأموال اليوم؟ وأين مصيره ومصير عائلته؟. إنهم اليوم بين مقتول شر قتلة ومشرد في البلدان.

فالشعور بالغنى لا يتحقق إلا لمن يؤمن بالإسلام حقيقة، لا مجرد ادّعاء أو انتماء، وهذا هو الإسلام، وهذا هو الحق، وهذه هي صفاته وسماته وملامحه، وإذا ما استطعنا

أن نوجده في أنفسنا، فسيكون حصنًا لنا ورجاء لكل ما نتمناه. وحينئذ لن يكون فقدان أي شيء خسارة لنا ما دمنا متمسكين بالإسلام، وستكون دنيانا مرتبة، وآخرتنا مضمونة.

إنّ مرتبة الشعور بالغنى تولّد شعورًا بالعزة والقوة والمنعة، وسيشعر الإنسان في ظلها بالراحة النفسية؛ لأنّ كل ما يريده في هذه الدنيا سيحصل عليه.

«سبيله الهدى»: أي طريقه الهداية.

«ومأثرته المجد»: إنّ مآثره هي المكرمة، فالإنسان عندما يعمل بهذه الطريقة ويلتزم بالإسلام سيصِل إلى المجد، فما زلنا إلى اليوم نذكر بكل اعتزاز الشيخ المفيد والشيخ الكليني، ولا أريد أن ذكر أسماء الأئمة لئلا يقول قائل هؤلاء أئمة معصومون، ونقول الشيخ الكليني والشيخ المفيد والعلاّمة الحلي لأنّهم أفراد مثلنا غير معصومين، ولكن خلدهم التأريخ لأنّهم تمسكوا بالإسلام الحقيقي وكانوا مؤمنين حقًا.

«وصنعته الحسنى»: إذا ما تمسك الإنسان بالإسلام، فإنّ جميع ما سيصدر عنه من أفعال ستكون دائمًا على مستوى عال من الإحسان، فيكون فعله الخير وجميع ما يأتي به من قول أو فعل طيبا، حتى يقال عنه: إنّه لا يؤذي نملة فكيف يؤذي بشرًا؟، كما نسمع هذا في وصف بعض الناس، ويكون كله خيرا، صمته ونطقه، قيامه وقعوده، سكونه وحركته.

«فهو أبلج المنهاج»: يعني أنّ الإسلام واضح الطريق، بل هو أوضح الطرق إلى الله (سبحانه وتعالى) وإلى العمل الرسالي الإسلامي.

«مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المضمار، يسير الملاذ، جامع الحلبة»: الحلبة هي المكان الذي يجمعون فيه الخيل استعدادًا للسباق.

«سريع السبقة»: يعني أن فرص الفوز وإحراز التقدم أمامه مفتوحة. إذن ليس المشي في طريق الإسلام بالطريقة التي يرغب فيها من يريد المشي، بل يجب أن يتقيّد بالطريق والمنهج الذي حدده الإسلام. وهنيئًا لمن سار في طريق الإسلام وعقد العزم على المضي فيه إلى آخر المطاف.

«أليم النقمة»: شديد العذاب لمن تخلف عن السير فيه، فليس أمام الإنسان خيار آخر للنجاة، فإما أن يركب في هذه السفينة التي من ركبها نجا، أو يختار عدم الركوب ويبقى في الساحل، وسيأتيه الموج من كل مكان فيغرق؛ لأنّ من تخلف عن هذه السفينة غرق وهوى.

«كامل العدة، كريم الفرسان»: أي من يلتزم بتعاليم الإسلام فهو أكرم ذوي الفروسية والرجولة والمروءة.

«فالإيمان منهاجه»: أي أنّ منهاج الإسلام هو الإيمان، وهو الإذعان القلبي، فهذا هو الإسلام الحقيقي.

«والصالحات مناره»: أي أنّ العمل الصالح هو المعلم العالي الذي يميزه؛ لأنّ المنارة هي التي يعرف بها المسجد من بعيد.

«والفقه مصابيحه»: أي أنّ الأحكام الشرعية هي عيون ومصابيح من يلتزم بالإسلام، فتفتح له الطريق وتبين له أن هذا حرام وهذا حلال.

«والدنيا مضماره»: أي أنّ الدنيا هي مساحة حركته، فإذا ما مات الإنسان انقطع عمله، وليس هنالك فرصة أخرى أمامه.

«والموت غايته»: أي أنّ نهاية المطاف هي الموت.

«والقيامة حلبته»: والقيامة هي المكان الذي تظهر فيه نتائج المسابقة.

«والجنة سبقته»: نهاية الخط للمتسابقين هي الجنة.

«والنار نقمته»: وأما من لم يدخل حلبة السباق مع المتسابقين إلى الجنة، فستكون النار مأواه.

«والتقوى عدته، والمحسنون فرسانه»: المحسنون هم الذين يأخذون بتعاليم الإسلام، وهم فرسان هذه المسابقة الذين ستكون لهم الغلبة.

«فبالإيمان يستدل على الصالحات»: أي أنّ الصالحات هي أثر الإيمان، ومن خلال الإيمان نعرف أو نستدل على وجود الصالحات.

«وبالصالحات يعمر الفقه»: أي بالعمل الصالح يعمر الفقه؛ لأنّ الفقه هو واجب وحرام ومستحب ومكروه ومباح، فمن عمل صالحًا فقد أحيا الفقه. سُئل أحد المراجع كيف ندخل الجنة؟ فرفع رسالة عملية وقال لهم: في هذه الواجب والحرام والمستحب والمكروه، فاعملوا بالواجبات واتركوا المحرمات، وستدخلون الجنة ولا تحتاجون إلى شيء آخر.

«وبالفقه يُرهب الموت»: هناك أناس يخيفهم الموت، وهناك أناس يخيفون الموت،

كما قالها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في عاشوراء: «أ بالموت تخوفني»[٢٣]، وكما قالها ولده علي بن الحسين (عليهما السلام) في الطريق إلى كربلاء عندما قال والده الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رأيت هاتفًا يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة. فقال له ابنه علي بن الحسين: إذن لا نبالي»[٢٤]، هؤلاء هم أهل الحق لا يخافون الموت، بل هم يُرهبون الموت.

«وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تجوز القيامة»: أي انّ الطريق إلى القيامة يكون عبر الدنيا، ولذا ينبغي أن نعمل فيها بشكل صحيح، ليكون مصيرنا في يوم القيامة إلى الجنة لا إلى النار.

«وبالقيامة تُزلف الجنة، والجنة حسرة أهل النار»: إنّ أحد موارد العذاب الإلهي في جهنم، أنّ الله (سبحانه وتعالى) يأمر بأن يُفتح باب لأهل جهنم ينظرون من خلاله إلى أهل الجنة وهم يتنعمون بألوان النعم، لكي يعرفوا ما عليه أهل الجنة من النعيم الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن، فيزداد أهل جهنم حسرة على فوات تلك النعم عليهم، وكذلك لينظر أهل الجنة من خلال هذا الباب فيروا ما عليه أهل جهنم من صنوف العذاب الذي لا يُطاق، فيحمدوا الله تعالى أنّهم لم يكونوا من أهلها.

«والنار موعظة المتقين»: فالمتقي يتعظ من النار.

«والتقوى سنخ الإيمان»: أي أنّ أصل الإيمان هو التقوى، وقد ورد في غرر الحكم عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «يُستدل على الإيمان بالتسليم ولزوم الطاعة»[٢٥]؛ لأنّ كلًا منهما يشير إلى الآخر، فالإيمان يرشد إلى العمل الصالح، والعمل الصالح ينبئ عن الإيمان لأنّه ثمرته ونتاجه.

وهذا ما جاء في كلام آخر لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الإيمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه»[٢٦]، فالأخوان التوأمان يشبه أحدهما الآخر حتى يصعب التمييز بينهما، فكذلك الإيمان والعمل الصالح لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه، فصاحب الإيمان لا يُقبل منه ما لم يقترن بالعمل الصالح، وكذلك صاحب العمل الصالح لا يُقبل منه ما لم يقترن بالإيمان، فإذا كنا نتحدث عن

٢٣. بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٨.
٢٤. مثير الأحزان: ٣٢.
٢٥. غرر الحكم: ح ١٣٦٠.
٢٦. غرر الحكم: ١٥١.

أُخوّة إيمانية، وأوضحنا معنى الإيمان، فهذا الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح، ومن هنا سنعرف كيف ننتقل من الإيمان إلى الأخوّة الإيمانية.

وهو ما سنتحدث عنه في اللقاء القادم، إن شاء الله تعالى، والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية الثالثة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن موضوع الأُخوّة الإيمانية، وذكرنا أن أُول الأبحاث في هذا الموضوع هو تعريف الأُخوّة الإيمانية، لا بُدَّ أن نعرف من هو المؤمن حتى نؤاخيه ونتواصل معه ونبني علاقة طيبة معه، وهذا ما جرَّنا للحديث عن الإيمان، ومعنى الإيمان، وحقيقة الإيمان، وذكرنا أن الإيمان هو أن تنتقل المعتقدات من ادّعاء في اللفظ والظاهر إلى إذعان في القلب، حينما يذعن القلب بالمفاهيم والمعتقدات الصحيحة حينذاك يكون الإنسان مؤمنًا.

أما صرف التلفظ بالشهادتين أو القول بأن هذا الإنسان مؤمن يتلفظ ذلك ولم يصل إلى قلبه فهذا هو الإسلام، وقلنا لا نعني بالإسلام الإسلام الحقيقي، وإنما حكم الإسلام، حكم الإسلام ينطبق على من يتلفظ بالشهادتين، ولكن حتى الإسلام الحقيقي لا يكون إلا بالإيمان، الإسلام الحقيقي حينما يُذعن القلب وينبض القلب بحب الله (سبحانه وتعالى) وبالقيم والمبادئ والمُثُل التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، فمن يدّعي الإسلام ولا يكون إسلامه حقيقيًا وإنما هو إسلام ظاهري، فمثل هذا الإنسان يعيش حالة النفاق؛ لأنه يُظهر شيئًا ويُبطن شيئًا آخر، قلبه يقول شيئا آخر، وهذا ما يوصلنا إلى نتيجة أن الإسلام إما أن يكون إسلامًا حقيقيًا وهذا يتطلب الإيمان، وإما أن يكون

إسلامًا ظاهريًا وهذا ما يوقع الإنسان في النفاق، فيكون الإنسان منافقًا والعياذ بالله، إذن ليس لدينا حالة وسط، إما أنت مؤمن أو منافق، هذه هي النتيجة التي نصل إليها من خلال استعراض حقيقة الإيمان، وقلنا لما كان الإيمان اعتقادًا قلبيًا دائمًا يجب أن يقترن بالعمل، العمل من ناحية ثمرة من ثمار الإيمان، من يعتقد بالإسلام بقلبه فمن الطبيعي أن يُعبّر عن هذا الاعتقاد بسلوكه وعمله، فالعمل الصالح هو ثمرة ونتاج وأثر من آثار الإيمان، وهو في الوقت نفسه دليل وكاشف وبيِّنة وآية وإمارة عن الإيمان، فالعمل الصالح يكشف عن الإيمان، والإيمان يوصل إلى العمل الصالح، ويثمر العمل الصالح، فبالتالي الإيمان والعمل الصالح مقترنان دائمًا، ولا ينفصلان.

لاحظو في غرر الحكم في الصفحة (١٥١) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : (الإيمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان)، والتوأمان يكونان دائمًا متلاصقين في المنشأ أيضًا، أي في اليوم نفسه الذي تنبثق فيه نطفة الأول تنبثق فيه نطفة الثاني، وكذلك في الولادة وإن تأخر الثاني عن الأول بضع ثوان أو دقائق، وبالإضافة إلى كونهما توأمين فهما رفيقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه. ولا يخدعن الشيطان بعضكم كما خدع آخرين، أو تسول لك نفسك أنك ما زلت شابًا في مقتبل العمر وأمامك فسحة كبيرة من السنين، فبادر إلى الموبقات واللذات وافعل ما تشتهيه نفسك، ثم تُب إلى الله في آخر عمرك، فالمهم أن يكون القلب نظيفًا ويكفي أن لديك إيمانًا، وعلى الشاب أن يتأمل في مثل هذا الكلام التافه ويزنه بعقله؛ فأولًا: من يضمن أن العمر سيستمر بالشاب إلى أن يكون شيخًا، ونحن نرى من حولنا كم من الناس يتوفون وهم في سن الشباب. وثانيًا: ما الضمان على أن الإنسان يوفّق للتوبة عندما يتقدّم به العمر، ومن شبّ على شيء شاب عليه كما يقولون. وثالثًا: كيف يمكن أن يبقى القلب نظيفًا بعد أن يغرق صاحبه في الحرام، إذ كل ذنب يرتكبه الإنسان يترك في قلبه نقطة سوداء تتسع كلما تكررت الذنوب، حتى لا تبقى فيه نقطة بيضاء، ويصدّق ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٢٧].

وكذلك لا ينفع العمل الصالح بلا إيمان يستند إليه؛ أي يفعله قربة إلى الله تعالى واستجابة لما أمر، وإلا كان هباءً منثورًا لا قيمة له ولا يباركه الله تعالى ولا يتقبله منه، كمن يعمل رياء وسمعة من أجل أغراض دنيوية. فلا يمكن أن يتحقق عمل صالح بلا إيمان، مثلما أنّ وجود العمل الصالح لله هو دليل على وجود الإيمان في قلب الإنسان،

٢٧. سورة المطففين: الاية ١٤.

ومعنى اقتران الإيمان والعمل الصالح هو أنّه ما إن ينبض قلب الإنسان بالإيمان، حتى يظهر على جوارحه العمل الصالح.

لاحظوا هذه الرواية اللطيفة التي يرويها العلامة الأميني في موسوعته «الغدير»، عن أبي ذر الغفاري أنّه سمع بظهور نبي في مكة، فأرسل أخاه ليستطلع له خبره، من هو؟ وما سماته؟ وإلى ماذا يدعو؟ فذهب أخوه إلى مكة وبعد أيام رجع إليه وأخبر أبا ذر بما رأى وسمع، ولكن أبا ذر لم يقتنع فقرر الذهاب بنفسه إلى مكة ولقاء هذا النبي، وهكذا يبحث صاحب الفطرة السليمة عن الحق أينما كان، ولم يقل أبو ذر ـ كما يقول أكثر الناس ـ لأنتظر إلى أن تصل دعوة هذا النبي لنا ويعرض حجته علينا ثم نرى رأينا.

تقول الرواية: عندما وصل أبو ذر إلى مكة متخفيًا حذرًا من المشركين من أن يمنعوه من الوصول إلى النبي، ذهب إلى المسجد الحرام ونام فيه، فجاءه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له: يا أخا العرب لماذا أنت نائم في المسجد؟ فقال له: إني غريب، وقد جئت من مكان بعيد وليس عندي مكان. فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن بيتي بيتك، وأخذه معه، ولم يسأله من أنت؟ ولماذا جئت إلى مكة؟ وهل لديك حاجة؟.

وفي صباح اليوم الثاني استأذن من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وخرج يبحث عن خبر هذا النبي الجديد، ولكنه لم يظفر بشيء، وعند حلول الليل ذهب إلى المسجد أيضًا لينام فيه، فجاءه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا وأخذه معه إلى البيت، ولم يجر أي حديث بينهما، وفي الصباح استأذن أبو ذر وخرج يبحث عن خبر النبي، وعند حلول الليل رجع إلى المسجد لينام فيه، فجاءه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ واصطحبه معه إلى المنزل، ولم يتحدثا بشيء إلى الصباح، وقد انتهت مدة ثلاثة أيام حيث لا يُسأل الضيف فيها عن حاجته، فسأله علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حاجته في مكة وسر قدومه إليها، وكان أبو ذر قد اطمأن إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوسم فيه سمات الصالحين، فقال له: أُريد أن أسرك بسر على أن تعاهدني ألاّ تبيحه لأحد. فطمأنه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقال أبو ذر: بلغني أنّ شخصًا يدّعي النبوة في مكة، وجئت لرؤيته ومعرفة صدق دعواه. فقال له علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: وصلت إلى مقصودك، سأدلك عليه وآخذك له، ولكني سأسير أمامك وأنت سر خلفي إلى أن نصل داره، فإن أشرت لك بالإشارة الفلانية فاعلم أنّ البيت مراقب ولا يمكنك الدخول، وإلا فادخل الدار إن أنا دخلته.

وسار أبو ذر يقتفي أثر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى وصلا إلى بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فدخلاه، والتقى أبو ذر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وسأله عما جاء به من عند الله تبارك

وتعالى، وعن حجته ودليله على صدق دعواه، وعرض رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عليه الإسلام والكتاب الذي أُنزل عليه، فآمن أبو ذر عندما عرف صدق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ لأنّ الإسلام دين الفطرة، وأبو ذر فطرته طاهرة نقية، فاكتشف بسرعة صدق الرسالة.

تقول الرواية: إنّ أبا ذر الغفاري لما سمع قول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أسلم من ساعته. ولكن هناك من الناس من لا يسارع إلى الإيمان بما يسمع وإن اقتنع عقله واطمأن قلبه، ويبقى مترددًا ويراوح في مكانه ويطلب المهلة بعد الأخرى، ويقول أخيرًا إنّه بالرغم من قناعته، ولكن قلبه لا يطاوعه على الإيمان حتى يرى الناس يدخلون فيه أفواجًا.

وهذا أمر ملاحظ في كل شأن من شؤون الحياة، وليس في أمر العقيدة فقط، فهناك أناس مترددون، وهناك أناس عندهم إقدام وجرأة على اتّباع الحق إذا عرفوه، وكان أبو ذر من هذا النوع، فأسلم من ساعته؛ لأنّ فطرته سليمة فتفاعل فورًا مع الرسالة.

ثم قال: يا نبي الله بماذا تأمرني إن صرت مسلمًا؟ فجنّد نفسه منذ اللحظة التي أسلم فيها، ولم يقل: ماذا تعطيني يا رسول الله؟ وماذا تضمن لي في المستقبل وقد دخلت في الإسلام ولم يؤمن بك إلا أفراد قليلون؟ فثقافة أبي ذر هي الثقافة الصحيحة التي ينبغي أن تسود بيننا، ثقافة الجندية، لا ثقافة التربص للانقضاض على المغانم والاستحواذ على الفرص.

فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ترجع إلى قومك حتى يبلغك أمري. فرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ما زال في الدعوة السرية، وأبو ذر رجل لا يسكت عن الصدع بالحق وإن كلّفه ذلك حياته، ومن الصعب عليه أن يراعي ظروف الكتمان والسرية، ولذا أمره رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالرجوع إلى قومه، لما في ذلك من مصلحة للرسالة، من ناحية نشره للإسلام بين قومه قبيلة غفار، ومن ناحية أخرى حفاظًا على سرية الرسالة في مكة.

فقال أبو ذر: والذي نفسي بيده، لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام في المسجد الحرام، بأنّي صرت مسلمًا واعتقدت بالإسلام.

لقد سبّب اعتناق الإسلام تحولًا هائلًا في شخصية أبي ذر، فهو قبل أن يسلم كان يتخفى ثلاثة أيام لا يستطيع أن يسأل علي بن أبي طالب عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عن النبي الجديد، ولكنه عندما آمن بالإسلام الحقيقي الذي ليس فيه فوائد مادية في ذلك الوقت، بل فيه الملاحقة والتشريد والقتل، صار فدائيًا ولم يقبل بالأدوار الهامشية والبسيطة، ولم يقبل

أن يرجع إلى قومه ويجلس في داره ويترك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحده، بل أراد أن يوصل صوت الحق إلى مسامع الناس.

فحذّره رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من أنّه سيتعرض للأذى إن فعل ذلك، ولكنّه أصرّ على فعل ذلك والجهر بإسلامه على أعين الملأ. انظروا إلى الإيمان كيف يؤثر في السلوك والعمل، وكيف أنّ الإيمان والعمل الصالح توأمان.

ودخل أبو ذر المسجد الحرام ونادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله. فجنّ جنون المشركين، إذ كيف يجرؤ شخص غريب أن يدخل في عقر دارهم في المسجد الحرام، الذي كان في ذلك الوقت مقرا لحكومتهم السياسية، حيث دار الندوة التي يجتمع فيها كبار زعماء مكة، ومقرا لدينهم حيث نصبوا في وسطه أصنامهم، ثم يصرخ بصوت عال في وضح النهار بالشهادتين، وهذا يعني بطلان دينهم وآلهتهم؟ وقال المشركون: صبأ الرجل. أي تحول من دين الشرك إلى دين الإسلام.

وقام إليه شباب من قريش فضربوه حتى صرع، فأتاه العباس بن عبد المطلب فأكب عليه وقال: قتلتم الرجل يا معشر قريش. وكانت قريش تمتهن التجارة، فدخل لهم العباس من هذا المدخل لينقذ أبا ذر وقال لهم: أنتم تجار وطريقكم على غفار قبيلة هذا الرجل، فسيقطعون عليكم الطريق ويمنعونكم من التجارة مع بلاد الشام. وعندما رأوا أنّ كلام العباس صحيح أمسكوا عنه وتركوه، وعندما أفاق أبو ذر ذهب إلى بيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بدمائه، وطلب منه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن يغادر إلى قومه، ولكنه قال إنّه يريد الرجوع إلى المسجد ليفعل كما فعل في المرة الأولى.

ثم عاد في اليوم الثاني فصنع مثل ذلك، إذ وقف في منتصف المسجد وصرخ بأعلى صوته بالشهادتين، فضربوه حتى صرع، وأكبّ عليه العباس بن عبد المطلب وقال لهم مثل ما قال في أول مرة، فامسكوا عنه، ونهض أبو ذر وقد أفرغ وسعه في نصرة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وعرض حياته للخطر مرتين، ورجع إلى قومه وهو مرتاح الضمير وقد تحدى قريشًا في عقر دارها، وقال كلمة الحق بكل جرأة وشجاعة، وظلت مكة تتناقل هذا الموقف الشجاع في نصرة الإسلام، وانكسر حاجز الخوف الذي حرص المشركون على أن يجعلوه في قلوب الناس، ليحول بينهم وبين التفكير بالدخول للدين الجديد. ووصل أبو ذر إلى غفار ودعا قومه إلى الإسلام، واستجاب له طائفة منهم، وبقي ومن آمن معه في انتظار دعوة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ للقدوم إليه[٢٨].

٢٨. الغدير ٨: ٣١٠.

فهذا هو أبو ذر، الرجل العظيم الذي كانت قصة إسلامه شاهدًا على اقتران الإيمان بالعمل الصالح، وكيف أنّ الإيمان يدفع الإنسان نحو العمل الصالح. فليس باختيار الإنسان أن يكون مؤمنًا ثم لا يعمل العمل الصالح، فالمؤمن يسعى في قضاء حوائج الناس، وهم يقصدونه لحل مشاكلهم لأنّه من وجوه الخير، فحياته مسخرة لخدمة الناس، ونحن نعرف أن هذا مؤمن لأنّ العمل الصالح علامة الإيمان، وإذا ما تأكدنا أنّه مؤمن فسنرى كيف يبادر في العمل الصالح، وكذلك إذا رأينا العمل الصالح تأكدنا أنّه مؤمن؛ لأنّ الإيمان والعمل الصالح توأمان متلازمان لا يفترقان.

وانظروا إلى هذه الرواية في الكافي عن مسعدة بن صدقة قال: «سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول وسئل عن إيمان من يلزمنا حقه وأخوته كيف هو؟ وبما يثبت؟ وبما يبطل؟ فقال: إنّ الإيمان قد يتخذ على وجهين، أما أحدهما فهو الذي يظهر لك من صاحبك، فإذا ظهر لك منه مثل الذي تقول به أنت حقّت ولايته وأخوّته، إلا أن يجيء منه نقض للذي وصف من نفسه وأظهره لك، فإن جاء منه ما تستدل به على نقض الذي أظهر لك، خرج عندك مما وصف لك وأظهر، وكان لما أظهر لك ناقضًا، إلا أن يدّعي أنّه إنما عمل ذلك تقية، ومع ذلك ينظر فيه، فإن كان ليس مما يمكن أن تكون التقية في مثله لم يقبل منه ذلك، لأنّ للتقية مواضع، من أزالها عن مواضعها لم تستقم له. وتفسير ما يتقى، مثل أن يكون قوم سوء ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله، فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنّه جائز»[٢٩].

تتناول هذه الرواية الشريفة الحديث عن تحديد إيمان من يلزم مراعاة حقوق الأُخوّة فيه، وبماذا يثبت هذا الإيمان، وبماذا يبطل. أي ما الإيمان الذي يجب أن يوجد في الأُخوّة الإيمانية؟ وقد حدّد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوابه أنّ الإيمان قد يتخذ على وجهين:

الأول: الإيمان الذي يظهره صاحبه للآخرين ونراه منه، كالتزامه بأداء الفرائض اليومية في المسجد جماعة، وصيام شهر رمضان، وأداء مناسك الحج والعمرة والزيارة، وأداء الزكوات والصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفشاء السلام، وما إلى ذلك من الواجبات والمستحبات التي أمر بها الإسلام، والامتناع عن ارتكاب المحرمات والمكروهات التي نهى عنها الإسلام؛ كالكذب والغيبة والنميمة وأكل المال الحرام والغش والرشوة.

٢٩. الكافي ٢: ١٦٨، ح١.

الثاني: ما يظهر منه خلال الصحبة من عقيدة أو سلوك، فإن كان مخالفًا لما يظهر ومناقضًا لما أمر به الدين الحنيف، ولم يكن تقية، فهو خارج عن حقوق الأُخوّة الإيمانية. وليس التقية مجرد عذر يُعتذر به، بل للتقية حدود معروفة، وليس كل من ارتكب مخالفة وقال إنّما أتيت بها تقية يُقبل منه.

فمن كان الإيمان ظاهرًا في عقيدته وسلوكه، يسمى مؤمنًا ما لم يثبت خلاف ذلك، وإن لم نكن نعرف باطنه وحقيقته، ووجبت له حقوق الأُخوّة الإيمانية، وهذا هو النوع الأول الذي يُعرف به المؤمن.

وأما النوع الثاني فهو أن نتأكد من إيمانه بدليل واضح من خلال المعايشة، فنرى مدى صدق التزامه بحدود الإيمان وموافقة ظاهره لباطنه. ولكن إذا ما رأينا أنّ ظاهره الصلاح نبني على الظاهر ونأخذ بالظاهر، ونتعامل معه تعامل المؤمن، اللهم إلا أن يجيء منه نقض للذي وصف من نفسه وأظهره لنا، كما لو رأيناه يستمع إلى الأغاني في خلواته، وأمثال هذا السلوك الذي لا ينسجم مع ادّعائه، فهنا تتوقف الأُخوّة الإيمانية، ولا يجوز لنا الأخذ بالظاهر بعد الذي رأيناه منه؛ لأنّه قد ظهر منه فعل يدل على خلاف ما يظهره للناس، ويخرج من وصف الإيمان الذي يظهره، لأننا رأينا منه ما ينافي الإيمان، وهو بالنسبة لمن رآه ليس بأخ مؤمن، وتنقطع الأُخوّة الإيمانية، ولكن الآخرين الذين لم يروه، يحملونه على الظاهر وهو لهم أخ إيماني، وتجب مراعاة الأُخوّة الإيمانية معه.

وهناك استثناء تبيّنه الرواية الكريمة، وهو أنّ الشخص الذي كان ظاهره إيمانيًا، لو جاء وادّعى أنّه انّما صدرت عنه تلك المخالفة في القول أو العمل تقية، فلا يُقبل منه فورًا هذا الادّعاء، وإنّما ينظر في صحة هذه الدعوى هل هي مستوفية لشروط التقية وحدودها فتُقبل منه، أو غير مستوفية فلا تُقبل منه؛ إذ للتقية شروط وحدود معروفة في الإسلام. ويحصل الإنسان على ثواب الأُخوّة الإيمانية عندما يتواصل مع شخص ظاهره الإيمان، ولم ينكشف له خلاف ذلك، ما لم يصدر منه تقية، حفاظًا على نفسه أو أنفس إخوانه المؤمنين. ولا يصدق فورًا، بل ينظر فيه، فإن كان ليس ممن يمكن أن تكون التقية في مثله، كما لو لم يكن هناك خوف من الضرر، أو كان هناك ضرر يسير لا يستدعي التقية، فإنّ الضرورات تقدّر بقدرها، وتمارس التقية بمقدار ما يرفع الضرر، فمثلًا يجوز للمؤمن أن يتكلم بخلاف الحقيقة بالمقدار الذي يدفع عنه الضرر، كما قال الله تبارك وتعالى: «إلاّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان»[٣٠]، كما لو قيل له: إما أن تسب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أو

٣٠. سورة النحل: الاية ١٠٦.

نقتلك، فهنا يجوز السب؛ لأنّ الله تعالى يعلم أنّ هذا السب ليس من القلب، بل هو من اللسان فقط، وأما من يسب أحد المعصومين عند كل مشكلة أو عند وجود أي مخالف له من غير أن يتعرض إلى تهديد واقعي للقتل ويزعم أنّ ذلك تقية، فهو هراء وزعم باطل يكشف عن كفر قائله أو فسقه على أقل تقدير، وهذا ليس محلًا للتقية، فإنّ للتقية موارد خاصة لا يجوز تخطيها.

إن بعض الناس قد تسوّل له نفسه أو يوسوس له الشيطان بارتكاب الحرام بذريعة التقية، كأن يكذب بحجة أنّها تورية، بينما للتورية مواردها المحددة في الفقه الإسلامي، ولقد نزلت الآية السابقة في عمار بن ياسر عندما عُرض عليه النطق بكلمة الكفر، وقد قُتل والده ووالدته أمامه عندما امتنعا من النطق بها، ونطق بها عمار فأُفرج عنه، وجاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ باكيًا مما كان منه، ظنًا منه أن ذلك غير جائز، فنزلت الآية الكريمة، أما أن تتحول حياتنا كلها وفي ظل الظروف الاعتيادية إلى تقية وتورية وخلاف للواقع، فهذه ليست من موارد التقية.

وأما موارد التقية التي يبيّنها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي مثل أن يكون هناك قوم سوء، ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله، ويقتلون من خالفهم على ذلك، فيضطر الإنسان إلى موافقتهم في الظاهر حفاظًا على حياته، كما يفعل بعض النواصب في قتل من لا يكتف يديه عند الصلاة في مناطقهم، أما أنّ يتظاهر الإنسان بالصلاة كما يصلون لمجرد مراعاة مشاعر الآخرين، من غير أن يتعرض لخطر ما، أو لمجرد الوحدة الإسلامية، فلا يجوز ذلك.

والتقية جائزة في موارد الضرر بشرط ألاّ تؤدي إلى فساد في الدين، كأن يكون المؤمن بين قوم سوء إذا عمل بالحق ضربوه وآذوه واعتدوا على ماله وعرضه وحياته، فكل شيء يعمله المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فهو جائز. أما لو أدّت التقية إلى الفساد في الدين فهي غير جائزة، فلا يجوز ترك الصلاة أو الصيام أو أي من الفرائض الأخرى بذريعة التقية، وفي هذه الحالة يجب على المؤمن الهجرة إلى مكان آخر يستطيع فيه أداء فرائضه والحفاظ على دينه؛ لأنّ التقية إنّما شُرّعت للحفاظ على النفس والحفاظ على الدين، وأما إذا كانت سببًا في تضييع الدين فلا تجوز، ويجب إظهار الحق، وهذه الحدود مهمة جدًا، والتساهل فيها يوقع الإنسان في الكثير من المطبات.

وبهذا يتبيّن لنا جميعًا أنّ الإيمان الحقيقي هو الإيمان المقرون بالعمل، وهو الذي يمكن أن يؤخذ بظاهره في الأُخوّة الإيمانية، فنؤاخي الناس الذين ظاهرهم التدين والالتزام، إلا أن يظهر خلاف ذلك، والخلاف إذا كان مبررًا بتقية أو ضرورة معينة فلا يخل حينئذ بالأُخوّة

الإيمانية، ولكن إذا لم يكن كذلك فهو مخل بها، وإذا اختلت الأُخوّة الإيمانية بيني وبين زيد من الناس فلا يسري هذا إلى الآخرين الذين لا يعلمون، وعليهم الاستمرار في التعامل معه وفقًا لظاهره إلى أن يثبت لهم العكس، فشخص واحد يمكن أن يكون أخًا إيمانيًا لزيد ويؤجر على هذه الأخوّة، ولا يكون أخًا إيمانيًا لي ولا أؤجر على أخوّته، بل يحرم أو يكره حسب طبيعة العلاقة وتأثيراتها في وجود الإنسان. وأما الأُخوّة الدينية الثابتة للمسلم والأُخوّة الإنسانية الثابتة لغير المسلم، بقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[٣١]، فهذا بحث آخر لا علاقة له ببحث حقوق الأُخوّة الإيمانية.

وحقوق الأُخوة الإيمانية هي غير الحقوق العامة بين البشر بعضهم تجاه البعض الآخر، وبهذا يتضح تعريف الأُخوّة الإيمانية، ومن تجب مؤاخاته، وما حدودها وإطارها.

المحور الثاني

أقسام الأُخوّة الإيمانية وأهميتها

يمكن أن نقسّم الأُخوّة الإيمانية إلى عدة أقسام:

القسم الأول: بالنظر إلى ما يتحقق من الأُخوّة الإيمانية من ثمار ونتائج، فيمكن أن نقسمها إلى قسمين: حق ولطف. والحق يعني كل ما ذكر من حقوق بين الأخوين الإيمانيين ويجب الوفاء بها، واللطف أمر زائد على الحق، أي إعطاء المؤمن أكثر من حقه المقرّر له في الشريعة، وهو من الثمار العالية للأُخوّة الإيمانية، فالبعض هممهم عالية لا يقفون عند الحد المفروض، بل يتعدونه إلى الأكثر ما دام في وسعهم ذلك.

القسم الثاني: بملاحظة شكل العلاقة، فالشكل الأول: أن تكون العلاقة مع شخص المؤمن وروحه علاقة مباشرة، وتتحقق هذه العلاقة باللقاء والمصاحبة والمجالسة والتزاور.

الشكل الثاني: هناك نمط آخر من الأُخوّة في شكل العلاقة وهي علاقة السلوك، وتتجسد هذه العلاقة بالدعاء للمؤمنين مثلًا، فمن الممكن ألاّ نعرف أسماء أولئك

٣١. نهج البلاغة ٣: ٨٤ الرقم ٥٣.

المؤمنين الذين ندعو لهم، ولكننا يمكن أن ننصرهم بكلمة أو موقف وندفع عنهم ضررًا معينًا من غير أن يعلموا. وفي المجتمع الإيماني يؤخذ بالظاهر أيضًا، فكلهم مؤمنون وكلهم أخوة لنا ما لم يتبيّن الخلاف، ومراعاة حقوقهم كمجموع واجب أيضًا، كالدفاع عن امرأة محجبة تتعرض للاعتداء بسبب ارتداء الحجاب مع أننا لا نعرفها، فهذا سلوك فيه تعبير عن الأُخوّة الإيمانية. فالتعبير عن الأُخوّة أحيانًا يكون بالتواصل المباشر، ويكون أحيانًا بالسلوك والموقف والنصرة ودفع الضرر ودفع الخطر عن الأخ المؤمن أو الأخت المؤمنة.

الشكل الثالث من أشكال العلاقة: الاجتناب عن السلوك الخاطئ مع المؤمنين، بألاّ نعتدي عليهم ولا نسيء إليهم ولا نغضبهم ولا نقطع العلاقة معهم، فإنّ قطع العلاقة مع المؤمنين من الأمور الخاطئة والسلبية وخلاف حقوق الأُخوّة الإيمانية، فلا يجوز الزهد بالأُخوّة الإيمانية لأتفه الأسباب، ونعيش اليوم في حياتنا ظاهرة غير صحيحة وهي الزهد بالأُخوّة الإيمانية، بل حتى النسَبية لأتفه الأسباب، وأكثر هذه المشاكل القائمة بيننا اليوم قائمة على أساس الظنون والشكوك، ولو كان هناك مصارحة ومكاشفة مباشرة وبلا وسائط لانتهت أكثرها بمكالمة تلفونية، ولا حاجة إلى أن نجعل وسطاء بيننا، فربما أدى ذلك إلى تفاقم المشاكل وازديادها. فالشكل الثالث هو ترك السلوك الخاطئ في نقض هذه العلاقة لأسباب تافهة، وفي تجريح الأخ المؤمن أو في إغضابه أو في الإساءة إليه أو في الشماتة به أو في الثأر لأنفسنا لأسباب غير واقعية.

القسم الثالث: دور العلاقة الإيمانية، هل هي باطنية قلبية أو ظاهرية؟.

وهذه العلاقة تارة تكون علاقة قلبية، كأن يحب المؤمنين، سواء كان يعرفهم أو لا يعرفهم. وأحيانًا تقتصر هذه المحبة على من تكون له علاقة مباشرة معه فقط، أي أنّ فلانًا المؤمن الذي أعرفه وأتواصل معه وأصادقه تكون لي أُخوّة مباشرة معه.

ومن مصاديق هذه العلاقة الدعاء بقضاء حوائج المؤمنين، والدعاء بحل مشاكلهم، سواء كنّا نعرفهم أو لا نعرفهم، وكذا الانتصار لمؤمنين لا نعرفهم، كأن نرى شخصًا يتكلّم ضدّ شخص آخر من المؤمنين، فندافع عنه ونقول له إنّ كلامك بشأن هذا المؤمن بهذه الطريقة غير صحيح، فهو يصوم ويصلّي فلا يجوز أن تسيء إليه وتغتابه، فهذه نصرة لمؤمن لا نعرفه، وتعتبر مثل هذه العلاقة علاقة باطنية وليست علاقة ظاهرية، وهي علاقة قلبية بين المؤمن وأخيه المؤمن.

وللحديث صلة تأتي تباعًا، والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الرابعة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في أقسام الأُخوّة الإيمانية، وانتهى بنا الحديث عند العلاقة الباطنية، وهي العلاقة القلبية بين المؤمن وأخيه المؤمن. واليوم نتحدث عن المعرفة ودورها في صنع المحبة.

المعرفة والمحبة

لا تأتي المحبة بلا معرفة، ولذلك ورد عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «من زارني عارفًا بحقي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»[٣٢]، أي كلما كانت معرفة حق الإمام أكثر ازدادت المحبة له، والمحبة عن معرفة تكون محبة واقعية وتدفع إلى العمل، فالإنسان عندما يحب شخصًا يقلده، ونضرب لذلك مثلًا، والأمثال تُضرب ولا تقاس، وهو ما نشاهده اليوم من تقليد بعض الشباب الذين يحبون مطربًا معروفًا أو نجمًا رياضيًا، فحين يعمل هذا تسريحة معينة لشعره كشعر القنفذ، نرى هؤلاء الشباب المعجبين يسرحون شعورهم كالقنفذ!، وهكذا في اختيار أنواع من الملابس غير اللائقة

٣٢. بحار الأنوار ٩٩: ٣٨، ح٣٣.

للجنسين بسبب موضات المشاهير التي تخرج في كل يوم بجديد، بل تعدّى الأمر عند البعض إلى أكثر من ذلك، فيأخذ بتقليد أصوات هؤلاء الذين يصفهم بالنجوم وطريقة كلامهم، فمثلًا إذا كان أحدهم (يرتل) بلسانه نرى هؤلاء المقلّدين (يرتلون) بألسنتهم مع أنّ ألسنتهم صحيحة لا عيب فيها.

يقال إنّه كان هناك أُستاذ أعجمي يعلّم القرآن لأطفال عرب، فكان يقرأ: «غير المغزوب عليهم ولا الزالين»، فيردد الأطفال وراءه نفس ما يقول، فكان يطلب منهم التلفظ الصحيح كما هو موجود في القرآن: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[٣٣]، ولكنهم لا يفقهون ما يقول.

ولهذا السبب تلجأ شركات الإعلانات في سبيل تسويق بضاعتها إلى استخدام هؤلاء النجوم في دعايات الترويج لبضائعها، ليسارع الناس إلى شرائها لمجرد أنّ الممثل الفلاني أو الممثلة الفلانية قد ظهروا على الشاشات وهم يستعملون تلك البضاعة.

فإذا كان مثل هذه التعلقات المادية الخاطفة يستتبع التشبه، فكيف سيكون أثر العلاقات الإيمانية العميقة، كحبنا لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ألا ينبغي أن تجلب تشبهًا بسلوكهم في طاعة الله (سبحانه وتعالى) وعبادته؟، وإذا كانت تلك العلاقات تؤثر في شراء البضاعة، وهذه العلاقات لا تؤثر في الطاعة، فإنّ هذا يعني وجود خلل في العلاقة بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنّنا نسير وفقًا لأهوائنا، وأنّه ليس في قلوبنا حب لهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل نحن نحب أنفسنا، وأنّنا نقوم بممارسة بعض الشعائر لئلا يقال انّنا بعيدون عن الدين، ولئلا نصاب بتأنيب الضمير، فندّعي أننا محبون لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ونكتفي بالمشاركة في مواكب العزاء، كمن يقضي أيام سنته بعيدًا عن الصلاة والصيام، ولا يدع منكرًا إلا فعله، فإذا جاء شهر محرم لبس السواد وشارك في مواكب العزاء، ظنًا منه أنّ ذلك ينفعه، وهو يتجاهل أو يتغافل أن هذه الأعمال إذا لم تمنعه عن فعل الحرام وشرب الحرام والنظر الحرام، فهي مجرد حركات يمارسها كما يمارس الرياضيون أمثال هذه الحركات، فنحن نسميها ركوعا وسجودا وهم يسمونها تمارين سويدية، فبعض هذه الحركات تشبه أحيانًا بعض حركات العبادات ولكنها رياضة، و الفرق شاسع بين من يأتي بتلك الحركات طاعة لله (عز وجل) وامتثالًا لأمره، ومن يأتي بهذه الحركات من أجل تنشيط جسمه وتنمية عضلاته.

ولذلك لا ينبغي أن نستند إلى ادّعاء حب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونتخلى عن طاعة

٣٣. سورة الفاتحة: الاية ٥

الله (سبحانه وتعالى) في إتيان ما فرض علينا، وكما قال الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «. . وأنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بالورع»[٣٤]، والورع درجة أعلى من التقوى، فهو يعني الابتعاد حتى عن القضايا المشتبه بها، هل هي حلال أو حرام، كمن شكَّ في أنّ هذا النوع من الموسيقى هل هو حلال فيجوز الاستماع له، أو حرام فلا يجوز، فالورع هنا هو الاجتناب عن الاستماع إلى ما كان مشكوك الحكم، فالورع يعني أن يقف الإنسان عند الشبهة، وأما التقوى فهي الوقوف عند الحرام، وهنا يبيّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ ولايتهم لا يحصل عليها الإنسان إلا بالورع عن محارم الله، فمن كان صاحب ورع فهو مستحق لنيل ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتتجسد بالعمل الصالح والتشبه بهم في عبادتهم وتقربهم إلى الله (سبحانه وتعالى).

«وأنّ أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلًا ثم خالفه إلى غيره»، فتقول الناس إن هذا إنسان طيب ونزيه، ولكنه يعمل بغير العدل، وقد قال الله تبارك وتعالى في وصف هذه الفئة من الناس: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٣٥]، أي أكثر الناس خسارة في يوم القيامة، هي تلك الفئة من الناس، التي تعتقد جازمة أنّها من أهل الجنة، وأنّ ما تأتي به من أعمال هو عمل صالح مرضي عند الله عز وجل، وهي في الواقع في حالة من الضلال والانحراف الكبير الذي سيقودها إلى جهنم لا محالة. وهكذا فإن أسوأ إنسان هو من تصفه الناس بأنّه مؤمن، وهو في الواقع فاسق والعياذ بالله، ويصفه الناس بأنه رجل طيب صالح نزيه رشيد، وواقعه لا يكون كذلك.

وقد ورد عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: حدّثني جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ الله (عز وجل) أهبط إلى الأرض ملكًا، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى رب هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله (تبارك وتعالى). قال له الملك: ما جاء بك إلا ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلا ذاك. فقال الملك: إني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول: وجبت لك الجنة. وقال الملك: إنّ الله (عز وجل) يقول: أيما مسلم زار مسلمًا فليس إياه زار، إياي زار وثوابه عليّ الجنة»[٣٦].

ومن أجواء الرواية نعرف أنّ الجنة لم تجب لهذا المسلم لأنّه صلّى عشرين سنة مثلًا،

٣٤. الكافي ٢: ٧٦، ح١.
٣٥. سورة الكهف: الاية ١٠٣ – ١٠٤.
٣٦. الكافي ٢: ١٧٦، ح٢.

بل لأنّه قصد زيارة مؤمن وطرق بابه حتى يسلّم عليه لله تعالى وليس لغاية أُخرى، وبهذا العمل ضمن الجنة لنفسه، فانظروا إلى أبعاد الأُخوة الإيمانية وأهميتها.

ثم تضيف الرواية الشريفة أنّ أي مسلم يقصد زيارة مسلم قربة إلى الله تعالى، فهذه في الحقيقة زيارة لله (سبحانه وتعالى). افترض أنك تملك ستة ملايين دينار، وقد رشح اسمك بالقرعة لزيارة بيت الله، ألا تريد أن تزور الله نفسه وليس بيته؟ من غير حاجة إلى ستة ملايين ولا تأشيرة دخول ولا قرعة، ولا تذل نفسك لهيئة الحج والعمرة، فاقصد أخاك المسلم الحقيقي وليس المسلم الظاهري. اقصد زيارة المؤمن قربة لله تعالى وليس لشيء آخر.

أنتم حالكم اليوم أحسن مني، لأنّكم تعيشون حياة طبيعية، وقد كان حالي قبل أن أُبتلى بالمسؤولية كحال بقية الناس، فاستطيع زيارة من أريد زيارته، وكذلك استقبال من يجيء لزيارتي من غير كلفة، وكانت العلاقات طبيعية ليس فيها أشياء أُخرى، ولكن اليوم يتصل (عمار) بهذا المسؤول أو ذاك، إما لقضاء حوائج المؤمنين أو لمناقشة همّ من هموم البلد، ولو أمكن أن تكون هذه لله من غير كل هذه الاعتبارات فهي أصعب بالنسبة لي، وكيف سينظر من يُزار إلى هذه الزيارة، فاعرفوا قيمتكم.

عندما كنت طفلًا سمعت من الوالد قوله: كنت جالسًا مع والدي الإمام السيد (محسن الحكيم) في السيارة في النجف، في الطريق إلى مكتبه، فوقفت السيارة في الطريق لسبب ما، والتفت الإمام الحكيم ورأى حمّالًا يحمل كيسًا على كتفه ويمشي، فتحسر وقال: ليتني كنت مثل هذا الحمال في وقته وحياته. ولم أفهم حينها مغزى كلمات الإمام الحكيم، والآن صرت أعرف لماذا قال ذلك، لأنّ ذاك الحمال كانت لديه حياة طبيعية كحياة سائر البشر، فيدخل ويخرج ويأتي ويذهب كحال الناس الآخرين، ولكن الإمام الحكيم لا يستطيع أن يعيش مثل الآخرين، لأنّ موقعه ووضعه ونظرة الناس إليه تحول دون ذلك. وخادمكم اليوم يتحسر على أن يذهب لزيارة أخ مؤمن ويجلس معه نصف ساعة، فيزور من غير أن تتوجه إليه الأنظار وتؤخذ له الصور، وتفقد الزيارة ذاك الطعم الطبيعي، اللهم إلاّ أن يذهب متخفيًا للزيارة ويبحث له عن زاوية لا يراه فيها أحد.

ولذلك فزيارة المؤمن لأخيه المؤمن لله تعالى وليس لأي دافع آخر، بل مجرد علاقة خالصة، هي زيارة لله (سبحانه وتعالى)، وسوف يكون ثوابه على الله الجنة.

وللحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الأخلاقية الخامسة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وجعلنا وإياكم من الصائمين حقًا، ومن المرحومين في هذا الشهر الفضيل.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن واحدة من أهم المواضيع ذات الطابع الاجتماعي في ثقافتنا الإسلامية، وهو الأُخوّة الإيمانية، وقلنا إن المؤمن أخو المؤمن، عرفنا هذه الأُخوّة ومدالِيلها، ثم تحدثنا عن أقسام الأُخوة الإيمانية، وانتهى بنا المطاف للحديث عن أهمية الأُخوة الإيمانية، وكنا نستعرض عددًا من النصوص الشرعية والروايات الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن ائمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تؤكد أهمية هذه الأُخوّة وأبعادها، ونستمر في استعراض بعض هذه النصوص والروايات لنتعرف كم هي مهمة هذه الأُخوّة وهذه العلاقة.

عن أبي غرة قال: «سمعت أبا عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من زار أخاه في الله في مرض أو صحة، لا يأتيه خداعًا ولا استبدالًا، وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه أن طبت وطابت لك الجنة، فأنتم زوار الله وأنتم وفد الرحمن، حتى يأتي منزله. فقال له يسير: جعلت فداك، وإن كان المكان بعيدًا؟ قال: نعم يا يسير وإن كان المكان مسيرة سنة، فإنّ الله جواد والملائكة كثيرة يشيعونه حتى يرجع إلى منزله»[٣٧].

تتحدث هذه الرواية الشريفة عن أهمية التزاور بين المؤمنين، وعظيم ثواب من يفعل

٣٧. الكافي ٢: ١٧٧، ح٧.

ذلك بنية خالصة لله تبارك وتعالى. وقد تضمنت فقرات عديدة تسلّط الأضواء على مفهوم الأُخوة الإيمانية في الإسلام نتطرق إليها كما يلي:

«من زار أخاه في الله»: تبيّن هذه الفقرة أهمية الدوافع الإلهية في الأُخوة الإيمانية، وقد أكّد الإسلام في كثير من آياته على انحصار الثواب الأخروي لأي عمل من الأعمال التي يأتي بها الإنسان على أن يكون خالصًا لوجهه تعالى، من غير أن تشوبه شائبة رياء أو شرك، كقوله تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٣٨]، فقيمة أي عمل يأتي به الإنسان تستند إلى النية التي تدفعه إلى هذا العمل، وإن كان مظهر ذلك الفعل واحدًا في الخارج مهما كانت النيات والدوافع، ولكن تختلف آثارها الخارجية باختلاف الدوافع، فمثلًا أنّ الله تبارك وتعالى لا يجعل النمو والبركة في أي عمل ما لم يكن خالصًا لوجهه الكريم، كما جاء في المقولة المعروفة: «ما كان لله ينمو». وهنا في موضوع الأُخوّة الإيمانية يتجسد هذا المفهوم الإسلامي في جميع مفرداتها، ومنها التزاور بين المؤمنين، وهذا التزاور وإن كان يأتي به المؤمن لأخيه المؤمن، ولكنه مع ذلك يفقد قيمته الأخروية ما لم يكن من أجل الله وفي سبيل الله وليس لأسباب أُخرى، كأن يزوره لأنّ له حاجة عنده، أو يزوره لأنّه قادر على أن يساعده في أمر من أمور الدنيا، أو يزوره لأنّ عنده مصلحة معه. والزيارة التي يترتب عليها الثواب المذكور في الرواية الكريمة، هي الزيارة في الله، ومن أجل أنّ هذا العمل مرضي لله (سبحانه وتعالى).

«في مرض أو صحة»: لا تحتاج زيارة الأخ المؤمن إلى سبب، وإن صار متعارفًا في مجتمعاتنا اليوم ألاّ تكون الزيارة إلا لسبب؛ كالقدوم من الحج أو الزيارة أو المرض وما شابه ذلك من مناسبات الأفراح والأتراح، والصحيح أنّ زيارة الأخ المؤمن مطلوبة في كل الأحوال ولا تحتاج إلى سبب أو إلى ظرف خاص.

«لا يأتيه خداعًا»: أي يزوره لا من أجل أن يخدعه أو ينكل به أو يوحي له أمرًا غير واقعي، فنحن في الحقيقة نستخدم في علاقاتنا ألفاظًا فيها خداع، ويمكن أن نكون غير قاصدين الخداع، وإنّما صارت عادة لدينا، فمثلًا إذا رأينا شخصًا نعرفه في الشارع نقول له بعد إلقاء التحية: مشتاقون، ونحن في الحقيقة لسنا مشتاقين، فقد تمر أشهر ولا نكلف أنفسنا عناء رفع سماعة التلفون والاتصال به، بل قد تمر السنون ولا نفعل ذلك، وهكذا نحن نستخدم مفردات معينة في علاقاتنا فيها شهادة بأُخوّة ومحبة وصدق نية وإخلاص واشتياق ومشاعر وهي ليست واقعية. والإسلام يريد علاقات صادقة.

٣٨. سورة الزمر: الاية ٣.

«ولا استبدالًا»: ولم تكن هذه الزيارة للأخ المؤمن ردًّا على زيارته لي، لأنّها حينئذ لا تكون لله، وإنّما ذلك ما يقتضيه العرف الاجتماعي لا أكثر، وإنّ أكثر الزيارات اليوم هي من هذا القبيل، وهي وإن كانت حسنة في نفسها، ولكن لا يترتب عليها الأثر المذكور في الرواية وهو الجنة.

وهناك قسم من الناس يطلب عوضًا من نوع آخر لزيارته، وهو حل مشكلة له أو إسقاط دين له في ذمته، وغير ذلك من الأغراض التي لا تحصى كثرة، وهكذا وضع البعض للزيارة تسعيرة معينة.

«وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه»: في هذا المقطع من الرواية المباركة يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ النتيجة المترتبة على زيارة الأخ المؤمن الخالصة لوجه الله الكريم، وهي أن يشيعه سبعون ألفًا من الملائكة وهم ينادونه من ورائه وإن كان لا يسمع نداءهم لما اقتضته الحكمة الربانية من إخفاء صورهم وأصواتهم علينا، وإن كانوا قريبين منّا. ثم إنّ نزول هذه الأفواج العظيمة من الملائكة من السماء لترافق مؤمنًا يقوم بزيارة أخيه المؤمن قربة لله تعالى وطلبًا لرضاه ورجاء لثوابه، يكشف عن عظمة هذه الأعمال التي نحسبها صغيرة ولا نولي لها الاهتمام المطلوب.

«أن طبت وطابت لك الجنة»: أي أنّ من يبادر إلى زيارة أخيه المؤمن بنية خالصة لوجه الله تعالى، فهو إنسان طيب بشهادة الملائكة، وهو يعني أنّه نجح في مرحلة التمييز بين الخبيث والطيب التي تحدّث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾[٣٩]، وإذا كان المؤمن طيبًا زفّت له الملائكة البشرى بدخول الجنة، كما أخبرنا بذلك الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾[٤٠].

والطيبة من سمات الإنسان صاحب الخلق الكريم، ويستحيل على صاحب الخلق اللئيم أن يكون طيبًا، ومن كان كذلك في نظر أهل السماء فلا بدّ من أن يكون كذلك في نظر أهل الأرض، لأنّ رائحة أقواله وأفعاله الزكية تنشر عطرها في كل زمان ومكان، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٤١]، وقال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ

٣٩. سورة آل عمران: الاية ١٧٩.
٤٠. سورة النحل: الاية ٣١.
٤١. سورة إبراهيم: الاية ٢٤.

وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [٤٢]، أي أنّ الكلمات الطيبة تصدر من الناس الطيبين، وما كان طيبًا من القول والعمل يصعد إلى الله تبارك وتعالى ليستقر عنده، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [٤٣]. ومن كان قوله وفعله طيبين طابت له الجنة، فهنيئًا لكم الجنة يا من تتزاورون في الله.

«فأنتم زوار الله»: أنتم في الحقيقة زوار الله تعالى، فأنتم لم تذهبوا لزيارة المؤمن الفلاني، بل أنتم ذاهبون لزيارة الله تبارك وتعالى؛ لأنّ الذي يزور أخًا في الله ومن أجل الله بدون دوافع أخرى، فكأنه زار الله (سبحانه وتعالى).

«وأنتم وفد الرحمن»: بل أنتم الوفد الذاهب للوفادة على الله (سبحانه وتعالى).

«حتى يأتي منزله»: وهؤلاء الملائكة البالغ عددهم سبعين ألفًا يمشون خلف هذا المؤمن، وهم يهتفون في مسيرة سلمية: طبت وطابت لك الجنة، فأنتم زوار الله وأنتم وفد الرحمن، من حين خروجه من منزله إلى أن يصل إلى بيت ذلك المؤمن الذي يقصد زيارته، ثم ينتظرونه إلى أن يخرج ويرجع إلى منزله ثم ينصرفون.

«فقال له يسير»: أي قال الراوي للحديث ـ الذي كان اسمه يسير ـ للإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«جعلت فداك، وإن كان المكان بعيدًا؟»: أي ولو كان المكان الذي يقصده الزائر لأخيه المؤمن بعيدًا؟، كأن يزور أخا له مؤمنا في البصرة مثلًا وهو في بغداد، فهل سيبقى هذا العدد الغفير من الملائكة معه ذهابًا ومجيئًا؟.

«قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم يا يسير، وإن كان المكان مسيرة سنة»: أي ولو كان المكان المقصود يستغرق سنة ذهابًا وسنة مجيئًا، وهي أطول مسافة يستغرقها السفر إلى أقصى الأرض آنذاك.

«فإنّ الله جواد»: والمقصود من هذا الكلام هو رفع الاستغراب الذي وقع فيه راوي الحديث، فهذا فضل من الله تعالى، والله جواد، فلا ينبغي أن يستغرب من هذا العدد من الملائكة الذين يرسلهم مع كل مؤمن يزور أخاه قربة لله، فإنّ عدد الملائكة كبير جدًا، وهي تملأ سبع سماوات لا يستطيع البشر إدراك مقدار سعتها، فقد توصل العلم الحديث

٤٢. سورة النور: الاية ٢٦.
٤٣. سورة فاطر: الاية ١٠.

إلى أنّ المسافة بين بعض الكواكب في السماء الدنيا والأرض تبلغ مئات الملايين من السنين الضوئية. كما أنّ جود رب العالمين وكرمه لا حدود لهما.

«يشيعونه حتى يرجع إلى منزله»: إنّ تسخير سبعين ألف ملك ذهابًا وإيابًا لكي يزور هذا الأخ المؤمن أخاه ويسلّم عليه ويعزّز علاقته الإيمانية معه، يكشف عن أنّ هذا التواصل بين المؤمنين يحظى بأهمية عظمى نحن عنها غافلون.

وفي رواية أخرى عن أبي حمزة، عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في مضمون الرواية السابقة نفسه، وتتفاوت معها في بعض الألفاظ، قال: «إنّ العبد المسلم إذا خرج من بيته زائرًا أخاه لله لا لغيره، التماس وجه الله، ورغبة في ما عنده، وكّل الله عز وجل به سبعين ألف ملك ينادونه من خلفه إلى أن يرجع إلى منزله: ألا طبت وطابت لك الجنة»[٤٤].

تتضمن هذه الرواية الشريفة المروية عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقرات عديدة، مشابهة لما ورد في الرواية السابقة المروية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، مما يعني أنّها قد صدرت في وقت أسبق وتداولتها أوساط المؤمنين رواية وعملًا، مما يعني أنّ الرواية السابقة هي التي جاءت مؤكدة لما ذكرته هذه الرواية، وقد تزامن صدور هاتين الروايتين في المرحلة الانتقالية للحكم من السلطة الأموية إلى السلطة العباسية، حيث حصل بعض الانفراج الأمني الذي مكّن الشيعة من التحرك على مختلف الأصعدة ومنها الصعيد الاجتماعي، بسبب ضعف الحكم الأموي في سنواته الأخيرة، وضعف الحكم العباسي وانشغاله بتثبيت سلطانه في أوائل حكمه. ونشير إلى مضامين هذه الرواية إشارة سريعة.

«إنّ العبد المسلم إذا خرج من بيته زائرًا أخاه لله لا لغيره»: تتضمن هذه الفقرة التأكيد على الدوافع الإلهية والنية الخالصة لله عز وجل في هذه العلاقة.

«التماس وجه الله»: يطلب بذلك رضا الله (سبحانه وتعالى).

«رغبة في ما عنده»: راغبًا في ما عند الله تعالى من الثواب الجزيل، وهو أيضًا نوع من أنواع العمل الخالص لوجهه الكريم، فالعمل رغبة في ثواب الله أو خوفًا من عقابه، لا يختلف عما لو كان العمل لله تعالى من غير أن يكون دافعه هو الرغبة في الثواب أو خوفًا من العقاب، وبما أنّ زيارة الإخوان المؤمنين هي من الأعمال المستحبة التي لا عقاب على تركها، لذلك اقتصرت الرواية الشريفة على ذكر الثواب فقط.

وكذلك لا يخلّ في خلوص نية القصد في زيارة الأخ المسلم لأخيه المسلم، لو

٤٤. الكافي ٢: ١٧٧، ح٩.

كان الزائر يستفيد من هذه الزيارة منافع معنوية، كالاستماع إلى موعظة أو نصيحة أو تعلم علم ونحو ذلك، لأنّ فيه تعزيزًا للعلاقة والأُخوة الإيمانية، وكذلك لا يخلّ فيها من ذهب لزيارة أخيه المسلم لبحث قضية من قضايا المسلمين والتفكير في إيجاد حلول لمشاكلهم؛ لأنّه ليس في هذه الزيارة رغبة في مصالح ضيقة وانتهازيات، وإنما كانت لمصلحة عامة ولمعالجة همّ عام من هموم المسلمين، وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[٤٥].

إذن فالدوافع الإلهية لا تتنافى مع طلب الإنسان للثواب الإلهي، أو أن يكون طالبًا لعلم ومعرفة للحصول على كمال، فهذه أيضًا لله (سبحانه وتعالى)، وكذلك إذا كانت الزيارة لقضاء حاجة مؤمن أو علاج مشكلته، لأنّ هذا مما يرضي الله (سبحانه وتعالى)، وهذه الزيارة هي أيضًا لله (سبحانه وتعالى).

«وكّل الله عز وجل به سبعين ألف ملك ينادونه من خلفه إلى أن يرجع إلى منزله ألا طبت وطابت لك الجنة»: مرّ نفس المضمون في الرواية السابقة، ولكن في الأولى زيادة: «فأنتم زوار الله وأنتم وفد الرحمن».

وفي رواية أخرى يرويها السكوني عن الإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلّوا»[٤٦].

في هذه الرواية الكريمة ينقل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حكمة من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في فضل زيارة الإخوان. ونودّ أن نشير هنا إلى الغاية التي يسعى من أجلها أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، في نقل أحاديث وحكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم يستطيعون أن ينشئوا كلامًا مثله أو قريبا منه، لأنّهم نور واحد وعلمهم من منبع واحد، وقد خطر بالبال أنّهم يفعلون ذلك لتعميق الصلة بين المسلمين ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، باعتبارهما الممثلين الحقيقين للإسلام، ويجب على المسلمين أخذ معالم الدين الحنيف منهما، ولتبيّن أيضًا أنّ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الناقل لأحاديثهما هو الامتداد الرسالي لهما، الذي يجب تلقي المعارف الإلهية عنه والأخذ منه.

٤٥. الكافي ٢: ١٦٣؛ ح١.
٤٦. الكافي ٢: ١٧٩، ح١٦.

وقد تضمنت هذه الحكمة الإشارة إلى فقرة واحدة نتناولها بالشرح والبيان.

«لقاء الإخوان مغنم جسيمٍ»: يعني أنّ لقاء الإخوان مكسب عظيم، وفي هذه الرواية الكريمة جاء التعبير باللقاء بدلًا من الزيارة كما ورد في الروايتين السابقتين، واللقاء أعم من الزيارة؛ لأنّه قد يكون في أماكن عامة مثلًا، وقد عبّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن لقاء الإخوان بأنّه غنيمة عظيمة، وهو تعبير يحتاج إلى تأمل كبير لما ينطوي عليه من معان جليلة.

«وإن قلّوا»: أي وإن كان عدد هؤلاء الإخوان قليلًا، فإنّ لقاءهم يعدّ مكسبًا عظيمًا، ولذا لا ينبغي الزهد في لقاء الإخـوان؛ لأنّ هذه العلاقة هي علاقة نوعية، وأصل هذا التوجه أن يضع المؤمن يده بيد أخيه المؤمن ويبني معه علاقة، فالمهم أن ينفتح المؤمنون بعضهم على البعض الآخر، فإنّ هذا التوجه يجعل سبعين ألف ملك يمشون وراءه ويشيّعونه ذهابًا وإيابًا، ويجلب له رضا الله (سبحانه وتعالى)، ويضمن له الجنة.

وليس المهم أن يكون هؤلاء المؤمنون واحدًا أو ألفًا، بل المهم هو نوعية العلاقة لا كميتها، وإن كان مما لا ينكر أنّه إذا كان العدد أكبر كان أحسن، ولكن إذا لم يوجد العدد الكبير فليس معنى ذلك أن نترك العلاقة، فإنّ العلاقة لا يكفي فيها أن تقتصر على الحب القلبي، بل لا بد من أن تتجسد بوجود خارجي عن طريق التواصل والاطلاع على أحوال الأخ المؤمن وشؤونه عن قرب، فلعله في مأزق أو عوز مادي ويستحي أن يفاتح إخوانه بالموضوع ليساعدوه.

فضل المصافحة

انظروا إلى هذه الرواية الطريفة عن أبي عبيدة قال: «كنت زميل أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنت أبدأ بالركوب ثم يركب هو، فإذا استوينا سلّم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، قال: وكان إذا نزل نزل قبلي، فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلّم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه. فقلت: يا ابن رسول الله، إنك لتفعل شيئًا ما يفعله أحد من قبلنا، وإن فعل مرة فكثير. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما علمت ما في المصافحة؟ إنّ المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتى يفترقا»[٤٧].

تتحدث هذه الرواية الشريفة عن أهمية المصافحة بين المؤمنين وأثرها في محو

٤٧. الكافي ٢: ١٧٩، ح١.

الذنوب، وجلب النظر الإلهي إليهم. وغاية الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا الدرس العملي مع أحد شيعته، تعليم المسلمين الأدب الإسلامي الرفيع في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، وتتألف من فقرات عديدة، وهي واضحة المعنى ولكننا نمر عليها مرورًا سريعًا.

«كنت زميل أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ»: يعني كان أبو عبيدة ـ وهو من أصحاب الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ مرافقًا ومصاحبًا له في سفر، أو كانا خارجين معًا في مهمة.

«وكنت أبدأ بالركوب ثم يركب هو»: انظروا هنا إلى أدب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف كان ينتظر صاحبه في ركوب دابته أولًا احترامًا له، وكأنّ العرف آنذاك كان يقضي بركوب ذوي الوجاهة قبل غيرهم، مما يحمل في طياته شعورًا عند الآخرين بقلّة المرتبة الاجتماعية، فأراد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يكسر هذا العرف الجاهلي، ويثبت قواعد الخلق الإسلامي الرفيع في التواضع وتقديم الآخرين أمام نفسه، وإشعارهم بعلو منزلتهم والمبالغة في احترامهم وتكريمهم.

«فإذا استوينا سلّم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح»: فبعد خروجهما معًا من بيت الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وركوب كل منهما دابته، يسلّم الإمام على أبي عبيدة سلامًا حارًا، وكأنّه لم يلتقه منذ مدة طويلة، ثم يقترب منه ويصافحه. وقد أثار هذا التصرف غير المتعارف استغراب أبي عبيدة، ولكنه فضّل السكوت وانتظار ما ستؤول إليه مصاحبته للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّ التريث هو أول درس يتعلّمه المؤمن من درس لقاء نبي الله موسى للخضر (عليهما السلام)، وهذا يكشف عن مدى الحكمة التي يتمتع بها أبو عبيدة.

«قال: وكان إذا نزل نزل قبلي»: وكأنّ العرف آنذاك كان يقضي بنزول ذي الوجاهة أخيرًا بعد أن ينزل الآخرون، أي على عكس العرف في الصعود، فكان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يعامل صاحبه على عكس ما هو متعارف في زمنه، لنفس ما تقدّم آنفًا.

«فإذا استويت أنا وهو على الأرض، سلّم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه»: أي يسلّم الإمام بعد نزوله من الدابة على أبي عبيدة سلامًا حارًا، وكأنّه قد جاء من سفر بعد غياب طويل، مع أنّهما كانا معًا في أثناء الطريق لم يفترقا لحظة واحدة، لكنه يتقدّم نحوه ويصافحه.

«فقلت: يا ابن رسول الله إنك لتفعل شيئًا ما يفعله أحد من قبلنا، وإن فعل مرة فكثير»: وهنا نفد صبر أبي عبيدة وسأل الإمام عن تصرّفه على غير ما هو متعارف بين الناس، في الاقتصار على التحية والمصافحة عند اللقاء الأول.

«فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما علمت ما في المصافحة؟»: وهو جواب استنكاري لأبي عبيدة في استغرابه من فعل الإمام في تكرار المصافحة، مع أنّ من كان في منزلته يعرف ما في المصافحة بين المؤمنين من أجر وثواب عظيم.

«إنّ المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فلا تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر»: ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أثر المصافحة بين المؤمنين في غفران الذنوب، وأنّها تتساقط عن المؤمنين أثناء المصافحة كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف. ومنه نستطيع أن ندرك السر في تصرف النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند مصافحة أحد المسلمين، إذ كان لا ينزع يده من يد من يصافحه حتى ينزعها ذلك المسلم؛ لأنّ المصافحة كلما استغرقت وقتًا أكثر، كان تساقط الذنوب من الطرف الآخر أكثر.

«والله ينظر إليهما»: والمقصود بنظر الله تعالى إلى المتصافحين، هو شمول العناية الإلهية لهما حتى يفترقا.

وفي رواية أخرى يرويها أبو خالد القماط عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما، فصافح أشدهما حبًا لصاحبه»[٤٨].

تتناول هذه الرواية أيضًا موضوع المصافحة بين المؤمنين وأثرها في حياتهما، وهي تبيّن حقيقة غيبية لأثر المصافحة في المتصافحين، والمقصود من يد الله تعالى هنا هي بركته، ومعنى الرواية الشريفة أنّ المؤمنين عندما يتصافحان يدخل الله تبارك وتعالى البركة والرحمة واللطف بينهما، ثم يصافح أشدهما حبًا لصاحبه، أي أنّ هذه البركة تذهب للأشد حبًا لصاحبه.

فلا يكفي أن يحب المؤمن أخاه المؤمن، ولا يكفي أن يعبّر عن هذه المحبة بالمصافحة، بعد أن كان نظر الله تعالى إلى مستوى العلاقة الأشد عمقًا، فالذي يحب أكثر هو الذي يحظى بالرحمة والبركة الأكثر، والرعاية الإلهية الأعظم.

إذن فالمطلوب حسن الظاهر والباطن، ففي الباطن يختار الله تعالى أشدهما حبًا، والأشد حبًا هو من كان حبه من سويداء القلب فيكون حبه حقيقيًا، والحب الحقيقي هو الحب لله (عز وجل)، لا من أجل مصلحة دنيوية. وقد يبتسم شخص للجميع ويحييهم ويصافحهم، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون نابعًا من حب الآخرين، بل قد

٤٨. الكافي ٢: ١٧٩، ح٢.

يكون لعادة حسنة تعودها أو لمصلحة شخصية اقتضتها، والعلاقة التي تحظى بالاهتمام الإلهي هي تلك العلاقة النابعة من الحب لله (عز وجل) لا مطلق الحب، فربما كان الطرف الآخر محبوبًا لدماثة أخلاقه أو لقرابته أو وسامته وما إلى ذلك.

وروى أبو عبيدة الحذاء قال: «زاملت أبا جعفر في شق محمل من المدينة إلى مكة، فنزل في بعض الطريق، فلما قضى حاجته وعاد قال: هاك يدك يا أبا عبيدة، فناولته يدي فغمزها حتى وجدت الأذى في أصابعي، ثم قال: يا أبا عبيدة ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه وشبك أصابعه في أصابعه إلا تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشاتي»[٤٩].

تتطرق هذه الرواية الكريمة أيضًا إلى أهمية المصافحة بين المسلمين، وأثرها في محو الذنوب، وكيف أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يلتمس أدنى عذر ـ وهو الافتراق بضع دقائق ـ في سبيل تطبيق هذه الشعيرة الإسلامية، ويكرس في مجتمع المسلمين هذا الخلق العظيم، لما له من أثر جسيم في مستقبل المسلم، وهو غفران الذنوب التي ارتكبها طيلة حياته، وذهابه إلى لقاء بارئه (عز وجل) نظيفًا من أدران المعاصي.

وغمز اليد بقوة عند المصافحة هو إشارة إلى شدّة الحب وعمق الشوق الذي يضمره الإنسان لصاحبه، وليس المقصود منه كما يرمي إليه البعض في هذه الأيام هو إيذاء الآخر، أو بيان مقدار قوته وشدة عضلاته، بل إنّ شدّة الغمز دليل على شدّة المحبة، ولذا ينبغي أن يحرص عليها المسلم، ليكون صاحب النصيب الأوفر في الحصول على الأجر والثواب الأخروي.

ثم بيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي عبيدة أثر المصافحة في محو الذنوب، وكيف أنّها تتساقط عن المتصافحين كما يتساقط الورق من الشجر في يوم من أيام الشتاء من شدة البرودة، حيث تتيبس هذه الأوراق وتتناثر، وكما أنّ الشجر يصير أملس لا ورق فيه، فكذلك المسلم بعد المصافحة يكون خاليا من الذنوب.

وفي رواية يرويها أيمن بن محرز عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما صافح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رجلًا قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه»[٥٠].

تتحدث هذه الرواية المباركة عن خُلق رفيع من أخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

٤٩. الكافي ٢: ١٨٠، ح٥.
٥٠. الكافي ٢: ١٨٢، ح١٥.

في المصافحة، وهو أنّه لم يكن ينزع يده من يد من يصافحه، حتى يكون ذلك الشخص هو الذي ينزع يده من يد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، على عكس العرف الشائع الآن في بعض الأوساط من المبادرة إلى نزع يده، بمجرد التماس مع يد من يصافحه.

إنّ السبق إلى إلقاء التحية يعني السبق في إقامة العلاقة، والاستمرار في المصافحة يعني الإصرار على استمرار هذه العلاقة، وفيها إشعار بالاحترام والاهتمام. فطول المصافحة أمر مهم جدًا لما فيه من حفاوة العلاقة.

وفي رواية أخرى يرويها ابن القداح عن أبي عبدالله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «لقي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حذيفة، فمدّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يده فكفّ حذيفة يده، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: يا حذيفة بسطت يدي إليك فكففت يدك عني؟ فقال حذيفة: يا رسول الله بيدك الرغبة، ولكني كنت جنبًا فلم أحب أن تمس يدي يدك، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: أما تعلم أنّ المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»[٥١].

كان حذيفة ـ وهو من أصحاب النبي الأكرم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ـ يمشي، فرآه النبي (صلّى الله عليه وآله) فسلّم عليه ومدّ يده إليه ليصافحه، ولكن حذيفة لم يمدّ يده ليصافح النبي، وهذه المبادرة تعكس الخُلق الرفيع لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي شهد به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥٢]، خلافًا لما هو متعارف اليوم من أنّ الأقل شأنًا هو الذي يبادر إلى إلقاء التحية ومدّ اليد للمصافحة، ثم إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالإضافة إلى ذلك هو الذي بادر إلى سؤال حذيفة عن سبب كف يده، حرصًا منه على تربية أصحابه على الأخلاق الحميدة، في حين كان ينبغي لحذيفة أن يبادر إلى بيان السبب قبل أن يُسأل، وأجاب حذيفة بأنّه كان مجنبًا، ولذلك لم يمدّ يده ليصافح يد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؛ لأنّه لم يحب أن يمس يد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو غير طاهر، وإلا فمن لا يرغب في التبرك بمصافحة يده الكريمة؟. فبيّن له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الأثر العظيم للمصافحة بين المسلمين في محو الذنوب وإن لم يكونا على طهارة.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

٥١. الكافي ٢: ١٨٣، ح١٩.

٥٢. سورة القلم: الاية ٤.

المحاضرة الأخلاقية السادسة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، اللهم صل على محمد وال محمد.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن الأخوّة الايمانية، وذكرنا أهمية هذا الموضوع، وتحدثنا عن تعريف هذه الأخوّة، مما جرنا للحديث عن الإيمان وحقيقة الإيمان، ثم تحدثنا عن أقسام هذه الأخوّة والعلاقة الإيمانية، وانتهينا بعد ذلك للحديث عن أهمية الأخوّة، واستعرضنا العديد من النصوص الشرعية من آيات وروايات وردت في هذا الشان.

نطلّع في هذا اليوم أيضا على عدد من الروايات التي تشير إلى موقع ودور الأخوّة الإيمانية، والعلاقة الإيمانية والأثر العظيم لها في الدار الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة.

بالأمس تحدثنا عن المصافحة، واليوم نتحدث عن ما هو أكثر من المصافحة، وهي المعانقة بين الأخوين المؤمنين، إن المؤمنين إذا تعانقا غمرتهما الرحمة، الرحمة تستوعبهم، الرحمة الإلهية تنزل عليهم، هذا العناق في الله، والحب في الله، والتعبير عن هذه المحبة، وهذه الإخوّة بالمعانقة بين المؤمنين تستنزل الرحمة الإلهية، حالة الارتباط بين الأخوين المؤمنين التي لا يريدان منها إلا وجه الله (سبحانه وتعالى) ولايريدان غرضا من أغراض الدنيا، تستنزل الرحمة الإلهية إذا كان دافعها الله (سبحانه وتعالى) وليس لشيء آخر

فضل المعانقة

وردت في فضل المعانقة نصوص كثيرة، نذكر بعضًا منها.

روى إسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ المؤمنين إذا اعتنقا معانقة غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله ولا يريدان غرضًا من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفورًا لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة في يوم القيامة، قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنهما فإنّ لهما سرًا وقد ستر الله عليهما. قال إسحاق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما وقد قال الله عز وجل: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»[٥٣]؟ قال: فتنفس أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الصعداء ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته وقال: يا إسحاق إنّ الله تبارك وتعالى إنما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالًا لهما، وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما فإنّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السر وأخفى»[٥٤].

تتحدّث هذه الرواية الكريمة عن أهمية المعانقة ـ وهي أن يضع كل واحد منهما عنقه على كتف الآخر ـ في تمتين أواصر الأخوّة الإيمانية بين المؤمنين، وما لها من أثر عظيم في محو الذنوب، وهي تتألف من فقرات عديدة نحاول أن نستوحي منها بعض الأفكار والمفاهيم التي تساعدنا على انتشال أنفسنا إلى مراق أعلى من الكمال.

«إنّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة»: إذا التقى المؤمنان ولم يكتفيا بإلقاء التحية والمصافحة، بل تعديا إلى مستوى أعلى فتعانقا، فإنّ جزاءهما أن يغمرهما الله تعالى برحمته الواسعة، فالحب في الله والتعبير عن هذه المحبة وهذه الأخوّة بالمعانقة أمر يستنزل الرحمة الإلهية.

«فإذا التزما»: أي إذا أمسك كل واحد منهما صاحبه أثناء المعانقة.

«لا يريدان بذلك إلا وجه الله، ولا يريدان غرضًا من أغراض الدنيا»: أي إذا كان أساس هذه المعانقة وهذا الالتزام قربة لله (سبحانه وتعالى)، وليس لغرض دنيوي مهما كان ذلك الغرض.

«قيل لهما: مغفورًا لكما فاستأنفا»: أي قال لهما الله تعالى أو قالت لهما الملائكة نيابة عن الله تعالى: إنّ الله تعالى قد غفر لكما ذنوبكما فاستأنفا العمل من جديد، وافتحا

٥٣. سورة ق: الاية ١٨

٥٤. الكافي ٢: ١٨٤، ح٢.

صفحة جديدة خالية من كل ذنب اقترفتماه، فالاستئناف يعني أن يبدأ الإنسان عمله من جديد بعد أن غفر الله تعالى له كل الذنوب التي ارتكبها في حياته، وهذه صفحة بيضاء كيوم ولدته أمه، فليستأنف العمل، ومن اليوم سيكتب في هذا السجل ما يأتي به من أعمال، فليملأه بالحسنات والعمل الصالح ويتجنب ارتكاب الذنوب ليبقى نظيفًا، فيعطى كتابه في يمينه ليحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا.

«فإذا أقبلا على المساءلة في يوم القيامة»: أي عندما تقوم القيامة وينشر الناس للحساب ليُسألوا عما فعلوا في الحياة الدنيا.

«قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنهما فإنّ لهما سرًا وقد ستر الله عليهما»: أي تقول ملائكة الحساب بعضها لبعض: افسحوا الطريق لهؤلاء، فإنّه غير مسموح لكم أن تحاسبوهم؛ لأنّ لهم سرًا مع الله (سبحانه وتعالى). وهو ـ من باب المثال ـ يشبه من يصل في المطار إلى مكان تدقيق الجوازات ليسمح له بدخول البلد، فيقول موظفو الجوازات بعضهم للبعض الآخر: افسحوا له الطريق ليعبر، ولا يُسمح لكم بمعرفة شيء عن هويته، لأنّ جوازه مشفّر ولا يُسمح لكم بالاطلاع على ما فيه؛ لأنه رجل مهم، وصاحب سر وعنده تصريح خاص في العبور.

إذن، من يعمّق علاقته الإيمانية باخوته، فإنّ الملائكة في يوم القيامة عندما تفتح سجله للمساءلة لا ترى أي معلومة عنه، وجميعها مستورة عنهم، ويقال لهم: هذا ليس من عملكم ولا تتدخلوا في هذه القضية، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) قد أخفى أعمالهم، ولا يحق حتى للملائكة أن تطّلع على أعمالهم وتحاسبهم.

«قال إسحاق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما وقد قال الله عز وجل: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»: أي قد أخبر الله (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم أنّ كل كلمة ينطق بها الإنسان في الدنيا، وكل فعل يأتي به، يُسجّلان في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكيف تقول إنّ سجلهما خالٍ ولم يدوّن فيه شيء؟.

«قال: فتنفس أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الصعداء»: أي صعد نفسه حسرة وألمًا.

«ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته»: أي تبللت لحيته بدموع عينيه.

«وقال: يا إسحاق، إنّ الله تبارك وتعالى إنما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالًا لهما»: فيأمر الله تعالى الملائكة بأن تبتعد جانبًا وتفسح الطريق أمام

المؤمنين ولا تتدخل في شأنهما، وتسمح لهما بالجواز إلى الجنة من غير حساب؛ كل ذلك يفعل بهما إجلالًا وإكرامًا وتعظيمًا لهما، لئلا تطّلع الملائكة على شيء من ذنوبهما فتنظر إليهما نظرة استصغار.

«وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما»: أي لم يسمح الله عز وجل للملائكة في الدنيا أن تقترب وتسجل ما يقوله هذان المؤمنان، وحجب عنهم سماع ما يقولان.

«فإنّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السر وأخفى»: ولكن الله (سبحانه وتعالى) يعلم ما قالوا؛ فإنّه يعلم السر الذي يخفيه الإنسان في قلبه ولم ينطق به، فكيف يعزب عن علمه ما تلفّظ به الإنسان؟، ولكن كرامة لهذه الأخوّة الإيمانية، وكرامة لالتزام أحدهما للآخر، فإنّ الله (سبحانه وتعالى حجب ذلك عن ملائكته ولم يسمح لهم بأن يعلموا ما يدور بين هذين المؤمنين.

وفي هذا السياق مجموعة أخرى من الروايات ذات مداليل مهمة جدًا.

العلاقة الروحية بين المؤمنين

روى جابر الجعفي قال: «تقبضت بين يدي أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو أمر ينزل بي، حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي، فقال: نعم يا جابر، إنّ الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحًا من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنّها منها»[٥٥].

تفسّر هذه الرواية المباركة حالة نفسية يمر بها المؤمن أحيانًا ولا يجد لها تفسيرًا، وذلك حين يشعر بالانقباض من غير علة ويضيق صدره من غير سبب، وقد مرّت هذه الحالة بجابر الجعفي، أحد حواريي الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو جالس بين يديه، فسأله عن تفسير هذه الحالة النفسية التي تنتابه بين الفينة والأخرى، من غير أن يعرف لها سببًا، وهي من الشدّة بحيث يعرف منه ذلك أهله وأصدقاؤه، فالإنسان تمر عليه حالات من هذا النوع لسبب يعتريه ويعرفه كفقدان مال أو ولد، ولكن أن يضيق صدره فجأة من غير أن يعرف لذلك سببًا ثم يزول بعد مدة، فهذا أمر يدعو إلى الاستغراب والتساؤل. وتفسير هذه الظاهرة من كنوز علوم آل محمد التي لا يتسنى لغيرهم معرفتها، ولولاهم

٥٥. الكافي ٢: ١٦٦، ح٢.

لبقي تفسيرها سرًا لا يهتدي إليه أحد من الناس مهما بلغ من العلم؛ لأنّها ترتبط بعوالم أخرى لا يمكن أن يطّلع عليها الآخرون.

وتفسير هذه الحالة على لسان الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو أنّ الله عز وجل خلق المؤمنين جميعًا من طينة الجنة، ونفخ فيهم من روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، وإن لم يكن من أبيه وأمه المباشرين، ولكن جينات المؤمنين تأتي من منبت صالح واحد وتتفرق عبر الأصلاب، ولذلك تكون في المؤمن أمارات الصلاح منذ الطفولة. فإذا أصاب روحًا من تلك الأرواح التي هي حية ترزق في نفس الزمان الذي يعيش فيه في بلد من البلدان حزن، حزنت لها الأرواح الأخرى لأنّها منها.

فمثلًا إذا أصاب أحد المؤمنين في بنغلادش أو ميانمار أذى، وأنا لا أعرفه ولا أدري أين تقع بنغلادش أو ميانمار، ينقبض قلبي فجأة، من غير أن أعرف ذلك المؤمن، لا اسمه ولا مكانه ولا أدري ما حلّ به، لأنّنا من طينة واحدة. وطبعًا لا يسري هذا الانقباض في كل الحالات، وإلا لو كان أي مؤمن في أي مكان يتعرض إلى أذى فتنقبض له صدور المؤمنين الآخرين، لكان المؤمن يعيش في حالة انقباض مستمر، إذ لا شك في أنّه في كل لحظة على مدار الساعة هناك مؤمنون يتعرضون إلى مظالم في أماكن متفرقة من العالم، فإذن لا بد من وجود حالات معينة أو ظروف خاصة تسري فيها هذه الحالة إلى قلوب المؤمنين الآخرين.

ولذلك نجد أحيانًا أثر مثل هذه العلاقة الروحية العميقة بين الأم وولدها، فإذا تعرض لحادث وهو في مكان آخر ينقبض قلبها، والعلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن أوثق من علاقة الأم بولدها، فتظهر مثل هذه الآثار.

وروى علي بن عقبة عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يعده عدة فيخلفه»[٥٦].

تتحدّث هذه الرواية الشريفة عن حدود وضوابط العلاقة الإيمانية التي يجب أن ترتقي إلى مستوى الأخوّة، باعتبارها أرسخ علاقة عرفها الإنسان مع أفراد نوعه. وهي تتضمن مجموعة من الحقائق والحقوق نبيّنها في ما يلي.

«المؤمن أخو المؤمن»: تبدأ الرواية ببيان الأساس الذي تبنى عليه العلاقة بين

٥٦. الكافي ٢: ١٦٦، ح٣.

المؤمنين، وهو أنّ هذه العلاقة هي علاقة الأخوّة، وليست علاقة صداقة أو جوار أو رفقة أو قرابة من الدرجة الثانية.

«عينه»: يرى الإنسان بعينه الأشياء كما هي، وأما كيف يصفها للآخرين فهذا بحث آخر، ولكن هو يراها بلا رتوش، والمؤمن هو عين أخيه المؤمن، فيجب عليه أن يرى الأشياء له كما هي، وينقلها له كما هي بلا زيادة أو نقصان، وربما يخشى البعض أنّه لو نقل الواقع كما هو لأخيه المؤمن فسوف لا يقبل، فيقال له: حسنًا لو كان هذا الأخ موجودًا هنا ورأى بعينه هذا الأمر فهل سيرفض؟ طبعًا لا، فعين المؤمن هي كذلك لأخيه المؤمن، وهو يرى لأخيه كما يرى لنفسه حتى يصح أن يكون عينه، وإلا لم يكن عينه.

«ودليله»: والمؤمن ليس فقط عينًا للمؤمن، بل هو دليل له يرشده وينصحه، ويبيّن له الخطأ من الصواب، ولكن ليس أمام الآخرين لئلا يخجله، بل يتكلم معه على انفراد ويقول له بلطف ومحبة، إنّ القول أو العمل الفلاني الذي صدر منك لم يكن جيدًا، وهذا السلوك سوف يُحسب عليك، ويتجنب الشدّة والخشونة والعناد والخصومة في النصيحة، ويحرص على الهداية والإرشاد إلى الطريق الصحيح.

«لا يخونه»: فالمؤمن لا يخون أخاه المؤمن عند إرشاده ونصيحته، فمثلًا إذا تصدى لإلقاء خطبة ولم يكن موفقًا فيها لا يقول له: لقد كانت خطبة لطيفة، وتضمنت كلامًا جميلًا، وكان أداؤك رائعًا، في حين كان جميع من سمعوه يضحكون، بل يقول له بكل صدق: إنك لم تحضّر لهذه الخطبة بشكل صحيح، ولم يكن أداؤك جيدًا، ولا يغرّر به ولا يضيّعه بالمجاملات. وينبغي أن يقول له: هذا صح وهذا خطأ، ويجب أن يكون الأمر بهذا النحو وليس بذاك النحو، كل ذلك بمحبة ولطف وعلى انفراد وليس أمام الآخرين، وبالتلميح لا بالتصريح إن استطاع أن يتوصل إلى مطلوبه، وإلا نبيّن له بشكل صريح وواضح ولكن بطريقة لا تزعجه.

وعلينا استخدام المفردات والكلمات التي ليس فيها خدش لمشاعره؛ لأنّ الإنسان تأخذه العزة بنفسه وبكبريائه، فإذا تكلّمنا معه كلمة بطريقة خشنة، فإنّه لن يقبلها منا حتى لو كانت حقا، ولهذا ينبغي أن نتكلّم معه بطريقه يتقبلها منا.

«ولا يظلمه ولا يغشه»: فلا ظلم ولا غش بين المؤمنين، وهو عندما يبيّن له الحقيقة كما هي، لأنّه عينه ودليله، لم يظلمه ولم يغشه، فيجب قول الواقع كما هو، وليس في ذلك شيء، فالكمال لله (سبحانه وتعالى(، وكلنا خطاؤون.

وينبغي على المؤمن أن يتقبل النصيحة من أخيه المؤمن ولا تأخذه العزة بالإثم،

ويقتدي بقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحب إخواني من أهدى إليّ عيوبي»[٥٧]، فالمعصوم يسمّي الإخبار بالعيوب هدية؛ لأنّ المؤمن عندما يعلم بعيوبه يبادر إلى إصلاحها فيتكامل، وبذلك يتجنب تكرارها لأنّه كان يظنها عملًا صحيحًا ولم يلتفت إلى خطئها. وهو امتثال للأمر الإلهي بالتواصي بالحق: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٥٨]، والتواصي بالحق أمر مهم جدًا.

وفي رواية أخرى يرويها أبو بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيئًا منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشد اتصالًا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[٥٩].

تتحدّث هذه الرواية المباركة عن الترابط العضوي المتين بين المؤمنين، وتشبّهه بأعضاء الجسد الواحد، وكيف أنّه لو تعرض عضو منه إلى المرض أصاب الألم سائر الجسد، وتعرض للسهر والحمى، فيسلب النوم من عينيه، فكذلك المؤمن إذا تعرض لمحنة أو مشكلة، أصابت مجتمع المؤمنين جميعًا حالة الاستنفار لاستنقاذ ذلك المؤمن من محنته، وهذا هو التفسير الحقيقي للأخوّة الإيمانية. أما أن يبقى المؤمن يعاني وحده ما يصيبه من آلام وأذى، فذلك بعيد عن معنى الأخوّة، ولا يكون المؤمن حينئذ أخا للمؤمن ولا يكون معه كالجسد الواحد، فالذي ينبغي أن يكون عليه المؤمنون هو حالة التواصل والترابط والتعاون والتآزر والتكاتف بعضهم للبعض الآخر، لكي يستطيعوا أن يقفوا أمام المشكلات والمصاعب والتحديات، لا أن يكون بعضهم منعمًا لا يسأل عن باقي إخوانه المؤمنين، ما دام قد أمّن لنفسه وسائل الحياة المرفهة، أو يعيش مع من كان مثله مرفهًا ويترك باقي المؤمنين يقاسون آلام الفقر والمرض والإذلال وألوان المصائب والمصاعب، بل قد يصل الأمر إلى أكثر من ذلك؛ عندما يقف حائلًا أمام جهود مؤمنين آخرين لإنقاذ إخوانهم مما هم فيه من العوز والحرمان والاستضعاف.

ويخبرنا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية أنّ أرواح المؤمنين من روح واحدة، وأنّ روح المؤمن لأشد اتصالًا بروح الله تبارك وتعالى من اتصال شعاع الشمس بالشمس، ونحن نعلم طبيعة العلاقة بين الشمس وشعاعها، بحيث هي غير قابلة للانفكاك وهما

٥٧. الكافي ٢: ٦٣٩، ح٥.
٥٨. سورة العصر: الاية ١ ـ ٣.
٥٩. الكافي ٢: ١٦٦، ح٤.

متلازمان لايفترقان، وأنّه ما دامت الشمس موجودة فشعاعها موجود لا محالة، فكذلك روح المؤمن هي على اتصال مستمر ودائم بروح الله تعالى لا تنفك عنها، وهي أقوى وأشدّ من علاقة شعاع الشمس بها.

وفي رواية أخرى عن حفص بن البختري قال: «كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ودخل عليه رجل، فقال لي: تحبه؟ فقلت: نعم. فقال لي: ولم لا تحبه وهو أخوك، وشريكك في دينك، وعونك على عدوك، ورزقه على غيرك»[٦٠].

تتحدّث هذه الرواية الشريفة عن حقيقة أخرى من حقائق الأخوّة الإيمانية، وهي حب المؤمن للمؤمن وإن لم يعرفه، وهي ظاهرة تلفت الانتباه، إذ إنّ الإنسان لا تتولد عنده مشاعر الحب والكراهية للآخرين إلا بعد الاختلاط بهم ومعرفة أفكارهم وسلوكهم. وتفسير هذه الظاهرة هو ما أشارت إليه الروايات السابقة، في أنّ أرواح المؤمنين مخلوقة من طينة واحدة، ولذلك يألف بعضها بعضًا ويحب بعضها بعضًا.

ثم يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الأسباب التي تدعو إلى حب المؤمن لأخيه المؤمن بالإضافة إلى ما مرّ ذكره، وهي أربعة أسباب:

السبب الأول: الأخوّة، ومن الطبيعي أن يحب الأخ أخاه لا لسبب سوى الأخوّة.

السبب الثاني: الشراكة في الدين، وهي الشراكة في الإيمان، وبما أنّ هذه الشراكة ليست شراكة دنيوية، فهي لا تستدعي الخصومات والنزاعات كما هو الحال في الشراكات الدنيوية، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٦١]، فالشراكة في الدين هي شراكة خطيرة ومهمة.

السبب الثالث: الإعانة على العدو، فعندما يتعرض المؤمن إلى اعتداء بسبب دينه، نرى أنّ باقي المؤمنين يهبون لنصرته، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[٦٢].

السبب الرابع: عدم تحمل نفقته؛ لأنّ من كان شريكًا وعونًا يحتاج إلى حقه في الشراكة والإعانة، إلا المؤمن فإنّ رزقه على غيره وهو الله تبارك وتعالى. فالمؤمن كله عون وإسناد، وكله قرب وشراكة، من غير أن يتحمل الآخرون تبعاته، ولذلك وصف

٦٠. الكافي ٢: ١٦٦، ح٦.
٦١. سورة ص: الاية ٢٤.
٦٢. سورة الشورى: الاية ٣٩.

رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ المؤمن بأنّه «قليل المؤونه كثير المعونة»[٦٣]، ولهذه الاسباب مجتمعة يقول الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لحفص البختري: «ولم لا تحبه وهو أخوك، وشريكك في دينك، وعونك على عدوك، ورزقه على غيرك».

وفي رواية أخرى عن أبي حمزة يرويها عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «سمعته يقول: المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه؛ لأنّ الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صورهم من ريح الجنة، فلذلك هم أخوة لأب وأم»[٦٤].

تتناول هذه الرواية الكريمة بيان حقيقة العلاقة بين المؤمنين، وأنّها بمنزلة الأخوّة النسبية، باعتبارها أقوى الروابط الإنسانية بين البشر، وذلك لأنّهم خُلقوا من طينة واحدة، وهي طينة الجنة، وهذا يعني أنّ أصلهم واحد وإن انتقلوا في أصلاب شتى، ولذلك ينبغي أن تكون العلاقة بينهم كالعلاقة بين الأخوين النسبيين.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾[٦٥]، يعني أنّ الأخوّة الإيمانية أولى من الابن النسبي لنبي الله إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وأنّ الأخوّة الإيمانية مقدّمة على الأخوّة النسبية.

وعن جميل عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «سمعته يقول: المؤمنون خدم بعضهم لبعض. قلت: وكيف يكونون خدمًا بعضهم لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضًا»[٦٦].

يتناول الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في هذا الحديث المبارك بُعدًا آخر من أبعاد الأخوّة الإيمانية، وهو خدمة المؤمن للمؤمن، ولكن ما معنى هذه الخدمة؟ هل معناها أنّ المؤمن يذهب إلى بيت أخيه المؤمن ليقوم له ببعض الأعمال المنزلية؟ ولذلك تساءل الراوي عن كيفية هذه الخدمة، فأجابه الإمام عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بأنّ معناها أن ينفع بعضهم البعض الآخر، أي أنّ كل واحد من المؤمنين يقدّم لإخوانه المؤمنين ويساعدهم في ما هو من اختصاصه، فمثلًا من كان نجارًا يستطيع أن ينجز لإخوانه ما يحتاجون إليه بإتقان أكبر وأجر أقل، ومن كان بقالًا يبيع لهم بضاعة جيدة بسعر أقل. وهكذا، وهذا يسمّى خدمة متبادلة، فمنظومة المؤمنين منظومة تخادم في ما بينهم، ولا يوجد في قاموسهم:

٦٣. بحار الأنوار ٦٤: ٣١١، ح٤.
٦٤. الكافي ٢: ١٦٦، ح٧.
٦٥. سورة آل عمران: الاية ٦٨.
٦٦. الكافي ٢: ١٦٧، ح٩.

لا دخل لي في ما تريد، اذهب وابحث عن شخص آخر غيري، لا فرق بينك وبين الآخرين، لا استطيع أن أقدّم لك خدمة، لا وقت عندي لما تطلبه منّي. . وهكذا، بل على المؤمن أن يبذل قصارى جهده لخدمة إخوانه المؤمنين.

وفي رواية يرويها محمد الطيار عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لم تتواخوا على هذا الأمر وإنما تعارفتم عليه»[٦٧].

يبيّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث الشريف عمق الأخوّة الإيمانية، وأنّها لم تكن وليدة الحياة الدنيا، بل هي تمتد إلى عوالم أسبق؛ عندما خلقهم الله (سبحانه وتعالى) من طينة واحدة، فثبتت لهم الأخوّة في ذلك العالم، ولكنهم تعارفوا هنا، كمن ضاع له أخ في الطفولة وبعد عشرين عامًا عثر عليه، وأثبت له أخوته بواسطة الأدلة القطعية التي لا تقبل الشك، فهذا كان أخًا منذ الولادة، ولكنه تعرف على أخيه بعد عشرين عامًا. فكذلك الأمر في الأخوّة الإيمانية، فالمؤمن أخو المؤمن من عالم الطينة، ولكنه تعارف على أخوته في هذه الحياة الدنيا.

فالأخوّة الإيمانية كالأخوّة النسبية؛ لأنّ الطينة واحدة، فهم يولدون وهم إخوة مؤمنين، ولكن تعرّف بعضهم على البعض الآخر في هذه الدنيا، ولم يصبحوا إخوة بعد تعارفهم على أمر الولاية.

وهناك رواية أخرى يرويها الشيخ الكليني عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «التواصل بين الإخوان في الحضر: التزاور، وفي السفر: التكاتب»[٦٨].

يتحدّث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الشريفة عن كيفية التواصل بين المؤمنين في الحضر والسفر، فعندما يكونون في مدينة واحدة تكون هذه العلاقة عن طريق التزاور، بأن يزور بعضهم البعض الآخر، أما إذا كانوا في السفر فإنّ هذه العلاقة تكون عن طريق المراسلة، وفي الوقت الحاضر وبعد التطور الهائل في التكنولوجيا يمكن أن يحصل هذا الترابط عن طريق المكالمات الهاتفية والفيس بوك والإيميل، ويجب على المؤمن ألاّ ينقطع عن أخيه المؤمن، ويحاول التشبث بأي وسيلة للاستمرار في الاتصال به. فالتواصل مع الأخ المؤمن في كل الأحوال مسألة مهمة وضرورية.

٦٧. الكافي ٢: ١٦٨، ح١.
٦٨. الكافي ٢: ٦٧٠، ح١.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ردّ جواب الكتاب واجب كوجوب ردّ السلام، والبادي بالسلام أولى بالله ورسوله»[٦٩].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة حكمًا شرعيًا، مفاده أنّ الجواب على الرسالة أمر واجب كوجوب ردّ السلام، فقد أوجب الله تعالى ردّ السلام بقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٧٠].

وللحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله ربّ العالمين

٦٩. الكافي ٢: ٦٧٠، ح٢.
٧٠. سورة النساء: الاية ٨٦.

المحاضرة الأخلاقية السابعة
بتأريخ ٢٠/٧/ ٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبّل الله أعمالكم، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأُخوّة الإيمانية، وذكرنا أهمية التواصل بين المؤمنين، وقلنا إنّ التواصل المتبادل أمر يقوّي عزيمة المؤمنين بعضهم مع البعض الآخر، لئلا تتحول العلاقة المتبادلة إلى علاقة من طرف واحد، فالتواصل بين المؤمنين ينبغي أن يكون متبادلًا، وواجب على كل مؤمن أن يتواصل مع أخيه المؤمن الذي يبادره بالتواصل، والفضل في ذلك لمن بدأ هذا التواصل. فالمؤمن عليه أن يتواصل مع المؤمن في كل الظروف وفي كل الأحوال.

وفي هذا السياق نجد الرواية الشريفة التالية تؤكد أهمية التواصل والعلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن، حتى لو كان ذلك الأخ يواجهه بصدود وبرود؛ لأنّ العلاقة ليست معه لأنّه فلان، بل لأنّ هذه العلاقة علاقة يريدها الله تعالى ودوافعها إلهية. فإذا تعامل مؤمن مع أخيه المؤمن بجفاء وبرودة فعليه أن يتعامل معه بحفاوة وحرارة؛ لأنّ هذه العلاقة علاقة لله (سبحانه وتعالى)، يبتغى من ورائها الأجر بقطع النظر عن ردود الأفعال وطريقة تعامل الآخر.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «احمل نفسك مع

أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمسألة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على الاعتذار، حتى كأنك عبد له وكأنه ذو نعمة عليك، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله»[٧١].

يتناول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث الشريف بُعدًا آخر من أبعاد العلاقة الإيمانية، وهو الحرص على المحافظة على هذه العلاقة وعدم التفريط بها، وإن أظهر الطرف الآخر عدم اكتراثه واهتمامه بها. ويتضمن هذا الحديث فقرات عديدة نتطرق إليها في ما يلي:

«احمل نفسك مع أخيك عند صرمه على الصلة»: صرمه يعني قطعه، أي ينبغي الحرص على العلاقة مع الأخ المؤمن وإن قطعها معه، وعدم مقابلته بالمثل، والاستمرار في صلته، ولا يجوز أن يكون قطعه للصلة مبررًا لقطع الصلة معه، بل يجب عليه أن يحمل نفسه مع أخيه عند قطعه للعلاقة على المواصلة.

«وعند صدوده على اللطف والمسألة»: الصدود يعني الإعراض، أي قد يكون المؤمن معرضًا عن أخيه المؤمن لسبب ما، كأن يكون مهمومًا ومغمومًا، أو قد سمع شيئًا غير صحيح عنه، أو لعل هناك من يرغب في الإيقاع بينهما، أو لعل ذلك من وساوس الشيطان الذي يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين. ولذا يجب التعامل مع المؤمن عند صدوده بلطف، وألاّ يكون جواب الإعراض إعراضا مثله، فتتوتر العلاقة أكثر وأكثر.

«وعند جموده على البذل»: الجمود يعني البخل، أي يجب التعامل مع المؤمن على أساس البذل، وإن أظهر البخل والإمساك، فلعل هذا طبعه، أو لعله يمر بظروف صعبة، أو لعل عنده أولويات في الإنفاق على من كان واجب النفقة عليه. فهنا يجب التعامل معه على أساس الجود والسخاء، ولا ينبغي التعامل معه بالمثل، كيف وقد أمر الإسلام بالكرم مع المؤمن والكافر.

«وعند تباعده على الدنو»: أي كلما حاول الابتعاد أكثر، ينبغي الاقتراب منه أكثر؛ لأنّه عندما يرى نمطًا معاكسًا في التعامل والتواصل معه سوف يتغير ويستجيب للحفاظ على العلاقة الإيمانية، لا سيما عندما يتيقن أن ما يفعله معه لا يفعله لمصلحة دنيوية

٧١. نهج البلاغة ٣: ٥٣، الرقم ٣١.

يرجوها منه، بل هو تكليف ديني يحاول الالتزام به، رجاء للثواب الأخروي عند الله تبارك وتعالى.

«وعند شدته على اللين»: أي إذا كان أخوك المؤمن منفعلا، فتعامل معك بشدة وخشونة، فيجب عليك أن تقابله باللين والرفق، فمثلًا إذا رفع صوته عليك فلا ترفع صوتك عليه، وعامله بلين وشفقة ومحبة، وكن سببًا في إزاحة غضبه وتهدئة خاطره، فلعل أمرًا قد أثقل صدره ولم يجد من يعينه على إزاحته، ولا تُجبه بالمثل وكن له معلّمًا وقدوة للخلق الأفضل والأحسن.

«وعند جرمه على الاعتذار»: أي إذا أساء لك واعتدى عليك ثم اعتذر إليك فاقبل عذره، ولا ترد الاعتداء عليه أو توسع ردّة الفعل لتأخذ بُعدًا عشائريًا أو قانونيًا، فإنّه قد يكون ما صدر منه في لحظة غفلة، ثم ندم واعتذر، فهذا يكفي وافتح معه صفحة جديدة، ولا ينبغي الوقوف طويلًا في مثل هذه الأمور التي يفرح بها العدو، ويحاول أن ينفخ فيها ليؤجج فيها الشحناء والبغضاء. ويجب على المؤمن أن يتعامل مع أخيه المؤمن في كل الحالات على أساس المحبة والأخوّة والتسامح.

«حتى كأنك عبد له»: أي ينبغي أن تتعامل مع أخيك المؤمن وكأنه هو المولى وأنت العبد، فكما يجب على العبد أن يتحمل جميع ما يصدر من سيّده، فكذلك يجب على المؤمن أن يتحمل من أخيه المؤمن جميع ما يصدر منه، وكما أنّ العبد لا يرتّب أثرًا على ما يأتي به سيّده، فكذلك يجب على المؤمن ألاّ يرتّب أثرًا على ما يأتي به أخوه المؤمن.

«وكأنه ذو نعمة عليك»: أي أنزله منزلة صاحب النعمة عليك، فالأب، مثلًا، صاحب نعمة على ولده، فيأمر وينهى ويرفع صوته ويضرب، ويجب على الابن تحمّله، وكذلك الأخ المؤمن مع أخيه المؤمن، يتعامل معه كتعامله مع صاحب النعمة عليه، وتعامل العبد مع المولى.

«وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه»: ثم يحذّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من تعامل المؤمن مع غير المؤمن على هذا الأساس؛ لأنّه يعني عبودية المؤمن للفاسق والمنافق والكافر، وعليه أن يحرز أولًا بشكل يقيني أنّ الطرف المقابل إنسان مؤمن، ثم يتعامل معه على أساس ما ورد في الفقرات السابقة، وإلا فهي الذلة التي نهى الإسلام المؤمن عنها، فقد جاء عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»[٧٢]،

٧٢. الكافي ٥: ٦٣، ح٤.

بل دعاه إلى أن يكون عزيزًا في تصرفاته مع غير المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٣). فقد وضع الإسلام موازين خاصة للتعامل مع المؤمن، ووضع موازين أخرى للتعامل مع غير المؤمن، ولهذا يجب التمييز بينهما وعدم خلط بعضها مع البعض الآخر. فإنّ معاملة المتكبر مثلًا بالتواضع يدعوه إلى التكبر أكثر، وفي ذلك مساس بكرامة المؤمن.

فتجب معاملة المتكبر بالمثل وهو التكبر عليه؛ لأنّ خواءه سينهار بسرعة ويذل عندما يفعل ذلك به. وكذلك مقابلة الإساءة بالإحسان مع غير المؤمنين وخفض الجناح لهم سوف يغريهم أكثر بالإساءة وتجاوز الحدود. فمراعاة هذه القواعد خاصة بالعلاقة الإيمانية فقط، لا في مطلق العلاقات مع الآخرين.

«أو تفعله بغير أهله»: فالذي ليس أهلًا لمثل هذا الخلق لن يحملك على الصحة، ولا يقول إن هذا طاهر ونبيل، بل سيقول إن هذا جبان وضعيف، ولقد أرغمت أنفه وأوقفته عند حده وعرّفته قدره وقيمته. إذن فالتواضع مع أمثال هؤلاء سوف يرجع بنتائج سلبية على المؤمن ويجعله في موقع الذليل، والله (سبحانه وتعالى) لا يرضى بالذل للمؤمن.

وعن سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «اعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتتحول نقمًا، واعلموا أنّ المعروف مُكسبٌ حمدًا، ومُعقبٌ أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلًا رأيتموه حسنًا جميلًا يسرّ الناظرين»(٧٤).

يتناول الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث المبارك، مفهومًا إسلاميًا في التكافل الاجتماعي، في سبيل بناء المجتمع الصالح، ويوضح هذا المفهوم أنّ حوائج الناس إلى المؤمنين هي من نعم الله تبارك وتعالى عليهم، لما للسعي في قضائها من الثواب الجزيل، ولهذا ينبغي اغتنام هذه الفرصة، وألاّ يصيبنا الملل من توارد هذه الحاجات، وأن نبقى بنفس الحماسة نتابع مشاكل الناس ونحل قضاياهم، فإنّه لو أصابنا الملل والعياذ بالله أو استكثرنا على الناس أن نحل مشاكلهم، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) سيحولها إلى غيرنا، وما أيسر هذا الأمر على الله سبحانه، وحذارِ أن يغوينا الشيطان اللعين بأنّنا متفضلون على الله عند السعي في قضاء حوائج الناسَ، بل الله تعالى هو المتفضل علينا بأن جعل حوائج الناس إلينا.

٧٣. سورة المنافقون: الاية ٨.
٧٤. بحار الأنوار٧٥: ١٣١، ح٤.

على كل من جعل الله تعالى على يده قضاء حوائج الناس أن يعلم أنّ هذا لطف من الله تعالى خصّه به دون غيره، وعليه ألاّ يتضجر أو يتقاعس أمام كثرة هذه الحاجات؛ لأنّها باب من أبواب الجنة، فاعملوا لله تعالى بنيات صادقة في خدمة المجتمع قربة لله تعالى، يرفع الله من أقداركم في الدنيا والآخرة، فإنّ الدنيا إلى زوال ولا يبقى فيها إلا الذكر الحسن أو السيئ، فاحرصوا على أن تورثوا أهليكم الذكر الحسن والسمعة الطيبة، كما تحرصون على أن تورثوهم الأموال والعقارات.

إنّ عاقبة الملل من قضاء حوائج الناس، فضلًا عن التقاعس عنها، سيؤدي إلى نتيجة وخيمة، وهي سلب هذه النعمة العظيمة، فيستبدل الله سبحانه بنا غيرنا ثم لا يكونون أمثالنا، وحينها ستنعكس الصورة ونصير نحن ممن يقف على أبواب الآخرين نستجدي قضاء حوائجنا.

إنّ الاستبدال هو من أخطر أنواع العقاب الإلهي، وأخذ هذه النعمة منا وإعطاؤها لغيرنا نوع من أنوع العقاب، لاحظوا قوله تعالى في خطابه للمؤمنين وليس لسائر الناس العاديين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧٥).

إنّ البعض يرى نفسه من خلال المرآة المكبرة وكأنّه فارس الميدان وبطل التغيير، فينسب لنفسه كل فضيلة ويلصق بالآخرين كل رذيلة، فتراه يتبجح بأنّه هو الذي حقق إنجازا معينا، والكل يعلم من هو الذي قام بهذا الإنجاز، ومن لا يستحي أن يكذب في أوضح الأمور وأجلاها، لا يستحي أن يدّعي أي شيء وأن يرتكب أي فعل مشين. وتراه يتبجح أيضًا بأنّه صاحب قوافل الشهداء ويتفاخرعلى الآخرين بذلك، وهو لم يقدّم شهيدًا واحدًا ولم يشترك في عمل جهادي واحد، ويتاجر بدماء المؤمنين الذي قُتلوا ظلمًا وعدوانًا ولم يعلّمهم كيف يقاومون أو يهاجرون، وهرب بنفسه وترك أتباعه ينتظرون سكين الجزار.

إنّ صاحب التأريخ الجهادي يجب عليه أن يتواضع أمام الآخرين، ويشكر الله (سبحانه وتعالى) أن وفّقه لمقارعة الظلم والجهاد في سبيل إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، ولا يبقى يبحث عن المناصب والامتيازات، وعليه أن يكف عن التبجح وينتقل إلى العمل المخلص لله تعالى بصمت ومن أي موقع يتاح له، وأن يفكر جديًا بمصالح الناس وخدمتهم،

٧٥. سورة المائدة: الاية ٥٤.

ويترك الخصام والنزاع والاستعانة بهذا وذاك من أزلام النظام البائد، ويتجنب التنازل عن حقوق الشعب من غير وجه حق لمن لا يستحقها في سبيل البقاء بالسلطة، ولو كان ذلك على حساب الدين والوطن.

ويجب علينا ألاّ نطلب التكريم من الآخرين على ما قمنا به أو نقوم به، فإنّ ذلك أمر معيب جدًا لمن يعمل للدنيا، فكيف بمن يزعم أنّه يعمل للآخرة، وكيف نسمح بأن يتسلل الرياء إلى أعمالنا، بل الأسوأ من كل ذلك هو مصادرة تضحيات الآخرين وجعلها عنوانًا للاستحواذ على المكاسب والمناصب، وتمكين أعوان الطاغية من أزلام النظام السابق منها، في حين ما زال المضحون الحقيقيون محرومين من أبسط حقوقهم، وما زال الكثير منهم لا يمتلك وثيقة سفر تتيح له زيارة أهله ووطنه، والكثير منهم ما زالوا يجاهدون من أجل لقمة العيش في داخل البلد وخارجه، كأبناء الانتفاضة الشعبانية المجيدة الذين تحطمت آمالهم على صخرة جشع المتسلطين وطمعهم اللامتناهي، وأبناء الحشد الشعبي الذين لقّنوا الأعداء دروسًا في الصمود والإيثار، سيسجلها التأريخ بأحرف من نور.

يجب علينا أن نتخلص من ثقافة التبجح والتفاخر، وأن تسود بدلها ثقافة التواضع وإعطاء كل ذي حق حقه وعدم بخس الناس أشياءهم، وخدمة الشعب ولا سيما الفقراء والمحرومين، وعدم التعالي على الناس والتخلص من مظاهر الأبّهة التافهة. وعلى القائمين بالأمر التفكير الواقعي بخدمة الناس وحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم.

إذا لم نقدّر هذه النعمة فستذهب عنّا ويستبدل الله تعالى بنا غيرنا، قال تعالى إشارة إلى هذه الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٧٦]، ومن أهم ما يتصف به هذا البديل المرتقب هو الحب المتبادل بينه وبين الله تبارك وتعالى، والتواضع والذلة أمام المؤمنين، والعزة والكرامة والشموخ وقوة الشخصية والصلابة والثبات أمام الكافرين، ولا يخلطون بين هذا وذاك، فليس عندنا في الإسلام من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، بل عندنا: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [٧٧]، أي يجب إيقاف المعتدي عند حده، حتى يعرف أنّ المؤمن ليس ضعيفًا،

٧٦. سورة المائدة: الاية ٥٤.

٧٧. سورة البقرة: الاية ١٩٤.

بل هو قوي يدافع عن نفسه أمام غير المؤمنين، وهو يجاهد في سبيل الله ولا يخاف لومة لائم، فلا خضوع ولا خنوع أمام غير المؤمنين، بل عزة وكرامة وثبات وصلابة.

وكل ذلك هو فضل من الله تعالى، فيجعلنا أداة للنصر وأداة لقضاء حوائج الناس، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [٧٩]، فالله تعالى غير محتاج لنا، ونحن الفقراء إليه ولو كنّا ملوك الدنيا، ولا يظن من تسلّم منصبًا ما أنّه صار شيئًا وأنّه استغنى عن الله، وعليه أن ينظر إلى حجم مسؤوليته بالنسبة إلى العراق، ثم ينظر إلى حجمها بالنسبة إلى قارة آسيا، ثم ينظر إلى حجمها بالنسبة إلى الكرة الأرضية، وحينئذ نحتاج إلى عشر دقائق لنبحث في الخريطة عن المكان الذي هو مسؤول فيه، ولا يحسب نفسه شيئًا إذا صار لبضع أيام مسؤولا لدائرة أو عضو مجلس بلدي أو مدير ناحية أو قائممقامًا أو محافظًا أو عضو برلمان أو وزيرًا، بل هو ليس شيئًا مذكورًا أمام السلطان العظيم الأزلي لله تعالى، المهيمن على الكون اللامتناهي، فلا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور، ولا تحسب أنك قد خرجت عن سلطان الله سبحانه، كما حسب من قبلك، واتق الله واعلم أنّها أيام معدودة ثم تقف للحساب، وأمامك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، هذا إذا سلمت من عار الدنيا وثاراتها.

إنّ كل واحد منّا مهما عظم منصبه، لا يشغل حيزًا من الكرة الأرضية سوى عدة أمتار، وما الكرة الأرضية سوى نقطة لا تُرى في هذا الكون، ثم بعد ذلك كله نحسب أنفسنا أغنياء عن الله سبحانه، فنفعل ما تمليه أهواؤنا ونترك كتاب الله وراء ظهورنا.

نحن الفقراء إلى الله والله هو الغني، وإذا تولينا وتركنا ما يريد الله منّا فسوف يستبدل بنا غيرنا، ويسلب منّا ما استكبرنا به على المستضعفين من أهل ملتنا. وهذا الاستبدال عام يشمل الفرد والجماعة والشعب، ولا يظن البعض كما ظن بنو إسرائيل أنّهم شعب الله المختار، وأنّ الله لا يستبدل بهم غيرهم مهما أتوا من الظلم والمنكرات، ومهما طغوا وتجبروا، فكل من لا يفي بواجباته فإنّ يد القدرة الإلهية ستسلب منه ملكه في لحظة واحدة، فأين الظلمة؟ وأين الطواغيت؟ وأين الفراعنة الذين كانوا بالأمس يعيثون في الأرض فسادًا؟. لقد كانت إمكاناتهم أكثر من إمكاناتنا، ولقد وعظهم الله تعالى فما

٧٨. سورة المائدة: الاية ٥٤.

٧٩. سورة محمد: الاية ٣٨.

اتعظوا، فأصبحوا بين هارب يتخفى في أصقاع الأرض البعيدة، أو رهين السجون المعتمة أو مقتول شر قتلة.

ورد عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: «كان علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه، وكان يشترط على من يسافر معهم أن يكون من خدام الرفقة في ما يحتاجون إليه أثناء السفر، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، من هو؟ قال: هذا علي بن الحسين (عليهما السلام). فوثبوا إليه فقبّلوا يديه ورجليه، وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم، لو بدرت إليك منا يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا آخر الدهر، فما الذي حملك على هذا؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما لا استحق، فصار كتمان أمري أحبّ إليّ»[٨٠].

كان الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما يريد السفر إلى الحج يختار رفقاء له في الطريق لا يعرفونه، وهو وإن كان معروفًا باسمه في أوساط المسلمين، ولكن أغلب الناس لا يعرفونه بشكله، إذ لم تكن الصور متعارفة آنذاك، وكان الناس يعتمدون على الوصف غالبًا كما نقلتها كتب السير والتراجم بعد ذلك، وأكثر من رآه هم أهل المدينة كونه ساكنًا فيها، ولهذا كان من المتيسر له عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يلتحق بقافلة من قوافل الحجيج القادمة من أماكن أخرى في طريق مكة من غير أن يعرفوه. وكذلك فإن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ كجدّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ـ لم يكن متميزًا في ثيابه وحركاته عن باقي الناس، حتى انّ الغريب الذي كان يدخل المسجد يسأل المسلمين: من منكم رسول الله، فيقولون له: هذا رسول الله[٨١]. ومعنى ذلك أنّ الذي يراه لا يعرفه؛ لأنّه لم يكن يتصدر المجالس عند جلوسه، وكان حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كحال بقية الناس في حياته اليومية، فكان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وكذلك الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من بعده.

وكان الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يشترط على من يسافر معهم أن يكون من خدام الرفقة في ما يحتاجون إليه أثناء السفر، فقد كان لقوافل الحجيج ـ كما نراه اليوم ـ من يقوم بتهيئة الطعام وتوزيعه بين أفراد الحملة وتنظيف الأواني وغيرها من الأعمال التي يحتاج إليها المسافرون في أثناء سفرهم، ولا شك في أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يؤسس لعمل كبير ستتوارثه الأجيال بعد ذلك، وهو خدمة الوافدين للحج والزيارة، لما في ذلك من الثواب الكثير، ولما فيه من التواضع لله عز وجل.

---

٨٠. وسائل الشيعة ١١: ٤٣٠، ح٢.

٨١. انظر: بحار الأنوار ٧٣: ٣٥٥، و٤١: ٢٣٠ ح١.

فسافر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مرة مع قوم، وهذا يُنبئ أنّ ديدنه في كل عام هو السفر متخفيًا مع من لا يعرفونه، فرآه رجل فعرفه، فأخبر من كان في القافلة أنّ هذا الرجل الغريب معهم ويقوم بخدمتهم هو الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فوثبوا إليه وأخذوا يقبّلون يديه ورجليه، وهذا يكشف عن عظيم المنزلة التي كان يحظى بها الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قلوب المسلمين، وعاتبوه على عدم تعريفه لهم بنفسه، فربما يصدر منهم قول أو فعل معه في أثناء الرفقة أو تقديم الخدمة لهم، ينالون به العقاب الشديد من الله تعالى، الرقيب على أقوالنا وأفعالنا؛ لأنّ الناس عادة لا يعتنون كثيرًا في تعاملهم مع من يخدمهم، فلا يتحرزون في أقوالهم وأفعالهم معه، وهذه مع الأسف الثقافة العامة في موقع خدمة الناس.

فأجابهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنّه كان قد سافر مرة مع قوم يعرفونه، فأعطوه برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما لا يستحق، أي أنّهم قاموا بخدمته بنحو رأى الإمام لشدة تواضعه أنه لا يستحقه منهم، إلا انّهم فعلوا ذلك لانتسابه لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، باعتباره حفيد ابنته الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وكان متعارفًا بينهم أن يخاطب بابن رسول الله، وهو ابن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بشهادة القرآن الكريم، في قوله تعالى على لسان نبيه الكريم في قصة المباهلة مع نصارى نجران: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ [٨٢]، ولذلك كان المسلمون يبادرون إلى خدمته قربة لله تعالى.

والحق أنّ كل ما يقدّم من خدمة للإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو قليل من حقه، ولكن تواضع الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدفعه للقول: «أعطوني برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما لا استحق». فهو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يريد أن يستغل اسم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لكي تخدمه الناس، وهو بذلك يعطينا درسًا مهمًا صار موضع ابتلاء للكثيرين، وهو استغلال العنوان والموقع من أجل تحقيق قدر أكبر من المصلحة الشخصية.

وقد أراد الإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كتمان أمره على من يصحبهم في طريق مكة حذرًا من مسارعة المسلمين إلى خدمته، فيكون مصداقًا لاستغلال اسم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن أجل تعريفه بالثقافة الإسلامية الصحيحة، وهي أن يكون هو من يخدم السائرين في طريق زيارة بيت الله تبارك وتعالى؛ لأنّهم لو عرفوه لما سمحوا له بخدمتهم.

وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنّه قال: «عجبت لرجل يأتيه

٨٢. سورة آل عمران: الاية ٦١.

أخوه المسلم في حاجة فيمتنع عن قضائها، ولا يرى نفسه للخير أهلًا، فهب أنّه لا ثواب يرجى ولا عقاب يتقى، أفتزهدون في مكارم الأخلاق»[٨٣].

يكشف هذا الحديث المبارك عن أهمية قضاء حوائج الإخوان، وهنا يتعجب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من رجل يأتيه أخوه المؤمن في حاجة، آملا أن يقضيها له، باعتبار الأخوّة الإيمانية التي بينهما، ولكنه يمتنع عن قضائها بالرغم من أنّه يستطيع ذلك، ومثار دهشة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمور ثلاثة هي:

الأول: أنّ من يمتنع عن قضاء حاجة أخيه، لا يرى نفسه من أهل الخير والمعروف. وفيه ذلك من القبح والشناعة ما لا يخفى.

الثاني: أنّ المؤمن ينبغي عليه أن يعمل لتحصيل الثواب والنجاة من العقاب، ومعلوم أن في قضاء حاجة الأخ المؤمن الثواب الجزيل.

الثالث: لو فرضنا أنّه لا يوجد ثواب ولا عقاب، فإنّ على الإنسان أن يسعى في طلب مكارم الأخلاق، ومما لا ريب فيه أن قضاء حوائج الإخوان من مكارم الأخلاق، ومما تتجسد فيه إنسانية الإنسان، وتتحرك له المشاعر النبيلة، فإذا لم يكن الدين محركًا لعمل الخير، فلتكن المشاعر الإنسانية النبيلة هي المحرك، ومن كان صاحب مشاعر إنسانية نبيلة، فلا بد من أن يهديه الله تبارك وتعالى إلى معرفته.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

٨٣. مستدرك الوسائل ١٢: ٤٣٧، ح١٤.

المحاضرة الأخلاقية الثامنة
بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، ورزقنا الله وإياكم رحمته وعنايته في هذا الشهر الفضيل.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن الأخوّة الإيمانية، وتحدثنا عن تعريف هذه الأخوّة، وعن أقسامها وصولا للحديث عن أهميتها وموقعها في مجمل الرؤية الإسلامية والنظرية الاجتماعية في الإسلام.

المحور الثالث

حقوق الأخوّة الإيمانية

واليوم ننتقل إلى المحور الثالث في هذا البحث القيم والمهم الذي تم التركيز عليه بشكل واسع في الآيات والروايات الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وهو الحديث عن حقوق هذه الأخوّة.

هذه العلاقة الإيمانية لها حقوق، وعلى جميع المؤمنين الذين يرتبطون بعلاقة إيمانية، حقوق تجاه بعضهم، هذه الحقوق المتبادلة بين الإخوان تحظى بأهمية كبيرة، بل تعتبر عبادة من العبادات؛ لأن خلفية هذه الأخوّة ودوافعها إلهية، فلما كانت كذلك تصبح هذه العلاقة ع مبتنية على أساس الإيمان، و على أساس البعد الرسالي، فيصبح أداء هذا الحق عبادة من العبادات.

أهمية حق المؤمن

في رواية عن مالك بن أعين قال: «أقبل إليّ أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا مالك، أنتم والله شيعتنا حقًا، يا مالك، لا ترى أنّك أفرطت في القول في فضلنا، إنّه ليس يقدر أحد على صفة الله وكنه قدرته وعظمته، ولله المثل الأعلى، فكذلك لا يقدر أحد على صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفضلنا وما أعطانا الله وما أوجب من حقوقنا، وكما لا يقدر أحد أن يصف فضلنا وما أوجب الله من حقوقنا، فكذلك لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن»[٨٤].

لقد كانت أسرة آل أعين، التي منها زرارة بن أعين، من أجلاء أصحاب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي هذه الرواية يُقسم الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك بن أعين أنّه وأسرته من الشيعة الحقيقيين، وهل هناك تكريم أعظم من هذا التكريم لمثل هذه الأسرة الكريمة؟. وقد بيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة، أنّ هذا المديح لآل زرارة نابع من فرط اهتمامهم بنقل ورواية وتدوين مناقب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومع أنّهم قد أكثروا رواية فضائلهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن مع ذلك لا يقدرون على معرفة درجات فضلهم وما أعطاهم الله وما أوجب لهم من الحقوق، كما أنّهم لا يقدرون على معرفة صفة الله وكنه قدرته وعظمته، ولله (سبحانه وتعالى) المثل الأعلى؛ لأنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد خلقهم الله تبارك وتعالى من نور عظمته ووهب لهم تلك المناقب، فلا يستطيع أحد أن يعرف درجة ومنزلة وعمق ما أعطاهم الله (سبحانه وتعالى) وما أوجب لهم من الحقوق، وكما لا يقدر أحد أن يصف فضل محمد وآله (عليهم الصلاة والسلام) وما أوجب الله من حقوقهم، فكذلك لا يقدر أحد على أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن، وهذا يكشف عن عمق وكنه حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وكذلك يكشف عن عمق حق المؤمن على أخيه المؤمن وعظيم قيمته وقدره.

حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «والله إنّ المؤمن لأعظم حقًا من الكعبة»[٨٥]، أي أنّ حق المؤمن أعظم عند الله (سبحانه وتعالى) من بيت الله الحرام، والكل يعلم المنزلة العظيمة للكعبة المشرفة وقدسيتها عند المسلمين.

---

٨٤. بحار الأنوار ٤٧: ١٤٤، ح٩٩.
٨٥. بحار الأنوار ٦٥: ٦٤، ح١١٥.

وفي رواية أخرى: «أروي عن العالم ـ أي الإمام الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) ـ أنّه وقف حيال الكعبة ثم قال: ما أعظم حقك يا كعبة، ووالله إنّ حق المؤمن لأعظم من حقك»[٨٦].

وفي هذه الرواية المباركة بيان لأهمية حق المؤمن في فهمنا الإسلامي ورؤيتنا الإسلامية، وذلك من خلال تشبيهها بمنزلة الكعبة وعظمتها في نفوس المسلمين، فكم هي عظيمة منزلة الكعبة وحقها، ولكن حق المؤمن أعظم منها، ولولا كلام الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا، لما زلنا نعتقد بأنّ حق الكعبة أعظم من حق المؤمن، إذ الكعبة هي التي يجب على المسلم التوجه إليها في صلاته خمس مرات في اليوم، وهي التي يجب أن يشد إليها الرحال لأداء مناسك الحج والعمرة ولو في العمر مرة.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ لله تبارك وتعالى حرمات: حرمة كتاب الله، وحرمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحرمة بيت المقدس، وحرمة المؤمن»[٨٧]، وهنا أربع حرمات عند الله تبارك وتعالى، قرن فيها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ حرمة المؤمن مع حرمة القرآن والرسول وبيت المقدس، التي هي مقدسات يعرفها جميع المسلمين، ولكنهم يجهلون أنّ للمؤمن حرمة مثلها. فحفظ حق المؤمن هو أداء لهذه الحرمة ووفاء بها.

وفي رواية أنّ أبا جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ استقبل الكعبة وقال: «الحمد لله الذي كرّمك وشرّفك وعظّمك وجعلك مثابة للناس وأمنًا، والله لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك»[٨٨].

يقسم الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ حرمة المؤمن أعظم حرمة من الكعبة، التي هي أعظم بقعة مقدسة عند المسلمين، ولا يختلف اثنان في شرفها وحرمتها، ولكن مع ذلك، فإنّ الإنسان المؤمن أكثر قداسة منها، ولذلك فإنّ الاعتداء على المؤمن أعظم من الاعتداء على الكعبة.

أداء حق المؤمن

لاحظوا هذه الرواية عن الإمام الصادق(صلوات الله وسلامه عليه) قال: «والله ما عُبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»[٨٩]، أي أنّ أفضل العبادات هو الوفاء بالتزامات الأخوّة الإيمانية.

---

٨٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٧، ح٢٠.
٨٧. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٢.
٨٨. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣.
٨٩. الكافي ٢: ١٧٠، ح٤.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا: «دعاء المؤمن للمؤمن يدفع عنه البلاء، ويدر عليه الرزق»[٩٠]، أي أنّ دعاء المؤمن لأخيه المؤمن له أثران، الأول: أنّه يدفع عنه أنواع البلاء كالمرض والفقر والشدائد، والثاني: أنّه يكون سببًا في استدرار الرزق وزيادته، فمن أراد أن يرزقه الله، فليحسن علاقته مع إخوانه المؤمنين.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ألا فلا تتكلوا على الولاية وحدها، وأدوا ما بعدها من فرائض الله، وقضاء حقوق الإخوان، واستعمال التقية»[٩١].

يحذّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف من الاتكال على الولاية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وحدها في دخول الجنة، بل بالإضافة إلى ذلك لا بد من ثلاثة أمور أخرى وهي:

أولًا: أداء الفرائض، وهو ما أوجب الله (سبحانه وتعالى) على العباد الإتيان به، كالصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك المحرمات التي نهى الله تعالى عن ارتكابها.

ثانيًا: قضاء حقوق الإخوان، وهو أداء الحقوق التي فرضها الله تعالى للمؤمن على المؤمن.

ثالثًا: استعمال التقية، ولأهمية التقية قال المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التقية ديني ودين آبائي»[٩٢]، لما فيها من حفظ الأرواح والممتلكات والأعراض. والتقية هي إيهام الأعداء حتى لا يتعرفوا على هوية صاحبها العقائدية، وللتقية فوائد وأبعاد أمنية واجتماعية ونفسية وإيمانية، وقد فهمت التقية خطأ على أنّها مراوغة ولعب، بل هي عدم كشف الحقائق التي تؤدي إلى الإضرار بحياة الإنسان أو ممتلكاته أو عرضه أو ماله.

للحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

٩٠. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٢، ح٢.
٩١. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٩، ح٢٣.
٩٢. بحار الأنوار ٢: ٧٤، ح٤١.

المحاضرة الأخلاقية التاسعة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبّل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسعد الله أيامكم وبارك لكم هذا اليوم الشريف، ذكرى مولد سيدنا ومولانا أبي محمد الحسن بن علي المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه).

كان حديثنا في الأيام الماضية عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أنّ العلاقة بين المؤمنين تمثل مدخلا مهما في البنية الاجتماعية في رؤية الإسلام، وتحدثنا عن تعريف العلاقة الإيمانية، وأقسامها، وأهميتها، ثم انتقلنا للحديث عن حقوق الأخوّة، هذه الأخوّة ليست ادّعاء، ليست صِرف مشاعر وعواطف قلبية، وإنما يترتب عليها التزامات و حقوق للإخوان، كل أخٍ مؤمن عليه التزام تجاه الأخ المؤمن، وله حق في قبال إخوانه المؤمنين، فهناك حقوق متبادلة في العلاقة الإيمانية.

وكنا نتحدث في اللقاء السابق عن أهمية هذه الحقوق والوفاء بها، وذكرنا أن التقية والإيفاء بحقوق المؤمنين جناحان يطير بهما الإنسان إلى سعادته في الدنيا و الآخرة.

ما زال هناك عدد من الروايات في هذا الموضوع نستعرضها معًا.

عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في ما أوصى به رفاعة بن شداد قاضي الأهواز في رسالة إليه يقول فيها: «دارِ المؤمن ما استطعت، فإنّ ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وله يكون ثواب الله، وظالمه خصم الله فلا تكن خصمه»[٩٣].

٩٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٠، ح٢٨.

يطلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من واليه على الأهواز أن يهتم برعاية شؤون المؤمنين اهتمامًا شديدًا، ويبيّن له سر هذا الاهتمام بأربعة أمور: أولها أنّهم في حماية الله، وثانيها أنّ نفوسهم عزيزة على الله، وثالثها أنّ ثواب الله تعالى مدّخر لهم وحدهم، ورابعها أنّ ظالميهم خصوم الله، ومن كان الله خصمه فلا بد من أن يُغلب.

وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يكلّف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته[٩٤].

يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث المبارك بُعدًا مهمًا من أبعاد الأخوة الإيمانية، وهو أنّه إذا اتضحت لديك حاجة أخيك المؤمن، فلا تنتظره حتى يأتي إليك ويطلب حاجته، بل عليك المبادرة والمسارعة إلى قضائها قبل أن يطلب إليك ذلك؛ لأنّ في الطلب مشقة وعناء وصعوبة على المؤمن، لما فيه من عبء إراقة ماء الوجه.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مخاطبًا المؤمنين: «توازروا وتعاطفوا وتباذلوا، ولا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل»[٩٥].

يوصي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المؤمنين بالتواصل بينهم، وتمتين الروابط الاجتماعية في المجتمع الإيماني عن طريق التآزر والتعاون، وأن تصدّق أفعالهم أقوالهم، بعكس المنافقين الذين تكذّب أعمالهم أقوالهم؛ لأنّ المنافق يظهر شيئًا ويبطن شيئًا آخر، فيزعم أنّه ملتزم بالأخوّة الإيمانية ويقول: أنتم جميعًا إخوتي وأنا بخدمتكم، ولكن عمله شيء آخر على نقيض قوله.

وكثيرًا ما نكون في مجاملاتنا اليومية كذلك، وإن كان عن غير قصد، فترى أحدنا يقول للآخر: تفضلوا ونحن غير جادين فيها، إذ لا نحدد لهذه الدعوة زمانًا ولا مكانًا معينًا.

حقوق المؤمن على المؤمن

بعد أن عرفنا أهمية أداء حقوق المؤمن، يأتي السؤال التالي: ما هي حقوق المؤمن على المؤمن؟ والجواب أنّها ثلاثون حقًا، رواها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فقد روى القاسم بن محمد بن جعفر العلوي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

٩٤. بحار الأنوار ١٠: ٩٣، ح١.
٩٥. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٤، ح١٣.

قال: «قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وسلم: للمسلم على أخيه ثلاثون حقًا، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويردّ سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويوالي وليه ولا يعاديه، وينصره ظالمًا ومظلومًا، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»[٩٦].

يعدّد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك لأمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، التي تبلغ ثلاثين حقًا. ويبيّن أنّ ذمة المؤمن تجاه أخيه المؤمن لا تبرأ إلا أن يؤدي هذه الحقوق الثلاثين، أو أن يصفح له عنها. فإذا لم يسقطها لا يخرج المؤمن من هذه الحقوق إلا بوفائها والالتزام بها. وهذه الحقوق هي:

أولًا: «يغفر زلته»: إذا أخطأ أخوه المؤمن معه في قول أو فعل يغفر له هذا الخطأ، ولا يرتّب عليه أثرًا.

ثانيًا: «ويرحم عبرته»: العبرة هي الدمعة، أي عندما يراه مكسورًا يرحم دمعته ويتعاطف معه.

ثالثًا: «ويستر عورته»: يخفي عيبه إذا اطّلع عليه ولا يظهره للآخرين.

رابعًا: «ويقيل عثرته»: يتجاوز عن إساءاته حتى لو كانت متعمدة ومقصودة.

خامسًا: «ويقبل معذرته»: إذا أخطأ في شيء وطلب المعذرة يقبل عذره وإن لم يكن واقعيًا، ولا يتشدد في هذا الموضوع. فقد ورد في وصف رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنّه «أُذُن»، أي يصدّق ما يقولون له ويعتذرون به عندما يؤذونه، لأنّه كان متسامحًا، وإذا أخطؤوا مرة أخرى واعتذروا قَبِل منهم، فكانوا يعدّونها عيبا في شخصية رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ولكن الله تعالى عدّها صفة كمال فقال: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٧]، وإلاّ فإنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان

٩٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٦، ح ٣٦.
٩٧. سورة التوبة: الاية ٦١.

يعرفهم جيدًا، ولكنه يقبل منهم ما يُظهرون، ويمنحهم الفرصة تلو الاُخرى لعلّهم يهتدون.

سادسًا: «ويردّ غيبته»: إذا انتُقص من أخيه المؤمن في غيبته وعدم حضوره، يدافع عنه وينفي عنه ما يُتهم به ويُنتقص منه، ولا يقول: ما دام غائبًا ولا يعلم ما يقال فيه، فلماذا أدخل مع الآخرين في خصومة من أجله.

سابعًا: «ويديم نصيحته»: أي يكون ناصحًا له في جميع الأوقات والأحوال، ولا يترك نصيحته وإن رفضها ولم يعمل بها المرة تلو الأخرى، ولا يقول لا فائدة من نصيحته لأنّه لا يقبلها، بل عليه أن يعمل بوظيفته ولا يترك نصحه في كل موقع وعلى كل حال.

ثامنًا: ««ويحفظ خلته»: يحرص على الاستمرار في صداقته، لا أن يغضب منه لأتفه الأسباب ويقطع علاقته به.

تاسعًا: «ويرعى ذمته»: إذا وعده بشيء أو عاهده على شيء يلتزم به ويرعاه.

عاشرًا: «ويعود مرضته»: يزوره عند مرضه، ولا يترك زيارته وإن فقد ذاكرته من شدة مرضه، بحيث لا يعرف من يعوده، أو بقي وحيدًا ولا يوجد عنده من يعتب على من ترك زيارته، والإنسان في حالة مرضه يحتاج إلى من يعوده ويلتقيه ويطيب خاطره.

أحد عشر: «ويشهد ميته»: أي إذا مات أحد أفراد عائلته فعلى المؤمن أن يحضر تشييعه ومجلس عزائه ويشعره بالاهتمام، فإنّ الذي يفقد عزيزًا له يكون متألمًا ويحتاج إلى مواساته في مصيبته، ويشعره بأنّه متكافل ومتضامن معه، ولا يتركه وحده في الشدائد.

اثنا عشر: «ويجيب دعوته»: إذا دعاه إلى مأدبة أو حضور مناسبة، فليقبل ولا يرفض.

ثلاثة عشر: «ويقبل هديته»: إذا أهدى له شيئًا يقبله منه، ولا يقل له إن مثل هذه الهدية البسيطة لا تليق بي، إذ ليس المقصود من الهدية أن تغني المهدى إليه، بل هي رسالة معنوية بأنّي قد ذكرتك، فقد روي أنّ طيرًا أهدى لنبي الله سليمان على نبينا وآله وعَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جرادة فتقبلها منه وشكره عليها[٩٨].

أربعة عشر: «ويكافئ صلته»: أي يردّ عليه هديته بالذي يتمكن منه، من غير أن

٩٨. انظر: الكافي ٦: ٢٢٦، ح٤.

يسبب لنفسه إحراجًا ويتحمل ما لا يطيق؛ لأنّ المؤمن قليل المؤونة، وإن كان الطرف المقابل ميسور الحال وهديته ثمينة.

خمسة عشر: «ويشكر نعمته»: يجب على المؤمن شكر أخيه المؤمن حينما يقوم بتكريمه وينعم عليه بشيء، فالشكر خصلة لطيفة ينبغي أن يتحلى بها المؤمن مهما كانت النعمة قليلة، لما في الشكر من إشعار بالتقدير والامتنان.

ستة عشر: «ويحسن نصرته»: ينصره إذا ظُلم على أحسن وجه وأكمله، ولا يكتفي بنصرته شكليًا أو يتركه في منتصف الطريق.

سبعة عشر: «ويحفظ حليلته»: ويحفظ زوجته وعياله عندما يسافر مثلًا أو يسجن، فمثلًا إذا كان أخوه المؤمن لا يدع زوجته تذهب للتسوق بنفسها، فيجب على المؤمن أن يقوم بهذا الدور عند غياب أخيه المؤمن، إذا لم يكن لديها من أرحامها من يفعل ذلك، أو يرسل زوجته لتفقد أحوالها.

ثمانية عشر: «ويقضي حاجته»: أي يقوم بما يحتاج إليه، ويقضي له حوائجه.

تسعة عشر: «ويشفع مسألته»: أي يتوسط له في إنجاح طلبته، فمثلًا إذا كلّفه بخطوبة وكان أهل البنت لا يعرفونه، فلا يقل لا أتدخل في مثل هذه المسائل حذرًا من الوقوع في المشاكل في المستقبل باعتباري كنت وسيطًا في الزواج، ولولا تدخلي لما زوجوه.

عشرون: «ويسمت عطسته»: يقول له عندما يعطس: يرحمكم الله، لما في ذلك من إشعاره بالاهتمام. ونلاحظ هذه الظاهرة كردّ فعل طبيعي عند الأم عندما يشهق ابنها، فتقول له: اسم الله، تعبيرًا عن الاهتمام الفطري الحقيقي، وكذلك ينبغي أن نفعل مع الأخ المؤمن حينما يعطس.

واحد وعشرون: «ويرشد ضالته»: أي عندما تضيع حاجة له ونحن نعرف مكانها، فيجب مساعدته في العثور عليها.

اثنان وعشرون: «ويردّ سلامه»: امتثالًا لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [٩٩]، فأولًا ردّ السلام واجب، وثانيًا يستحب ردّ التحية بأحسن منها، أي من قال لنا: (السلام عليكم)، نرد عليه: (عليكم السلام ورحمة الله)، ومن قال: (السلام عليكم ورحمة الله)، نرد عليه: (عليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، وفي الرواية أن شخصًا سلّم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلًا: (السلام

٩٩. سورة النساء: الاية ٨٦.

عليك ورحمة الله وبركاته)، فقال له: (وعليك، إنك لم تدع لنا، فرددناها عليك)[١٠٠].

فالقاعدة إذن هي الردّ بالأفضل، فمن سلّم علينا نردّ له السلام مع المصافحة، ومن سلّم وصافح نردّ السلام عليه مع والمصافحة مع المعانقة، ومن ذكرنا مرة نذكره مرتين، ومن أرسل لنا رسالة نرسل له رسالتين، وهكذا نجعل لنا دائمًا اليد الطولى في إلقاء التحية وردّ السلام، وحينها سنرى كم ستتعمق العلاقات. إن هذه الأمور البسيطة كالابتسامة والكلمة الطيبة وإشعار الآخر بالاهتمام والوقوف معه في قضيته، سيكون لها تأثير عميق في توثيق العلاقة الاجتماعية الإيمانية بين المؤمنين.

ثلاثة وعشرون: «ويطيب كلامه»: أي ينبغي أن يتكلّم المؤمن مع أخيه المؤمن بلطف وهدوء، من غير أن يرفع عليه صوته أو يتكلّم معه بانفعال.

أربعة وعشرون: «ويبر إنعامه»: أي ينبغي أن يذكر المؤمن أخاه المؤمن في مجلسه أمام الآخرين بما قام به من برّ وإنعام وفضل، بما يكشف عن نبل شخصيته وعميق نخوته، فإنّ الكلام سيصل إليه وعندها سيندفع أكثر لأعمال الخير ومكارم الأخلاق، وهذا من شأنه أن يعمّق العلاقة بين المؤمنين، وأن تكون العلاقة حقيقية لا علاقة صورية خالية من كل مضمون.

خمسة وعشرون: «ويصدّق أقسامه»: أي على المؤمن أن يقبل قسم أخيه المؤمن إذا أقسم على أمر ما ولا يكذّبه، فمثلًا إذا نُقل له كلام فيه إساءة عن فلان فعاتبه على ذلك، وأقسم هذا المؤمن أنّه لم يقل هذا الكلام، فينبغي تصديقه وينتهي الأمر عند هذا الحدّ، ولا يذهب للتحقيق والتأكد من صحة صدور ذلك الكلام عنه.

ستة وعشرون: «ويوالي وليه ولا يعاديه»: من المتعارف أن الإنسان يحب من يسدي معروفًا لمن يحبه، وإن لم يكن هو مستفيدًا، وبين المؤمنين ينتقل هذا الحب إلى درجة النصرة لمن ينصر أخاه المؤمن، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أصدقاؤك ثلاثة وأعداؤك ثلاثة، أما أصدقاؤك فصديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وأما أعداؤك فعدوك وصديق عدوك وعدو صديقك»[١٠١]. ونسمع بعض الناس يقول لآخر: أحبك حبين: حبًا لأنك تستحق ذلك، وحبًا لأنك تحب فلانا وتهتم بفلان، أو مثلًا لديك صديق مؤمن تزوج من أختك فتقول لأختك: أحبك حبين: حبا لأنك أختي، وحبا لأنك زوجة صالحة لفلان، فهو يستحق أن تكوني زوجة بارة به مثلًا.

---

١٠٠. الدر المنثور ٢: ١٨٨.

١٠١. نهج البلاغة ٤: ٧١، الحكمة ٢٩٥.

وليس المطلوب عدم معاداة المؤمن فقط، بل يجب أيضًا عدم معاداة أوليائه؛ لأنّ المؤمن لا يصادق ولا يوالي إلا من كان على شاكلته، والطيور على أشكالها تقع، كما يقولون، فلا يتوقع من مؤمن أن يؤاخي منافقًا أو فاسقًا، ومن هنا ينبغي موالاة الأشخاص الذين يواليهم الأخ المؤمن وإن كنّا لا نعرفهم، وبذلك تتقوى اللحمة الإيمانية وتتوثق العلاقة بين المؤمنين.

سبعة وعشرون: «وينصره ظالمًا ومظلومًا»: وهنا قد يحصل التباس في فهم هذا النص، لأنّه كان من مقولات الجاهلية وقيمها القبلية التي تقوم على أساس نصرة أبناء القبيلة بعضهم للبعض الآخر، بغض النظر عن كونهم ظالمين أو مظلومين، وهو ما يتنافى ويتقاطع مع ما جاء به الإسلام من نصرة المظلوم والوقوف إلى جانبه ضد ظالميه. ولكن ما يهوّن الخطب أن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال مرة هذه المقولة، فقيل له: قد عرفنا كيف ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالما؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (أما نصرته ظالمًا فيردّه عن ظلمه، وأما نصرته مظلومًا فيعينه على أخذ حقه) [١٠٢]. فنصرته ظالمًا تعني أن ننصحه ونبيّن خطأ الأسلوب الذي يتبعه، والمتوقع منه حينئذ باعتباره مؤمنًا ولا يتعمد المعصية ولا يتعمد الخطأ، أن يقبل النصيحة ويتراجع عن خطئه.

ثمانية وعشرون: «ولا يسلمه»: أي لا يخونه، ولا يغدر به.

تسعة وعشرون: «ولا يخذله»: أي لا يتركه، ولا يقصر في نصرته ومد يد العون والمساعدة له.

ثلاثون: «ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»: أي يجعل أخاه المؤمن على قدم المساواة مع نفسه في كل ما يحب ويكره، ويتعامل معه كما يتعامل مع نفسه.

وهذه ثلاثون حقًا من حقوق المؤمن، لو التزم بها كل واحد منّا تجاه أخيه المؤمن، لكنّا نعيش في مدينة فاضلة دونها ما تصوره أفلاطون في مدينته الفاضلة؛ لأنّ معها ستتحول الحياة إلى جنة في الأرض، فهو بين مجموعة عينهم عليه حينما يتحرك، ويسألون عنه ويتفقدونه، وحينما يسافر يرعون عائلته، وينصحونه إذا أخطأ، ويساعدونه إذا احتاج من غير أن يسأل حاجته منهم، وينصرونه إذا اُعتدي عليه، فماذا يريد الإنسان أكثر من ذلك؟ أليست هذه الحياة السعيدة والطيبة؟ ولا تتصوروا أن المليونيرية والملياردية

١٠٢. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٦، ح٣٦.

يعيشون سعداء، لأنّ بيوتهم فارهة وحاجاتهم متوفرة، فالكآبة تعشش في بيوتهم، لأنّه لا يوجد مخلصون لهم، وكل من له علاقة بهم يبحث عن مصلحته، ويخشى منه الخيانة والغدر، وفي بعض الحالات نراهم يلجؤون للانتحار، تخلصًا مما هم فيه من الشقاء النفسي والفراغ الروحي والخواء الاجتماعي.

وكم من مليونير يتحسر على حياة سعيدة بين زوج وزوجة من الفقراء، الذين لا يكادون يحصلون على لقمة عيشهم، ولكنهم سعداء بحب الله وطاعته، ومنسجمون مع بعضهم.

صحيح أن المال يوفر فرصا للحياة، ولكن المال ليس كل شيء، فهناك من يملك المال ولا يملك المشاعر والعواطف تجاه الآخرين، ولا يتوقع الإنسان الحب ممن لا يكن لهم الحب، فهو في زنزانة انفرادية كبيرة، ولكن من كانت لديه علاقات اجتماعية وثيقة، يستطيع أن يعيش بمال قليل، ولكن لا يستطيع أن يعيش بدون عواطف ومشاعر وعلاقات.

إنّ حياة المؤمنين وإن كان فيها اقتصاد ودخل محدود، هي أسعد من حياة غيرهم ممن يملكون المال ويفقدون العلاقات الاجتماعية الصادقة، وهذا إمامنا علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت مفاتيح خزينة بيت المال بين يديه، ولكنه كان يقنع بالقليل ولا يرتضي لنفسه إلا أن يعيش كما يعيش أفقر المسلمين، فالمؤمن هو هذه العلاقات الاجتماعية التي يحيا بها.

وسنبدأ باستعراض هذه الحقوق وشرحها ومراجعة النصوص الواردة فيها.

والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية العاشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن الأخوّة الإيمانية، وركزنا في الموضوع الثالث من المحاور التي تتحدث فيها في الأخوّة الايمانية على حقوق الإخوان، وقلنا إن مراعاة حقوق الأخوّة الإيمانية تحظى بأهمية كبيرة، ولها موقع مميز في مسار الإنسان التكاملي نحو الله (سبحانه وتعالى) وفي إطار الحديث عن الحقوق استعرضنا ثلاثين حقا بين المؤمن وأخيه المؤمن.

واليوم نبدأ باستعراض هذه الحقوق وشرحها ومراجعة النصوص الواردة فيها

الحق الأول/ غفران زلة المؤمن

الحق الأول في ما تلوناه هو أنّ على المؤمن أن يغفر زلة أخيه المؤمن ويصفح ويتجاوز عنها، والزلة حالة الزلق، من زل يزل أي زلق، والزلق حالة غير مقصودة، حين ينزلق الإنسان من دون اختيار منه فجأة دون سابق تصميم.

فالزلة هي عبارة عن الخطأ غير المقصود، وهو خطأ صغير وليس خطأ كبيرًا، وهو الخطأ الذي لم يحسب له الإنسان حسابا، كما لو أراد أن يقول شيئًا فخرجت من لسانه كلمة لها مدلول آخر، أو انفعل في لحظة غضب وتصرف بطريقة غير لائقة، ولكن بعد أن زال عنه غضبه ندم على ما كان منه واعتذر، ولذلك فالإنسان الكيّس والعاقل لا تصدر منه كلمات وتصريحات وأحكام في لحظات الانفعال ما دام غاضبًا، وحتى

لو كان قد اتخذ قرارًا معينًا يتريث به إلى أن يهدأ، ثم يراجعه بعد ذلك، لأنّ الإنسان في حالات الاستقرار النفسي يمكن أن يعيد النظر في الكثير من قراراته الانفعالية في ظروف الانفعال، لأنّه قرار سيندم عليه، وما أكثر الكلمات التي يطلقها الإنسان ثم يندم عليها بعد دقائق، وحينئذ سيكون علاجها صعبًا، كالماء الذي ينسكب في الأرض ثم يراد جمعه مرة أخرى. فالأفضل للإنسان ألاّ ينطق بمثل هذه الكلمات، ولذلك تحث ثقافتنا الدينية الإنسان على التزام الصمت في لحظات الانفعال والغضب، وأن يكظم غيظه ويصبر حتى يهدأ، ثم يرى هل هذه الكلمة أو الخطوة في محلها أو لا، فإن كان هذا محلها اتخذ القرار الصحيح والخطوة الموفقة، فيتكلم بهذه الكلمة أو يخطو هذه الخطوة.

وقد وضعت هذه الرواية مسألة الصفح عن الزلات والأخطاء غير المقصودة معيارًا للأخوّة الإيمانية، وهناك روايات أخرى في هذا المعنى، كما في هذه الرواية المروية عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إنّ أخاك حقًا من غفر زلتك»[١٠٣]، أي أن الأخ الحقيقي وليس من يدّعي الأخوّة هو من تجاوز عن خطئك، فهنا يضع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ معيارًا لمعرفة أخيك الإيماني، وهو عندما تخطئ بحقه خطأ غير مقصود كيف سيتعامل معك، فإن تعامل بسعة صدر وصفح عنك فهو بالفعل أخ إيماني، وإلا فليس هو لك بأخ.

بل ورد في بعض الروايات أنّ الإنسان عليه أن يلتمس العذر لأخيه المؤمن، مثلًا يُقال لك: أسمعت فلانًا ماذا قال لك؟ فتقول: إنّه لم يقصد ذلك، أو يُقال لك: أرأيت أن فلانا لم يقم لك عندما دخلت المسجد؟ فتقول: لعله لم يكن منتبهًا وإلا فليس من عادته ذلك فهو يحترمني، أو يُقال لك: أرأيت كيف سلّمت عليه فلم يرد عليك السلام؟ فتقول: لعله لم يكن ملتفتًا وكان باله في مكان آخر، أو يُقال لك: أرأيت كيف تعامل معك ببرود؟ فتقول: إنّه مهموم، فليكن الله في عونه، فهو يعاني في هذه الأيام من ضغط عليه، ولذلك فهو متعب وأعصابه مشدودة، وهكذا تلتمس العذر لأخيك المؤمن وتسوّغ له أفعاله وتحملها على محامل أخرى.

بل ينبغي أن يُلتمس العذر للأخ المؤمن حتى إذا كان فعله لا يتحمل التبرير ولا يمكن حمله على أي محمل، كما لو سلّمت عليه وجهًا لوجه وسمع الكلام ولم يرد السلام، فهنا لا يتحمل فعله أن أقول إنّه لم يكن ملتفتًا، أو أنّه بقي جالسًا متعمدًا بينما

١٠٣. عيون الحكم والمواعظ: ١٥٤.

قام الآخرون، ففي مثل هذه الحالة أقول انّه لا بد من وجود شيء لا أعلم به، ووجود سبب لا أعرفه.

لاحظوا هذه الرواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «التمسوا لإخوانكم العذر في زلاتهم وهفوات تقصيراتهم، فإن لم تجدوا العذر لهم في ذلك فاعتقدوا أن ذلك منكم لقصوركم عن معرفة وجوه العذر»[١٠٤]، والهفوة هي الخطأ غير المتعمد والخطأ الصغير، فإن لم تجد في قاموسك عذرًا لهذا الخطأ فاعتقد بأن ذلك لقصور منك في معرفة وجوه العذر. وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «فاعتقدوا» أي لتكن عقيدتك في قرارة نفسك وبينك وبين الله تعالى، هي وجود سبب ولكنك لا تعرفه؛ لأنّ من تتعامل معه هو إنسان مؤمن ويعلم أنّك مؤمن أيضًا، ولا يمكن أن يصدر عنه قول أو فعل يؤذيك بلا سبب، أما لو كان الطرف الآخر غير مؤمن، فلا يحتاج إلى أن تعتقد بعدم صدور فعل أو قول ما ليؤذيك به؛ لأنّ هذا أمر متوقع من غير المؤمن، اللهم إلا إذا كان الطرف المقابل غير مؤمن ويتظاهر بأنّه من المؤمنين، فهذا بحث آخر خارج عن مورد الرواية.

فإذن، أقول لنفسي لقد ردّ عليّ السلام أو وقف لي وأكرمني مائة مرة، وعدم ردّه السلام أو وقوفه لي في هذه المرة يكشف عن وجود سبب أجهله، وينبغي أن يصل هذا إلى درجة الاعتقاد، وألاّ تحمل في نفسك عليه أي ضغينة، لا أن يكون الأمر مجرد تبرير، وتبقى تحمل في قلبك ضغينة عليه، بل عليك أن تعتقد، وهذا التعبير عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فاعتقدوا»، وهو فعل أمر، أي ليصدّق قلبك أن ذلك منك لا من عنده، وأنّ المشكلة بك وليست به.

ومن المهم أيضًا تناسي هذه الزلات والأخطاء؛ لأنّ الإنسان إذا بقي يتذكر أخطاء إخوانه ويجمعها، ويأكل بنفسه ويحرق دمه فإنّه سيخاطر بانفراط العلاقة الإيمانية، وهذا أمر طبيعي، فإنّ الإنسان لحم ودم ومشاعر، وعندما يبقى يتذكر أخطاء إخوانه بحقه، فإنّه يجعل نفسه في أجواء تضعف فيها العلاقة الإيمانية بينه وبينهم، ولنضع نصب أعيننا أننا لسنا معصومين، وقد خلقنا الله سبحانه خطائين، وصدور الأخطاء منّا أمر متوقع، ويجب أن نتعامل معه كأمر واقعي، فإنّ الحياة الاجتماعية عادة هكذا، وينبغي أن نكيّف أنفسنا مع هذا الواقع.

وإذا كان القرار أن نحصي أخطاء الآخرين فسنبقى وحيدين؛ لأنّنا سنرى أن الكثيرين قد أخطؤوا معنا، لأنّه من النادر أن تجد شخصًا يراعي الآخرين في جميع الأوقات

١٠٤. مستدرك الوسائل ٩: ٥٧، ح٦.

والأحوال، فإنّ كثرة المشاكل التي تمر بالإنسان تذهله عن كثير من الأمور، فلا يصح أن نبحث عن أسباب لقطع علاقتنا مع الآخرين، بل يجب علينا التماس الأعذار لهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، فربما يقف معك شخص من هؤلاء الذين تزهد بهم موقفًا لا يقف معك فيه القريب.

لقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من لم يحتمل زلل الصديق مات وحيدًا»[١٠٥]، أي الذي لا يستطيع أن يتحمل أخطاء أصدقائه وإخوانه ويبقى يتذكر أخطاءهم بحقه، وإن مرت عليه السنين، فإنّه سيبقى بلا أخ أو صديق وسيموت وحيدًا، فالجميع سيتفرقون من حوله ويبقى وحده يصارع الحياة، والذي لا يريد أن يبقى وحيدًا ويريد الاحتفاظ بعلاقته مع الآخرين، فيجب عليه أن يتحمل اخطاءهم، وأما الذي يريد أن يعيش مع الآخرين بشرط ألا يخطئوا معه، فليسأل نفسه هل هو لا يخطئ بحق الآخرين؟. بل الإنسان قد يخطئ أحيانًا بحق نفسه وبحق أقرب الناس إليه كأبيه وأمه وزوجته وأخته وابنه، فلماذا يتوقع من الآخرين ما لا يتوقعه من نفسه؟ فهذه معادلة غير صحيحة، أنا أُخطئ بحق الآخرين، والآخرون أيضًا قد يُخطئون بحقي، فالأساس هو الصفح وغفران الزلل والتجاوز عن الأخطاء.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قال: «لا يقصر المؤمن عن احتمال ولا يجزع لرزية»[١٠٦]، أي ينبغي ألاّ يضعف المؤمن في البحث عن احتمالات وتبريرات لأخطاء إخوانه وزلاتهم، فإنّ المؤمن حقًا هو من تكون عنده قدرة على أن يستوعب أخطاء إخوانه ويتحملها ويتجاوزها ويكبر عليها وينساها، ولا يبقى يتذكرها أصلًا، فحين قال أرجو المعذرة أو أوضح لي الأمر، فقد انتهى الموضوع، وإن لم يعتذر ولم يوضح لي فيجب أن أقول: من المؤكد أنّه لم يقصد الإساءة، ولنسعَ لتذكر إيجابيات الآخرين، ونحن إذا كنّا نعمل الخيرات ونهدي ثوابها للأموات رحمة بهم، ونتذكر إيجابياتهم فقط ولا نتذكر سلبياتهم، فلماذا لا نتعامل مع الأحياء بنفس الثقافة التي نتعامل بها مع الأموات؟. ومن الجدير بالمؤمن ألاّ يقصر في حق أخيه المؤمن، ولا يقصر عن استيعاب وتقبل وتحمل أخطائه.

وكذلك على المؤمن ـ بحسب هذه الرواية الشريفة ـ ألاّ يجزع لرزية تصيبه، والرزية هي البلية، كما لو دخل سارق إلى البيت وسرق أثاثه، فليحمد الله تعالى أنّ أولاده

١٠٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٥.
١٠٦. عيون الحكم والمواعظ: ٥٤١.

سالمون لم يخطفهم المجرمون كما يخطفون أولاد الناس، والمال يذهب ويأتي عوضه، وإذا أصابه المرض يجب ألاّ يجزع ويقول: إلهي لماذا أصاب أنا وأولادي بالمرض؟، وعليه أن يتذكر أنواع الأمراض الصعبة والخبيثة التي لا علاج لها، ويسأله بدلًا من ذلك الشفاء والعافية.

وعلى كل فرد منّا أن يحدّث نفسه دائمًا بمن ابتلاهم الله بأشد مما ابتلاه، فإنّي لو فقدت أخًا، فإنّ فلانًا من جيراني أو أصدقائي فقد أربعة، فأقول الحمد لله الذي حفظ لي بقيه إخواني. إن الصبر على الرزية وعدم الجزع أمر مهم يجب أن يتحلى به المؤمن.

إذن فهناك ذنوب يخبرنا الله (سبحانه وتعالى) بأنّه أخفاها عن ملائكته، كما مر في بعض الروايات السابقة، ولكن الله (سبحانه وتعالى) رقيب عتيد يسمع ويرى ويعرف ويسجل، ولكن لا يسمح حتى لملائكته الموكلين بذلك المؤمن بالاطلاع على بعض الذنوب، أما ما مداليل ذلك؟ وماذا نستفيد من إخفاء الله سبحانه لبعض الذنوب عن عباده وعن ملائكته؟ فهذا معناه وجود إرادة إلهية ألاّ يقف الإنسان عند الخطأ، وألاّ يبقى يتذكر أخطاء الآخرين، وأنّ الله(سبحانه وتعالى) يحب للإنسان أن ينسى أخطاء الآخرين.

وإذا كنا نحب أن يصفح الله عنا ويتناسى أخطاءنا، فعلينا أن نتناسى أخطاء الآخرين، لا أن نقف عند كل شاردة وواردة وكل صغيرة وكبيرة ونحصيها على الآخرين، ثم نرفع أيدينا بالدعاء ونقول اللهم أنت الغفور الرحيم اغفر لي، مع أننا لم نغفر ما هو بحجمنا ومقدارنا، حتى تضاعفت أخطاؤنا أمام الله (سبحانه وتعالى) وأصبحنا لا نستطيع إحصاءها عددًا.

وقد جاء في دعاء كميل قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مناجاته: «وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم، وبفضلك سترته».

«وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم»: أي من وراء الملائكة.

«والشاهد لما خفي عنهم»: أي الذنوب التي أخفيتها عن ملائكتك، وكنت أنت الشاهد عليها.

«وبفضلك سترته»: أي أنت يا إلهي تفضلت عليّ وسترت ذنوبي عن ملائكتك فخفيت عنهم، ولكنك الشاهد وتعرف كل شيء، وهذا يدل على أن الله (سبحانه وتعالى) ستّار العيوب، فهو يرغب ويحب أن تستر العيوب والأخطاء، وعلينا حينما

نرفع أيدينا بالدعاء ونقول: يا ستار العيوب استر عيوبي، فلنسأل أنفسنا هل سترنا عيوب الآخرين وأخطاءهم، حتى نطلب من الله تعالى أن يستر عيوبنا ويعفو ويصفح عن أخطائنا؟ فإننا إذا سترنا عيوب الآخرين ورفعنا أيدينا بالدعاء، فحينئذ يكون دعاؤنا مستجابًا، وأما إذا كنّا واقفين لهم بالمرصاد، ثم نريد من الله سبحانه أن يستر عيوبنا فهذا أمر صعب المنال، إذا لم يحدث العكس؛ فيفضحنا الله تعالى كما فضحنا الآخرين.

إنّها ثقافة تسجيل النقاط التي سادت أوساطنا في هذه الأيام، ولو سألت أحدهم ما الطعام الذي تناوله في فطوره أمس الأول لقال نسيت، ولكنه لا ينسى قولا أو فعلا صدر من المؤمن الفلاني قبل عشرين سنة، فلماذا يتذكر تلك رغم تطاول الزمان عليها وينسى هذه التي كانت في الأمس؟. . الجواب، لأنّ ذاكرته تركز على أخطاء الآخرين فتبقى في باله، فالإنسان يحفظ في ذاكرته المعلومات التي يهتم بها، وأما المعلومات التي لا يهتم بها فلا تحفظ في ذاكرته، وتبقى في دوائر أبعد في الذاكرة، وسرعان ما تُنسى وتتلاشى.

وعلينا إذا تذكرنا أخطاء إخواننا أن ننتبه إلى أنّنا نركز على هذا الموضوع، لتكون لدينا ثقافة تسجيل النقاط، أي دعني أسجل القضية الفلانية لتنفعني في يوم ما إذا جرت بيننا خصومة فأُظهرها له، وبعضهم يدونها في دفتر ملاحظاته أو يومياته لئلا ينساها، ويقرؤها بين الفينة والأخرى لئلا ينساها، فدفاتر مذكراتنا هي سجلات لتدوين أخطاء الآخرين، حتى إذا ما سُئل يومًا ما رأيك بفلان؟ أسرع إلى ذاكرته ودفتره فعدد لك أخطاءه من ألفها إلى يائها. ولكننا في نفس الوقت ننسى الأحكام الشرعية المهمة كشكوك الصلاة والمفطرات.

إن هذه هي ثقافة تسجيل النقاط والثغرات والعثرات والزلات على الأخ المؤمن، وهي ثقافة خطيرة، فبعضهم يبني علاقات مع المؤمنين لاستدراجهم واكتشاف نقاط ضعفهم وزلاتهم، وهو أمر عجيب، ألاّ تُبنى العلاقة الأخوية على أساس الإيمان وقداسة هذه العلاقة، وإنما هي لاكتشاف نقاط الضعف والزلات، فهذا من شأنه أن يخاطر بالإيمان، كما ورد ذلك في عدد من النصوص، ويكون الإيمان حينئذ في مهب الريح، وعندها يتحول مثل هذا الإنسان إلى إنسان سلبي ظلامي، قد أمسك قلمه بيده ليسجل نقاطا على الآخرين، ليقول في يوم: عندي ملفات عن كل شخص، وكل من يتنفس سأنشر ملفه.

لقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان، أن يؤاخي الرجل الرجل على دينه، فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعيّره بها يوما ما»[١٠٧].

وورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا أنّه قال: «أبعد ما يكون العبد من الله، أن يكون الرجل يؤاخي الرجل وهو يحفظ عليه زلاته ليعيّره بها يوما ما»[١٠٨]، فأبعد ما يكون الإنسان عن الله سبحانه ليس عندما يرتكب الذنوب والمعاصي الشخصية، وإن كان ذلك يبعده عن الله تعالى قطعًا، ولكن عندما يؤاخي مؤمنًا ليسجل عليه أخطاءه، لأنّ الإيمان بالله عز وجل يضيع، وإذا ضاع الإيمان فسيكون الإنسان أبعد ما يكون عن الله(سبحانه وتعالى)، وبقدر ما يبتعد الإنسان عن الله تعالى يقترب من الكفر العملي، إذ الكفر نوعان: كفر بالله في مقابل الإسلام، وهو كفر في العقيدة، وكفر في السلوك، والإنسان البعيد عن الله (سبحانه وتعالى) كافر عمليًا، وإن كان يعتقد بالله.

ومعنى الكفر العملي أنّ الإنسان يعمل أمورًا تخالف معتقده، فمثلًا، تسأل إنسانا عاصيا لله (سبحانه وتعالى) : هل تعتقد بوجود الله؟ فيقول: نعم؟ فتسأله ثانية: هل تعتقد بأنّه سيحاسب الناس في يوم القيامة، فيدخل المطيع جنته والعاصي ناره؟ فيقول: نعم، فتقول له حينئذ: فلماذا تعصيه وترتكب ما حرّم عليك؟ فإنّ معنى العصيان أنّك لا تعتقد بربوبيته، في الأقل في العمل الشكلي، وهذا يسمى الكفر العملي.

وكذلك، عندما يستقصي الإنسان أخطاء الآخرين وزلاتهم، يخرج من الإيمان ويفقده، وإذا فقد الإيمان ابتعد عن الله (سبحانه وتعالى)، وإذا ابتعد عنه كان أقرب للكفر العملي.

لاحظوا هذه الرواية في الكافي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين، فيحصي عليه زلاته ليعيّره بها يوما ما»[١٠٩].

وقد تكرر التعبير نفسه والصياغة نفسها ثلاث مرات في ثلاثة مواطن، اثنتان منها عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وواحدة عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ. في إحداها: «أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان»، وفي أخرى: «أبعد ما يكون العبد من الله»، وفي ثالثة: «أقرب ما يكون العبد من الكفر»، وكلها تشير إلى الوقوع في الكفر العملي، نستجير بالله

١٠٧. وسائل الشيعة ١٢: ٢٧٦، ح٤.
١٠٨. الكافي ٢: ٣٥٥، ح٧.
١٠٩. الكافي ٢: ٣٥٥، ح٦.

من ذلك. فانظروا إلى نتيجة التركيز على زلات الآخرين واستذكار أخطائهم وحفظها عليهم، للتلويح بها وتهديدهم عند الحاجة، كيف يعصف بالإنسان ويبعده عن الله سبحانه ويوقعه في الكفر العملي.

إنّ حب الإنسان لنفسه يجعله غير قادر على أن يلتقط أخطاء نفسه ويركز عليها، وتأخذه العزة بالإثم ولا يعترف بخطئه، فيدافع عن أقواله وأفعاله وطريقته، حتى لو قيل له: لقد أسأت إلى أخيك المؤمن، لقال: يستأهل، أو كان حقه ذلك. فالإنسان الذي يحب ذاته لا يتنازل ولا تكون له القدرة على استبيان أخطائه وزلاته، ولكنه يبقي عينه مفتوحة على الآخرين ليتقصى زلاتهم، وينزه نفسه وينكر أخطاءه.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «من عمي عن زلته استعظم زلة غيره»[١١٠]، فالذي لا يرى أخطاءه تكبر في عينه أخطاء الآخرين، وعلى عكس ذلك، من كان يرى أخطاء نفسه تتصاغر في عينه أخطاء الآخرين.

وورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قوله: «من أبصر زلته صغرت عنده زلة غيره»[١١١]، ولا يستطيع أن يرى أخطاء نفسه إلا الشجاع، ومن تعب على تزكية نفسه، ولكن الإنسان بطبيعته مكابر، وليس من السهل عليه أن يعترف بأخطائه، ولو نبّه عليها أخذته العزة بالاثم والعزة بالخطأ، فلا يقنع ولا يقبل لنفسه أن يقول إني أخطأت. ولذلك ورد في الأدعية المأثورة التأكيد على سحق الأنا والترويج لثقافة الاعتراف بالخطأ، كما ورد ذلك في دعاء عرفة للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إلهي أنا الذي أخطأت، أنا الذي أسأت، أنا الذي أجرمت. . . »، وهو يعلمنا كيف نسحق الأنا في وجودنا؛ لأنّ حب الذات وحب النفس والأنانية رأس كل خطيئة وبداية كل انحراف. فهنيئًا لمن ينشغل باصلاح عيوبه عن الانشغال باحصاء عيوب الآخرين، كما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[١١٢].

فهنا معادلة، وهي أن من يصاب بالأنانية ولا يرى أخطاءه، ستكبر في عينه أخطاء الآخرين، وكل من كان شجاعًا ومتواضعًا ورأى أخطاءه، فسوف تتصاغر في عينه أخطاء الآخرين. إذن كل من يرى عيوب الآخرين كبيرة، فليعلم أنّه مصاب بعمى البصر، وكل من يرى أخطاءه كبيرة وأخطاء الآخرين صغيرة، فليحمد الله وليعلم أنّه صحيح البصر.

---

١١٠. عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٧.

١١١. عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٨.

١١٢. نهج البلاغة ٢: ٩٦، الرقم ١٧٦.

فغفران الزلل يعني الصفح والتجاوز والتناسي واختلاق الأعذار للأخ المؤمن، وإذا لم يوجد عذر يختلقه فليتهم نفسه، وليقل إن هناك سببًا ولكني لا أعرفه، إذ الأساس هو حمل الأخ المؤمن على الصحة، وأنّه لا يتعمد الخطأ، وعمله صحيح إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن حقوق الأخوّة الإيمانية، وقلنا إن مراعاة حقوق الأخوّة الإيمانية تحظى بأهمية كبيرة، ولها موقع مميز في مسار الإنسان التكاملي نحو الله (سبحانه وتعالى)، وقلنا إنها ثلاثون حقا، وبدأنا باستعراضها، وانتهينا من الحق الأول(غفران زلة المؤمن)، واليوم ننتقل إلى الحق الثاني.

الحق الثاني / رحمة عبرة المؤمن

لقد ذكر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا الحق من حقوق المؤمن بقوله: «ويرحم عبرته»، أي على المؤمن أن يتعاطف ويتفاعل ويهتم ويواسي ويراعي أخاه المؤمن، فحينما نرى أخانا المؤمن في كربة وفي غم وفي محنة وفي ألم، فهل ينبغي أن يكون موقفنا منه موقف اللامبالاة أو موقف الشعور بالمسؤولية؟ والشعور بضرورة التقرب منه وإزالة كربه بالتراحم والتواصل والتوادد والمحبة؟.

إنّ الغم حالة نفسية، ومعالجته أيضًا معالجة نفسية، فلعلنا لا نستطيع أن نسع الناس بأموالنا حتى نحل مشاكلهم المالية، ولعلنا لا نستطيع أن نسع الأخ المؤمن بحل مشكلة إدارية لعدم وجود علاقة مع الجهة المسؤولة، ولكننا نستطيع أن نستوعب الأخ المؤمن بالمداراة وبالكلمة الطيبة، فهي تخفف حجم المحنة التي يعيشها.

والإنسان لحم ودم ومشاعر وعواطف، وتلعب الحالة المعنوية دورًا كبيرًا في إزالة كربته، فعندما يرى إخوته مجتمعين حوله في خدمته والاهتمام بشأنه، فإنّ ذلك يخفف كثيرًا من الكربات والمحن التي يمر بها؛ إذ العبرة بمعنى الدمعة، وهي هنا كناية عن أسباب الدمعة من الآلام والمحن والهموم التي قد تصيب الإنسان نتيجة ظروف الحياة، فيخفف عنه كثيرا حين يُرحم ويُراعى ويُلتفت إليه، في مقابل حالة اللامبالاة، وعدم الشعور بالمسؤولية وعدم الاكتراث وعدم الاهتمام.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [113]، فأول سمات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والذين معه، هي أنّهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، ولا مفارقة ولا تناقض بين الرحمة من جهة والشدة من جهة أخرى، لأنّ العواطف يوجهها بالعقل، فيقف من الكافر المعادي موقف الشدة؛ لأنّه عندما يكون لينًا أمام الخصم، فإنّه سيتجرأ أكثر على الخصومة، بينما سيقول من آمن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا كنّا على علاقة جيدة مع العدو والصديق، فلماذا نتعب أنفسنا ونتحمل مرارة الحق؟ وستبرد الناس عن الحق إذا كان الجميع سواسية، وسوف لا يندفع للحق إلا قلة من الناس، ولذا لا بد من أن نكون أشداء على الكفار ونتعامل معهم بحزم، فلا مجاملة مع العدو الكافر.

ربما يتبادر إلى ذهن البعض، كيف نتعامل مع منافسينا في العمل السياسي باللين وروح المجاملة؟، فنقول: إنّ هذا بحث آخر، فهؤلاء كلهم يؤمنون بالعملية السياسية، وهم جميعًا ضمن إطار واحد وضمن البيت الوطني، وإنْ اختلفوا في بعض برامجهم وخططهم وأسمائهم وتفاصيلهم، فالشراكة الوطنية والمجاملة بين أبناء الوطن الواحد وأبناء المشروع الواحد، أمر لا علاقة له بموضوع بحثنا، ولا يدخل في دائرة «أشداء على الكفار رحماء بينهم».

إن الرحمة تعني الشفقة والمداراة وحسن الظن والتعامل الطيب والكلمات الرقيقة والابتسامة وإشعارالآخر بالاهتمام، فربما يشعر الإنسان بالمهانة عندما يتكلم إلى شخص، وهو يتلهى عنه بسماع الأخبار مثلًا، فالإقبال على المتحدّث هو أبسط حالات

١١٣. سورة الفتح: الاية ٢٩.

الرعاية والاهتمام. إنّ لقلب الإنسان مظهر اللين ومظهر الشدة؛ مظهر اللين والرأفة والشفقة لأولياء الله، ومظهر الغضب لأعداء الله.

وثاني سمات رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا معه، أنّهم كانوا يقضون أوقاتهم بالركوع والسجود والعبادة لله عز وجل، يبتغون من وراء ذلك الفضل من الله تعالى والرضوان، فهدفهم هو الحصول على رضا الله تعالى وعلى فضله ولطفه.

وثالث سماتهم أنّ سيماهم ظاهرة في وجوههم من كثرة ما يسجدون لله عز وجل، والمقصود من قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾، أي سيماء الصالحين بادية على وجوههم، والنظر إليها يذكّر بالله (سبحانه وتعالى) ويحدث حالة من الشعور بالمعنوية، فيجب علينا عندما نقف أمام المرآة لنرى مظهرنا وملبسنا، أن نرى أيضًا أنفسنا هل تخشع لذكر الله تعالى أو لا تخشع؟ وهل سيماؤنا في وجوهنا من أثر السجود أو لا؟. وبالطبع فإنّ هذه السيماء من آثار السجود الواقعي المعنوي لله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[١١٤]، فمن المؤكد أنّ سجود الجبل والشمس والقمر ليس كالسجود المتعارف، وليس بمعنى سجودنا نحن، بل يعني الخضوع لإرادة الله (سبحانه وتعالى).

وقد يحلو للبعض في هذه الأيام أن يقف عند الظاهر ويتجاوز الباطن، فيتظاهر بمظاهر الإيمان وإن كان واقعه ليس كذلك، من أجل مصلحة شخصية، فيطول لحيته ويضع الخواتم في أصابعه ويمسك سبحة بيده، وإذا ما دخلنا اليوم في وزارة محسوبة لتيار إسلامي، فسنرى أمثال هؤلاء من العاملين فيها، لكي يقول ظاهر حالهم للوزير إني من لونك، فإذا تبدل الوزير وكان علمانيًا، فسنرى في اليوم الثاني أن هؤلاء قد حلقوا اللحى ونزعوا الخواتم من أصابعهم ووضعوا من أيديهم السبح، وارتدوا ملابس من نوع آخر تتناسب مع ذوق التيار الذي ينتمي إليه الوزير الجديد. وهؤلاء كالحرباء، وهو حيوان يتكيف مع المحيط الذي يعيش فيه، فعندما يدخل بين الشجر الأخضر يتبدل لونه إلى أخضر، وإذا عاش في مكان أصفر يتبدل لونه إلى الأصفر، وهي من عجائب الدنيا.

أما الإنسان الذي لا يحب أن يكون متلونًا كالحرباء، فعنده لونه الخاص وهويته الخاصة التي يعتز بها، وعندما يكون بين المؤمنين فهذه هويته، وعندما يكون في مكان آخر، نراه محافظًا على هويته ومحافظًا على هندامه ومحافظًا على طريقته.

---

١١٤. سورة النحل: الاية ٤٩.

والفقرة الأخيرة من الآية الشريفة: «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا»، تتناول الثواب الذي ينتظر من ذكرت الآية الكريمة سماتهم في صدرها.

وقد ورد في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التأكيد الكبير على مسألة التراحم، وهو مفردة مهمة في ثقافة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فمثلًا روى الشيخ الكليني في الكافي عن شعيب العقرقوفي قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين متواصلين متراحمين، تراحموا في ما بينكم، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[١١٥].

وروى في موضع آخر عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل: «رحماء بينهم»، متراحمين، مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»[١١٦].

يذكر الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية أن التعاطف والتراحم حق للمسلم على أخيه المسلم، وينص على أن هذا حق من حقوق الأخوّة في الدين. وقد تضمنت عدة فقرات لبيان هذا الحق.

«يحق على المسلمين»: أي هو حق تضامني لكل مسلم على المسلم الآخر، وهو لا يخص فئة منهم، ولا مسلما دون مسلم.

«الاجتهاد في التواصل»: أي أن يبذلوا الجهد في تحقيق التواصل بينهم، لا أن يقول: سأزوركم إذا وجدت فرصة، وتمر خمس سنوات ولم تأتِ الفرصة. والله تعالى يعلم كم يحتاج من السنوات حتى يردّ الزيارة.

«والتعاون على التعاطف»: أي تعاونوا على المحبة والرحمة والشفقة.

«والمواساة لأهل الحاجة»: أي سدّ حاجة الفقراء بما فضل من مال، بل مشاركتهم بأموالكم ولو باقتطاع شيء من نفقتكم، ومساعدتهم في انتشالهم من الفقر.

«وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾»:

---

١١٥. الكافي ٢: ١٧٥، ح١.
١١٦. الكافي ٢: ١٧٥، ح٤.

في إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [١١٧]، أي كونوا متراحمين بينكم.

«مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم»: أي أن المؤمن يصيبه القلق على أخيه المؤمن إذا غابت عنه أخباره، ولم يجد وسيلة للتعرف عليها ولا أحدًا يعرفه فيسأله عنه.

«على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»: أي أن معشر الأنصار ـ وهم أهل يثرب الذين آمنوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وآووه ونصروه ـ هكذا كانوا مع من جاءهم من المهاجرين من مؤمني مكة الذين كانوا فقراء، وليس عندهم من ينزلون عليه في إقامتهم في يثرب، فتكفلهم الأنصار على خير وجه بالرغم من أنّهم كانوا فقراء أيضًا، ففتحوا أبوابهم للمهاجرين واستقبلوهم في دورهم، وكان المهاجرون يخجلون من طول إقامتهم عند إخوانهم الأنصار، فكانوا يغيبون وجوههم فيغتم الأنصار لذلك، فيبحثون عنهم ويأتون بهم إلى بيوتهم ثانية.

أهمية التراحم

إنّ التراحم شرط لحصول الرحمة الإلهية، ومن أراد أن يرحمه الله تبارك وتعالى ويشفق عليه، فعليه أن يرفق بأخيه المؤمن ويشفق عليه، لأنّ من يرحم يُرحم، ومن أراد الرحمة من الله تبارك وتعالى فعليه أن يرحم إخوانه المؤمنين.

وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم. قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين»[١١٨].

وقد احتوى هذا الحديث الشريف على فقرات عديدة تسلط الأضواء على أهمية التراحم بين المؤمنين، وتفسر المقصود من هذا التراحم.

«والذي نفسي بيده»: ويستعمل المتكلم القسم الغليظ عندما يكون هناك أمر مهم يريد الحديث عنه.

«لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم»: أي لا يرحم الله تعالى إلا من يرحم الآخرين، أما من كان لا يبالي بالآخرين ممن يحتاجون إلى الرحمة، فلا يتوقع نزول الرحمة الإلهية عليه؛ لأنّها خاصة بمن كان رحيمًا فقط.

---

١١٧. سورة الفتح: الاية ٢٩

١١٨. مستدرك الوسائل ٩: ٥٤، ح٣.

«قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم»: أي كلنا عنده رحمة لنفسه وعياله، فيداريهم ويعطف عليهم، فكل إنسان رحيم بحق نفسه ورحيم بحق عياله.

«فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة»: أي ليس المقصود رحمة الإنسان لنفسه وعياله فقط. فلا يكفي أن يرحم الإنسان نفسه وعياله؛ لأنّ هذا أمر فطري عند الكائنات الحية.

«ولكن الذي يرحم المسلمين»: أي المقصود هو رحمة المسلمين جميعًا، فيسعف من كان مريضًا منهم، ويساعد من كان فقيرًا، ويقضي حاجة من كان محتاجًا، ويشبع من كان جائعًا، ويعلّم من كان جاهلًا، ويرشد من كان ضالًا. . وهكذا.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قال تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي»[١١٩]، ولعل هذا حديث قدسي، أي من أراد أن يحظى برحمة الله تعالى، فعليه أن يرحم من في الأرض.

وفي رواية أخرى عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[١٢٠].

هذه الرواية من روايات السلسلة الذهبية، وهي الرواية التي يرويها إمام عن إمام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ومعنى هذه الرواية الشريفة أن من لم يبادر إلى رحمة الناس، فلا يفكر بوصول رحمة الله إليه. ومن مصاديق الرحمة أن يسعى كل منّا لبراءة الذمة مع إخوانه الآخرين الذين تعكر صفو علاقته معهم لسبب من الأسباب، ولا يقولن أحد إنّ المقابل هو المقصر وعليه أن يعتذر ويطلب براءة الذمة منّي، بل تجاوزوا كل ذلك وإن كنتم محقين، وسارعوا إلى التراحم بينكم، واقبلوا على الله تعالى بنيات صافية، لتقفوا بين يديه وتقولوا: يا إلهنا إنّا ضغطنا على ذاتنا وسحقنا على أنانيتنا وعفونا عن إخواننا المؤمنين الذين ظلمونا، فاعفُ عنّا بكرمك.

علينا أن نصفّر حساباتنا ونبيّض ملفاتنا، لكي يبيّض الله تعالى ملفاتنا من الآثام والذنوب التي ارتكبناها طوال حياتنا، وليرحم بعضنا بعضًا لكي يرحمنا الله تعالى، وعلينا أن نسمو ونتعالى ونكبر على هذه التفاصيل الصغيرة التي تحدث غالبا بين

١١٩. مستدرك الوسائل ٩: ٥٤، ح٣.
١٢٠. مستدرك الوسائل ٩: ٥٥، ح٤.

الإخوان، وعندما يرانا الله(سبحانه وتعالى) قد رحمنا الآخرين بالفعل وصفحنا عنهم، فإنّه حينئذ سيرحمنا.

وفي رواية أخرى عن نوف البكالي، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يا نوف ارحم تُرحم»[١٢١]، يوصي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد أصحابه بوصايا، منها أنّه إذا كان يريد أن يرحمه الله تعالى فليبدأ هو أولًا برحمة الناس والشفقة عليهم، فإن فعل ذلك وهو أمر يسير لا كلفة فيه، إذ بمقدور كل أحد أن يمارس الرحمة والشفقة مع الآخرين ويخلع عنه لباس النقمة والشدة، هطلت عليه سحائب الرحمة الإلهية في الدنيا والآخرة، وأغرقه الله تعالى بفيض كرمه اللامتناهي، وكل هذا جزاء عمل بسيط لا يستغرق من الإنسان وقتًا ولا جهدًا.

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن»[١٢٢]، أي الذي يرحم الآخرين ويشفق عليهم، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) باسمه الرحمن يتولى رحمته.

«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»: كم هي لطيفة هذه الرواية، أي أرحم كل من يعيش على وجه الأرض، وإن كان حيوانًا، لكي يقابلك الله تعالى بالمثل فيرحمك. وهذه قاعدة عامة يتعامل بها الله تبارك وتعالى مع الإنسان بغض النظر عن إيمانه.

وعندما تتكون عند الإنسان هذه الروحية والأخلاقية في التعامل مع من حوله من البشر، وما حوله من الحيوان والنبات، وتترسخ عنده ملكة الرحمة، بحيث تتحول بعض مظاهر الرحمة عند البعض إلى مثار دهشة واستغراب، كمن يفت الخبز للنمل لكي يوفر عليها عناء البحث عن قوتها، فلا شك في أن مثل هذا الشخص سيكون تحت النظر الدائم للرحمة الإلهية.

إنّ الاهتمام بالطبيعة وما فيها ينطلق من هذه الرحمة العامة التي يحث عليها الإسلام، ولذا ينبغي على الإنسان عندما يرى هرة عطشى أو شجرة عطشى مثلًا ـ وإن لم يكن للشجرة لسان تتكلم به، ولكنه يعرف ذلك عندما يراها يابسة مع أن الماء قريب منها ـ فليغتنم هذه الفرصة ويبادر إلى سقيها، لأنّها كائن حي يحتاج إلى الماء والغذاء. ولكن هناك من يعيش حالة العداوة مع الطبيعة، فعندما يرى غصنًا يكسره، وعندما يرى شجرة يقلعها، كل ذلك لأنّه لم يتلق التربية الصحيحة في التعامل مع الطبيعة، كيف وهو يرى

١٢١. بحار الأنوار ٧١: ٣٩٦، ح٢٦.
١٢٢. مستدرك الوسائل ٩: ٥٦، ح٨.

من حوله مظاهر اللامبالاة بالإنسان فضلًا عن الحيوان والنبات، ولهذا علينا أن نحيي هذه السنة الدينية في الدعوة إلى الاهتمام بالطبيعة من حولنا، ولو بدأ كل واحد منّا برعاية شجرة واحدة أو نخلة واحدة لزاد عددها(٣٤) مليون شجرة، بقدر عدد نفوسنا في العراق الآن، وهو أمر ليس صعبًا، فهناك مساحة فارغة دائمًا في البيت أو في الشارع، أو المساحات الخالية، فازرع شجرة واهتم برعايتها لتتحول بلادنا إلى بلد مليء بالثمار والمناظر الزاهية الجميلة.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن الله عز وجل رحيم يحب كل رحيم»[١٢٣]، أي ان الله تبارك وتعالى يحب من البشر من يتشبه بصفاته، ويكون في واقعه العملي مظهرًا لأسمائه، فمن كان رحيما رحمه الله (سبحانه وتعالى)، ومن كان كريما أكرمه، ومن كان متسامحا سامحه وهكذا، فأي صفة في الله تعالى هي صفة كمال، وحينما تكون هذه الصفات الكمالية في شخصياتنا وفي وجودنا، نكون قريبين من الله (سبحانه وتعالى) ومن أوليائه.

والحمد لله رب العالمين

١٢٣. وسائل الشيعة ١٢: ٢١٦، ح٦.

المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وعظم الله أجوركم بذكرى استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وذكرنا منذ بداية هذا الشهر رؤية تفصيلية في تعريف هذه الأخوّة، وفي أقسامها، وانتهينا للحديث عن حقوق الأخوّة الإيمانية، وذكرنا حقين من هذه الحقوق.

الحق الثالث / ستر العيوب

أما الحق الثالث فهو قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يستر عورته»: أي يجب على المؤمن ستر عورة أخيه المؤمن، وهو حق من حقوق الإخوان.

والعورة تعني الشيء الذي يخجل منه الإنسان، وهي تشمل كل عمل أو خطوة أو سلوك يخجل أن يبينه الإنسان أو أن يطّلع عليه الآخرون، إما لأنّه نقص أو خطأ أو ذنب أو عمل قبيح، أو قد لا يكون نقصا أو عملا قبيحًا، ولكن يقبح اطّلاع الآخرين عليه، فليس عيبًا أن يقضي الانسان حاجته بشكل طبيعي، لأنّها حاجة طبيعية فطرية عند الإنسان وضرورة حياتية، ولكن لا يرغب في أن يطّلع الآخرون عليه وهو في تلك

الحالة، وقد سُمّي مكان قضاء الحاجة ببيت الخلاء، لأنّه مكان يخلو فيه الإنسان ولا يرغب في أن يراه أحد فيه. أما سابقًا وفي حياة البداوة، فكان الناس يذهبون الى أماكن منخفضة بعيدة عن مضارب الخيام لقضاء الحاجة، وقد تسمّى بالخلوة ونظير ذلك، بل إن الغائط لغةً يُطلق على المكان المنخفض الذي يتوارى فيه الإنسان لقضاء حاجته، فأخذ الحال اسم المحل. فهناك إذن أمور قبيحة بحد ذاتها لا يرغب الإنسان باطّلاع الآخرين عليها، وهناك أمور ليست قبيحة في نفسها، ولكن يقبح اطّلاع الآخرين عليها، وكلاهما يسمى عورة في الاستعمال العام في الروايات.

لذلك فإنّ كشف عورة المؤمن وكشف ما هو مستور في حياته لأي سبب من الأسباب، يمثل تجاوزًا على حق المؤمن، والمطلوب شرعًا في العلاقة الإيمانية، هو ستر المؤمن وحفظ شأنه ومكانته وأسراره، فحق المؤمن على المؤمن أن يستر عورته ولا يُطلع الآخرين عن خباياه، ولا سيما في الأخوّة الإيمانية التي تتيح اطلاع كلٍّ من الأخوين على سلوك صاحبه؛ لأنّ التقارب يوجد انفتاحا، أي ذهاب الحشمة بينهما، وهذا يفضي إلى الاطّلاع على العيوب والنقائص، وسبحان من لا نقص فيه، وسبحان من لا يُخطئ.

وقد جاء في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قوله: «واستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره»[١٢٤]، أي إذا كنت تريد أن يستر الله تعالى أسرارك وعوراتك، فاستر عورات الناس وعيوبهم وما يرغبون في إخفائه عن بعضهم جهد إمكانك، وهذا هو المدخل لكي يستر الله عورتك.

ليس هناك إنسان كامل منزه عن النقائص والعيوب غير المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلنا فيه نقص ويقع في الخطأ والاشتباه، وإذا كان كل منا يترصد الآخر ويكشف أسراره وعوراته، فإنّ الله(سبحانه وتعالى) يقيّض من يكشف أسراره أيضًا، فعلى من يريد أن يخفي عوراته أن يسهم في إخفاء عورات الآخرين، وفي ذلك أجر عظيم بحسب ما تشير إليه الروايات، ومنها ما روي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «من ستر عورة مؤمن ستر الله عز وجل عورته يوم القيامة، ومن هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة»[١٢٥]، أي كما تتعامل مع الآخرين يتعامل الله معك، فإن حفظت أسرار الآخرين وسترت عوراتهم، فإنّ الله عز وجل يسترعورتك يوم تقوم الناس لرب العالمين

١٢٤. مستدرك الوسائل ١٣: ١٤٦، ح٢.
١٢٥. مستدرك الوسائل ٩: ١٠٩، ح٢.

في عرصات يوم القيامة، وإن كشفت عورات الآخرين كشف الله عورتك في ذلك اليوم أمام الناس جميعًا وفضحك على رؤوس الأشهاد. وهذه قاعدة من قواعد التعامل الاجتماعي، فلنبدأ من أنفسنا ونتعامل بصدق على كتمان أسرار الآخرين وعيوبهم. ولكن البعض بمجرد أن يطّلع على عيب أو خطأ عند أخيه المؤمن، يبقى مضطربًا ولا يرتاح إلا أن يبوح به أمام الآخرين.

وبما أنّ العورة هي شيء يرغب الإنسان بستره وعدم إظهاره، فكل ما جاء في ضرورة كتمان الأسرار يأتي أيضًا في كتمان عورة المؤمن.

منها ما رواه عبد الله بن سنان قال: «قلت له "للإمام الصادق": عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم. قلت: تعني سفليه؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ليس حيث تذهب، وإنما هي إذاعة سره»[١٢٦].

يقرر هذا الحديث المبارك حرمة كشف المؤمن لعورة أخيه المؤمن، سواء كانت أخطاء أو نقائص، ولكي يرفع السائل ـ وهو من كبار أصحاب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أي التباس أو سوء فهم لمقصوده عند نقل جواب الإمامإالى الشيعة، باعتبار أن العورة مشترك لفظي لها أكثر من معنى، والمعنى الشائع لها هو الأعضاء التناسلية، سأل سؤالًا آخر وهو: هل المقصود من حرمة كشف المؤمن لعورة أخيه المؤمن هو ما كان أسفل بدنه؟ وهنا ينفي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ نفيًا قاطعًا أن يكون مراده ذلك، ويوضح أنّ مقصوده هو حرمة كشف سر المؤمن وإذاعته. وكانت الأحاديث السابقة قد بينت أن عورة المؤمن هي أخطاؤه ونقائصه وعيوبه، وقد أضاف هذا الحديث بُعدًا جديدًا لكشف العورة، وهو كشف السر وإذاعته، وعادة ما يكون هذا السر أمرًا يتعلق بكشف هوية المؤمن العقائدية في ذلك العصر.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا: «عورة المؤمن على المؤمن حرام. قال: ما هو أن ينكشف فترى منه شيئًا، إنما هو أن تروي عليه أو تعيبه»[١٢٧]، وتؤكد هذه الرواية ما ورد في الرواية السابقة؛ أن المقصود بالعورة ليس ما يستره الإنسان بملابسه، فإذا انكشفت ثيابه يتبين ما لا يرغب في أن يُرى منه، ولكنها تضيف معنى جديدًا لحرمة كشف عورة المؤمن هو حرمة الرواية عليه. ومعنى تروي عليه، أي تنقل عنه أمرًا لا يرغب بنقله عنه أو تعيبه، فإنّ ما يسوء المؤمن تارة يكون لغرض الإساءة

١٢٦. الكافي ٢: ٣٥٨، ح٢.
١٢٧. الكافي ٢: ٣٥٨، ح٣.

إليه، وتارة لا يكون للإساءة إليه، لأنّ النقل قد يكون أحيانًا من باب التظلم، كأن تقول: أتدري ماذا حلّ بفلان؟ حدث له كذا وكذا، وتنقل عنه أمرًا يشينه، مع أنّك الآن لست في مقام الإساءة له، بل في مقام التظلم له والمواساة والانزعاج. وقد ساعدت الوسائل الحديثة كالفيس بوك والانترنيت والفضائيات على نقل أمور شخصية مشينة بشكل واسع جدًا، مع أن فيها ما هو حق وباطل، وما هو صحيح وغير صحيح، وفيها تهويل لبعض الأمور الصغيرة. ولا دور للنية هنا في نتائج كشف عورة المؤمن بهذا الأسلوب، ولا تشفع النية الحسنة أيضًا في تحمل أوزار هذا الفعل المشين.

كما أنّ هناك فروقا في كشف العورة، فتارة يكون الاطلاع على العورة لا عن قصد، كما لو كنت ماشيًا وفجأة ترى شخصًا تعرفه في حالة مخلة، أو تسمع صوته وهو يتحدث بالتلفون بكلمات غير لائقة من غير أن يكون قصدك مراقبته والتنصت على كلامه.

فالعورة التي يطلع عليها الإنسان من دون قصد لا قبح فيها وليست حرامًا، لأنّها خارجة عن اختياره، أما العورة التي يحصل عليها بقصد ونتيجة المراقبة والمتابعة، فهي أمر قبيح وحرام؛ لأنّه تعمد الاطلاع عليها. ولكن سواء اطلعت عليها بقصد أو بغير قصد، لا يجوز لك أن تنقلها للآخرين وتفشي سره، لأنك تعيب عليه وتشمت به وتكسره في المجتمع.

وعلى كل حال، فمن اطّلع على عورة مؤمن بأي طريق كان، فصمم على نشرها وإخبار الآخرين بها شماتة به أو انتقامًا منه لعداوة بينهما، فهو أمر محرم ينال صاحبه العقوبة بسببه، أما لو كان غرضه التظلم وليس الشماتة به أو الانتقام منه أو الإساءة إليه، فهو أمر محرم أيضًا، لأنّ قصد الإساءة وعدمه لا يغيران من الواقع شيئًا.

في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ولا تخن من ائتمنك وإن خانك، ولا تذع سره وإن أذاع سرك»[١٢٨].

وهذه الوصية هي من عجائب الوصايا، إذ يوصي فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولده الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن بعده جميع المسلمين، ألاّ يخون من أودعه أمانة ويرد عليه أمانته متى أرادها، وإن خانه هذا الشخص يومًا من الأيام، ويتجنب معاملته بالمثل، فقد يتصور البعض أنّ الخيانة في هذا المورد جائزة، وهي تتضمن نوعًا من العدالة في التعامل مع الخائن، ولكن الإسلام يبيّن موقفه من هذه الحالة على لسان أمير المؤمنين

١٢٨. تحف العقول: ٨١.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول بعدم جوازها، وينبغي الالتزام بالمعايير الإسلامية حتى في مثل هذه الحالات.

والفقرة الأخرى من هذه الوصية المباركة هي الاجتناب عن إذاعة سر من استودعك سره أو اطّلعت عليه، وإن كان هذا الشخص قد أذاع سرك، وهو تطبيق من تطبيقات الفقرة الأولى وتأكيد لنفس المعنى الذي ورد فيها. وهذا هو الخُلق الكريم الذي يحث عليه الإسلام، وإن كان هذا مخالفًا لما عليه عادة الناس في مثل هذه الحالة، إذ يعمدون إلى المقابلة بالمثل وكشف أسرار هؤلاء الأشخاص انتقامًا منهم، وقد يبقى البعض يلوح بكشف هذا السر لابتزاز الطرف المقابل.

فهنا يحث الدين الحنيف على ما يليق بالمؤمن من التمسك بالأخلاق الفاضلة، مهما كانت الأحوال واختلفت الظروف، لأنّ هذا شأن المؤمن وكماله وما يليق به، وبذلك تكون قد أحسنتإالى من أساء إليك، وكنت أفضل منه وسبقته في ساحة السباق إلى الخيرات والعمل الصالح التي بشّر بها الإسلام.

الفرق بين العورة والسر

الفرق بين العورة والسر أن العورة ـ كما قلنا ـ إما نقص، أو أمر لا يرغب الإنسان باطلاع الآخرين عليه، أو في روايته مثلبة ونقص، إما لأنه نقص وخطأ ومعصية وذنب. . الخ، أو هو أمر عادي ولكن يحصل النقص بإذاعته كما في قضاء الحاجة وما شابه ذلك من أمور وشؤون. أما السر فهو الأمر الذي يكتم، إما لأنّه سلبي وسيئ، أو لأنّه حسن وإيجابي، كما في الإنسان الذي يتصدق ولا يريد أن يطّلع عليه أحد؛ لأنّه يريدها خالصة لوجه الله (سبحانه وتعالى)، فمثل هذا الأمر يكتمه المؤمن ولا يرغب في أن يذاع مع أنّه كمال، ولكنه يخفيه حتى لا يصاب بالرياء مثلًا، وكما في صلاة الليل والتهجد والعبادة، فهي أعمال حسنة ومع ذلك يحبذ إخفاؤها عن الآخرين حذرًا من الرياء؛ لأنّها أعمال شخصية بحتة. أما الأعمال التي فيها بُعد اجتماعي فيحبذ الإجهار بها أمام الآخرين، لكي تشاع الثقافة الصحيحة كما في تشييع جنازة أحد أموات المؤمنين، فيستحب للإنسان أن يُظهر نفسه لذوي الميت، لكي يشعروا أنّهم ليسوا وحيدين، وأنّ المؤمنين حولهم يواسونهم، فيمنحهم ذلك قوة قلب مما يؤدي إلى التخفيف من آلامهم ومحنتهم.

على كل حال، فالسر يُكتم تارة لأمر سلبي وغير جيد لما فيه من نقص، ويُكتم

تارة لأمر إيجابي وجيد لما فيه من منقبة وكرامة وكمال، لا يرغب الإنسان في أن يطلع الآخرون عليها، وقد كان بعض أئمتنا (سلام الله عليهم) يحملون الطعام على ظهورهم في آناء الليل حيث لا تراهم العيون، ويذهبون إلى بيوت الفقراء ويضعون الطعام ويطرقون الباب وينسحبون، بل روي أن بعضهم كان أحد أقاربه من الفقراء وكان يصله في كل ليلة، ثم يأتي إلى الإمام ويعتب عليه ويخبره أن الناس الغرباء يأتون بالطعام إليه ليلًا، وأنا ابن عمك ولا تعطيني شيئًا، وعندما استشهد الإمام انقطع المدد فعرف هذا الشخص أن من كان يأتيه بالطعام وصرر المال ليلًا هو الإمام، فندم على ما كان منه من عتب على الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه أخلاق أئمتنا الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، التي كانت المصداق الأتم لكل منقبة وفضيلة.

الفرق بين غفران الزلة وستر العورة

أما الفرق بين الحق الثاني، وهو غفران الزلة، والحق الثالث وهو ستر العورة، فإنّ غفران الزلة يختص فقط بالمؤمن الذي أخطأ مؤمن آخر في حقه، فيجب عليه أن يصفح عنه، أما ستر العورة فمثاله أن أستر مؤمنا خرج عن طوره، لسبب من الأسباب فغضب، وتحدث بحديث سيئ وأساء لفلان من الناس، وقد سمعت الإساءة ولم أكن طرفًا فيها فسترتها، ولم أذهب وأنقل ما تفوه به للآخر وأكشف عورته، سواء كان هذا الآخر من كانت الإساءة موجهة إليه أو شخصا آخر، وطلب غفران الزلة لا يكون إلا ممن وقع الخطأ في حقه.

عاقبة كشف عيب المسلم

هناك رواية أخرى تتحدث عن طبيعة الآثار والنتائج المترتبة على كشف عورات المؤمنين، فقد روى إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان في قلبه، لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته»[١٢٩].

يخاطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الفقرة الأولى من هذا الحديث الشريف المسلمين، ويميّز بينهم وبين المؤمنين، وقد مر الحديث عن هذا الفرق بين المسلم والمؤمن في حقيقة الإيمان، في الموضوع الأول من تعريف الأخوّة الإيمانية.

---

١٢٩. الكافي ٢: ٣٥٤، ح٢.

ويطلب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في الفقرة الثانية ممن أسلموا بألسنتهم ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، ألاّ يذموا المسلمين، أي جميع المسلمين بمن فيهم المؤمنون، فالمسلم هو كل من نطق الشهادتين سواء آمن بقلبه أو لم يؤمن.

وربما يخطر في بال البعض السؤال التالي: لماذا يخص رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من أسلم بلسانه بهذا الخطاب دون المؤمنين؟ والجواب: أن المؤمن لا يذم؛ لأنّ إيمانه يردعه عن ارتكاب مثل هذا العمل الشنيع.

وتتناول الفقرة الثالثة من هذا الحديث المبارك عقوبة تتبع عيوب المسلمين، وأنّ من تتبع عيوبهم ومثالبهم، تتبع الله عيوبه ومثالبه، ومن بحث عن أخطاء الآخرين، فإنّ الله(سبحانه وتعالى) الذي لا تخفى عليه خافية، يتقصى عيوبه بنفسه ويفضحه على رؤوس الأشهاد ولو كان في عقر داره. ولا يظن من يرتكب الذنب في داره أو في أي مكان آمن من أن يطّلع عليه أحد، أنّه عندما يفضح الآخرين ويفشي أسرارهم، فإنّ أحدًا لا يستطيع أن يفعل به ذلك، لأنّهم لم يطّلعوا على أخطائه، وليعلم أن الله (سبحانه وتعالى) يقيض من يكشف عورته ولو كان في بيته، ولو ارتكبها سرًا، فإنّه مهما كانت الأمور التي يتكتم عليها الإنسان، فلا بد من أن تأتي أوقات خارج اختياره ويتكلم بها بزلة لسان، فلذلك من أراد ألاّ يفتضح ولا يكشف له سر، فعليه ألاّ يفضح الآخرين ولا يكشف عوراتهم.

عاقبة كشف عيب المؤمن

إن كشف عورة المؤمن أبعد من ذلك وأخطر بكثير، ففي رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، أن من يكشف عورات الناس يخرج عن ولاية الله (سبحانه وتعالى). فقد روى المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان»[١٣٠].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في هذه الرواية الشريفة، عقوبة فضح عورة المؤمن وهتك ستره عن عمد وإصرار، لا عن غفلة وسذاجة، ويريد كسره وهدم مروءته أمام الناس ليسقط من أعينهم؛ فمن فعل ذلك أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان أيضًا، ويتبرأ منه ولا يرضى أن يكون وليًا له، لأنّ من كان هذا عمله فلا يحتاج الشيطان إلى أن يتولى أمره، لأنّه قد وصل إلى خط النهاية الذي يسعى الشيطان لإيصال أوليائه إليه.

---

١٣٠. الكافي ٢: ٣٥٨، ح١.

وهناك رواية أخرى فيها إشارة إلى هذا الأمر، وإلى الوزر الكبير على من يفشي عورة أخيه المؤمن، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من اطّلع من مؤمن على ذنب أو سيئة، فأفشى ذلك عليه ولم يكتمها، ولم يستغفر الله له، كان عند الله كعاملها وكان مغفورًا لعاملها»[١٣١].

يبيّن هذا الحديث الشريف عقوبة من يفشي عيب المؤمن، وأنّه يتحمل من الوزر مقدار ما كان يجب أن يتحمله فاعل ذلك الوزر، ولكنه يضيف أمرين جديدين:

الأول: أن على المؤمن عندما يطّلع على معصية ارتكبها أخوه المؤمن، فضلا عن الستر عليه، أن يبادر إلى الاستغفار له من تلك المعصية.

والثاني: أن العقوبة الأخروية تسقط عن المؤمن الذي ارتكبها، ويتحملها من أفشاها للآخرين ولم يتستر عليها ويكتمها، لأنّ المؤمن الذي ارتكب هذه المعصية يكفيه اشتهار أمره في الدنيا، والله عز وجل أعدل من أن يعاقبه مرتين، مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة، ويكتفي بعقابه في الدنيا ولا يعاقبه في الآخرة.

للحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله رب العالمين

١٣١. بحار الأنوار ٧٢: ٢١٦، ح١٦.

المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، ورزقنا وإياكم مغفرة الله (سبحانه وتعالى) ورضوانه في هذا الشهر الفضيل، وعظم الله لكم الأجر بذكرى استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).

ما زلنا في موضوع الأخوّة الإيمانية، وكان الحديث عن حقوق هذه الأخوّة، وذكرنا ثلاثة من هذه الحقوق، وانتهينا إلى قوله (يستر عورته) حيث ذكرنا أن العورة هي كل شيء يسوء الإنسان، إما أن يكون منقصة وعيبا أو خطئا أو ذنبا يصدر من الإنسان، فاطلاع الآخرين على هذا العيب والنقص يكون فيه مذمة للإنسان، فيستاء منه.

وتارة أخرى لا يكون الشيء بنفسه سيئا، ولكن الاطلاع عليه يكون أمرا سيئا، فالناس تتحاشى اطلاع الآخرين عليه وإن لم يكن هو بحد ذاته نقصا، فالعورة أعمّ من أن تكون نقصا أو أن يكون الاطلاع عليها يسيء الإنسان، ولذلك يتجنب الإنسان بيانه.

وذكرنا في ستر عورة المؤمنين أهمية التكتم وعدم بيان هذه العورات إذا ما اطلع عليها الإنسان، وقلنا لا يحق للإنسان أن يطلع على عورات أخيه المؤمن، ولا يحق له أن يبحث عن عوراته وعن نقاط ضعفه وعن أخطائه، فإن اطلع عليها عن طريق المصادفة، فلا يجوز له كشفها.

وقلنا إن بيان وكشف عورة المؤمن للآخرين من أعظم الذنوب والمعاصي، حتى وصل الأمر إلى التعبير بأنها تُخرج الإنسان عن ولاية الله (سبحانه وتعالى) وتدخله في ولاية الشيطان، والشيطان لا يقبل به وليا، كما قلنا في الأمس.

وورد في رواية أخرى في مناهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «ألا ومن سمع فاحشة فأفشاها، فهو كالذي أتاها»[١٣٢].

يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الكريم، بُعدًا آخر من أبعاد التحذير من كشف عورة المسلم والمؤمن، وهو أن من أشاع فاحشة سمعها فإنّه يتحمل من الوزر كوزر من أتى بها، ولو كان ذلك بالواسطة، كأن يكون سمع أن فلانًا أتى الفاحشة الفلانية من شخص سمعها أيضًا من شخص آخر وهكذا، ولا يقتصر تحمل الوزر على من اطّلع على تلك الفاحشة فنقلها، وهكذا ربما تحمل المئات وزر فاحشة أتى بها شخص واحد؛ لأنّهم روّجوا ونقلوا تلك الفاحشة. والفاحشة هي الكلمة النابية التي ينطق إنسان أمام شخص آخر. وإذا كان لنقل الكلمة النابية هذا القدر من العقوبة، فمما لا شك فيه أنّ إفشاء الفعل القبيح عليه من الوزر ما لا يقل عن الكلمة.

وجاء في رواية أخرى: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس في المدينة، فأسكت الله عن عيوبهم الناس، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس. وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله لهم عيوبًا لم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا»[١٣٣].

يذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف صنفين من الناس كانوا يعيشون في المدينة، تفاوت مصيرهما في الدنيا والآخرة، بسبب موقفهما من كشف عيوب الآخرين.

الصنف الأول: وهم ممن سكتوا عن إذاعة عيوب الناس، وكانوا هم أنفسهم من أصحاب العيوب أيضًا، ولكن بسبب موقفهم الصحيح من سكوتهم عن عيوب الآخرين، فقد أسكت الله تبارك وتعالى الناس عن كشف عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، أي أنّهم فارقوا الحياة وكأنّهم لا عيوب لهم. وهذا الاطلاق يستبطن معنى غفران الله تعالى ذنوبهم التي ارتكبوها، بالإضافة إلى سترها عليهم في الدنيا.

١٣٢. بحار الأنوار ٧٢: ٢١٣، ح٣.
١٣٣. بحار الأنوار ٧٢: ٢١٣، ح٤.

الصنف الثاني: وهم ممن أذاعوا عيوب الناس، ولم يكونوا ممن ارتكبوا المعاصي غير هذه المعصية، وهي كشف عورات الآخرين، فأظهر الله عز وجل لهم عيوبًا لم يزالو يعرفون بها إلى أن ماتوا، مع أنّهم لم يرتكبوا تلك الذنوب، فكان هذا جزاءهم في الدنيا، وكان الخزي يلاحقهم طيلة أعمارهم، وكان الناس يعرفونهم بالذنب المنسوب إليهم فيقولون فلان الزاني ـ والعياذ بالله ـ مثلًا، مع أنّه لم يرتكب الزنا، بالإضافة إلى ما سينالهم من العقوبة الأخروية التي تقدمت الإشارة إليها في الروايات السابقة.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[١٣٤].

تتحدث هذه الرواية الشريفة عن موضوع أوسع من موضوع كشف عورة المؤمن، وهو التحذير من إظهار الشماتة بالمؤمن الذي يتعرض لابتلاء ما، والذي يمكن أن يكون كشف عيبه المستور لونًا من ألوان الشماتة، وتتضمن بيان عقوبة الشماتة بالمؤمن، وهي أن ينقلب الموضوع؛ فيدخل الله (سبحانه وتعالى) هذا المؤمن المبتلى في رحمته، وينقل الابتلاء نفسه إلى من شمت به. ولهذا ينبغي توقي الحذر الشديد من إظهار الشماتة بالمؤمن، لأنّ نتيجته هو ارتداد الابتلاء على الشامت، وسيكون محلًا لشماتة أعدائه.

وجوب تصديق المؤمن

وفي رواية أخرى عن أبي الحسن موسى بن جعفر الإمام الكاظم (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قلت له: جعلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه شيء أكرهه له، فاسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال لي: يا محمد، كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولًا غير ما قاله القسامة، فصدّقه وكذّبهم»[١٣٥].

تتناول هذه الرواية الكريمة وجوب تصديق المؤمن في ما يُشاع عنه، وإن أقسم خمسون شخصًا بأنّهم رأوا المؤمن الفلاني يرتكب المعصية الفلانية، كغيبة شخص أو الكلام عنه بكلام قبيح، وأنكر ذلك، فيجب تصديقه وتكذيب الخمسين. وطبعًا هذا الحكم لا علاقة له بثبوت الجرائم التي يرتكبها الإنسان ولو كان مؤمنًا كالقتل، فهي تثبت بطرقها الشرعية المعروفة.

١٣٤. بحار الأنوار ٧٢: ٢١٣، ح٥.
١٣٥. الكافي ٨: ١٤٧، ح١٢٥.

وعلاقة هذه الرواية بموضوع حرمة كشف عورة المؤمن، هي أنّه يجب تصديق المؤمن، حتى لو شهد عدد كبير من الناس وأقسموا على ارتكابه المعصية، وأنكرها هو. وهذه الرواية الشريفة تبيّن كيفية التعامل مع ما يُشاع عن المؤمنين، ومحاولات النيل من سمعتهم وكرامتهم.

ويبيّن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّه لو رأى المؤمن بعينه أخاه المؤمن أو سمعه بأذنه وهو يرتكب المعصية الفلانية، ثم سأله عنها فأنكرها، فيجب تصديقه وتكذيب ما رآه بعينه أو سمعه بأذنه، فمنهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوصي بالحرص الشديد على حفظ سمعة المؤمن وعدم المساس بكرامته، وحرمة إذاعة شيء عنه يوجب التقليل من قيمته وهدم مروءته وإسقاطه من أعين الناس، فيكون من يفعل ذلك من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١٣٦)، فالذي يحب أن يرى عورة لأخيه المؤمن ليتحدث بها ويفضحه أمام الآخرين، له عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

إذن، فالأساس هو حمل الأخ المؤمن على الصحة، وتصديقه في ما يقول في حق نفسه، وإن رأت عينك وسمعت أذنك خلاف ذلك، فيجب القبول منه ما دام ينكر ذلك، فإن كان كاذبًا فرب العالمين هو من يتولى حسابه، والمهم أن يعمل كل بتكليفه لينجو بنفسه.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عيّر مؤمنًا بشيء لم يمت حتى يركبه» (١٣٧).

يتضمن هذا الحديث الشريف فقرتين مهمتين من فقرات العلاقات الإيمانية.

الأولى: في كشف عورة المؤمن، وهي أن أي سيئة تنقلها عن أخيك المؤمن، فكأنك أنت من فعلها. فيجب حفظ سمعة الأخ المؤمن حتى لو كنّا نعرف أنّه ارتكب عملًا قبيحًا، ومن أخبر به كان حاله عند الله في تحمل الوزر كفاعل ذلك القبيح.

والثانية: في تعيير المؤمن، وهي أن من عيّر مؤمنًا بشيء، لم يمت حتى يبتليه الله عز وجل بارتكاب نفس ذلك الفعل، لأنّ الله (سبحانه وتعالى) ستّار يحب الساترين.

---

١٣٦. سورة النور: الاية ١٩.
١٣٧. الكافي ٢: ٣٥٦، ح٢.

فمن عرف عن أخيه شيئًا سيئًا يجب عليه أن يستغفر له ويستره، اللهم إلا إذا كان ذلك الفعل منكرًا، فيجب نصيحته وهدايته سرًا لعله لا يعلم أنّه منكر، فإن نصحه علانية أمام الآخرين فقد عيّره. ولهذا ينبغي استعمال الحكمة في تعليم الناس وإخبارهم بأخطائهم، لئلا تأخذ الإنسان العزة بالإثم فلا يقبل ذلك، وقد روي أن الحسن والحسين (عليهما السلام) عندما كانا صبيين رأيا شيخًا كبيرًا يتوضأ خطأ، فأتياه فقالا: نحن صبيان ونريد أن نتوضأ أمامك لتصحح لنا وضوءنا، فتوضأ الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وأحسن الوضوء، ثم توضأ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأحسن الوضوء، فقال الشيخ: كلاكما يحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن الوضوء[١٣٨]. فالتفت وتنبه إلى أخطائه في الوضوء من غير أن يخدشا كرامته. ولذا من أراد أن ينصح أخاه المؤمن فينبغي أن يستعمل معه أسلوبًا حكيمًا وطريقة غير مباشرة؛ كأن يقول له مثلًا: سمعت من أحد العلماء أن القضية الفلانية حرام فاستغربت، فذهبت وراجعت الكتاب الفلاني فوجدت هذه الرواية في الموضوع، فأحببت أن أشاركك هذه الرواية والاطلاع على هذه المعلومة.

والحمل على الصحة مفردة أساسية في العلاقات الإيمانية، وهي تعني حمل عمل المؤمن على الصحة وإن كان ظاهره خلاف ذلك، وكمثال لتوضيح هذه الفكرة، قال لي أحد الإخوة: كنت مسافرًا إلى إحدى الدول الأجنبية، وعندما أردت ركوب الطائرة متوجهًا نحو العراق، رأيت صديقًا لي في بداية الصف الطويل يريد الركوب في نفس الطائرة أيضًا، ولكنه كان بعيدًا فلم يرني، ولم أره عند جلوسنا في الطائرة، ثم نزلنا «ترانزيت» في أحد المطارات لنركب في الطائرة الثانية بعد ساعتين، وبعد برهة من جلوسي قمت للتجوال في الأسواق الحرة الموجودة في المطار، فوصلت إلى جناح يبيعون فيه كتبًا ومجلات، وفجأة رأيت هذا الصديق في المكتبة نفسها وهو يحمل مجلة إباحية، فصار في نفسي شيء لأنّي أعرف أنّه شخص متدين، فبقيت في حيرة من أمري، ثم رأيته رفع مجلة إباحية ثانية ووضعها، ثم رفع ثالثة ووضعها وهكذا، فتأثرت كثيرًا وغادرت المكان ورجعت وجلست في قاعة الانتظار، وبعد ذلك بفترة جاء فرآني وسلّم عليّ وجلس إلى جانبي وأخذ يحدّثني قائلًا: يا سيدنا أنا ممتعض جدًا، لقد كنت قبل قليل في سوق لبيع الكتب، فرأيت مجلات إباحية عديدة، فرفعت الأولى لأرى تأريخ صدورها، ثم رفعت الثانية والثالثة وهكذا إلى العاشرة، فرأيت أنها جميعها صادرة في شهر واحد، فكم هناك من جهد مبذول لإفساد الناس، والإساءة لأخلاقهم، وفي بلادنا لا توجد عشر مجلات إسلامية تصدر في شهر واحد.

---

١٣٨. بحار الأنوار ٤٣: ٣١٩.

يقول هذا السياسي: فخجلت من نفسي كثيرًا وقلت: الله أكبر، إنّه لم يرفع المجلات لكي ينظرإلى الصور كما توهمت، بل كان محترق القلب على الإسلام وعلى أخلاق الناس، وأراد أن ينظر في الصفحة الأخيرة ليرى تأريخ الإصدار، وهو لم يرني وإنما تكلّم بالموضوع من تلقاء نفسه، ولأن الله تعالى يعلم ما خطر في نفسي تجاهه، جاء به وأجلسه إلى جانبي وحدّثني بما كان، ليرتفع الانطباع السيئ الذي تكوّن في نفسي عنه، بعد أن أعلم أنّه رفع المجلات لا لينظر إليها بل ليرى تأريخ صدورها. فمهما كان العمل في ظاهره يبدو غير مبرر، فإن هناك تبريرا له، فلذلك حينما يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولًا غير ما قاله القسامة فصدّقه وكذّبهم»؛ لأنّ القسامة حتى لو كانوا صادقين، فهم يأخذون اللقطة الخارجية، ولكن الإنسان على نفسه بصيرة، وهو أعرف بنيته، وأعلم بما يريد ولماذا كان ينظر.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا رأيتم العبد متفقدًا لذنوب الناس، ناسيًا لذنوبه، فاعلموا أنّه قد مكر به»[١٣٩].

يتحدّث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة عن نوع من أنواع المكر الإلهي بالإنسان؛ عندما يخرج عن طريق الطاعة ويسلك في طريق المعصية، وهو أن ينسي الإنسان ذنوبه ويفتح عينه على ذنوب الآخرين وأخطائهم، فيتحمل أوزار ذنوبهم بالإضافة إلى أوزار ذنوبه، فيكون يوم القيامة من أخسر الخاسرين. والله تعالى يقول: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١٤٠]، ومكر الله سبحانه بمثل هذا الإنسان أنّه أشغله عن الالتفات إلى نفسه والنظر في أخطائه وذنوبه، بالالتفات إلى أخطاء الناس وذنوبهم وتتبع عثراتهم وإحصاء أفعالهم وأنفاسهم وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا.

وعن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن أسرع الخير ثوابًا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه»[١٤١].

يتناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك، بيان قانونين من السنن الإلهية، الأول: أن أسرع الأعمال ثوابًا هو البر، أي أن جزاء الإحسان إلى الآخرين في الحياة الدنيا سريع جدًا، وما هي إلا لحظات أو سويعات حتى يرى المحسن آثار إحسانه

١٣٩. وسائل الشيعة ١٥: ٢٩٢، ح٩.
١٤٠. سورة آل عمران: الاية ٥٤.
١٤١. مستدرك الوسائل ٩: ١١٢، ح٤.

في نفسه. والثاني: أن أسرع الأعمال عقابًا هي البغي، أي أن جزاء الظلم ونتائجه على الظالم سريعة جدًا، وما هي إلا برهة قليلة حتى ينزل بساحته العقاب الإلهي.

ثم يتناول رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بيان مصداق من مصاديق البغي، وهو تتبع عيوب الآخرين وكشف عوراتهم، ويقول إن من أعظم العيوب التي يُبتلى بها الإنسان، بحيث لا يُطلب عيب بعدها فيه، ثلاثة أمور:

الأول: أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، فأكبر عيب في الإنسان أن يرى عيوب الناس ولا يرى عيبه. وهكذا هو حال الإنسان، فأحيانًا نرى طبيب أسنان قد أفنى عمره يعالج أسنان الناس ولا يعالج أسنانه، أو نرى طبيبًا يلقي محاضرات في التلفاز عن أضرار التدخين ويدخن سيجارة في الفاصل الإعلاني، أو ما تكتبه شركات التدخين التي تربح المليارات على الغلاف: التدخين يضر بصحتك ننصحك بالامتناع عنه، إذن لماذا تبيعونه إذا كان يضر بصحتي، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١٤٢]، وهذه هي مشكلة الإنسان.

والثاني: أن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، أي يلوم الناس على أمور لا يستطيع هو تركها، وكأنّها حلال له وحرام على غيره، وكان الأجدر به أن يبدأ بنفسه فينتهي عنها.

والثالث: أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه، أي عندما يجلس مع شخص فهو يؤذيه ويُسمعه أمورًا لا تخصه، ويفعل البعض ذلك لمرض في نفسه، وإلا لماذا يتدخل الإنسان في قضايا لا تعنيه، ويُشعر الآخرين بالمهانة والمذلة والإيذاء.

من عاب مؤمنًا هتك الله ستره

وفي رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جُنة، فمتى أذنب ذنبًا كبيرًا رفع عنه جُنة، فإذا عاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه انكشفت تلك الجنن ويبقى مهتك الستر، فيفتضح في السماء على ألسنة الملائكة، وفي الأرض على ألسنة الناس، ولا يرتكب ذنبا إلا ذكروه، ويقول الملائكة الموكلون به: يا ربنا قد بقي عبدك مهتك الستر وقد أمرتنا بحفظه؟ فيقول عز وجل: ملائكتي، لو أردت بهذا العبد خيرًا ما فضحته، فارفعوا أجنحتكم عنه، فوعزتي لا يؤول بعدها إلى خير أبدًا»[١٤٣].

---

١٤٢. سورة الصف: الاية ٢-٣.

١٤٣. بحار الأنوار ٧٠: ٣٦١، ح٨٧.

يتناول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة الكشف عن سر من أسرار الغيب التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهو أن الله تبارك وتعالى قد جعل أربعين حجابًا على عبده المؤمن وقاية وحصانة له من الذنوب، يدفع عنه بها البلاء. والجُنة هي الدرع التي يلبسها المقاتل في ساحة الحرب لتقيه من ضرب السلاح. فإذا اقترف المؤمن ذنبًا كبيرًا كالكذب تمزق حجاب من هذه الحجب، ثم إذا اقترف كبيرة أخرى كعقوق الوالدين تمزق الحجاب الثاني، وهكذا كلما ارتكب كبيرة من الكبائر تمزق حجاب إلى الأربعين. ولكن هناك ذنبا من الذنوب إذا اقترفه المؤمن تمزقت جميع الحجب؛ وهو إذا عاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه، أما إذا عابه بشيء لم يعلم صدوره منه، وإنما يظن به ظنًا كما لو أخبره شخص بذلك ولم يرَ بعينه أو يسمع بأذنه، فهذا ذنب أعظم. فإذا انكشفت تلك الجنن بقي الإنسان مكشوفًا بلا حصانة ولا مناعة.

إنّ من أخطر الأمراض على الإنسان هو مرض الإيدز الذي يسلب المناعة منه، وتنعدم مقاومته لكل فايروس يهاجم بدنه، فيأخذ كل مرض ولو كان بسيطًا منه مأخذه، إلى أن ينتهي به إلى الموت. فكذلك هنا إذا عاب المؤمن أخاه المؤمن فقد حصانته ومناعته، فيصير مكشوفًا ومعرضًا لخطر الإصابة بسهام الشيطان اللعين، ويبقى مهتك الستر، أي لا ستر عليه، ويكون مفضوحًا لا يستطيع أن يُخفي شيئًا من أخطائه وذنوبه، وحينها سيفتضح أمره في السماء على ألسنة الملائكة، ويتحدثون بما ارتكبه من الذنوب، وكذا يُفتضح أمره في الأرض على ألسنة الناس، فينتشر خبره في الآفاق، ويُعرف بينهم بذنوبه، فلا يرتكب ذنبًا إلا ذكروه، ولا يستطيع أن يُخفي واحدًا منها مهما حاول ذلك. وحينئذ يقلق عليه الملائكة الموكلون به ويقولون لله تبارك وتعالى: يا ربنا قد بقي عبدك مهتك الستر وقد أمرتنا بحفظه، فماذا نفعل؟ فيجيبهم الله عز وجل: «ملائكتي، لو أردت بهذا العبد خيرًا ما فضحته»، وهنا الطامة الكبرى؛ إذ يفقد هذا الإنسان كل أمل له في الرجوع والإنابة والتوبة.

ثم يأتي الخطاب الإلهي إلى الملائكة الموكلين به: «ارفعوا أجنحتكم عنه، فوعزتي لا يؤول بعدها إلى خير أبدًا». وعندها يغلق ملف هذا الإنسان بعد هذا القسم الإلهي، ويطوى على أسوأ عاقبة إلى أن يلقى الله تعالى في عرصات يوم القيامة فيوفيه حسابه، بسبب ذنب يحسبه هينًا وهو عند الله عظيم.

للحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك لكم في هذه الأيام الشريفة، وعظم الله لكم الأجر بذكرى استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وتحدثنا عن حقوق الأخ تجاه أخيه المؤمن، وقلنا إن هناك ثلاثين حقا للمؤمن على المؤمن، وكان حديثنا في الأيام الماضية عن الحق الثالث من هذه الحقوق، وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (يستر عورته)، (ستر العورة) من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، تحدثنا عن أهمية هذا الموضوع وخطورته، وأيضا عن آثاره، وما يترتب على كشف عورة الأخ المؤمن وبيان سوأته إلى الآخرين، وإذاعة سره، ونشر قضاياه التي تخصه، والتي قد تسيء لسمعة هذا الأخ المؤمن.

السيطرة على كشف العيوب

ثم تتعرض الروايات بشكل واسع ومضطرد إلى كيفية السيطرة على هذا الموضوع، كيف نستر عورة الأخ المؤمن؟ كيف نتخلص من مرض نشر الأخبار وإذاعة الأخبار والحديث عن سوءات ومناقص ومثالب الآخرين، هنا تشير الروايات العديدة في هذا الموضوع إلى أن الطريق الذي يمنع من تتبع عورات المؤمنين وعثراتهم وزلاتهم وأخطائهم إنما هو الانشغال بثغرات الإنسان وعيوبه، الإنسان المؤمن كلما انشغل بعيوبه قلت في نظره عيوب الآخرين و قلّ اهتمامه بهذا الموضوع والحديث عنه.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره»[١٤٤]، أي: هنيئا لمن شغله إصلاح عيوبه عن تتبع عيوب غيره من الناس

وورد في المعنى نفسه عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «مشغول بعيوب نفسه فارغ عن عيوب غيره»[١٤٥]، وهذه هي المعادلة؛ فكلما انشغل الإنسان بعيوبه، تفرغ عن عيوب الآخرين، وكلما ركّز على عيوب الآخرين، انشغل بعيوبهم عن عيوب نفسه وغفل عنها. فالمهم أن يركز الإنسان ويهتم بعيوبه ومثالبه، وهذا من شأنه أن يمنعه من تتبع عثرات الآخرين وعيوبهم.

وجاء عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من أبصر عيب نفسه لم يعب أحدًا»[١٤٦]، فالذي يلتفت إلى عيوبه لا يعيب أحدا، والمشكلة أننا في كثير من الأحيان نغفل كليًا عن عيوبنا، لأنّ العيب أمر سيئ ومنقصة، ولا نريد أن نرى المنقصة في أنفسنا، ونغطي عليها ولا نفكر بها، بل نتضايق ممن يحدثنا عن منقصة في أنفسنا، كأن يقول لنا: إن حديثك لم يكن مناسبًا، أو إن ملبسك لم يكن لائقًا، أو إن سلوكك لم يكن صحيحًا. . وهكذا، وأي شيء فيه منقصة لا يعجبنا أن نسمعه، بل إذا أردنا أن نراجع أنفسنا ونصل إلى منقصة ما، نحاول أن نلتف عليها، حتى ونحن نفكر وحدنا نحاول تبريرها، ونحاول أن نقول إن هذه ليست منقصة؛ لأنّ الإنسان يحب الكمال، ولا كمال مع النقص، وحينما يوجد فيه نقص يحاول أن يبرره ويتجاوزه ويلتف عليه، لكي لا يسجل على نفسه مثلبه تتنافى مع حبه للكمال.

والأمر المهم أن تكون لدينا بصيرة، وليس علما وإدراكا فقط، فالبصيرة حالة أكبر وأكثر وأعمق من صرف الصورة الذهنية ومن التصورات. لماذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو يشير إلى الشمس: «على مثل هذا فاشهد وإلا فدع»[١٤٧]؟. إذا أردت أن تشهد على شيء، فيجب أن يكون لديك وضوح كالشمس التي تراها الآن بعينك، والإبصار هو أعلى مراتب الوضوح واليقين، فمعنى «من أبصر عيب نفسه»: أي عندما يكون على بصيرة بعيوبه فلن يعيب أحدًا، ولا يركز بعدها على عيوب الآخرين.

وورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «لا تتبعن عيوب الناس، فإنّ لك من عيوبك

١٤٤. بحار الأنوار ١: ٢٠٥ ح٣١
١٤٥. مستدرك الوسائل ١١: ١٧٥، ح١١.
١٤٦. مستدرك الوسائل ١١: ٣١٦، ح٩.
١٤٧. وسائل الشيعة ٢٧: ٣٤٢، ح٣.

إن عقلت ما يشغلك أن تعيب أحدا»[١٤٨]، أي لا تبقَ عينك وأذنك تتابعان عيوب الناس، ولو كنت تعرف عيوبك لشغلتك عن عيوب الآخرين، ولكن مشكلتنا أننا لا نعقل ولا نبصر عيوبنا بشكل صحيح.

في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من علم ما فيه ستر على أخيه»[١٤٩]، أي من عرف عيوبه ستر على عيوب أخيه عندما يطّلع عليها، لأنّ أخطاء الآخرين تتصاغر في عينه، فالإنسان عندما يدرك حجم أخطائه وعمقها، سوف يستر على أخيه عورته حتى لا تنكشف أمام الآخرين.

وفي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مر بنا ذات يوم ونحن في نادينا وهو على ناقته، وذلك حين رجع من حجة الوداع، فوقف علينا، فسلّم فرددنا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قال: ما لي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس، حتى كأنّ الموت في هذه الدنيا على غيرهم كُتب، وكأنّ الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب، وحتى كأن لم يسمعوا ويروا من خبر الأموات قبلهم، سبيلهم سبيل قوم سفرعما قليل إليهم راجعون، بيوتهم أجداثهم، ويأكلون تراثهم، فيظنون أنّهم مخلدون بعدهم، هيهات هيهات أما يتعظ آخرهم بأولهم؟، لقد جهلوا ونسوا كل واعظ في كتاب الله، وأمنوا شر كل عاقبة سوء، ولم يخافوا نزول فادحة، وبوائق حادثة، طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس، طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه، طوبى لمن تواضع لله عز ذكره وزهد في ما أحلّ الله له من غير رغبة عن سيرتي، ورفض زهرة الدنيا من غير تحول عن سنتي، واتّبع الأخيار من عترتي من بعدي، وجانب أهل الخيلاء والتفاخر والرغبة في الدنيا، المبتدعين خلاف سنتي، العاملين بغير سيرتي. طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالًا من غير معصية، فأنفقه في غير معصية، وعاد به على أهل المسكنة، طوبى لمن حسن مع الناس خلقه، وبذل لهم معونته، وعدل عنهم شره، طوبى لمن أنفق القصد، وبذل الفضل، وأمسك قوله عن الفضول وقبيح الفعل»[١٥٠].

يتناول هذا الحديث الذي يرويه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ الموعظة البليغة التي وعظ بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثلة من أصحابه، عندما رآهم جالسين في نادٍ لهم، وهو

١٤٨. مستدرك الوسائل ١١: ٣١٦.
١٤٩. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٣.
١٥٠. الكافي ٨: ١٦٨، ح١٩٠.

المكان الذي يرتاده جماعة من الناس يجلسون فيه ويتبادلون أطراف الحديث. وفي هذا الحديث المبارك محطات للتأمل.

الأولى: أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ رأى جماعة من أصحابه جالسين يتحدثون عند رجوعه من حجة الوداع فوقف وسلّم عليهم، وكان المفروض والمتوقع أن يبادر هؤلاء الأصحاب باستقبال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، لأنّه راجع من سفر الحج الذي يستغرق آنذاك شهرًا في الأقل، وحتى لو فرضنا أن هؤلاء الأصحاب كانوا معه في حجة الوداع وقد وصلوا قبله بأيام، فكان ينبغي عليهم أن ينهضوا لاستقباله وإلقاء التحية عليه وتهنئته بالعودة سالمًا، كما يُفعل عادة مع المسافرين عند رجوعهم من السفر العادي، فكيف والسفر كان سفر الحج؟ حيث يتضاعف فيه الاهتمام بالقادم منه.

ومن الطبيعي تصور أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لم يكن وحده، بل كان معه جماعة من المهاجرين أو في الأقل عدد من بني هاشم، مما يستلزم اهتماما أكبر باعتبارهم غرباء عن هذا المكان ولا عشيرة لهم تستقبلهم، وهذا البرود يعكس حالة خطيرة عاشها أهل المدينة بعد فتح مكة، ويحمل في طياته تصورات خاطئة عن استبدال المدينة بمكة باعتبارها منطلق حركة النبوة، والتعامل مع أهلها على أساس الرحمة والرأفة والتسامح، بعد تلك السنوات العجاف من الحرب الضروس بين الطرفين.

الثانية: أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ رغم التعب من هذا السفر الطويل، وهو في هذه السن المتقدمة لم يضيّع مثل هذه الفرصة لموعظتهم وليس لتقريعهم، وكان بإمكانه أن ينتظر حتى حلول وقت الفريضة، حيث يجتمع عدد أكبر ثم يعظهم بهذه الموعظة المؤثرة. ولكن هذه الحالة لها ملابساتها الخاصة التي ينبغي استثمارها في البناء. كما أن هذا لا يمنع من أن يخطب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في المسلمين حين اجتماعهم للصلاة بعد أداء الفريضة، وهو يستدعي كلامًا آخر غير هذه الموعظة.

الثالثة: مما لا ريب فيه أن هذه الندوات التي يجلس فيها الناس للسمر تعكس الاهتمام بأمر الدنيا والانشغال بها عن أمر الآخرة، ولو كان الذي يدور فيها غير ذلك، فليس من الحكمة أن يتفوه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بمثل هذه الكلمات، كيف وهو سيد الحكماء. ولهذا تقتضي الحكمة أن يتكلم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بمثل هذه الموعظة في مثل هذا المكان.

الرابعة: أن من الأمور المهمة التي كشفت عنها هذه الموعظة، هي غلبة حب الدنيا على أكثر المسلمين، وهو يستلزم أن تتبدل مواقفهم لصالح من يظنون أن دنياهم ستكون

عنده، أو أن يميلوا مع أهل الدنيا، وأنّه لم يعد للآخرة في حساباتهم أمر يُذكر، وهو ظاهر من قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما لي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس»، ومن هذا التعبير نستشف مدى الأدب الرفيع الذي يتمتع به، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[١٥١]، وشهد به الله تبارك وتعالى في محكم كتابه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٥٢]، فهو لم يقل لهم: ما لي أرى حب الدنيا قد غلب عليكم، بل قال غلب على كثير من الناس، وكأنّهم غير معنيين بالكلام وأنّه موجّه إلى غيرهم.

الخامسة: أن هذا التحذير الشديد من حب الدنيا والركون إليها، بعد مرورعقد كامل من التربية والتزكية المستمرة التي كان يتولاها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بنفسه، يبيّن وعورة طريق صلاح النفس الإنسانية، وأنّ تأثير الموعظة التي هي السلاح الأقوى في التربية، يبقى ضعيفا ما لم تكن هناك نفوس مستعدة للتزكية وترغب فيها وتبحث عنها، فالموعظة كالمطر والنفوس كالتربة؛ بعضها خصب فينبت، وبعضها لا ينفع فيه المطر شيئًا.

السادسة: أن ذكر الموت هو العلاج الأنجح لحب الدنيا، وهو بحاجة إلى التذكير المستمر به؛ باعتباره النقطة الحتمية التي ستنتهي فيها مسيرة الإنسان في الدنيا، بينما هو غافل عنها غفلة شديدة، والإنسان الذاكر لهذا المصير المحتوم الذي ينتظره بلا أدنى شك، سيتغير تعامله مع كثير من الأحداث والأشخاص. وانّ حب الدنيا يؤدي بالمسلم إلى نسيان كل موعظة في كتاب الله عز وجل، والأمن من شر كل عاقبة سوء تنتظرهم في عرصات يوم القيامة. أما في الدنيا فلا يخافون نزول البلاء بهم وما يحصل لهم من مكروه، ودائمًا ما تراهم يتفاجؤون بما يحل بساحتهم، مع أنّه النتيجة الطبيعية لأعمالهم الناجمة عن الإفراط في حب الدنيا والركون إليها.

السابعة: بيان الطريقة الصحيحة في كيفية التعامل مع الدنيا، وهو اتباع سنّة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك، فقد زهد في الدنيا من غير أن يتركها، لأنّ معنى الزهد هو الانتفاع باللذائذ المحللة منها، من غير أن تكون شغله الشاغل وهمّه الدائم.

الثامنة: ذكر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عشر وصايا لا بد لمن أراد النجاة من التمسك بها جميعًا، وهي الفقرات التي بدأت بكلمة طوبى، وهي كالتالي:

---

١٥١. بحار الأنوار ١٦: ٢١٠.

١٥٢. سورة القلم: الاية ٤.

طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس.

طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه، وهي موضع الشاهد.

طوبى لمن تواضع لله عز ذكره.

طوبى لمن زهد في ما أحلّ الله له، من غير رغبة عن سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ورفض زهرة الدنيا من غير تحول عن سنّته.

طوبى لمن اتّبع الأخيار من عترة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من بعده.

طوبى لمن جانب أهل الخيلاء والتفاخر والرغبة في الدنيا، المبتدعين خلاف سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والعاملين بغير سيرته.

طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالًا من غير معصية، فأنفقه في غير معصية، وعاد به على أهل المسكنة.

طوبى لمن حسّن مع الناس خلقه، وبذل لهم معونته، وعدل عنهم شره.

طوبى لمن أنفق القصد، وبذل الفضل.

طوبى لمن أمسك قوله عن الفضول وقبيح الفعل.

الحق الرابع / إقالة عثرة المؤمن

الحق الرابع من حقوق المؤمن على المؤمن في الرواية التي يرويها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هي قوله: «يقيل عثرته»، أي الصفح والتجاوز عن عثرات المؤمنين، وقد كان الكلام في الحق الثالث عن غفران زلة المؤمن، والفرق بينهما أن الزلة هي الخطأ الصغير غير المقصود، كما لو خرجت منه كلمة نابية في حالة غضب، أو صدر منه موقف غير موفق في حالة حرجة.

أما العثرة فهي الخطأ الكبير المخطط له مع سبق الإصرار والترصد، كمن يريد التنكيل بأخيه المؤمن بعد حدوث مشكلة معه، فيستدرجه ويفتح معه حديثًا في قضايا أخرى إلى أن يأخذ راحته، فيورطه بكلمة أو بقضية أو باعتراف خطير أمام إخوانه المؤمنين. فالعثرة خطأ كبير مقصود لا يُغتفر، ولكن مع ذلك، فإنّ حق المؤمن على المؤمن أن يقيل عثرته ويصفح عنه. أما إذا لم يكن مؤمنًا فلا مبرر ولا سند لغفران عثرته، لأنّ هذا حق خاص للمؤمن، لا يشاركه فيه غيره ولو كان مسلمًا، فإنّ الحقوق التي نتحدث عنها بعضها خاص بالمؤمن على المؤمن، وبعضها خاص بالمسلم على المسلم فيشاركه فيه

المؤمن، وبعضها حق للإنسان على الإنسان فتكون حقًا للمؤمن بالأولوية؛ لأنّه إذا كان يجب التعامل مع المسلم أو الإنسان بهذا النحو، فكيف إذا كان مؤمنًا؟ فمن الطبيعي أن يكون كل ما هو حق للمسلم وحق للإنسان، حقًا للمؤمن أيضًا، ولكن ليس كل ما هو حق للمؤمن يكون حقًا لغيره.

إذا مكر غير المؤمن بمؤمن أو أوقع به أو أساء إليه متعمدًا أو تكبّر عليه، فالتعامل معه يكون بالمثل؛ كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[١٥٣]، فالموقف الصحيح هو الوقوف بوجه هؤلاء لئلا يظنوا أن المؤمن ضعيف وغير قادر على الرد، فيتمادوا أكثر وأكثر في الإيذاء، ولا توجد لدينا ثقافة من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.

وقد روى الشيخ الكليني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه، لا تتبعوا عثرات المسلمين، فإنّه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثرته، ومن تتبع الله عثرته يفضحه»[١٥٤].

أي أيها المسلمون شكليًا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، لا تفتشوا عن عورات المسلمين، فإنكم إن فعلتم ذلك تولى الله سبحانه بنفسه تتبع عثراتكم. وقد مر بيان الفرق بين الإسلام والإيمان، وقلنا إن الإسلام الحقيقي هو الإيمان، والإسلام الظاهري هو النطق بالشهادتين الذي تترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات، ومنها حرمة تتبع عثرات المسلمين، أما المسلم الواقعي فهو لا يقدم على هذا الفعل أصلًا، فإن فعل ذلك وتتبع عثراتهم ترتبت على فعله هذا نتائج وخيمة، وهي أن الله تبارك وتعالى لا يسلط عليه أحدًا لفضحه، بل يباشر بنفسه تتبع عثراته، وحينئذ يفضحه فضيحة لا ستر لها، ولا يستطيع إخفاء شيء منها.

وترون أحيانًا في التحقيقات الجنائية، إغلاق ملفات بعض المشتبه بارتكابهم جريمة قتل لعدم كفاية الأدلة، أو لعدم وجود أي دليل، فلا يصلون إلى نتيجة، ويُترك الملف في الإرشيف وتنتهي القصة ويُطلق سراح الجاني، ثم بعد عشرين سنة مثلًا، وبعد أن نسي الناس القضية حتى أولياء الدم أنفسهم، ولكن فجأة تظهر الأدلة على القاتل ويُحكم عليه بالاعدام. وليس صعبًا على الله سبحانه أن يفضح الجاني ويكشف المستور، إذا ما تعلقت الإرادة الالهية بذلك.

---

١٥٣. سورة البقرة: الاية ١٩٤.

١٥٤. الكافي ٢: ٣٥٥، ح٤.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين، فإنّ من تتبع عثرات أخيه تتبع الله عثراته، ومن تتبع الله عثراته يفضحه ولو في جوف بيته»[١٥٥]، وتشتمل هذه الرواية على إضافة على ما سبقها، هي أن الله سبحانه يفضحه ولو كان في عقر داره وبعيدًا عن الأنظار

. وعلى كل حال، فهذا الحديث عن الفضيحة في الدنيا قبل الفضيحة في الآخرة، فتتبع عثرات المؤمنين وكشفها يؤديان إلى مثل هذه الآثار السيئة.

وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

١٥٥. الكافي ٢: ٣٥٥، ح٥.

المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٧/٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا في هذه الليلة، وهي ليلة القدر الكبرى، وأن نكون ممن يفي بحق هذه الليلة، و يستثمر اللطف الإلهي والعطاء الإلهي والرحمة الواسعة، لنكون مشمولين بها بإذن الله تعالى.

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، انتهينا بالحديث في حقوق هذه الأخوّة، وما هو حق للأخ المؤمن على أخيه المؤمن، وكان الحديث في الحق الرابع من حقوق الأخوّة الإيمانية، وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (يقيل عثرته)، وقلنا العثرة هو الخطأ الجسيم، الذنب الكبير، المقصود، المخطط له، بخلاف الزلة، التي مرت بنا في الحق الأول في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (يغفر زلته)، والتي تعني الخطأ البسيط الذي يصدر من دون سابق تخطيط.

وقرأنا عددًا من الروايات في هذا المجال، وقلنا من يتتبع عثرات المؤمنين يتتبع الله (سبحانه وتعالى) عثرته، ومن يتتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته، كما ورد في عدد من الروايات.

لاحظوا في هذه الرواية التي يرويها الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه في كتاب الاستبصار ـ وهو من الكتب الأربعة المعتبرة عند الإمامية الاثني عشرية ـ عن ابن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: بم تُعرف عدالة الرجل بين المسلمين؟ قال: فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أن تعرفوه بالستر والعفاف، والكف عن البطن والفرج واليد واللسان، ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النار، من شرب الخمر والزنا والربا وعقوق

الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك، والدال على ذلك كله والساتر لجميع عيوبه حتى يحرم على المسلمين تفتيش ما وراء ذلك من عثراته وغيبته، ويجب عليهم توليه، وإظهار عدالته في الناس، المتعاهد للصلوات الخمس، وحافظ مواقيتهن بإحضار جماعة المسلمين، وأن لا يتخلف عن جماعتهم ومصلاهم إلا من علّة، وذلك أن الصلاة ستر وكفارة للذنوب، ولولا ذلك لم يكن لأحد أن يشهد على أحد بالصلاح؛ لأنّ من لم يصلِّ فلا صلاح له بين المسلمين؛ لأنّ الحكم جرى فيه من الله ومن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالحرق في جوف بيته، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لا صلاة لمن لم يصلِّ في المسجد مع المسلمين إلا من علة، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لا غيبة إلا لمن صلى في جوف بيته ورغب عن جماعتنا، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجبت غيبته وسقطت بينهم عدالته ووجب هجرانه. وإذا رفع إلى إمام المسلمين أنذره وحذّره، فإن حضر جماعة المسلمين وإلا أُحرق عليه بيته. ومن لزم جماعتهم حُرمت عليهم غيبته وثبتت عدالته بينهم»[١٥٦].

يتناول هذا الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ شروط العدالة والصفات التي يجب أن تتوافر في الإنسان حتى يكون عادلًا وتقبل شهادته للمسلمين وعليهم، فيشهد أن الشخص الفلاني لم يسرق فيُبرّأ من تهمة السرقة، أو يشهد بأنّه رأى الشخص الفلاني يسرق فتثبت التهمة ويُقام عليه الحد. ولكي تقبل الشهادة من قبل الحاكم لشخص أو عليه يجب أن يكون الشاهد عادلًا.

وهذه الشروط والصفات التي يجب وجودها في الشاهد هي كالتالي:

أن يُعرف بالستر والعفاف، أي غير مفضوح بين الناس بارتكاب معصية.

أن يُعرف بالكف عن البطن والفرج واليد واللسان، ومعنى عفة البطن هي أن صاحبها يشتري ما يأكله بالمال الحلال، ولا يأكل المال الحرام. ومعنى عفة الفرج ألاّ يقيم علاقات جنسية غير مشروعة. ومعنى عفة اللسان ألاّ ينطق بما حرم الله، كالكذب والغيبة والنميمة والبهتان. ومعنى عفة اليد ألاّ يمد يده إلى إيذاء أحد من غير وجه حق، كالدفاع عن النفس والمال والعرض.

أن يُعرف باجتناب الكبائر، أي يبتعد عن الذنوب الكبيرة التي أوعد الله عليها النار، كشرب الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف وغير ذلك. فإن

١٥٦. الاستبصار ٣: ١٢، ح١.

وجدت في الشاهد جميع هذه الشروط مجتمعة فهو العادل الذي تُقبل شهادته. ويحرم على المسلمين تفتيش ما وراء ذلك عن الشاهد وتتبع عثراته، ويكتفى منه بصلاح الظاهر.

أن يُعرف بتعاهده للصلوات الخمس، أي يواظب على أداء الصلوات الخمس، وهي صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، والمطلوب هو أداء الفرائض فقط دون النوافل، فالعدالة لا علاقة لها بالالتزام بأداء النوافل والصلوات المستحبة.

أن يُعرف بالمحافظة على مواقيت الصلوات، أي الحفاظ على أداء الفرائض في أول وقتها، فلا يكفي أداء الصلوات الخمس ولو قضاء، وهو إشارة إلى الاهتمام بالصلاة والحرص على أدائها في أفضل أوقاتها، بحيث يكون الطابع العام هو ذلك، وإن أدى بعض هذه الصلوات في آخر وقتها أحيانًا لظرف طارئ.

أن يُعرف بحضور صلاة الجماعة في المساجد، وألاّ يتخلف عن جماعتهم ومصلاهم إلا من علة، ولا يكفي أن يؤدي الصلاة في أوقاتها، بل لا بد من المواظبة على أدائها مع جماعة المسلمين، أما لو انقطع عن صلاة الجماعة من غير سبب مشروع، فهو أمر يقدح بعدالة المسلم.

فالأساس هو الالتزام بالصلاة، والصلاة جماعة في مصلّى المؤمنين ومساجدهم وألاّ يتخلف إلا عن علة؛ لأنّ الصلاة ستر أولًا، أي أنّها توفر الستر للملتزم بها؛ لأنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وثانيًا هي كفارة للذنوب، أي أن الصلاة تمحو آثار الذنوب، ويمثلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالنهر الذي يغتسل منه الإنسان خمس مرات في اليوم، فهي استحمام يخرج بعده المصلّي نظيفًا زكي الرائحة، فأداء الصلوات الخمس كمن يستحم خمس مرات في اليوم، وكما ينظف هذا الحمام الإنسان، فكذلك الصلاة تنظف روح الإنسان من الذنوب والمعاصي، وهي كفارة للذنوب.

فإذا عرف المسلمون منه الصفات المذكورة أعلاه، وجبت على المسلمين أمور هي:

وجوب توليه، أي الأخذ بظاهر الصلاح وظاهر الالتزام وظاهر العفة وظاهر اجتناب الكبائر. ومعنى توليه أي محبته ووضع أيديهم بيده والاعتماد على هذا الظاهر.

إظهار عدالته في الناس، أي يجب إعلان عدالته للناس لأنّ ظاهره الصلاح، من غير حاجة إلى التجسس عليه وتتبع عثراته ومعرفة أسرار حياته الشخصية.

ولولا تحديد الشريعة الإسلامية العدالة بالشروط السابقة، لم يكن لأحد أن يشهد على أحد بالصلاح، لأنّ عدم الأخذ بظاهر الصلاح يعني وجوب معرفة كل شيء عن الشاهد حتى يحكم بعدالته وقبول شهادته، وهذا يستلزم التفتيش عن تفاصيل حياته الشخصية والاطلاع على دقائق أسراره الخفية، وهو متعسر إن لم يكن متعذرًا لعموم الناس. وحتى لو استطعنا أن نطلع على ذلك، فلن نجد شخصًا عادلًا تُقبل شهادته، لأنّنا بشر خطاؤون يصدر منا بين الحين والآخر ما يخدش العدالة ما لم نلحقه بالاستغفار والتوبة. ولكن إذا ظهر من أحد الأشخاص ما هو خلاف العدالة، من باب الاتفاق والمصادفة، بعد توفر الشروط المذكورة سابقًا، فهذا بحث آخر.

ثم يعود الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لإتمام حديثه عن الصلاة، فيبيّن أن من لم يصلّ فلا صلاح له بين المسلمين؛ لأنّ الحكم جرى فيه من الله تعالى ومن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالحرق في جوف بيته. وليس المقصود من قوله: «لم يصلّ» عدم أداء الصلاة، بل المقصود هو عدم حضور صلاة الجماعة في مساجد المسلمين. وفهم الفقهاء ذلك على أنّه تهديد محض لمن ترك حضور المساجد لأداء الصلاة جماعة، فلم ينقل التأريخ أو السيرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّهما أحرقا من ترك عمدًا حضور الصلاة جماعة من غير علّة، لأنّه يكتفى من المسلم أن يبيّن علة ولو ظاهرية، لترك حضوره في المسجد لأداء صلاة الجماعة لو سُئل عن ذلك، ولعدم وجوب التفتيش على الحاكم الشرعي عمن يحضر ومن لا يحضر، وكذلك فانّ سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعض أصحابه عن عدم حضوره المسجد، كما تنقل الأحاديث، هو لتفقد أحواله بسبب انقطاعه عن حضور الصلاة في المسجد. ولا يُعقل أن يكون الحكم في من يؤدي الصلاة في بيته ويترك الصلاة في المسجد، أشد من حكم تارك الصلاة عمدًا، الذي ورد الحكم فيه بالضرب على أدائها.

وبعد ذلك، يروي الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حديثًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «لا صلاة لمن لم يصلّ في المسجد مع المسلمين إلا من علة»، أي لا صلاة كاملة يمكن أن يحصل المسلم بأدائها على الثواب المرجو، وإلا فإنّ الفقهاء قد حكموا على مثل هذه الصلاة بالإجزاء وسقوط التكليف. ولعل هذا الحكم والحكم السابق بالإحراق وغيرها من الأحاديث المشابهة مختصة بوجوب حضور الصلاة جماعة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقط، أو مع المعصوم مع بسط يده وتوليه لشؤون الحكم، باعتباره إمامًا معصومًا مفترض الطاعة.

ثم نقل عَلَيْهِ السَّلَامُ حديثًا آخر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «لا غيبة لمن

صلى في جوف بيته، ورغب عن جماعتنا». والتعبير بلفظ «جماعتنا» يؤيد ما ذكرناه آنفًا من تفسير الحديث السابق، كما أن حكم تارك الجماعة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عمدًا رغبة عنها، يدل على أن مثل هذا الشخص منافق تجوز غيبته، ولو كان مؤمنًا لحرمت غيبته.

ثم يشدد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ الحكم على مثل هذا الشخص، بأنّ غيبته ليست جائزة فقط، بل تجب غيبته، وتسقط عدالته، ويجب هجرانه. وهذه الأساليب الثلاثة ستشكل ضغطًا هائلًا على هذه الفئة من المنافقين، لإجبارهم على حضور الصلاة جماعة مع الحاكم الشرعي وإمام المسلمين الذي يمثله المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وإذا لم ينفع ذلك كله معهم، فحينئذ يرفع أمرهم إلى إمام المسلمين، فيقوم بتحذيرهم وإنذارهم وإلزامهم بحضور الجماعة، وإلا أحرق عليهم دورهم، ومن الطبيعي أنّه عندما يصل التهديد إلى هذه الدرجة، فإنّ هؤلاء سيتركون المدينة إلى مكان آخر، أو يحضرون الصلاة لدرء الحكم عنهم، وهذا يعزز ما قلناه من أن حكم الإحراق هو مجرد تهديد لا أكثر، للقضاء على حالة التحدي للحق التي يرغب المنافقون بإشاعتها ضد حكم المعصوم.

وفي الحقيقة فإن مثل هذا الكلام يعكس الدور الخطير الذي ينبغي أن تحتله الصلاة جماعة في زمن حكومة المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (١٥٧).

وعلى كل حال، فإنّ عددًا كبيرًا من الناس الذين لا يحضرون صلاة الجماعة لا يعلمون مقدار ثوابها، ولا يعرفون حلاوتها، فالإنسان عندما يصلي الفرائض وحده، ربما يكون متعبًا أحيانًا أو يحصل عنده شرود ذهني في أحيان أخرى، أو يؤخرها عن وقتها فيثقل عليه حينئذ أداؤها فيصليها كيفما اتفق إسقاطًا للواجب لا أكثر، أو تتعدد مشاغله وتكثر فلا يلتزم بأدائها في وقت محدد، مما يؤدي إلى نسيانها أو تركها بشكل تدريجي، ويفقد الإحساس بأهميتها.

إن لحضور صلاة الجماعة فوائد جمة؛ منها أنّها صلاة مقبولة، فمن خصائصها أنه إذا قُبلت صلاة واحد من أفراد الجماعة، قُبلت صلاة جميع الأفراد، فكيف إذا كانت بإمامة المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومنها أنّها من مواطن استنزال الرحمة الإلهية، فإذا نزلت على واحد من أفراد الجماعة عمّت الجميع. ومنها أن الجماعة كلما كان عدد الحضور

١٥٧. سورة الحج: الاية ٤١.

فيها أكبر، كان الثواب أعظم. ومنها منافع اجتماعية كالتعارف وقضاء الحوائج وحل المشاكل. ومنها الاستفادة العلمية، سواء بتعلم بعض الأحكام الشرعية أو تلاوة القرآن أو سماع آية أو رواية أو حكمة أو موعظة.

فصلاة الجماعة من الأعمال البالغة الأهمية، ولكن التزامنا بها ـ مع الأسف ـ ليس كما ينبغي، ونحتاج إلى جهود مكثفة وبرامج توجيهية وتوعية مستمرة لإعادة منزلة صلاة الجماعة إلى محلها اللائق بها في المجتمع.

ثم ينتقل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لبيان أحكام متعلقة بمن التزم بصلاة الجماعة، وهي حرمة غيبتهم على المسلمين، وثبوت عدالتهم بينهم.

وموضع الشاهد في هذه الرواية المباركة، هو أنّه إذا كان لا يجوز تتبع عثرات المسلمين والبحث عنها، حتى لإحراز العدالة، فكيف إذا لم يتوقف عليها أي أثر شرعي آخر؟.

المؤمن مبتلى

وفي الوقت نفسه الذي تم فيه النهي عن تتبع عثرات المؤمنين، جاءت الروايات لتؤكد أن الله (سبحانه وتعالى) يبتلي من يتتبع عثرات عباده المؤمنين. إن المؤمن مبتلى وتحت المجهر، ويبحثون عن أي شيء يمثل ثغرة في سلوكه، لعله تكلم بكلمة أو ارتكب قضية، وعلى كل حال، يجب أن يستعد الإنسان لذلك.

جاء في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما من مؤمن إلا وقد وكّل الله به أربعة: شيطانًا يغويه يريد أن يضله، وكافرا يقاتله، ومؤمنًا يحسده، وهو أشدهم عليه، ومنافقًا يتتبع عثراته»[١٥٨].

يتحدث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مقدار البلاء الذي يتعرض له المؤمن، وأنّ كل مؤمن مبتلى بأربعة، وهم الشيطان وثلاثة من الإنس: كافر ومنافق ومؤمن. ولا يخلو مؤمن من هذا البلاء في كل الأحوال إلى أن يتوفاه الله تعالى؛ لأنّ الدنيا دار الابتلاء. ولكل واحد من هؤلاء الأربعة دور يختلف عن دور الآخر.

الأول: «شيطانًا يغويه يريد أن يضله»: فالشيطان يتربص بالمؤمن ليل نهار، ويغويه بكل ما يستطيع من أجل إضلاله، فيأتيه من سبيل المال والجاه والنساء والمنصب وغير

١٥٨. الكافي ٢: ٢٥١، ح٩.

ذلك من الوسائل والأساليب، ويركز بشكل خاص على نقاط ضعفه، وفي المقاومة المستمرة للإنسان المؤمن ضد محاولات الشيطان يقوى إيمانه، ويحصل على مزيد من الأجر والثواب، وليعلم المؤمن أن الشيطان لا يتركه ما دام مؤمنًا، وليس في قاموسه هدنة أو صلح أو وقف إطلاق نار، فهو يطلق عليك النار ليل نهار، وإن توقفت أنت عن المقاومة، فهو لا يوقف عدوانه، بل يزداد طمعه ويكثف جهوده وينوّع أساليبه، والخصم الذي لا يترك عداوته من الأفضل الاستمرار في معاداته، كما بيّن الله تبارك وتعالى في كتابه الشريف فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[١٥٩]، فمن غير المعقول أن تتخذ من يعتبرك عدوا دائما له صديقًا لك.

الثاني: «وكافرا يقاتله»: فالكافر يسعى لقتل المؤمن ومحو أثره من الوجود، وهو لا يهدأ له بال حتى يحقق هدفه، ويسعى بكل ما أوتي من قوة في سبيل ذلك، فإن لم يستطع سعى لقتل شخصيته المعنوية وهدم سمعته، فيقوم بتلفيق التهم والأكاذيب وخلط الأوراق والتشويش على أفكاره، بايجاد بدائل زائفة وجماعات مشبوهة على أساس أنها هي التي تمثل هؤلاء المؤمنين المسالمين، ويمنعه من التألق والتصدي لمنع ظهور صورته الحقيقية أمام الأمم والشعوب المختلفة.

الثالث: «ومؤمنًا يحسده وهو أشدهم عليه»: داء المؤمن الحسد، حين يتمنى أن تزول كل نعمة ينعم الله تعالى بها على أخيه المؤمن، سواء كانت نعمة مادية أو معنوية، وربما كان الحسد أشد على المؤمن من إغراءات الشيطان وبأس الكافر. ولهذا شدّد الإسلام كثيرًا في النهي عن هذه الصفة والاستعاذة بالله تبارك وتعالى من شرورها، ودعا الإنسان إلى التخلص منها.

الرابع: «ومنافقًا يتتبع عثراته»: دأب المنافق هو تتبع عثرات المؤمنين، وهو على استعداد مستمر للتحالف مع كل أحد لإسقاط سمعة المؤمنين وتشويه صورتهم والحط من منزلتهم. والمنافق الذي يتظاهر بالإيمان يحاول التغلغل في صف المؤمنين والتفتيش على عثراتهم وزلاتهم، ليشهرهم بها وينال من سمعتهم.

وللحدث تتمة تأتي لاحقا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

١٥٩. سورة فاطر: الاية ٦.

المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٨/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل ليلة قدرنا الفائتة ليلة رحمة ومغفرة ورضوان منه (سبحانه وتعالى)

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وكنا نتحدث عن حقوق الإخوان، وذكرنا أن هناك ثلاثين حقا للأخ المؤمن على أخيه المؤمن، وكنا قد انتهينا إلى الحق الرابع من هذه الحقوق، قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (يقيل عثرته)، أي أنّ المؤمن يتجاوز ويصفح عن عثرات أخيه المؤمن، وذكرنا في هذا السياق أن تتبع عثرات المؤمن والبحث عن زلاته، هذا بحد ذاته يعتبر سيئة وخطيئة كبيرة، ومن يتتبع عثرات المؤمنين يتتبع الله عثرته، ومن يتتبع الله عثرته يفضحه ولو في جوف بيته، كما ورد في روايات مضت.

وقلنا إنّ الانسان الذي يتبع العثرات يقيض الله (سبحانه وتعالى) له شيطانا يتتبع عثرته، ومنافقا يبحث عن هذه العثرات حتى يكون في مورد الابتلاء دائما، وحتى يراقب نفسه.

ونجد في الروايات عنوانا آخر، وهو عنوان (أهل المعروف)، فمن يقوم بفعل حسن، ومن يقوم بالمعروف، يجب أن نصفح عنه عثرته أيضا، يجب أن لا نتتبع عثرته أولا، وإذا ما ثبتت أن هناك عثرة فيجب أن نتجاوز عنها.

إقالة عثرة أهل المعروف

نجد في الروايات أن من يجب إقالة عثرته أيضًا، بالإضافة إلى المؤمن، هم أهل المعروف وإن لم يكونوا مؤمنين. وهم من يقومون بأعمال حسنة وخيرية لمنفعة الناس، سواء كانت تلك الأعمال ذات نفع محدود لفرد واحد، أو للنفع العام، فهؤلاء يجب أن يحظوا من المؤمنين باحترام خاص وتقدير مميز عن سائر الناس، لما يقومون به من أعمال الخير والمعروف. فأصحاب المعروف وأهل الخير من العناوين المهمة والكبيرة ذات التأثير الواسع في المجتمع.

لقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «أجيزوا لأهل المعروف عثراتهم واغفروها لهم، فإنّ كف الله تعالى عليهم هكذا، وأومأ بيده كأنه يظلل بها شيئًا»[١٦٠].

أهل المعروف هم أهل الخير، ويمكن أن يكون أهل المعروف غير متدينين، ولكنهم يشتركون في هذا الحق مع المؤمنين؛ لأنّهم قدموا معروفًا إلى الناس وقاموا بأعمال خيرية، ومن المهم أن يعرف المؤمن أهل الخير، لكي لا يعاملهم كما يعامل سائر الناس، ونرى في مجمل النصوص الواردة أن أهل الخير لهم حرمة ومكانة خاصة.

ومن هذه النصوص أن امرأة من الأسرى في إحدى الغزوات، عرّفت نفسها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقالت: أنا بنت حاتم الطائي، فأكرمها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأطلق سراحها وحرّرها من العبودية[١٦١]؛ إكرامًا لحرمة أبيها حاتم الذي كان معروفًا بإكرام ضيفه، مع أنّه توفي قبل الإسلام، وهذا يدل على أن إكرام أهل الخير والمعروف ينبغي أن يمتد إلى ذويهم وذراريهم، تشجيعًا للناس على أن يكونوا من أهل الخير والمعروف عندما يرون ذلك.

وفي هذه الرواية يطلب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من المؤمنين أولًا أن يجيزوا لأهل المعروف عثراتهم، لكي يتخلصوا من تبعاتها الدنيوية، ثم يطلب منهم أن يغفروا لهم هذه العثرات، لكي يتخلصوا من تبعاتها الأخروية، ثم يبيّن العلة في هذا الطلب بأن كف الله تعالى عليهم هكذا، وأومأ بيده كأنه يظلل بها شيئًا، أي أن يد الرعاية والرأفة والرحمة الإلهية فوق رؤوسهم وشاملة لهم. ومن كانت منزلته كذلك عند الله تعالى،

١٦٠. الكافي ٤: ٢٨، ح١٢.
١٦١. مستدرك الوسائل ١١: ١٩٣، ح٢١.

فمن الأجدر بالمؤمنين بالله تبارك وتعالى أن يحذوا حذو خالقهم في الصفح عنه، كل ذلك حتى لا يضيع المعروف بين الناس.

إقالة عثرة الجار

أورد الشيخ الصدوق في كتاب «من لا يحضره الفقيه» ـ وهو أحد الكتب الروائية الأربعة المعتبرة عندنا، والثلاثة الأخرى هي: الكافي للشيخ الكليني، والاستبصار وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ـ رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي تتضمن جملة الحقوق التي قررها الإسلام للإنسان، ومن هذه الحقوق حق الجار، إذ يقول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وأما حق جارك فحفظه غائبًا، وإكرامه شاهدًا، ونصرته إن كان مظلومًا، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءًا سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته في ما بينك وبينه، ولا تسلمه عند الشديدة، وتقيل عثرته»[١٦٢].

يتناول الإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذا المقطع بعض حقوق الجار، وهي:

الحق الأول: «حفظه غائبًا»: يجب حفظ الجار عندما يكون غائبًا والدفاع عنه ومراقبة داره، لحفظها من السرقة أو لكي لا يصل إليها أحد بسوء.

الحق الثاني: «إكرامه شاهدًا»: إذا كان حاضرًا فيجب إكرامه، ومن مصاديق الإكرام مبادرته بالسلام والسؤال عن أحواله وأحوال عائلته ومتعلقيه، ومن المصاديق دعوته عند الوليمة، وذكره بشيء من الطعام عند طبخ وجبة لذيذة في البيت، ومنها أيضًا حضور مناسباته في الأفراح والأحزان، والوقوف معه عند الشدائد وأوقات الحاجة.

الحق الثالث: «نصرته إن كان مظلومًا»: إذا ظُلم واعتُدي عليه، فينبغي نصرته والوقوف معه وعدم تركه.

الحق الرابع: «لا تتبع له عورة»: ولا ينبغي تتبع عيوبه بالتجسس عليه وسؤال هذا وذاك عنه.

الحق الخامس: «إن علمت عليه سوءًا سترته عليه»: إذا اطلع الجار على أمر سيئ من جاره مصادفة، فيجب ستره ويحرم التشهير به، كما لو كنت جالسًا في بيتك وسمعت صوت الأغاني والطرب في داره، أو إذا تخاصم الجار مع زوجته وتفاضحا بينهما وكشف كل منهما سيئات الآخر، فيجب ستره وعدم إخبار أحد بما سمع.

---

١٦٢. من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٢٣، ح٣٢١٤.

الحق السادس: «إن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته في ما بينك وبينه»: يستفاد من هذا النص أن من لا يتوقع منه سماع النصيحة فلا تجب نصيحته، لأنّه حينئذ يعتبرها تقريعًا وتسجيلًا للنقاط، وتؤدي إلى نتيجة أسوأ. وهي واجبة إذا كان هناك احتمال للاستجابة. إن كان ممن يقبل النصيحة فينبغي اختيار الطريقة المناسبة لنصيحته، والنصيحة بشكل عام يجب أن تكون سرًا بين الناصح ومن يراد نصيحته، ألاّ يكون ذلك أمام شخص ثالث؛ لأنّ ذلك في الواقع تشهير لا نصيحة، كما ورد ذلك في نصوص صريحة، كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن نصحه علانية فقد شانه»[١٦٣].

الحق السابع: «لا تسلمه عند الشديدة»: من حق الجار الوقوف معه إذا نزلت به مصيبة، أو مرت به شديدة من شدائد الدنيا، كضائقة مالية، فيجب مد يد العون والمساعدة له من غير أن يطلب ذلك.

الحق الثامن: «تقيل عثرته»: وهو الشاهد، فمن حق الجار على جاره، كحق المؤمن على أخيه المؤمن، وجوب إقالة عثرته، وإن لم يكن هذا الجار مسلمًا، أو كان مسلمًا ولم يكن مؤمنًا، فحق الجوار يقتضي الصفح عن أخطائه والتعامل معه على أساس التسامح والمعاشرة الكريمة.

إقالة العثرات من الصفات الربوبية

أورد الشيخ الطوسي في كتابه تهذيب الأحكام الدعاء التالي:

«يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر والسريرة، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى، يا مقيل العثرات، يا كريم الصفح، ياعظيم المنّ، يا مبتدئًا بالنعم قبل استحقاقها، يا رباه يا سيداه يا أملاه يا غاية رغبتاه، أسألك أن تصلي على محمد وآله وأن لا تشوه خلقي بالنار، وأن تقضي لي حوائج آخرتي ودنياي، وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، وأن تقيل عثرتي يا مقيل العثرات»[١٦٤].

يتضمن هذا الدعاء الشريف عدة فقرات، منها موضع الشاهد على موضوعنا إقالة العثرة، وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا مقيل العثرات»، نمر عليها مرورًا سريعًا:

١٦٣. بحار الأنوار ٧١: ١٦٦، ح٢٩.
١٦٤. تهذيب الأحكام ٣: ٨٤، ح ١٢.

الأولى: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»: يا إلهي، إذا كان فينا شيء حسن ولو كان قليلا فأظهره للناس، ليروا هذا الجانب المشرق من حياتنا، وإذا كان فينا شيء قبيح ولو كان كثيرا فأخفه عن الناس، ولا تهتكنا واسترنا فأنت الساتر لعبادك، فقد أذنبنا وعصينا وتجاوزنا فلم تهتكنا وسترتنا.

الثانية: «يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر والسريرة»: إلهي، لقد كانت ذنوبنا وجريرتنا وجرائمنا عظيمة، لكنك لم تؤاخذنا بها ولم تحاسبنا عليها وتحملتنا وصبرت علينا.

الثالثة: «يا عظيم العفو»: يا إلهي، أنت كثير العفو جدًا.

الرابعة: «يا حسن التجاوز»: يا إلهي، إنك تحسن التجاوز عن أخطائنا وذنوبنا وسيئاتنا.

الخامسة: «يا واسع المغفرة»: يا إلهي، إن دائرة مغفرتك ومساحة مغفرتك عامة جدًا.

يوجد في قوانينا المعاصرة قانون يسمّى قانون العفو الخاص، ومعناه أن من أنهى ثلثي محكوميته في السجن مع حسن السيرة والسلوك داخل السجن يُطلق سراحه. وهناك قانون آخر يسمّى بقانون العفو العام، ومعناه إطلاق سراح جميع المسجونين. ووصف الله تبارك وتعالى بواسع المغفرة، أي أن عفوه عام دائمًا في كل مناسبة وفي كل قضية، وكل من يطلب منه العفو يعفو عنه ويصفح.

السادسة: «يا باسط اليدين بالرحمة»: يا إلهي، أنت الباسط يديك بالرحمة، وأنت الذي ترحمنا.

السابعة: «يا صاحب كل نجوى ومنتهى كل شكوى»: إن كل من عنده همّ وغمّ يريد أن يتحدث به فأنت صاحبه، لأنّك أنت الله تسمع من ناجاك. وكذا كل من يريد أن يشتكي، فسيجد الله تعالى سميعا لشكواه.

الثامنة: وهنا الشاهد «يا مقيل العثرات»: يا الهي، أنت المقيل عثرتي إن عثرت، وأنت مقيل عثرات الناس.

التاسعة: «يا كريم الصفح»: يا إلهي، أنت تتعامل بكرم مع خلقك، وعندما تصفح عن الناس فإنك تصفح عنهم بكرم.

العاشرة: «يا عظيم المن»: يا إلهي، أنت ذو العطاء الجزيل، فأنت الحنّان المنّان، تعطي كل شيء، وتعطينا أكثر مما نستحق.

الحادية عشرة: «يا مبتدئًا بالنعم قبل استحقاقها»: نحن البشر نعطي الأجر على مقدار العمل، فمثلًا إذا ركبنا سيارة لمسافة قصيرة فلها أجر معين، وإذا كانت المسافة أطول كانت الأجرة أكثر، وإذا كانت المسافة من مدينة إلى أخرى فستتضاعف الأجرة. . وهكذا، فعامل البناء، مثلًا، كلما كان عمله أطول كانت الأجرة أكثر، فعطاؤنا دائمًا يكون على مقدار العمل وبعد انتهائه، ولكن الأجر الذي يعطيه الله (سبحانه وتعالى) ليس كذلك، فهو يعطي الأجر قبل ابتداء العمل، ويضاعفه أضعافًا كثيرة تصل إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، كما قال تبارك وتعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[١٦٥]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّه مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١٦٦]. فبمجرد أن يقرر الإنسان أن يكون مطيعًا لله عز وجل وأن يكون عبدًا له، ستفتح أمامه الأبواب قبل الشروع بالعمل.

الثانية عشرة: «يا رباه يا سيداه يا أملاه يا غاية رغبتاه»: لكل إنسان رغبات، ولكن غاية الرغبة وأعلى شيء يتمناه الإمام المعصوم، والذي ينبغي لكل إنسان أن يتمناه هو: «أسألك أن تصلي على محمد وآله وأن لا تشوه خلقي بالنار»، إلهي، أنت خلقتنا بهذا الوجه الحسن فكيف تشوهه بالنار؟. أرأيتم من يحترق وجهه كيف يقبح منظره بشكل مقزز، بحيث لا يمكن النظر إليه. «وأن تقضي لي حوائج آخرتي ودنياي»، يطلب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تُقضى له حوائج الآخرة والدنيا، فيقدم حوائج الآخرة على حوائج الدنيا؛ لأنّ الدنيا مهما كانت حوائجها مهمة ومشاكلها عويصة ولكنها سنوات وتنتهي، وأما الآخرة فهي الخلود الأبدي، ولا قياس بينهما عند المقارنة، فالدنيا مهما كانت يمكن تحملها إلى أن تنقضي.

«أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وأن تقيل عثرتي يا مقيل العثرات»: هذا وصف لله (سبحانه وتعالى)، ومن هنا ندرك عظيم أهمية إقالة العثرات، بحيث أصبحت وصفًا لله (سبحانه وتعالى).

---

١٦٥. سورة الأنعام: الاية ١٦٠.

١٦٦. سورة إبراهيم: الاية ٢٤. ٢٥

الحق الخامس/ قبول عذر المؤمن

ننتقل إلى الحق الخامس من حقوق الإخوان، الوارد في قوله: «يقبل معذرته»، أي إذا أخطأ المؤمن بحق مؤمن آخر، ثم جاء واعتذر منه فعليه أن يقبل عذره.

والعذر على ثلاثة أنحاء:

النوع الأول: عذر للتبرير، فمثلًا عندما يرتكب شخص جريمة عن سبق إصرار، وليس لديه عذر واقعي يعتذر به، يقول كلامًا ما ليبرر جريمته، فالسارق عندما يُسأل في المحكمة لماذا سرقت؟ يقول: قتل الجوع أولادي، أو إذا سئل القاتل: لماذا قتلت هذا الإنسان البريء؟ يقول: ما كنت أقصد قتله، أو ضحكوا عليّ وخدعوني، فمثل هذا الكلام مجرد تبرير وعذر يعتذر به الإنسان ليبرر خطأه إذا اعترف بخطئه، والاعتذار ناتج من محاولة تبرير هذا الخطأ الذي صدر منه. وكذلك عندما نقف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ويسألنا لماذا أذنبتم؟ نجيب: يا إلهنا، إن النفس أمارة بالسوء، وضعفت نفوسنا عندما رأينا الحرام فوقعنا فيه.

النوع الثاني: اعتذار للدفاع عن النفس، كمن فعل فعلًا ورآه أحد الأشخاص وتصور أنّه كان فعلًا سيئًا، فيأتي ليعتذر منه ويبين أن الموضوع ليس كما يتصور، وأنّ واقع الأمر أن القضية كذا وكذا، فهذا اعتذار للدفاع عن النفس، يدافع به الإنسان عن نفسه أمام شخص رأى لقطة أو مقطعا من القضية ولم يطلع عليها كلها. ومثال ذلك من رأى شخصًا يخرج من بيت الجيران الذي تعيش فيه امرأة وحدها، وانصرف من غير أن يسأله عن سبب دخوله على امرأة تعيش في بيت وحدها، ولكنه يبادر إلى الاعتذار إليه وبيان الحقيقة، لإزالة هذا الانطباع السيئ، ويقول له: معذرة، لقد اشتعلت النار في بيت هذه المرأة، وسمعتها تصرخ وتطلب النجدة، فدخلت الدار وأطفأت النار. فهذا عذر للتوضيح بسبب لقطة معينة تفضي إلى انطباع خاطئ عن إنسان لم يرتكب قبيحًا، فيعتذر ليوضح حقيقة الموضوع.

النوع الثالث: الاعتذار من طالب حاجة لا تستطيع تنفيذها. ومثال ذلك أن يأتي شخص ليطلب منك اقتراض مبلغ من المال، ولم تكن تملك هذا المقدار، فتعتذر اليه لأنّك لا تستطيع تلبية طلبه، فهنا اعتذار لا من أمر سيئ، بل أنت تحاول من خلال الاعتذار أن تبعد احتمال تصوره أنك تستطيع إقراضه.

وهنا حينما يقول: «حق المؤمن على المؤمن أن يقبل عذره»، فهو يشمل الحالات الثلاث، وفي جميع هذه الحالات يجب قبول عذره، فمن أخطأ بحقك واعتذر فاقبل عذره، ومن جاءك معتذرًا لتوضيح موقف فاقبل توضيحه وعذره، ومن اعتذر إليك لأنّه غير قادر فاقبل عذره أيضًا.

وورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «إنّ أخاك حقًا من قبل عذرك»[١٦٧]، من حق الأخ على أخيه أن يقبل عذره إذا اعتذر إليه، فقبول العذر شاهد ودليل على الأخوّة الإيمانية. وأما عدم قبول العذر فدليل على عدم وجود أخوّة إيمانية، فصار قبول العذر مقياسًا لمعرفة الأخوّة الإيمانية.

وكذلك ورد النهي عن ردّ الإنسان إذا ما قدم الاعتذار، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أنّه جاء في وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا علي، من لم يقبل من متنصل عذرًا، صادقا كان أم كاذبًا، لم ينل شفاعتي»[١٦٨].

«يا علي، من لم يقبل من متنصل عذرًا»: المتنصل يعني الشخص الذي أخطأ وتراجع عن خطئه، أو تبرأ من نسبة ذلك الخطأ إليه.

«صادقا كان أم كاذبًا»: يجب قبول العذر وإن كنت تعلم أنّه كاذب، لأنّ المهم هو أنّه اعتذر، وهذا هو المطلوب، ولو رجع في اليوم الثاني وكرر نفس الخطأ ونفس الاعتذار، فيجب قبوله أيضًا.

«لم ينل شفاعتي»: من لم يقبل عذر المؤمن، فلن يحصل على شفاعة محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويحرم منها، فثمن الحصول على الشفاعة هو قبول عذر المؤمن وإن كان كاذبًا، وكذلك في يوم القيامة، فإنّهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يشفعون عند الله تعالى لشخص في غفران ذنوبه والعفو عنه، ما لم يكن هو في الدنيا قد غفر لأخيه المؤمن وسامحه. فانظروا إلى مقدار ابتعادنا عن هذه المفاهيم الأخلاقية السامية، إذ نحن اليوم لا نقبل عذر الصادق، فكيف نقبل عذر الكاذب؟.

وورد في غرر الحكم عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «شر الناس من لا يقبل العذر، ولا يقيل الذنب»[١٦٩]، فشر الناس ليس هو من أذنب، بل شر الناس من يرفض قبول من جاء ليعتذر، ويبقى مصرًا على مقاطعة الآخر.

---

١٦٧. عيون الحكم والمواعظ: ١٥٤.
١٦٨. وسائل الشيعة ١٢: ٢١٧، ح١.
١٦٩. عيون الحكم والمواعظ: ٢٩٣.

وعلى أساس هذه الخلفية نلاحظ التأكيد الكبير، أن من يرتكب بحقك خطأ معينًا ينبغي ألاّ يكون تقريعك له عنيفًا؛ فلعله يرجع ويعتذر، وإذا اعتذر فواجبك أن تقبل عذره، فإن لم تقبل لم تنل شفاعة محمد وآل محمد يوم القيامة، فلا مناص من قبول عذر المؤمن وإقالة عثرته. فردّ الفعل العنيف يقطع الطريق على المعتذر في أن يعتذر، وإذا اعتذر فردّ الفعل العنيف قد يمنع الإنسان من أن يقبل العذر، ولهذا ينبغي ألا يكون الردّ قاسيًا حتى لو كان الخطأ جسيمًا، واكتفِ بالتعبير عن عدم الارتياح واتركه لله، فإنّ الله تعالى شأنه لا يتركه.

وورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لابنه محمد بن الحنفية أنّه قال: «لا تصرم أخاك على ارتياب دون استعتاب، لعل له عذرًا وأنت تلومه، اقبل من متنصل عذرًا صادقًا كان أو كاذبًا، فتنالك الشفاعة»[١٧٠].

«لا تصرم أخاك على ارتياب»: أي لا تبعد ولا تطرد أخاك، ولا تقطع علاقتك به على شبهة أو على ظن أو على شك أو على احتمال.

«دون استعتاب»: اذهب إليه حتى لو كان الخطأ جسيمًا، وصارحه وعاتبه وانظر ماذا يقول، وقل له: لم أكن أتوقع منك أن تقول عنّي هكذا.

«لعل له عذرًا وانت تلومه»: أي لعله لم يتكلم بهذا الكلام، أو تكلم ولكن بطريقة أخرى ونُقل خطأ، ونحن نعلم أن النص إذا اقتطع من أجوائه يصبح له معنى آخر، ولكن عندما تضعه في الأجواء التي قيل فيها يكون له معنى آخر، فربما لم يتحدث بهذا الحديث، أو تحدث ولكن ليس بهذه الطريقة التي نُقلت وكان قصده كذا، أو تحدث بنفس الطريقة، ولكن لسبب هو أن هؤلاء الجلاوزة الفلانيين ظلمة، فتكلم بهذه الطريقة ليحفظك من ظلمهم.

«اقبل من متنصل عذرًا، صادقًا كان أو كاذبًا فتنالك الشفاعة»: وقد مر في الرواية السابقة، أنّ الشفاعة لا ينالها من لا يقبل عذر أخيه المؤمن، وهنا رهن نيل الشفاعة بقبول عذر المؤمن، صادقًا كان أو كاذبًا.

وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

---

١٧٠. وسائل الشيعة ١٢: ٢١٧، ح٢.

المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، اللهم صل على محمد وإل محمد، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم هذه الأيام الشريفة من شهر رمضان المبارك ونحن في الأسبوع الأخير، وكل يوم يُقضى منه سوف لا يعود في هذه السنة، فهذا آخر سبت من شهر رمضان، وهكذا بقية أيام الأسبوع، بقدر ما يفرح الإنسان بيوم العيد ويوم الجائزة يحزن في أنه يفترق عن شهر رمضان، ورمضان هو الحبيب الذي نفارقه بألم وبحرقة، وكل منا لا يعلم إذا كان الله (سبحانه وتعالى) يوفقه لأن يدرك شهر رمضان في السنة القادمة أو لا، نسأل الله أن يطيل في أعماركم في طاعته (سبحانه وتعالى).

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وكنا نتحدث عن حقوق الأخوّة، حق الأخ على أخيه المؤمن، وكان الحديث في الحق الخامس، (يقبل معذرته)، قبول عذر الأخ المؤمن واحد من حقوق المؤمن على أخيه، كلنا خطاؤون، ليس لدينا عصمة، نخطئ أحيانا بحق إخواننا في لحظة انفعال، في لحظة غضب، ثم نعود لنستبين أن هناك خللا حصل، وأن هناك تعاملا غير صحيح، فنذهب ونعتذر من الأخ المؤمن.

المعذرة لها عدة معانٍ، كما بينا في اللقاء السابق، أحيانا تكون تبريرا للخطأ الذي ارتُكب، واعترافا بهذا الخطأ، وفي أحيان أخرى الإنسان يعتذر ليوضح حقيقة غائبة، أو ليزيل أي التباس في ذهن الشخص الآخر.

فلذلك ثقافة الاعتذار ثقافة مهمة، ثقافة إيمانية، ولا يقلل الاعتذار من قيمة الإنسان، هناك من يقول إذا فهم الآخر خطأ فهذا شأنه، وأنا لا أعتذر، وهذا خطأ كبير، فأنت

تعتذر توضيحا وشرحا حتى لا يأخذ الآخرون انطباعات خاطئة عنك، الإنسان المؤمن يجب أن يكون دائما حريصا على أن يحافظ على سمعته، وتكون انطباعات الآخرين عنه جيدة، لا يكفي أن لا يصدر منا الخطأ، وإنما يجب أن يرانا الآخرون أننا غير مخطئين، وأننا لا نسير في طريق سيئ، أو نقوم بسلوك سيئ.

هذا ما تحدثنا به في اللقاء السابق، وقلنا إذا صدر خطأ من الأخ المؤمن يجب أن لا نبالغ في التقريع وفي الملامة وفي التوبيخ؛ لأنك إذا وبخته توبيخا شديدا لم تترك طريقا للعودة، بل كسرت كل الجسور. فإذا اعتذر فلا تستطيع ردّ عذره، كما بينا في الروايات التي تحدثت عمن لا يقبل عذر أخيه، ولا تستطيع أن تقبل عذره بعد التوبيخ الشديد والكلام الجارح الذي قلته بحقه، لذلك يُفترض أن لا يبالغ الإنسان في التقريع، وفي العتاب، بل يكون عتابه بحدود معينة.

الموضوع الآخر الذي نود الإشارة إليه هو رفض عذر المؤمنين بالرغم من الإلحاح والوساطات، حين تأخذ بعضهم حالة الأنانية والأنفة، فهنا أيضا يوجد نهي كبير عن هذه الخصلة السيئة، ويُعتبر من لا يقبل عذر الآخرين من أهل الدنيا، وليس من أهل الآخرة، وأهل الدنيا هم من كانت سمات الإيمان فيهم غير قوية، ويمكن أن تُسلب منهم.

ففي الحديث القدسي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عن الله تبارك وتعالى « يا أحمد أبغض الدنيا وأهلها، وأحب الآخرة وأهلها»[١٧١].

يخاطب الله تبارك وتعالى نبيه الكريم باسمه الذي عند أهل السماء، وهو «أحمد»، فهو في السماء أحمد وفي الأرض محمد، ويطلب منه بغض الدنيا، بألاّ تأخذ مأخذها من نفسه، ولا يتمسك بها، ولا يتعلق بها. ومعنى بغض الدنيا ألاّ يكون الإنسان أسيرًا لها، لا أن نترك التعامل معها، كيف وقد ورد النص في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[١٧٢].

وروي عن العالم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»[١٧٣]. ولهذا ليس منافيًا لبغض الدنيا أن يبني إنسان دارًا من الكونكريت المسلح يدوم سنوات أطول بكثير مما يعيش الإنسان، بل هذا من الإتقان في العمل الذي أمر به الإسلام.

---

١٧١. بحار الأنوار ٧٤: ٢٣، ح٦.
١٧٢. سورة القصص: الاية ٧٧.
١٧٣. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٥٦، ح ٣٥٦٩.

ليس من بغض الدنيا ألاّ يملك الإنسان شيئًا في الدنيا، بل المهم ألا يكون أسيرًا لها، فهناك فقير تذهب نفسه حسرات لو ذهب منه بعض ماله، وهناك ثري لا يبالي بضياع المليارات، فهذه القضية لا علاقة لها بحجم المال أو النعم الدنيوية أو ما شابه ذلك، بل لها علاقة بالأخلاق؛ فهناك من عنده الكثير، ولكنه هو من يملك هذا الكثير وليس العكس، فينفق مما أنعم الله تعالى به عليه على الآخرين، ويخرج حقوقه الشرعية، وهو ملياردير من الكسب الحلال، وليبارك الله له في ما أعطاه، فالإسلام ليس دينًا يؤمن بما تؤمن به الماركسية والشيوعية ويعادي كل من عنده مال، فلا مانع من الثراء المشروع، بشرط الالتزام بما فرضت عليه الشريعة من حقوق للفقراء. وما بقي مهما كان كثيرًا، فلا مانع من الاستمتاع به بما حلل الله تعالى، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١٧٤]، أي أن الله عز وجل يريد الدنيا للمؤمنين، ولكن بالطرق الحلال وبالموازين الشرعية، ومعنى الزهد في الدنيا ألاّ يكون الإنسان أسيرًا وخادمًا لها، بل هي التي يجب أن تكون خادمة له.

ولكننا نرى البعض قد أسرته الدنيا إلى درجة المرض، ومهما ملك من إمكانات، فإنّه مع ذلك لا يتحمل أن يرى إنسانًا يركب سيارة أرقى من سيارته مثلًا، أو يسكن دارًا أفضل من داره، فالدنيا أكبر همه، وقد شغلته بكل وجوده، وكأنه لا شيء وراءها. وهناك من لا يستطيع أن يقتني مثل تلك السيارة أو الدار، فيطلق الشائعات ويثير الشكوك حول صاحب السيارة أو الدار، ويقول لا بد من أنّه قد سرق هذه الأموال، مع أنّه لا يعلم حقيقة الحال. وبعضهم ينتقل إلى مرحلة العمل؛ فيأخذ مسمارًا مثلًا ويحك به السيارة، أو يتناول حجرًا ليكسر به زجاج الدار، ويقول أريد أن أشفي صدري وأبرد غليلي. إن مثل هذه الثقافة ما زالت سائدة في بعض الأوساط.

يجب علينا أن نعلّم أبناءنا ثقافة عدم الانتقام من الآخرين بسبب ما يملكون، وأنّ الذي عنده، فليبارك الله له في ما عنده إن كان من الحلال، وإن كان من الحرام فإنّ وراءه حسابًا وعقابًا، وألاّ نتمنى زوال نعمة الآخرين فنكون من الحاسدين، ولكن نتمنى مثلها أو أكبر منها لأنفسنا من الحلال، من غير أن نتمنى زوالها من الغير، وتسمى هذه بالغبطة، وهي جائزة شرعًا وممدوحة.

وهناك بعض من الناس قد أنعم الله تعالى عليه فأعطاه أولادًا وأموالًا، ولكن تراه بدلًا

١٧٤. سورة الأعراف: الاية ٣٢.

من أن يشكر الله على هذه النعم، يتذمر ويقول ماذا أعطاني الله؟ لقد أعطى فلانًا وفلانًا أكثر منّي؟ وكان عليه أن يشكر الله تعالى ويطلب الزيادة إذا أراد ذلك، ويقيّدها بما إذا كان في ذلك مصلحة لدنياه وآخرته.

إنّ عدم قبول العذر يجعل الإنسان من أهل الدنيا، وهذا ما أكد عليه الحديث القدسي: «أبغض الدنيا وأهلها»، فينبغي ألا تأخذ الدنيا مأخذها من الإنسان ويكون أسيرًا لها، ولكن يجوز له أن يستمتع من نعمها بالحلال، ولهذا يجب الحذر من الدنيا وأهل الدنيا أشد الحذر، لئلا ينزلق الإنسان مع إغراءاتها، فيترك التفكير بالآخرة، ويعيش لا همّ عنده إلا هم نفسه وحياته الشخصية، ولا يفكر بشي آخر.

إنّ أهل الدنيا فايروس يجب الابتعاد عنه، لأنّ الاقتراب منهم يؤدي إلى الإصابة بحب الدنيا، إذ الأمراض على نحوين: فنهاك أمراض غير معدية كالسرطان مثلًا، وهناك أمراض معدية تنتقل من شخص إلى آخر بالتماس معه أو الاقتراب منه كالانفلونزا، وأهل الدنيا يؤثرون في من يقترب منهم، وشيئًا فشيئًا يصير واحدًا منهم، فأول ما يبدؤون به هو الاستخفاف والاستهزاء بهذا المؤمن، والكلمة الشائعة على ألسنتهم قولهم لمن يرونه مؤمنًا: لماذا أنت غارق في الإبريق؟ أي لماذا تأخذ مسألة التدين بجد إلى هذه الدرجة، وكأنّهم لم يجدوا وصفًا أسوأ في إحباط عزيمة المتدين من هذا الوصف. فإن بقي قريبًا منهم ولم يبتعد عنهم استمروا معه شيئًا فشيئًا، إلى أن ينسوه ذكر الله تعالى ويبعدوه عن الدين؛ لأنّ الاقتراب من أهل الدنيا ولو لنصف ساعة في اليوم، سيبعده عن الله تعالى بذلك المقدار، وربما ذوّقوه لذة الدنيا الحرام وحلاوة الشهوة والهوى، فيؤثر ذلك فيه ويدخل في قلبه حب الدنيا، وكلما توغل الإنسان في هذا الاتجاه ابتعد عن الآخرة، وهذا شيء خطير وحساس.

لذلك يوصي الله سبحانه نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائلًا: «أبغض الدنيا وأهلها، وأحب الآخرة وأهلها»، ولا شك في أن حب الآخرة يستتبعه عمل الإنسان لها، فإنّ من يحب شيئًا يعمل من أجل الوصول إليه، فإذا أحبّ الآخرة فإنّه سيعمل لها، وحينئذ سيستفيد في الدنيا ويستفيد في الآخرة، وعلى الإنسان الاقتراب من أهل الآخرة، لأنّهم فايروس حميد، وهم في نفس الوقت تلقيح ينفع في مقاومة أمراض حب الدنيا، فالجلوس مع أهل الآخرة والجلوس مع العلماء، والنظر إلى وجوههم عبادة، لأنّها تذكّر بالله عز وجل، والاستماع إلى أحاديثهم يذكّر بالله تعالى، فمنطقهم وسلوكهم ومنهجهم وحديثهم وكل شيء فيهم، يذكر بالله تعالى، كما هو النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى المصحف الشريف عبادة، لأنّ هذه الأشياء تذكّر بالله (عزّ وجلّ)؛ لأنّ هذا

نوع من الاتصال يكوّن علاقة، ومثال ذلك الصور التي نحبها ونعلقها على الجدران وننظر إليها باستمرار، فهي تعمّق علاقتنا بهم، وهذه حالة إنسانية طبيعية، فكذلك النظر إلى المؤمنين عبادة، فإنّ سيماءهم في وجوههم من أثر السجود، وكل شيء يذكّر بالآخرة فالنظر له عبادة.

وهناك رواية طويلة يقول فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا ربّ ومن أهل الدنيا؟ ومن أهل الآخرة؟ قال جل من قائل: أهل الدنيا لا يعتذر إلى من أساء إليه، ولا يقبل معذرة من اعتذر إليه»[١٧٥]. فأهل الدنيا عندما يخطئون بحق الآخرين لا يعتذرون، وتأخذهم العزة بالإثم، ولا يقبلون معذرة من اعتذر إليهم. وهذه من صفات أهل الدنيا التي تبعد عن الآخرة. بينما من صفات أهل الآخرة أنّهم يعتذرون إذا أخطؤوا، ويقبلون عذر من أخطأ بحقهم.

وقد ورد في عدد آخر من الروايات التشدد ليس في قبول العذر فقط، بل في سرعة قبول العذر أيضًا، لأنّ من فوائد سرعة قبول العذر، أن المخطئ أو المسيء لن يتردد في الإقدام على الاعتذار خوفًا من عدم قبول الطرف الآخر وإراقة ماء الوجه بلا فائدة. ولو أن من أخطأ يأتي بسرعة ويعتذر، والذي أُخطئ بحقه يقبل العذر بسرعة، فإنّ العلاقات الإيمانية ستتعمق ولا تكون هناك فجوة.

لقد روى الشيخ الكليني في الكافي، عن علي بن جعفر العريضي، عن أخيه أبي الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «أخذ أبي بيدي ثم قال: يا بني، إن أبي محمد بن علي أخذ بيدي كما أخذت بيدك، وقال: إن أبي علي بن الحسين أخذ بيدي وقال: يا بني، افعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله. وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[١٧٦].

في هذه الرواية المباركة يخبر الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أخاه علي بن جعفر ـ وكان عالما فاضلا جليل القدر ـ بكلام في مكارم الأخلاق كان يسره المعصوم للذي من بعده، وأراد الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتحف به أخاه والشيعة من بعده، وهو أن يفعل الخير لكل من يطلبه منه، بغض النظر عن الطرف المقابل، هل يستحق هذا الخير أو لا يستحقه، واستحقاقه للخير هو أن يكون من أهل الخير، فإنّ المتعارف أن الإنسان إذا

١٧٥. بحار الأنوار ٧٤: ٢٣، ح٦.
١٧٦. الكافي ٨: ١٥٢، ح١٤٢.

أراد أن يفعل معروفًا، فإنّه يفعله لمن يستحقه في نظره، ولكن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرر هنا مفهومًا جديدًا في عمل الخير، وهو أن تفعله لكل من يطلبه منك، وهذا لا يمنع من أن يبادر الإنسان إلى فعل الخير لمن هو أهله قبل أن يطلبه منه، أما فعله لمن لا يعرفه فمتوقف على طلبه، ولكن من الأولى أن يفعله لمن يستحقه إذا طلبه.

ثم يعلل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه القاعدة بقوله: «فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله»، فإنّ المناط في فعل الخير ليس هو الطرف المقابل، بل هو فاعل الخير نفسه، وهو أن يكون من أهل الخير. وحينئذ يكون الأمر عنده على حد سواء في من طلب الخير منه.

ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وجوب التحلي بخصلة قبول العذر، وهي موضع الشاهد في الرواية المباركة، فيقول: إن شتمك رجل واقف على يمينك، ثم انتقل ووقف إلى يسارك، يعني أن أي شيء لم يتغير، وأنّ الظرف على حاله كما هو، وأنّك ما زلت تعيش حالة التأثر، فاعتذر إليك فاقبل عذره. وهذه هي الأخلاق التي يجب أن يتصف بها المؤمنون، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[١٧٧]، فهكذا ينبغي التعامل مع الجاهل.

قد يكون هناك شخص سمع شيئًا، وقبل أن يتثبت أصدر حكمه، وكثير منا كذلك مع الأسف، ثم تبيّن له خطأ فعله فاعتذر، لأنّ من نقل له ربما كان كاذبًا، أو كان صادقًا ولكنه فهم الكلام خطأ، أو ربما كان صادقًا ودقيقًا في نقله، ولكن الأجواء التي صدر فيها الكلام عن المتكلم والقرائن التي تحف بالكلام كانت لها معطيات في فهم الكلام بشكل آخر، وعندما جُرّد الكلام من ظروفه تغير المعنى المراد، أو ربما هناك شخص مريض نفسيًا، فعندما يراك يسلم عليك ويتكلم معك ويعتذرإليك، ولكنه بعد قليل وعندما تتاح له فرصة أخرى يشتمك أيضًا، فهو شخص متناقض، فهل أردّ عليه أو لا أقبل عذره فأكون مريضًا مثله؟، بل ينبغي أن تكون أكبر منه، وتكون نفسك كبيرة لتسع الناس بحلمك، ولا بد من معاناة الألم والمحن وتحمّل الإيذاء في سبيل تغيير الناس نحو الأفضل، وهكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى قال: «ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت»[١٧٨]، وعندما دخل مكة فاتحًا ورفع أحد قادة الجيش شعار: «اليوم يوم الملحمة. . . اليوم تُسبى الحرمة»، أمر عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأخذ الراية منه، وقال

١٧٧. سورة الفرقان: الاية ٦٣.
١٧٨. بحار الأنوار ٣٩: ٥٦.

له: «كن أنت الذي تدخل إدخالًا رفيقًا»، فأخذها علي وأدخلها كما أمر[١٧٩]، وأمر أن ينادى: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[١٨٠]. وكل هؤلاء الأعداء والخصوم الذين وقفوا ضده وقاتلوه أكثر من عشرين عامًا وجيء بهم أسرى، قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١٨١].

عندما ننظر الآن إلى هذه القضية وهذا الواقع، نعرف من هو الكبير ومن هو الذي فاز، بالرغم من أن البعض من هؤلاء عندما دخلوا دورهم أو دار أبي سفيان، كانوا يقهقهون ويستهزئون ويقولون نجونا من القتل، وهم يظنون أن القضية ببعدها الآني فقط، وليست لها أبعاد في المستقبل، ولكن يعلم الجميع بعد مرور ذلك الزمن، أن موقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الموقف الصحيح. وها نحن اليوم نذكر هذا المنهج بفخر واعتزاز.

فمن يقبل العذر لا يعني أنّه بليد، بل يعني أنّه ينظر إلى المستقبل وإلى أفق أرحب، وإلى الآثار الإيجابية الكبيرة التي تترتب على قبول العذر. وينبغي أن يُقال للمعتذر بشكل غير مباشر: إن كان صدر منك كذا وكذا كما بلغني، فإني أقبل عذرك بما أنّك اعتذرت. فيكون قد فهم أن من يعتذر إليه ليس إنسانًا بليدًا، وإنما يصفح عنه لأنّه أكبر نفسًا منه، وأنّ أخلاقية الإسلام تأمره بذلك.

وفي رواية أخرى في بحار الأنوار: «روي أن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أحضر ولده فقال لهم: يا بني إني موصيكم بوصية، فمن حفظها لم يضع معها، إن أتاكم آتٍ فأسمعكم في الأذن اليمنى مكروهًا، ثم تحول إلى الأذن اليسرى فاعتذر وقال: لم أقل شيئًا، فاقبلوا عذره»[١٨٢].

يوصي الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاده بوصية، ويقول لهم إن من يلتزم بها ويطبقها في حياته فلن يضيع، ومفهوم ذلك أن من ترك العمل بها سوف يضيع، والمقصود بالضياع هنا ضياع منزلته في المجتمع، لأنّ الإنسان عندما يتعالى على صغائر الأمور وسفاسفها سيكبر في عيون الناس، وهذه الوصية هي أنّه لو جاءكم شخص فقال لكم قولًا تكرهونه وأساء إليكم، وبعد لحظة قال إني لم أقل ذلك، فأقبلوا عذره مع علمكم ويقينكم بأنّه كاذب.

---

١٧٩. بحار الأنوار ٢١: ١٠٥.
١٨٠. بحار الأنوار ٩٧: ١٧، ح١.
١٨١. الكافي ٢: ٥١٣، ح٢.
١٨٢. بحار الأنوار ٦٨: ٤٢٥، ح٦٧.

التماس العذر للإخوان

إذا أردنا اقتراض مبلغ من المال من أحد الإخوة المؤمنين، فينبغي التفكير أولًا قبل مفاتحته بالموضوع، باحتمال أنّه لا يملك المال، أو أن هناك ظرفًا طارئًا يمر به ولا يستطيع إقراضي، فماذا يجب أن تكون ردّة فعلي؟ هل سوف أنزعج، أو يجب أن أروض نفسي على قبول هذا الاحتمال ببرودة أعصاب؟ وحينئذ ستخف الصدمة إذا كنت مستعدًا ومتهيئًا منذ البداية لقبول رفضه، أو عدم إمكانية تحقيق هذا الطلب.

وقد ورد عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال للحسن بن راشد: «إذا سألت مؤمنًا حاجة فهيئ له قبل ما تطلب المعاذير، فإن اعتذر فاقبل عذره، وإن ظننت أن الأمور على خلاف ما قال»[١٨٣].

يوصي الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد أصحابه في هذا الحديث المبارك، بأنّه إذا طلب من مؤمن حاجة، فعليه أن يهيئ له المعاذير، أي يقول له قبل أن يعتذر: جئتك لاقتراض مبلغ من المال، فإن كنت لا تمتلك هذا المبلغ، أو هناك ظرف معين لا تستطيع بسببه أن تقرضني هذا المال، فأنت معذور سلفًا. أو يحتمل أن يكون معنى الرواية أنّه ينبغي التهيؤ لاحتمال ردّ طلبه، فلا يفاجأ بذلك. فإن اعتذر هذا المؤمن، فيجب قبول عذره وإن كان الأمر على خلاف ما يقول وما يعتذر به، فالمهم هو قبول عذر المؤمن إذا اعتذر، وإن كان ظاهر القرائن يشير إلى عكس ذلك.

كان هذا الحق الخامس من حقوق الإخوان في ما بينهم، وفي اللقاء المقبل سنتحدث عن الحق السادس إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

١٨٣. مستدرك الوسائل ٩: ٥٧، ح٥.

المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، ونسأل الله أن يجعل هذه الأيام الأخيرة المتبقية من شهر رمضان فرصة لمزيد من التزود بالتقوى والتقرب إلى الله (سبحانه وتعالى) وغفران الذنوب.

كان حديثنا في الأيام الماضية في العلاقة الإيمانية، الأخوّة بين المؤمنين، وكان الحديث عن حقوق الإخوان، حق الأخ على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى حق جديد، قوله (صلوات الله وسلامه عليه) (يرد غيبته).

الحق السادس/ ردّ الغيبة عن المؤمن

لقد ذكر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، في الحديث الذي يرويه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الحق السادس من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وهو وجوب حفظ غيبته، أي يجب على المؤمن أن يدافع عن أخيه المؤمن حينما يُذكر بسوء أمامه، ويردّ الغيبة عنه حينما يريد شخص ذكر مثلبة فيه، وأما إذا لم تكن فيه هذه المثلبة فالأمر أسوأ وهو الافتراء. فعلى المؤمن أن يدافع عن أخيه المؤمن، ولو بأن يستبطن بشكل طبيعي الحديث عن حرمة الغيبة نفسها، وأنّ من حق المؤمن على أخيه المؤمن ألاّ يغتابه ويذكره بسوء؛ لأنها من الإساءة التي تتقاطع وتتنافى مع هذه الأخوّة والعلاقة الإيمانية.

وهذا الموضوع يمثل أحد المواضيع الخطيرة والحساسة التي يكثر الابتلاء بها في الوسط الإيماني، فهناك واجبات معروفة من المتسالم بين المؤمنين الالتزام بها كالصلاة والصيام، وهناك محرمات معروفة من المتسالم بين المؤمنين اجتنابها كشرب الخمر والزنا، ولكنّ هناك ذنوبًا وإن كانت من الكبائر أيضًا تصدر من المؤمن، ولا يُستغرب صدورها منه كالغيبة، والحديث في هذا الموضوع أمر مهم لكثرة الابتلاء به.

قد يبرر بعضهم لنفسه ارتكاب هذا الإثم بأنّه إنما يتحدث بما هو صدق، وبما سمعه أو رآه بنفسه، ويظن أن ذلك جائز. وهو يجهل أن الغيبة إنما هي في الأمور الصادقة، وأما الأمور الكاذبة التي ينقلها عن المؤمن، فذاك أمر أشد من الغيبة؛ لأنّه كذب بالإضافة إلى كونه غيبة.

إن هناك عدم وضوح عند البعض الذي لا يملك ثقافة شرعية، فلا يعرف حدود الغيبة، وأين هي مساحتها التي تحرم فيها، وأين هي المساحات الأخرى. لذلك نحن نستفيد من استعراض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذا الحق، لنقف وقفة سريعة عند معنى الغيبة، وما حدودها، وما الأدلة عليها في القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، لنستبين معنى الغيبة أولًا، والنهي عن الغيبة والمنع منها ثانيًا، وحرمة استماع الغيبة ثالثًا. فالمغتاب الذي يذكر الآخرين بسوء عندما يرى مكانته الاجتماعية تتعزز كلما ذكر الآخرين بسوء، سوف يزداد في غيّه، فالاستماع والتفاعل مع الغيبة لهما مدخلية كبيرة في إبقاء هذا الموضوع متفاعلًا بين الناس، وأما حين يرى نفسه منبوذًا ومستهجنًا ومعزولًا إذا اغتاب مؤمنًا، والكل يقول له اسكت رجاءً، فإنّه سيكف عن الغيبة. ولذلك فما يحرم الغيبة يحرم الاستماع إليها أيضًا.

وهناك نقطة مهمة أخرى تتعلق بالغيبة، وهي وجوب النهي عن المنكر، فربما يظن البعض أن الاستماع إلى الغيبة غير حرام، وهو خطأ فادح؛ فإنّ المغتاب والمستمع إليه شريكان في الإثم، ويتحمل كل واحد منهما وزر جريمته يوم القيامة، ولا ينفعه أن يقول: لا علاقة لي بالغيبة، فأنا لم أتكلم بشأن أحد بالسوء، لأنّه يجب عليه الوقوف بوجه المغتاب ونهيه عن هذا المنكر، بأن يقول له مثلًا: لماذا تفعل هذا؟. لماذا تسيء للآخرين؟. لماذا تسيء لنفسك باساءتك للآخرين؟. إن هذا ليس صحيحًا، وهذا حرام، وأرجوك أن تترك هذه القضية فأنا خائف عليك. ولو استمرت نصيحة المغتاب هكذا لأقلع عن الغيبة، ولم ترَ من يستغيب.

كما أن الدفاع عن المستغاب أمر واجب أيضًا، والمؤمن قائم مقام أخيه حال غيبته،

فكما أنه لا يقبل أن يُساء له بحضوره، فكذلك ينبغي ألا يقبل الإساءة إلى أخيه المؤمن في حال غيبته، فإذا ذُكر أمامه بسوء يبادر قائلًا مثلًا: لا يا إخوان، إن القضية ليست هكذا، وأنا أعرف هذا الرجل، ويشرح لهم القضية، أو إنّه لم يقل هذا أو لم يعمل هذا. ولو أن كل شخص منا يدافع عن أخيه المؤمن، لما بقي مجال للإساءة للمؤمنين إطلاقًا.

ونحاول هنا المرور سريعًا على هذه الموارد والمواضيع المتعلقة بالغيبة.

تعريف الغيبة

الغيبة كما عرّفها علماء الأخلاق هي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه. ولهذا ينبغي عند ذكر الأخ المؤمن أن يتخيله وكأنّه جالس أمامه، وهل سيكره هذه الكلمة التي سيقولها بحقه أو لا؟.

ولكن لهذا التعريف معنى واسعًا يشمل الغيبة ومحرمات أخرى كالبهتان، فإذا بهت المؤمن أخاه المؤمن فهو أمر يكرهه أيضًا لو بلغه، وإذا اتهم المؤمن أخاه المؤمن فهو أمر يكرهه أيضًا عندما يسمعه، والإفك، وهو الكذبة الكبيرة، فهي أمر يكرهه المؤمن لو سمعه، والفاحشة، وهي السب الشتم وما إلى ذلك، فهو أمر يكرهه المؤمن أيضًا لو بلغه. وهو يشمل بيان العيب الظاهري، أي العيب الواضح المعروف، بحيث أن صاحب العيب يكرهه ويتأذى منه لو سمع أحدًا يذكره به. وكذا يشمل السخرية والاستهزاء لأنّه أمر يكرهه لو بلغه، ويشمل المهانه والتحقير أيضًا، ولا سيما أنه قد شاع في أعرافنا تلقيب الناس بعضهم للبعض الآخر بكلمة نابية صدرت منه أو موقف غير لائق، ليبقى وصمة يوصم بها طوال عمره، فهذه الألقاب التي نستخدمها لنستهزئ بها من الآخرين ونقلل من قيمتهم، هي من المحرمات أيضًا وإن لم تكن غيبة، بل هي عناوين أخرى محرمة.

وكذا فإنّ إيذاء المؤمن من المحرمات، لأنّه يكرهه لو بلغه وإن لم يكن غيبة، وهكذا إشاعة الفاحشة، وهي نشر ذنب معين اُبتلي به مؤمن أو غير مؤمن، فإنّه حتى لو كان هذا الشخص لا يستحق أن يُحفظ، فإن الذنب والمعصية يجب ألاّ يشاعا فيزول قبحهما بين الناس فيصبحا أمرًا طبيعيًا وعاديًا.

فهذه كلها ذنوب يكرهها صاحبها لو بلغته مع أنّها ليست غيبة. فالغيبة إذن هي بيان أمر يكرهه المستغاب إذا بلغه، ولكن بقيود تميّز الغيبة عن هذه الذنوب التي ذكرناها آنفًا.

قيود الغيبة

القيد الأول: وجود سر يُكشف للناس، فإذا كان نقصا ظاهريا معروفا فهو ليس من الغيبة، كما لو وصف شخصا يلثغ بكلامه بأنه ألثغ، أو يصف شخصًا يمشي برجل عرجاء بالأعرج، فهذا لا يسمى غيبة، لأنّ الناس تعلم أنّه كذلك، فشرط الغيبة هو كشف أمر مستور ومخفي وأنت تظهره للناس. إذن فالغيبة هي كشف نقص وعيب مستور للناس عن أخيك المؤمن.

القيد الثاني: كون النقص الذي يذكر في المؤمن واقعيًا وموجودًا في الشخص المستغاب. وأما إذا لم يكن موجودًا فهو بهتان.

القيد الثالث: أن يكون الغرض من بيان هذا العيب هو التقليل من قيمة المؤمن، وأما بيانه لغرض آخر غير النيل من صاحبه والتقليل من شأنه فلا يعدّ غيبة، كما لو بيّن الطبيب علة خفية عند المريض، فيقول مثلاً إن عنده التهابا في المجاري البولية أو علة أخرى يخجل المريض من البوح بها أمام أقربائه أو أصدقائه، أو أن من كان مع المريض هو الذي يبوح بها للطبيب، لأنّ المريض يخجل من ذكرها. وكذا فإنّ كشف عيب الخاطب لأهل المخطوبة إذا سألوا عنه أو بالعكس، لا يعد غيبة؛ لأنّه في موقع المشورة لا التشهير والانتقاص والهتك. ومن مصاديق عدم الغيبة مع كشف العيب المستور، ما لو أُريد توظيف شخص في موقع معين، وتحتاج مثل هذه الوظيفة إلى أخلاقية معينة.

فإذا كان بيان سلبيات ومناقص ومثالب الأخ المؤمن من أجل كسره والتقليل من شأنه والإساءة إليه فهو غيبة، وأما إذا كان الغرض منه شيئا آخر مفيدا وصحيحا ومقبولا ومقنعا، فلا بأس به.

وليس من الغيبة أيضًا ذكر الأمور الحسنة التي يحرص على إخفائها الأخ المؤمن، خوفًا من تسلل الرياء فيبطل ثوابها كصلاة الليل ومساعدة الفقراء؛ لأنّ المقصود هو رفع شأن المؤمن لا كسره وبيان مناقصه. فذكر مناقب الآخرين وحسناتهم ومواقفهم الطيبة ونخوتهم ليست من الغيبة في شيء. اللهم إلا أن يصل الأمر إلى مستوى يؤذي هذا المؤمن واقعًا، فيصير حرامًا من باب حرمة إيذاء المؤمن، لا من باب حرمة الغيبة.

القيد الرابع: أن يكون الشخص المستغاب محددًا باسمه أو شكله أو شيء آخر يُعرف به، كأن تقول الشخص الذي ظهر البارحة على الفضائية الفلانية في الساعة الفلانية في البرنامج الفلاني، ثم تستغيبه إما بالكلام الصريح، أو بالكناية والتلويح والإشارة، بأن

تعرف الناس أن هذا قصير مثلًا، فكل الحركات وأي طريقة إيحائية توصل نقص الأخ المؤمن للآخرين فهي غيبة، فالغيبة ليست فقط بالكلام، بل ربما كانت بالإشارة أو الكناية أو التلويح أو نبرة الصوت، كالابتسامة الصفراء الباردة التي تكون أوقع من الكلام في الذم أحيانًا. فكل هذه الإشارات التي تحدد شخصًا ما تسمى غيبة.

أما لو لم يكن هناك تشخيص وتحديد لمؤمن بعينه، وإنما تريد أن تناقش ظاهرة معينة فتقول: يؤسفنا أنّه يوجد في مجتمعنا أناس تفعل كذا وكذا، أو أن هناك أناسا صارت تتعامل بكذا وكذا، أو أن هناك أناسا لا تخجل من تأريخها وجهادها وتذهب لتقضي لياليها بالملاهي، فهنا لم يُحدد شخص ما، وإنما تُناقَش ظاهرة. ولكن من مصاديق الغيبة، أن تذكر إنسانًا بأوصاف لا تنطبق إلا على مؤمن بعينه، بحيث يعرف السامع أنّه يقصد فلانًا.

القيد الخامس: أن يكون المستغاب مسلمًا، فالمشرك والكافر والملحد لا تحرم غيبته، كما سيتضح ذلك في النصوص الآتية.

القيد السادس: ألاّ يكون متجاهرًا بالفسق والفجور، فهناك من يتبجح بما فيه من نقص وسيئة وخطيئة، ولا يبالي بما يقال فيه بسبب ذلك، وهو يتجاهر بها علنًا بلا استحياء، فهنا لا يصدق وصف الغيبة لمن تكلم في عوراته؛ لأنّه ليس هناك سر فيكشفه، بل هو من يتحدث به أمام الآخرين، أو يمارسه على رؤوس الأشهاد، ولكن ربما كان حرامًا لا بسبب كونه غيبة، بل لأنّه من باب حرمة إشاعة الفاحشة مثلًا.

إذن، فهذه ستة قيود يجب وجودها مجتمعة في الكلام الصادر من شخص ضد شخص آخر حتى تسمى غيبة، وإذا لم يوجد أحدها لم تكن غيبة، وإن كان عملًا محرمًا لأسباب أخرى وعناوين أخرى.

الأدلة على أن الغيبة من الكبائر

إن الغيبة من الذنوب الكبيرة التي توعد الله (سبحانه وتعالى) صاحبها عليها بالنار، وهناك نصوص صريحة وواضحة في ذلك.

الأدلة من القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم المعصية الكبيرة والإثم العظيم في عدد من الآيات الكريمة:

منها قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[184]. أي إذا ابتعدتم عن ارتكاب الذنوب الكبيرة، فسنغفر لكم ذنوبكم

١٨٤. سورة النساء: الاية ٣١.

الأخرى وندخلكم الجنة، وأما إذا لم تفعلوا ذلك، فلن نغفر لكم شيئًا من ذنوبكم وسندخلكم النار.

وقد روى الكليني عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه) عليه في تفسير هذه الآية أنّه قال: «الكبائر: التي أوجب الله عز وجل عليها النار»[١٨٥]، أي أن الله تعالى أوجب النار على من تصدر منهم هذه الكبائر.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[١٨٦]، الهمزة هو الذي يطعن بالناس، يعني الشخص الذي يعيب الناس ويذكر عيوبهم، ومن يطعن بالناس لا تجد في قاموسه شخصًا سالمًا، حتى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لم يسلم منهم وقالوا عنه إنّه أُذُن، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[١٨٧]، أي يسمع كل ما يُقال له ويصدّقه، مع أنّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان أكمل الناس. واللمزة هو الذي يغتاب الناس ويذكر سيئاتهم ومناقصهم.

ومن هذه الآية نعرف أن الغيبة يُشترط فيها أن يكون الدافع إليها الانتقاص من الآخر وكسره وهتكه والتقليل من قيمته أمام الناس.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[١٨٨]، يشبّه الله تبارك وتعالى الغيبة بأكل الإنسان للحم أخيه الميت، وهي صورة مقززة تشمئز منها النفوس، وقد قرأت قبل فترة خبرًا غريبًا عن مقدّم برامج يفعل أشياء غريبة، وقد قام في إحدى الحلقات بقص قليل من لحم يده بسكين حارة ثم أكله. وهي صورة تثير الاشمئزاز، مع أنّه فعل ذلك بنفسه وأكل من لحمه الحي، فكيف إذا كان ذلك لحم أخيه الميت؟ فلا شك في أنّه منظر لا يطاق.

ونفهم من هذا التشبيه أن الغيبة تستهدف شخصية الإنسان، لأنّ الاستهداف يطول نفس الإنسان مرة، ويطول شخصية الإنسان مرة أخرى، أي يستهدف سمعته وموقعه وحيثيته أمام الآخرين، فالغيبة تقتل هذه الشخصية وتسحقها، مع أنّه بشخصه حي يرزق، ولكن ذهب ماء وجهه وضاع بين الناس، وكما أن الميت غاب عن الحياة، فكذلك الغيبة هي قتل شخصية المؤمن وتدمير سمعته، لتغييب أي دور إيجابي له في الحياة.

---

١٨٥. الكافي ٢: ٢٧٦، ح٣١.
١٨٦. سورة الهمزة: الاية ١.
١٨٧. سورة التوبة: الاية ٦١.
١٨٨. سورة الحجرات: الاية ١٢.

ونفهم من هذه الآية الكريمة أن هناك بعض الناس يريد أن يدمر الآخر، لكي يخلو له الجو ويصعد بلا منافس، مع أن الله تبارك وتعالى يأمر بالتنافس في الأعمال الصالحة، بقوله تعالى: «فاستبقوا الخيرات»[١٨٩]، وينبغي أن يكون هذا التنافس الشريف في سبيل الله تعالى وتقربًا إليه، لا طلبًا للدنيا من مال أو جاه أو رئاسة، فحث على التنافس في أنواع الخيرات، من طلب العلم ومساعدة الفقراء وقضاء حوائج الناس وغير ذلك من صنوف الأعمال الصالحة، لا التنافس من أجل تقوية القدرات والإمكانيات، للسيطرة على مقدرات الناس.

هناك من يريد أن يكون هو المحور وهو الكبير، من غير أن يتعب نفسه فيكون أحسن من الآخرين، فيلجأ إلى تحطيم سمعة الآخرين والنيل منهم عن طريق الغيبة وغيرها من المحرمات، ليخلي الساحة من المنافسين. وهناك من يلجأ إلى المنافسة الشريفة واستعمال الوسائل الصحيحة والسليمة للتقدم في السباق، من غير أن يسيء لأحد.

وهناك عدة دروس نفهمها من هذه الآية الشريفة:

الدرس الأول: أن من يريد أن يتألق ويتميز، عليه أن يعمل جاهدًا في أن يكون مميزا، ويكون صاحب قدرة على العطاء، لا أن يُغرق الآخرين ويسيء إليهم. والقرآن الكريم يقول إن الذي يستسيغ أكل لحم أخيه ميتًا، هو الذي يستهدف المؤمن ويشوه سمعته أمام الآخرين، لكي يصعد، ويأكل لحمه بعد قتله، لكي يعيش.

الدرس الثاني: أن الغيبة للمسلم وليس لغيره، لأنّ الآية الكريمة تقول: «ولا يغتب بعضكم بعضًا»، أي يجب ألاّ يغتاب أحدكم الآخر، فالخطاب في الآية موجّه للمسلمين، ولأنّها تقول أيضًا: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه»، والأخ لا يصدق على الآخر؛ لقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١٩٠]، فالآخر ليس أخًا بل نظير في الخلق. ولهذا عندما تقول الآية «أخيه» فمعناه أن الخطاب في دائرة المسلمين، إذن فالغيبة موضوعة في دائرة المسلمين.

الدرس الثالث: أن الغيبة تصدق إذا كان المستغاب غائبًا، وسميت الغيبة من الغياب، يعني ذكر شخص غائب بسوء؛ لأنّه إذا كان موجودًا فلا تصدق الغيبة، وإنما تدخل الحرمة تحت عناوين أخرى، كالإساءة أو الإيذاء أو الفحش، وهي من الذنوب المعروفة الأخرى.

---

١٨٩. سورة البقرة: الاية ١٤٨.

١٩٠. نهج البلاغة ٣: ٨٤، الرقم ٥٢.

الدرس الرابع : كما أن الميت لا يمكن إحياؤه، فتشبيه الغيبة بأكل لحم الميت معناه أن الشخص الذي تستغيبه وتشوه سمعته وتكسره، لا تستطيع أن تتدارك ما قمت به لاحقًا، كالزجاج الذي ينكسر، فلا يمكن إعادته إلى سابق حاله، وكذلك إذا كسر القلب لا يمكن جبره وعودته إلى سابق حاله، فالغيبة تخلق فجوة حتى لو صفح الأخ المؤمن، ولكن يبقى الجرح لا يتماثل للشفاء.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، اللهم صل على محمد وآل محمد.

تقبل الله أعمالكم، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا في هذه الأيام الشريفة الأخيرة المتبقية من شهر رمضان من المرحومين، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وكنا نتحدث عن حقوق الأخوّة، حق الأخ على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق السادس من هذه الحقوق، (يرد غيبته)، المؤمن يرد غيبة أخيه المؤمن اذا استُغيب، إذا ذُكر بسوء يدافع عنه، يقف بوجه من يهتك أخاه المؤمن، أو يسيء إلى أخيه المؤمن، ومن كان واجبا عليه أن يرد الغيبة فمن باب أولى يحرم عليه أن يستغيب هو أخاه المؤمن.

في اللقاء السابق عرّفنا الغيبة، وفصلنا بين الغيبة وبين عدد من الذنوب المحرمات، والتي فيها ذكر المؤمن بسوء أيضا، كالبهتان، والهتك، والتحقير، و السب، والشتيمة، والتشهير، وإشاعة الفاحشة، و بينا الفارق بين الغيبة وبين هذه المحرمات الأخرى، وأوضحنا العديد من القيود في تحديد الغيبة

ثم تحدثنا عن بعض الآيات القرانية الشريفة التي وردت في الغيبة، وذكرنا كيف أنها تشير إلى تلك القيود المذكورة.

الآن ننتقل إلى البحث الروائي

الأدلة من السنّة

وفي عالم الروايات هناك اهتمام واسع وكبير بموضوع الغيبة، ويشعر الإنسان بالدهشة حينما يتصفح هذه الروايات ويرى عظم هذه القضية وأهميتها، وكم لها من أثر كبير في حركة الإنسان التكاملية نحو الله (سبحانه وتعالى).

الرواية الأولى: عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «إنّ الدرهم يصيب الرجل من الربا، أعظم عند الله (سبحانه وتعالى) في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل»[١٩١].

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا أنّه قال: «إياكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل ليزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وانّ صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه»[١٩٢].

ويظهر من هذين الحديثين المباركين أن هناك نوعا من الارتباط بين الغيبة والربا، ففي الحديث الأول يقارن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الربا والزنا، ويبيّن أن الربا أعظم إثمًا من الزنا، وفي الحديث الثاني يقارن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الغيبة والزنا، ويبيّن أن الغيبة أعظم جرمًا من الزنا؛ لأنّ الربا هو نوع من التلاعب بمال الإنسان، والغيبة هي نوع من التلاعب بعرضه وحيثيته وشخصيته. فدرهم من الربا أعظم في ذنبه من ست وثلاثين زنية، وليس معنى هذا أن الزنا ذنبه قليل، بل حرمة الزنا عظيمة جدًا، ولكن المشكلة فينا، إذ نقلل من خطورة الربا.

هناك ذنوب حرمتها لدينا واضحة جدًا كشرب الخمر والزنا، وهي خط أحمر، وهي بالفعل عظيمة الحرمة، ولكن هناك ذنوبا أخرى قد تضاهيها في العظمة وبمقدارها في الخطورة أو أشد منها، ولكننا لا نبالي بارتكابها، فمثلًا لدينا تساهل في التعامل بالمال، وتساهل في الغيبة، فقد يغتاب الإنسان ولا يدري أحيانًا أن هذه غيبة، وعندما ينبّه على ذلك يبرر سوء عمله ولا يستغفر الله من ذنبه، وكثيرًا ما يذكر بعضنا بعضا بسوء في غيابه.

والربا أيضًا من هذه الموضوعات، مع أنّه من الذنوب العظيمة، وعندما يختلط المال الحرام بالمال الحلال ولو بنسبة واحد بالمائة، يصبح كله مشبوها ومالا حراما، كقطرة

١٩١. بحار الأنوار ٧٢: ٢٢٢.
١٩٢. وسائل الشيعة ١٢: ٢٨٤، ح١٨.

النجاسة من الدم مثلًا، حين تقع في كمية من الماء لا تصل إلى الماء الكثير، تنجس الماء كله، فهذه القطرة تنتشر في الماء الطاهر وتنجسه، إلا إذا كان الماء كثيرًا، وذلك بحث آخر. وهنا أيضًا لو اختلط درهم من المال الحرام بملايين من المال الحلال، فالكل يصبح مالا مشبوها، ويجب أن يحذر الإنسان منه. ثم إنّ الدرهم من الربا يفوق في جرمه وخطره وتأثيراته السلبية في الإنسان ستا وثلاثين زنية، مع أنّ الزنا يحط من عرض المسلم وشخصيته وحيثيته وكرامته وخصوصياته. ولذا يجب أن ندرك عظم المعصية عندما نتعامل بدرهم حرام، وأنّه أعظم من التعامل مع عرض الإنسان.

وكذلك الزنا، فهو من كبائر الذنوب، ومن يرتكبه يتجاوز حقًا من حقوق الله(سبحانه وتعالى)، فإذا تاب وعاد إلى الله عز وجلّ، فإنّه يتوب عليه وتنتهي القصة؛ لأنّه حق الله تعالى ويزول إذا صفح عنه، بينما صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر له صاحبه؛ لأنّها ليست من حق الله تعالى، بل هي من حق الناس، ولا بد من أن يصفح عنك المستغاب. ولو أن الله تعالى غفر لنا ما هو حقه، فماذا سنفعل بحقوق الناس حتى يعفوا عنا ويتنازلوا عنها؟ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) فوضها للناس أنفسهم وجعلها بأيديهم، ولا يكفي فيها أن يستغفر الإنسان الله (سبحانه وتعالى)، بل لا بد من طلب براءة الذمة من المستغاب نفسه، فإن أبرأ الذمة فالحمد لله، وإن رفض فلا بد من إرضائه، وإلا ستبقى الذمة مشغولة بهذا الذنب، ولذلك فالغيبة أعظم من الزنا كما أشار إليه الحديث الشريف.

الرواية الثانية: ورد في الروايات أيضا التأكيد على التعبير القرآني نفسه، في كراهية أكل لحم الأخ الميت، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»[١٩٣].

ويلاحظ أن أكثر روايات الغيبة مروية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو يعني أنّها أول الأمراض الأخلاقية التي بدأ الإسلام بمعالجتها، وهو يكشف عن خطورة هذا المرض الفتاك في المجتمع الإسلامي، بينما هناك روايات أخرى صدرت في وقت لاحق عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، في بعض مجالات العلاقات الاجتماعية لمعالجة ظواهر أخرى.

وقد تطرق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك إلى أربعة حقوق أساسية للمؤمن، تحدد الإطار العام الذي ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإيماني، وهذه

١٩٣. الكافي ٢: ٣٥٩، ح ٢.

الحقوق هي:

أولًا: «سباب المؤمن فسوق»، أي يحرم سبّ المؤمن، وأنّ من يسبّه فاسق. فالمجتمع الإيماني مجتمع خال من السب والشتم، وفي هذا الحكم إلزام للمسلم بتطهير لسانه من هذه الرذيلة، وما يتبعها من نتائج وخيمة على العلاقات الاجتماعية، واللجوء إلى وسائل أخرى من التعبير النظيف، الذي يؤدي إلى القضاء على كثير من المشاكل والتشنجات. وما زال مجتمعنا اليوم يعاني من استفحال هذه الظاهرة وتداعياتها الخطيرة، لتصل إلى درجة سبّ الخالق والدين والمذهب، وقد روجت لها فئات ضالة تريد محو قدسية الدين من نفوس المسلمين، منذ الغزو الثقافي الهائل الذي صاحب الغزو العسكري في بدايات القرن الماضي.

ثانيًا: «وقتاله كفر»، أي أنّ مجرد قتال المؤمن كفر، وإن لم يؤدِ ذلك إلى قتله، والكفر أشد من الفسق الذي يترتّب على سبّ المؤمن، لأنّ الكفر إخراج من الدين، بينما الفسق لا يستلزم الإخراج منه. فرفع السلاح في وجه المؤمن ومحاربته عمل محرم ويستتبع الخروج من الدين، سواء كان هذا السلاح باردًا كالسكين والسيف، أو حارًا كالمسدس والبندقية. ويؤكد هذا المعنى ما قاله زهير بن القين(رضوان الله تعالى عليه) مخاطبا الجيش الأموي»: ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة». [١٩٤]

ثالثًا: «وأكل لحمه معصية»، أي يحرم غيبة المؤمن، وعبّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الغيبة هنا بأكل لحم الإنسان، وهو التعبير القرآني نفسه عن الغيبة، وحكم عليها بأنّها معصية، يجب على الإنسان الإسراع إلى التوبة منها، لما يستلزمه الإصرار عليها من دخول النار.

رابعًا: «وحرمة ماله كحرمة دمه»، أي يحرم أكل مال المؤمن بالباطل، ويبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن حرمة مال المؤمن تساوي حرمة دمه، دفعًا للتصور الخاطئ أن حرمة المال أقل من حرمة الدم، فمن سرق مال المؤمن كمن قتله من حيث الذنب والمعصية والجريمة، ولا يُستثنى من ذلك سراق المال العام، إن لم يكونوا أعظم جرمًا؛ لأنّهم سرقوا مال المسلمين جميعًا.

ولا يطلق تعبير أكل لحم الميت في ثقافتنا الدينية وموروثنا الروائي إلا على الغيبة،

١٩٤. مقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبي مخنف ١١٩

الأمر الذي يؤكد خطورة هذه المعصية وعظمها، باعتبار أنها تستهدف المؤمن الغائب الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه بسبب غيابه، فينكسر أمام الناس، فكأنه ميت، فالغائب يشبه الميت في هذا الجانب، إذ يشتركان في الغياب، ويشتركان أيضًا في عدم القدرة على الدفاع عن نفسيهما، فلذلك جاء هذا التشبيه.

الرواية الثالثة: ما رواه العلامة الطبرسي في تفسيره الرائع مجمع البيان في ذيل هذه الآية: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، إذ أورد رواية تهز المشاعر كثيرًا، يقول: نزلت هذه الآية في رجلين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اغتابا رفيقهما، وهو سلمان، حين بعثاه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليأتي لهما بطعام أيام المجاعة، فبعثه إلى أسامة بن زيد، وكان خازن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما، فقالا: بخل أسامة، وقالا عن سلمان: لو بعثناه إلى بئر سميحة ـ أي مليئة بالماء ـ لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعندما دخلا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: يا رسول الله، ما تناولنا يومنا هذا لحمًا، قال: ضللتما، تأكلان لحم سلمان وأسامة»[١٩٥].

يفضح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك رجلين من المسلمين، اغتابا أخوين مسلمين لهما وذكراهما بسوء، مع أنهما كانا يسعيان لخدمتهما، الأمر الذي آثار غضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وامتعاضه، وأخبرهما بما يشاهده برؤيته البرزخية حقيقة ما كان عالقًا في أفواههما من بقايا خضرة اللحم، فاستغربا من ذلك وظنا أنّه يقصد بقايا الطعام الذي يتناولانه، ونفيا أنّهما أكلا لحمًا اليوم، فأنبأهما بأنّهما ضلّا الفهم ولم يدركا مغزى ما يريده، فاضطر إلى كشف ما اطّلع عليه من حديثهما عن سلمان وأسامة وغيبتهما لهما. وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن يخبر هذين الرجلين بأن الله (سبحانه وتعالى) قد مكّنه من الاطلاع على ما يدور بينهما وغيرهما لو شاء من كلام، ويظنان أنّه لا علم لأحد بذلك، وأنّ الله سبحانه لم يُحطه بأقوالهما وأفعالهما سرًا. فنزلت الآية الكريمة في هذه المناسبة، لتبيّن حقيقة ما شاهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وما أحسن ما قاله الشاعر:

وليس الذئبُ يأكلُ لحمَ ذئبٍ ... ويأكلُ بعضُنا بعضًا عِيانًا

١٩٥. مجمع البيان ٩: ٢٢٥.

آثار الغيبة

أولًا : الغيبة تأكل الحسنات

إنّ الغيبة تضيع العمل الصالح وتحرق الحسنات، وتبدد أفعال الخير التي يقوم بها الإنسان وتجعلها هباء منثورا، ويُعد هذا الأمر من أخطر العواقب التي يتعرض لها الإنسان، فهو لا يؤدي بصاحبه إلى التعرض للعقاب فقط، بل يمحق ما حصل عليه من الأجر والثواب. فعن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: «الغيبة حرام على كل مسلم، وإنّها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[١٩٦]، فكما تأكل النار الحطب وتحوله إلى رماد، فكذلك الغيبة تأكل الحسنات وتذرها قاعًا صفصفًا.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «يُؤتى بأحدكم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى، ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي، فإنّي لا أرى فيه طاعتي. فيقول له: إن ربك لا يضل ولا ينسى. ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي، فإنّي ما عملت هذه الطاعات. فيقول له: إن فلانًا اغتابك فَدُفعت حسناته إليك»[١٩٧].

تتحدث هذه الرواية الكريمة عن نقل الحسنات من الشخص المغتاب إلى حساب الشخص المستغاب، أي أن للغيبة ثمنا باهظا يدفعه الإنسان في يوم القيامة؛ عندما يجد ثواب أعمال صالحة قد ادّخرها لهذا اليوم، كيف ذهب مقابل كلمات نطق بها في الدنيا ضد مؤمن، للحط من قيمته وتشويه سمعته.

لذا علينا أن نكون حذرين جدًا في التعامل مع الآخرين، لئلا تذهب أعمالنا، ولا يبقى لنا غير الحسرات، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

ثانيًا : الإخراج من ولاية الله

عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته، ليسقطه من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[١٩٨].

وفي هذه الرواية المباركة إخبار بأن الغيبة تشمل بالإضافة إلى ما يراه الإنسان بعينه من

---

١٩٦. بحار الأنوار ٧٢: ٢٥٧، ح٤٨.
١٩٧. بحار الأنوار ٧٢: ٢٥٩، ح٥٣.
١٩٨. وسائل الشيعة ١٢: ٢٩٤، ح٢.

فعل سيئ لمؤمن، ما تسمعه أذناه فيرويه للآخرين، وتضيف هذه الرواية شرطًا لصدق الغيبة على ما ينقل عن المؤمن، وهو قصد الإساءة إليه والحط من سمعته في المجتمع، وأما إذا لم يكن هذا القصد موجودًا، وكان نقل الإنسان لما يراه أو يسمعه عن المؤمن لسذاجة، أو لقصد آخر من المقاصد التي حددتها الشريعة في روايات أخرى فلا يُعد غيبة، كما مرت الإشارة إلى بعضها سابقًا. ثم تبيّن الرواية أثرًا خطيرًا جدًا، وهو أنّها تُخرج الإنسان من ولاية الله (سبحانه وتعالى)، وتدخله في ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان؛ لأنّه يكون قد وصل إلى نهاية الخط بعمله هذا، ولا يحتاج بعدها إلى جهد آخر للإيقاع به وإضلاله.

ثالثًا: تضييع دين الإنسان

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»[١٩٩]، أي الغيبة تقضي على دين المسلم وتدمره بشكل سريع، كما يأكل المرض الخبيث المعروف بمرض الآكلة جوف الإنسان بشكل سريع. فالإنسان الذي يمارس الغيبة ويغفل عن نفسه قليلًا، فإنّه سيفقد دينه ولا يستطيع استعادته بسهولة، ولهذا لا نتعجب عندما نرى أناسا كانوا متدينين ثم فقدوا دينهم سريعًا بسبب الغيبة.

إنّ الغيبة والنميمة يحتّان الإيمان حتًّا كما يعضد الراعي الشجرة، فللغيبة الأثر السريع في زوال دين المسلم، كالشجر الذي تتساقط أوراقه سريعًا في فصل الخريف، حينما يهزها الراعي لتكون علفًا لقطيعه.

رابعًا: إحباط الأعمال

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث. قيل: يا رسول الله وما يحدث؟ قال: الاغتياب»[٢٠٠].

يحث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المسلمين على الدخول إلى المسجد وانتظار الصلاة إلى حين دخول وقتها، ويقول إن ذلك في حد نفسه عبادة، ولكنه يحذر في الوقت نفسه من آفة مهلكة تقضي على هذه العبادة، بل تهدد جميع عباداته كما مر في روايات سابقة، إلا وهي الغيبة.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «يكتب الحفظة عمل العبد

١٩٩. الكافي ٢: ٣٥٧، ح١.
٢٠٠. الكافي ٢: ١٣٥، ح٧.

من حين يصبح إلى حين يمسي، ثم يرتفع الحفظة بعمله له نور كنور الشمس، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فيزكيه ويكثره، فيقول له: قف فاضرب بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، أمرني بذلك ربي»[٢٠١].

يشبّه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ العمل الصالح في هذه الرواية بأشعة الشمس، أي هو نور يصعد إلى السماء، كما أن أشعة الشمس نور ينزل إلى الأرض، وقد قيض الله (سبحانه وتعالى) ملكًا في الطريق يسمى ملك الغيبة، ينظر في أعمال العباد فيرجع بعضها ويضربه في وجه صاحبه، وهي الأعمال الصالحة لأهل الغيبة، ويأذن لأعمال آخرين بالصعود، وهي الأعمال الصالحة لمن تنزهوا عن الغيبة.

خامسًا: حرمان المغتاب من دخول الجنة

عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «تحرم الجنة على ثلاث: على المنان، وعلى المغتاب، وعلى مدمن الخمر»[٢٠٢]. يبيّن هذا الحديث الشريف الخطر الماحق لثلاث رذائل أخلاقية تحرم مرتكبيها من دخول الجنة، وهم:

أولًا: النمّام، وهو الذي ينقل الكلام السيئ من شخص إلى آخر، والنميمة مرض أخلاقي يصاب به بعض الناس، فيتلذذ بإثارة النزاعات والخصومات بين الناس، فيظهر الصلاح لهذا ويظهر الشفقة لذاك ليصدّقوا كلامه ويقع موقعه في القلوب، بعد أن يزيد في الكلام وينقص.

الثاني: المغتاب، وهو الذي يكشف عيوب المؤمنين ويظهرها للناس لتشويه سمعتهم، وهذا أيضًا ممن لا أمل لهم بدخول الجنة.

الثالث: مدمن الخمر، وهو الذي يصر على شرب الخمر ولا يترك تناوله استخفافًا بحرمته. ووضع مدمن الخمر إلى جانب النمام والمغتاب يعني أن له تصرفات تسيء إلى المجتمع، لأنّه فاقد لعقله الذي يستطيع به التحكم بسلوكه، وحينئذ لا يُؤمَن منه أي تصرف مشين يخل بالمجتمع.

وللحديث تتمة في الجلسة المقبلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

٢٠١. بحار الأنوار ٦٧: ٢٤٦، ح٢٠.
٢٠٢. بحار الأنوار ٧٢: ٢٦٠، ح٦١.

المحاضرة الأخلاقية العشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، اللهم صل على محمد وآل محمد.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في ما تبقى من شهر رمضان المبارك، نسأل الله أن يجعلنا في هذه الأيام من المرحومين وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام السابقة في الأخوّة الإيمانية، ووصلنا إلى الحق السادس، (يرد غيبته)، وقلنا إنّ رد الغيبة حق للمؤمن على أخيه المؤمن.

وتحدثنا عن الغيبة، حدودها وتعريفها ومساحتها، ثم تحدثنا أيضا عن عظمة هذا الذنب، واستعرضنا خمسة آثار للغيبة.

ننتقل إلى الأثر السادس.

سادسًا: سلب الإيمان من المغتاب

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فانّه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته»[٢٠٣].

تبيّن هذه الرواية الشريفة أن المغتاب لا إيمان له، وهي تخاطب أهل الغيبة: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه»، أي أنّهم ليسوا مؤمنين حقيقة، بل نطقوا بالشهادتين

٢٠٣. بحار الأنوار ٧٢: ٢١٤، ح١٠.

بألسنتهم حقنًا لدمائهم، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، وطلب منهم أن يكفوا عن اغتياب المسلمين، ثم يطلب منهم ألاّ يتتبعوا عوراتهم، فإنّه من يفعل ذلك، فإنّ الله عز وجل يتتبع عورته ويفضحه على رؤوس الأشهاد ولو كان مختبئًا في زاوية من زوايا داره، وقد مر الحديث عن هذه الرواية سابقًا.

جزاء الغيبة في يوم القيامة

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرّب إليه يوم القيامة، فيقال له: كُله حيًا كما أكلته ميتًا، فيأكله ويكلح ويصيح»[٢٠٤].

تتحدث هذه الرواية الكريمة عن مشهد من مشاهد يوم القيامة حيث تتجسد الأعمال، فيؤتى بالإنسان المغتاب بحضور عام من الناس يوم المحشر، ثم يؤتى بالجسد الميت لمن اغتابه ويُطلب منه أن يأكله على رؤوس الأشهاد، فيضطر إلى أكله رغم كراهيته له؛ لأنّه لم يرعَ حرمة المؤمن في الدنيا، ولم يتدارك سوء عمله هذا، ويعترف أمام من اغتابه بما فعل ويطلب منه براءة الذمة، وضيّع الفرصة منه بسبب غيّه وتمرده على الخطاب الإلهي بتحريم الغيبة.

إذن فالصورة التي تتحدث عنها الآية الكريمة: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه»، لم تكن مجرد تشبيه لبيان قبح الغيبة، بل هي الصورة الواقعية للغيبة في يوم القيامة، وهو مشهد من المشاهد التي لا يطيق الإنسان رؤيتها، فكيف إذا طُلب منه أن يفعل ذلك بنفسه ويأكل لحم أخيه ميتًا؟.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه قال: «مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم»[٢٠٥]. تستعرض هذه الرواية الكريمة مشهدًا آخر من مشاهد يوم القيامة، وهو العذاب الذي يُعذب به المغتاب في الآخرة، وقد رأى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هذا المشهد وسأل جبرئيل عنه، فأخبره أنّه العذاب الذي يُعذب الله (سبحانه وتعالى) به أهل الغيبة في جهنم، وقد نقله لنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لكي نحذر من الغيبة ونبتعد عنها، فهل نحن منتهون؟.

وورد في رواية: «أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران أن المغتاب إذا تاب

٢٠٤. مجمع الزوائد ٨: ٩٢.
٢٠٥. بحار الأنوار ٧٢: ٢٢٢.

وقُبلت توبته، فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم يتب فهو أول من يدخل النار»[٢٠٦]، وهذا يكشف عن حجم هذا الذنب وعظمته وتأثيره الكبير في حياة الإنسان ومصيره الأخروي.

حقيقة مدمن الغيبة

ورد في بعض الروايات أن مدمن الغيبة ليس بطيب المولد ولم يولد من حلال، وهذا الإدمان يكشف عن خبث المنبت.

فعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، فإنّها إدام طعام كلاب النار»[٢٠٧].

يكشف هذا الحديث المبارك عن حقيقتين مهمتين بشأن أهل الغيبة، وهما:

أولًا: أن أهل الغيبة أولاد نطفة حرام، وليسوا أولاد حلال كما يزعمون.

ثانيًا: معنى أن الغيبة طعام كلاب النار، هو أن أهل الغيبة هم كلاب النار، لأنّهم أسوأ الناس، وأنّ حقيقتهم في جهنم أنّهم كلاب النار، ويتقوتون على لحوم الأموات.

وكما نرى في الحروب كثرة الـولادات المشوهة خَلقيًا بسبب استعمال المواد المسرطنة والبيئة الملوثة، وكما أن البيئة المناخية الملوثة تنتج ولادات مشوهة، فكذلك البيئة الأخلاقية الملوثة تنتج حصيلة ملوثة أخلاقيًا، فلا يعني المنبت الحرام بالضرورة أن يتكون الولد من نطفة حرام، بل يمكن أن يعني أنّه تكوّن من أب وأم شرعيين، ولكنهما غير مهتمين بما يأكلان ويشربان، أمن حلال هو أم من حرام؟، وغير مهتمين أين يسكنان، أفي مكان مغصوب أم في مكان مباح؟، وحينئذ ماذا يتوقع من الطفل الذي سيولد من اللقمة الحرام أو في المكان المغصوب؟. فالتساهل في هذه الأمور يؤدي إلى أن تكون النطفة موبوءة، فتقع في مثل هذه المعاصي والذنوب. وقد يكون هذا المعنى هو أحد تفسيرات هذه الرواية الشريفة.

وسائل الغيبة

لا تقتصر الغيبة على ذكر المغتاب للآخرين بلسانه وتلفظه بكلمات تسيء إليهم، كما مرت الإشارة إليه في ثنايا الروايات السابقة، بل يتعدى ذلك إلى كل ما يفهم منه كشف

٢٠٦. بحار الأنوار ٧٢: ٢٢٢.
٢٠٧. بحار الأنوار ٧٢: ٢٤٨، ح١٣.

عيوب الآخرين، ولو عن طريق استعمال الإشارة، أو الكتابة، أو الابتسامة، أو الكناية، كأن يقول كلاما في بعض الناس الذين يلبسون اللون الأصفر مثلًا، أو هذا الذي قال كذا وكذا، أو تقاسيم الوجه، أو نبرة الصوت، أو النظرة بالعين، أو أي طريقة من طرق التعبير، تكون فيها إساءة للمؤمن المشخص الذي تعرفه الناس.

فعن عائشة تقول: «دخلت علينا امرأة فلما ولّت ـ تعني خرجت ـ أومأت بيدي أنّها قصيرة. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قد اغتبتها يا عائشة»[٢٠٨]، فالإشارة باليد الى عيب ظاهر أو ما يعتبر نقصا في العرف غيبة، ولاسيما أنّ القصر أو الطول أو اللون أو العرج وأمثال ذلك لا دخل للإنسان في إيجادها، وليست هي من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك اعتبرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غيبة.

طريقة التخلص من الغيبة

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما يريد أن ينتقد ظاهرة يتصف بها البعض يقول: ما بال قوم هكذا فعلوا أو هكذا قالوا، فلفظة «قوم» لا تتحدد بشخص معيّن، ولا تشير إليه، والمقصود منها علم الناس بوجود مثل هذه الظاهرة في المجتمع والتحذير منها، ولعل أصحابها يقلعون عنها عند إثارتها بشكل رسمي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وورد في الحديث: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا بلغه عن الرجل شيء صعد المنبر وقال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»[٢٠٩]، وهذا أسلوب غير مباشر لتنبيه الشخص المقصود، من غير الإشارة إليه من قريب أو بعيد، ومن غير أن يفهم أحد من الناس أن المقصود هو فلان، ويتضمن في الوقت نفسه نصيحة المسلمين بترك تلك الأعمال السيئة التي يتحدث عنها.

حرمة الاستماع إلى الغيبة

الموضوع الآخر في الغيبة الذي يجب أن يحظى بأهمية فائقة، هو حرمة الاستماع إلى الغيبة، إذ كما يحرم على الإنسان أن يغتاب ويذكر الآخرين بسوء في غيابهم، فكذلك يحرم عليه أن يستمع إلى الغيبة، فسامع الغيبة شريك للمغتاب في الإثم.

---

٢٠٨. مسند أحمد ٦: ٢٠٦.

٢٠٩. انظر: بحار الأنوار ٧: ٢٢٩، ح٥.

فعن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «السامع للغيبة أحد المغتابين»[٢١٠]، والمقصود من مستمع الغيبة هنا الساعي لسماعها، أو الساكت عند سماعها وترك وظيفته في الرد على المغتاب والدفاع عن المؤمن المستغاب.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «الغيبة كفر، والمستمع لها والراضي بها مشرك»[٢١١]، أي أن المغتاب إنسان كافر خارج عن ربقة الإسلام عند الله عز وجل، وإن اعتبره أهل الدنيا مسلمًا، وأنّ المستمع لها والراضي بها مشرك حقيقة عند الله عز وجل، وإن اعتبره أهل الدنيا مسلمًا، وأما من استمع إلى الغيبة ولم يكن راضيًا بها قلبه، ولكنه ترك العمل بوظيفته في الرد على المغتاب فلا يعد مشركًا، ولا شك في أن المغتاب أشد جرمًا من المستمع الراضي بالغيبة، ولذا وصف الأول بالكفر والثاني بالشرك، كما جاء ذلك في الرواية المسندة عن الإمام الباقر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قوله: «والله إن الكفر لأقدم من الشرك وأخبث وأعظم»[٢١٢]، وأما تسمية المغتاب بالكافر، فلأنّه تمرد على طاعة الله عز وجل وعمل بما حرّم، كما روي ذلك مسندًا عن الإمام الباقر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أيضًا قال: «من اجترأ على الله فأبى الطاعة وأقام على الكبائر فهو كافر»[٢١٣].

أما وجه تسمية مستمع الغيبة الراضي بها بالمشرك، فلأنّه عصى الله سبحانه وأطاع الشيطان، كما ورد هذا المعنى عن الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٢١٤]، قال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم»[٢١٥].

وهذا ما يؤكد أن المسؤولية تقع على كل الجوارح وليس على اللسان فقط، ولا ينفع المستمع قوله: لم أتكلم ولم أنطق ببنت شفة، ولم أقصد سماع الغيبة وإنما وقعت اتفاقًا، لأنّه راضٍ بها، والراضي شريك في العمل، فالراضي بالظلم يعد شريكا بالظلم، كما ورد ذلك في بني إسرائيل الذين كانوا في زمن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، واتهامهم بقتل الأنبياء، مع أن أجدادهم قبل مئات السنين هم الذين فعلوا ذلك، لأنّهم

٢١٠. بحار الأنوار ٧٢: ٢٢٦.
٢١١. مستدرك الوسائل ٩: ١٣٣، ح٦.
٢١٢. الكافي ٢: ٣٤؛ ح٢.
٢١٣. الكافي ٢: ٣٨٤، ح٣.
٢١٤. سورة يوسف: الاية ١٠٦.
٢١٥. الكافي ٢: ٣٩٧، ح٣.

رضوا بذلك، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢١٦].

وكما أن لسان الإنسان محاسب على ما ينطق به، كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٢١٧]، فكذلك سمع الإنسان مسؤول عما يسمع ومحاسب عليه، فإنّ بعض الذنوب التي نُهي الإنسان عنها تتعلق بالأذن؛ كحرمة استماع الغناء مثلاً، ففي الرواية: «إنّ رجلاً جاء إلى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: إن لي جيرانًا ولهم جوار يتغنين ويضربن بالعود، فربما دخلت المخرج فأُطيل الجلوس استماعًا منّي لهم. فقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تفعل. فقال: والله ما هو شيء أتيته برجلي، إنما هو سماع أسمعه بأذني؟ فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما سمعت الله عز وجل يقول: «إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا»؟ فقال الرجل: بلى والله، فكأنّي لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله عز وجل من عربي ولا عجمي، لا جرم انّي قد تركتها، وانّي استغفر الله. فقال له الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: قم فاغتسل وصلّ ما بدا لك، فلقد كنت مقيمًا على أمر عظيم، ما كان أسوأ حالك لو مت على ذلك دون أن تستغفر وتتوب»[٢١٨].

وقال الشاعر:

وسمعكَ صُنْهُ عن سماعِ القبيحِ كصون اللسانِ عن النطقِ بهِ

وقد سمعت في أحوال الإمام السيد محسن الحكيم «قدس سره»، أنّه عندما يكون على المنبر في مجلس الدرس، وتمر سيارة في الشارع قد فتح صاحبها المذياع على موسيقى عالية، يشمئز ويتأوه ويقول: لا إله إلا الله، ثم يرجع فيكمل درسه. ولذا ينبغي للمؤمن أن يصل إلى مستوى من القرب الإلهي، بحيث عندما يرى أو يسمع المعصية يشمئز منها.

وورد في رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقًا إلى قلبك، إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرًا أو تكسب خلقًا كريمًا، فإنّه باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر، ولا قوة إلا بالله».

فالسمع طريق إلى القلب، فلا ينبغي للإنسان أن يعطي أُذنه إلا لما يحقق الاطمئنان

---

٢١٦. سورة آل عمران: الاية ١٨٣.
٢١٧. سورة ق: الاية ١٨.
٢١٨. بحار الأنوار ٦: ٣٤، ح٤٨.

لقلبه، كالنصيحة والموعظة والكلمة الطيبة وسماع القرآن، لأنّ السمع باب الكلام إلى القلب، فإنّ الإنسان إذا أراد الكلام مع قلبه، فإنّه من خلال الأُذن يوصل إلى القلب أنواع المعاني، ولكن الأذن لا تستطيع التمييز بين ما ينبغي أن تسمعه وما لا ينبغي أن تسمعه، فهي طريق لا أكثر للسماع، فيمكن أن تسمعها قرآنًا، ويمكن أن تسمعها موسيقى وأغاني، والعقل هو الذي يجب أن يتحكم بالسمع.

أكتفي بهذا المقدار اليوم، نكمل حديثنا في جلسة مقبلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الأخلاقية الحادية والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، اللهم صل على محمد وآل محمد.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في صيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، لا نعرف ما إذا كان هذا اليوم هو اليوم الأخير من شهر رمضان أو أن لنا فرصة لنصوم يوما آخر، وكيفما كان أصبحنا على مشارف الانتهاء، وأصبحنا في موقف التوديع لهذه التحفة الإلهية، لهذه العطية الإلهية، ما أجمل رمضان! وما أطيب أيامه ولياليه!، وكم يعتز الإنسان وهو يمارس هذه الشعيرة، ويؤدي هذه الفريضة الإلهية، ليزداد قربا إلى الله (سبحانه وتعالى)، نسأل الله أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لانكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في حقوق الأخوّة الإيمانية، وكنا قد انتهينا إلى الحق السادس من حقوق الإخوّة (ويرد غيبته)، المؤمن يرد غيبة أخيه المؤمن، فكان منفذا للحديث عن الغيبة، حدودها، تعريفها، خطورتها، الآيات والروايات الواردة فيها. ثم انتقلنا للحديث عن خطورة الاستماع للغيبة وقلنا إنّ من يستمع لها كمن يتحدث بها في العقاب الإلهي.

وقلنا لا يُكتفى بأن لا نسمع الغيبة، أو ننهى من يغتاب، بل يجب أن ندافع عن المؤمن المستغاب، غير الحاضر بيننا، هذا هو التضامن الاجتماعي الحقيقي، هذه هي الفرصة الأساسية التي تمكّن الجميع من أن يتضامنوا ويتداعوا ويتعاونوا ويساند بعضهم بعضا، فتتولد عصبة، جماعة صالحة مؤمنة، من خلال مثل هذا التضامن في ورد الغيبة.

إذًا هناك حرمة للغيبة، وهناك حرمة للاستماع، وهناك وجوب للنهي عن الغيبة، وهناك الأمر الرابع، وجوب رد الغيبة والدفاع عن الأخ المؤمن.

الفرق بين النهي عن الغيبة والردّ عليها

يقول الشيخ الأنصاري في كتابه الشريف المكاسب المحرمة في هذا الموضوع: «والظاهر أن الردّ غير النهي عن الغيبة»[٢١٩]، أي ردّ الغيبة غير النهي عن الغيبة، فالنهي عن الغيبة أن نأتي للمغتاب ونقول له: لماذا تغتاب؟ أليس هذا حرامًا؟ لماذا تهتك أعراض الناس؟ لماذا تكشف مناقص الناس ومثالبهم؟ وأما الردّ على الغيبة فالمراد به الانتصار للغائب الذي تمت استغابته بما يناسب تلك الغيبة، وإذا كانت الغيبة في ذكر منقصة لمؤمن، فالردّ هو دفاع في ردّ تلك المنقصة، والمنقصة تارة دنيوية كأن يُقال: هذا الحائر بلقمته أو هذا الذي ملابسه رثة، في إشارة إلى فقره، أو يقال: هذا الذي يلثغ بلسانه إشارة إلى نقص في تلفظه، فإن كانت المنقصة في أمر من أمور الدنيا من فقر أو عدم قدرة على إتقان العمل أو أي شيء من أمور الدنيا، فيجب الانتصار له بأن العيب ليس إلا ما عاب الله به، أي أن العيب حقيقة هو الذي يعيبه الله (سبحانه وتعالى) وينهى عنه، وهي المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) لم ينه أن يكون الإنسان أعور أو أعرج أو أصم أو يلثغ بلسانه، والدفاع أن نقول للمغتاب: لماذا تتكلم هكذا؟ فالعيب إنما هو الذي جعله الله عيبًا ونهى عنه، ومنه ذكرك الآخرين بسوء والنيل من قيمتهم ومقدارهم، فهذا هو العيب الحقيقي، والعرج والعور وأمثالهما ليست عيبًا أو منقصة أو مثلبة، بل هو ابتلاء من الله سبحانه، والمفروض أن نقف معه وندعمه ونيسّر أمره ونتعاطف معه، فإنّ النقص في العضو ليس نقصًا في الشخصية الإنسانية، ولا ذنب للإنسان في وجوده، ولم يعبه الله سبحانه به، بل العكس هو الصحيح، فإنّ له الأجر العظيم لصبره على هذا البلاء وحسن تعامله معه.

وكذلك لا يعدّ عيبًا ومنقصة من قتر الله تعالى عليه رزقه وابتلاه بالفقر، فلا ينبغي أن يُنتقص من الإنسان لفقره ويقال مثلًا: لو كان فيه خير لعرف كيف يكسب المال، أو إنّه لا يعرف كيف يتاجر، وكيف يقال مثل هذا الكلام وعدد من أثرياء العالم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، بينما هناك عدد من عقول الاقتصاد العالمية ومن أصحاب الشهادات العليا في الاقتصاد، حائر بلقمته وقوت عياله، والله (سبحانه وتعالى) يريد أن يقول إنّه هو الرزاق ذو القوة المتين، وصحيح أنّه أمرنا أن ندخل البيوت من أبوابها ونتعلم صنعة

٢١٩. المكاسب المحرمة ١: ٣٦٣.

لنكسب بها أرزاقنا، وأن نعمل وفقًا للقواعد الصحيحة، ولكنه وضع استثناءات، فهناك عقل اقتصادي كبير ينظّم اقتصاد دولة أو مدينة، ويقود تحولا هائلا وكبيرا ليصل بها إلى صف الدول المتطورة اقتصاديًا، بينما هو في حياته الشخصية حائر بلقمة عيشه.

وأما إذا كان العيب عيبًا دينيًا، وكانت المنقصة في الدين لا في الدنيا، فعند اغتيابه يُدافع عنه بوجوه ومحامل تخرجه عن المعصية، كتارك الصلاة في أول وقتها، فيُدافع عنه بأن نقول: لعل ملابسه كانت غير طاهرة، أو لعله يحرص على الصلاة في بيته لسبب ما، وهكذا يبرر عمل المؤمن ويوجه موقفه بالشكل الذي يلائمه ويناسب مقامه، بحيث يكون ما يظهر منه غير معصية، فهذا دفاع عنه أمام الآخرين. وأما نهيه عن ترك فضيلة أول الوقت فيقال له: لا نقبل منك هذا الشيء، فأنت أخ مؤمن وقد تركت وقت الفضيلة، ويجب عليك المبادرة إلى الصلاة في أول وقتها.

ومثال آخر لو شوهد يكذب، فهنا يجب الدفاع عنه بأن يقال يحتمل أن يكون التقرير الذي قُدّم له كان خاطئًا، وقد تكلم على ضوء معطيات التقرير، أو توهم فقال شيئًا غير واقعي، ولكنه لم يقصد أن يكذب، والكذب ليس فقط بيان أمرخلافًا للواقع، بل هو تعمد بيانه خلافًا للواقع، ونحو ذلك، فنبحث عن مبرر لنوجه العمل بما يخرجه عن المعصية.

فإن لم يكن العمل يقبل التوجيه، انتصر له بأن المؤمن قد يُبتلى بالمعصية، فينبغي أن يستغفر له ويهتم به، لا أن يُعيّر به، ولعل تعييرك إياه أعظم عند الله من معصيته، وينبغي في مثل هذا أن نرفع أيدينا بالاستغفار له، ونصلي له ركعتين ونطلب من الله تعالى أن يهديه. وعلينا أن نهتم به وننصحه ونعالجه من هذا المرض الأخلاقي والنفسي، لا أن نجلس لنعيّره به، وحينئذ سيكون ذنب التعيير أعظم من ذنب المعصية نفسها.

إذن يجب ردّ الغيبة عن المؤمن في جميع الحالات، سواء كانت في أمر الدنيا أو أمر الدين، وسواء كان هذا العمل يحتمل التبرير أو لا يحتمل التبرير، فإن احتمل التبرير بررنا له ما صدر منه ما ظاهره خالف الشريعة، وإن لم يحتمل التبرير قلنا ضعفت نفسه وارتكب معصية، ونستغفر له وننصحه ونساعده، والمعصية مرضاأخلاقي وروحي، والمرض الأخلاقي يحتاج إلى مساعدة في العلاج، وليس التعيير طريقًا للعلاج، وكذا ليس الهجران والابتعاد طريقًا للعلاج؛ لأنّنا حينئذ نساعده أكثر في الابتعاد عن طاعة الله (سبحانه وتعالى). ولهذا يجب ردّ الغيبة عن الأخ المؤمن على كل حال.

آثار ردّ الغيبة

عندما نراجع الروايات نرى أن هناك آثارًا إيجابية تترتب على نصرة المؤمن وردّ غيبته، وهناك آثار سلبية تترتب على خذلانه وترك نصرته، ومن تلك الآثار الإيجابية:

الأول: الشمول بالنصرة الإلهية

إنّ من يردّ الغيبة عن أخيه المؤمن تشمله العناية الإلهية، وينصره الله تعالى في الدنيا والآخرة، ففي الرواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره، نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة»[٢٢٠]. وقد اشترطت هذه الرواية الشريفة القدرة على النصرة في وجوب ردّ الغيبة عن المؤمن ونصرته، ولكن ينبغي ألاّ يجعل ذلك ذريعة للتنصل من نصرة المؤمن؛ لأنّ مرجع ذلك في نهاية المطاف الذي يعلم ما تخفي الصدور وحقيقة الأمور.

وأما الأثر المترتب على النصرة هنا، فهو الحظوة بالنصرة الإلهية في الدنيا والآخرة، ومن نصره الله فلا غالب له. وهذا باب من أبواب الحصول على النصرة الإلهية على أعدائه في الدنيا والآخرة، فتحه الله تعالى لمن ينصر أخاه ويردّ عنه الغيبة، ولهذا ينبغي أن يغتنم الإنسان هذه الفرصة ليحظى بالعون اللامتناهي من الله القوي العزيز، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

الثاني: دفع البلاء

ومن آثار ردّ الغيبة أيضًا أن الله عز وجل يدفع البلاء عن الرادّ، فعن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس فردّها، ردّ الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا وفي الآخرة»[٢٢١]. نلاحظ في هذا الحديث الشريف كسابقه، أن الجزاء يكون من جنس العمل، فالنصرة وإغلاق ألف باب من الشر يجانسان فعل الإنسان في ردّ الغيبة عن أخيه المؤمن، وليس هذا في الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضًا، فالثواب الذي يتلقاه الإنسان على فعل الخير والمعروف غالبًا ما يكون أخرويًا، وفي بعض الأحيان يكون دنيويًا، ولكن هنا يكون الجزاء في الدنيا والآخرة معًا، الأمر الذي يدل على عظمة هذا العمل عند الله تبارك وتعالى، وهو يوازي العقاب الشديد للمغتاب في الدنيا والآخرة.

٢٢٠. بحار الأنوار٧٤: ٨٩.
٢٢١. بحار الأنوار ٧٣: ٣٦٤.

الثالث : وجوب الجنة

ومما يحصل عليه الإنسان من ردّ الغيبة عن المؤمن هو حتمية دخول الجنة ، فقد ورد عن الرسول الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنّه قال : «من ردّ عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة ألبتة»[٢٢٢] . والمقصود بالعرض هنا هو كل ما يمس كرامة المؤمن والنيل من سمعته .

وأما الأثر السلبي لترك ردّ الغيبة عن المؤمن ، والتنصل من الدفاع عنه بوجه من يريد الحط من قيمته ، هو الذل والهوان في الدنيا والآخرة ، فقد ورد في تكملة الرواية الأولى : «ومن خذله وهو يستطيع نصره ، خذله الله في الدنيا وفي الآخرة» ، أي كما أن النصرة الإلهية تكون من نصيب من يردّ الغيبة عن المؤمن ، فكذا هنا يكون الخذلان الإلهي في الدنيا والآخرة لمن ترك ردّ الغيبة عن المؤمن .

وورد في تكملة الرواية الثانية ذكر أثر غريب جدًا في من ترك ردّ الغيبة عن المؤمن ؛ إذ قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : «فإن هو لم يردّها وهو قادر على ردّها ، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة» ، فالساكت عن الردّ مع استطاعته ذلك ، عليه من الإثم والعقاب بمقدار سبعين ضعفًا من الإثم والعقاب على المغتاب . وهذا الكلام النبوي المقدس لا لمجرد التهديد والتهويل لمن ترك ردّ الغيبة ، بل هو أثر لا محالة واقع ؛ لأنّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [٢٢٣] ، كما شهد بذلك القرآن الكريم الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [٢٢٤] .

ويقول الشيخ الأنصاري في بيان مغزى تضاعف العقوبة المذكور في هذه الرواية : «ولعل وجه زيادة عقابه ، أنّه إذا لم يردّه تجرأ المغتاب على الغيبة ، فيصرّ على هذه الغيبة وغيرها»[٢٢٥] ، لأنّ السكوت يطلق رسالة خاطئة للمغتاب ورسالة خاطئة للمجتمع ، فالرسالة الخاطئة للمغتاب ، أنّه قل ما تشاء في انتهاك أعراض المؤمنين والنيل من سمعتهم ، بل وافعل ما يحلو لك ، فإنّ أحدًا لا يتعرض لك ولو بكلمة عابرة أو نظرة غاضبة .

فإذا سُكت عن الغيبة تجرأ المغتاب أكثر فأكثر ، حتى يصل به الأمرإالى أن يتجرأ على

٢٢٢ . بحار الأنوار ٦٨ : ٤٧ ، ح٥٧ .
٢٢٣ . سورة النجم : الاية ٣ ـ ٤ .
٢٢٤ . سورة فصلت : الاية ٤٢ .
٢٢٥ . المكاسب المحرمة ١ : ٣٦٢

كل محترم ومقدّس، فيصبح الإنسان بسكوته وتركه الدفاع عن أخيه المؤمن، مشجعًا للمغتاب على مزيد من الغيبة والاعتداء على أعراض المؤمنين والنيل من سمعتهم. وبسبب هذه الثقافة الخاطئة نكون قد وجهنا رسالة للمجتمع أيضًا، لكي يمارس بالتدريج رذيلة الغيبة بعضه للبعض الآخر، وسنجد كل شخص ينال من الآخر وتكثر الشائعات واللغط، وحينئذ لن يسلم أحد، ولا تبقى لأحد قيمة ولا حرمة، لأنّ الجميع مستهدفون.

أسباب الغيبة

هناك موضوع شيّق آخر؛ وهو الأسباب والدوافع الكامنة وراء الغيبة، فنلاحظ في الآيات الشريفة التي تتحدث عن ردّ الغيبة، أنها تتحدث أيضًا عن سببين للغيبة؛ وهما سوء الظن والتجسس، فهذان الأمران يسببان الغيبة، إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [٢٢٦]، فعندما يبدأ الإنسان بإساءة الظن بشخص ما ويشك به، يتفعل عنده حب الاستطلاع، ويشرع بمراقبته وسؤال الآخرين عنه والنبش عن تأريخه لعلّه يجد مثلبة ما، بل يتعدى البعض إلى أبعد من ذلك؛ عندما يبحث عن عائلته وأقربائه وأصدقائه، لعلّه يجد بغيته المنشودة في تحطيم سمعة ذلك الشخص، بل لا يتورع البعض عن استعمال أخبث الأساليب، للإيقاع بالمؤمن وإغرائه في أمر سيئ، ليشوّه سمعته ويحط من قدره ومنزلته في المجتمع. فهل فوضه الله (سبحانه وتعالى) في أمر الجنة والنار؟ وهل سمح له بالتجسس على المؤمنين؟،

إنّ سوء الظن يحرك الفضول فيبدأ الإنسان بالتجسس، وبالعكس فإنّ التجسس يولّد سوء الظن، عندما يجد أخطاء على من يتجسس عليه، وأحيانًا لا يوجد شيء يقلل من قيمة الشخص، ولكن عندما يوضع تحت مجهر المراقبة تتبيّن أخطاؤه بشكل تدريجي، فيتولد سوء الظن به، فسوء الظن ينتج التجسس، والتجسس ينتج غيبة. والتجسس يعمّق سوء الظن، وسوء الظن العميق ينتج غيبة، وهكذا نرى هذه العناصر الثلاثة يرتبط بعضها بالآخر، ولذلك نرى التسلسل الرائع في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم»، فالخطاب موجه إلى المؤمنين وليس إلى الناس، أي أن هذا الحق من الحقوق الإيمانية. ولأنّ بعض الظن إثم، وحتى لا يقع فيه المؤمن، وسّع الدائرة وأمره بألاّ يظن بأخيه المؤمن سوءا، وأن يظن به خيرًا ويحسن الظن به. فلم

٢٢٦. سورة الحجرات: الاية ١٢ ـ ١٣.

يسمح الشارع المقدس بالتجسس عليه، فهو بريء حتى تثبت إدانته، وليس مدانًا حتى تثبت براءته، فهذه هي أحكام شريعتنا.

أما إذا كان هناك من هو في موقع خطير أو في مكان حساس، أو في مؤسسة أو جهاز أمني، وهناك معنيون بالمراقبة لدرء الضرر عن أمن المؤسسة أو أمن الدولة، وفي دوائر ضيقة ومهمات محددة، فذاك بحث آخر خارج عن محل كلامنا، ونحن نتحدث عن علاقاتنا الإيمانية.

وأما لو حصل سوء الظن من غير عمد، كما لو رأيت مؤمنًا في حالة مريبة، فتولد لديك انطباع أن هناك أمرًا ما، وحصل لديك خطور ذهني سريع ماذا يجب عليك أن تفعله، فهنا عليك المبادرة إلى الاستغفار، وأن تقول لنفسك: من المؤكد أنّه لم يقصد سوءا، وتحسن الظن به.

ولكن لو تعمد الإنسان التجسس، فحصل له سوء الظن نتيجة لذلك فهو مأثوم، فإنّ الإنسان لو تعمد شيئًا باختياره، فدخل في أمر لا يستطيع الخروج منه وخرج عن اختياره فهو مأثوم، كمن قرر الانتحار، فصعد إلى بناية عالية بإرادته ورمى بنفسه، وفي لحظات السقوط إلى الأرض ندم على فعلته واستغفر الله، فلن ينفعه استغفاره في دفع المصير الذي ينتظره بعد لحظات، فهنا البداية كانت اختيارية، ولكنه في الأثناء خرج عن الاختيار، ففي هذه الحالة يكون مأثومًا أيضًا. فسوء الظن حينما يكون بمقدمات اختيارية، وإن كانت النتيجة غير اختيارية، ولكن مقدماتها كانت اختيارية، فهذا من سوء الظن الذي يؤثم عليه صاحبه.

وأما إذا كانت البداية غير اختيارية، ولكن الاستمرار كان اختياريًا، كما لو كنت في الشارع فرفعت عينك ورأيت لقطة محرمة، كما لو رأيت امرأة تعرفها وقد نزعت حجابها، فهنا أنت معذور، ولكن الاستمرار بالنظر للتأكد هل هي المرأة التي تعرفها أو هي غيرها فلا يجوز، وعليك أن تقول إن شاء الله ليست هي، وتستمر في طريقك ولا علاقة لك بأعراض الناس، لأنك لو عاودت النظر، فإنّ ذلك سيكون تجسسا منك باختيارك.

للحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الأخلاقية الثانية والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم في هذا اليوم الشريف، وهو اليوم الأخير من شهر الصيام، نفرح ونبتهج لأننا نستقبل العيد والجائزة الإلهية الكبرى، ونحزن ونأسف لأننا نغادر شهر رمضان، نفارقه ولا نعرف ما إذا رزقنا الله (سبحانه وتعالى) إدراك هذا الشهر الفضيل في السنة القادمة أو لا، نسأل الله أن يطيل أعماركم في طاعته.

اليوم نتصفح الوجوه ونجد أن إخوة أحبة لنا كانوا معنا في شهر رمضان في السنة الماضية، ولكنهم اليوم قد غادروا الحياة وليسوا معنا، وهكذا في كل سنة، الحياة تمضي، والبعض منا قد يكون حاضرا أو لا، نسأل الله في هذه الساعات المتبقية من شهر رمضان أن يكتبنا من المرحومين، أن يغفر لنا، أن يتوب علينا، أن ينظر إلينا نظرة رحيمة، أن نكون من المشمولين بعطائه الجزيل في يوم العيد، إن شاء الله تعالى.

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وتحدثنا عن حقوق الأخوّة، حق الأخ على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق السادس، (يرد غيبته)، المؤمن يرد غيبة أخيه المؤمن، وهذا ما دفعنا للحديث عن الغيبة، تعريفها، حدودها، أحكامها، التحذير الشديد منها، تأثيرها في واقع الإنسان، النهي عن الاستغابة، استغابة الناس وذكرهم بسوء.

ثم انطلقنا للحديث عن النهي عن الاستماع للغيبة، فلا يكفي أن لا نستغيب، يجب أن لا نستمع، ولا نسمح للغيبة أن تنتشر في مجتمعنا، وصولا للحديث عن رد الغيبة والدفاع عن المغتاب بغيابه، والتبرير له، والتماس الأعذار له، حتى لا يكون هناك

انطباع أن هذا الأخ المؤمن ارتكب بالفعل هذه المعاصي، أو هذه الأخطاء، أو له هذه المثالب والمناقص.

هذا ما تحدثنا عنه، بقي لدينا موضوع أخير في الغيبة، وننتهي من هذا البحث المهم، هذا الموضوع يرتبط بموارد جواز الغيبة.

موارد جواز الغيبة

متى يجوز أن نغتاب ونذكر الأخ المؤمن بسوء؟ ومتى لا يجوز ذلك؟. هناك بعض الموارد المحددة تجوز فيها الغيبة، فما هذه الموارد؟ ولكن ونحن نستعرض موارد جواز الغيبة، يجب أن نكون حذرين جدًا من الالتباسات التي قد تحصل من تدليس الشيطان، الذي يسعى إلى أن يصور أي حالة على أنّها من حالات الجواز، وهذا هو الخطر الذي يواجه المؤمنين ويوهمهم بأن هذا المورد من موارد الجواز، حتى يغتاب بعضهم البعض الآخر، ويذكر بعضهم بعضًا بسوء.

وفي الوقت الذي نشير فيه إلى موارد الجواز، يجب أن نعرف أن هذه الموارد يجب الاقتصار فيها على الحد الأدنى، أي في حالة الشك في جواز هذا المورد أو عدم جوازه يجب الاحتياط والحكم بعدم الجواز، إذن علينا ألا نغتاب في موارد الشك، والضرورات تقدّر بقدرها، فالضرورة مثلًا تقول تجوز غيبة فلان، فيقتصر على مقدار الضرورة، وهو مثل الشراب المحرم الذي لا يجوز تناوله، ولكن يُشرب منه في حالة توقف العلاج عليه بمقدار الضرورة فقط، وكذا مثلًا في عدم جواز أكل الميتة، ولكن في حالة الإشراف على الموت من الجوع يجوز الأكل بمقدار الضرورة، أي ما يُبقي الإنسان على قيد الحياة.

المورد الأول: التظلم

والمقصود به هو الترافع إلى القاضي لحل النزاع الحاصل بين طرفين، فهنا يجوز لكل من الطرفين الإفضاء بشكواه إلى القاضي مع عدم حضور الطرف الآخر، وإن تضمن ذلك الغيبة وكشف ما هو مستور، لكي يعرف من نترافع إليه ونتحاكم عنده أين المشكلة ؟وماذا جرى؟ وأين الظلم؟، حتى يستطيع أن يصدر حكمًا ويرجع الحق إلى صاحبه.

ولكن عند التظلم يجب الاقتصار على بيان ما هو ضروري من الغيبة، أي المتعلق بالمسألة المتنازع عليها، وهو معنى أن تقدّر الضرورات بقدرها هنا. أي عند الذهاب

للحاكم للتظلم واسترجاع الحق، لا يجوز أن تُذكر له أمور أخرى لا علاقة لها بموضوع التظلم، فمثلًا لو كان المتنازع عليه دارًا مغصوبة، فيقتصر على ذكر ما يتعلق بملكية هذه الدار، ومستند ذلك وكيف غُصبت ومتى غصبت، وأما أن يطرح موضوع أن الغاصب أو مالك الدار يصلي أو لا يصلي، أو أنّه قد ارتكب القضية الفلانية، فهذا لا علاقة له بموضوع الترافع، وسواء علم به القاضي أو لم يعلم، فهو لا يؤثر في الملف القضائي المطروح، وبما أنّه لا يؤثر فإنّ القاضي حينئذ يكون حاله كحال أي مواطن آخر في هذا الموضوع، فيصدق عنوان الغيبة على ما هو خارج عن موضوع الترافع.

وهناك مسألة أخرى تتعلق بموضوع الترافع، وهي لو كان هناك أشخاص لا علاقة لهم بحسم المشكلة، ولكنهم كانوا جالسين في مجلس الترافع، كما يحصل ذلك كثيرًا في الدواوين العشائرية حيث يغص المجلس بالحاضرين عند فضّ النزاعات، فهنا لا تجوز الغيبة أمام هؤلاء، كما لا يجوز لهم الاستماع إليها أيضًا، ويجب على المتظلم في هذه الحالة أن يطلب إخلاء المجلس من الذين لا علاقة لهم بفض النزاع، لحرمة ما سينطق به أمامهم وحرمة الاستماع عليهم. فإذن حتى في موارد الاستثناء، يكون جواز الغيبة في الترافع والتظلم حصرا أمام من نتظلم عنده، كما يجب على المتظلم الاقتصار على موضوع التظلم وعدم التطرق إلى مواضيع أخرى لا علاقة لها بموضوع الترافع.

وقد ورد في الرواية الشريفة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «ليّ الواجد بالدين يحل عرضه وعقوبته»[٢٢٧]. أي أن تماهل المدين الذي يملك المال الكافي في أداء دينه بعد حلول الأجل والمطالبة، يجيز للدائن غيبته أمام القاضي، ويجوز للقاضي حبسه ليجبره على أداء دينه. فهذا من موارد جواز بيان هذا المثلب والنقص وغيبته أمام القاضي ليحل مشكلته.

وورد في رواية أخرى أيضًا: «مطل الغني ظلم، ولصاحب الحق مقال»[٢٢٨]. أي تباطؤ الغني في أداء الدين إلى صاحبه بعد حلول الأجل ومطالبة الدائن، ظلم يجوز معه للدائن أن يترافع إلى القضاء واغتياب المدين لاسترجاع ماله.

«ولصاحب الحق مقال»: أي يجوز لصاحب الحق أن يقول عندي حق عند فلان، ولكن أين يجوز له أن يقول ذلك؟ هل يشهّر بالقنوات التلفزيونية أو على صفحات التواصل الاجتماعي أو في الصحف والمجلات؟ أو يجب أن أنطق بمقالي عند من

٢٢٧. بحار الأنوار ١٠٠: ١٤٦، ح٤.
٢٢٨. بحار الأنوار ٧٢: ٢٣١.

يستطيع أن ينتزع حقي؟. لا شك في أنه لا يجوز إلا عند من بيده فصل هذه النزاعات وحل المشكلة، ولا يجوز التشهير به أمام الآخرين وفضحه على رؤوس الأشهاد، وهذا ما تشير إليه الآية الشريفة: ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٢٢٩]، فإنّ الله عز وجل لا يحب أن يجهر الإنسان ويتحدث ويبيّن للناس كلاما فيه سيئة لأخيه المؤمن إلا للمظلوم، فمن حقة أن يجهر ويتحدث بسيئة المؤمن الذي ظلمه.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى أيضًا: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٣٠]، أي هذا الذي حقق الانتصار لمظلوميته، فذهب وبيّن سيئة الآخر وشكاه، فأولئك ما عليهم من سبيل عند استغابتهم لمن ظلمهم لكي يستعيدوا حقهم، وهم لم يرتكبوا بذلك أي معصية لو استغابوا من ظلمهم للترافع والتحاكم. ولكن السبيل والمؤاخذة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

المورد الثاني: حالات الاستعانة بالغير لتقويم انحراف معين وردّ إنسان إلى الصلاح، كمؤمن يضرب زوجته مثلًا، ولا يستطيع ذووها حل مشكلتها، فيذهب أبوها إلى أبيه أو شيخ عشيرته أو إلى من يؤثر فيه أو إلى القضاء ليشكوه، فهنا تجوز غيبته وكشف عيبه أمام الشخص المعني بحل المشكلة. فإخبار الشخص المعني بمثالب المؤمن ليقوّم انحرافه ويصلحه أمر جائز أيضًا.

المورد الثالث: في الاستفتاء والرجوع إلى المفتي لمعرفة الحكم الشرعي، كمن يذهب إلى المرجع أو وكيله ويكشف له عيب مؤمن ليحصل على حقه، كما لو غصب الأب حق ولده، أو غصب الأخ حقوق إخوانه في الميراث، فيستفتي للحصول على حكم شرعي يعينه على استرجاع حقه، فهنا تجوز الغيبة بما يقتصر على موضوع الاستفتاء. فإذا توقف الاستفتاء والوصول إلى الموقف الشرعي على تحديد الاسم أو الشخص فهنا تجوز الغيبة، وأما إذا أمكن الاستفتاء من دون تحديد الشخص فلا تجوز الغيبة.

المورد الرابع: تحذير المسلمين من شر أو ضرر معين، كما لو كان هناك مؤمن يحمل أفكارًا خاطئة، وكانت الناس تثق به لأنّه يرتدي العمامة، ولكنه عندما يرتقي المنبر يضل

٢٢٩. سورة النساء: الاية ١٤٨.
٢٣٠. سورة الشورى: الاية ٤١- ٤٢.

الناس ويتكلم بكلام خلاف العقائد الصحيحة، فهنا تجوز الغيبة وتحذير الناس منه، حفاظًا على سلامة عقائدهم.

ومثال آخر: لو كان هناك شخص يتظاهر بالإيمان وظاهر أخلاقه لطيف، ولكنه في الواقع فاسد ومنحرف، وهو يجامل الآخرين ليجرهم إلى الانحراف، والناس مخدوعة به، أو يتحدث بكلام جميل ويتعامل بلطف وينفق أمواله ضمن أجندة معينة وليس قربة إلى الله، بل يريد أن ينال من أبناء الناس ويورطهم في الدخول مع جماعات ضالة، فهنا تجوز الغيبة، بل تجب تعرية هذا الإنسان أمام الآخرين.

الغيبة السياسية

وهنا مسألة جديرة بالاهتمام، وهي هل هذه الأحكام التي نتحدث بها في الغيبة تقتصر على العلاقات الشخصية، أو تنسحب إلى العاملين في الحقل السياسي؟. في هذه الموارد يمكن أن نتلمس الموقف في كتب الأخلاق وفي الروايات.

أولًا: بما أنّه في زمان النص كان أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في صف المعارضة، لم تكن هذه المسائل موضع ابتلاء عند أصحابهم ليسألوا عنها، ولذا فالروايات خالية من ذكر موضوع كهذا.

ثانيًا: لم يكن في عصر الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أحزاب سياسية بالنحو المتعارف عليه اليوم، ولم تكن هناك قنوات إذاعية وتلفزيونية أو مؤتمرات صحفية، ولذا لا يوجد بحث لهذه الحالة، وهي حالة الغيبة السياسية إذا صح التعبير. ولكن يمكن من خلال مجمل الروايات الواردة أن نستنطق هذه الروايات هنا أيضًا، للوصول إلى الحكم الشرعي في الغيبة السياسية.

والمقصود بالسياسي هو الشخص الذي يتصدى للخدمة العامة، فإن كان إنسانًا صالحًا، فإنّ حفظه ليس حفظًا لنفسه فقط، بل هو حفظ للمشروع وحفظ للأمة، فإذا كانت غيبة الإنسان العادي محرمة وفيها ما فيها، فإنّ غيبة السياسي السائر في الطريق الصحيح أشد حرمة؛ لأنّ كسر الإنسان العادي هو كسر لمواطن، وهو عظيم عند الله (سبحانه وتعالى)، ولكن كسر السياسي الصالح المتصدي هو كسر للمشروع الذي يمثله، وكسر للهوية التي يحملها، وسيحصل عند الناس شك في الدين، وهو أمر ذو آثار خطيرة. إذن فغيبة السياسي الصالح المستقيم أعظم عند الله من غيبة الإنسان العادي؛ لأنّه متصدٍ وصلاحه وهيبته وحسن ظن الناس به وارتباطهم به تجعل له موقعًا خاصًا.

وقد رأيت شهيد المحراب مرات عديدة يأتيه أناس ويطلبون منه براءة الذمة، فكان يقول لهم: أبرئكم الذمة بقدر ما يتعلق الأمر بي أنا محمد باقر. فسألته عن قصده بكلامه هذا، فقال: أنا كشخص محمد باقر الحكيم أملك حق إبراء ذمة الآخرين عن نفسي، ولكني أحمل أيضًا موقعًا معنويًا ليس لي، وأنا لا أملك صلاحية إبراء الذمة عن الموقع؛ لأنّه موقع خدمة عامة وموقع تأثير في المسار الإسلامي، وهو ملك الإسلام.

ولذلك فالسياسي حينما يكون سائرًا في الاتجاه الصحيح، تكون غيبته أعظم عند الله عز وجل، وإذا كان سائرًا في الاتجاه الخاطئ والعياذ بالله، فإنّه إذا كانت غيبة الإنسان العادي إذا شذ وانحرف جائزة، بل تكون واجبة إذا كان يجر الناس إلى الطرب أو يأخذهم ويعلمهم الحرام، فكيف الأمر بالسياسي المنحرف الذي هو في موقع خدمة عامة، ويمثل مشروعًا منحرفًا، ويؤثر في جمع غفير من الناس؟، فلا شك في وجوب غيبته وفضحه وتعريته أمام الناس، ليطّلعوا على حقيقة أمره ويقل خطره على الناس.

وفي هذا المعنى يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس»[٢٣١]، أي أتعرضون عن ذكر الفاجر وتتحرزون عن ذلك ولا تفضحونه أمام الناس، لكي يحذروه ولا يتأثروا بفجوره، وتتركونه ينشر الرذيلة، وهو فايروس أخلاقي معدٍ في المجتمع، فهل تخافون على سمعة هذا الفاجر ولا تخافون على الناس من الانحراف؟.

المورد الخامس: ذكر المؤمن بلقب عُرف به ولا يشعر بالحرج منه، فهذا أيضًا من مستثنيات الغيبة، كلقب القصير والأخرس والطويل، فهي ألقاب لعوائل كريمة معروفة، ولا يشعر أفرادها بأي حرج عندما يُنادون بهذه الألقاب. وفي مقابل ذلك لو أُطلقت هذه الألقاب على أشخاص لا يُعرفون بها، وقُصد بها إيذاؤهم وهم لا يقبلون بذلك، كأن يُقال لإنسان قصير القامة فلان القصير، فهي من موارد الغيبة.

فإذا كان اللقب من حيث المعنى اللغوي فيه بعض المثالب، ولكن أصبح لقبًا مشهورًا لجماعة من الناس، وفي الوقت نفسه هم لا يُحرجون منه، ولا تُقصد به الإساءة عندما يُطلق عليهم، فلا يُعتبر غيبة.

المورد السادس: الغيبة في موارد المشورة، كمن يستشار في أمر التزويج، فيجب عليه الصدق والنصيحة لمن استشاره، ولو أدى ذلك إلى غيبة الخاطب أو المخطوبة.

---

٢٣١. بحار الأنوار ٧٢: ٢٣٢.

ولكن يجب الاقتصار على موضوع الاستشارة، وعدم التعدي إلى غيره، وإلا كان كل ما ليس له علاقة بالاستشارة من موارد الغيبة التي نهى عنها الإسلام بشدة وتوعد عليها بالعذاب الشديد.

وكذلك الاقتصار على مورد الاستشارة في تعيين شخص في وظيفة معينة، بأن يبيّن هل هو حاد أو معتدل أو بارد المزاج، وهل هو مواظب على الدوام أو غير مواظب، وهل هو أمين أو غير أمين. . وهكذا مما يتعلق بأمور الوظيفة.

والمستشار مؤتمن، فلا يجوز أن يشهّر به ويقال إنّه قال كذا وكذا في خصوص تزويج فلانة من فلان مثلاً، وإن لم يؤخذ بمشورته.

يقول الشيخ الأنصاري في هذا الموضوع: «منها ـ أي من موارد استثناء الغيبة ـ نصح المستشير، فإنّ النصيحة واجبة للمستشير، فإنّ خيانته قد تكون أقوى مفسدة من الوقوع في المغتاب. وكذلك النصح من غير استشارة، فإنّ من أراد تزويج امرأة وأنت تعلم بقبائحها التي توجب وقوع الرجل من أجلها ـ أي هذه القبائح ـ في الغيبة والفساد، فلا ريب أن التنبيه على بعضها وإن أوجب الوقيعة فيها يجوز، لكن هذا أولى من ترك نصح المؤمن مع ظهور عدة من الأخبار في وجوبه»[٢٣٢].

وقد تطرق الشيخ الأنصاري إلى المشورة التطوعية، حين يبادر المؤمن من غير أن يُسأل إلى تقديم النصح، فمثلاً حين يرى شخص أن فلانًا يريد الزواج من فلانة، وهو يعلم أنه لا مستقبل لهذا الزواج وليس مجرد ظن، فيتدخل لبيان ما يعرفه عن قبائح الخاطب أو المخطوبة للحيلولة دون تورط هذه البنت العفيفة من ذلك الرجل الفاسق أو بالعكس، ثم يفتي الشيخ الأنصاري بأن هذا العمل أولى من ترك نصح المؤمن، بل هناك عدة من الأخبار في وجوبه.

فالشيخ الأنصاري يصرح بوجود عدد من الروايات يشير ظاهرها إلى وجوب النصح، إذا كانت هناك مفسدة تترتب على ترك الغيبة. فوجوب النصح أيضًا عنوان من العناوين التي نستطيع أن نعمّمها على الوضع السياسي، سواء مع طلب الاستشارة من الناس أو عدمه، فعندما نعلم أن هذا رجل منحرف أو حزب منحرف أو كتلة منحرفة أو مشروع منحرف، فهنا تجب المبادرة، حتى مع عدم طلب المشورة، إلى غيبة هذا الشخص وبيان مثالبه، لما يترتب من المفاسد العامة على انتخابه أو تعيينه في الموقع الفلاني.

٢٣٢. المكاسب المحرمة ١: ٢٥١.

وفي الاتجاه الآخر، ربما كان هناك بعض الناس الذين لديهم انطباعات خاطئة عن شخص صالح أو حزب صالح أو تيار صالح أو جماعة أو كتلة صالحة، فهنا أيضًا تجب المبادرة، حتى مع عدم الاستشارة، إلى بيان صلاح هذا الشخص أو الحزب أو الكتلة ورفع الشبهة؛ لأنّ الدفاع عن هؤلاء هو دفاع عن المشروع الذي يحملونه إذا كانوا سائرين في الطريق الصحيح.

المورد السابع: استثناء أصحاب البدع من شمول الغيبة، وهم الناس المتصفون بالبدع والضلال والانحراف العقائدي، فهؤلاء تجوز غيبتهم لئلا تضل الناس وتنحرف بسبب بدعهم وضلالاتهم وانحرافاتهم.

وقد ورد عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنّه قال: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي، فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم، كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[٢٣٣].

وأهل الريب يعني أهل الشبهات، فهناك من دأبه إثارة الشكوك والشبهات ولا يجيب عنها، فيشكك الناس في دينهم وعقيدتهم، وكان الأجدر به أن يذهب إلى مجلس العلماء ويتحدث معهم عن تلك الشبهات ليطّلع على الجواب، لا أن يظهر على الفضائيات ويثير الشبهات بين الناس ويشكك الناس بعقيدتهم. والبدعة هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، كأن يقول هذا حرام أو حلال وهو ليس بحرام أو حلال وهو يعلم بذلك.

وينبئنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن هؤلاء سيظهرون بعد وفاته، وواجب المسلمين حينئذ هو أمور:

الأول: إظهار البراءة منهم علنًا أمام الناس، وهو يعني حرمة السكوت عنهم، ووجوب مواجهتهم مواجهة عنيفة، وذلك بأن يعلن المجتمع البراءة منهم، وما يستتبع ذلك من ترك معاملتهم وحضور مجالسهم وترك مجاملتهم وترك التزويج منهم وبهم، حتى يفيئوا إلى رشدهم ويتوبوا توبة علنية أمام الناس.

الثاني: الإكثار من سبّهم، لكي تسقط هيبتهم ويفقدوا منزلتهم الاجتماعية بين الناس، وليتجرأ عليهم الصغير والكبير.

---

٢٣٣. الكافي ٢: ٣٧٥، ح٤.

الثالث: الإكثار من القول فيهم، أي إكثار الكلام فيهم والكتابة عنهم بشكل مستمر، لتعريتهم وكشفهم وفضحهم ما داموا متمسكين ببدعهم وضلالتهم، حتى يرجعوا عن غيّهم.

الرابع: الإكثار من الوقيعة فيهم، أي إعمال الحيلة للإيقاع بهم في المشاكل والمآزق.

الخامس: مباهتتهم، وذلك بذكر سيئاتهم وعثراتهم وأخطائهم ومثالبهم.

كل ذلك من أجل ألاّ يطمعوا في إفساد الإسلام والمسلمين، ولا يتصوروا أن الإسلام كرة يلعبون بها كما يشاؤون. ومن أجل أن يحذرهم الناس ولا ينخدعوا ببدعهم وأباطيلهم. ومن أجل ألاّ يتعلموا من بدعهم، فإن فعل المسلمون بهم ذلك، من فضحهم بالكلام ونشر أخطائهم وإيجاد الحواجز بينهم وبين الناس، كتب الله لمن يفعل ذلك بهم الحسنات ورفع له الدرجات في الآخرة. وهذا من الموارد التي يمكن أن تشمل بها بعض التيارات السياسية التي تغوي الناس وتضلهم وتغرر بهم، وهو باب من الأبواب التي يمكن أن نطل منها على الغيبة في العمل السياسي.

المورد الثامن: المتجاهر بالفسق والفجور، وهو الذي يظهر فسقه وفجوره علنًا، كأن يقول أنا لا أصلي ولا أصوم، أو يشرب الخمر علنًا ويخرج وهو سكران أمام الناس، أو لا يتخفى من فعل المنكرات الأخرى، فمثل هذا الإنسان تجوز غيبته ولا حرمة له.

ورب معترض يقول: إن الغيبة هي كشف العيب المستور، وهذا متجاهر بالفسق والفجور، فلا يصدق عليه عنوان الغيبة أصلًا، فضلًا عن أن يكون من مستثنياتها. وقد اختلف علماء الأخلاق في عدّ هذا من مصاديق الغيبة.

وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن بفسقه، والإمام الجائر»[٢٣٤]. وورد عنه أيضًا قوله: «ليس لفاسق غيبة»[٢٣٥]. وورد أيضًا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من ألقى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له»[٢٣٦].

كانت هذه مجموعة من الاستثناءات من حكم حرمة الغيبة، وهناك بعض الاستثناءات الأخرى، ولكننا ركزنا على الموارد التي هي محل ابتلاء، وفي هذه الموارد من جواز

٢٣٤. وسائل الشيعة ١٢: ٢٨٩، ح٥.
٢٣٥. بحار الأنوار ٧٢: ٢٣٧.
٢٣٦. بحار الأنوار ٧٢: ٢٣٣.

الغيبة، تجب الحيطة والحذر في ما إذا شككنا هل هذه من موارد الجواز أو لا؟.

وهناك ملاحظة أخيرة مهمة، وهي أن يكون هناك فعل يُعد من موارد الجواز المؤكدة، ولكن بيانه للناس فيه إشاعة للفحشاء، فيكون محرمًا من هذا الباب، كالمتجاهر في ممارسة الرذيلة، من الذين يصورون أنفسهم وينشرونها في مواقع التواصل الاجتماعي، فلا يجوز تعميمه ونشره على اليوتيوب مثلًا في صفحات أخرى، لا من باب حرمة غيبته، بل من باب منع إشاعة الفاحشة، فحتى البعض ممن تجوز غيبتهم، يحرم ذكر سيئاتهم للآخرين من باب منع إشاعة الفاحشة.

انتهينا من الحديث عن الحق السادس من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، نتناول الحق السابع في الجلسة المقبلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الاخلاقية الثالثة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٨/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، اللهم صل على محمد وآل محمد.

تقبل الله أعمالكم، وشكر الله سعيكم.

كان حديثنا في شهر رمضان المبارك في الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن المؤمن أخو المؤمن، وهذه الأخوّة يترتب عليها حقوق والتزامات من المؤمن تجاه أخيه المؤمن، وقد استعرضنا في الرواية المنسوبة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ثلاثين حقا للمؤمن على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق السابع من هذه الحقوق

الحق السابع/ إدامة نصيحة المؤمن

الحق السابع من هذه الحقوق هو قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ويديم نصيحته»، فمن حق المؤمن على أخيه المؤمن النصح، وليس النصح وحده بل دوام النصح، أي ألاّ يكتفي بنصحه مرة واحدة أو مرتين، بل يجب عليه أن ينصحه دائمًا، ومن النصيحة تشخيص مكامن القوة والخلل، فالمؤمن يكون تارة غافلًا وجاهلًا ويحتاج إلى من ينصحه ويوقظه من غفلته ويبيّن له الطريق، وأنّ الأمر الفلاني أنسب لدنياك وآخرتك. كأن يقول مثلًا إن المحل الفلاني أرخص في التسوق، والمكان الفلاني أحسن للسكن، والمنطقة الفلانية أفضل للتجارة، والمدرسة الفلانية لها ميزات كذا وكذا. وهكذا يمكن تزويد الأخ المؤمن بالمعرفة والمعلومات في كل أمر من الأمور، فإذا كان مريضًا ويريد الذهاب إلى الطبيب نقول له إن الطبيب الفلاني جيد جدًا ومجرب.

وتارة يكون المؤمن مخطئًا ويحتاج إلى من يصحح خطأه ويقوّم انحرافه، فيُنصح بأن يقال له: لا تفعل العمل الفلاني، وإنّ موقفك الفلاني لم يكن موفقًا، وكلمتك الفلانية لم تكن مناسبة، ولا تعمل الخطوة الفلانية، ويبيّن له عيوبها، وهكذا ينصحه في ترك أمثال هذه الأخطاء في أمر الدنيا والآخرة.

وتكشف النصيحة عن قضية باطنية داخلية يعيشها الإنسان الناصح، وهي حرقة القلب على الأخ المؤمن وعلى الآخرين، ومن معالي الأخلاق أن الإنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه، وهذ تعبير عن سمو الأخلاق الخالي من الأنانية، بينما الأناني يريد الخير لنفسه فقط.

والجانب الآخر في النصيحة هو البعد الخارجي، فالاهتمام بالأخ المؤمن اهتمام بالمجتمع، والرغبة في أن يكون الآخرون على صواب، وعدم تحمل رؤية المؤمن يتعرض إلى انتكاسة أو منقصة أو مثلبة، فيذكره الآخرون بسوء.

يقول العلامة المجلسي في تعريف النصيحة: «هي فعل أو كلام، يُراد بهما الخير للمنصوح، واشتقاقها من نصحت العسل إذا صفيته؛ لأنّ الناصح يصفّي فعله وقوله من الغش، أو من نصحت الثوب إذا خطته؛ لأنّ الناصح يلم خلل أخيه كما يلم الخياط خرق الثوب، والمراد بنصيحة المؤمن للمؤمن إرشاده إلى مصالح دينه ودنياه، وتعليمه إذا كان جاهلًا، وتنبيهه إذا كان غافلًا، والذب عنه وعن أعراضه إذا كان ضعيفًا، وتوقيره في صغره وكبره، وترك حسده وغشه، ودفع الضرر عنه وجلب النفع إليه، ولو لم يقبل نصيحته سلك به طريق الرفق حتى يقبلها، ولو كانت متعلقة بأمر الدين سلك به طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢٣٧].

يبدأ العلامة المجلسي ببيان أن النصيحة قد تكون بالفعل، كما إذا كان هناك شخص يرفع صوته في الكلام، فتؤشر له بيدك أن اخفض صوتك وتكلم بهدوء، وقد تكون النصيحة بالكلام. والهدف من النصيحة هو إرادة الخير للمنصوح، لئلا يرتكب خطأ أو يقع في شر. وأما إذا كانت الغاية من الفعل أو القول غير ذلك، كما لو أراد المتكلم جلب الخير لنفسه أو إبعاد الضرر عنها فلا يعد نصيحة.

ثم ينتقل العلامة المجلسي إلى بيان معناها اللغوي، وذلك بالرجوع إلى الأصل الذي اُشتقت منه، لكي يتوصل من خلاله إلى معناها الاصطلاحي، فيبيّن أن اشتقاق النصيحة

٢٣٧. بحار الأنوار ٧١: ٣٥٧.

إما من نصحت العسل إذا صفيته، ووجه التشابه أن الناصح يصفي فعله وقوله من الغش ومن أي مكر أو مكيدة. أو هي مشتقة من نصحت الثوب إذا خطته، فالخياط إذا خاط الثوب الممزق يقال نصحه أي أصلحه، ووجه الشبه أن الناصح يلم خلل أخيه كما يلم الخياط خرق الثوب ويخيطه لئلا تبدو عيوبه.

ثم ينتقل إلى بيان المعنى الاصطلاحي للنصيحة والمراد منها من خلال ذكر مصاديقها فيقول: والمراد بنصيحة المؤمن للمؤمن:

أولًا: إرشاده إلى مصالح دينه ودنياه، أي هدايته إلى ما فيه مصالح دينه، كإرشاده إلى فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي، وهدايته إلى ما فيه مصلحته الدنيوية أيضًا، كأن يرشده إلى إكمال دراسته أو تعلمه صنعة يعتاش منها.

ثانيًا: تعليمه إذا كان جاهلًا، أي تعليمه إذا كان لا يعرف ماذا يقول أو لا يدري ماذا يفعل.

ثالثًا: تنبيهه إذا كان غافلًا، وأما إذا كان يعلم ولكنه غافل، فيجب إيقاظه من غفلته، وتنبيهه إلى الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يتحدث بها، أو الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يتعامل بها.

رابعًا: الذب عنه وعن أعراضه إذا كان ضعيفًا، أي إذا لم يستطع الدفاع عن نفسه وعن عرضه، فيجب الدفاع عنه ومساعدته بشتى الطرق في قول أو فعل أو سلوك، لدرء الخطر عنه وعن عرضه.

خامسًا: توقيره في صغره وكبره، ومن النصيحة أيضًا احترام المؤمن، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، فإنّ الآخرين عندما يرون هذا الاحترام والتقدير للمؤمن فإنّهم سيحترمونه أيضًا. وهذا يستلزم بالطبع ترك إهانته أو عدم المبالاة به، وتعويد الصغير على التوقير منذ صغره أمر مهم للغاية؛ لتكون هذه الخصلة الجميلة ملكة عنده ينشأ عليها ويتربى في كنفها.

سادسًا: ترك حسده وغشّه، فلا يجوز حسد المؤمن على نعمة خولها الله تعالى له، ولا يجوز أيضًا التعامل معه على أساس الغش، والوجه في أن ترك الحسد من النصيحة هو أن الهدف من النصيحة قصد الخير للمنصوح، بينما الحسد هو تمني زوال نعمة عن المحسود، ولذا يكون ترك الحسد نصيحة، لأنّ الحاسد يقصد السوء له ولا يقصد الخير. وأما كون ترك الغش نصيحة فواضح؛ لأنّ من أراد غش غيره فهو لا يضمر له الخير.

ولترك غش المؤمن مصاديق كثيرة في حياتنا اليومية، فمن الغش له عدم نصحه في الموارد التي يحتاج فيها إلى النصيحة، بالرغم من أن في النصيحة ثقلا؛ لأنّ الناصح ربما خطر بباله عدم قبول نصيحته، وحينئذ سيدخل نفسه في أمر لا نفع له فيه، وكذلك هي ثقل على المنصوح؛ لأنّ النفس من الصعوبة بمكان أن تتقبل ما يوجه لها من نقد أو إرشاد. ولهذا يحتاج كل من الناصح والمنصوح إلى التوكل على الله (سبحانه وتعالى) في قول النصيحة وقبولها، والتعويل على سلامة النية من الطرفين.

سابعًا: دفع الضرر عنه، أي إذا تعرض المؤمن إلى ضرر فيجب إبعاد الضرر عنه. والوجه في أن دفع الضرر من النصيحة، هو ما قلناه من أن دفع الضرر عن المؤمن يستبطن قصد الخير له.

ثامنًا: جلب النفع إليه، فعلى المؤمن أن يسعى ما استطاع لجلب المنافع لإخوانه المؤمنين، ولا سيما من أولئك الذين هم في موقع معين، سواء كان اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو إداريًا. وجلب النفع للمؤمن إنما يصدق قبل طلب الأخ المؤمن ذلك منه وحتى قبل أن يعرف به، وإلا دخل في عنوان وجوب قضاء حاجة المؤمن.

وبعد أن ينتهي العلامة المجلسي من تعريف النصيحة، ينتقل إلى موضوع آخر يتعلق بالنصيحة، وهو الإصرار على استعمال الرفق في سبيل قبول الطرف الآخر للنصيحة، وعدم الاكتفاء بالنصح كيفما اتفق واعتباره إسقاط تكليف لا أكثر، بل ينبغي الحرص على قبول الطرف الآخر للنصيحة، وذلك من خلال تكرارها في مناسبات متنوعة وبأساليب متنوعة، مصحوبة باللين والرفق والتودد، ويجب تحمّل الأخ المؤمن عند نفوره من قبول النصيحة للوهلة الأولى والثانية والثالثة؛ لأنّ قبول النصيحة يعني الاعتراف ضمنًا بالخطأ أو التقصير، وهذا أمر لا يرتضيه الإنسان لنفسه، ولا بد لكل مؤمن من أن يوطن نفسه على قبول النصيحة وتجرعها مهما كانت مرّة، وهي أحد أمور ثلاثة يحتاج إليها المؤمن، منها قبول نصيحة من ينصحه، هذا إذا كانت النصيحة متعلقة بأمر الدنيا.

أما إذا كانت النصيحة متعلقة بأمر الدين، سلك به طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأسلوب الذي يميل إلى استعمال الشدة والقوة بشكل تدريجي، كما ورد ذلك في الحديث الشريف: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٢٣٨]، فالمؤمن هنا لا يختلف عن غيره في

٢٣٨. مستدرك الوسائل ١٢: ١٩٢، ح٧.

كيفية تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا وجدت الشروط المنصوص عليها في الكتب الفقهية.

منزلة النصيحة

وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في وجوب نصيحة المؤمن، وأنّها من حقوق المؤمن على المؤمن، وبيان منزلتها عند الله تبارك وتعالى.

منها: ما رواه معاوية بن وهب عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»[٢٣٩]، أي يجب نصيحة المؤمن في حضوره وعند غيابه أيضًا، سواء بالمراسلة أو الهاتف أو تكليف مسافر بأن يقول له كذا وكذا في أمر ما يخصه، والمهم أن يبقى طريق التواصل معه مستمرًا وإن كان غائبًا.

ومنها: ما رواه جابر عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»[٢٤٠]، فكما أن الإنسان حريص على نصح نفسه، فكذلك يجب عليه أن يكون حريصًا على نصح أخيه المؤمن، إذ مما لا ريب فيه أن الإنسان مهتم بشأن نفسه في جميع أحواله وأوقاته، في جلب النفع لها ودفع الضرر عنها، فكذلك يجب أن يكون لأخيه المؤمن.

ومنها: ما رواه السكوني عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»»[٢٤١]، وفي هذه الرواية المباركة توسيع لدائرة النصيحة لتشمل جميع خلق الله تعالى، وإن اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأديانهم، والانتقال من الدائرة الضيقة لنصيحة المؤمنين فقط، إلى الدائرة الأرحب لتسع جميع البشر، والنصيحة لهم في أمور دنياهم ودينهم. أما النصيحة لهم في أمر دنياهم فواضح، وأما النصيحة لهم في أمر دينهم فهي هدايتهم إلى الإسلام الذي لن يقبل الله تعالى غيره من الإنسان دينًا في يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٤٢]. ويستطيع المؤمن في هذا العصر الذي شهد ثورة في عالم الاتصالات، أن يسهم ماديًا أو معنويًا بإنشاء أو دعم القنوات الفضائية الموالية لمذهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

٢٣٩. الكافي ٢: ٢٠٨، ح٢.
٢٤٠. الكافي ٢: ٢٠٨، ح٣.
٢٤١. الكافي ٢: ٢٠٨، ح٥.
٢٤٢. سورة آل عمران: الاية ٨٥.

وبمختلف اللغات، لنصح الناس في ما ينفعهم من أمر دينهم ودنياهم، أو الاشتراك في منظمات الإغاثة الإنسانية في شتى مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فإن فعل المؤمن ذلك ولو بالطريق الفردي المتعارف، ومشى للناس جميعًا بالنصيحة في أمر دينهم ودنياهم، كان من أعظم الناس منزلة عند الله تعالى في يوم القيامة.

ومنها: ما رواه سفيان بن عيينه قال: «سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»[٢٤٣]، وقد أكدت هذه الرواية الشريفة ما ذكرته الرواية السابقة من تعميم النصيحة لجميع أفراد النوع الإنساني، وبيّنت بُعدًا جديدًا في النصيحة؛ وهو يجب أن تكون النصيحة لله عز وجل فقط، لا لشيء آخر، كحب الظهور أو حب التميّز أو لبيان أنني أعرف وأنت لا تعرف أو أنني أفهم وأنت لا تفهم، فيجب عليك أن تسمع مني وتتبعني، فإن فعل المؤمن ذلك، فإنّه لن يلقى الله عز وجل بعمل أفضل من خلوص النصيحة لجميع الناس بلا استثناء، وهو كلام خطير يحمل في طياته معاني كبيرة، لبيان عظمة منزلة النصيحة الخالصة لوجه الله تعالى، لا يجرؤ أحد على النطق بها غير المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي رواية أخرى عن عبد المؤمن الأنصاري قال: «دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر وعنده محمد بن عبد الله بن محمد الجعفي فتبسمت إليه، فقال: أتحبه؟ قلت: نعم، وما أحببته إلا فيكم، فقال: هو أخوك، فملعون من غش أخاه، وملعون من لم ينصح أخاه، وملعون من حجب أخاه، وملعون من اغتاب أخاه»[٢٤٤].

يبيّن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة أن المتحابين في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم إخوة بالأخوّة الإيمانية، وهي تساوق الأخوّة النسبية، كما ورد ذلك في الرواية الكريمة المروية عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه»[٢٤٥]، بل المؤمن أولى بالمؤمن من كل أحد، حتى من أبويه وأولاده ما لم يكونوا مؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾[٢٤٦].

ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن المؤمن إذا غش أخاه أو لم ينصحه أو حجبه وامتنع من لقائه أو اغتابه فهو ملعون، أي مطرود من رحمة الله (سبحانه وتعالى). ومن لعنه الله سبحانه

٢٤٣. الكافي ٢: ٢٠٨، ح٦.
٢٤٤. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٢.
٢٤٥. الكافي ٢: ١٦٦، ح٧.
٢٤٦. سورة آل عمران: الاية ٦٨.

كُتب بين عينيه: آيس من رحمة الله، وحينئذ يكون مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[٢٤٧].

بيان العيب من مصاديق النصيحة

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من بصّرك عيبك فقد نصحك»[٢٤٨]، فالذي يفتح عين أخيه على عيوبه ويعرّفه بها وينبّهه عليها فقد نصحه، وكُتب عند الله تعالى في سجّل الناصحين.

في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أبان لك عيبك فهو ودودك»[٢٤٩]، أي صديقك الذي يحبك ويودّك، وليس هو من يسكت عنه ولا يبيّنه لك.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من بصّرك في عيبك، وحفظك في غيبك، فهو الصديق الصدوق فاحفظه»[٢٥٠]، أي أن الصديق المخلص والصادق في صداقته هو من كانت في خصلتان: الأولى: يجعلك ترى عيوبك، فينبّهك عليها لكي تسعى لعلاجها. والثانية: يدافع عنك في غيبتك، ولا يدع أحدًا يتعرض لك بسوء. ومثل هذا الصديق هو الذي يستحق أن تحافظ على صداقته وتتمسك به. وأما الصديق الذي لا يبصّر صديقه بعيوبه ولا يحفظه في غيبته، فلا يستحق أن تحافظ عليه وتتمسك به.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنما سمّي العدو عدوًا لأنّه يعدو عليك، فمن داهنك في معايبك فهو العدو العادي عليك»[٢٥١]، يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أولًا علة تسمية العدو عـدوًا، فيقول إنما سمي كذلك لأنّـه يعتدي عليك ويظلمك، وأما العدو الأشد عداوة للإنسان، فهو الذي يصانعه في عيوبه ولا يخبره بها، بل ويغشه ويبيّن له كذبًا أنّها محاسن، مع أنّه يعلم أنّها معايب.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خير الإخوان أنصحهم، وشرهم أغشهم»[٢٥٢]، أي أن أفضل الإخوان هو أكثرهم نصحًا، وشرّ الإخوان وأسوأهم هو الذي لا ينصحك.

---

٢٤٧. سورة النساء: الاية ٥٢.
٢٤٨. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩.
٢٤٩. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٤.
٢٥٠. عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٢.
٢٥١. عيون الحكم والمواعظ: ١٧٨.
٢٥٢. عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨.

شروط النصيحة

إنّ للنصيحة شروطًا تجب مراعاتها حتى يصدق كونها نصيحة، وهي:

الشرط الأول: أن يكون الناصح عاملًا بنصيحته، وإلا كان كما قال الشاعر: طبيب يداوي الناس وهو عليل. وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كيف ينصح غيره من يغش نفسه»[٢٥٣]، وقال أيضًا: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[٢٥٤]. وقد مر الحديث عن هذا الموضوع في محاضرات سابقة.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نصح نفسه كان جديرًا بنصح غيره»[٢٥٥]، أي أن الإنسان الجدير واللائق بنصيحة الآخرين هو من يبدأ بنفسه أولًا فينصحها، وحينئذ ستكون نصيحته مؤثرة في الآخرين، وإلا فمن يستمع لنصيحة من لا يعمل بنصيحته، وأول ما سيقال له اعمل بنصيحتك أولًا، وقد قال الله تبارك وتعالى بشأن هذا الصنف من الناس: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢٥٦].

الشرط الثاني: أن تكون النصيحة فردية ومباشرة ومعزولة عن الآخرين، وإلا كانت هتكًا له وتشهيرًا به. فقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «نصحك بين الملأ تقريع»[٢٥٧]، فالنصيحة أمام الناس هي في الحقيقة ذم وإساءة وكسر لهذا الإنسان.

حينما تكون من حقوق المؤمن على المؤمن أن يديم نصيحته، أي أن ينصحه على الدوام، يصبح من حق المؤمن الآخر على الأول أن يسمع النصيحة، وهذا ما سنتحدث عنه في لقائنا القادم بإذن الله تعالى والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

٢٥٣. عيون الحكم والمواعظ: ٣٨٣.
٢٥٤. بحار الأنوار ١: ١٩٩، ح٤.
٢٥٥. موسوعة أحاديث أهل البيت ١١: ٣٦٨، ح٣١.
٢٥٦. سورة الصف: الاية ٣.
٢٥٧. عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧.

المحاضرة الأخلاقية الرابعة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٩/٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين.

تقبل الله أعمالكم، وشكر الله مساعيكم.

كان حديثنا في الأخوّة الإيمانية، وحقوق هذه الأخوّة، حق المؤمن على أخيه المؤمن، وقلنا إنّ الحق السابع من هذه الحقوق يرتبط بالنصيحة بين المؤمن وأخيه، فالمؤمن ينصح أخاه المؤمن، بل لا يكتفي بنصحه، وإنما يديم نصيحته، فلا يكتفي منه بالنصيحة لمرة واحدة.

وقد عرّفنا النصيحة، وبينا أهمية أن يبادر المؤمن وينصح أخاه المؤمن، ثم تعرضنا إلى الشروط المطلوبة في الناصح، واستعرضنا سلسلة من الروايات الشريفة الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام فيما يخص هذا الحق المهم من الحقوق.

بقي علينا الحديث عن جانب آخر من الموضوع، وهو قبول النصيحة.

قبول النصيحة

إذا كانت النصيحة حقًا للمؤمن على المؤمن، فالاستماع إلى النصيحة وقبولها حق من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن أيضًا، فالمؤمن عليه أن ينصح، والمؤمن الآخر الذي يتوجه له النصح عليه أن يتقبل هذه النصيحة، فقد روى أبو العديس قال: قال أبو جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا صالح اتّبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردّون على الله جميعًا»[٢٥٨].

٢٥٨. وسائل الشيعة ١٢: ٢٤، ح١.

يبيّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الشريفة ـ من خلال نصيحته أحد أصحابه ومن ورائه كل مسلم، بل كل إنسان؛ لأنّ الله تعالى جعلهم أئمة للناس كافة يجب عليهم اتّباعهم والاقتداء بهم ـ وجوب اتّباع الناصح وقبول نصيحته، ولو بلغت هذه النصيحة حدًّا لا يطيقه الإنسان فيبكي من شدة مرارتها، وعدم اتّباع من يضحكه ويؤنسه وهو له غاش بسبب تركه النصيحة له؛ فإنّ الإنسان غالبًا ما يتّبع مواقف وآراء المجموعة الصغيرة التي يسمر معها ويقضي أوقات فراغه في الضحك واللهو معها، وهذه المجاميع الاجتماعية لا تهتم بما ينبغي أن يكون عليه صاحبها، بل هي تسعى وراء قتل الوقت بالراحة ولهو الحديث والضحك، ولا تبادر مطلقًا إلى تقديم النصح لأصحابها، ولا سيما إذا استلزم ذلك خدش مشاعرهم.

وهنا يأمر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ صالحًا باتّباع من يبكيه وهو له ناصح، وعدم اتّباع من يضحكه وهو له غاش، لأنّ الإنسان يتّبع من يريحه ويؤنسه ويسمعه كلامًا طيبًا، ولكنه في الواقع يغشه، ولا يريد له أن يتعرف على الموقف الصحيح وعلى السلوك الصحيح وعلى الكلمة الصحيحة، ولا يريد له أن يكون في حالة من الأداء الصحيح، فيبتسم له ويثني على سلوكه الخاطئ.

إن مثل هذا كمثل الذي يذهب إلى طبيب، فيخبره أنه معافى من كل مرض، في حين يأخذ السرطان منه مأخذه، فهنا لا يختلف اثنان على أن الطبيب غاش له، لعدم اطّلاعه على حقيقة مرضه وخطورته على حياته، وإن خرج المريض من عنده مسرورًا ضاحكًا. بينما يخبره طبيب آخر أنه مصاب بالسرطان وحياته في خطر، وعليه المبادرة إلى علاج نفسه، وهنا يتفق الجميع على أنّه ناصح له، وإن خرج المريض من عنده حزينًا باكيًا، ولا شك في أن على المريض اتّباع الطبيب الناصح وعدم اتّباع الطبيب الغاش. وكذا الأمر في الأمراض الأخلاقية التي يصاب بها الإنسان، إذ عليه أن يتّبع من ينصحه وإن أبكاه، وعدم اتّباع من كان له غاشًا وإن أضحكه.

وسيعلم كل إنسان في يوم القيامة، عندما تنكشف الأوراق وتتبيّن الحقائق، من كان له ناصحًا ومن كان له غاشًا، فيندم على ما كان منه من التفريط في اتّباع الناصح وعدم قبول نصيحته، ويندم على اتّباع من كان له غاشًا، ويقول: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولا﴾ [٢٥٩]، ولكن لات حين مندم.

---

٢٥٩. سورة الفرقان: الاية ٢٨.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «أحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»[٢٦٠]، يعبّر الإمام الصادق عن بيان العيب بالهدية، وأنّ أحب إخوانه إليه هو من أتحفه بهذه الهدية النفيسة، وهي تعريفه بعيوبه، والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ منزه عن العيوب؛ لأنّه مصنوع بعين الله تعالى، طهّره من الدنس، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢٦١]، ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد منا أن نقبل النصيحة، وأن يكون أحب إخواننا إلينا هو من ينصحنا ويبصّرنا بعيوبنا، لأنّه عندما يفعل ذلك يكون قد أتحفك بهدية تفتح عينك وتعرف من خلالها مواطن الخلل، لكي تعالجه وتتكامل وتتطور أكثر فأكثر، وكلما تطور الإنسان صبّ ذلك في نفعه لا في نفع الناصح، فهو لا يُدخل في كيسه شيئًا، والمستفيد هو المنصوح الذي سيتخلص من الوقوع في الخطأ في القول أو الفعل أو السلوك أو التعامل مع الآخرين. فلذلك يجب علينا شكر من يقدّم لنا عيوبنا؛ لأنّ ذلك بمثابة الهدية لنا، بل أنفس الهدايا، وبسببه سيحتل المرتبة الأولى بين الإخوان في قلوبنا.

ومما جاء في قبول النصيحة أيضًا، قول الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه): «لا يستغني المؤمن عن ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه»[٢٦٢]. يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حاجة المؤمن الملحة إلى ثلاث صفات ينبغي أن توجد فيه وهي:

الأولى: توفيق من الله عز وجل، ولذا يجب على المؤمن أن يطلب التوفيق والتسديد من الله عز وجل في كافة أقواله وأفعاله، لأنّ كل عمل يقوم به الإنسان بلا توفيق إلهي هو كرمية بلا سهم، لا يمكن أن تصيب هدفها، وكهواء في شبك لا يجني منه صائده شيئًا، وكقابض على الماء فيخرج من فروج أصابعه. ولهذا كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعولون على التوفيق الإلهي في نجاح مشاريعهم والوصول إلى أهدافهم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٢٦٣]، لأنّ الله تبارك وتعالى عندما يوفق يجعل البركة في العمل، فيؤثر أثره المرجو منه.

الثانية: واعظ من نفسه، فهناك صنفان من الناس: صنف ينسى نفسه ويحتاج إلى من يُنبّهه بشكل مستمر، وهناك صنف آخر يتصف بمراجعة نفسه ومحاسبتها في ما تلفظت

٢٦٠. الكافي ٢: ٦٣٩، ح٥.
٢٦١. سورة الأحزاب: الاية ٣٣.
٢٦٢. وسائل الشيعة ١٢: ٢٥، ح٣.
٢٦٣. سورة هود: الاية ٨٨.

به من أقوال أو ما ارتكبت من أفعال، فيعرف أن الكلمة الفلانية مع فلان كانت جيدة، وكلمته الأخرى لم تكن جيدة، وأنّه سيترتب عليها آثار سيئة، أو أن أداء العمل الفلاني كان رديئًا، وينبغي أن يكون بالشكل الفلاني، وهكذا فهو لا تمر عليه ليلة إلا وحاسب نفسه، فيلوم نفسه على الخطأ. وهذا لطف من الله تعالى ونعمة يعطيها للإنسان، فتكون عنده الجرأة والشجاعة ليراجع نفسه ويعترف بأخطائه، فيستغفر الله سبحانه منها ويعاهده على عدم العودة إليها.

الثالثة: وقبول من ينصحه، فيقبل النصيحة ممن ينصحه، وهذا أيضًا لا يقدر عليه كل شخص، فهو يحتاج إلى شجاعة أيضًا، إذ ليس من السهل على الإنسان أن يعترف بالخطأ، بل هو ميّال إلى التبرير الذي هو من أوسع أبواب الشيطان.

حق الناصح والمستنصح

ورد في رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. وحق الناصح أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنّه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك، إلا أن يكون مستحقا للتهمة»[٢٦٤].

يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة وجود حق لكل من المستنصح، وهو طالب النصيحة، والناصح، وهنا إشارة لطيفة؛ وهي أن الإنسان هو الذي يجب عليه أن يطلب النصيحة ممن هو أهل لتقديم النصيحة، كأن يكون صاحب عقل أو صاحب تجربة، والمنصوح قد يكون مستنصحًا فيطلب النصيحة من الناصح، وقد لا يكون كذلك، بألاّ يطلب النصيحة من الناصح، وانّما الناصح هو الذي يبادر إلى تقديمها للمنصوح.

أما حق المستنصح فهو أن تؤدي إليه النصيحة، أي على الناصح أن يقدّم النصيحة لمن يطلبها منه، ثم يأمر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ الناصح بأن يستعمل الرحمة والرفق عند تقديم النصيحة، أي يجب عليه ألاّ يكسره، فلا يقول له مثلًا: لقد أخطأت، لأنّه حينئذ سيستفزه بهذا الكلام، ويجعله في موقف الخاطئ أو الجاهل، وربما سيكبر ذلك في نفسه ويمنعه من قبول النصيحة، بل يجب أن يقول له قولًا ليّنًا كأنّه يسأله مثلًا، أو يقدّم له اقتراحًا، أو يقول له لو تفكر بالعمل الفلاني لكنت محقًا، أو إنّي أرى لو كانت القضية

٢٦٤. وسائل الشيعة ١٥: ١٧٨، ح٢.

الفلانية معي لتمنيت أنّي لا أفعلها، أو انّي أخبرك بكذا وأنت فكر بالموضوع، وغيرها من التعابير التي لا يشعر معها بالحرج، حتى يستطيع أن يتخذ القرار الصائب.

وأما حق الناصح على المستنصح فهو أن يلين له جناحه، أي يتواضع له ولا يتكبر عليه؛ لأنّه قد أتاه بنفسه طالبًا منه النصيحة، ويشكره على أن قدّم له النصيحة، فإن وافقت النصيحة الصواب وجاءت بالمرجو منها، فعلى المستنصح أن يحمد الله عز وجل، وإن لم توافق الصواب وأخطأت المرجو منها، فعلى المستنصح أن يرحم الناصح، لأنّه بذل مجهوده وأفرغ وسعه في تقديم النصيحة بما يعرفه. ولا يجوز له أن يتهمه في نصيحته بأنّه أراد خداعه، ولا أن يؤاخذه ويعاتبه بأن ما نصحه به لم يكن صحيحًا، اللهم إلا إذا تيقن بأنّه خدعه ولم يصدق معه في النصيحة وكان خائنًا له. ولا تعبأ بأمره إلا أن يكون مستحقًا للتهمة.

طاعة المناصح

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مناصحك مشفق عليك، ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشدك، وفي مخالفته فسادك»[٢٦٥].

يوضح أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حكمته العلوية هذه بُعدًا جديدًا من أبعاد النصيحة، وهو أن المناصح ـ وهو كثير النصح ـ يحمل ثلاث خصال حميدة للمنصوح، ربما لا نجدها عند كل ناصح، فإنّ الناصح يصدق على من قدّم النصيحة ولو مرة واحدة، ولكن المناصح هو الذي يكرر النصيحة المرة تلو الأخرى، إلى أن ينقذ المنصوح مما هو فيه، وهذه الخصال هي:

أولًا: الشفقة على المنصوح، وهي ناشئة من حب الناصح للمنصوح، وفرحه إن حصل له خير، وحزنه إن وقع في شر، وحرصه على جلب المنفعة له ودفع المكروه عنه. وتصدق هذه الحالة كثيرًا في نصيحة الأنبياء لأممهم والآباء لأولادهم.

ثانيًا: النظر في عواقب أمور المنصوح، فالمنصوح ولا سيما من كان في عمر المراهقة والشباب، لا ينظر إلى عواقب الأمور في ما يقدم عليه من أعمال، بسبب قلة تجاربه في الحياة، بينما من عركته التجارب وتقدم في العمر يهتم بالنظر في عواقب الأمور وخواتيمها، ولا يكتفي بالنظر إلى المنافع أو الأضرار الآنية العاجلة فقط.

---

٢٦٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٩.

ثالثًا: استدراك ما فرط به المنصوح، فالمناصح حريص على استدراك ما فات المنصوح من منافع مادية أو معنوية بسبب تفريطه في أداء أو إتقان عمله، وهو يريد بنصيحته أن تكون الأمور في وضعها الصحيح الذي ينبغي أن تكون عليه بعد أن ضيّعها المنصوح، مثل أن يكون المنصوح قد فقد سمعته الطيبة التي ورثها من عائلته بسبب أصدقاء السوء، فيقوم المناصح بنصحه في ترك هؤلاء الأصدقاء والاستعاضة عنهم بأصدقاء آخرين من ذوي السمعة الطيبة.

ثم يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ نتائج قبول ما يقوله المناصح وهي أمران:

الأول: في طاعته رشدك، أي أن المنصوح يبلغ مرحلة الرشد والكمال باتّباع الناصح، ويخرج من مرحلة القصور والتقصير.

الثاني: في مخالفته فسادك، أي إذا خالف المنصوح الناصح في ما نصحه به، فسيؤول أمره إلى الفساد والضياع، ولا يستطيع بعدها تدارك ما فاته، بسبب تضييعه للفرصة التي وضعها أمامه الناصح، وحينئذ لا مفر من الأخذ بنصح الناصح.

وورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قوله: «طوبى لمن أطاع ناصحًا يهديه، وتجنب غاويًا يرديه»[٢٦٦]، أي هنيئًا لمن يصغي إلى نصيحة من ينصحه ويعمل بها؛ لأنّ في ذلك هدايته إلى طريق الصواب، وإنقاذه من مصير أسود ينتظره إن هو عصاه ولم يتنبه إلى ما يقوله له. وهنيئًا لمن تجنب غاويًا وضالًا يريد أن يوقع به ويجره إلى طريق الانحراف والرذيلة، واستطاع أن يميّز بين من يريد أن يهديه ومن يريد أن يضله ويغويه، وإن ظهر الاثنان بمظهر الناصح.

أهل البيت أنصح الناس

وهناك حكمة لطيفة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة يقول فيها: «نحن ـ بنو هاشم ـ أفصح وأنصح وأصبح»[٢٦٧]، أي أن محمدا وآله الطاهرين هم أفصح الناس لسانًا، وتراثهم الموجود بين أيدينا هو خير دليل على ذلك، وقد اعترف بهذه الخصلة لهم المعاند قبل الموافق، والعدو قبل الصديق. وهم أنصح الناس لخلق الله، لا يدخرون جهدًا حتى في المبالغة بنصيحة أعدائهم فضلًا عن أوليائهم، وكتب السير والتأريخ والحديث مليئة بالشواهد على ذلك. وهم أيضًا أصبح الناس وجهًا؛ لأنّ نور الله يتلألأ

٢٦٦. عيون الحكم والمواعظ: ٣١٣.
٢٦٧. نهج البلاغة ٤: ٢٨، الحكمة ١٢٠.

من وجوههم المقدسة، وقد نقل هذه الحقيقة كل من نظر إلى وجوههم، كما نقلته كتب السير والمناقب في حكاية صورهم. وإذا كان أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أنصح الناس، فعلى الناس اتّباعهم.

النصيحة والحجة البالغة

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قال: «قد نُصحتم فانتصحوا، وبُصّرتم فأبصروا، وأُرشدتم فاسترشدوا، فلله الحجة البالغة»[٢٦٨].

يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الحكمة الكريمة، أن الحجة البالغة لله تبارك وتعالى تتمثل في ثلاث مراحل:

الأولى: النصيحة، وقد تقدّم الله عز وجل بالنصيحة لخلقه عبر كتبه السماوية وأنبيائه المرسلين، بل وبالغ لهم في النصيحة، فعزّز المرسلين بالأنبياء، وعزّز الأنبياء بالأوصياء، فلم يخلُ عصر من العصور منهم إتمامًا لحجته عليهم، لئلا يقول الناس يوم الحساب: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾[٢٦٩]. وما على الإنسان إلا أن يقبل بما نصحه الله تعالى به ويطبق ما جاء فيه ليكون من الناجين.

الثانية: التبصير، أي أن الله تبارك وتعالى يبصّر عباده بما ينفعهم وما يضرهم، ببيان واف وواضح لا لبس فيه ولا غموض. كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾[٢٧٠]، فما على الإنسان إذا جاءته البصائر إلا أن يستبصر.

الثالثة: الإرشاد، وهي المرحلة الأعلى في إقامة الحجة البالغة لله تبارك وتعالى على عباده، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[٢٧١]، فرجاء الوصول إلى الإرشاد الإلهي يكون بعد طي مرحلتي الإيمان والاستجابة لله تعالى في ما أمر ونهى.

محبة الناصح

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح»[٢٧٢]، ليكن أحب الناس اليك وأقربهم منك، الذي ينبهك على الأخطاء

٢٦٨. عيون الحكم والمواعظ: ٣٦٦.
٢٦٩. سورة طه: الاية ١٣٤.
٢٧٠. سورة الأنعام: الاية ١٠٤.
٢٧١. سورة الكهف: الاية ٦٦.
٢٧٢. ميزان الحكمة ٤: ٣٢٨١. غرر الحكم: ح٣٤٩٤.

والإشكاليات، وتمسك به فهو الذي ينفعك، لأنه يذكرك دائما بالصواب، ولا تأخذك حالة النرجسية وتتوهم أنك تعرف كل شيء، وأنك لا تخطئ، فكلنا خطاؤون، لذلك علينا أن نبحث عمن يكون شجاعا وجريئا ويصارحنا بأخطائنا.

سُنن النصيحة

الأولى: «من خالف النصح هلك»[٢٧٣]، أي أن نتيجة العمل بما خالف النصيحة هو الهلاك، وليس الندم على فوات فرصة فقط؛ إذ بالنصيحة يتدارك الإنسان ما فاته، ولكن إذا فاتته النصيحة فلن يتداركها.

الثانية: «من عصى نصيحه نصر ضده»[٢٧٤]، أي من لم يطع من ينصحه، فهو بشكل تلقائي يكون قد نصر الغاوي الذي هو ضد الناصح.

الثالثة: «من نصحك فقد أنجدك»[٢٧٥]، أي من نصحك فقد ساعدك وأنقذك، فعندما يشب حريق في بيت إنسان، يحتاج إلى من يهب لمساعدته ونجدته لإطفاء الحريق، ولا يستطيع صاحب الدار أن يقول لهذا المنجد لا احتاج إلى مساعدتك والنار تلتهم عياله وأمواله، والنصيحة كذلك، فلا بد من قبول النصيحة وعدم التهاون في الأخذ بها، إذا صدرت من ناصح مشفق وكانت في محلها.

الرابعة: «من قبل النصيحة أمن من الفضيحة»[٢٧٦]، أي أن قبول النصيحة يدرأ عن الإنسان الفضيحة ويجعله في مأمن منها، لأنّه قد جعل نفسه في حصن حصين يمنع عنه وصول الفضيحة إليه. وهنا مقابلة في معادلة لا تقبل التخلف، أحد طرفيها النصيحة والطرف الآخر الفضيحة، فمن لا يقبل النصيحة فعليه توقع وقوع الفضيحة بين الفينة والأخرى، فيحل به الخزي ويلبس لباس الذل.

الخامسة: «من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»[٢٧٧]، أي أن قبول النصيحة والعمل بها ليس نجاحًا فقط، بل هو من أكبر النجاح، وعدم قبول النصيحة أو قبولها وعدم الأخذ بها من أكبر الخذلان والخسران. فالنجاح والتوفيق في الوصول إلى الأهداف المنشودة مقرونان بقبول النصيحة، والفشل والخذلان مقرونان بعدم قبول النصيحة وترك العمل بها.

---

٢٧٣. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩.
٢٧٤. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٧.
٢٧٥. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩.
٢٧٦. غرر الحكم: ح ٨٤٣، موسوعة أحاديث أهل البيت ١١: ٣٦٨، ح٢٩.
٢٧٧. عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٢.

السادسة: «من أمرك بإصلاح نفسك فهو أحق من تطيعه»[٢٧٨]، التقابل هنا بين الآمر بالنصيحة، وإطاعة المنصوح، وأنّ أحق الناس بالطاعة وأجدرهم بها وأولاهم بالاتّباع هو من ينصحك؛ لأنّه يريد نفعك وإبعاد السوء والشر عنك، من غير أن يدخل في كيسه شيء في عالم الدنيا. وفي مقابل ذلك فإنّ أحق الناس بالعصيان والتمرد هو من غشك بترك نصحك، وعدم المبالاة بالمصير الذي سيؤول إليه أمرك.

السابعة: «من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح»[٢٧٩]، والتقابل هنا بين الإقبال على النصيحة الذي هو إقبال على الأمر الحسن والجميل، والإعراض عنها الذي هو إقبال على الأمر القبيح، فمن اتّجه نحو النصيحة كان في الوقت نفسه معرضا ومبتعدا عن القبيح؛ لأنّهما على طرفي نقيض.

الثامنة: «من استغش النصيح غشيه القبيح»[٢٨٠]، والتقابل في هذه الحكمة هو نقيض التقابل في الحكمة السابقة، فمن غش الناصح وتظاهر بقبول نصيحته وأضمر عدم العمل بها، سيكون مآله وعاقبته أن يغشاه القبيح كما تغشي أمواج البحر الهائجة من يسبح في غمراتها فتغرقه، فالعمل بالنصيحة في الواقع هو طوق النجاة الوحيد الذي يستطيع الغريق أن يتشبث به للنجاة، وإلا كان مصيره الهلاك لا محالة، ولا ينفعه حينئذ لوم نفسه أو الندم على تفريطه في الأخذ بقول الناصحين.

التاسعة: «من أعرض عن نصيحة الناصح أحرق بمكيدة الكاشح»[٢٨١]، الكاشح هو الذي يغوي الإنسان بأسلوب خادع ليّن، ظاهره الشفقة والرحمة وباطنه الحيلة والنقمة، وهو كما قال الشاعر:

يُعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ عنكَ كما يروغُ الثعلبُ

والتقابل هنا بين نصح الناصح ومكيدة المخادع، ومن لم يقبل بالنصيحة وقع في المكيدة، فالإنسان بين خيارين لا ثالث لهما؛ إما اتّباع الناصح بصدقه وصراحته لما فيه خيره وصلاحه، أو الوقوع في شباك مكيدة المخادع بكذبه ومكره لما فيه فساده وهلاكه.

---

٢٧٨. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤١.
٢٧٩. عيون الحكم والمواعظ: ٤٦١.
٢٨٠. غرر الحكم: ح٧٧٤٣، ميزان الحكمة ٤: ٣٢٨١.
٢٨١. عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٩.

العاشرة: «مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش»[٢٨٢]، التقابل هنا بين مرارة النصيحة وحلاوة الغش والخديعة، وتجرع المرارة صعب عسير، وتذوق الحلاوة سهل يسير، والإنسان بطبعه ميّال إلى سلوك الطريق السهل، متنكب عن الطريق الوعر.

وفي هذه الحكمة بيان أن النصيحة على مرارتها، أنفع للإنسان من الغش على حلاوته، بل في حلاوة الغش السم الزعاف، فكم من إنسان خدعته حلاوة العسل فقتله السم الذي دُسّ فيه، وكم من إنسان أحيته مرارة الحنظل من مرض خبيث يعتريه.

الحادية عشرة: «لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون الناصحين»[٢٨٣]، فالخير كل الخير في الأمة الناصحة التي ينصح بعضها بعضًا، والشر كل الشر في الأمة التي تترك النصيحة ويغش بعضها بعضًا. والخير كل الخير في الأمة التي تحب الناصحين وتقدسهم وتضعهم في محل الصدارة والقيادة، والشر كل الشر في الأمة التي لا تحب الناصحين وتتركهم وراءها ظهريًا في زوايا التهميش والإقصاء. ومن أين يأتي الخير لأمة لا تتناصح بينها ولا تحب ناصحيها؟.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: «نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عَلَيْهِ السَّلَامُ إحدى يديه على الأخرى، ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة، أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرًا، فإن استقمتم هديتكم، وإن أعوججتم قوّمتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوي، وكلّت النزعة بأشطان الركي، أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا ولَهَ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا وصفًا صفًا؟ بعض هلك، وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى، مُره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك هم إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم. إن الشيطان يُسني لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة، ويعطيكم

٢٨٢. عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٩.
٢٨٣. عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٥.

بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم»[٢٨٤].

تحتوي هذه القطعة المباركة من خطبة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أهل الكوفة، وصفًا لحواريي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذين آمنوا حقًا، وجاهدوا بين يديه صدقًا، فقتلوا وقُتلوا، ثم يتشوق إليهم ويبث لوعته على فراقهم. وفي كلامه هذا تعريض لأنصاره الذين خذلوه في ساعة الحسم في ميدان القتال في معركة صفين، عندما انشق آلاف منهم وأجبروه على قبول التحكيم، ثم ها هم اليوم يعترضون عليه بشأن ذلك. ثم يحذرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ الفرقة والاختلاف، فانّهما من دسائس الشيطان الرجيم، يريد من بعدهما الفتنة، ويحذرهم من إملاء الشيطان لهم ووساوسه ونفثاته. ثم يطلب منهم قبول النصيحة ممن يهديها لهم، وأن يحبسوها على أنفسهم. وقد كانت هذه الخطبة قبل واقعة النهروان، ولكنها لم تنفع معهم، وأسلسوا قيادهم إلى الشيطان حينما اجتمعوا لحرب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقتلوا عن بكرة أبيهم، وخسروا الدنيا والآخرة؛ لأنّهم لم يقبلوا نصيحة أنصح الناس لهم، ولو قبلوها وعملوا بها لربحوا دينهم ودنياهم، ولكن أضلهم الشيطان بمكره، وكانت عاقبة أمرهم إلى الخسران المبين.

انتهينا من الحديث عن الحق السابع، وسنتناول الحق الثامن في الجلسة المقبلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٨٤. نهج البلاغة ١: ٢٣٤، الخطبة ١٢١.

المحاضرة الأخلاقية الخامسة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٩/١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أهمية هذه الأخوّة وأبعادها وآثارها وتبعاتها في الدنيا وفي الآخرة، ثم انتقلنا للحديث عن حقوق الأخ على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق الثامن من هذه الحقوق.

الحق الثامن/ حفظ خلة المؤمن

الحق الثامن من الحقوق الإيمانية هو حفظ خلّة المؤمن، وهو قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يحفظ خلته»، أي على المؤمن أن يحفظ مودّة أخيه المؤمن، وأن يكنّ له المحبة والمشاعر المرهفة والعواطف الصادقة، فمن حق المؤمن على المؤمن أن يتعامل معه بحب وودّ وتقدير واحترام.

وهذه السمة من السمات المهمة التي يجب أن توجد في قلب المؤمن ومشاعره تجاه المؤمن الآخر؛ لانّها أُخوّة إيمانية أساسها الإيمان بالله (سبحانه وتعالى)، والإيمان برسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والإيمان بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فالمحبه لله ولرسوله ولأهل البيت تمتد لتشمل الأخ المؤمن، وحينما يحبه ويوده يكون خليله، فالخلة من الخليل.

ومعنى «ويحفظ خلته» أي يجب على المؤمن أولًا أن يحب أخاه المؤمن، ثم يثبت على هذه المحبة، والثبات على المحبة متوقف على وجود المحبة نفسها.

خلة المؤمن في الروايات

هناك روايات كثيرة وردت في هذا الباب تؤكد أهمية هذه المحبة والمودة والخلة بين المؤمنين، نستعرض بعضًا منها:

ورد في كتاب وسائل الشيعة، باب وجوب حب المؤمن وبغض الكافر ـ وكما نعرف فإنه في كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي، وهو من كبار فقهاء الإمامية، يضع عنوان الأبواب من الفتوى التي يستنبطها من الروايات في ذلك الباب، وهنا يستنبط وجوب حب المؤمن وبغض الكافر، وحرمة بغض المؤمن وحب الكافر ـ هذه الرواية عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «إنّ الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يعلم ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار»[٢٨٥].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة سعة كرم الله تبارك وتعالى، وعظم منزلة أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بحيث أن من يحبهم من غير أن يعرف ما هم عليه من الإيمان بولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يدخله الله تعالى الجنة، وكذا يدخل من يبغضهم النار وإن لم يعلم ما هم عليه. وهذا الحديث يستبطن مفهومًا مهمًا، وهو أن من يحب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإن لم يعرف ما هم عليه يدخل الجنة، وأنّ من يبغضهم وإن لم يعرف ما هم عليه سيدخل النار. وأما من يحب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهو عارف بحقهم، ويحب أتباع أهل البيت وهو عارف بما هم عليه، فهو من أهل الجنة وإن لم يكن منهم. وكذا سيدخل النار لا محالة من أبغض أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهو عارف بحقهم، ومن أبغض أتباعهم وهو عارف بما هم عليه من الهدى. وأما من نصب لهم العداوة وهو عارف بحقهم فهو في الدرك الأسفل من النار.

في رواية أخرى عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لأخيه»[٢٨٦]، فالمعيار في الأفضلية هو حب المؤمن لأخيه المؤمن، وتتفاوت درجات المؤمنين بتفاوت حب بعضهم للبعض الآخر،

٢٨٥. وسائل الشيعة ١٠: ١٧٦، ح١.
٢٨٦. الكافي ٢: ١٢٧، ح١٥.

والأفضلية هنا هي عند الله تبارك وتعالى، ولكن الرواية هنا تقصر هذه الأفضلية في حالة اللقاء بين المؤمنين، وكأنّ الأفضلية تختلف باختلاف الحالات. وعلى كل حال فقد بيّنت الرواية الشريفة العلاقة بين الإيمان والحب على أساس الأخوّة الإيمانية، ولم تجعل معيار الأفضلية هذا خارج حدود الدائرة الإيمانية.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: أيّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصوم، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لكلٍّ فضل، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله»[٢٨٧].

يبّين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك أن للإيمان عرى عديدة، ولكن العروة الأوثق هي الحب في الله. ونرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يستعمل أسلوب وطريقة السؤال والجواب، ليركز هذه المعلومة في الأذهان، وهذا منهج في التعليم، لأنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم أن ما سيقوله معلومة جديدة لم يتعلمها المسلمون من قبل ولا تخطر في بالهم، ونرى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد استعمل هذا المنهج في كثير من الموارد التي جمعتها الموسوعات الروائية.

فأوثق عرى الإيمان هو الحب في الله؛ لأنّ هذا الحب في الله (سبحانه وتعالى) هو الذي يعطي الثبات للإنسان، وقد ورد عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وهل الدين إلا الحب»[٢٨٨]» وينبغي للإنسان أن تتحرك مشاعره على وفق الموازين الإلهية، وهي الحب في الله، والبغض في الله، وتولي أولياء الله، والبراءة من أعداء الله، والتولي والتبري وجهان لعملة واحدة وحقيقة واحدة، فلا يمكن لإنسان أن يحب شخصًا ويحب عدوه أيضًا في آن معًا، لأنّ كل واحد منهما نقيض الآخر، ولا يمكن أن يجتمع نقيضان في آن واحد ومكان واحد. ولذلك فالتولي دائمًا هو الوجه الآخر للتبري، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، ويخطئ من يتصور أنّه يستطيع أن يجمع بين ولاءين لعدوين متعارضين؛ فعلامة الحب هي البغض للنقيض، ولا يمكن لأحد أن يدّعي أنّه يحب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويحب قاتليهم، كما نرى ذلك ممن يشيعون هذه الثقافة الساذجة بين المسلمين

٢٨٧. الكافي ٢: ١٢٥، ح٦.
٢٨٨. الكافي ٨: ٨٠، ح٣٥.

بقولهم: سيدنا معاوية حارب سيدنا عليًا، وسيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين، وهو مجرد كلام سفسطائي لا واقع له، وخدعة مفضوحة لا يتقبّلها إلا السذج من الناس.

وفي رواية أخرى عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له»[٢٨٩]، يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا معيار التدين والالتزام بالدين، وأنّه الحب في الله والبغض في الله، ومن لم يكن كذلك فلا دين له.

وعلى ضوء هذا الميزان نستطيع أن نعرف حينئذ من هو المتدين حقًا ومن هو مدّعي التدين، وليس للمتدين أن يحب من يشاء ويبغض من يشاء على أساس آخر غير هذا المقياس المذكور، والمتدين الحقيقي هو الذي يجعل العقيدة تتحكم بمشاعره، فيحب من أراد الله أن يحبه، ويبغض من أراد الله أن يبغضه، وهذه هي حقيقة الدين؛ لأنّ الدين التزام وليس مجرّد ادّعاء، وليس مجرد أفكار نؤمن بها بالقلب ونخالفها بالسلوك، وحتى نعرف أنّا متدينون حقًا يجب أن نرى هل تنطبق عقيدتنا مع سلوكنا وأفعالنا، فإذا انطبقت فنحن متدينون، وإلا يجب أن نشك في ديننا وفي التزامنا.

وعن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من حب الرجل دينه حبه لإخوانه»[٢٩٠]، يطرح الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة معيارًا وميزانًا في معرفة حب الإنسان لدينه، فحب الإخوان من الدين، ولا يمكن أن يكون للإنسان التزام ديني ويكون محبًا لدينه، وهو لا يحب إخوانه المؤمنين، ومن محبة الإنسان لإخوانه نكتشف مدى التزامه وحبه لدينه.

وعن ابن أبي نجران قال: «سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، ومن أبغضهم فليس منا. . . إلى أن قال: من ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله؛ لأنّهم عباد الله حقًا وأولياؤه صدقًا، والله إنّ أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر»[٢٩١]، يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية منزلة أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ردًّا على حملة مسعورة من أعداء آل محمد والناصبين لهم العداء، التي ما زالت مستمرة إلى يومنا الحاضر، وخلاصة هذه الدعوة أن أهل البيت شيء وأتباعهم شيء آخر، وأنّهم لا يمثلونهم وليسوا منهم ولا

٢٨٩. الكافي ٢: ١٢٧، ح١٦.
٢٩٠. وسائل الشيعة ١٦: ١٧٩، ح٨.
٢٩١. بحار الأنوار ٦٥: ١٦٧، ح ٢٥.

على منهجهم، وإنما هم يتسترون بحب أهل البيت تمريرًا لآرائهم الضالة وعقائدهم المنحرفة التي أخذوها من اليهودية تارة ومن المجوسية تارة أخرى، ولذلك يزعم هؤلاء النواصب أنّهم من يحب أهل البيت حقيقة، لا هؤلاء الروافض الذين يستحقون الذبح والقتل الجماعي بالعبوات والمفخخات. وهي دعوة أكل عليها الدهر وشرب، لا يملك القوم غيرها لتبرير جرائمهم البشعة بحق شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عبر القرون المتمادية.

ومن هنا فقد تصدى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بنفسه ليضع الموازين القسط في نصابها، لئلا يعدو الباطل على الحق، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فبيّن حقيقة منزلة أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنّ من عاداهم فقد عادى أهل البيت، ومن والاهم فقد والى أهل البيت، ومن أبغضهم فليس من أهل البيت. ثم ينتقل إلى مرتبة أعلى في بيان درجتهم فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله». فهل هناك منزلة أعظم من هذه المنزلة؟.

ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ العلة التي من أجلها حصلوا على هذه المرتبة الرفيعة، وهي أنّهم عباد الله حقًا وأولياؤه صدقًا، فمن كان سلوكه سلوك الولاء لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومن كان التشيّع لعلي وآل علي يسري في دمائه وينعكس على أفعاله ويظهر في أقواله، فهو من عباد الله حقًا وأوليائه صدقًا. ثم يقسم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بالله تبارك وتعالى لبيان الكرامة التي حباهم الله تعالى بها يوم القيامة، ولا يفعل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك إلا لبيان أمر خطير، قد لا يتعقله السامع لأول وهلة فيقول: «والله إنّ أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر»، أي يشفع الفرد الواحد منهم لشعب بأكمله فيدخله الجنة لو شاء ذلك؛ لأنّ العرب كانوا آنذاك ربيعة ومضر.

وعن ابن فضال عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله، وحق على الله أن يدخله نار جهنم»[٢٩٢]، فالموالاة لأعداء الله تعني المعاداة لأولياء الله، لأنّ التولي والتبري وجهان لحقيقة واحدة، وهما من أوضح سمات الإيمان، ولا يستقيم معهما قول من يقول إن الجميع عنده على حد سواء، وإنّه يقف على مسافة واحدة من الجميع، أو إنّه يحب الله تعالى ويحب أحباءه، ولكنه لا يتبرأ من أعدائه، فلا بد من أن تكون عنده موازين الحب في الله والبغض في الله، وبالطبع لا أحد يدّعي أنّه يبغض الله أو يبغض أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ،

٢٩٢. بحار الأنوار ٧٢: ٣٩١، ح١١.

ولكن المعيار في تشخيص ذلك هو حب أتباع أهل البيت، فمن كان محبًا لهم فهو محب لله تعالى، ومن كان مبغضًا لهم فهو مبغض لله تعالى.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من فضل الرجل عند الله محبته لإخوانه، ومن عرّفه الله محبة إخوانه أحبّه الله، ومن أحبّه الله وفّاه أجره يوم القيامة»[٢٩٣]، يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا أن ميزان المفاضلة بين المؤمنين عند الله عز وجل هو مقدار حب المؤمن لإخوانه المؤمنين، فكلما كان حبه لهم أكبر، كانت منزلته أعظم عند الله عز وجل. ولكي يوفقه الله جل جلاله إلى نيل هذه المنزلة الرفيعة يهيئ له سبل معرفة إخوانه ومحبتهم، ومن عرّفه الله محبة إخوانه أحبّه الله تعالى، ومن أحبّه الله وفّاه أجره يوم القيامة.

قد يخطر بالبال أن الله تبارك وتعالى يوفّي أجر كل عمل صالح وثوابه ولا يبخس منه شيئًا، فكيف يقول هنا إنّه يوفيه أجره، وكأنّه الوحيد الذي يستوفي أجره يوم القيامة؟. والجواب: أن الله تعالى قدر لكل عمل صالح مقدارا من الثواب، كما حدّد لكل عمل طالح مقدارًا من العقاب، وهو أمر يعرفه الملائكة الذين يباشرون حساب الناس في يوم القيامة، إلا أجر محبة المؤمن لأخيه المؤمن، فليس له مقدار معيّن من الثواب لعظمته، ولذلك فإنّ الله تبارك وتعالى يتولى بنفسه إعطاء هذا الثواب للمؤمن.

وهناك روايات مهمة في هذا الباب ذُكرت في كتاب الكافي الشريف، نتطرق إليها في ما يلي:

منها: ما رواه سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله»[٢٩٤]. أي أن للإيمان طرقًا كثيرة متفاوتة سعة وضيقًا، ولكن أعظم هذه الطرق وأوسعها هو ودّ المؤمن لأخيه المؤمن في الله، لا من أجل شيء آخر. والمودّة هي الحب الشديد، ولذلك طلبها الله تبارك وتعالى من المسلمين أجرًا للنبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على تبليغ الرسالة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢٩٥].

---

٢٩٣. بحار الأنوار ٧١: ٣٩٧، ح٢٩.
٢٩٤. الكافي ٢: ١٢٥، ح٣.
٢٩٥. سورة الشورى: الاية ٢٣.

ثم ينتقل الحديث الشريف إلى بيان الوسيلة التي يستطيع بها المؤمن الوصول إلى مرتبة الأصفياء، ألا وهي الحب في الله والبغض في الله، والعطاء في الله والمنع في الله، فإذا استوفى المؤمن هذه الأمور الأربعة، كان من خالصة عباد الله وصفوتهم. ولكن الحب في الله والبغض في الله أمر ليس سهل المنال، فالإنسان قد يقدم على فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، طاعة له وامتثالاً لأمره ونهيه، رغبة في الثواب أو فرارًا من العقاب، وأما الحب في الله والبغض في الله فهما يحتاجان إلى معرفة الله تعالى أولًا، أي معرفة أسمائه وصفاته، وهو أمر صعب إلا لمن سلك طريق التوحيد الخالص الذي لا تشوبه أي شائبة من شوائب الشرك، ولكن أكثر الناس ليسوا كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٢٩٦]، ولهذا لا يتذوق طعم التوحيد الخالص، ولا يحظى بهذه المنزلة، إلا الأوحدي من المؤمنين.

ومنها: ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور الله، قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله»[٢٩٧].

تنقل هذه الرواية المباركة مشهدًا من مشاهد يوم القيامة يختص به المتحابون في الله، وهو أن الله تبارك وتعالى يجلسهم على منابر من نور الله، فتشرئب الأعناق إليهم وتشخص الأبصار بالنظر لهم، وقد ملأ نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم عرصات يوم القيامة، فيعرف جميع الخلق أن هؤلاء المتحابون في الله. ويعكس هذا المشهد الفريد عظم منزلة المودة والمحبة الإيمانية الإلهية بين المؤمنين.

ومنها: ما رواه أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين، قام منادٍ فنادى يُسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب. قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب. قال: فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله. قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله. قال: فيقولون: نِعمَ أجر العاملين»[٢٩٨].

---

٢٩٦. سورة يوسف: الاية ١٠٦.
٢٩٧. الكافي ٢: ١٢٥، ح٤.
٢٩٨. الكافي ٢: ١٢٦، ح٨.

يتحدث الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة عن مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة يتعلق بالمتحابين في الله، وهذا المشهد يكون بحضور جميع الخلائق من الأولين والآخرين، فيأتي ملك من الملائكة قبل بدء الحساب وينادي بصوت مرتفع يسمعه الجميع: أين المتحابون في الله؟ وهذا يعني أنّهم يعرفون أنفسهم، وأنّ هذه هي صفتهم عند الله عز وجل، فتقوم طائفة من الناس ويتقدمون نحو هذا الملك، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة بغير حساب. فيذهبون نحو الجنة، فيلقاهم ملائكة آخرون ويقولون لهم: إلى أين أنتم ذاهبون ولم يبدأ الحساب بعد؟ فيخبرونهم بأن الملائكة أخبرتهم بدخول الجنة بغير حساب. فيسألونهم أي نوع من الناس أنتم؟ أي ما هو عملكم الذي استحققتم به دخول الجنة بغير حساب؟ فيخبرونهم أنهم المتحابون في الله. فتقول لهم الملائكة: نِعمَ أجر العاملين. وهذه الجملة تستحق وقفة للتأمل فيها، وهي أن الحب والبغض أمر جوانحي، أي مسألة قلبية محضة، وقد استحق هؤلاء المتحابون دخول الجنة جزاء لهذا الأمر القلبي، فكيف تقول لهم الملائكة: «نِعمَ أجر العاملين» ؟ أي أنكم استحققتم هذا المقام بعملكم لا بمجرد حبكم وبغضكم في الله.

والجواب: أن المؤمن لا يصل إلى هذه المنزلة العالية ـ أي منزلة الحب والبغض في الله ـ إلا بعد طي منازل كثيرة من التزكية والعمل الصالح، والحصول عليها إنما هو بمثابة تتويج لما سبق منه في جهاده الأكبر ضد النفس الأمّارة بالسوء، وعندها يكون دخولهم الجنة من غير حساب باعتبار أن صحيفة أعمالهم خالية من السيئات التي غفرها الله تعالى لهم، بعد وصولهم إلى منزلة الحب في الله والبغض في الله، وليس فيها سوى الحسنات التي لا يقدر على إحصائها العادّون.

ومنها: ما رواه جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرًا فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففيك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته، فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب»[٢٩٩].

ربما يتساءل الإنسان أحيانًا هل هو من الصالحين فتكون عاقبته الجنة، أو من الطالحين فتكون عاقبته النار؟ ويريد أن يعرف ذلك من غير أن يطّلع على نيته أحد. وهنا يعطي الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ معيارًا يعرف الإنسان من خلاله حقيقته؛ هل فيه خير أو ليس كذلك؟ وهذا المعيار هو أن ينظر الإنسان إلى قلبه، هل يحب أهل الإيمان والطاعة أو

٢٩٩. الكافي ٢: ١٢٦، ح١١.

يبغضهم؟ وهل يحب أهل العصيان والفسوق أو يبغضهم؟. فإن كان يحب أهل الخير والصلاح ويبغض أهل الشر والعناد، فليعلم أنّه على خير وأنّ مصيره إلى الجنة، وإن كان على عكس ذلك، فليعلم أنه لا خير فيه وهو من أهل جهنم. ثم يعلل الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك بأن الإنسان يُحشر مع من يحب، فإن أحب أهل الجنة كان معهم، وإن أحب أهل النار كان معهم.

ومنها: ما رواه جابر الجعفي أيضًا عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «لو أن رجلًا أحب رجلًا لله لأثابه الله على حبه إياه، وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أن رجلًا أبغض رجلًا لله، لأثابه الله على بغضه إياه، وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة»[٣٠٠].

وفي موضوع حب المؤمن لأخيه المؤمن، يبيّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعدًا جديدًا، وهو حالة حب المؤمن لشخص على أساس أنه مؤمن، وهو في علم الله ليس كذلك، وانّما كان يتظاهر بالإيمان، فإنّ الله عز وجل يثيب هذا المؤمن ويدخله الجنة، بينما يدخل ذلك الشخص النار؛ لأنّ هذا المؤمن أحب هذا الشخص على أساس الإيمان، ولم يتبيّن له خلاف ذلك إلى أن مات. وعلى العكس من ذلك؛ لو أن مؤمنًا أبغض شخصًا على أساس أنّه من أهل النار إلى أن مات، ولم يكتشف حقيقته ليصحح موقفه منه، فإنّ الله عز وجل يُدخل هذا المؤمن الجنة، وسيلتقي مع من كان يبغضه فيها، لأنّ بغضه إياه كان لله تعالى. ومنه يتبين ما لنيّة الإنسان من أثر عظيم في مصيره وإن خالفت الواقع.

أكتفي بهذا المقدار لهذا اليوم، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٠٠. الكافي ٢: ١٢٧، ح١٢.

المحاضرة الأخلاقية السادسة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٩/١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين. تقبل الله أعمالكم.

كان حديثنا في اللقاءات الماضية عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن واحدة من أهم العناوين في الأخوّة هي الحقوق المتبادلة بين الأخ وأخيه المؤمن، وانتهينا في هذه الحقوق إلى الحق الثامن، وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (يحفظ خلّته) حيث كان الحديث عن الخلة والمحبة والرفقة والصحبة بين المؤمنين، وكم لها من قيمة عظيمة حينما يحمل الإنسان المؤمن في نفسه، في مشاعره، المحبة والمودة لأخيه المؤمن، وحينما يُبرز هذه المحبة، هذه الخلة لها أثر عظيم في وجود الإنسان، في كمال الإنسان، في حركته التكاملية نحو الله (سبحانه وتعالى)، وقد ذكرنا العديد من الروايات والنصوص الشرعية في هذا الموضوع ونستمر باستعراض عدد وطائفة من الروايات التي تشير إلى أهمية هذه المودة والمحبة والخلة بين المؤمنين.

أهمية حفظ الخلة الإيمانية

إنّ حفظ الخلة متفرع على وجود الخلة، إذ يجب أولًا أن يحب المؤمن أخاه المؤمن ويودّه ويصاحبه، ثم يجب عليه أن يديم ويحفظ هذه الخلة، فنفس المحبة شيء مهم، ولكنّ الحفاظ عليها وإبقاءها وتعميقها وترسيخها في قلب المؤمن تجاه أخيه المؤمن شيء آخر يجب الالتفات إليه.

وقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث: إما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، وإما دعاء يدعو به فيصرف الله

عنه بلاء، وإما أخ يستفيده في الله عز وجل. ثم قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام، مثل أخ يستفيده في الله بعد الإسلام»[٣٠١].

لا شك في أن المداومة على حضور الصلاة في المسجد لها الكثير من الفوائد، اقتصر الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في هذا المقام على ذكر ثلاث منها، وهذا يدلل على أهمية إحياء وإقامة الصلاة في المساجد، وهذه الفوائد هي:

الأولى: دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، لأنّ حضور صلاة الجماعة في المساجد من مواطن استجابة الدعاء، وإنّ أهم ما يدعو به المؤمن هو دخول الجنة، فهو من المطالب التي يواظب عليها المؤمن طيلة حياته، وهذا الإصرار على هذا الدعاء وتكراره والإلحاح به على الله تعالى مع جماعة المؤمنين في المسجد، توفر فرصة أكبر للاستجابة، وحينئذ سيضمن لنفسه دخول الجنة.

الثانية: دعاء يدعو به فيصرف الله عنه بلاء، ولا شك في أن دفع الضرر والبلاء يضاهي جلب المنفعة، وإذا كان المؤمن حريصا على طلب الجنة، فهو حريص أيضًا على الدعاء لدفع البلاء عن نفسه وعائلته وجماعة المؤمنين، فإنّ الله تبارك وتعالى لا يردّ عبده خاليًا إذا دعاه، فالمؤمن إذا طلب حاجة ما في دعائه، وكان من حكمة الباري (عز وجل) عدم قضائها أو تأخيرها، فهو لا يردّ يديه خاليتين، بل يدفع عنه بلاء قد حل به، أو يصرف عنه بلاء كان مقدرًا أن يقع فيه.

الثالثة: أخ يستفيده في الله عز وجل، لأنّ من يواظب على حضور الصلاة في المسجد هم أهل الإيمان، الذين يتقربون إلى الله (سبحانه وتعالى) بذلك؛ لأنّه من الأعمال التي ندب إليها وحث عليها ووعد عليها الثواب الجزيل. فالشريحة التي تجتمع في المسجد هي طبقة من الناس الذين لديهم التزام ديني عادة، فهم على شاكلته وأقرب إلى طراز تفكيره وسلوكه، وحينئذ سيكون من السهل جدًا إقامة علاقة معهم وتوطيدها.

ثم نقل الإمام الصادق عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حديثًا عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، مفاده أنّه ليس هناك من فائدة للمسلم بعد الإسلام من الأخ المسلم، وهي نعمة عظمى؛ لأنّ الأخ المؤمن لا يرضى لأخيه المؤمن أن يقع في الخطأ، ويحب له ما يحب لنفسه، ولأنه مؤمن فهو لا يريد الخطأ لنفسه ويريد لها الطاعة وفعل الخيرات، فيحب ذلك لأخيه ويحثه على الالتزام بها، ويصطحبه إلى أماكن الطاعة وينبهه إلى ما فيه خيره وصلاحه،

٣٠١. بحار الأنوار ٧١: ٣٧٥، ح٣.

ويمنعه من الوقوع في المعاصي والأخطاء. فبعد الإسلام يعدّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأخ المؤمن أهم النعم؛ لأنّ وجوده سيستتبع الكثير من الالتزامات، وسيدفع عنه الوقوع في الكثير من المطبات والمحرمات.

وفي رواية أخرى عن محمد بن زيد قال: «سمعت الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من استفاد أخًا في الله عز وجل، استفاد بيتًا في الجنة»[٣٠٢].

يبيّن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة أحد أنواع الثواب الذي يحصل عليه المؤمن من اتّخاذه مؤمنًا آخر أخًا له، وهذا الثواب هو بيت في الجنة، فمقابل كل مؤمن نبني معه علاقة إيمانية وننفتح عليه ونصاحبه، سنحصل على بيت في الجنة؛ لأنّ الأخ المؤمن يعني إتيان مجموعة من الطاعات، وترك مجموعة من المحرمات أو المكروهات، وهذا يضمن لنا بيتًا في الجنة، فكل أخ مؤمن سيعني مجموعة من النصائح والإرشادات والتوجيهات، ومجموعة من المواقف الطيبة والتشجيع على مواقف صحيحة، وهذا كله يمكن أن يوفر لنا بيتًا في الجنة، فالذي يصاحب عشرة من المؤمنين، ستكون عنده عشرة بيوت في الجنة.

في رواية أخرى عن جعفر بن محمد بن أبي فاطمة قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن العبد يكون بارًا بقرابته ولم يبقَ من أجله إلا ثلاث سنين، فيصيّره الله ثلاثًا وثلاثين سنة، وإنّ العبد ليكون عاقًا بقرابته وقد بقي من أجله ثلاث وثلاثون سنة، فيصيّره الله ثلاث سنين. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. قال: قلت: جعلت فداك، فإن لم يكن له قرابة؟ قال: فنظر إليّ مغضبًا وردّ عليّ شبيهًا بالزبر: يا ابن أبي فاطمة، لا تكون القرابة إلا في رحم ماسة، صل أخاك المؤمن، فللمؤمن على المؤمن أن يبره فريضة من الله. يا ابن أبي فاطمة تباروا، فينسئ الله في آجالكم، ويزيد في أموالكم، وتعطون العافية في جميع أموركم، وإن صلاتكم وصومكم وتقربكم إلى الله أفضل من صلاة غيركم»[٣٠٣].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أهمية صلة الرحم والبر بالأقارب في إطالة الأعمار عشرة أضعاف، فمن كان مقدرًا له أن يموت بعد ثلاث سنين، يُنسئ الله تعالى في أجله ويؤخر موته ثلاثين سنة، ليبقى حيًا إلى ثلاثة وثلاثين عامًا. وعلى عكس هذا الأمر؛ فإنّ الله تبارك وتعالى يقلل من أعمار قاطعي الأرحام عشرة أضعاف ما بقي منها، فمن

٣٠٢. بحار الأنوار ٧١: ٢٧٦، ح٤.
٣٠٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٧٧، ح ١٠.

كان ما بقي من عمره ثلاثة وثلاثين عامًا، يبتر الله تعالى شأنه ثلاثين عامًا منها، فيبقى من أجله ثلاث سنين.

ثم ينتقل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ في معرض جوابه عن استفسار الراوي عمن لم يكن عنده أقارب ليصلهم ـ إلى بيان أن صلة الأخ المؤمن بمنزلة صلة الأرحام، وتترتب عليها الآثار نفسها، بل إن بر المؤمن وصلته من الواجبات. وقد استنكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على الراوي هذا السؤال؛ لأنّه من الأمور التي ينبغي أن تكون واضحة عند المؤمن، أن منزلة الأخ المؤمن تضاهي منزلة الأرحام، بل تزيد عليها إذا لم يكن الأرحام مؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾[٣٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[٣٠٥]. ومصاديق صلة الرحم والبر كثيرة، تبدأ بالسلام والكلمة الطيبة، وصولًا إلى مواساته بالمال وإيثاره على النفس.

ثم بدأ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بعطف الكلام إلى توصية المؤمنين بأن يبر أحدهم الآخر، وبيّن آثارًا أربعة للتواصل بين المؤمنين وهي: الزيادة في الآجال، والزيادة في الأموال، والعافية في جميع الأمور، وأنّ صلاتهم وصومهم وتقربهم إلى الله أفضل من صلاة غيرهم. فالعبادة تقبل بشكل أفضل حينما تكون مع العلاقات الإيمانية. ثم تلا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣٠٦]، والسر في تلاوته عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذه الآية الكريمة هو قلة وجود أخوّة حقيقية بين المؤمنين؛ لأنّ أكثر المؤمنين ليسوا من أصحاب الإيمان الخالص بالله تعالى، فلا تكون علاقتهم بإخوانهم المؤمنين علاقة إيمانية خالصة، بل هم يشركون معها نية أخرى، كالقرابة والمناطقية والمصلحة وغير ذلك، مما يؤثر في منزلة هذه الأخوّة عند الله تبارك وتعالى.

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ما أحدث الله إخاءً بين مؤمنين إلا أحدث لكل منهما درجة»[٣٠٧]، أي أن الأخوّة الإيمانية التي يحدثها الله تعالى بين مؤمنين، في كل مستوى من المحبة، يرفعهم الله عز وجل بها درجة، وكلما اتسعت مساحة هذه الأخوّة بين المؤمنين، ارتفعت درجاتهم عند الله تعالى.

---

٣٠٤. سورة آل عمران: الاية ٦٨.
٣٠٥. سورة التوبة: الاية ٧١.
٣٠٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٧٨، ح١٤.
٣٠٧. بحار الأنوار ٧١: ٢٧٨، ح١٤.

وعن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ المؤمنين المتواخيين في الله ليكون أحدهما في الجنة فوق الآخر بدرجة، فيقول: يا ربّ إن صاحبي قد كان يأمرني بطاعتك ويثبطني عن معصيتك ويرغبني في ما عندك، فاجمع بيني وبينه في هذه الدرجة، فيجمع الله بينهما. وإنّ المنافقين ليكون أحدهما أسفل من صاحبه بدرك في النار، فيقول: يا ربّ إن فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ويثبطني عن طاعتك ويزهدني في ما عندك، فاجمع بيني وبينه في هذا الدرك، فيجمع الله بينهما. وتلا هذه الآية: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣٠٨]»[٣٠٩].

ينقل الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا مشهدين من مشاهد الآخرة، أحدهما في الجنة والآخر في النار، وهما معًا يحكيان تأثير الأخوّة والخلة في تعالي درجات المؤمن في الجنة، وتسافل درجات الكافر في النار.

المشهد الأول هو لمؤمنين متآخيين في الله، ولكن أحدهما أعلى درجة من الآخر، لأنّ الجنة درجات، كما أن النار دركات. ومن كان في الدرجة العليا يُؤذن له بالنزول للدرجات التي تحته، ولا يُسمح لأصحاب الدرجات السفلى بالصعود إلى الدرجات الأعلى، فيقول صاحب الدرجة العليا لله تبارك وتعالى: يا ربّ إن صاحبي قد كان يأمرني بطاعتك، فيحثني على إتيان الصلوات في أوقاتها، ويشجعني على صلاة الليل والدعاء وتلاوة القرآن، وكان يثبطني عن معصيتك ويخوفني عواقبها، وكان يرغبني أيضًا في ما عندك من الثواب الجزيل، فاجمع اللهم بيني وبينه في هذه الدرجة. فيجمع الله جل جلاله بينهما في الدرجة العليا، وكذا يحصل المؤمن الآخر على الدرجة الأعلى ببركة العلاقة الإيمانية مع أخيه المؤمن.

والمشهد الثاني في النار لمنافقين كانا متآخيين في الدنيا، ولكن أحدهما في درك أسفل من الدرك الذي فيه صاحبه، فيقول صاحب الدرك الأسفل: يا ربّ إن فلانًا كان يأمرني بمعصيتك ويصطحبني معه إلى أماكن المعاصي، ويثبطني عن طاعتك، فكلما هممت بالعمل بطاعتك سوّف لي التوبة وأخّرني عنها حتى انقضى عمري، وكان يزهّدني في ما عندك من الثواب، ويقول إن كان ما يقولون صحيحا فإنّ هذا الثواب والعقاب ليس حقيقيًا، وإنّما هو كالأحلام التي يراها الإنسان في منامه، اللهم فاجمع بيني وبينه في هذا الدرك، فيجمع الله تعالى شأنه بينهما في هذا الدرك لينال عذابًا أشدّ،

٣٠٨. سورة الزخرف: الاية ٦٧.
٣٠٩. بحار الأنوار٧١: ٢٧٨، ح١٤

كل ذلك بسبب الخلة التي كانت بينهما في دار الدنيا. ثم تلا الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فالخلة نافعة للمؤمن ومضرة للمنافق في الآخرة.

وعن الإمام الصادق عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «النظر إلى العالم عبادة، والنظر إلى الإمام المقسط عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر إلى الأخ تودّه في الله عز وجل عبادة»[٣١٠].

يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف أربعة أنواع من العبادة، التي قد يُدهش الإنسان من إطلاق اسم العبادة عليها، لولا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سمّاها كذلك:

أولها: النظر إلى العالم عبادة؛ لأنّ النظر إليه يذكّر بالله عز وجل.

ثانيها: النظر إلى الإمام المقسط عبادة؛ لأنّ رؤيته تذكّر بالعدل والإنصاف، وهو يشمل الحاكم العادل أيضًا.

ثالثها: النظر إلى الوالدين عبادة، وقيّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ النظر إليهما بالرأفة والرحمة، بينما لم يفعل ذلك في النوعين السابقين.

رابعها: النظر إلى الأخ المؤمن عبادة، وهو الشاهد، وقيّد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ النظر إليه بالمودّة في الله عز وجل، فلا يشمل مطلق النظر إليه. ومن هنا يتبين عظم منزلة الأخوّة الإيمانية عند الله عز وجل.

وعن عمار بن موسى قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار»[٣١١].

ورد التقابل بين الأبرار والفجار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٣١٢]، مما يدلل على أنّهما من الألفاظ المتقابلة التي يحمل كل منها معنى مناقضًا لمعنى اللفظ الآخر، والأبرار هم أصحاب الدرجة العليا في الجنة، كما ورد ذلك صريحًا في قوله تعالى: «إنّ كتاب الأبرار لفي عليين. وما أدراك ما عليون. كتاب

٣١٠. بحار الأنوار ٧١: ٧٣، ح٥٩.
٣١١. الكافي ٢: ٦٤٠، ح٦.
٣١٢. سورة الانفطار: الاية ١٣ ـ ١٤.

مرقوم. يشهده المقربون»[٣١٣]، بينما يحتل الفجّار الدرك الأسفل في الجحيم، كما ورد ذلك في الآية الكريمة: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾[٣١٤]. فالأبرار والفجار على طرفي نقيض، وكل واحد منهما يمثل القدوة لأصحابه، فالأبرار يمثلون أهل الجنة، بينما يمثل الفجار أهل النار.

وقد قسمت الرواية الكريمة حب كل واحد منهما وبغضه لمثيله ولمناقضه إلى أربعة أقسام:

الأول: حب الأبرار للأبرار، وهو موضع الشاهد في أهمية الأخوّة الإيمانية، وفي هذا الحب الثواب الجزيل في الآخرة.

الثاني: حب الفجار للأبرار، وهو فضيلة للأبرار؛ لأنّ الفجار لا يحبون الأبرار عادة، ولكن لو فرض مثل هذا، فهذا يعني المنزلة الفضلى للأبرار؛ بحيث يستطيعون التأثير في الفجار وكسب ودّهم وعطفهم.

الثالث: بغض الفجار للأبرار، وهو زين للأبرار؛ لأنّه من الطبيعي أن يكره أهل الفجور أهل الإيمان، فإذا أظهروا هذا البغض والعداوة، فهو أمر جيد للأبرار أن أعداءهم هؤلاءالحثالات.

الرابع: بغض الأبرار للفجار، وهو خزي على الفجار؛ لأنّ المؤمن لا يعادي إلا من يستحق العداوة بسبب أعماله المشينة وسلوكه المنحرف، فهو فايروس معنوي متحرك، والميكروبات ليست في الصحة فقط، فهناك ميكروبات معنوية أيضًا، فالإنسان الموبوء بالأمراض الأخلاقية مصاب بوباء معنوي، وهو جرثومة متحركة تشيع الفاحشة، وأينما ذهب حلّ الشيطان معه.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال لبعض أصحابه بعد كلام له، ثم وصل إلى هذه الجملة: «إنّ المؤمنين من أهل ولايتنا وشيعتنا إذا اتقوا لم يزل الله تعالى مطلًا عليهم بوجهه حتى يتفرقوا، ولا تزال الذنوب تتساقط عنهم كما يتساقط الورق بالخريف، ولا تزال يد الله على يد أشدهما حبًا لصاحبه»[٣١٥].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة حقيقة من الحقائق الغيبية للأخوّة

٣١٣. سورة المطففين: الاية ١٨ ـ ٢٢.
٣١٤. سورة المطففين: الاية ٧ ـ ٩.
٣١٥. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٠، ح٥.

الإيمانية، وهي أن المؤمنين من أهل الولاية إذا اجتمعوا، أتحفهم الله عز وجل بتحفتين إلى أن يتفرقوا وهما:

الأولى: أن الله عز وجل لم يزل ينظر إليهم بعين عنايته وكرمه ما داموا مجتمعين، وفيه حث وترغيب على اجتماع المؤمنين ليحصلوا على هذه البركة الإلهية، وتحذير من الانعزال والابتعاد عن جماعة المؤمنين بأي ذريعة كانت، فالمكان الذي يجتمع فيه المؤمنون يستنزل الرحمة الإلهية.

الثانية: ولا تزال الذنوب تتساقط عنهم كما يتساقط الورق بالخريف، ومعلوم أن أوراق الأشجار تتساقط بسرعة في الخريف، وهذا يعني أنّه كلما طالت مدة هذا الاجتماع، ازدادت الذنوب التي يغفرها الله تبارك وتعالى لهم.

وهناك تحفة ثالثة يخص الله تعالى بها الأشدّ حبًا من هؤلاء المجتمعين لإخوانه الآخرين، وهي أنّه لا تزال يد الله على يده، ويد الله تعني قدرة الله تعالى وسطوته، فمن أراد أن تكون يد الله معه على الدوام فليبحث عن مؤمنين أقل حبًا لإخوانهم الآخرين، وليدم مجالستهم وذكر الله تعالى معهم، ليحظى بهذه التحفة التي لا ينالها إلا من كان ذا حب عظيم للمؤمنين. وهكذا يكون مستوى اللطف الإلهي مرتبطًا بمستوى حب المؤمن لأخيه المؤمن، فالقضية لا ترتبط بصرف المحبة، بل ترتبط بمستوى المحبة، ومراتب المحبة ترتبط بمراتب الكمال الذي يمنحه الله تعالى لعباده المؤمنين.

وعن جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد»[٣١٦].

يشبّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف سكون المؤمن إلى المؤمن بشرب الظمآن للماء البارد، فليس هناك ألذ من تلك اللحظات التي يشرب فيها الإنسان العطشان الماء البارد، فيرتوي ويسكن فؤاده بعد ذلك العطش الشديد. وكذلك حال المؤمن عندما يجلس مع أخيه المؤمن فيطمئن قلبه ويذهب همّه وغمّه، ويعيش أسعد لحظات حياته.

والسكينة لا تنزل في قلب المؤمن إلا ليزداد إيمانًا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[٣١٧]، فمن أراد أن يزداد إيمانه، فليكثر من مجالسة إخوانه المؤمنين.

---

٣١٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٠، ح٦.
٣١٧. سورة الفتح: الاية ٤.

وعن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قال جدي رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أيها الناس، حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة. . . إلى أن قال: ألا وإنّ ودّ المؤمن من أعظم سبب الإيمان. ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله، فهو من أصفياء الله. ألا وإنّ المؤمنين إذا تحابا في الله عز وجل، وتصافيا في الله، كانا كالجسد الواحد، إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعًا، وجد الآخر ألم ذلك الموضع»[٣١٨].

يبيّن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك، ثلاثة آثار مهمة تترتب على الأخوّة الإيمانية وهي:

الأول: أن محبة المؤمن للمؤمن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الإيمان، فمن كان إيمانه ضعيفًا فليلجأ إلى ودّ المؤمنين ومحبتهم ليزداد إيمانًا.

الثاني: أن الحب في الله والبغض في الله والعطاء في الله والمنع في الله تجعل المؤمن من أصفياء الله، أي ممن يصطفيهم الله تعالى إلى قربه، بعد أن طووا هذه المراحل الأربع، التي تعد اثنتان منها من العمل الجوانحي والأخريان من العمل الجوارحي، أي عندما يكون المؤمن باطنًا وظاهرًا خالصًا لله عز وجل، فحينئذ يكون من أصفيائه.

الثالث: أن المؤمنين إذا تحابا في الله عز وجل وتصافيا في الله، كانا كالجسد الواحد، إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعًا وجد الآخر ألم ذلك الموضع، فهنا شرطان إذا استطاع المؤمنون تطبيقهما كانوا كالجسد الواحد الذي يحس بعضه بألم البعض الآخر، وهما أن يحب بعضهم بعضًا في الله تعالى، أي يحب الآخرين لأنّهم مؤمنون فقط وليس لأي داع آخر. والشرط الثاني هو التصافي في الله عز وجل، وهو أن يخلو قلب المؤمن وسلوكه من أي شائبة تجاه أخيه المؤمن، ويكون صافيًا له كالماء الزلال، كل ذلك لأنّه مؤمن، لا لشيء آخر، وهي منزلة رفيعة تحتاج إلى جهد جهيد حتى يستطيع الإنسان الوصول إليها.

نسأل الله أن يجعلنا كذلك، وأن يجعلنا ممن يفي بحقوق المؤمن لأخيه المؤمن.

وللحديث صلة ياتي تباعًا، والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣١٨. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٠، ح٧.

المحاضرة الأخلاقية السابعة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/٩/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وتحديدًا عن حقوق الأخ على أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق الثامن من هذه الحقوق، وهو حفظ خلة المؤمن، واستعرضنا عددا من الروايات التي تبين أهمية حفظ خلة المؤمن، ونستمر اليوم في استعراض عدد آخر منها.

في رواية عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «ثلاثة أشياء في كل زمان عزيزة: الأخ في الله، والزوجة الصالحة الأليفة، والولد الرشيد. ومن أصاب أحد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين. واحذر أن تؤاخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإنّ الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد الأنبياء والأولياء. وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم؛ لأنك إن صاحبت الأتقياء كنت على نهجهم ومنوالهم، قال الله عز وجل: «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»[٣١٩].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة ثلاثة أشياء عزيزة المنال وهي:

الأول: الأخ في الله، وهو محل الشاهد، فالحصول على أخ في الله، معياره ومقياسه في الأخوة هو الله (سبحانه وتعالى)، فيحب لله وفي الله، أمر نادر.

٣١٩. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٢، ح٣.

الثاني: الزوجة الصالحة الأليفة، والحصول على زوجة تحمل صفتي الصلاح والألفة أمر نادر أيضًا، فربما حصل الرجل على امرأة صالحة غير أليفة، وربما حصل على امرأة أليفة غير صالحة، وفي تقديم صفة الصلاح على الألفة إشارة إلى اختيار المرأة الصالحة على المرأة الأليفة إذا وقع التردد بينهما.

الثالث: الولد الرشيد، والمقصود بالرشد هو ترجيح المصلحة على المفسدة، واختيار النافع وترك الضار، والولد الرشيد هو الولد العاقل الحليم غير الطائش، وهذا أمر صعب المنال أيضًا في ظل الانحرافات والمشاكل الأخلاقية التي تمر بها المجتمعات.

فالأخ في الله والزوجة الصالحة والولد الرشيد، ثلاثة أشياء مهمة جدًا ونادرة الحصول بأوصافها الكاملة، ولا يطمع مؤمن بالحصول عليها أجمع، فإن حصل عليها فتلك السعادة العظمى، وإن حصل على اثنين فليعلم أنه ذو حظ عظيم، وإن حصل على واحد منها فقد أصاب خير الدارين، سعادة الدنيا والآخرة.

ولعل في تقديم الأخ المؤمن على الزوجة الصالحة الأليفة والولد الرشيد إشعارا بالأفضلية عليهما، كما أن تقديم الزوجة على الولد ربما يشعر بأفضليتها عليه.

إن الحصول على زوجة وولد بالأوصاف المذكورة في الحديث أمر ليس بيد الإنسان وخارج عن إرادته، ولكن الحصول على أخ مؤمن أمر ممكن، وإن كان صعبًا جدًا. ومن هنا جاء تحذير الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من مؤاخاة ثلاثة، وهم:

الأول: من أرادك لطمع، والطامع لا يصلح لأخوّة؛ لأنّه صاحب مصلحة، يبحث عن منفعته من خلالك ما دمت قادرًا على نفعه، فإن زال المال أو الجاه أو المنصب الذي تستطيع بواسطته نفعه تركك وكأنّه لا يعرفك، وإذا مررت بأزمة كان أول المتبرئين منك.

الثاني: من أرادك لخوف، والخائف لا يصلح لأخوّة أيضًا؛ لأنّ الخوف لا يمكن أن يكون أساسًا لعلاقة سليمة أبدًا، ولأنّه إذا زالت أسباب الخوف انقطعت أخوته وانقلب عليك.

الثالث: من أرادك لميل، والمقصود بالميل الهوى، فربما يميل إنسان إلى آخر بسبب عرقه أو حزبه أو عشيرته، ومثله لا يصلح لأخوّة أيضًا؛ لأنّها أخوة قائمة على أساس آخر غير الأساس الذي تقوم عليه الأخوّة الإيمانية، وهو المحبة في الله تبارك وتعالى.

ثم ينتقل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيان من تنبغي مؤاخاته، فيقول: «واطلب مؤاخاة الأتقياء»، أي الأخ الحقيقي هو من تحتاج إلى البحث عنه، وليس الذي يبحث عنك؛ لأنّ من يقصدك فهو إما يريدك لطمع أو خوف أو ميل، وكل هؤلاء لا خير في أخوّتهم، ومن يجب أن تبحث عنه هم الأتقياء، وهم الذين عندهم مخافة الله (سبحانه وتعالى)، ودائمًا ما يجعلون الله نصب أعينهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، وهؤلاء لن نجدهم في الواجهة؛ لأنّه لا طمع لهم في الدنيا، وعادة ما يكونون بعيدين عن الأنظار، ويحتاج العثور عليهم إلى جهد ووقت كبيرين، ولهذا يوصينا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بالاستمرار في البحث عنهم ولو أفنينا أعمارنا في ذلك؛ لأنّهم يستحقون المؤاخاة، ولا يُعد ما بُذل من جهد ووقت هباء منثورًا وإن لم نعثر على واحد منهم، لأنّ الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد الأنبياء والأولياء.

ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لا نعمة ينعم الله تعالى بها على العبد، مثل ما أنعم به من التوفيق بصحبة هؤلاء الأتقياء؛ لأنّ من صاحب الأتقياء كان على نهجهم ومنوالهم، وسوف يتأثر بتقواهم ومواقفهم وسلوكهم وأحوالهم وأفعالهم، وسوف يسير ضمن الإطار الصحيح. كما قال الله عز وجل: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣٢٠]، فالأخلاء ـ وهم الأصدقاء الذين اتّخذ بعضهم بعضًا خليلًا ومقرّبًا ـ سوف يعادي أحدهم الآخر، لأنّ هذه الصداقات لم تنشأ على أساس التقوى، فتأخذ أصحابها إلى الهاوية، وسوف يتنصل كلٌ من خليله ويبتعد عنه، إلا المتقين الذين كانت أخوّتهم قائمة على أساس التقوى، ولهذا تكون صلبة وثابتة.

إدخال السرور على المؤمن

وهو من مصاديق حفظ خلة المؤمن، وقد ورد التأكيد عليه في روايات كثيرة.

منها: عن أبي حمزة الثمالي قال: «سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من سرّ مؤمنًا فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله»[٣٢١].

يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك عظيم منزلة المؤمن عند الله عز وجل، وأنّ من أدخل السرور والفرح على قلب مؤمن، فإنّه يدخل السرور على قلب سيّد الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكذلك يدخل السرور على الله تعالى شأنه. ومعنى

٣٢٠. سورة الزخرف: الاية ٦٧.
٣٢١. الكافي ٢: ١٨٨، ح١.

سرور الله تعالى ـ مع أن السرور والحزن من خصائص النشأة المادية، وهو سبحانه منزه عن المادة ـ هو ما يترتب على السرور من اللطف والعناية والرحمة، أي ما يترتب على السرور من آثار.

ومنها: عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة، وما عُبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن»[٣٢٢].

يتناول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة المنزلة الرفيعة للمؤمن عند الله عز وجل، وأنّه يحظى بالعناية الإلهية إلى الدرجة التي يُعد فيها إدخال السرور عليه عبادة، مهما كان ذلك السرور قليلًا، كالابتسام بوجهه وإخراج القذى من عينه؛ لأنّ المؤمن هو وحده من استطاع تحقيق الهدف الذي من أجله خلق الله تبارك وتعالى الإنسان. بل اعتبر (سبحانه وتعالى) أن أحب عبادة عنده هي إدخال السرور على المؤمن، وليس من أحب العبادات، فهي أحب عبادة عنده على الإطلاق؛ أي أنّه أقرب طريق للإنسان إلى عبودية الله تعالى وتحقيق القرب منه؛ لأنّه يأتي للإنسان بالتوفيق، فتكون صلاته وصيامه وسائر عباداته بخشوع وخضوع وتوجه. فالبداية ونقطة الانطلاق في طريق القرب الإلهي هي إدخال السرورعلى الأخ المؤمن.

ومن هذه الرواية والروايات الآتية التي تمثل الرؤية الإسلامية الاجتماعية، تتضح أهمية البعد الاجتماعي في الإسلام، وأهمية التكافل والتضامن الاجتماعي، إلى درجة أن يكون إدخال السرور على قلب الأخ المؤمن، هو أفضل ما يقرّب إلى الله (سبحانه وتعالى).

ومنها: عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن أحب الأعمال الى الله إدخال السرور على المؤمنين»[٣٢٣].

ومنها: عن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سرورًا أنّه عليه أدخله فقط، بل والله علينا وعلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»[٣٢٤].

---

٣٢٢. الكافي ٢: ١٨٨، ح٢.
٣٢٣. الكافي ٢: ١٨٩، ح٤.
٣٢٤. الكافي ٢: ١٨٩، ح ٦.

ومنها: عن سدير الصيرفي قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه، كلما رأى المؤمن هولًا من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عز وجل، حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيحاسبه حسابًا يسيرًا، ويأمر به إلى الجنة، والمثال أمامه. فيقول له المؤمن: يرحمك الله نِعمَ الخارج خرجت معي من قبري، وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عز وجل منه لأبشرك»[٣٢٥].

ومنها: عن محمد بن جمهور قال: «كان النجاشي، وهو رجل من الدهاقين، عاملًا على الأهواز وفارس، فقال بعض أهل عمله لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن في ديوان النجاشي عليّ خراجًا، وهو مؤمن يدين بطاعتك، فإن رأيت أن تكتب لي إليه كتابًا. قال: فكتب إليه أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: بسم الله الرحمن الرحيم، سرّ أخاك يسرك الله. قال: فلما ورد الكتاب عليه دخل عليه وهو في مجلسه، فلما خلا ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. فقبّله ووضعه على عينيه، وقال له: ما حاجتك؟ قال: خراج عليّ في ديوانك. فقال له: وكم هو؟ قال: عشرة آلاف درهم. فدعا كاتبه فأمره بأدائها عنه، ثم أخرجه منها وأمر أن يثبتها له لقابل، ثم قال له: هل سررتك؟ فقال: نعم جعلت فداك. ثم أمر الوزير بمركبة وجارية وغلام وأمر له بتخت ثياب، في كل ذلك يقول: هل سررتك؟ فيقول: نعم جعلت فداك. فكلما قال نعم زاده حتى فرغ. ثم قال له: احمل فرش هذا البيت الذي كنت جالسًا فيه حين دفعت إليّ كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع إليّ حوائجك، قال: ففعل. وخرج الرجل فصار إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذلك، فحدّثه بالحديث على جهته، فجعل يسر بما فعل. فقال الرجل: يا ابن رسول الله كأنّه قد سرك ما فعل بي؟ فقال: إي والله لقد سر الله ورسوله»[٣٢٦].

الإحسان إلى الإخوان

ومن مصاديق حفظ خلة المؤمن الإحسان إلى الإخوان، وقد وردت روايات كثيرة في ذلك.

منها: عن جميل، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: إن مما خص الله عز

٣٢٥. الكافي ٢: ١٩٠، ح٨.
٣٢٦. الكافي ٢: ١٩٠، ح٩.

وجل به المؤمن أن يعرّفه برّ إخوانه وإن قلّ، وليس البر بالكثرة، وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣٢٧]، ومن عرّفه الله بذلك أحبه الله، ومن أحبه الله تبارك وتعالى وفاه أجره يوم القيامة بغير حساب. ثم قال: يا جميل ارو هذا الحديث لإخوانك فإنّه ترغيب في البر»[٣٢٨].

ومنها: عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن ولا أعانه إلا خمش وجه إبليس وقرح قلبه»[٣٢٩].

ومنها: عن أبي محمد العسكري (صلوات الله وسلامه عليه)، عن آبائه، قال: «كتب الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بعض الناس: إن أردت أن يختم بخير عملك حتى تقبض وأنت في أفضل الأعمال، فعظّم لله حقه أن تبذل نعماءه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كل من وجدته يذكرنا أو ينتحل مودتنا، ثم ليس عليك صادقًا كان أو كاذبًا، إنما لك نيتك وعليه كذبه»[٣٣٠].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة أن من يريد أن تحسن عاقبته ويختم عمله بخير، وأن يُقبض وهو مقيم على أفضل الأعمال، فعليه أن يلتزم بثلاثة أمور هي:

الأول: تعظيم حق الله تبارك وتعالى بألاّ يبذل نعمته في معاصيه، فلا ينفق ما يرزقه الله تعالى على المعاصي، فمن رزقه الله تعالى نعمة كدار أو سيارة مثلًا، فيجب عليه ألا يرتكب معصية فيها وإن كانت صغيرة، فإنّ ذلك مما يغضب الله (سبحانه وتعالى)، ومن يحلل عليه غضبه فقد خسر وهوى.

الثاني: ألاّ يغتر بحلم الله تعالى عنه، وهنا يكمن الخطر، فإنّ الإنسان حينما يرتكب المعاصي ويرى أن الله سبحانه ساتر عليه ولا يرى الجزاء المباشر، يتصور أنّه في مأمن من مكر الله سبحانه الذي يمكن أن يباغته في أي لحظة، وحينئذ ستكون الضربة القاضية التي توقعه ولا يستطيع النهوض منها، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

٣٢٧. سورة الحشر: الاية ٩.
٣٢٨. الكافي ٢: ٢٠٦، ح٦.
٣٢٩. الكافي ٢: ٢٠٧، ح٩.
٣٣٠. بحار الأنوار ٧٠: ٣٥١، ح٤٩.

الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٣٣١]، فالله تعالى يصبر على عباده لأنّه حليم، لعلهم يتوبون ويرجعون عن غيّهم، ولكن إذا أصر الإنسان على ذنوبه، فإن لم يكن إمهالًا له ليزداد إثمًا، فسيأتيه الكيد الإلهي الذي يقصم ظهره ولا يقدر معه على شيء، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [٣٣٢].

الثالث: إكرام كل من يجده يذكر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أو ينتحل مودتهم، سواء كان صادقًا أو كاذبًا، فالموقف منه يكون على أساس الظاهر؛ لأنّ الأصل في قبول العمل عند الله تبارك وتعالى هو نية العامل لا نيّة من يقع عليه العمل، فهو الذي سوف يحاسب إن كان كاذبًا في دعواه.

جزاء الإحسان إلى المؤمن

لقد حثّ الله تبارك وتعالى على مكافأة الإحسان بمثله؛ قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [٣٣٣]، ووردت روايات كثيرة في هذا الباب أيضًا.

منها: عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا، وقد أُمر به إلى النار، قال: فيقول له: يا فلان أغثني فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا، وأسعفك في الحاجة تطلبها مني، فهل عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك الموكل به: خلِّ سبيله. قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن، فيخلي سبيله» [٣٣٤].

في هذه الرواية الشريفة مشهد من مشاهد يوم القيامة ينقله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يعكس كرامة المؤمن عند الله عز وجل يوم القيامة، إذ لا يهب له الشفاعة فقط في مثل ربيعة ومضر كما مرّ في رواية سابقة، بل يمضي أمره للملائكة في إطلاق سراح من يُقادون إلى النار، وهي كرامة أخرى للمؤمن لم تتطرق إليها الروايات السابقة، فأي كرامة للمؤمن أعظم من هذه الكرامة؟. أليس من حقّه حينئذ أن يفتخر بأن يكون له إله كهذا الإله؟ وأي منزلة سيحظى بها المؤمن في الآخرة، إذا كانت هذه منزلته عند

٣٣١. سورة الأعراف: الاية ٩٩.
٣٣٢. سورة الأعراف: الاية ١٨٣.
٣٣٣. سورة الرحمن: الاية ٦٠.
٣٣٤. بحار الأنوار ٨: ٤١، ح٢٦.

الحساب في يوم القيامة؟ وحينئذ هل يمكن أن نستكثر على الزهراء (÷) أو على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يستنقذا شيعتهما من النار؟.

وهناك التفاتة لطيفة في الرواية؛ هي أن المؤمن لا يشفع لمن لا يستحق الشفاعة ولا يفعل مثل هذا العمل مع أي كان، بل هذا الرجل بعد أن انتهى حسابه وسيق إلى النار، ورأى مؤمنًا يعرفه كان قد أسدى إليه معروفًا طلبه منه في دار الدنيا، دعاه الى مكافأته والإحسان إليه كما أحسن هو له في الدنيا.

ومنها: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان في زمن موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ملك جبار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح، فتوفي في يوم الملك الجبار والعبد الصالح، فقام على الملك الناس وأغلقوا باب السوق لموته ثلاثة أيام، وبقي ذلك العبد الصالح في بيته، وتناولت دواب الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاثة أيام فقال: يا ربّ هو عدوك، وهذا وليك؟ فأوحى الله إليه: يا موسى إن وليي سأل هذا الجبار حاجة فقضاها، فكافأته عن المؤمن، وسلّطت دواب الأرض على محاسن وجه المؤمن لسؤاله ذلك الجبار»[٣٣٥].

تحكي هذه الرواية قصة شفاعة عبد صالح لمؤمن في حاجة له عند ملك جبار فقضاها له في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيها مجموعة من الدروس:

الأول: لا ينبغي لعبد صالح أن يشفع عند ملك جبار، لا في حاجة نفسه ولا في حاجة غيره وإن كان مؤمنًا، وكان الأجدر به أن يطلب من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو الله عز وجل في قضائها له، ولذلك استحق العقوبة في دار الدنيا؛ لأنّها أهون من عقوبات الآخرة.

الثاني: أن الله تبارك وتعالى قد كافأ الملك الجبار على قضاء حاجة المؤمن، مع أنّه كان عدوًا له. وقد جزاه على إحسانه هذا بعد وفاته، لئلا يأتي يوم القيامة ويطلب الجزاء على إحسانه، لأنّه قد استوفاه في دار الدنيا.

الثالث: أن المؤمن صاحب الحاجة لم تنله عقوبة؛ لأنّه إنّما جاء إلى العبد الصالح في قضائها، وهو عمل صحيح، فإنّ الرواية لم تقل إنّه طلب من العبد الصالح أن يشفع له عند الملك الجبار في قضائها، وحتى لو أنّه طلب ذلك منه، كان ينبغي عليه أن يرشده إلى الطريق الصحيح في قضائها، إما بأن يطلبها من الله تعالى مباشرة بالدعاء، أو يرفع

٣٣٥. بحار الأنوار ١٣: ٣٥٠، ح٤٠.

حاجته إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليشفع له في قضائها عند الله تبارك وتعالى، أو أن العبد الصالح يدعو الله تعالى بقضاء حاجة هذا المؤمن.

ومنها: قال علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «معاشر شيعتنا أما الجنة فلن تفوتكم، سريعا كان أو بطيئًا، واعلموا أن أرفعكم درجات وأحسنكم قصورًا ودورًا وأبنية، أحسنكم فيها إيجابًا لإخوانه المؤمنين، وأكثرهم مواساة لفقرائهم. إن الله عز وجل ليقرّب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة يكلّم بها أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسير مائة ألف عام في سنة بقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار، فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم»[٣٣٦].

في هذا الحديث المبارك يزفّ الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ البشرى إلى الشيعة جميعًا بدخول الجنة، ولكن يتفاوتون في وقت دخولها، فبعضهم يدخلها سريعًا وبعضهم يدخلها بطيئًا، ولم توضح الرواية أكثر من هذا، فهي ساكتة عن الفئة الثانية التي تتأخر في دخول الجنة بسبب ذنوبها، هل ستلبث في النار أحقابًا إلى أن تتطهر منها، أو سيحجزون في مكان بين الجنة والنار، أو سيؤخرون في عرصات يوم القيامة إلى أن يفرغ الله تعالى من حساب الخلائق؟ إذ لا خلود في النار لمن كان يؤمن بولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثم ينتقل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيان السبل التي يستطيع بها المؤمن نيل الدرجات الرفيعة في الجنة، وهي:

الأول: خدمة إخوانه المؤمنين، فكلما كان أكثر نفعا لهم، كان أعلاهم درجة وأحسنهم قصورًا.

الثاني: مواساة فقراء المؤمنين، والمواساة هي إشراك فقراء المؤمنين في أمواله وألا يحرمهم منها، وربما يخطر بالبال ماذا يفعل من لا مال له لكي يواسي الفقراء؟. فهنا يبيّن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ الجواب عن هذا السؤال المقدّر فيقول: «إنّ الله عز وجل ليقرّب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة يكلّم بها أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسير مائة ألف عام»، وليست الكلمة التي يكلم بها المؤمن غير الفقير، وليست أي كلمة يتكلم بها مع الفقير، بل الكلمة التي تحمل في طياتها المواساة له بسبب ما يعانيه من الفقر، وليس الكلمة التي تتضمن المواساة الصادرة من المؤمن الغني الذي يستطيع مدّ يد العون لأخيه المؤمن الفقير ولكنه لا يفعل، بل الكلمة التي يكلم بها المؤمن الفقير من كان مثله في الفقر، فطوبى لفقراء المؤمنين وهنيئا لهم هذه التحفة الإلهية، وما أسرع دخولهم إلى

٣٣٦. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٨، ح٦١.

جنان الخلد قبل غيرهم إذا كانت كل كلمة مواساة منهم تقدّمهم مسيرة مائة ألف عام.

وأخيرًا يوصي الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدم احتقار الإحسان إلى الإخوان، وألاّ يحسبوه أمرًا هينًا، بل الخير كل الخير في هذا العمل الذي لا يقوم مقامه شيء آخر، فهو الذي يجتاز به المؤمن عقبات يوم القيامة ويدفعه إلى الأمام بشكل واسع وكبير.

نسأل الله أن يوفقنا لذلك، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الثامنة والعشرون
بتأريخ ١/١٠/٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كنا قد تحدثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أهمية هذه الأخوّة وتأثيرها في مجمل حركة الإنسان ومراتبه التكاملية وعلاقته بالله (سبحانه وتعالى)، وانتهينا إلى الحق التاسع من هذه الحقوق.

الحق التاسع / رعاية ذمة المؤمن

يتضح الحق التاسع من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ويرعى ذمته»، فما المقصود من رعاية الذمة؟.

الذمة هي العهد والعقد والالتزام الذي يقطعه المؤمن على نفسه لأخيه المؤمن، فمعنى أن المؤمن يرعى ذمة المؤمن، أي يلتزم بالعهود والعقود والوعود التي يتعهد بها للأخ المؤمن. وعبارة «ويرعى ذمته» على إطلاقها تشمل العديد من الحالات، ويمكن أن يقسم إطلاق هذه الصفة الواردة في هذه العبارة إلى حالتين:

الحالة الأولى: إذا كان العقد عقدًا خارجيًا اعتباريًا، كالبيع والشراء، أو أن يَعِد أحدًا بشيء من المال، أو يعده بأن يزوره أو يحل مشكلته أو يقضي حاجة له ونحوها.

الحالة الثانية: إذا كان العقد عقدًا باطنيًا حقيقيًا، كعقد الأخوة بين المؤمن وأخيه المؤمن وما شابه ذلك.

وعندما نقول «يرعى ذمته» ونعني بها العقود الخارجية، فهنا يمكن أن يكون لرعاية الذمة في هذه العقود معنيان:

المعنى الأول: يرتبط بالوفاء بعقود الأخ المؤمن التي لم يفِ بها، كما لو باع المؤمن بضاعة لشخص، ولكنه تعرض لحادث طارئ ولم يستطع إيصال البضاعة للمشتري، فمن واجب المؤمن أن يرعى ذمة أخيه المؤمن ويذهب ليفي بالتزاماته. أو أنّه أعطى وعدًا لشخص بمساعدته ومد يد العون له، ولكن حال دون تحقيق ذلك حائل، فعلى المؤمن هنا أن يبادر للوفاء بوعد أخيه المؤمن الذي قطعه على نفسه لشخص ثالث. فيكون المقصود برعاية الذمة أن الأخ المؤمن يقوم بالنيابة عن أخيه المؤمن، بأداء الالتزامات والواجبات التي ألزم نفسه بها ولم يستطع أن يفي بها.

والمعنى الثاني: أن يكون المقصود من رعاية ذمة المؤمن، هو وفاء المؤمن بالتزاماته التي قطعها على نفسه لأخيه المؤمن، من بيع أو شراء أو وعد أو عهد.

والعهد الذي يقطعه الإنسان مع نفسه بأخوّته مع المؤمن هو عقد حقيقي، وليس عقدًا اعتباريًا خارجيًا؛ لأنّه ليس كالبيع؛ إذ يمكن أن تبيع ويمكن ألا تبيع، بينما أخوّة المؤمن أمر مفروض من الشارع المقدس لا بد من الالتزام به.

وهناك مجموعة من الروايات في كل واحدة من هذه الحالات، نذكر أولًا الروايات التي تناولت رعاية ذمة المؤمن في العقود الخارجية من البيع والإيجار ونحوهما.

فعن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرّج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»[٣٣٧].

يبيّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث المبارك خمسة من حقوق المؤمن على المؤمن، وهي أربعة في حياته وواحد بعد مماته، وهذه الحقوق:

الأول: أن يشبع جوعته، وهو أول حقوق المؤمن على المؤمن، فلا يجوز لمؤمن أن يترك أخاه يتضور من الجوع وهو شبعان، بل يجب عليه أن يشاطره لقمة العيش.

الثاني: يواري عورته، فلا يجوز لمؤمن أن يدع أخاه المؤمن يرتدي ثيابًا رثة لا تليق به، وهو يرتدي الثياب الفاخرة، وعليه أن يواسيه ومن يعول، فيكسوه من الثياب بما يكسو نفسه وعياله.

٣٣٧. الكافي ٢: ١٦٩، ح٢.

الثالث: يفرّج عنه كربته، وهو الشاهد، فيجب على المؤمن عندما يرى أخاه مهمومًا ومغمومًا ويمر بمحنة ومشكلة، أن يسارع لتفريج كربته وإزالة همه وغمه.

الرابع: يقضي دينه، إذا كان الأخ المؤمن مدينًا ولا يستطيع الوفاء بدينه، فيجب على المؤمن أن يوفي هذا الدين إذا كان قادرًا على ذلك، أو يسعى لقضائه عنه، فيكون قد رعى ذمته، أي يؤدي التزامات أخيه المؤمن مع الآخرين.

الخامس: إذا مات خلفه في أهله وولده، فحق المؤمن لا ينتهي بالموت، بل يستمر بعد وفاته أيضًا، فيجب على المؤمن الحفاظ على عائلة أخيه المؤمن إذا مات ورعاية أبنائه.

وفي رواية أخرى عن عمر بن دينار قال: «دخل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغماه. فقال له الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما غمك يا أخي؟ قال: دين في ذمتي ستون ألف درهم. فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو عليّ. قال أسامة: إني أخشى أن أموت. فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لن تموت حتى أقضيها عنك. قال: فقضاها قبل موته»[٣٣٨].

والشاهد في هذه الرواية المباركة أن سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ دفع الدين الذي في ذمة أسامة بن زيد، الذي وصف علاقته به بكلمة «يا أخي»، التزامًا منه تجاه أخيه المؤمن أسامة بن زيد في رعاية ذمته. وهو تجسيد حي للحالة الأولى، وهي أن الأخ المؤمن يفي بالتزامات أخيه المؤمن مع الآخرين، فيكون هذا هو المعنى الأول.

أما المعنى الثاني لقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يرعى ذمته»، فهو أن على المؤمن أن يقضي حوائج أخيه المؤمن التي وعده بها، كما لو قال له إني محتاج فوعده بمبلغ من المال، أو وعده بزيارته، أو قطع له عهدًا في أمر ما، فيجب عليه الوفاء به. وهو يختلف عن المعنى الأول في عدم وجود طرف ثالث.

ومما يعزز هذا المعنى ما روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قوله: «أشرف الهمم رعاية الذمام»[٣٣٩]. ومعنى هذه الحكمة العلوية، هو أن أفضل الهمم أن تقضي حاجة الأخ المؤمن الذي وعدته بها، وتفي بالتزاماتك تجاه الأخ المؤمن.

وفي رواية أخرى عن هشام بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: عدة

٣٣٨. بحار الأنوار ٤٤: ١٨٩، ح٢.
٣٣٩. عيون الحكم والمواعظ: ١٢٤.

المؤمن أخاه في شيء نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرّض، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾»[٣٤٠].

يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أن وعد المؤمن أخاه المؤمن في شيء هو نذر يجب عليه الوفاء به، بل يزيد على النذر؛ لأنّ الإنسان يستطيع أن يتخلف عن نذره بدفع الكفارة، ولكن وعد المؤمن لأخيه نذر لا كفارة له، أي أنّه لا يستطيع التحلل منه في حال من الأحوال. ومن أخلف وعده لمؤمن فهو في الحقيقة بدأ بخلف الله (سبحانه وتعالى) ثم بخلف أخيه المؤمن، وحينئذ سيتعرض لمقته سبحانه، أي لغضبه، ومن حل بساحته غضب الله فلا رجاء له في النجاة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[٣٤١]. ثم يطبّق الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المعنى على قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣٤٢].

ولذلك فالخلف بالوعد الذي يقطعه الإنسان مع الأخ المؤمن والتنصل من الالتزامات تجاهه، مصداق لعدم الوفاء بحق من حقوق المؤمن، وهو رعاية ذمته، أي قضاء حوائجه التي وعده بها، وتأدية التزاماته تجاه أخيه المؤمن. هذا كله فيما إذا كان العقد خارجيًا، سواء كان بين الأخ المؤمن وشخص ثالث، أو بين المؤمن وأخيه المؤمن.

أما إذا كان العقد قلبيًا باطنيًا، كعقد الأخوة بين مؤمن ومؤمن، فهو مشمول أيضًا بوجوب مراعاة ذمة المؤمن، ومثاله عقد المؤاخاة التي عقدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الهجرة، فهذا ليس عقدًا خارجيًا، بل هو عقد قلبي، وهو عقد حقيقي لأخوّة عميقة بين المؤمن وأخيه المؤمن.

لقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «أشرف الشيم رعاية الودّ، وأحسن الهمم إنجاز الوعد»[٣٤٣]، أي أن أنبل وأفضل خصلة للمؤمن هي مراعاة المحبة، ويؤثر فيه الزاد والملح كما هو شائع على الألسنة، بمعنى أن الودّ والمحبة والمشاعر والعواطف بين المؤمن وأخيه المؤمن تؤثر في تعميق الأخوّة الإيمانية بينهما، فيرعى محبته، أي يحفظ أخوته ومحبته ويراعي علاقته بهذا الأخ المؤمن.

---

٣٤٠. الكافي ٢: ٣٦٣، ح١.
٣٤١. سورة طه: الاية ٨١.
٣٤٢. سورة الصف: الاية ٣.
٣٤٣. عيون الحكم والمواعظ: ١١٤.

وورد في الشعر المنسوب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ولا أقول نعمٌ يومًا فأتبعها بلا ولو ذهبتْ بالمالِ والولدِ[٣٤٤]

أي إذا قال المؤمن للمؤمن نعم وَقَبل أخوّته ووضع يده في يد أخيه، فلا يتبعها بالبخل ولا يقصر في شيء من حقوق الأخوّة، حتى لو كان حفظ الأخوّة يستلزم منه تضييع الأموال والأولاد، لأهمية حفظ حق الأخ المؤمن.

فالتآخي بين المؤمن وأخيه المؤمن من الحقوق العظيمة، ومن لم يكن لذلك أهلًا فعليه ألا يورط نفسه في مؤاخاة الآخرين، وليبق على الأخوّة العامة، ولكن من وضع يده في يد مؤمن وقال له: إني أؤاخيك في الله، فقد ألزم نفسه بحقوق كثيرة، ومن جاءه يطلب مؤاخاته فليعتذر منه ويقل له: إن لهذه الأخوّة حقوقا كثيرة لا أستطيع الالتزام بها.

ولهذا الاعتبار نلاحظ وجود تأكيد كبير على حفظ الأخوّة بين المؤمنين، وتقوية هذه العلاقة، وإخبار المؤمن أخاه المؤمن بأنّه يحبه؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى استحكام وتعزيز وتعميق العلاقة بينهما.

فقد ورد عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جده قال: «مرّ رجل في المسجد وأبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ جالس وأبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له بعض جلسائه: والله إني لأحب هذا الرجل. قال له أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألا فأعلمه فإنّه أبقى للمودة، وخير في الألفة»[٣٤٥].

وورد عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا أحببت رجلًا فأخبره»[٣٤٦].

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا أحب أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه»[٣٤٧].

وعن صالح بن الحكم قال: «سمعت رجلًا يسأل أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرجل يقول إني أودّك، فكيف أعلم أنّه يودّني؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: امتحن قلبك، فإن كنت تودّه فإنّه يودّك»[٣٤٨]، يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ معيارًا لمعرفة ما في قلب الآخر من الحب

٣٤٤. ديوان الإمام علي بن أبي طالب ١: ٧٨.
٣٤٥. بحار الأنوار ٧١: ١٨١، ح١.
٣٤٦. بحار الأنوار ٧١: ١٨٨، ح٢.
٣٤٧. وسائل الشيعة ١٢: ٥٥، ح٥.
٣٤٨. الكافي ٢: ٦٥٢، ح٢.

والمودّة له، وهو أن يرجع إلى قلبه وينظر هل يحب هذا الشخص أو لا يحبه، فإن رأيت أنك تحبه وترتاح له، فاعلم أنّه يحبك أيضًا، وإذا رأيت قلبك ينزعج منه ولا يحبه أو يكرهه، فاعلم أنّه كذاب في ما يخبرك به من محبته لك؛ لأنّ المحبة طريق واحد له طرفان، فمن يدّعي محبتك ولا ترى في قلبك مثل هذا الحب فاعلم أنّه كاذب.

وعن عبيد الله بن إسحاق المدائني قال: «قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ ونحن في جواره: إن الرجل من عرض الناس يلقاني فيحلف بالله انّه يحبني، فأحلف بالله إنّه لصادق. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: امتحن قلبك، فإن كنت تحبه فاحلف، وإلا فلا»[٣٤٩].

وعن الفضيل، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «انظر قلبك، فإن أنكر صاحبك فقد أحدث أحدكما»[٣٥٠]، أي إذا رأيت قلبك قد تغيّر على أخيك، فاعلم أن أحدكما قد قصّر بحقوق الأخوّة، وليس بالضرورة أن يكون هو المقصّر، بل ربما تكون أنت المقصّر.

وعن نصر بن قابوس قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا أحببت أحدًا من إخوانك فأعلمه ذلك، فإنّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾»[٣٥١]»[٣٥٢]. أي أن إخبار المؤمن لأخيه المؤمن بأنّه يحبه، مع أنّه يعلم ذلك، يزيد العلم إلى درجة الاطمئنان، واستشهد بقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يسعى إلى درجة الطمأنينة بقدرة الله تعالى على كل شيء.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا أحببت رجلًا فأخبره بذلك، فإنّه أثبت للمودّة بينكما»[٣٥٣]؛ لأنّ هذا من شأنه أن يعمق ويعزز المحبة والمودة بينكما.

وللحديث صلة ياتي تباعًا، والحمدلله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٤٩. بحار الأنوار ٧١: ١٨٢، ح٥.
٣٥٠. الكافي ٢: ٦٥٢، ح١.
٣٥١. سورة البقرة: الاية ٢٦٠.
٣٥٢. الكافي ٢: ٦٤٤، ح ١.
٣٥٣. الكافي ٢: ٦٤٤، ح٢.

المحاضرة الأخلاقية التاسعة والعشرون
بتأريخ ٢٠١٣/١٠/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وطاعاتكم.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن هذه الأخوّة وهذه العلاقة بما أنها علاقة ناتجة عن الإيمان والعقيدة بين الشخصين فتكتسب قداستها من قداسة الإيمان، الرباط الذي يصل بين هذين الأخوين لتكون الأخوّة فيما بينهما أخوّة إيمانية على أساس الإيمان، على أساس التقوى، على أساس طاعة الله (سبحانه وتعالى)، وذكرنا أن لهذه الأخوّة حقوقا، استعرضنا تسعة حقوق من حقوق الأخوّة الإيمانية، واليوم نتحدث عن الحق العاشر في تلك الرواية الكريمة التي تلوناها عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتي يذكر فيها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه) عليه ثلاثين حقا للمؤمن على أخيه المؤمن

الحق العاشر / عيادة المؤمن في مرضه

أشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الحق العاشر من حقوق المؤمن على المؤمن بقوله: «ويعود مرضته»، فمن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يزوره إذا مرض، والسبب في التأكيد على التواصل مع المؤمن في حال مرضه، واعتباره حقًا مستقلًا عن الحقوق الإيمانية مع وجود مبدأ التواصل بين الإخوان، أن الإنسان حينما يمرض ينعزل عن العالم الخارجي، بعد أن كان يمضي جلّ وقته في التواجد مع الناس، فيحضر

الاجتماعات والبرامج والفعاليات ويعيش في المجتمع مع الآخرين، ولكن عندما يمرض يقيم في داره، ويصبح عنده شعور بالعزلة، وشعور بأن المجتمع مستمر في حركته وهو متأخر عنهم، فالمرض حالة طارئة تحصل للإنسان يمكن أن تولد عنده هذا الشعور، عندما يبقى وحيدًا في الدار بعد خروج الأولاد إلى المدارس والجامعات أو إلى العمل، لأنّه مريض لا يستطيع أن يخرج، وهذا الشعور يضيف ألمًا معنويًا إلى الألم الطبيعي بحكم المرض، لأنّه مريض يتألم من شيء ما في بدنه، وتزيده قضية الشعور بالعزلة والابتعاد عن الناس، فهو مركون في مكان في المستشفى أو في الدار بحكم مرضه، وهذا الشعور قاتل ومؤلم، فعندما يأتي أخوه المؤمن ويزوره، يزيل عنه هذا العبء والهمّ ويشعر بالاطمئنان والراحة والسكينة.

روى أبو المفضل، عن أحمد بن محمد العلوي، عن جده الحسين بن إسحاق بن جعفر، عن أبيه إسحاق بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر (صلوات الله وسلامه عليه)، عن آبائه عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم قال: «يعيّر الله عز وجل عبدًا من عباده يوم القيامة فيقول: عبدي ما منعك إذا مرضت أن تعودني؟ فيقول العبد: سبحانك سبحانك أنت رب العباد، لا تألم ولا تمرض. فيقول الله جل وعلا: مرض أخوك المؤمن فلم تعده، وعزتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده، ثم لتكفلت بحوائجك فقضيتها لك، وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرحمن الرحيم»[٣٥٤].

يبيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك ـ الذي يرويه الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه، والذي خص به أخاه إسحاق بن جعفر ـ مشهدًا من مشاهد يوم القيامة التي أطلعه الله تبارك وتعالى عليها، وهو أن الله تعالى شأنه يعيّر المؤمن الذي يترك عيادة أخيه المؤمن عند مرضه، وذلك بأن يقول له: عبدي ما منعك إذا مرضت أن تعودني؟. وهنا يقع المؤمن في الذهول والحيرة، إذ كيف يمكن أن يصيب المرض رب العزة والجلالة، وهو خالق كل شيء، والمرض فايروس خلقه الله تعالى ويأتمر بأمره؟ فيبادر المؤمن إلى إبداء استغرابه من هذا السؤال، منزهًا الله جل جلاله عن الألم والمرض؛ لأنّ الخالق (سبحانه وتعالى) لا يصاب بالمرض والألم.

وهنا يبيّن الله تبارك وتعالى أن من زار المؤمن في مرضه فكأنّما زار الله، وهنا يدرك المؤمن مغزى توبيخ الله تعالى له بسبب إهماله عيادة إخوانه عند مرضهم، ثم يقسم الباري جل جلاله بعزته وجلاله، لو عاد المؤمن أخاه في مرضه لوجده عنده. ومنه نعلم

٣٥٤. بحار الأنوار ٧: ٣٠٤، ح ٧٥.

أن مكان المريض هو مكان استجابة الدعاء؛ لأنّ الله حاضر فيه، بمعنى أنّ عين الله راعية للمريض والمكان الذي فيه المريض، ولذا فمن زار المريض فكأنما زار الله تعالى في عرشه. وما دام المؤمن يعود أخاه المؤمن إذا مرض في سبيل الله، فإنّ الله تبارك وتعالى يتحفه بهدية نفيسة، وهي أنّه يتكفل بحوائجه جميعًا فيقضيها له.

هذه من آثار عيادة المؤمن في مرضه، ويعلل الله تبارك وتعالى مكافأته هذه بقوله: «وذلك من كرامة عبدي المؤمن، وأنا الرحمن الرحيم». فليغتنم المؤمنون هذه الفرص الثمينة، وهذا الباب الإلهي الواسع الذي فتحه وجعله سببًا لقضاء حوائجهم، ولا يعتذر أحد بترك عيادة أخيه المؤمن المريض بسبب ضيق ما في اليد، وأنّه يخجل من أن يذهب إليه بيد خالية، لأنّ المؤمن يعرف حال أخيه المؤمن ويعذره، ويكفي أن يكون مجيئه فرحة وإدخالا للسرور في قلب أخيه المؤمن، وليذهب بفقره هذا ويطلب من الله الكريم أن يوسّع عليه في رزقه، ويرفع عنه ما يسببه له ضيق ما في يده من خجل مع إخوانه المؤمنين.

عن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق: أن يسلّم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمّته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[٣٥٥].

ذكر الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة ستة حقوق للمؤمن على أخيه المؤمن؛ خمسة منها في حياته وواحد بعد وفاته، وهي:

الأول: يسلّم عليه إذا لقيه، فمن المستحبات المؤكدة في الإسلام إفشاء السلام، أي السلام على من تعرف ومن لا تعرف، ويتأكد هذا المستحب المؤكد أكثر حتى يصبح حقًا من الحقوق، هو سلام المؤمن على أخيه المؤمن، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾[٣٥٦]، وتحية الإسلام هي أن يقول المسلّم: السلام عليكم، ومعناه الدعاء للمسلّم عليه بأن يعيش في كنف اسم الله تعالى السلام، وهو مشتق من السلم الذي هو ضد الحرب، وليس هناك كلمة أفضل من هذه الكلمة، تعبر عن حفظ العلاقة الودية بين الناس وإشاعة الأمن في المجتمع.

ومن أراد أن يحصل على الثواب الأخروي وعلى الآثار المعنوية للسلام، فعليه أن

٣٥٥. الكافي ٢: ١٧١، ح٦.
٣٥٦. سورة الحشر: الاية ٢٣.

يستعمل الصيغة الشرعية للتحية وهي: السلام عليكم. ويستتبع هذا الحق بشكل منطقي حق آخر للمؤمن، وهو وجوب الردّ على تحيته بأفضل منها، وهو أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله، كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٣٥٧)، وإن كان وجوب ردّ التحية لا يقتصر على المؤمن فقط، بل يجب ردّ تحية كل مسلّم.

وهناك ظاهرة غريبة عن تراثنا الإسلامي الأصيل، وهي استبدال لفظ السلام بألفاظ أجنبية كان المستعمر المحتل يستعملها ويروج لها في بعض الأوساط، ثم انتشرت بالتدريج في أوساط أخرى، ولا بد من العودة إلى صيغة التحية الصحيحة، والتخلص من كل ألوان التحية البديلة. وهناك نوع آخر شائع في بعض الأوساط، وهو الاقتصار على الإيماء بالرأس بدلًا من التلفظ بصيغة التحية، وكأنّ تحريك الرأس على كبره أيسر عندهم من تحريك اللسان على صغره.

وقد ورد في الأخبار أن الفضل الأعظم والثواب الأجزل هو لمن بدأ بإلقاء التحية، وقد ورد في بعض الروايات أن أجر التحية، هو تسع وتسعون حسنة للبادئ وواحدة للرادّ. وكان من خُلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يبدأ بإلقاء التحية على كل من يلقاه.

الثاني: يعوده إذا مرض، وهو الشاهد، فمن حق المؤمن على المؤمن أن يزوره إذا مرض، ولا شك أن في هذا العمل تكريما واحتراما للمؤمن أمام عائلته وجيرانه وعموم المجتمع، ولما في الزيارة من تفقد لأحوال المريض لعله يحتاج الى شيء ويخجل من البوح به، ويعرفه الزائر له من خلال قربه منه.

الثالث: ينصح له إذا غاب، وذلك بأن يحفظ ويرعى عائلته وجميع شؤونه في غيابه.

الرابع: يسمّت عطسته، أي إذا عطس المؤمن أمام أخيه المؤمن فعليه أن يسمته، أي يقول له: يرحمكم الله، وهو دعاء له بالدخول في الرحمة الإلهية.

الخامس: يجيبه إذا دعاه، أي على المؤمن أن يقبل دعوة أخيه المؤمن بحضور مائدة طعامه، لما في ذلك من التكريم له.

السادس: يتبعه إذا مات، أي على المؤمن أن يحضر جنازة أخيه المؤمن وتشييعه ودفنه ومجلس فاتحته، لما في ذلك من إدخال السرور على الميت، ومواساة عائلته في تحمل هذا المصاب الجلل.

---

٣٥٧. سورة النساء: الاية ٨٦.

في رواية أخرى: عن هارون، عن ابن صدقة، عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرهم بسبع ونهاهم عن سبع، أمرهم بعيادة المرضى. . . الخ»[٣٥٨]

لقد مر في الروايات السابقة الثواب الجزيل الذي أعدّه الله (سبحانه وتعالى) في الآخرة لمن عاد أخاه المؤمن في مرضه، ومما لا شك فيه أن عيادة المرضى من الآداب المتعارفة في العلاقات الاجتماعية، وهي أوسع دائرة مما تطرقت إليه الروايات التي اقتصرت على بيان ثواب عيادة المؤمن لأخيه المؤمن في مرضه، ولكن السائد في العلاقات الاجتماعية أنّها تتسع لتشمل عيادة المرضى، وإن كانوا غير مؤمنين، بل حتى لو لم يكونوا مسلمين، من الأقارب والأصدقاء والجيران وزملاء العمل، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعود جيرانه من غير المسلمين أيضًا إذا مرضوا، وفعل النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حجة كقوله، وهو يعني جوازه للمسلم أيضًا، وهو من الآداب الاجتماعية العامة التي حث عليها الإسلام.

أما الفوائد المترتبة على هذا العمل في الدنيا فهي:

الفائدة الأولى: الراحة النفسية للمريض وإخراجه من العزلة التي يشعر بها، فإنّ زيارته تشعره بأنك تدرك معاناته وألمه، وهذا الشعور يؤدي إلى راحة نفسية وتطييب خاطر المريض، فتدخل هذه الزيارة على قلب المريض الفرح والسرور والاستقرار النفسي، فالمريض يحتاج إلى من يقلل من محنته وألمه، وهذه العيادة تخفف من الألم النفسي الذي يعيشه وتدخل عليه السرور.

عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه أنّه) قال: «لكل شيء شيء يستريح إليه، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله»[٣٥٩]، فكما أن الطيور على أشكالها تقع، فلا ترى حمامة تصاحب غرابًا مثلًا، وإنما تصاحب حمامة مثلها، فكذلك المؤمن عندما يرى مؤمنًا يأنس به ويرتاح له وتنفتح أساريره ويطمئن نفسيًا وقلبيًا، وكل هذا إذا كان في وضعه الاعتيادي ولم يكن مريضًا، فما بالك إذا كان مريضًا وتزوره؟ فمن الطبيعي أنّ يكون للزيارة مثل هذا التأثير من الراحة النفسية.

الفائدة الثانية: مساعدته في حل مشاكله، فالمريض وهو راقد في المستشفى أو في داره منقطع عن عمله، وهناك من الناس من يؤمن رزقه ويباشر أمر معاشه من خلال

٣٥٨. بحار الأنوار ٧٣: ٣٣٨، ح٣.
٣٥٩. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٤، ح٣٠.

عمله اليومي، فإذا انقطع عن العمل انقطع رزقه، فيبقى قلقًا لا يدري كيف يؤمن نفقات عائلته، ولا سيما إذا طال به المرض وقعدت به علته، بالإضافة إلى نفقات العلاج والدواء والطعام الخاص الذي ينبغي عليه تناوله، وهذه تشكل عبئًا إضافيًا على نفقاته المعتادة، فالمشكلة المالية واحدة من المشاكل التي تواجه المريض بشكل عام، وهناك مشاكل أخرى يتعرض لها المريض أحيانًا، كحاجته إلى من يساعده ويتسوق له ويخدمه ويأخذه للطبيب، فمن الممكن أن يستطيع الزائر مساعدة المريض في تلافي جزء من هذه المشاكل، وسيأتي لاحقًا في بيان آداب عيادة المريض جلب هدية له، كالمواد الغذائية المناسبة لحاله، لأنّه لا يستطيع الخروج ولا يوجد عنده من يتسوق له. إذن فحل مشاكل المريض هي إحدى فوائد الزيارة، سواء كانت مشكلة مالية أو مشكلة في إدارة شؤونه الخاصة، كالمراجعة عنه لإنجاز معاملاته المتأخرة بسبب مرضه ونحوها.

وقد ورد عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ليُعن قويكم ضعيفكم، ويعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا»[٣٦٠].

تناول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ خمس وصايا مهمة لأتباع أهل البيت لتنظيم أمورهم:

الأولى: إعانة القوي للضعيف، فمن كان صاحب وجاهة أو نفوذ، فليساعد الضعفاء من إخوانه المؤمنين بوجاهته ونفوذه، ويدفع عنهم الحيف والظلم.

الثانية: عطف الأغنياء على الفقراء، أي ليساعد الأغنياء إخوانهم المؤمنين الفقراء ماليًا لانتشالهم من الفقر، إما بالمساعدات المالية المباشرة، أو بتوفير فرص عمل لهم ونحو ذلك.

الثالثة: نصيحة الأخ المؤمن، وأن يخلص له النصيحة كما ينصح نفسه، ولا يترك نصيحته تحت أي ذريعة كانت. فالمهم أن يحرص المؤمن على أخيه المؤمن كما يحرص على نفسه.

الرابعة: كتمان أسرار أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والمقصود بها الأمور التي تؤدي إلى تعريض حياتهم إلى الخطر، وإلا فإنّ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليست لديهم عقائد باطنية خاصة يخشون الكشف عنها وإظهارها للناس، بل ذلك ما حثّوا أتباعهم على بيانه وتوضيحه لعامة المسلمين، لأنّه ما أُمروا ببيانه لتقام الحجة على الناس، فإنّ الله

٣٦٠. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٥، ح ١٥.

(سبحانه وتعالى) قد نصبهم خلفاء بعد رسوله وحجة على خلقه. فالأمر الذي كانوا يوصون به شيعتهم هو المحافظة على الأسرار الداخلية وعدم إشاعتها للآخرين، لأنّهم إن أشاعوها مكّنوا أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر من ضربهم والقضاء عليهم، حين يعرفون نقاط ضعفهم وقوتهم. وهذه واحدة من مشاكلنا الحالية أيضًا، بسبب ثقافتنا الأمنية المحدودة، فترانا ننشر كل ما يتعلق بأمورنا الداخلية وتحركاتنا، وأحيانًا نرى ذلك حتى على صفحات التواصل الاجتماعي الإلكترونية.

الخامسة: عدم حمل الناس على أعناق آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أي الحرص على عدم كشف هوية أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لئلا يعرفهم الأعداء فينالوا منهم، فيكون أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سببًا في إيذائهم وهدم بيوتهم وزجهم في السجون وقتلهم، كما شهد التأريخ بالمعاناة الشديدة التي عاشها الشيعة على مرور الأيام.

والشاهد في الرواية هو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليُعن قويكم ضعيفكم، ويعطف غنيكم على فقيركم»، فحالة العطف والعون ومد يد المساعدة لحل مشاكل المؤمنين، قضية أساسية في العلاقة الإيمانية.

وعن محمد بن عجلان قال: «كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فدخل رجل فسلم وجلس، فسأله الإمام الصادق: كيف من خلفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكّى وأطرى. فقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة. فقال: كيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ فقال: إنك لتذكر أخلاقًا قلّما هي في مَن عندنا يا ابن رسول الله. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف يزعم هؤلاء أنهم شيعة؟»[٣٦١].

إذن لا يمكن أن نزعم أن مثل هؤلاء الأغنياء من شيعة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم لا يتفقدون الفقراء في منطقتهم ولا يزورونهم ولا يساعدونهم، فهذه الأمور الثلاثة: العيادة والمشاهدة والصلة، هي من واجب الأغنياء تجاه الفقراء.

إذن فالفائدة الثانية لعيادة المريض، هي حل مشاكله ومساعدته ودعمه معنويًا.

الفائدة الثالثة: المواساة، وهي إشعار المريض بأنه قريب منه ويواسيه في محنته وعارف بآلامه وأوجاعه ويحمل همه، وسيأتي في آداب الزيارة أن المؤمن عندما يدخل على أخيه المريض يضرب على جبهته، ويضرب إحدى يديه على الأخرى ويقول: لا إله إلا الله، لكي يشعره أنّه متألم من أجله، فعيادة المريض فيها إظهار المواساة له

٣٦١. بحار الأنوار ٧١: ٢٥٣، ح٤٨.

وإظهار الألم لألمه ووجعه، وحالة المواساة هذه مهمة جدًا، وتؤدي الى حالة من القرب النفسي مع الأخ المؤمن.

ورد في رواية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «لا والله لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون لأخيه مثل الجسد إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه»[٣٦٢]، فعلاقة المؤمن مع إخوانه المؤمنين يجب أن تكون من هذا النوع أيضًا، بحيث إذا تعرض أحدهم لمحنة، هبّ الجميع إلى إنقاذه من محنته.

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالسهر والحمى»[٣٦٣]، فينبغي أن تكون علاقة المؤمن بالمؤمن كعلاقة الجسد الواحد، بمعنى أن أي عضو من أعضائه تحدث له مشكلة، فإنّها تسري إلى سائر الأعضاء، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه جسد المجتمع الإيماني، فكل مؤمن يتعرض إلى أذى ما، يحس بهذا الأذى جميع المؤمنين، وهذه هي المواساة، التي تتجسد بشكل جلي في عيادة المؤمن لأخيه المؤمن عند مرضه.

وهناك تشبيه في بعض النصوص لعلاقة المؤمن بالمؤمن بهذا الترابط العضوي، وربما كان هذا الترابط معنويًا في بعض الأحيان، والأمر مثل أصوات الآلاف من الإذاعات التي تبث برامجها ونحن لا نسمعها الآن، ولكن لو جئنا بمذياع يلتقط هذه الأمواج المرسلة من قنوات البث الإذاعي، فإنّنا سنستطيع حينئذ سماعها، وعلاقة المحبة بين المؤمنين هي كحالة الأمواج الإذاعية، فهي موجودة ولكن تحتاج إلى جهاز استقبال، وهو عند المؤمن الشعور بالانقباض الذي يحس به عندما يتعرض أخوه المؤمن إلى الأذى، بسبب أزمة أو محنة يمر بها.

وقد ورد ما يؤكد هذا المعنى في ما رواه جابر الجعفي قال: «تقبضت بين يدي أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت: جعلت فداك، ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني، حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم يا جابر، إن الله عز وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحًا من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن، حزنت هذه لأنها منها»[٣٦٤].

---

٣٦٢. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣، جزء من ح٣٠.
٣٦٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣، جزء من ح٣٠.
٣٦٤. الكافي ٢: ١٦٦، ح٢.

وورد هذا المعنى في رواية أخرى عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه سُئل عن الرجل يصبح مغمومًا، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا أصابه ذلك فليعلم أن أخاه مغموم، وكذلك إذا أصبح فرحان لغير سبب يوجب الفرح»[٣٦٥]. فالمؤمن يحزن لحزن أخيه المؤمن ويفرح لفرحه، ولو كان في بلد آخر ولا يعرفه. وفي رواية أخرى فُسّر هذا الفرح أو الحزن الذي يصيب المؤمن، بأنّه يكون لفرح أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أو حزنهم؛ لأنّ شيعتهم خُلقوا من فاضل طينتهم.

وعن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إني لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سببًا؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا؛ لأنّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلًا عليكم، لأنّا وإياكم من نور الله عز وجل، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة، ولو تركت طينتكم كما أُخذت لكنا وأنتم سواء، ولكن مُزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنبًا أبدًا»[٣٦٦]. وفي الحديث إشارة إلى التزاوج بين المؤمن وغير المؤمن، فتنتقل هذه الطينة عبر الآباء والأجداد إلى الأجيال، ولو لم تختلط هذه الطينة لكانت طينة المؤمن كطينة المعصوم، فتعطيه الرؤية التي تمنعه من الوقوع في الحرام والذنب والمعصية. إذن فغمّ أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وفرحهم ينعكسان على المؤمنين، فيشعرون بالغم أحيانًا من دون أن يعرفوا سببًا محددًا لذلك، وكذلك يشعرون بالفرح والسعادة من دون أن يعرفوا سببًا محددًا وواضحًا.

وللحديث صلة يأتي لاحقا، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٦٥. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٧، ح٢٠.
٣٦٦. بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٧.

المحاضرة الأخلاقية الثلاثون
بتاريخ ٢٠١٣/١١/٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وعظم أجوركم، وجعلنا وإياكم من السائرين على نهج سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه).

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، وذكرنا أن هذه العلاقة علاقة ناتجة من الإيمان، من العقيدة، الرباط بين هذا الأخ وأخيه هو الإيمان والتدين والالتزام، وبما أن الإيمان حالة مقدسة فالعلاقة الإيمانية أيضا علاقة مقدسة، والأخوّة الإيمانية تكتسب قداستها من خلال هذا الرباط العقائدي الذي يربط بين الناس.

وكان الحديث عن حقوق هذه الأخوّة، ووصلنا إلى الحق الحادي عشر.

الحق الحادي عشر/ حضور جنازة الأخ المؤمن

لقد ذكر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا الحق بقوله: «ويشهد ميتته». وقد مر بنا أنّه ينبغي على المؤمن أن يشهد أخاه المؤمن حين وفاته وتشييعه والصلاة عليه وتغسيله ودفنه، لأنّ الأخوّة الإيمانية لا تنحصر في حياة المؤمن في هذه الدنيا، بل يجب أن يستمر تكريم المؤمن واحترامه بعد وفاته، وينبغي ألاّ يختلف مستوى التكريم والتبجيل والاحترام والتوقير للأخ المؤمن، سواء كان حيًا أو ميتًا، وحضور مراسيم التشييع والصلاة والتغسيل والتكفين ثم الدفن، هي جميعًا من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن.

وقد تحدثنا بأهمية واستحباب ورجحان هذا الأمر، وتناولنا هذا الحق في النصوص والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأئمة أهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، وفاتنا أن نشير إلى آية قرآنية قد يستفاد منها التركيز على هذا الجانب؛ وهي الآية الرابعة والثمانون من سورة التوبة، إذ قال عز من قائل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [٣٦٧]، أي يا رسول الله، إن الذين خذلوك وتكاسلوا عن الجهاد معك وطعنوا الأمة الإسلامية والمشروع الإسلامي من الخلف هم منافقون، فإذا مات واحد منهم فلا تصلّ على جنازته ولا تقم على قبره، ولا تمنحه الشرعية ولا تحترمه ولا تقدره، فالمنافق يجب أن يعاقب، ولا يعامل معاملة المؤمن.

ثم تبيّن الآية الكريمة علّة نهي الله تبارك وتعالى رسوله الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن الصلاة على المنافق إذا مات وزيارة قبره بأمرين:

الأول: كفرهم بالله ورسوله، فهؤلاء نتيجة خذلانهم وطعنهم بالمشروع الإسلامي وتقاعسهم عن أداء واجباتهم، كفروا بالله ورسوله، لأنّ حقيقة الإيمان هي النصرة، فالإيمان موقف والتزام وحمل للمشروع، وهؤلاء تخلوا عن المشروع وكفروا بالله ورسوله.

والثاني: ماتوا وهم فاسقون، فالذي يخذل الله ورسوله ويخذل الأمة ويطعن مشروعها هو إنسان فاسق.

فترك الصلاة على المنافقين، وترك الوقوف على قبورهم والدعاء لهم، يُفهم منه أنّه عذاب وطرد لهم، وكشف وتعرية لانحرافهم. ومفهوم هذه الآية الكريمة أنه إذا مات المؤمن، فصلّ عليه يا رسول الله، وقف على قبره، وادعُ له.

وهناك مجموعة من الآداب التي تجب مراعاتها في تشييع المؤمن عند وفاته، وهي:

الأول: المشي خلف الجنازة أو بجانبها وعدم التقدم عليها، على عكس ما عليه المجوس والنصارى، إذ يمشون أمام الجنازة.

الثاني: يكون التشييع مشيًا على الأقدام، لا أن تكون الجنازة مرفوعة على الأكف والمشيعون يسيرون خلفها بسياراتهم، أو تكون الجنازة في سيارة الأسعاف والمشيعون خلفها بسياراتهم، فهذا ليس تشييعًا، لأنّه يفقد التوقير اللازم للميت.

الثالث: عدم ترك التشييع في أثناء الطريق، بل يجب البقاء مع الميت إلى حين دفنه،

٣٦٧. سورة التوبة: الاية ٨٤.

لما فيه من حفظ لكرامة الميت وتوقيره، اللهم إلا إذا شكر ولي الميت المشيعين وطلب منهم عدم معاناة المشقة أكثر من ذلك، فحينئذ يمكن الاستفادة من هذا الترخيص ومغادرة التشييع، ولكن مع ذلك لا يسقط الرجحان، ويبقى من المستحب مواصلة التشييع حتى انتهاء مراسيم الدفن، ولكنه يرفع كراهية الانسحاب من التشييع.

الرابع: تجنب الضحك وإبراز الفرح والسرور والمزاح في أثناء التشييع، فهو عمل يفتقد إلى اللياقة اللازمة، فالمقام مقام حزن ومواساة لأهل الميت، وتوقير للمؤمن المرفوعة جنازته أمام أنظار الناس. وقد ورد عن النبي الأكرم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنّه قال: «من ضحك على جنازة أهانه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يستجاب دعاؤه، ومن ضحك في المقبرة رجع وعليه من الوزر مثل جبل أحد، ومن ترحم عليهم نجا من النار»[٣٦٨].

وورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ تبع جنازة فسمع رجلًا يضحك، فقال: كأنّ الموت فيها ـ أي في الدنيا ـ على غيرنا كُتب، وكأنّ الحق فيها على غيرنا وجب، وكأنّ الذين نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظ وواعظة، ورمينا بكل فادح وجائحة»[٣٦٩].

يوبّخ أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أحد الأشخاص حين سمعه يضحك في تشييع جنازة ويعظه ليدرك خطأ فعلته، ويبيّن أنّ ضحكه في هذا المقام يعني عدم فهمه لفلسفة الحياة في الدنيا، وأنّ الموت محتّم علينا لا مفر منه، فكيف نتناسى هذه الحقيقة الدامغة ونتعامل في الدنيا وكأننا فيها مخلّدون، وكأنّ الموت على غيرنا قد كُتب وليس علينا، وكأنّ هؤلاء الأموات الذين يرحلون من بين ظهرانينا سوف يرجعون إلينا قريبًا، ونتغافل عن حقيقة أنهم راحلون إلى عالم آخر لا عودة منه إلى عالم الدنيا، ولا يشغلنا من هؤلاء الأموات إلا التفكير في ما تركوه من أموال وكيف نتقاسمها، فصرنا نحن مثابة من يرمى بكل أمر جلل وبكل آفة، وعندها فإنّ الله(سبحانه وتعالى) لن يرحمنا عندما يكون حالنا هو عدم الاعتبار، وعدم وزن الأمور بميزانها الصحيح، فلا نعطيها قيمتها ولا نحفظ للمؤمن كرامته، فحينئذ يجب أن ننتظر أي بلاء سينزل بنا، ويسلط الله (سبحانه وتعالى) علينا من لا يرحمنا، ويحمّلنا من الأمور ما لا طاقة لنا بها، إذن علينا أن نتجنب الضحك في أثناء تشييع جنازة المؤمن.

---

٣٦٨. وسائل الشيعة ٣: ٢٣٣، ح٥.
٣٦٩. نهج البلاغة ٤: ٢٩، الحكمة ١٢٢.

الخامس: السكينة والوقار، أي على من يشترك في تشييع جنازة ألاّ يتكلم بغير ذكر الله تعالى، ولا يتلفت يمينًا وشمالًا، ويمشي بسكينة ووقار وهدوء ويفكر ويعتبر.

وعن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «عليكم بالسكينة عليكم بالقصد في المشي بجنائزكم»[٣٧٠]، يوصي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالسكينة والوقار والمشي بهدوء وعدم الإسراع عند تشييع الجنازة، ثم قبل الوصول إلى القبر يُستحب إنزال الميت، ثم رفع الجنازة والمشي بها خطوتين ثم إنزالها مرة ثانية، ثم رفع الجنازة وإنزالها في القبر، فالميت ذاهب إلى دار الوحشة والغربة، وروح الميت ترمق أهلها وذويها ومن حضر جنازتها بنظرات توديع، وهي ذاهبة إلى مثواها الأخير.

هذه هي أهم آداب التشييع التي نجدها في الروايات، وللمؤمن المتوفى حقوق علينا، منها:

الحق الأول: زيارة قبره، فزيارة قبر المؤمن كزيارته حيًا. وقد ورد في الروايات أن الميت يعلم بقدوم من يزوره كما يعلم الحي ذلك، فعن أبي المأمون الحارثي قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: إن من حق المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره. . . إلى أن قال: وإذا مات الزيارة إلى قبره»[٣٧١].

وفي رواية أخرى، سأل محمد بن مسلم أبا عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «الموتى نزورهم؟ قال: نعم. قلت: فهل يعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: إي والله إنهم ليعلمون بكم، ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم»[٣٧٢].

وجاء في رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أنه قال: «إنهم يأنسون بكم، فإذا غبتم عنهم استوحشوا»[٣٧٣].

وعن عمرو بن أبي المقدام قال: «مررت مع أبي جعفر بالبقيع بقبر رجل من أهل الكوفة، قال: فوقف عليه وقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، واسكن إليه من رحمتك ما يستغني بها عن رحمة من سواك، وألحقه بمن كان يتولاه»[٣٧٤]، وهكذا ينبغي أن ندعو عندما نقف على قبر المؤمن.

---

٣٧٠. بحار الأنوار ٧٨: ٢٥٩، ح٩.
٣٧١. الكافي ٢: ١٧١، ح ٧.
٣٧٢. وسائل الشيعة ٣: ٢٢٢، ح٢.
٣٧٣. الكافي ٣: ٢٢٨، ح١.
٣٧٤. الكافي ٣: ٢٢٩، ح٦.

وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من أتى قبر أخيه، ثم وضع يده على القبر وقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات، أمن يوم الفزع الأكبر، أو يوم الفزع» «[٣٧٥] الشك من الراوي هل قال الإمام الفزع الأكبر أو الفزع، والنتيجة واحدة. فمن وضع يده على قبر أخيه المؤمن وقرأ سورة القدر سبع مرات، آمنه الله من أهوال يوم القيامة؛ لأنّه أزال الوحشة عن أخيه المؤمن.

الحق الثاني: ألاّ يُذكر بسوء، لأنّه قد ذهب إلى دار حقه، وفيها سيحاسب على ما أتى من عملٍ صالح أو طالح، وليس للميت المؤمن إلا الرحمة والذكر الحسن، لأنّ من كان أهلًا لرحمة الله، كيف نتجرأ ونذكره بسوء؟. فقد روى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عز وجل عليه. . . إلى أن قال: ألاّ يقول فيه بعد موته إلا خيرًا»[٣٧٦].

الحق الثالث: أن يُحفظ في أهله وولده، فتجب رعاية عائلة المؤمن المتوفى كما لو كان حيًا، لأنّ المرء يُحفظ في ولده، وقد ورد عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن. . . إلى أن قال: فإذا مات خلفه في أهله وولده»[٣٧٧]

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مودّة الآباء نسب بين الأبناء»[٣٧٨]، والنسب يعني القرابة، فإذا تصادق اثنان من الآباء، فإنّ العلاقة بينهما ستمتد إلى عائلتيهما، فالعلاقة بين الآباء بمثابة القرابة بين الأبناء، فيتصادق أولادهم بعضهم مع بعض، وتتصادق نساؤهم بعضهن مع بعض.

وورد في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مودّة الآباء قرابة بين الأبناء، والقرابة إلى المودة أحوج من المودّة إلى القرابة»[٣٧٩]، لأنّ المودّة تولد القرابة، ولا تولّد القرابة المودّة. فليس المهم بالقريب إلا المحبة، فيؤمن غدرته، ويقف معه في الشدة، ففائدة القرابة المودّة، والمهم في القرابة والعلاقة الرحمية المودّة والمحبة والنصرة، ولكن ما الفائدة من قريب لا يكلّم قريبه سنين، فهذه القرابة أحوج للمودّة من حاجة المودّة إلى القرابة. فإذا كانت هناك قرابة ولا توجد مودّة بينهم فهناك مشكلة، ولكن إذا

٣٧٥. الكافي ٣: ٢٢٩، ح٩.
٣٧٦. وسائل الشيعة ١٢: ٢٠٨، ح١٣.
٣٧٧. الكافي ٢: ١٦٩، ح١.
٣٧٨. عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.
٣٧٩. نهج البلاغة ٤: ٧٣، ح٣٠٨.

كانت هناك مودّة، ولكن لا توجد قرابة فليس هناك مشكلة. فحاجة القرابة إلى المودة أكثر من حاجة المودة إلى القرابة، كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

للحديث صلة، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأخلاقية الحادية والثلاثون
بتأريخ ٢٠١٣/١٢/٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في جهودكم، وعظّم الله أجوركم بهذه الأيام الشريفة، ونحن نقترب من أربعينية سيد الشهداء (صلوات الله وسلامه عليه).

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوّة الإيمانية، ودور هذه الأخوّة، وطبيعة القداسة في العلاقة بين المؤمنين. وقلنا إن هذه العلاقة التي تنتمي إلى الأيمان وتستند إلى العقيدة ينبثق منها ويترتب عليها سلسلة من الحقوق والالتزامات والواجبات تجاه أي من المؤمنين نحو أخيه المؤمن، وانتهينا إلى الحق الثاني عشر

الحق الثاني عشر/ إجابة دعوة المؤمن

يتمثل هذا الحق في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية محل البحث: «ويجيب دعوته»، أي يقبل دعوته له لتناول الطعام. وهذا الحق لا يختص بالمؤمن فقط، بل يشمل جميع المسلمين؛ لأنّ أغلب روايات هذا الباب جاءت تحت عنوان إجابة دعوة المسلم، ولكن هناك خصوصيات للمؤمن كما سيتضح من خلال البحث.

وهذا النص يحتمل معنيين:

الأول: وهو الأظهر أن يجيب دعوته إذا دعاه لوليمة، أو للحضور في مجلسه وداره، وهو يتطلب:

أ- أن يكون الدافع تعميق الأخوّة الإيمانية والتقارب بينهما، وليس الرياء أو استغلاله ماديًا أو معنويًا أو اعتباريًا.

ب- ألاّ تكون الدعوة عبئًا على الضيف المؤمن، كما لو اضطر الى إلغاء مواعيده والتزاماته، أو كانت تؤثر في صحته أو وضعه الاقتصادي، كأن تتطلب السفر إلى مكان بعيد للحضور إلى دار المؤمن.

ج- مع توفر الشروط يجب عدم الاهتمام بنوع الضيافة، فالمسألة ليست ذات صلة بالطعام بقدر ما هي توثيق للعلاقة الإيمانية، وأن يتقبل من المضيف ما تجود به نفسه.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لو دُعيت إلى كراع لأجبت»[٣٨٠]، والكراع هو رجل الشاة أو يدها.

الثاني: إذا طلب منه شيئًا أو حاجة فعليه أن يجيبه، فيستمع إليه ويتعامل مع حاجته.

وقد يشير إلى هذا المعنى ما ورد عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبعة حقوق واجبات. . . والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره»[٣٨١].

وما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لابنه الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أطع أخاك وإن عصاك»[٣٨٢] أي حتى لو لم يستجب لمطالبك فأنت أجب دعوته وأعنه في ما يطلب.

وقد تطرقت الروايات التي تتحدث عن هذا الحق إلى مواضيع مختلفة نحاول التعرض لها في ما يلي:

إجابة الدعوة سنّة نبوية

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقبل الدعوة إلى الطعام، كما ورد ذلك في ما رواه جابر عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجيب الدعوة»[٣٨٣]، فمع كثرة أشغاله وازدحام أوقاته في تبليغ الرسالة وإدارة الدولة، كان حريصًا على إجابة دعوة من يدعوه من المسلمين لتناول الطعام في منزله، ويمكننا أن نتصور بسهولة كيف أنّ المسلمين كانوا حريصين أيضًا على دعوته إلى بيوتهم تبركًا وتقربًا، بل إنّ رسول الله

٣٨٠. وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٨٢٥ ح١٣.
٣٨١. الكافي ٢: ١٦٩ ح٢.
٣٨٢. بحار الأنوار ٧٧: ٢١٣ ح٤٠.
٣٨٣. وسائل الشيعة ٢٤: ٢٧١، ح٩.

صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان يبادلهم هذه الدعوات، فكان يدعوهم إلى منزله لتناول الطعام، ترسيخًا لهذا الخلق الكريم في المجتمع، كما نطق بذلك القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾[٣٨٤]. وكان من رفيع خلقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إجابة دعوة المسلم وإن كان فقيرًا ضعيفًا مملوكًا غريبًا، ولم يكن يستنكف من ذلك، فقد ورد عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يجلس على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك»[٣٨٥].

إجابة الدعوة من حقوق المسلم

أكدت الروايات الشريفة أنّ تلبية دعوة المسلم لأخيه المسلم هي من حقوقه التي ينبغي مراعاتها، فعن إسحاق بن يزيد عن أبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «إنّ من حق المسلم على المسلم أن يجيبه إذا دعاه»[٣٨٦]. بل هي من الواجبات كما صرحت بذلك رواية المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «إنّ من حق المسلم الواجب على أخيه إجابة دعوته»[٣٨٧]، فهي إذن حق واجب للمسلم، فضلًا عن المؤمن الذي يحظى بحق أعظم من أخيه المؤمن، كما في رواية المعلى بن خنيس أيضًا عن أبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «إنّ من الحقوق الواجبات للمؤمن أن تجاب دعوته»[٣٨٨].

وجوب إجابة دعوة المؤمن

أما المؤمن فقد ورد التأكيد والتغليظ على إجابة دعوته، واعتبارها من الواجبات، وأنّ من تركها تهاونًا بها فقد خرج من ولاية الله(سبحانه وتعالى)، فقد روى المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة، ليس منها حق إلا وهو واجب على أخيه، إن ضيّع منها حقًا خرج من ولاية الله وترك طاعته ولم يكن له منها نصيب ـ إلى أن قال ـ والسابع: أن تبر قسمه وتجيب دعوته»[٣٨٩].

---

٣٨٤. سورة الأحزاب: الاية ٥٣.
٣٨٥. مستدرك الوسائل ١٦: ٢٣٦، ح١٠.
٣٨٦. الكافي ٦: ٢٧٤ ح٢.
٣٨٧. الكافي ٦: ٢٧٤ ح٥.
٣٨٨. الكافي ٦: ٢٧٤ ح٣.
٣٨٩. مستدرك الوسائل ١٦: ٢٣٦، ح٧.

الحث على إجابة الدعوة

قد يجد من لا يريد تلبية دعوة الأخ المسلم العذر المقبول لدى الداعي في حضور مأدبة الطعام كبعد المسافة وازدحام السير، ولكن مع ذلك فإنّ الإسلام يدعو أتباعه إلى تحمل المشاق من أجل ذلك، فقد روى جابر عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أوصي الشاهد من أمتي والغائب أن يجيب دعوة المسلم، ولو على خمسة أميال، فإنّ ذلك من الدين»[٣٩٠]، والمعلومة الجديدة التي تضيفها هذه الرواية الكريمة هي أنّ إجابة دعوة المسلم هي من الدين، يعني أنه إنما يمتثل أمرًا دينيًا كما هي الأمور الدينية الأخرى، وإن كان مظهرها مظهرًا دنيويًا بحتًا؛ لأنّ المقصود من إجابة الدعوة ليس هو الأكل والشرب، وإنما احترام المسلم وإكرامه أمام أهله وذويه وجيرانه ومعارفه بإجابة دعوته، وتعزيز العلاقات الطيبة في المجتمع، وما يترتب على إجابة الدعوة من آثار اجتماعية كثيرة، منها تقريب قلوب الحاضرين بعضهم من بعض والتعارف بينهم، وغير ذلك من النتائج الطيبة التي يريدها الإسلام.

ترك إجابة دعوة المسلم

وصفت الروايات الكريمة ترك إجابة دعوة المسلم إلى مائدة الطعام بوصفين:

الأول: أنه من الجفاء، فإنك عندما تعتذر عن إجابة دعوة أخيك المسلم من غير علة صادقة ملزمة تكون قد جفوته، وخلقت فجوة بينك وبينه يصعب ردمها، وقد ورد في هذا المعنى ما رواه أبو البختري عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه الباقر(عليهما السلام)، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يُدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة»[٣٩١].

الثاني: أنه من العجز، فالإنسان محتاج إلى تناول الطعام، وهو لا بد من أن يفعل ذلك في أوقات معروفة في اليوم، وهو إن لم يتناول هذه الوجبة في دار أخيه فسيتناولها في بيته، فلا يوجد مبرر مقبول إن لم يكن هناك عذر صادق ملزم غير العجز والكسل، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «إنّ من أعجز العجز رجلًا دعاه أخوه إلى طعامه فتركه من غير علّة»[٣٩٢].

---

٣٩٠. الكافي ٦: ٢٧٤ ح٤.
٣٩١. بحار الأنوار ٧٢: ٤٤٧، ح٤.
٣٩٢. وسائل الشيعة ٢٤: ٢٧١، ح٩.

إنّ الإسلام باصراره هذا على إجابة الدعوة، إنما يريد أن يقضي على الانعزال والابتعاد عن المجتمع، الذي قد يحسبه البعض فضيلة خُلقية، ويدعوهم إلى الاختلاط بينهم والتعارف والتآلف ولو على مستوى إجابة الدعوة إلى تناول الطعام.

الثالث: أنه من العصيان، فإنه مع كل هذه التأكيدات على أهمية إجابة دعوة المسلم، يُعد تركها من غير عذر ملزم عصيانًا، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله»[٣٩٣].

دوافع ترك إجابة الدعوة

عزا الإسلام أسباب ترك إجابة دعوة المسلم إلى البخل، وتلبيتها إلى الكرم، فالإنسان البخيل هو الذي لا يجرؤ على أن يأكل من طعام الآخرين خوفًا من أن يأكلوا من طعامه، كما أنّ الإنسان الكريم يحب أن يأكل من طعام الآخرين حتى يأكلوا من طعامه، فقد روى ياسر الخادم عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه»[٣٩٤]. وروي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا أنه قال: «الخيّر يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه»[٣٩٥].

عدم إجابة دعوة الفاسق والمنافق

في الوقت الذي حث فيه الإسلام على ضرورة إجابة دعوة المسلم والمؤمن، فقد نهى عن إجابة دعوة الفاسق والمنافق والمشرك؛ لأنّ إجابة دعوتهم تعد تكريمًا لهم وإعلاء لشأنهم في المجتمع، في حين قد أمر الإسلام بوجوب نهي الفساق عن المعاصي، وشدد على محاربة المنافقين والكفار والإغلاظ عليهم، فقد روى الحسين بن زيد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث المناهي قال: «ونهى عن إجابة دعوة الفاسقين إلى طعامهم»[٣٩٦]. وما رواه إبراهيم الكرخي قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لو أنّ مؤمنًا دعاني إلى طعام ذراع شاة لأجبته، وكان ذلك من الدين، ولو أنّ مشركًا أو منافقًا دعاني

٣٩٣. مستدرك الوسائل ١٦: ٢٣٤، ح٥.
٣٩٤. مستدرك الوسائل ١٦: ٢٦٨، ح٣.
٣٩٥. وسائل الشيعة ٢٤: ٢٧٩، ح١٠.
٣٩٦. وسائل الشيعة ٢٤: ٢٦٨، ح٢.

إلى طعام جزور ما أجبته، وكان ذلك من الدين، أبى الله لي زبد المشركين والمنافقين وطعامهم»[٣٩٧].

حضور الوليمة من غير دعوة

حذّر الإسلام من حضور الوليمة من غير دعوة صاحبها؛ لما في ذلك من إحراج لصاحب الوليمة الذي أحضرمقدارًا من الطعام على عدد من دعاهم، أو لضيق المكان الذي قد لا يتسع لأكثر من المدعوين، أو لغير ذلك من الأسباب، فقد روي عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من دخل على غير دعوة دخل سارقًا وخرج معيّرًا»[٣٩٨].

تحذير المسؤولين من حضور ولائم الأغنياء

لقد شيّد الإسلام دولته الكريمة في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ودولة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على مراعاة الفقراء والطبقة المحرومة في المجتمع ماديًا ومعنويًا، وعدم المساس بمشاعرهم ولو على مستوى حضور المسؤولين مأدبة طعام يُدعى لها الأغنياء دون الفقراء، ويتضح ذلك جليًا من الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فسعى إليها: «أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلًا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو. .»[٣٩٩].

للحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٩٧. الكافي ٦: ٢٧٤ ح١.
٣٩٨. مستدرك الوسائل ١٦: ٢٣٦، ح١١.
٣٩٩. نهج البلاغة ١: ٧٢.

الفهرست

المقدمة ٥

الملتقيات الثقافية

الملتقى الثقافي بتأريخ ٦/ ٢/ ٢٠١٣ ..... ٩

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٧/ ٢/ ٢٠١٤ ..... ٢٥

الملتقى الثقافي بتأريخ ٦/ ٣/ ٢٠١٣ ..... ٤١

الملتقى الثقافي بتأريخ ١٣/ ٣/ ٢٠١٣ ..... ٥٨

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٩/ ٥/ ٢٠١٣ ..... ٧٤

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢١ /٨/ ٢٠١٣ ..... ٨٧

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٨/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ١٠٠

الملتقى الثقافي بتأريخ ٤/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ١١٤

الملتقى الثقافي بتأريخ ١١/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ١٣٠

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ١٤٢

الملتقى الثقافي بتأريخ ٢/ ١٠/ ٢٠١٣ ..... ١٥٧

الأمسيات الرمضانية

الأمسية الرمضانية الأولى بتأريخ ١١/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ١٧١

الأمسية الرمضانية الثانية بتأريخ ١٢/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ١٨٣

الأمسية الرمضانية الثالثة بتأريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ١٨٩

الأمسية الرمضانية الرابعة بتأريخ ١٤/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٠٨

الأمسية الرمضانية الخامسة بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢١٨
الأمسية الرمضانية السادسة بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٢٣
الأمسية الرمضانية السابعة بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٣٢
الأمسية الرمضانية الثامنة بتاريخ٢١/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٤٠
الأمسية الرمضانية التاسعة بتاريخ ٢٢/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٥٠
الأمسية الرمضانية الثالثة عشرة بتاريخ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٥٨
الأمسية الرمضانية السابعة عشرة بتاريخ٣٠/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٦٥
الأمسية الرمضانية الثامنة عشرة بتاريخ ٣١/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٢٧٤
الأمسية الرمضانية التاسعة عشرة بتاريخ ١/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٢٨٩

محاضرات محرم الحرام

الليلة الأولى بتاريخ ٥/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٠٣
الليلة الثانية بتاريخ ٦/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣١٤
الليلة الثالثة بتاريخ ٧/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٢٤
الليلة الرابعة بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٣٥
الليلة الخامسة بتاريخ ٩/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٤٥
الليلة السادسة بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٥٧
الليلة السابعة من المحرم بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٧٠
الليلة الثامنة بتاريخ ١٢/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٨٢
الليلة التاسعة بتاريخ ١٣/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٣٩٢
ليلة عاشوراء ٣٩٩

المحاضرات الاخلاقية في الأُخوّة الإيمانية

المحاضرة الأخلاقية الأولى بتأريخ ١٠/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٠٧
المحاضرة الأخلاقية الثانية بتأريخ ١١/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤١٨
المحاضرة الأخلاقية الثالثة بتأريخ ١٣/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٣٢
المحاضرة الأخلاقية الرابعة بتأريخ ١٤/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٤٢
المحاضرة الأخلاقية الخامسة بتأريخ ١٥/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٤٦
المحاضرة الأخلاقية السادسة بتأريخ ١٨/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٥٧
المحاضرة الأخلاقية السابعة بتأريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٦٨
المحاضرة الأخلاقية الثامنة بتاريخ ٢٢/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٧٨
المحاضرة الأخلاقية التاسعة بتأريخ ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٨٢
المحاضرة الأخلاقية العاشرة بتأريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٩٠
المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة بتأريخ ٢٧/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٤٩٩
المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة بتأريخ ٢٨/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٥٠٧
المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة بتأريخ ٢٩/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٥١٥
المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة بتأريخ ٣٠/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٥٢٣
المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة بتأريخ ٣١/ ٧/ ٢٠١٣ ..... ٥٣١
المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة بتأريخ ١/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٣٨
المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة بتأريخ ٣/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٤٧
المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة بتأريخ ٤/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٥٥
المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة بتأريخ ٥/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٦٣

المحاضرة الأخلاقية العشرون بتأريخ ٦/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٧١
المحاضرة الأخلاقية الحادية والعشرون بتأريخ ٧/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٧٨
المحاضرة الأخلاقية الثانية والعشرون بتأريخ ٨/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٨٥
المحاضرة الاخلاقية الثالثة والعشرون بتأريخ ٢٧/ ٨/ ٢٠١٣ ..... ٥٩٥
المحاضرة الأخلاقية الرابعة والعشرون بتأريخ ٣/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ٦٠٣
المحاضرة الأخلاقية الخامسة والعشرون بتأريخ ١٠/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ٦١٤
المحاضرة الأخلاقية السادسة والعشرون بتأريخ ١٧/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ٦٢٣
المحاضرة الأخلاقية السابعة والعشرون بتأريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠١٣ ..... ٦٣٢
المحاضرة الأخلاقية الثامنة والعشرون بتأريخ ١/ ١٠/ ٢٠١٣ ..... ٦٤٢
المحاضرة الأخلاقية التاسعة والعشرون بتأريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٣ ..... ٦٤٨
المحاضرة الأخلاقية الثلاثون بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٣ ..... ٦٥٧
المحاضرة الأخلاقية الحادية والثلاثون بتأريخ ٣/ ١٢/ ٢٠١٣ ..... ٦٦٣